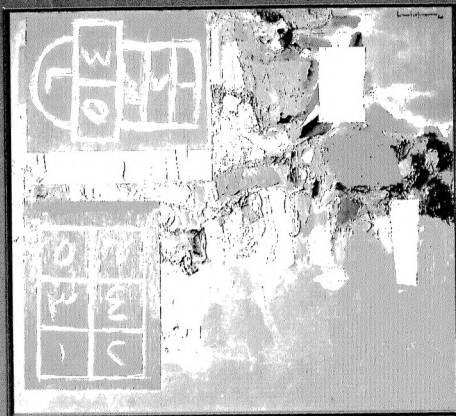


لعبة الحجلة



المشروع القومي لترجمة



218

تأليف : خوليو كورتاثار

ترجمة وتقديم

على إبراهيم علي منوفى

مراجعة : صلاح فضل

المشروع القومي للترجمة

لعبة الحجلة (رايولا)

تأليف

خوليو كورتا ثار

ترجمة وتقديم

على إبراهيم على منوفى

مراجعة

صلاح فضل



٢٠٠٠

هذه ترجمة عن الإسبانية لرواية :

RAYUE LA

Cátedra - Letras Hispánicas

1996

تقديم

أصبح من المعلوم لدى جميع القراء، وخاصة من غير المتخصصين، أن فن السرد القصصي في أمريكا اللاتينية قد أخذ يعتلى مكانة بارزة مع بداية الأربعينيات في القرن العشرين، وتهيأت الكثير من العناصر والعوامل التي ساعدت على نشره: مثل الاتصال بالتيارات الثقافية الغربية، ورؤية الواقع النقدي والإبداعي في أمريكا اللاتينية بطريقة مختلفة، أي بالثورة عليه ومحاولة تغييره، واهتمام دور النشر في أوروبا بنشر هذه الأعمال الإبداعية الجديدة وترجمتها إلى اللغات المختلفة، الأمر الذي أسهم في خلق جمهور عريض من القراء لهذا الفن الذي لازال يحظى بمركز الصدارة حتى الآن، كما أن إنشاء الكثير من الجوائز الأدبية الكبرى ومنحها لعدد كبير من الروائيين في أمريكا اللاتينية كان له هو الآخر أثره. ورغم كل هذا فإن محاولات الاقتراب من دراسة فن السرد القصصي في أمريكا اللاتينية تكتنفه صعوبات كثيرة: إذ تجري محاولات للقيام بدراسته بنيويا والتوصل إلى أساس يمكن أن يتم من خلاله تناول الظواهر التقنية في هذا الرسم ورسم صورة بانورامية أكثر وضوحا ودقة. فالبديل لهذا هو إمكانية التبويب على أساس الفصل بين كل دولة من دول أمريكا اللاتينية على حدة، وهذا يكاد يكون مستحيلا جمعه في دراسة واحدة، كما أن تناول على أساس نظرية الجيل هو من الصعوبة بمكان، بحيث يتعذر الوفاء بالشروط البيولوجية وتشابه المشارب الثقافية والهوموم المشتركة التي تساعد على صهر مجموعة من الأدباء في بوتقة واحدة.

لسنا نريد أن نتخذ هذا التقديم البسيط ذريعة للحديث عن تاريخ الرواية والسرد القصصي في أمريكا اللاتينية، وإنما نشير فقط إلى أن القارئ العربي لم يطلع إلا على النذر اليسير من الإبداعات الخلاقة لهذا الجنس الأدبي، وخاصة الترجمات لأبرز أعمال جابرييل جارسيا ماركيث التي تدخل في إطار ما يطلق عليه النقاد بالواقعية السحرية. هانحن الآن أمام صنف أو تنويعه أخرى شديدة الاختلاف وشديدة الثراء في إطار هذا التيار. إنها السرد الطليعي، إنها مضاد القصة، إنها القصة الجديدة ولكن من منظور آخر، وهي قصة «الحجلة» لخلويو كورتاثار. لقد أحدثت هذه الرواية دويًا هائلا عند ظهورها (1963) وتناولها النقاد بين مؤيد ومعارض. ورغم مرور الزمن، فإنها تحولت إلى علامة واضحة الملامح في مسار تطور السرد الروائي في أمريكا اللاتينية. وهانحن حتى اليوم لازلنا أمام عشرات الطبقات لهذه الرواية.

١ - خوليو كورتاثار (1914 - 1984) :

هناك ثلاثة تواريخ تشير إلى أحداث مهمة في حياة كورتاثار: أولها، مولده عام 1914 في بروكسل؛ حيث كان والده يعمل ضمن الملحقة التجارية الأرجنتينية في تلك العاصمة الأوروبية، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى أجبر الأسرة على العودة إلى الأرجنتين مروراً بسويسرا ثم إسبانيا ثم بوينوس آيرس عام 1918، أما التاريخ الثاني فهو عام 1951؛ حيث أهلكه القيام بترجمة أعمال آلان بويه إلى الأسبانية ونشرها للعمل كمترجم لدى منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة في باريس. عاش - إذن - منذ نعومة أظفاره في الأرجنتين كأحد أبناء الطبقة المتوسطة «التي استطاع أن يصور لنا منهجها السلوكي وطموحاتها العميقة (...) في لوحة فريدة في إطار الأدب الأرجنتيني»^(١)؛ فهي طبقة أخذت تباعد نفسها عن الواقع اليومي المعيش وتندثر بالقراءة والثقافة، وأصبحت حياتها تخلو من الاتصال بنخب ذلك الواقع، الأمر الذي أوقعها في متاعب جمّة.^(٢)

ورغم أنه من أبناء الطبقة المتوسطة، فإن منطقة بانفيلد Banfield الواقعة جنوب العاصمة الأرجنتينية بشوارعها التي لم تكن قد رصفت بعد في تلك الأونة وبيع بعض سكانها الذين يجوبون شوارعها وهم يمتطون صهوة الجياد، ولبات الإضاءة المنبثقة على النواصي، كل هذا علم كورتاثار كيف يكون الوجه الآخر للحياة اليومية^(٣). كان خوليو كورتاثار من الكتاب المبكرين في إنتاجهم الإبداعي سواء في الشعر أو السرد القصصي؛ إلا أنه تأخر كثيراً في القبول بنشر أولى أعماله. والسبب في ذلك هو «الشدة مع النفس والنقد الذاتي الحاد (...) لقد أحرقت قصة مكونة من ستمائة صفحة (...) وأنا اليوم أعرب عن أسفى الشديد لما فعلت: إذ كانت الرواية تتضمن أشياء جميلة (...)»^(٤). بدأ الكتابة وهو لم يكد يبلغ التاسعة من العمر، وقد نصح أحد أطباء الأسرة بإبعاد خوليو عن الكتب وإلا كان تأثيرها ضاراً عليه، لكن لم يتم العمل - لحسن الحظ - بتلك النصيحة. لقد اكتشف كورتاثار الموت وهو لا زال صغير السن؛ فلقد ابتعد عنه والده وهو صغير؛ إذ انتقل للعمل في محافظة قرطبة، وظل هناك إلى أن مات. إذن لانستغرب - عندما نعرف حياة الوحدة والعزلة التي كانت من أهم سمات مرحلة الطفولة - الوضع الذي عليه ذلك الطفل المفزع بمتاعب الحياة والشديد الميل للعشق السهل^(٥).

ربما أدركنا البدايات الأولى للرومانسية عنده، والتي هي شديدة الوضوح في أعماله الأولى؛ حيث «لم أتمكن من مباحة نفسي عنها رغم أنني اليوم أسيطر عليها، إلا أنها كانت تزيد عن الحد أثناء مرحلة الشباب»، هو إذن لم يتخل عنها، بل سيطر عليها ووظفها وأبرز أهميتها: فعدم وجود العناصر الرومانسية «يجعل الإبداع الأدبي ضيقاً، ويترك المرء في مواجهة عالم جاف مكون من أبنية صماء» كما أن غيبة البعد الرومانسي يمكن أن تكون مجدية لكاتب بحث (...) لكنها ليست كذلك بالنسبة للمبدع»^(٧).

كما أنه قد توفّر لديه - منذ الصغر - الإحساس بأن الواقع ليس فقط الواقع الذي تعلمه من المدرسة وعلمته إياه أمّه «أى ذلك الذى يمكننى أن أتأكد منه باللمس والشم... بل هناك أيضاً تداخلات لعناصر لا صلة لها بتلك الأشياء»^(٧)، تلك كانت البداية لما هو سحرى Fantastico عند خوليو كورتاثار. إنه يقف بنا أمام شرح فى جدار الواقع نرى من خلاله واقعا جديدا ونظاما مختلفا للأشياء وقوانين جديدة ليست أقل دقة من تلك التى تحكم مناطق عليه «عالم الواقع»^(٨) هى إذن سحرية، لها منطقها الخاص بها، وهى مكون أساسى فى عالم الواقع، لكن المنظمة العقلية الأرسطية الموروثة عن أوروبا لاتسمح باقتناص هذا البعد الآخر من الواقع، ومن هنا يدرك القارئ لأدب الكثير من كتاب أمريكا اللاتينية سرّ هذه النزعة لدى الكثيرين منهم لانتقاد المنهجية المنطقية فى أوروبا، إنهم لا يرفضونها، ولكنهم يابون أن تكون هى المنهاج الوحيد لرصد الواقع المحيط بهم».

بدأ كورتاثار دراسة المرحلة الثانوية فى العاصمة بوينوس أيرس ثم تلا ذلك بدراسة المرحلة فوق المتوسطة، وأصبح بذلك مدرّسا وهو فى الثامنة عشرة من عمره، وبعد ذلك تخصص فى دراسة الأدب. التحق بعد هذه المرحلة بكلية الآداب والفلسفة التابعة لجامعة بوينوس أيرس؛ إلا أنه لم يحصل على أى شهادة جامعية.

تربى كورتاثار على ثقافة مرحلتين بارزتين فى فن السرد القصصى فى الأرجنتين يمثل إحداهما العملاق خورخى لويس بورخيس: أما الثانية فأحد أبطالها الرئيسيين هو روبرتو أرتل R. Arlt، أضف إلى ذلك شغفه بأعمال آلان بويه وترجمته لها.

أما التاريخ الثالث المهم فى حياة خوليو كورتاثار فهو عام 1951، لقد حصل فى ذلك العام على منحة من الحكومة الفرنسية، ثم عمل بعد ذلك فى نفس مدينة النور كمترجم

لدى منظمة اليونسكو. ولم تكن باريس فى حياته، وخاصة فى تلك المرحلة، الملاذ أو جزيرة الأحلام، بل كانت بديلاً آخر له دلالاته وتأثيراً خاصاً فى عالم كورتاثار؛ فهذا البانورام المتشابك والمتأزم الذى هو ثمرة الحياة الثقافية والفنية فى باريس، هو النافذة التى تهىء لكاتب من أبناء أمريكا اللاتينية مضاهاة أفكار، ومثل هذا الجو الثقافى بعالم الواقع فى دولة من الدول المتخلفة. أصبحت باريس بمثابة الرابطة بين الالتزام التاريخى للكاتب والكفاح الذى أخذت تظهر ملامحه بوضوح فى الدول المهمشة. ومن هنا ندرك سرَّ اهتمامه بكفاح الثوار فى الجزائر والكتّاب الأسبان فى المنفى الأرجنتينى، والطريق الذى حددته الثورة الكوبية لنفسها، ودلالات هذه الثورة وتأثيرها على باقى دول أمريكا اللاتينية وباقى دول العالم الثالث، لكنه رغم هذا الاهتمام فإن إبداعه الأدبى احتفظ بخطه المرسوم له سلفاً، والذى يجمع بين الخيال السحرى والإمسك بملامح لغة تعكس نضج رؤيته للواقع اليومى المعيش^(٩).

أعماله الأدبية - إذن - هى ترجمة ورؤية لعالم مأساوى لازالت تقع أحداثه حتى الآن، ويندرج ذلك على أولى رواياته «الجوائز» Premies مروراً بالحلقة Rayuele التى تعتبر ناصية إنتاجه الإبداعى، والتى وصفت بالمعضلة الكبرى والمغامرة اللغوية المثيرة وصولاً إلى روايته «كتاب مانويل» التى تعالج موضوع التعذيب فى أمريكا اللاتينية رغم أن أحداثها تدور فى باريس.

ويرى العلامة أندريس أموروس Andrés Amorós أن أعمال كورتاثار تبتعد عن خط الواقعية التقليدية التى نجدها فى السرد القصصى لأمريكا اللاتينية؛ بالتالى فإن توجهاته وبحثه يمكن أن ندرجها فيما يمكن أن نوجزه فى العناصر التالية :

(١) الاستيعاب الطبيعى للتقنيات التجديدية التى أدخلت على الرواية المعاصرة.

(٢) التعمق فى جذور عالم أمريكا اللاتينية.

(٣) الخيال الإبداعى الذى لا يتعارض مع الواقعية بل يدعمها ويقويها.

(٤) هناك محاولة - طبقاً لكارلوس فوينتس - لقيادة جوادين باستخدام يد واحدة

وهى : البعد الجمالى والبعد السياسى (وربما كان ذلك حصاناً واحداً فى حقيقة الأمر).^(١٠)

٢ - هذه الرواية :

أ - سرّ العنوان :

يقول كورتاثار: «عندما فكرت في الكتاب كانت فكرة المندلة تلحّ على كثير؛ فمن ناحية كنت أقرأ في تلك الآونة كثيراً من المؤلفات حول الأنثروبولوجيا، وخاصة مايتعلق بالديانات في منطقة التيبّيت. أضف إلى ذلك أنني زرت الهند، ورأيت الكثير من المندلة الهندية واليابانية (...) والتي هي عبارة عن مربع أو رسم مقسّم إلى عدة أقسام أو مربعات - مثلها في ذلك مثل الحجلة؛ حيث يتم التركيز - أثناء ممارسة هذه المهمة - وبفضل ذلك يمكن الانتقال من مرحلة روحية إلى أخرى. إنها عملية تصوير كتابي لعدد من المراحل الروحية. كما أن الحجلة مثلها مثل باقي الألعاب الطفولية، لها جذور ذات طابع صوفي وديني (...). ورغم أنها فقدت هذه السمة الآن؛ إلا أنها لازالت تحتفظ بشئ من هذا البعد المقدّس. فتلك التي تجرى ممارستها في الأرجنتين - وفي فرنسا - تنقسم إلى مربعات؛ حيث تظهر الأرض والسماء في وضعين متقابلين. ولقد مارسنا جميعاً ونحن أطفال تلك اللعبة، غير أنها كانت في مثل حالتها عبارة عن هوس حقيقي»^(١٩). هي إذن ترتبط بالطفولة؛ أي بتلك الحالة التي يكون الطفل فيها في حالة تهيؤ وقدرة على اقتناص الأشياء وماهيتها. غير أن هذه الحالة قد هربت من البالغ لأسباب بديهية، وذلك أن العقل يتولى عملية الانتقاء؛ فيختار في لحظة معينة مايعتبره مهماً ويترك أموراً أخرى. غير أن كورتاثار يرى ضرورة الإبقاء على حالة الطفولة هذه، ولكن بمعنى أنها نشاط شديد الجدية. إنه اللعب الذي تكمن أهميته في ذاته وفي منظومة قيمه ومدى مايعود على من يمارسه من متعة^(٢٠). ومن الواضح أن كورتاثار يرى في الحجلة تعبيراً مجازياً ضخماً عما يبحث. إنه البحث عن المطلق وعن المركز وعن ... هناك في الحجلة عنصران : الحلقة الأولى هي الأرض، أما الهدف فهو السماء: لعبة يملك الأطفال قوانينها التي لاتعتمد على القياس المنطقي المطلق، بل إنها أيضاً حالة التهيؤ التي عليها الطفل دون أن يدري، وعلى البالغين ألا ينسوا تلك الحالة إذا ما أرادوا إدراك كنهة الواقع المحيط ليس اعتماداً فقط على القياس المنطقي، بل بالإبقاء على ذلك الموروث.

وإذا ماكانت الزوجية في الرواية هي واحدة من الملامح الأساسية فيها؛ فهناك أحد

أجزائها «هذا الجانب»، والآخر «ذلك الجانب» نلاحظ أن الإشارة إلى الحجة كانت لها نفس المفهوم، ولكن بشئ مختصر جداً؛ فأوليفيرا في «هذا الجانب» يعيش في باريس وقد بلغ مرحلة متقدمة من العمر - حوالي الخمسين سنة - وهنا نرى إشارات رمزية بسيطة للحجة. أما في «ذلك الجانب» فنجد أنه ينتقل إلى بويتوس أيرس، أي العودة إلى الطفولة ومعانقتها من المنظور الذي أشرنا إليه سلفاً، ومن هنا ندرك سر التركيز على الحجة في الفصل 54: حيث تدور الأحداث في المصحة العقلية. هناك المريض رقم 8 الذي خطط الحجة، ويمارس هذه اللعبة معظم الأوقات، وكان يتقنها إتقاناً لا يضارعه فيه أحد من المرضى الآخرين الذين حاولوا عبثاً أن ينتزعوا منه «السماء». إنها تلك الحالة التي تخرج عن نطاق العقل لإدراك الحقيقة، إنه البعد الذي يجعل أوليفيرا شغوفاً بالتقافات الشرقية وشديد الانتقاد للأسس التي عليها الثقافة الغربية. إنها العودة إلى حالة الطفولة - أو بمعنى أصح البحث عن هذه الحالة ومحاولة استعادتها - لتكون أداة فعالة في يد الإنسان. إدراكها يكاد يكون مستحيلاً فمن السمات التي كانت تميز «لاهاجا» التي فقدوها ويحاول البحث عنها جاهدًا قدرتها وإتقانها الغريب للعبة الحجة. يدخل عنوان الرواية - إذن - في دائرة البنية المحكمة لتلك الرواية الطليعية التي، وإن بدت في لحظة مليئة بالفوضوية والارتجال، إلا أن كل جزئية فيها تحملنا على أن ننظر إليها بصبر وأناة، ونحاول أن نرسم ملامحها، ونقوم بدور فعال في هذا الإطار.

كما أن العنوان لا يخرج أبداً عن الدائرة البديلة التي يطرحها كورتاثار.

ب - المضمون :

قبل التعرض لمضمون هذه الرواية ينبغي أن نشير إلى أن كورتاثار كتبها وهو في الخمسين من العمر؛ حيث كان يعيش في باريس. وقد جاء تحرير النص في منزلين، أولهما: عبارة عن شقة صغيرة تقع في الحي السابع، ويعد ذلك انتقال المؤلف إلى منزل آخر أرحب وأوسع كائن فوق مخزن قديم. وقد بدأ الكتابة بالفصل الحادي والأربعين «دون أن تكون لدى أنني فكرة عما يمكن أن يكون من فصول قبل هذا الفصل المشار إليه أو بعده».

وتتألف «الرواية الجديدة» - هذه هي التسمية التي يطلقها الكثير من النقاد على التوجهات الطليعية في الأدب القصصي في أمريكا اللاتينية، وربما أمكن القول أيضاً

فى هذه الحالة «مضاد القصة» - من ثلاثة أجزاء : يحمل الجزء الأول أو القسم الأول منها عنوان «من هذا الجانب»؛ حيث يتضمن عدة فصول تبدأ من الأول المسبوق «بالقائمة الإرشادية» التى تنوه إلى واحدة من أنماط قراءة الرواية، وينتهى بالفصل السادس والثلاثين. أما القسم الثانى فيحمل عنوان «من ذلك الجانب». ويتضمن عدة فصول تنتهى بالفصل رقم 56، وهو فصل تنتهى عنده واحدة من القراءات العديدة التى يشير إليها كورتاثار، أما الجزء الأخير منها فيحمل عنواناً هو «من الجوانب الأخرى»، ويتبع المؤلف هنا العنوان بعنوان جانبى «فصول يمكن الاستغناء عنها». الأمر الذى حدا ببعض النقاد إلى اعتبار هذا الجزء الأخير وكأنه بمثابة درج الخياط؛ أى أن به الكثير من الأدوات والأشياء المتشابهة، أو بمثابة «الفيس البحثية» التى كان يجب أن تلزم الدوسيهات بعد أن يفرغ الباحث من تحرير بحثه.

عندما يتحدث كورتاثار من بداية الرواية قائلاً: «هذا الكتاب مكوّن - على طريقتة - من عدة كتب»؛ إلا أننا نبرز منها اثنين .. فإن المرء لا يستغرب أبداً أن كل قراءة بالشكل الذى حدده المؤلف [قراءتين] أو بالشكل الذى حددته إحدى شخصيات الرواية «موريل»، سوف تحو بنا إلى رؤية لمضمون ما نقرأ، نعم إننا نقرأ نفس العمل، ولكن من خلال عدة مواطن ومناظير متنوعة. هم مجموعة من الأصدقاء يجمعهم نادٍ خاص بهم يطلق عليه "La Serpiente" وبين هؤلاء الأصدقاء نجد قصة العلاقة بين «لاماجا»، تلك الفتاة القادمة من أمريكا اللاتينية للبحث عن الرزق فى باريس وبين أوراثيرو أوليفيرا، ذلك الأرجنتى الذى يعيش بدوره فى العاصمة الفرنسية، وهى علاقة عاطفية انتهت بطريقة ما. وإذا ما كان هذا هو الخيط الرئيسى فى الجزء الأول من الرواية فإن الجزء الثانى هو محاولة لإعطاء مفهوم جديد للمثلث التقليدى فى الرواية [ترافلر - صديق الطفولة لأوراثيرو - تاليتا - زوجة ترافلر، وهى النموذج الذى يشبه «لاماجا» تلك المحبوبة التى أخذ يبحث عنها أوليفيرا فى الجزء الثانى] والعمل على أن يجد شكلاً جديداً من أشكال الحب رغم أنه نمط خطير ومثير. يمكن القول إن الحيلة قصة رومانسية وقصة حب وقصة عاطفية وقصة عشق

يمكن القول أيضاً إن مضمون هذه الرواية هو مغامرة شخصية وبحث ذاتى يقوم به أوليفيرا الذى يوظف كل شئ فى سبيل الوصول إلى الحقيقة والجوهر والمركز ... إلخ،

وسوف يلاحظ القارئ أن مصطلح «البحث» يتكرر كثيراً؛ الأمر الذى يثير انتباه لوثيا (لاما). وربما كان البحث أيضاً عبارة عن طرح نظرية فى الأدب، بما فى ذلك اللغة كمائن عند استخدامها كوسيلة للتعبير، وتطبيقات هذه النظرية على الرواية نفسها؛ أى أننا فى دائرة ما يطلق عليه النقاد «الرواية الجديدة» بلامحها التى تختلف عن «الرواية الجديدة» فى أوروبا، والذى كان سائداً خلال الخمسينيات والستينيات، وذلك ما أشار إليه د/ عبد الملك مرتاض فى كتابه «فى نظرية الرواية» الصادر فى سلسلة عالم المعرفة [عدد 240]. ورغم الاختلاف؛ فهناك جامع مشترك ألا وهو الرؤية الداخلية للعالم. كما أننا يمكن أن نخرج بالتجديد على بعض تلك المظاهر الواردة فى كلا المفهومين لمصطلح «الرواية الجديدة»، سواء فى أوروبا أو بالنسبة لكُتَّاب أمريكا اللاتينية فيما بين : الكولاج والحوار الداخلى واستخدام الأقواس وبقى علامات الترقيم واستخدام أنماط مختلفة من الخطوط. يلاحظ أيضاً الاهتمام بالجانب اللغوى لا على أساس تنميق العبارة وإنما على اعتبار اللغة كمائن عند محاولة التعبير، كما أن معظم المؤلفين يلجأون إلى «السرد الخطى N. Lineal»، والجديد فى الأمر هو استخدام لعبة المناظير المختلفة. يلاحظ أيضاً إدخال عناصر من السيرة الذاتية. كما يلجأ بعض الكُتَّاب إلى الخلط بين شخصيات العمل الواحد؛ حيث يجد القارئ صعوبة فى تحديد ملامح الشخصية على نهج ما يحدث فى الحياة اليومية. هناك أيضاً عرض لوجهات النظر المختلفة؛ مما يؤدى بنا إلى القول - ببساطة - بأن الحقيقة نسبية. والهدف من كل تلك التقنيات الجديدة هو التقليل من الذاتية وتأثيرها فى تصوير الواقع. أى أن هناك إيحاً بالغموض الذى يدركه القارئ من خلال تأمله لذاته، والفارق هو أن الرواى فى مثل هذه القصص هو الكائن الوحيد الذى يمسك بخيوط الحلم^(١٣).

٣- ملامح الرواية الجديدة من خلال «الحجلة» :

يجابه قارئ هذه الرواية وغيرها من الروايات صعوبات جمة قد تحول دون مواصلة قراءته للنص السردى، وخاصة إذا ما كان من ذلك النوع من القراء الذين أطلق عليهم موبلى [أحد شخصيات الرواية] «بالقارئ الأنثى» lector hembra. وفيما يتعلق بهذا المصطلح فلقد واجه المؤلف «كورتاثار» انتقادات فى هذا المقام، الأمر الذى حدا به إلى

الاعتذار عن ذلك، وأشار إلى أنه ربما كان من الأمثل استخدام مصطلح «القارئ السلبى» Lector Pasivo؛ إذ ليس من الضروري أن تكون الأنثى سلبية بشكل دائم^(١٤). وعموماً؛ فإن المؤلف أو الرواى يرغب فى قيام القارئ بالاتصال بالعالم الذاتى من خلال المعاشية والتأمل الذاتيين...» هذا القارئ سوف يفتقد وجود كوبرى للتوصيل وإيجاد العلاقة السببية. إنه تقديم الأشياء فى حالتها الأولية [الفصل 97]، حقا «لقد تغير الشكل الخاص بالقصة [...]» - يقول موريللى - أما بالنسبة لى فإننى أتساءل فيما إذا كنت سأتمكن فى يوم من الأيام من إبراز أن البطل الحقيقى والوحيد الذى يهمنى هو القارئ بالدرجة التى يتمكن فيها، من خلال إسهام كتابتى، من التحول من الحالة التى هو عليها وإثارة استغرابه وجعله يشعر بالهذيان [الفصل 97، 99]. المؤلف - إذن - يبحث عن القارئ النشط. والحقيقة - كما يقول أندريس أموروس فى المقدمة - أن كل التجديد الذى حدث فى القصة المعاصرة يكمن أساساً فى البحث عن ذلك القارئ النشط، الذى يتعاون فى إعادة الإبداع، وهذا هو هدف كل قراءة حقيقية. فما مهمة هذا القارئ النشط إزاء رواية مثل هذه؟

لقد أشرنا قبلاً إلى أن أول شئ تقع عليه عينا القارئ هى تلك القائمة الإرشادية التى تقول: «هذا الكتاب مكوّن على طريقتيه، من عدة كتب»، وهنا يجد القارئ نفسه أمام خيارات عديدة تؤكد القائمة الإرشادية ولو أنها تنوّه وتخفف الأمر داعية القارئ إلى أن يختار بين إحدى قراءتين. لكن الدعوة الأكثر جرأة تأتى فى داخل فصول الرواية: حيث ينوّه «موريللى» إلى أن من الممكن فتح كتابه والبدء فى قراءة فصول من أى نقطة شاء القارئ، وعليه أن يعيد تنظيمة على طريقتيه هو، وربما خرج بشئ يختلف، فلكل قراءة هدف ومقصد ونتائج.

هذه الرواية هى ابنة عصرها: فقد جرت أحداثها فى كل من باريس وبوينوس أيرس خلال فترة الخمسينيات؛ حيث جرت الإشارة فى أكثر من موضع إلى تاريخ تلك الأحداث [الفصل الثانى] وإلى أحداث بعينها كان لها صداها فى فرنسا وأوروبا وربما العالم أجمع مثل: الثورة الجزائرية، وقضية مساعدة ثوار الجزائر، وكذلك أصدقاء بناء السد العالى فى مصر، وإنقاذ آثار النوبة، ومنها معبد أبى سمبل، ومن المعروف أن كورتاثار هو كاتب واسع الثقافة لدرجة شديدة مع ما فى ذلك من إيجابيات وسلبيات:

فهو شديد الوعي بثقافة عصره والثقافة الإنسانية بشكل عام، لا يفرق في ذلك بين حقل فني وآخر؛ فهناك أعلام الموسيقى والغناء والرسم والتصوير والإبداع الأدبي بشتى صنفه من شعر ونثر ومسرح، والتصوف والفلسفة سواء القادمة من الشرق أو تلك التى تعتمد فى الأساس على المفاهيم الغربية التى يرفض كورتاثار أن تكون الفاصل الأخير فى إدراك الواقع. لقد ملأ الرواية بالكثير من أسماء هؤلاء الأعلام، وما على القارئ إلا أن يبحث ويسترشد لتكتمل الصورة عنده، وهى التى قدمها له المؤلف فى «حالتها الأولية».

يلاحظ القارئ أيضا أن اللغة هى عقبة أمام المبدع وخصوصا فى هذه الرواية. وهذه مقولة أصبحت معهودة منذ زمن، ربما لاتقول شيئا لقارئ اليوم، لكن علينا أن نعرض للأسس التى تقوم عليها حتى ندرك السبب أو الأسباب التى حدثت بكورتاثار إلى هذا الاستخدام للغة، والذي سنعرض ملامحه فيما بعد. أشرنا قبل ذلك إلى أن كورتاثار يرفض أن تكون القوانين الأرسطية هى الميكانيزم الوحيد لإدراك الواقع، فهناك ميكانيزم آخر يجعلنا نشعر به وهو البعد السحري Fantástico «الذى يقع مرة واحدة ولا يتكرر. هناك حدث آخر، لكنه لايعود للحدث مرة أخرى. وعكس ذلك يحدث فى القوانين المعتادة»^(١٥) ويرى كورتاثار أنه عندما يفك المراء الوثائق الذى يربطه بوعى العقل يمكن له أن يكتشف الواقع الحقيقى (...) وتشير «أنا ماريما فرنانديث A. M. fernandez^(١٦) إلى التلاقى فى نظرية الرواية بين كل من أورتيجا إى جاسيت [المفكر والفيلسوف الأسباني] وكورتاثار الذى يتحدث - فى رأيها - فى نفس اتجاه أورتيجا لكنه لايشير إليه بصراحة. كما تنتقل عن كورتاثار قوله بأن التطور العقلى للإنسان أسهم بشكل تدريجى فى إزالة مايسمى بالرؤية السحرية وأحل محلها كل المفاهيم المتعلقة بتاريخ الفلسفة والعلم، كما أن الرؤية السحرية - فى نظر كورتاثار - هى وسيلة معرفية أو رغبة فى المعرفة تقف على قدم وساق مع الرؤية العقلية. إذ يمكن الجمع بينهما رغم أن هناك صراعا قائما بينهما. هذا الصراع ظهر بشكل جلى قديما، كما أنه لازالت بقاياه قائمة حتى اليوم متغلما نراه مثالا فى الصراع القائم بين الطبيب والمشعوذ Curandero^(١٧). أمام هذا الصراع أو اختلال هذا التوازن بين وسيلتي المعرفة هاتين يطرح كورتاثار الحل إنه «الشعر»، وهو بديل ذو طبيعة أدبية لجابهة التناقض

بين ماهو عقلى وماهو سحرى، كما أن السرد القصصى هو المحصلة الجمالية لوضع استُخدمت فيه اللغة من منظورين : مايمكن أن نطلق عليه «اللغة العلمية»؛ أى اللغة التى تسمى الأشياء بمسمياتها اللغة الشعرية الرمزية والحداثة حيث يكون للكلمة والوقف والصمت قيمة مساوية لما تدل عليه أى لغة مباشرة^(١٨)، هاهو الشعر يدخل إلى عالم الرواية ويكسر لعبة الشكل والمضمون، وهنا يزول أى اختلاف بين الرواية والقصيدة؛ ورغم ذلك فالمؤلف لايغنى بذلك استخدام «القبول الشعرية» أو «النثر الشعرى» أو «الأسلوب الفنى» على طريقة المبدعين^(١٩). الرواية - إذن - نشأت من خلال اللغة؛ أى أنها هجوم مباشر على اللغة، ويشير كورتاثر إلى التناقض القائم بين مايريد الكاتب من تدمير اللغة واستخدامه لها فى بنائه الروائى: «فالحجة» قد بنيت على أكثر من مستوى «فمن جانب ... هناك محاولة تفجير العقل الذى اتسم بالثقافة الزائدة عن الحد. وهناك أيضا محاولة تدمير الأداة نفسها التى يستخدمها العقل: ألا وهى اللغة ومحاولة البحث عن لغة جديدة، وعندما يتم تعديل الأسس اللغوية فمن المنطوق أن تتغير معها مقاييس العقل^(٢٠)»، غير أن المبدع عندما يحارب هذا العدو اللغوى فإنه مضطر إلى استخدام نفس أسلحته، وليس أمامه من سبيل آخر إلا هذا، وهدف موريللى - كما يقول رونالد [أحد شخصيات الحجة] فى الفصل 99 - هو أن يعيد للغة كيانها ومكانتها «وكأننا نستخدم عود ثقاب لأول مرة»، تمثلت الثورة على اللغة فى محاولته ابتكار لغة جديدة أطلق عليها مصطلح الجليجليكية gligilio، وقد بدأت الإشارات الأولى لهذه اللغة الجديدة فى الحوار الدائر بين لاماجا وأوليقيرا [الفصل 20] وهى لغة لايفهمها إلا كلاهما؛ فهما عاشقان وعلى علاقة حميمة ببعضهما. لكن ليس معنى هذا أن لمفردات هذه اللغة معانى فى القاموس، بل إن القصد منها موسيقى - وذلك عندما سئل أندريس أموروس عن معنى كل هذا فأشار إلى محدثيه إلى قراءة الفصل رقم 68 بصوت مرتفع - وهو الفصل الذى كتب بكامله باستخدام هذه اللغة الجديدة اللهم إلا أنوات الربط سواء بالنسبة للجملة أو على مستوى السياق - ثم عقب على تلك القراءة بقوله إن مغزى كل هذا هو استدعاء مشهد عشق من منظور موسيقى خالص^(٢١)؛ أى أن المؤلف قصد إبراز البعد الموسيقى فى لغة النثر، وإذا لم تستطع - أيها القارئ - أن تدرك المعنى فلا ضير، فقد عرفت حقيقة المشهد وما عليك إلا أن تتخيله

وتعيشه وتقوم بعملية إحلال ألفاظ مكان أخرى إن أردت البحث عن المعنى وسط هذه الدلالات الموسيقية. ويمكن القول أيضا بأن هذه اللغة المبتكرة ماهي إلا دعاية مقصودة، وفوق كل هذا فإنها لغة قاصرة على اثنين من العشاق حميمة مثلها مثل الموقف الغرامي الذي هما فيه.

«إن مايريده موريلي - يقول كورتاثار على لسان إحدى شخصيات روايته، الفصل 99 - هو أن يعيد للغة حقوقها. إنه يتحدث عن تطهيرها وعقابها، فيبدل «ينزل» مكان «يصعد»، كرر ذلك كوسيلة تنظيف صحي. لكن مايبحت عنه في واقع الأمر هو أن يعيد للفعل «ينزل» كل رونقه، وذلك حتى يمكن العودة إلى استخدامه مثلها ...» كما أنه - موريلي - لا يبدى كبير اهتمام باللغة باستثناء الجانب الجمالي (...) فمجرد الكتابة من أجل هذا البعد ماهي إلا شعوضة وكذب، الأمر الذي يستثير القارئ الأنثى» [الفصل 99]. كما يركز كورتاثار على الحساسية الشديدة التي يجدها عندما يستخدم المفردات. «وقد قلت ذلك أكثر من مرة، وإن أمل من قوله هو أنني أدين بهذا لبورخيس Borges (....) فأول شيء فاجأني هو حالة الجفاف Sequedad (...) فلقد تم التعبير بطريقة تثير الإعجاب، لكن يبدو أن الأمر ليس في الإضافة، بل في الحذف؛ فأدركت أن بورخيس يقلل قدر استطاعته من استخدام الصفات»^(٢٣).

والقارئ للنص الأسباني سوف يلاحظ أنه كثيراً مايلجأ أحيانا إلى كتابة بعض المفردات بشكل مخالف لقواعد الإملاء المعهودة، كذلك يلجأ كثيراً إلى استخدام الحرف الصامت "H" في مواضع وكلمات ليست لها صلة؛ فكأننا بذلك أمام من يقوم بإعطاء الكلمة جرعة من المضاد الحيوي حتى يعيد إليها الحياة والحيوية السابقة، وحتى يزيل عن المفردات ماعلق بها من تراكمات ومايكتنفها من أصدقاء وانعكاسات تحول دون استخدامها من جديد بنفس الشكل الذي كانت عليه لأول مرة.

يتعرض أيضا للكثير من المفردات التي أصابها الموت، ومع ذلك نجدها قائمة في القاموس، وسوف يلاحظ القارئ أن المؤلف كثيراً مايلجأ إلى قطع الخطاب وترك الجملة معلقة دون اكتمال. كما يلجأ أحيانا إلى تعداد الأشياء بطريقة فوضوية، وذلك حتى تنهيا له الفرصة للجمع بين ماهو مادي وماهو غير مادي.

يسترعى الفصل 34 انتباه القارئ بشدة؛ إذ لايكاد يبدأ قراءة السطر الأول من النص الأسباني حتى يفاجأ بأن الجملة لم تكتمل وبدأ المؤلف نصا آخر. هناك - إذن -

نصان : أحدهما يتعلق بالحوار الداخلى لأوليڤييرا وهو جالس على حافة السرير يقلب فى الكومودينو على قصة للكاتب والروائى الأسباني جالدوس، فيتصفح أوليڤييرا الرواية المذكورة ويفكر فى الوقت نفسه، نحن - إذن - أمام موقف عادى نعيشه كل يوم: أى أننا أحيانا مانقرأ أيضا ونحن نفكر فى شئ آخر. وقد عكس لنا المؤلف هذا الوضع فى شكل ضفيرة مكونة من جناحين ليسا متباعدين: إذ جمع بينهما فى زمن واحد، ووثق من الوشائج بينهما بتكرار عبارات من قصة الروائى الأسباني فى سياق الحوار الداخلى. وقد قمنا عند ترجمة النص بإحداث الشرطة المائلة (/) وذلك للفصل بين سطر وآخر من أسطر الفصل المذكور. ثم يعرج الراوى بعد ذلك إلى العودة إلى السياق العادى للسرد فى آخر فقرات الفصل المذكور.

يستحث المؤلف القارئ ويستنهض همته عندما يأخذه معه فى مشوار سرديّ مختلف [الفصل 96] وكأننا أمام حوار مسرحى. غير أن المؤلف أراد تصوير الموقف بهذه التقنية تصويرا دقيقا، هناك على سلم المنزل وأمام الشقة التى يسكن فيها موريلي يقف معظم أعضاء النادى [بابس ورونالد صديقها وإيتين وونج ويبريكو] يحاولون فتح الباب بمفتاح أعطاه موريلي لأوليڤييرا بعد أن قام هذا الأخير بزيارته فى المستشفى الذى نقل إليه إثر تعرضه لحادث مرورى. فجأة يظلم المكان (السلم) ويدور حوار بين هؤلاء الأصدقاء، ولكن الجمل التى ساقها الراوى متراسا إلى جوار بعضها البعض، ومنها ماهو بالفرنسية، ومنها ماهو بالإنجليزية، ومنها ماهو بالأسبانية، وكأن لسان حال الراوى يقول: عليك أيها القارئ أن تنسب كل جملة لقائلها من خلال اللغة المستخدمة وإيقاع الجمل التى تحمل بصمة قائلها. وكأن القارئ أصبح شريكا يعرف طبيعة كل واحد من هؤلاء الأصدقاء أو إن شئنا القول هو أحد أبطال هذه الرواية.

المؤلف يستتفر فيه، أى فى القارئ، ثقافته ووعيه بما حوله، وإذا ماكان كورتاثار قد بدأ كتابة روايته بالفصل رقم 4؛ فإنه يدعونا إلى قراءة ثانية تبدأ بالفصل رقم 73، ويأخذ بيد القارئ من خلال القائمة المدرجة فى بداية القصة، ومع ذلك يداعبه كثيرا، ومن بين هذه الدعايات أنه يدعوه إلى قراءة الفصل رقم 131، ثم الفصل 58، ثم العودة إلى 131، وهكذا يدخل به فى حلقة، ويتأمل من بعيد ليرى كيف يخرج منها. البعد المرح هو أحد جوانب هذه الرواية التى بدأت بالفصل 41، الذى يعبر بوضوح عن

اللامعقول في هذا العالم، وخاصة فيما يتعلق بايقاع الحياة اليومية، وماعلى المرء إلا أن يلجأ للدعابة الساخرة والمرّة في أن معاً. لكنها لاتعبر بحال من الأحوال عن استحالة الوصول إلى مخرج من الوضع الذي يجد الإنسان المعاصر نفسه فيه. هناك - إذن - أمل يحسونا بالوصول في يوم من الأيام إلى الدائرة والمركز والكيوبت الذي نعلم به، ولو أنه يخبو أحياناً لدرجة قد تعرض خطواتنا للزلل وفقدان معالم الطريق. والانتقال من فصل إلى آخر طبقاً للقائمة الإرشادية هي نوع من الثورة على طريقة السرد التقليدي التي طرحها أمامنا من خلال التنويه بالقراءة الأولى؛ فكأننا أمام الرواية ومضادها. ويحاول المؤلف الإفادة - إلى أقصى حد - من القراءة الثانية فعندما يتناول في أحد الفصول - التعذيب في الصين خلال الخمسينيات أو عن الوضع الدرامي المتأزم الناتج عن وفاة الطفل روكا ماديور في فصل آخر فإنه يحدثنا في الفصل التالي له (في القراءة الثانية) عن إعلان في الصحف يتحدث عن تأثير السوسة الضارة عندما يتم تركيبها في بنطلونات الصغار. ويحدثنا في الفصل التالي للفصل الخاص بالتعذيب في الصين عن السادية عند بعض الأطفال وهم يعاملون المخلوقات الصغيرة، ويحدثنا عن حكم الإعدام وأنه لازال سائداً في الكثير من الولايات الأمريكية. وبعد عبارة «هذا الكتاب هو على طريقتي، مكون من عدة كتب» يفتح المؤلف الأفق أمام القارئ يمارس هو الآخر قدراته الإبداعية «مبارك ذلك الذي يعثر على الثنائي الخاص به» ألا وهو القارئ النشط. هو القارئ الباحث مثله في ذلك مثل أوليفيرا الباحث وراء الوصول إلى غاية تبدو بعيدة المنال، لكنها ليست مستحيلة. والحلّة تدخل بذلك في الاتجاهات الرئيسية للرواية في أمريكا اللاتينية؛ إذ إن هذا الفن الإبداعى «هو أداة للفحص والتحقيق والاكتشاف وليس فناً يُستخدم في التنبؤ وإعطاء الهروب»^(٢٣).

القارئ النشط هو ذلك الذي يخلف وراءه جانباً تلك التقنيات القصصية في السرد وكافة أنماط الرواية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، هو الذي يخلف وراءه البناء النفسى للشخصيات، وهو الذي يعلن استعداده منذ اللحظة الأولى ليتقبل الأمر بهدوء ويتابع مع المؤلف أو الرأوى خيوط الرواية. فأول عبارة في القصة تقول «هل سأجد لاماها؟ فمن هي هذه الفتاة؟ وما أصلها؟ وما فصلها؟ وما هي الخلفية

والاجتماعية لها؛ لقد ترك الراوى كل ذلك جانبا ودخل ينافى جو شعرى فيه الغموض والإيحاء، فالغموض هنا نابع من أننا لانعرف أى شىء عن لاماجا، أما الإيحاء فمن خلال اللغة «باريس هى مجاز ضخم». «لكن الضوء ذا اللون الغليظ بين اللون الرمادى وورق الزيتون، الذى يطفو على سطح النهر، لا يكاد يجعلنى أُمَيِّز الأشياء أو هيكلها النحيف الذى يرتسم على صفحة...» [الفصل الأول]. المؤلف يطرح القضية «هل سأجد»: أى أن أمامى طريقاً طويلاً وشاقاً من أجل الوصول إلى غايتى ومقصدى. وهو طريق تكتنفه الصعاب. لاماجا عنده هى الكمال بعينه. إنه يبحث عن النهر الميتافيزيقى، لكنها - وبغاية شديدة - تسبح فى هذا النهر.

ومن خلال السطور الأولى للرواية يدخل بنا المؤلف إلى البعد الآخر للواقع ألا وهو البعد الأسطورى أو البعد الذى يخرج عن الأطر العقلية على النهج الأوربى «كان شيئا طبيعيا للغاية عبور الشارع وصعود السلالم المؤدية إلى الكوبرى والوصول إلى منتصف هيكله النحيف والاقتراب من لاماجا التى كانت تبتسم دون إحساس بالمفاجأة، فهى على قناعة مثلى بأن لقاء الصدفة ليس به الكثير من الصدفة فى حياة كلنا، وأن الناس الذين يتواعدون على اللقاء فى ساعة محددة هم أنفسهم الذين يشعرون بالحاجة إلى ورق مسطر للكتابة وهم أنفسهم...». ها نحن أمام رفض المنطق على أساس اعتباره الوسيلة المعرفية الوحيدة. «وكل مايطمح إليه هو إزاحة النظام العقلى الوضعى الذى تتمثل أهم معطياته فى الرأس مالية. إنه يهاجم نفاق المجتمع الغربى، ويشير بوضوح إلى الأتقنة التى تقهر الإنسان فى هذا الطريق الذى يقود إلى اللا إنسانية بشكل تدريجى، ويوجهه أيضا إلى نأليه العادات»^(٢٤).

على إبراهيم على منوفى

إرشادات

هذا الكتاب مكوّن، على طريقته، من عدة كتب، إلا أننا نبرز منها اثنين. وعلى ذلك فالقارئ مدعو ليختار واحداً من الطريقتين الآتين عند القراءة :

يمكن قراءة الكتاب الأول بالطريقة المعتادة بدءاً من الفصل الأول وانتهاءً بالفصل رقم 56، وسوف يجد في نهاية هذا الفصل ثلاث نجومات تعني «انتهى». وليس أمام القارئ في هذه الحالة إلا الاستغناء عن الفصول التالية دون أي قلق.

أما الكتاب الثاني فتبدأ قراءته من الفصل رقم 73، وعلى القارئ أن يتبع في هذا المقام الفصل التالي المشار إليه في نهاية كل فصل. وفي حالة اللبس على القارئ أن يسترشد بالقائمة التالية :

73 - 1 - 2 - 116 - 3 - 84 - 4 - 71 - 5 - 81 - 6 - 74 - 7 - 8 - 93 -
 68 - 9 - 104 - 10 - 65 - 11 - 136 - 12 - 106 - 13 - 115 - 14 - 117 - 15 -
 120 - 16 - 137 - 17 - 97 - 18 - 153 - 19 - 90 - 20 - 126 - 21 - 79 - 22 -
 62 - 23 - 124 - 24 - 134 - 25 - 141 - 26 - 109 - 27 - 28 -
 130 - 151 - 152 - 143 - 100 - 76 - 101 - 144 - 92 - 103 - 108 - 64 -
 155 - 123 - 145 - 122 - 112 - 154 - 85 - 150 - 95 - 146 - 29 - 107 - 113 -
 30 - 57 - 70 - 147 - 31 - 32 - 132 - 61 - 33 - 67 - 83 - 142 - 34 -
 87 - 105 - 96 - 94 - 91 - 82 - 99 - 35 - 121 - 36 - 37 - 98 - 38 - 39 -
 86 - 78 - 40 - 59 - 41 - 148 - 42 - 75 - 43 - 125 - 44 - 102 - 45 -
 80 - 46 - 47 - 110 - 48 - 111 - 49 - 118 - 50 - 119 - 51 - 69 - 52 - 89 -
 53 - 66 - 149 - 54 - 129 - 139 - 133 - 140 - 138 - 127 - 56 - 135 -
 63 - 88 - 72 - 77 - 131 - 58 - 131.

وحتى يسهل على القارئ متابعة الفصول، فإننا نكرر رقم كل فصل أعلى كل صفحة.

ولما كان الأمل يحذوني في أن أكون مفيداً للشباب بخاصة، وأن أسهم في إصلاح العادات، فقد قمتُ بتأليف هذه المجموعة من العظات والنصائح والمبادئ التي تعتبر حجر الأساس للأخلاق العامة الشديدة الصلة بالسعادة الروحية والحياتية لكافة الناس

من كل الأعمار والفئات الاجتماعية، وذات الصلة الحميمة بالازدهار والاستقرار ليس فقط في إطار الجمهورية المدنية والمسيحية التي نعيش في كنفها بل في إطار أي جمهورية أو نظام أقره أكثر الفلاسفة تعمقاً ودراسة - روح الإنجيل والأخلاق العامة، بناءً على العهدين القديم والجديد.

في فصل الخريف تراودني أفكار مجنونة وغريبة؛ منها، على سبيل المثال، رغبتى في أن أتحوّل إلى واحد من طيور النورس، وأن أطير إلى بلاد فيها الحرارة مرتفعة، أو أن أتحوّل إلى نملة لأختبئ جيداً في أحد الجحور وأتغذى على الأطعمة التي تم تخزينها خلال فصل الصيف. أو أن أتحوّل إلى حية مثل تلك الحيات التي توجد في حدائق الحيوان داخل صندوق زجاجي به تدفئة حتى لا تتجمد الحية من البرد. وهذا ما يحدث للبشر المساكين الذين لا يجدون المال ليتمكنوا من شراء الملابس أو يتقوا البرد باستخدام مدافئ الكيروسين أو الفحم أو شراء الخشب أو الوقود من مشتقات البترول. لكن عندما يتوفر المال لدى المرء يمكن له الدخول إلى أي حانة، ويطلب أحد المشروبات الكحولية القوية حتى يشعر بالدفء من جديد رغم أنه لا تجدر المبالغة في تناولها؛ ففي المبالغة هناك الإدمان مع ما يترتب عليه من تهالك بنية الجسد وتدهور الأخلاق. وعندما يدخل المرء في هذا المنحدر الأخلاقي السيئ فلا أحد بقادر على إنقاذه من الوقوع في الهاوية السحيقة. ولن يمدّ إليه أحد يده ليخرجه من هذا المستنقع الأسن والموحل، فكأنه يشبه النسر الذي كان أيام الصبا يجول هنا وهناك ويطير متنقلاً بين قمم الجبال، لكن عندما أصابه وهن الشيخوخة سقط من علّ وكأنه طائفة قاذفة للقنابل تعطل موتورها الأخلاقي. أتمنى أن يكون ما أكتبه مفيداً لمن يريد أن يتبصر جيداً سلوكياته، أو لا يندم وقتما لا ينفع الندم، وذلك عندما يضيع كل شيء بسببه.

ثيسار بروتو،

ما يروق لى أن أكون عليه إذا لم أكن على غير ما أنا عليه.

(فصل : كلب القديس برنالدو)

من هذا الجانب

Rien ne Vous tue un hamme comme d'être abligé de
représenter un pays.

لاشيء أصعب على المرء أكثر من أن يجد نفسه مضطرا لتمثيل بلد.

جاك فاشيه «رسالة إلى أندريه بريتون»

1

هل سأجد "لاماجا" كثيرا ما اكتفيتُ بالقاءِ إطلالة، وأنا قادم من شارع سين^(١)، Seine متجها إلى القوس المؤدى إلى شارع لوإى دى كوتنى^(٢) Qual de Conti، لكن الضوء ذا اللون الخليط بين الرمادى وورق الزيتون، الذى يطفو على سطح النهر، لا يكاد يجعلنى أميز الأشياء أو هيكلها النحيف الذى يرسم على صفحة بونت دى أرت^(٣) Pont des Artes. كنت أحيانا أتَنقَل بين هذا الجانب وذاك، وأحيانا أخرى أتوقف عند السياج الحديدى وأنا أُميل باتجاه المياه. كان شيئا طبيعيا للغاية عبور الشارع وصعود السلالم المؤدية إلى الكوبرى والوصول إلى منتصف هيكله النحيف والاقتراب من "لاماجا" التى كانت تبتسم بدون إحساس بالمفاجأة، فهى على قناعة مثلى بأن لقاء الصدفة ليس به الكثير من الصدفة فى حياة كلينا، وأن الناس الذين يتواعدون على اللقاء فى ساعة محددة هم أنفسهم الذين يشعرون بالحاجة إلى ورق مسطّر للكتابة، وهم أنفسهم أيضا الذين يستخلصون معجون الأسنان بالضغط على الأنبوب من أسفل.

لكنها قد لا تكون الآن على الكوبرى فربما تطل بوجهها الناعم الملامح على الأبواب القديمة فى حى جيتودل ماداي^(٤) ghette del Marais بوجهها الناعم الملامح وجلدها الشفاف. أو ربما تتحدث مع إحدى بائعات البطاطس المحمّرة أو أنها تأكل السجق الساخن فى طريق سيباستوبول^(٥) Sébastopol. ومع ذلك صعدت حتى الكوبرى، لكنها لم تكن هناك. إنها ليست الآن فى طريقى، ورغم أن كل واحد منا يعرف سكن الآخر بكل دقائقه أى هاتين الحجرتين الطلابيتين فى باريس، وكل كارت بوستال يذكرُ إمّا بـ براك^(٦) Braque أو جيراندايو^(٧) Ghirlandaio أو ماكس إرنست^(٨) Max Ernest، وكلها قد تم لصقها على الحوائط ذات الهيكل البسيط المكسو بالورق ذى اللون المثير. ورغم كل ذلك لم يبحث كل واحد منا عن الآخر فى مسكنه. كنا نفضل اللقيا على الكوبرى أو فى شرفات إحدى المقاهى أو فى إحدى دور سينما كلوب أو أن نجلس القرفصاء إلى جوار أحد القطط فى الحى اللاتينى. كنا نمشى دون أن نبحث عن بعضنا البعض، لكننا نعرف أن نسير لنتلقى. أه يا ماجا، فى كل امرأة تشبهك هناك صمت حاد يتزاحم بقوة يُصمُ الأذان، وهو صمت شفاف يتهاوى بحزن فى النهاية وكأنه مظلة واقية من المطر تغلق. إنه مظلة واقية من المطر ياماجا، فهل تتذكرين تلك المظلة القديمة التى ألقينا بها

1

فى أحد شعاب حديقة^(٩) Parc Montsouris فى إحدى الأمسيات الباردة خلال شهر مارس. ألقينا بها لأنك وجدتھا فى ميدان كونكورد^(١٠) Place de la Concorde، وكان بها بعض التلف ثم استخدمتها كثيرا، وخاصة عندما كنت تضعينھا على صدور الناس فى المترو أو الأتوبيس وأنت لاهية ومتعشرة تفكرين فى العصافير الملونة أو تحملين فى حركات نجابتين تطيران فى سقف العربة. فى ذلك المساء هطل المطر بغزارة، وأردت، بحركة فيها اعتزاز، فتح المظلة عندما دلفنا إلى الحديقة وتجمعت فى يدك كارتة عبارة عن صواعق باردة وسحب سوداء ومنتف من القماش تتساقط من بين الأسلاك التى تفككت، عندئذ كنا نضحك كالمجانين والمطر يغرقنا ونحن نفكر فى أن المظلة التى وجدناها فى أحد الميادين يجب أن تموت فى حديقة ولا يمكن أن تدخل فى المسار غير النبيل بإلقائها فى القمامة أو إلقائها على قارعة الطريق. عندئذ قممت بتطبيقها قدر ما استطعت وذهبت بها إلى أقصى نقطة فى الحديقة بالقرب من كوبرى صغير يعبر فوق خط السكك الحديدية وألقيت بها من عل، بكل ما أملك من قوة، إلى عمق ذلك الشعب الملى بالحشائش البتلة بالماء، بينما صدرت عنك صيحة بدت لى - ولو بكل غامض كأنها لعنات مذبحة والكرية Walkyria. وغرقت المظلة فى الشعب كأنها مركب تترك نفسها للمياه الخضراء والعاصفة، إلى ذلك البحر الذى هو أكثر هدوءا فى الصيف عنه فى الخريف، إلى هذه الموجة المميتة ياماجا، إلى غير ذلك من التشبيهات الكثيرة التى أخذنا نعددها طوال فترة ليست بالقصيرة وكأننا عاشقين لـ جوان فيل^(١١) Join Ville وللحديقة، ونحن متعانقان كأننا شجرتان مبتلتان بالماء أو كأننا ممثلتان سينمائيتان فى أحد الأفلام المجرية الكئيبة. بقيت المظلة هناك بين الحشائش القصيرة والطويلة كأنها حشرة وطنيتها الأقدام. لم تتحرك ولم تفتح أى من أسلاكها مثلما كان فى الماضى. انتهت، نهاية المطاف، أه يا ماجا، لكننا لم نكن سعداء.

ما الأمر الذى كنت قادمة لأجله إلى بونت دى أدت Pont des Arts؟ يبدو لى أننى كنت أفكر يوم الخميس من شهر ديسمبر فى العبور إلى الضفة اليمنى لتناول النبيذ فى المقهى الصغير الكائن فى شارع لومبارد^(١٢) Lombards ومتى تقرأ لى الكف مدام ليونى وتبئنى بالرحلات والمفاجآت، لم أخذك معى أبدا لتقرأ لك الكف مدام ليونى فربما أصابنى الخوف من أن تقرأ تلك السيدة إحدى الحقائق عنى من خلال ككف. وذلك لأنك كنت دوما مرآة رهيبية، وآلة مرعبة للتكرار، وماسميناه حبا ربما تمثل فى أن

1

أقف أمامك وأنا أحمل زهرة صفراء في يدي، بينما تمسكين أنت بشمعتين من اللون الأخضر، في الوقت الذي يحمل فيه الهواء إلى وجهنا مطرا بطيئا للرفض والوداع وتذاكر الماترو، وبالتالي لم أخذك أبدا إلى مدام ليوني. أعرف - فقد سبق أن قلت ذلك لى - أنك لايعجبك أن أراك وأنت تدخلين المكتبة الصغيرة الكائنة في شارع فيرنيل^(١٣) Verneuil، فهناك رجل طاعن في السن مشغول جدا يقوم بإعداد الآلاف من «الفيش» ويعرف كل مايمكن عن علم التاريخ. كنت تذهبين إلى هناك لتلعبين مع إحدى القطط كما كان العجوز يجعلك تدخلين دون أن يوجه إليك أية أسئلة، وكان يسعده أنك تساعدينه أحيانا في جلب أحد الكتب من الأرفف العلوية. كما كنت تتلمسين الحرارة إلى جوار المدفأة ذات الماسورة الضخمة السوداء، ولم يكن يروق لك أن أعرف أنك تذهبين إلى هناك لغرض التدفئة. لكن كان يجب الحديث عن كل هذا في اللحظة المناسبة، غير أن من الصعب تحديد تلك اللحظة؛ حتى تلك التي أنا متكى فيها الآن على جانب الكوبرى أشاهد إحدى المراكب الشراعية الصغيرة الجميلة كأنها صرصار يلمع من النظافة وذات لون يشبه رواسب النبذ وهي تعبر وعلى متنها امرأة تضع على وسطها مريلة بيضاء وتقوم بنشر ثياب على سلك مشبوك في مقدمة المركب، أخذت أتأمل شبابيكها الصغيرة المدهونة باللون الأخضر والموضوع عليها ستائر هانزل وجريت^(١٤) Hansely Gretel. وحتى الآن - ياما جا - كنت أسأل نفسي فيما إذا كان هناك معنى لهذا التجوال، ذلك أنه لكي يصل المرء إلى شارع لومبارد Lombards كان من الأنسب لى عبور كوبرى سان ميشيل San Michel وكوبرى شانج Chang. لكن لو كنت هناك مثلما كان الحال في العديد من المرات لكنت قد عرفت أن المسار الذي اتخذته معنى. أما الآن فقد قلت من حدة دفع فشلى بأن أطلقت عليه تجوالا. وبعد ذلك، أى بعد أن رفعت ياقة معطفى، لم يكن هناك مناص إلا السير على أرصفة الموانئ حتى أدخل إلى تلك المنطقة المليئة بالمحلات الكبرى التي تنتهى عند ميدان شاتاليت Chatalet والعبور تحت الظل البنفسجى لبرج الأجراس تورسان جاك Tour Saint Jacques ثم مواصلة السير فى الشارع الذى أسكن فيه، وأنا أفكر فى مدام ليوني، وفى أننى لم أجدك.

أعرف أننى وصلت يوما إلى باريس، أعرف أننى مكثت زمنا لا أعيش حياتى، إذ

1

كنت أفعل مايفعله الآخرون وأرى مايرونيه. أعرف أنك كنت تخرجين من مقهى كائن فى شارع شيرش مبدى^(١٥) Cherche Midi وتحدثنا. فى ذلك المساء لم يكن أى شئ على مايرام، ذلك أن عاداتى الأرجنتينية كانت تمنع على العبور المستمر من هذا الرصيف إلى ذاك لئلا نرى الأشياء التافهة الموضوعة فى فترينات لاتكاد تكون مضاعة، ونسير فى شوارع لا أتذكرها. فى هذه اللحظات كنت أتبعك وأنا عكر المزاج، وأراك على أنك متسلطة وغير جيدة التربية حتى تعبت من أنك غير متعبة، ثم دخلنا إحدى مقاهى بول ميش Boul' Mich؛ وفجأة، وبينما نتناول الكرواسون، حكيت لى جزءا كبيرا من حياتك. كيف أمكن لى أن أشك أن ذلك الذى كان يبدو أكنوبية كبرى لم يكن إلا حقيقة. إنه فيجارى^(١٦) Figari ومعه زهور بنفسج المساء ووجوه زرقاء ضاربة للسواد وجوع وضربات فى الأركان. وبعد ذلك صدقتك، وبعد ذلك كانت هناك الأسباب والحجج، كانت هناك مدام ليونى التى قرأت يدى التى نامت مع تحديق وكررت على نفسى كلماتك تقريبا. «إنها تعانى فى مكان ما. إنها دائما تعانى. إنها مرحة وتعشق اللون الأصفر، وعصفورها المفضل هو «الشحورير Miri، وساعتها هى الليل والكويرى الذى تفضله هو كويرى دى أرت Pont des Arts» [إنها مركب شرعية قديمة ياماجا، فلماذا لم نرحل فيها عندما كان أماننا متسع من الوقت؟].

تمعنى هذا فلم نكد نعرف بعضنا البعض حتى أخذت الحياة تفعل اللازم بدقة متناهية لمباعدتنا عن بعضنا، ولما كنت لاتستطيعين المداراة أدركت أنه لكى أراك كما أريد أنا كان من اللازم البدء بإغماض العينين فأشهد فى البداية أشياء كأنها نجوم صفراء (تتحرك فى سائل مخملى) ثم بعد ذلك قفزات حمراء من الفكاهة والساعات والولوج البطنى فى عالم - ماجا - الملئ بالعشرات والبلبل، لكنه أيضا ملئ بنبات السرخس الذى يحمل توقيع الرسام كلى^(١٧) Klee وملئ بلوحات الرسام ميرو^(١٨) Miró. المايا الرومانية لفييراداسيلبا Vieira da Silva، إنه عالم كنت تتحركين فيه كأنك حصان فى لعبة الشطرنج لكنه يتحرك كأنه الفيل أو البرج؛ كئنا فى تلك الأونة نذهب إلى سينما لوب لنشاهد الأفلام الصامتة، وكنت أنا مع ثقافتى، هذا ليس حقيقيا. وأنت أبتها لسكينة لم تدركى أى شئ على الإطلاق عنى: ذلك الصرير الأصفر. وهذا الاختلاجات السابقة على ميلادك، أى ذلك الاستحلاب المتموج حيث كان الموتى يركضون. وفجأة

1

كان يمر من هناك هارولد لويدي^(١٩) Harold Llay، وعندئذ كنت تتفحصين عن نفسك مياه العلم، وكنت تقنعين نفسك في النهاية بأن كل شيء على مايرام، وكذلك بابتست^(٢٠) Pabst فريتز لانج^(٢١) Fritz Lang، كنت أشعر بشيء من الملل لحرصك على الكمال وأنت تنتقلين حذاءً مقطوعاً، وترفضين قبول ماهو مقبول، كُنَّا نتناول الهامبورجر في كاريفور دى لو أوبيون Carrefour de l'odéon، وبننتقل على دراجة إلى مون برناس^(٢٢) Montpar-nasse أو إلى أى فندق أو إلى أى مخدة. وأحياناً أخرى كنا نواصل سيرنا حتى بورت دى أورليانز^(٢٣) Porte d'Orléans وأخذت معرفتنا بمنطقة الأراضي البور الواقعة خلف طريق جوردان Jourdan تتحسن تدريجياً، حيث كان يجتمع هناك بين الحين والآخر أعضاء «نادى سيربينت» C. de la Serpente للحديث مع عراف أعمى، وبالحا من مقابلة مثيرة. كنا نترك الدراجات في الشارع نتوغل بعض الشيء ونتوقف لننظر إلى السماء؛ فهذه المنطقة هي واحدة من المناطق القليلة في باريس حيث السماء أكثر قيمة من الأرض. كنا نجلس على تلال القمامة، ونندخن لبعض الوقت، وكانت ماجا تداعب شعري أو تدندن بترانيم لم تؤلف من قبل، إنها دندنة لاعمى لها تقطعها التنهات أو الحديث عن الذكريات. كنت أنا أنتهز الفرصة للتفكير في أشياء عديمة الفائدة، وهذه وسيلة بدأت أستخدمها منذ سنوات مضت وبالتحديد عندما كنت في إحدى المستشفيات، ومع مرور الوقت بدت الوسيلة ثرية وضرورية. ومن خلال الجهد الكبير الذى أبذله في لُملة شتات بعض الصور الهامشية والتفكير في الروائح والوجوه كنت أستطيع أن أستخرج من اللاشيء زوجاً من الأحذية ذات اللون البني، كنت قد انتعلته في أولاً بارياً Olaurria عام 1940. كان له كعب من الكاوتش ونعل رقيق. وعندما تمطر السماء كانت المياه تنفذ منه إلى أعماق روعي. وعندما يتم حمل هذا الحذاء في يد الذكريات تتوارد باقى الذكريات وحدها : فهناك وجه السيدة/ مانويلا على سبيل المثال، أو الشاعر إرنستو موروني Ernesto Morroni. لكنني كنت أباعد هذه الأشياء الأخرى، إذ إن قواعد اللعبة تتمثل في استحضار مالا قيمة له ولا معنى والذي هو إلى زوال. ولما كانت العرشة تعتريني من عدم القدرة على التذكر وتهاجمنى العلة التي تريد الاستمرار، وأصاب بالبلهية بسبب تقبيل الزمن، كان الأمر ينتهي بي إلى أن أرى إلى جوار الحذاء علبة صغيرة هي شاي الشمس Tê Sol، كانت قد أعطتني إياها أُمِّي في بونوس أيرس. وكذلك ملعقة الشاي، إنها ملعقة مصيدة حيث

1

الفئران السوداء تحترق حية في فئجان الماء وهى تقذف فقاعات. ولما كنت على قناعة بأن الذاكرة تختزن كل شئ وليس فقط الحب الكبير «لاس ألبيرتيناس»^(٢٤) Las Alber- tinas أو الأحداث العاطفية الكبرى والكلى، كنت ألح على إعادة بناء محتوى ماكان على منضدة العمل الخاصة بى فى فلورست ومنها وجه فتاة لاستتوعبها الذاكرة وتدعى جيكربتن Gekrepten وكمية الريش ذات المعلقة الموجودة فى صندوق العدة الذى هو من الدرجة الخامسة، وينتهى بى الأمر إلى الرعدة وفقدانى الأمل (لأننى لم أتذكر أبدا هذه الريش رغم أننى أعرف أنها كانت هناك فى صندوق العدة فى منطقة خاصة لكننى لا أتذكر كم كان عددها أو اللحظة التى أصبح فيها العدد إما اثنين أو ستة). عندئذ كانت لاماجا تقبلنى وتتفث دخان السجائر فى وجهى وكذلك زفيرها الدافئ، لحظتها كنت أتذكر ثم نضحك ونعود للسير من جديد بين أكوام الزبالة بحثا عن ذلك النادى. فى هذه الآونة أدركت أن البحث هو قبلى وعنوان من يخرجون ليلا دون هدف محدد والدافع لمن يلقون البوصلة جانبا. ومع لاماجا كنا نتحدث عن أى شئ حتى الإرهاق. فهى الأخرى لها خطواتها (كذلك كان لقائنا وكذلك أشياء أخرى قائمة مثل الكبريت) مثل أن تجعل متففسها استثناء دائما، وأن ترى نفسها فى وضع يختلف عما عليه الناس، وهذا دون الحط من شأن أحد ودون أن نظن أننا شئ عظيم مثل مالديوريس^(٢٥) Maldororeá أو ميلموث^(٢٦) Melmoths اللهم إلا أننا نهيم على وجهنا. ولايبدو لى أن اليراع يمكن أن تخرج بفائدة من حقيقة لامراء فيها، وهى أنها واحدة من الأعاجيب الكبرى لهذا السيرك، ومع ذلك يكفى افتراض أن لها وعيا لنذكر أنه كلما انتفخت بطنها، فإنها تشعر بنوع من رغبة الزهو. ويمكن أن نجد لاماجا على نفس الشاكلة فيما يتعلق برود الأفعال غير المتوقعة التى تصدر عنها وتضع فيها نفسها بسبب فشل قوانين حياتها. فقد كانت من هؤلاء الذين يقضون على الكبارى بمجرد عبورها، أو من هؤلاء الذين يكون وينتحبون! لأنهم رأوا فى فترينة العرض ورقة اليانصيب التى فازت بخمسة ملايين. وبالنسبة لى فقد تعوّدت أن تحدث لى أشياء أصفها بأنها متواضعة، بأنها غير عادية. وأننى لم أشعر بكثير من الفزع عندما كنت أدلف إلى الغرفة وهى مظلمة لأخذ ألبوم أسطوانات وأشعر أناهما بأن هناك حشرة ضخمة تسير على ظهر كفى. وكانت قبل ذلك قد اختارت ظهر الألبوم لتنام عليه، أو أن

1

أجد بعض الزنابير الكبيرة ذات اللون الرمادى أو الأخضر داخل علبة السجائر، أو أن أسمع صغير أحد جرارات القطارات فى اللحظة المناسبة وبنفس درجة الإيقاع التى يتناغم فيها مع إحدى مراحل سيمفونيات بيتهوفن أو دخول إحدى أكشاك التبؤل من معدن الحديد فى شارع / ميديريس Médicis وأشاهد رجلا وهو يتبول وبعد أن ينتهى يستدير نحوى ويظهر لى قضيبه بألوان ومقاس غريب وهو يمسكه فى كفه وكأنه شئ مهيب وشمين، وأدرك فى الوقت نفسه أن ذلك الرجل يماثل تماما رجلا آخر (رغم أنه لم يكن هو نفسه) ألقى محاضرة قبل ذلك بأربع وعشرين ساعة حول « الطولم والتابو»^(٢٧) Tâtems y tabúes لغرويد فى لاسال دى جيوجرافى La Salle de Geographie، وأطلع الجمهور على الكثير من الأشياء الغريبة بالإمسك بها ووضعها على كف يده مثل بعض العصى الصغيرة من العاج وريش عصفور القيثارة وعلامات طقسية وحفريات سحرية ونجوم البحر وأسمك مجففة وصور لبعض العاهرات الملكية وقرايين قدمها صيانون وجعارين ضخمة محنطة تثير رعدة لذيدة تسري فى جسد السيدات المحترمات.

عموما ليس من السهل الحديث عن لاماجا التى تتجول فى هذه اللحظات فى شارع بيل فيل Belle Ville أو باننتين Pantin وتنظر إلى الأرض حتى تجد أى قطعة من أى شئ أحمر. وإلا ستظل على حالها هذا طوال الليل، وسوف تقلب فى صناديق القمامة وهى على قناعة بأنه سوف يحدث لها شئ فظيع إذا لم تجد ذلك الملابس الذى يستخدم ككفدية أو أن تعثر على إشارة بالعفو أو بتأجيل الموضوع. أعرف ماهية ذلك الأمر، فأنا ممن يذعنون لتلك الإشارات، وأحيانا مايكون على العثور على قطعة قماش حمراء، ومنذ صغرى تعودت على أنه إذا ماسقط من يدى شئ على الأرض فعلى أن أرفعه وإلا ستحدث كارثة، ليس لى، ولكن لشخص أكن له الحب وأن اسمه يبدأ بأول حرف من اسم الشئ الذى سقط على الأرض، والأسوأ من هذا هو أن لاشئ يوقفنى عندما يسقط شئ منى على الأرض ولاينفع فى هذا المقام أن ينهض أحد ويرفعه بدلا منى؛ فالنحس سوف يحل بنفس الدرجة. لقد ظهرت كثيرا فى شكل المجنون بسبب ذلك. والحقيقة أننى مجنون عندما أفعله، أى عندما أسارع فى جمع أجزاء لوح أو قصاصات ورقة سقطت من يدى مثلما حدث ليلة أن وقعت منى قطعة السكر فى مطعم بشارع إسكريب Scribe وهو مطعم فاخر يؤمه الكثير من المدراء والساقطات من نوات

1

المستوى، والزيجات الاجتماعية، كنا مع رونالد وإيتين عندما سقطت منى قطعة من السكر وأخذت تتدحرج حتى وصلت تحت مائدة بعيدة عن المائدة التي نجلس عليها وأول شيء استرعى انتباهي هو الكيفية التي تدحرجت بها قطعة السكر، فمن المعتاد أن قطعة السكر عندما تسقط على الأرض تظل كما هي في نفس المكان وذلك لأسباب بديهية. لكن قطعة السكر هذه كانت تتدحرج كأنها كرة نقتالين الأمر الذي أثارني. ووصل الأمر بي إلى الظن بأنهم خطفوها من بين يدي. كان رونالد يعرفني جيدا، نظر إلى المكان الذي استقرت فيه قطعة السكر وأخذ يضحك، الأمر الذي زاد من خوفى الذي اختلط بالغیظ. اقترب منى أحد عمال المطعم وهو يظن أنه سقط منى شيء ثمين مثل قلم باركر أو طقم أسنان، ولم يكن مافعله إلا إثارة ضيقي، وعندئذ انحنيت على الأرض، وأخذت أبحث عن قطعة السكر بين أقدام وأحذية الزبائن الذين ملأهم الفضول ظنا منهم (وعندهم حق في هذا) أننى أبحث عن شيء مهم. كان على المائدة امرأة شقراء ضخمة الجثة وأخرى أقل ضخامة، لكنها عاهرة أيضا، بالإضافة إلى اثنين من المدراء، أو لهما وظيفة من هذا القبيل. وأول شيء فعلته هو أننى أدركت أن قطعة السكر مختلفة عن ناظرى رغم أننى شاهدتها وهى تقفز متجهة نحو الأحذية (التي كانت تواصل حركتها كأنها أرجل دجاج) والأسوأ أن الأرضية كان بها سجادة اتسخت من كثرة الاستعمال ومع ذلك اختبأت قطعة السكر بين الوبر ولا يمكن العثور عليها. انحنى عامل المطعم أسفل المائدة من الناحية الأخرى فأصبحنا اثنين من نوات الأربع تتحرك بين أحذية الدجاج الذى أخذ فى القرقرة بجنون، وأصل الفتى بحثه وهو على قناعة بأنه سيعثر على الباركر أو لويس الذهبى. وعندما أصبح كلانا تحت المائدة بالكامل سألنى عن الشيء الذى أبحث عنه فأفصحت له عنه، فما كان منه إلا أن تهدك ملامح وجهه لدرجة يجب معها وضع مُثَبِّت له، ولما لم تكن عندي رغبة فى الضحك، كما أن الخوف عطل المعدة عن عملها وسيطرت على خيبة أمل كبرى (نهض العامل وهو شديد الحنق) وأخذت فى الإمساك بأحذية السيدتين والنظر تحت منحنى الكعب والنعل حتى أجد قطعة السكر. كانت الدجاجتان تقرقران. أما المديران الديوك فكانا ينفقان ظهرى وأنا أسمع قهقهات رونالد وإيتين، وأتحرك من مائدة لأخرى للعثور على قطعة السكر التي اختبأت تحت إحدى أرجل المائدة من طراز الإمبراطورية الثانية. كما أصاب الغضب كل من

1

فى المكان بما فىهم أنا بسبب قطعة السكر التى قبضت عليها بىدى، وشعرت كأنها تنوب فى العرق، وأنها تتحول وتتخلل بشكل قذر كأنها من النعمة اللصيقة، إنها واحدة من تلك الأحداث التى تقع كل يوم.

(- 2)

2

هنا، كان الأمر في البداية كنوع من الاستنزاف وضربات سياط في الاستخدام الداخلي، والشعور الأبله بوجود جواز السفر ذي الجلدة الزرقاء في جيب الجاكتة، وأن مفتاح الفندق موضوع في مكانه معلق على اللوحة. إنه الخوف والجهل والانبهار : هذا الشيء اسمه كذا، وذلك الآخر يطلب بتلك الطريقة، والآن سوف تبتسم تلك المرأة. وفي نهاية هذا الشارع سوف نجد حديقة النباتات Jardin des Plantes. باريس عبارة عن كارت بوستال رسمه الفنان كلي Klee، وموضوع إلى جوار امرأة قذرة. ظهرت لاماجا ذات مساء في شارع شيرش ميدي Cherche Mid. وعندما كنت أصدق إلى غرفتي الكائنة في شارع/ تومب إيسوار lomb Isoire كنت أتى بزهرة أو بكاروت بوستال لكلي Klee أو ميرو Miró، وإذا لم تتوافر النقود لدى كنت أختار ورقة من أوراق شجر الموز في الحديقة : في تلك الأونة كنت أجمع الأسلاك والأدراج الفارغة من الشوارع في الصباح الباكر، وكنت أصنع بها أشياء متحركة وأطرا تدور حول المدافئ والمكينات عديمة الجدوى التي كان لاماجا تساعدني في رسمها. لم تكن عاشقين، كنا نمارس الحب بكثير من العفة والتمنع، وبعد ذلك نسقط في صمت رهيب، وتحول رغبة كنوس البيرة إلى طبقة كثيفة وتقل درجة البرودة ويتغير طعمها، بينما ننظر إلى بعضنا البعض، ونشعر بأن ذلك كان الزمن. كانت ماجا تنهض وتلف وتدور بلا هدف في أنحاء الحجرة. وقد شهدتها أكثر من مرة وهي معجبة بجسد تشاهده في المرأة وتمسك بثديها بكتا يديها كأنها تماثيل سورية تطوف ببصرها رويدا رويدا بأنحاء جلدتها في مداعبة لطيفة لم أستطع أبدا مقاومة الرغبة في النداء عليها لتجلس إلى جوارى وأشعر بها وهي تقع شيئا فشيئا فوقى ثم تنحني بعد أن ظلت وحيدة في لحظة عاشقة فيها جسدها.

في تلك الفترة لم تكن نتحدث كثيرا عن روكا مador^(١) Rocamadour كانت المتعة أنانية؛ إذ تتعرب بنا وهي تنن وتريطنا بيديها المليئة بالملح، وصل الأمر بى لقبول الفوضى التي عليها ماجا وكأنها الظروف الطبيعية لكل لحظة. ننقل من حديثنا عن روكا مador إلى الحديث عن طبق شوربة شعبية أعيد تسخينه، وعن خلط النيذ بالبيرة والليموناة. ثم نجرى إلى الشارع حتى تقوم العجوز التي تقف على الناصية بإعداد دسنتين من المحار لنا، ونعزف على البيانو الهيكل الخاص بمدام نوجيت مقطوعات لشوبرت^(٢)

2

Schubert ومقدمات موسيقية لباخ أو أن نعزف مقطعا من أوبرا^(٢٢) Porgy and Bess، وبتناول شريحة لحم مشوية مع الخيار المشوى. تبدو لي الفوضى التي نعيش فيها ضرورية أو بمعنى آخر النظام الذي يتحول فيه بيديه - بشكل تدريجي - إلى ديسكو وأرشيف للمراسلات التي يجب الرد عليها، رغم أنني لم أرد أن أحدث ماجا عنها. لقد استغرقت وقتا قصيرا لأدرك أنه لا يجب طرح الواقع على ماجا بطريقة منهجية وبالتالي فإن إطار الفوضى كان سيستثيرها مثل نقدِها. فالأمر بالنسبة لها هو أن ليس هناك فوضى، وقد عرفت ذلك في اللحظة التي عرفت فيها محتوى شنطة يدها (كان ذلك في مقهى بشارع ريامير Réamur، وكان المطر يتساقط وقد أخذنا نعبّر عن رغبة كل منا في الآخر) وقد قبلت بهذا، وساعدت عليه بعد أن عرفت ماهيته، في ظل هذه النواقص كانت تدور علاقتي بمعظم الآخرين، فكم من مرة وأنا متمدّد على السرير - وهذا لا يحدث إلا أياما قليلة - كنت أسمع لاماها وهي تبكي؛ لأنها رأت طفلا في المترو وجعله الذكريات الخاصة بروكامادور تطوف برأسها، أو أن أراها وهي تقوم بتصفيف شعرها بعد أن قضت فترة مابعد الظهيرة جالسة تتأمل لوحة ليونور دي أكيثانيا Leo-na de Aquitania وترنو بلهفة إلى أن تشبهها، في هذه اللحظات كان يراودني نوع من التجشؤ العقلي الذي يتمثل في أن كل هذه البدايات في حياتي ماهي إلا بلامه مؤلمة فالأمر لا يعدو مجرد حركة جدلية في اختيار اللاسلوك مقابل السلوك، والاحتشام اليسير مقابل الاحتشام المشاع. كانت لاماها تمشط شعرها وتمشطه ثم تعود لتمشيطه، تفكر في روكامادور وتغنى بعض ألحان هوجو وولف^(٢٣) HugoWolf (سى)، كانت تقبلني وتسالني الرأي في تسريحة شعرها ثم تبدأ في الرسم على ورقة صفراء كان كل ذلك هو الذي عرضته، بينما أنا قابع هناك على سرير، تراكمت عليه القذارة عن عمد، احتسني بيرة قصدت ألا تكون باردة. هكذا كنت أنا وحياتي، أنا وحياتي مقابل حياة الآخرين. وإذا ماكنت معتزا بأنني كسول وعلى وعي بذلك وطوال شهور وشهور وتقلبات كثيرة كان شاهدا على فيها لاماها ورونالدو روكامادور. وفترة النادي والشوارع وأمراض الأخلاقية وغير ذلك من التقنيات وبيوت تربيات Berthe Trépat والجوع أحيانا، وذلك العجوز تروينيل Trouille الذي كان يساعدي في الخروج من المازق وطوال ليالي مفعمة بالموسيقى والسجائر وبعض الأمور المخزية بعض الشيء.

2

ورغم كل هذا فإننى لم أشأُ مجازاة البوهيميين فى فكرتهم فى أن تلك الفوضى ماهى إلا نظام روحى علوى أو أن أطلق عليها أى تسمية أخرى بالية مثل السابقة. كما لم أشأُ قبول فكرة أنه يكفى القليل من الاحتشام (احتشم يافتى!) للخروج من هذه الوهدة السحيقة. هكذا التقيت بـ لاماجا التى كانت شاهداً وجاسوساً على دون أن أدرى، وكنت أشعر بالغيط؛ لأننى أفكر فى كل هذا وأستغرق وقتاً طويلاً رغم أننى أعرف أنه كان يكفينى القليل من التفكير فيما يجب أن أكون، فعقلانية العبارة - فى نظرى - ليست على درجة كبيرة من الـ Ego (أنا)^(٥) أو شيئاً من هذا القبيل، وعلى هذا كنا نسير على الشاطئ الأيسر، وكانت لاماجا، التى لاتعرف أنها جاسوس أو شاهد على، تعبر عن إعجابها الشديد بما أنا عليه من معرفة شديدة التنوع وقدراتى الأدبية بما فى ذلك الجاز كول^(٦) Jazz Cool التى كانت تعتبر أمورا شديدة الغموض بالنسبة لها. أما أنا فكنت على النقيض منها، وأشعر بقربى من لاماجا، كنا متحابين كأننا مغناطيس وبرادة الحديد، نقوم بالكر والفر أو الكرة والحائط، أظن أن لاماجا كانت ترنو إلى، وربما ظنت أننى تطهرت من مفاهيم سابقة أو أننى انتقلت إلى عالمهم الأكثر الملى بالفحش والشاعرية. وفى قمة السعادة الهشة والهدنة المزيفة مددت يدي لمست الكرة باريس ومادتها التى لاتنتهى ماهيتها وهى منكفئة على نفسها، وعجينة الهواء وكل ماكان يرسم على النافذة والسحب والنوافذ فى الحجرات المائلة السقف. إذن ليست هناك فوضى، إن العالم لازالت به بعض العفونة، لكنه قائم من مجموعة من العناصر تدور، كل حول محورها، إنها خليط من الشوارع والأشجار والأسماء والشهور. ليس هناك فوضى تفتح الطريق للنجاة. لم يكن هناك إلا القذارة والبؤس، والأكواب بها بقايا بيرة وشربات حريمى ملقاة فى أحد الأركان وسرير تفوح منه رائحة الجنس وتستقر عليه بعض الشعرات، لم يكن هناك إلا امرأة تتحسس أوراكي بيدها الناعمة الشفافة وتطيل فى المداعبة التى تخرجنى هنيهة من هذا الوعى بالفراغ الكامل. لكن تأخرت كثيرا، وهكذا كان دوماً، فرغم أننا قد نمارس الحب مرات عديدة فإن السعادة لابد وأن تكون شيئاً آخر، ربما كانت شيئاً أكثر حزناً من هذه الطمأنينة وهذه المتعة، إنها هواء كوحيد قرن خرافى أو جزيرة. أو السقوط اللانهائى فى السكون. لم تكن لاماجا تدرى أن قبلاى ماهى إلا عيون أخذت ترى إلى مسافة أبعد منها، وأننى أسير كأنى متهى

2

للخروج وقد انخرطت فى شخصية أخرى فى هذه الدنيا مثل قائد سفينة يقف على مقدمتها السوداء التى تقطع سطح مياة الزمن وترفضها.

خلال تلك الفترة من عام نيف وخمسين^(٧) أخذت أشعر بنفسى فى مأزق بين لاماجا ومفهوم آخر مختلف يعبر عما كان يجب أن يكون. كان من البلاءة التمرّد على الدنيا الخاصة ب لاماجا وعلى دنيا روكامادور، وفى الوقت الذى كانت تشير فيه كل الدلائل على أننى بدأت استعادة استقلالى، فإننى قد لا أشعر بالحرية. كنت شديد النفاق، وكان يضايقتنى ذلك التجسس على جلدى وعلى ساقى وعلى طريقيتى فى المتعة إلى جوار لاماجا، وكذلك زهوى كائننى ببغاء فى قفص وأنا أقرأ كبير كجاردا^(٨) من وراء قضبان القفص، وأعتقد أن أكثر شئ كان يضايقتنى هو أن لاماجا لاتعى أنها شاهدة على وفى الوقت ذاته قد تكون على قناعة من أننى ذو سيادة فى الاكتفاء بنفسى. لكن لا، فما كان يغليظنى فى الحقيقة هو أن أعرف أننى قد لا أتمكن أبداً من الاقتراب كثيراً من حريتى مثل تلك الأيام التى كنت أشعر فيها بسيطرة عالم لاماجا على. وأن شغفى بحريتى كان يعنى الاعتراف بالهزيمة. كان يؤلمنى ذلك الاعتراف رغم الاصطدام المكتوم بالآخرين ورغم إثارة الانتباه بما نفعل ورغم انفصال كل منا عن الآخر، لم أكن أتمكن من فتح طريق لى على سلم محطة جاردي مونبارناس Gare de Montparnasse: حيث كانت لاماجا تجرّنى لزيارة روكامادور. لماذا لا يقبل المرأ ماكان يحدث دون محاولة تفسيره ودون الحديث عن النظام أو الفوضى وعن الحرية وعن روكامادور، مثله فى ذلك مثل من يقوم بترتيب الأصص وبها إبرة الراعى فى أحد الأحواش الداخلية لمنزل فى شارع كوتشبابابيمبا؟ ربما كان من الضروري السقوط إلى أعماق البلاءة للوصول إلى سقطة باب المرحاض أو باب «حديقة الزيتون» Jardin de los Olives. كان يدهشنى - مؤقتاً - أن يصل الخيال ب لاماجا إلى أن تسمى ابنها ب روكامادور. لقد تعينا فى النادي من البحث عن الأسباب، واقتصرت لاماجا على القول بأن ابنها يسمى مثل والده، لكن لما كان الأب قد اختفى كان من الأنسب أن تسميه روكامادور وترسل به إلى الزيف حتى يربونه فى الحضانة، كانت ماجا تقضى أسابيع متوالية دون أن تتحدث عن روكامادور، وكان ذلك يتوافق دائماً مع آمالها فى أن تصبح ذات يوم مغنية ليدر Lieder. فى ذلك الحين كان رونالد يجلس أمام البيانو ورأسه كأنها رأس كاوبوى،

2

وتترنم لاماها بأنغاني هوجو وولف لكن بقوة ترتجف لها السيدة/ نوجيت وهي جالسة في الحجرة المجاورة تقوم بإعداد عقود من البلاستيك لبيعها في شارع سيباستوبول Sébastopol. ويتدما كانت لاماها تغني لشومان^(٩) Schumann ترالتي روقنا كثيراً، لكن كل شيء يرتبط بالقمر وماكنا سنفعله في تلك الليلة، ويرجع كذلك لروكامادور فلا تكاد ماجا تتذكره حتى يذهب الغناء إلى الشيطان، ويبقى رونالد وحده جالساً أمام البيانو، ويستغل الفرصة ليمارس ويطبق أفكاره عن بيبوب bebop أو أن يمتعنا بأحدى تنويعات الجاز Blues.

لا أريد الكتابة عن روكامادور - اليوم على الأقل - إذ أنا بحاجة ماسة للاقترب من نفسي بشكل أفضل وأترك كل شيء يبعدني عن المركز. وينتهي بي الأمر دائماً إلى الإشارة إلى المركز دون أي ضمان فيما إذا كنت أعرف ما أقوله. إنني أترك نفسي رهنا للمصيدة السهلة الخاصة بالهندسة، والتي من خلالها تحاول أن تنظم حياتنا على الطريقة الغربية : هناك المحور والمركز وسبب الماهية و Omphalos وأسماء أخرى تنسب إلى الحقبة الهندية - الأوربية. كذلك فإن هذه الحياة التي أحاول وصفها، وباريس التي أتحرك فيها كأنني ورقة جافة، لن ترى إلا إذا كان هناك هذا الشغف بالمحور وبدن العامود. كم هناك من الكلمات والمسميات التي تطلق على نفسه الشيء الغامض. أحيانا ما أصل إلى إقناع نفسي بأن البلاهة تسمى مثلثاً، وأن حاصل ضرب ثمانية في ثمانية يساوي الجنون أو كلباً؛ وعندما أعانق لاماها، هذا التحديد الضبابي، أتصور أن هناك سبباً قوياً يحدوني لصنع دمية من لبابة الخبز يماثل الدافع وراء كتابة رواية إن أكتبها أبداً أو تقديم النفس دفاعاً عن الأفكار التي تنقذ الشعوب. يقوم البنودل بأداء وظيفته في الحال فأعود في هذه اللحظة إلى تلك الأشياء المهدنة : دمي لامعني لها، ورواية مهمة، وموت بطولي. أضعها كلها في صف واحد مرتبة: الأصغر فالأكبر : الدمية ثم الرواية ثم البطولة. إنني أفكر في سلم القيم الذي درسه أورتيجا إي جاست^(١١) وكذلك شيلر^(١٢) : الجمالي والأخلاقي والديني. الديني والجمالي والأخلاقي. الأخلاقي والديني والجمالي. الدمية ثم الرواية. الموت ثم الدمية. يزغزغي لسان ماجا. روكامادور ثم الأخلاق ثم الدمية، ثم لاماها. اللسان ثم الزغزغة ثم الأخلاق.

(- 116)

3

كانت السيجارة الثالثة للسهاد والأرق تحترق بين شفتى أوراشيو أوليفيرا^(١) H.Oliveira وهو جالس على السرير، داعب برقة شعر لاماجا مرة أو مرتين وهي نائمة ورأسها فى الاتجاه المقابل له. كان الوقت فجر الاثنين وقد استغرقا مساء الأحد وأثناء الليل فى القراءة والاستماع إلى الأسطوانات أو النهوض لتسخين القهوة أو تناول بعض الطعام. وفى نهاية إحدى رباعيات هايدن^(٢) Haydn نامت لاماجا، فما كان من أوليفيرا إلا أن فصل الكهرباء عن جهاز الأسطوانات وهو على السرير: إذ لم يعد يرغب فى مواصلة الاستماع إلى الموسيقى. ظل الجهاز يدور بعض الوقت دون أن يصدر عنه أى صوت. لم يكن يعرف لماذا هو كذلك، لكن هذا النحو من الكسل الأحق جعله يفكر فى التحركات غير المدجبة ظاهريا التى تقوم بها الحشرات، وكذلك بعض الأطفال. لم يستطع النوم، فكان يدخن وهو ينظر إلى النافذة المفتوحة إلى النافذة ذات الحجرة المائلة السقف، حيث كان هناك عازف كمان. يتدرب حتى ساعة متأخرة من الليل أحيانا. لم يكن الجو حارا، لكن جسد ماجا جعله يشعر بالحرارة فى فخذيه، وكذلك جنبه الأيمن، فأخذ يبتعد رويدا رويدا وهو يفكر فى أن الليل سيطول عليه.

كان يشعر بأنه على أفضل حال، وهذا يحدث له دوما عندما يصل مع لاماجا إلى نهاية اللقاء دون مصادمات أو مشاحنات. لم يكن يبدي كثير اهتمام برسالة أخيه المحامى الأرجنتيني الكبير والتى سطرها له فى أربع ورقات من الورق الخفيف الخاص بالرسائل التى ترسل بالطائرة: تحدث فيها عن واجبات القرابة والمواطنة التى أهملها أوليفيرا. كانت الرسالة رائعة السبك، فما كان منه إلا أن لصقها على الحائط حتى يتمكن الأصدقاء بقراءتها. لكن أهم ماتحويه الرسالة هو أنه سيرسل له نقودا عبر الحقبة السيدات، لكن أخاه كان يطلق عليها مسمى آخر هو «القومسيونجى». فكر أوليفيرا فى شراء بعض الكتب التى كان يريد قراءتها، وأن يعطى لاماجا ثلاثة آلاف فرنك لتقبل بها مايجلو لها، بأن تشتري مثلا دمية على شكل فيل ضخم جدا. نصل إلى اليوم العجيبى وذلك لإفزع روكماندور. وفى الصباح سوف يذهب إلى جين فوريل فى إحدى عسى الخطابات التى وصلت إليه من أمريكا اللاتينية. إلى زوج، وسهل شعره، ولن يسول على المراسلات أشياء لتساعد على النوم. معرفة مايجلو، هذا هو التعبير عن كل شيء، أى عمل الخير، أو القيام بالتبول، أو قضاء الوقت، إنه النسل بكل

3

ماتحملة الكلمة من أبعاد، ووراء كل حدث هناك احتجاج، فكل حدث كان يعنى الخروج من أمر ما للوصول إلى أو تحريك شئ ماحتى يكون هنا وليس هناك، أو دخول هذا المنزل بدلا من عدمه أو بدلا من دخول المنزل المجاور. أريد القول بأن وراء كل فعل هناك الحاجة إلى شئ لم يتم حتى الآن، وأن من الممكن عمله، إنه الاحتجاج المقنع فى مواجهة استمرار الحاجة والنقصان الذى عليه الحاضر. والظن بأن الحدث كان يمكن أن يؤدى إلى الوفاء الكامل أو أن مجموعة الأحداث المتراكمة يمكن أن تساوى حياة جديدة. بهذا الاسم لم يكن إلا ضربا من الخيال طرأ بعقل أحد الأخلاقيين. كان من الأفضل الرفض؛ ذلك أن رفض القيام بشئ هو الاحتجاج بعينه وليس قناعه. أشعل أوليفيرا سيجارة أخرى ووجد نفسه مجبرا على الابتسام بسخرية والاستهزاء بنفسه من خلال الحدث نفسه. لم يكن يهتم بالتحليلات السطحية التى تنحو إلى التسلية ونصب الفخاخ اللغوية. والشئ الوحيد الحقيقى هو التعب الذى يشعر به فى فم المدة والشك فى أن هناك شيئا ما لايعمل جيدا أو أنه لم يكد يعمل أبدا بشكل جيد. لم يكن ذلك يمثل مشكلة، بل تمثلت فى رفضه للأكاذيب الجماعية منذ الصغر، أو العزلة الناقمة؛ حيث كان عليه أن يدرس النظائر المشعة أو فترة حكم الرئيس الأرجنتينى بارتولوميه ميتري^(٢). وإذا ماكان قد اختار شيئا منذ صغره، فلم يكن إلا الدفاع عن نفسه من الانخراط السريع والشغوف بالتحصيل «الثقافى»، وهى وسيلة تمارسها الطبقة المتوسطة الأرجنتينية بكثرة لإبعاد الجسد عن الواقع الوطنى وعن أى واقع آخر، وبذلك تظن نفسها أنها بمنأى عن الفراغ والخواء المحيطين به، وربما تمكن بفضل هذا النوع من الكسل الذى اعتاده، كما عرفه بذلك رفيقه ترافلر، من أن يبعاد نفسه عن الدخول فى هذا النظام المناق (الذى انخرط فيه الكثير من أصدقائه بحسن نية، ذلك أن الأمور كان من الممكن تحقيقها، وهناك أمثلة على ذلك) الذى يباعد نفسه عن جوهر المشاكل من خلال التخصص فى أى نظام، وممارسته تقود، وبالسخرية، إلى قمة المفاسخ الأرجنتينية. أما فيما عدا ذلك فقد كان يبدو له أن هناك مخادعة وسهولة فى خلط المشكلات التاريخية مثل الذات الأرجنتينية أو الذات فى الأسكىمو بالمشاكل المتعلقة بالغفل أو الامتناع عنه . كان قد عاش عمرا كافيا لتساوره الشكوك حيال ذلك الأمر. الذى يتمتع عليه رغم أنه أمام ناظرى كل واحد: ألا وهو ثقل الذات

3

فى دائرة الشئ، كانت لاماجا واحدة من النساء القليلات اللاتى لاينسين أبدا الفكرة القايلة بأن الوجه يؤثر دائما فى الفكرة التى يمكن أن تنشأ عن الشيوعية أو الحضارة الكريتية - الميكينية وأن شكل اليدين يكون حاضرا دائما فيما قد يشعر به صاحبها إزاء أعمال جيرلادايو ghirlandaio أو دستوفسكى. وبذلك ليس أمام أوليفيرا إلا الإقرار بأن فصيلة دمه، وقضائه فترة الطفولة محاطا بأعمام عظام، وحالات الحب فى فترة اليفاعه وتعرضه بسهولة لحالات الضعف والوهن كلها يمكن أن تكون عناصر أساسية فى رؤيته الخاصة للعالم. كان من الطبقة المتوسطة ومن إحدى المدن الساحلية، ودرس فى المدارس الوطنية، لكن كل هذه الأشياء لا يتم علاجها هكذا. والأمـر السيئ هو أنه الخوف من المبالغة فى تحديد وجهة النظر بدقة أدى إلى ثقل بل وقبول نعم ولا لكل شئ والنظر إلى كفتى الميزان من خلال اللسان. ففى باريس كان كل شئ بالنسبة له بوينوس أيرس والعكس صحيح : وفى الجانب الأكثر حرصا فى الحب كان يعانى ويذعن للخسارة والنسيان. وهذا موقف صريح للغاية بل وسهل، وسرعان ما يتحول إلى بداهة وتكنيك. إنه الذكاء الحاد للمشلول وعمى الرياضى الأبله. يبدأ مسيرة الحياة بخطوات وثيدة على طريقة الفيلسوف وطريقة المتسوك ثم يقوم تدريجيا بتخفيض الحركات الحيوية عند وجود أى بادرة للحوار. وعندما يستعمل وعيه يحاول أن يتجنب الخديعة ولا يقتصر الحقيقة. إنه سكون علمانى، وهدوء فلسفى معتدل، ولا مبالاة يقظة. كان مايهم أوليفيرا هو أن يشهد دونما حماس العرض الخاص بتقسيم الثورى توباك - أمارو⁽¹⁾ Tupac- Amarú، وألا يقع فريسة ذلك الإحساس الفقير بحب الذات (مثل الانتساب إلى سلالة السكريبو Oriollo أو إلى حى أو ثقافة أو فلكلور) والذى يعلن عنه أمامه كل يوم تحت أنماط مختلفة. وذات مساء، عندما كان فى العاشرة من عمره، كان هناك جمع من الأعمام والعظات الدينية والخطب السياسية التاريخية فى ظل مجموعة من الجنات، عبر بخوف عن رد فعله إزاء التوليفة الأسبانية - الإيطالية - الأرجنتينية «هذا ما أقوله أنا!» مواكبا ذلك بكلمة قوية كان يجب أن تكون بمثابة التأكيد القاطع. هذا ما أقوله أنا ! هذا ما أقوله أنا ! وفكر أوليفيرا فى «أنا» هذه. أى قيمة تأكيدية كانت لها ؟ إنه الآن للكبـار. فأى علم بمغاليق الأمور كان له؟ وبعد أن بلغ الخامسة عشرة من عمره أدرك فحوى هذه العبارة «إن ما أعرفه جيدا هو أننى لا

3

أعرف شيئاً»، وبدا له الصمت المطبق شيئاً لا مناص منه، ولم يعد يتحدى الناس بهذه الطريقة، هذا ما أقوله أنا، وبعد ذلك بدا له مسلياً كيف أنه في الدوائر الثقافية الأعلى، وكذا قيمة السلطات والنفوذ والثقة الناجمة عن القراءات الجيدة والألمعية، كلها تتجلبت «هذا ما أقوله أنا»، ولكن بطريقة مُحَفَّفة ومستترة حتى بالنسبة لهؤلاء الذين ينطقون بها. والآن أخذت التراكمات التالية تحل محلها مثل «اعتقدت يوماً» «إذا ما كان هنا شيء أنا متأكد منه» «من البديهي أن»، لكنها لاتضع في اعتبارها أبدأ تأمل وجهة النظر المعارضة، وكأننا نجد الجنس البشري حريصاً على الفرد حتى لا يتركه يتقدم أكثر من اللازم في طريق التسامح والشك الذكي والتذبذب العاطفي. لكن في لحظة معينة يظهر «الكألو» وضرورة تحديد الموقف: إما أسود أو أبيض، إما راديكالي أو محافظ، إما شاذ جنسياً أو متعدد الشنوذ، إما تجريدي أو ملموس، إما أن يكون نادى «القدس لورثو» أو نادى «بوكاجونيور Bova Juniors»⁽⁵⁾ إما اللحم أو الخضار، إما التجارة أو الشعر. وكان الأمر جيداً، ذلك أن الإنسانية لاتستطيع أن تثق في أنماط مثل أوليفيرا. كانت رسالة أخيه تعبيراً صادقا عن هذا النفور.

وفكر «وأسوأ ما في الأمر» هو «أن الموقف يؤدي بالضرورة إلى» الحيوان الكسول الضعيف Animula Vagula blandula وبهذا السؤال باعد النوم جفوني. أو بلوموف: ماذا نحن فاعلون؟ إن الأصوات العظمى في التاريخ تدعو إلى المشاركة: هي الحدث مثل هاملت وريفنجي! فهل نحن ننتقم من أنفسنا باهاملت أو أن الأمر لا يعد مجرد اتجاه فني على طريقة شبيدالي⁽⁶⁾ Chippendale والشبابش ونار جيدة؟ فالسوري أثني كثيراً على مارتا Marta رغم كل شيء، فهل تقدم على المعركة يا عرجون⁽⁷⁾ Arjuna لا يمكن لك أيها الملك غير الحازم أن تنكر القيم. إنه الكفاح للكفاح والديش كاشه مخاطرة، فكر في رواية «ماريو الأبيقوري»⁽⁸⁾ Mario el Epicureo وفي ريتشبار هيلاري⁽⁹⁾ Richar Hillary وفي كيو Kyo وفي لورانس العرب، سعداء هم هؤلاء الذين يختارون والذين يقبلون بأنه قد تم اختيارهم. إنهم الأبطال الوجهاً والقدسين والفارين الكاملين.

ربما، لا لا؟ لكن ربما كانت وجهة نظره مثل وجهة نظر الشعبية وهي تنظر إلى عقائد الغيب، وربما كانت له أسبابه، لكنها أسباب بانسة ومحددة. إنه السبب الخاصة بالنلمة عندما تقف أمام الجردة. وإذا ما انتهى الأمر بالبحيرة النافذة إلى اللافعل، فهل نشك فيها؟ وهل هي بذلك لاتخفي نوعاً من العسة؟ إن مهمة أبطال

3

العسكري عندما يقفز وهو محمّل بالبارود، كابرال هو جندي بطل متوج بأكاليل الغار، قد تشير إلى رؤية علوية ولحظة خاطفة تطلّ من خلالها على المطلق الذي يتجاوز حدود الوعي (لا تطلب ذلك من أحد جنود الصف)، إنه التوهج العقلي في الساعة الثالثة صباحاً ومن على السرير وبعد أن دُخِن نصف السجارة، وبالتالي أصبحت أقل قدرة وفعاليةً من بصيرة إنسان غبي.

تحدث عن هذا كله مع لاماجا التي استيقظت من نومها، وكانت تقترب منه وكأنها تموء من غلبة النعاس. فتحت لاماجا عينيها وأخذت تفكر ثم قالت:

- أنت لا تستطيع، أنت تفكر كثيرا قبل أن تقدم على فعل شيء.

- إنني أنفذ المبدأ القائل بأن التمعن يجب أن يسبق العمل أيّتها الحفقاء.

- قالت لا ماجا: تنفذ المبدأ، ياله من أمر معقد، إنك مثل شاهد، إنك مثل من يذهب إلى المتحف ويشاهد اللوحات. وما أريد أن أقوله إن اللوحات هناك، قائمة وأنت في المتحف قريبا وبعيد في الوقت ذاته. أنا لوحة وروكامادور هو أيضا لوحة. وأنت تعتقد أنك في هذه الحجرة ولست هناك. إنك تنظر إلى الحجرة ولست فيها.

- قال أوليفيرا: إن هذه الفتاة سوف تستهزئ بسانتو توماس.

- قالت ماجا: لماذا القديس توماس؟ أليس أحق؛ لأنه كان يريد أن يرى ليؤمن؟

- قال أوليفيرا: بلى يا عزيزتي. وهو يفكر في أن لاماجا أشارت إلى القديس الحقيقي. ياله من امرأة سعيدة لقدرتها على الإيمان دون أن ترى، وأنها تستطيع أن تشكل شيئا ملموسا بالاستمرار في الحياة. ياله من سعيدة إذ إنها داخل الحجرة من حقها المدينة في كل ماتلمس وتتعايش معه. إنها سمكة تعيش عند مصب النهر، وهي ورقة في الشجرة وسحابة في السماء، وصورة شعرية في قصيدة. سمكة وورقة وسحابة وصورة: هذا هو بالضبط إلا إذا

(84 -)

4

بهذه الطريقة بدأ فى التجوال فى باريس الرائعة وتركنا نفسيهما ليقودها توجه الليلة، كما أذعنا لمسارات نجمت عن مقولة المتسول، أو عن نافذة حجرة ذات سقف مائل مضاءة فى آخر شارع مظلم، متوقفين فى الميادين الصغيرة المظلمة التى يباح فيها بالأسرار ليتبادلا قبلة على أحد المقاعد أو تأمل الخطوط العرضية والطولية للعبة الحجلة^(١) والطقوس الطفولية المكونة من الحصية والقفز بقدم واحدة للدخول إلى السماء. كانت لاماجا تتحدث عن صديقاتها فى مونتيديو، وعن سنوات الطفولة، وعن شخص يدعى ليديسما، وعن أبيها. بينما ينصت أوليفيرا دون رغبة وهو يتألم بعض الشيء لعدم قدرته على الاهتمام بما تقول، كانت مدينة مونتيفيديو مثل بوينوس أيرس كما كان فى حاجة إلى توطيد نقطة هشة يقاطعها عندما [ما الذى يفعله الآن ترافلر، ذلك الهائم على وجهه، وأى مشاكل طريقة أوقع نفسه فيها منذ رحيله؟ وكذلك البلهاء المسكنة جيكربتن Gekrepten ومقاهى وسط المدينة] ولهذا كان ينصت إليها مكرها، كما كان يستخدم غُصينا يرسم به على الحصى، بينما تشرح له ماجا السبب فى أن كلا من شيمب وجراثيلا كانتا فتاتين طبيبتين، وكم تأملت هى لأن لوثيانا لم تذهب إلى المركب لوداعها. كانت لوثيانا Snob، وهذا لا يمكن لا أن تتحمله بالنسبة لأحد.

سأل أوليفيرا وقد أبدى شيئا من الاهتمام: مامعنى كلمة Snob؟

- حسن.

قالت لاماجا وهى مطأطئة الرأس وقد علا وجهها تعبير يسبق قول واحدة من الترهات: حسن.

- أنا جئت فى الدرجة الثالثة، لكنى أعتقد أننى إذا ماحجزت فى الدرجة الثانية لكانت قد أتت لوثيانا لوداعى.

قال أوليفيرا:

- إنه أفضل تعريف سمعته على الإطلاق.

قالت لاماجا:

- كما أن روكامادور كان هناك.

وبهذه الطريقة عرف أوليفيرا بوجود روكامادور فى مكان يسمى فى مونتيفيديو -

بتواضع - كارلوس فرانتيسكو. لم يبدُ على لاماجا أنها مستعدة للبوح بالكثير عن

4

جنور روكامادور اللهم إلا رفضها لحالة إجهاض، لكن هاهى قد بدأت تأسف لما فعلت - لكننى لا أ سف لذلك فى حقيقة الأمر فالمشكلة هى كيف سأحيا، فمدام إيرينى تقبض منى مبلغا كبيرا، وعلى أن ألقى دروسا خصوصية فى الغناء، وكل هذا مكلف، لم تكن لاماجا تعرف جيدا السبب الذى من أجله جاءت إلى باريس. وأدرك أوليفيرا أنه لو حدث لبس فى اتجاه الرحلة أو شركة السياحة وتأشيرات السفر لكان قد انتهى بها المطاف فى سنغافورة أو رأس الرجاء الصالح، والأهم لديها كان يتمثل فى مغادرة مونيغيديو، وأن تجد نفسها وجها لوجه مع ماتسميه هى بتواضع شديد «الحياة»، والميزة التى كانت لها فى باريس هو معرفتها الجيدة بالفرنسية، وبذلك يمكن مشاهدة أفضل اللوحات والأفلام؛ أى الثقافة فى أشهر تعبيراتها. كان قلب أوليفيرا يحن لهذا الوضع (كان روكامادور بالنسبة لماجى وسيلة للانخراط فى الطبقة البرجوازية، وهذا ليس بطيب، دون أن تعرف السبب) وكان يفكر فى واحدة من أجمل صديقاته فى بوينوس أيرس اللاتى هن غير قادرات على الذهاب بعيدا عن بحر بلاتا Mar del Plata رغم الكثير من المفاهيم الميتافيزيقية والرغبات الجارفة فى الحصول على خبرة كونية. لكن هذه الصغيرة تحمل طفلا صغيرا فى يدها قد صعدت على متن مركب ووجدت لنفسها مكانا فى الدرجة الثالثة ورحلت لتدرس الغناء فى باريس دون أن يكون فى جيبها مليم واحد. والأدهى من هذا أنها الآن تقوم بإعطائه دروسا حول طريقة التأمل والنظر، وهى دروس يثق فى صحتها، اللهم إلا وقفاتها المفاجئة فى الشارع لتسترق النظر إلى أحد الممرات: حيث لا يوجد شئ، لكن عندما تلمح هناك شيئا من الخضرة أو الضوء تدخل بطريقة تلقائية حتى لا تتضايق البوابة ثم تطل على المنور الكبير حيث قد تجد فى بعضها تمثالا قديما أو إحدى الأصص الكبيرة وبها نبات اللبلاب أو قد يكون المنور خاويا اللهم إلا البلاط المستدير المتهاك وبعض الطحالب الخضراء على الحوائط وعينه لساعاتى أو عجوز يجلس إلى الظل فى أحد الأركان والقطط الكثيرة التى تموء هنا وهناك السوداء منها والبيضاء وقد سيطرت على الزمن وعلى البلاطات الدافئة وقد أصبحت صديقة دائمة للاماجا التى كانت تجيد مداعبتها فى منطقة البطن، وتتحدث إليها بلغة تجمع بين البلاهة والغموض وكأنها معهم على مرعد ثابت، وتسدى النصائح وتطلق التحذيرات، وفجأة كان أوليفيرا يستغرب نفسه وهو يسير مع لاماجا، ولم يكن من

4

المجدى التعبير عن سخطه، ذلك أن أكواب البيرة كانت تقلب فوق لاماجا أو أن يقوم بإخراج رجله من تحت المائدة حتى يتعثّر فيها النادل ويبدأ فى صَبّ لعناته. كان سعيدا رغم أنه كان مغتاضا طوال الوقت بسبب بسيط وهو أن الأشياء لاتتم كما يجب أن يكون، وكذلك تجاهل الأرقام الكبيرة للحساب، ورغم ذلك تقف مشدوهة أمام أبسط الأمور أو أن تتوقف فى وسط الشارع، (بينما سيارة الرينول السوداء تفرمل على بعد مترين منها ثم يطل السائق برأسه ويلعن ويسب بنعمة فيها صعلكة) كانت تتوقف كأنها تريد أن ترى شيئا وهي فى منتصف الشارع مثل منظر للبانتيون Panteón أفضل بكثير من مشاهدته عن قرب، إلى غير ذلك من أمور من هذا القبيل.

كان أوليفيرا يعرف كلا من بيريكو ورونا. كما قدمته لاماجا إلى إيتين، وهذا بدوره قدمهما إلى جريجوروفوس Gregorovius. أخذ «نادى دى لاسيربينتى» C. de la Serpiente يتشكل أثناء ليالى سان جيرمان دى باريس. كان الجميع يقبلون لاماجا فى الحال، وكأنه تواجد طبيعى لامناص منه رغم أنهم قد يسخطون، إذ كان عليهم أن يفسروا لها كل مايقولون أو أن تقوم هى بإلقاء ربع كيلو من البطاطس المقلية فى الهواء، وذلك لأنها لاتستطيع استخدام الشوكة بطريقة جيدة، وكثيرا مايهبط الطعام المقلّى على الناس الذين هم على المائدة المجاورة، ولم يكن هناك مخرج إلا طلب الصفح أو أن يقول إن لاماجا غير واعية بما تفعل، لم تكن لاماجا تتصرف جيدا فى دائرة المجموعة، وقد أدرك أوليفيرا أنها تفضل أن ترى كل واحد من أفراد النادى على حدة، وأن تخرج إلى الشارع بصحبة إيتين أو بابس، وأن تضعهما فى عالمها دون أن تقصد ذلك أبدا لكنها تضعهما هكذا؛ لأنهما أناس لاينتظرون شيئا آخر إلا الخروج عن المسار المرسوم للأتوبيسات والتاريخ، وبذلك فإن كل أعضاء النادى كانوا يدينون بالشكر لماجا بشكل أو بآخر رغم أنهم قد يغرقونها بالسبب لأقل الأسباب. كان إيتين واثقا من نفسه كأنه كلب أو صندوق كان يقف جامدا عندما توجه إليه لاماجا واحدة من عباراتها المعهودة أمام آخر لوحاته، حتى إن بيريكو روميو كان يتعطف بالقول بأن - كل - صفات - الأنثى - تجتمع - عند - لاماجا. ظلا طوال أسابيع أو أشهر (كان من الصعب على أوليفيرا أن يعدّ الأيام وهو سعيد بلا مستقبل) تجولا وتجولا فى باريس وهما يتفرجان على أشياء ويتركان نفسيهما للأحداث التى تقع ويتحابان

4

ويتعاركان، كل ذلك بغض النظر عن الأخبار التي ترد في الصحف اليومية والواجبات الأسرية وأى صيغة أخرى من الضرائب الحكومية أو الأخلاقية.
- فلنستيقظ.

كان أوليفيرا يتقوّه بهذه الكلمة بعض المرات.
- لماذا؟

كانت لاماجا تجيب وهي تنظر إلى المركب المربعة الشكل وهي تمر تحت كوبرى Pont Neuf - توك، توك، هل فى رأسك عصفور. توك، توك ينقر فى كل لحظة، إنه يريد أن تقدم له طعاما من الأرجنتين. توك، توك.
- كان يهمهم :

- حسن، لاتخلطى بينى وبين روكامادور. سوف ينتهى الأمر إلى أن نتحدث باللغة الجليجليكية^(٣) "gliglico" مع عامل المخزن أو البوابة، وبذلك يحدث هرج ومرج. انظرى إلى هذا النمط الذى يسير خلف السوداء.

- إننى أعرفها، إنها تعمل فى مقهى بشارع بروڤنس Provence. إنه شغوف بالنساء ،وهذا المسكين معروف بذلك.
- هل حدث شئ من السوداء معك؟

- بالطبع، وبغض النظر عن هذا فقد أصبحت صديقتي وأهديتُ لها اصبع أحمر الشفاه الخاص بى كما أهدتني هي كُتُيباً لمؤلفَ اسمه Retef، لا .. انظر ... Retif^(٤)
- نعم أتفهم الأمر. هل أنت متأكدة أنك لم تضاجعيها؟ لابد وأن الأمر مثير للفضول وخاصة فى حالة امرأة مثلك.

- هل ضاجعت أنت رجلا يا أوراثيو؟
- بالطبع: إنها التجربة.

كانت لاماجا تنظر إليه بغیظ وهي تظن أنه يسخر منها بسبب غیظه مما قالت له عن العصفور الذى يسكن رأسه توك توك، من ذلك العصفور الذى يطلب منه طعاما أرجنتينيا. وعندئذ قفزت عليه، وقد فاجأ ذلك زوجين كانا يسيران فى شارع / سان سوبليس San Suplice، وأخذت تنعكش شعره وهي تضحك. وحاول أوليفيرا أن يمسك بذراعيها وضحك كلاهما، بينما الزوجان ينظران إليهما. كان الرجل على وشك

4

الابتسام أما الزوجة فقد هالها هذا النوع من السلوك.
اعترف أوليفيرا:

– عندك حق، لا علاج لي؛ إذ أتحدث عن الاستيقاظ بينما أنا على مايرام نائما.
كانا يتوقفان أمام فترينة لقراءة عناوين الكتب. وكانت ماجا تسأل وتسترشد
بالألوان والأشكال. كان يجب تصنيف فلويير، وأن يقول لها من هو مونتسكيو، وأن
يفسّر لها كيف كان الروائي ريمون رديجيت⁽⁵⁾ R. Radiguet والتحدث إليها عن العصر
الذي عاش فيه الروائي تيوفيل جوتيير⁽⁶⁾ T. Gautier كانت ماجا تنصت وهي ترسم
بإصبعها على الفترينة، «هناك عصفور في رأسك يطلب منك أن تقدم له طعاما
أرجنتينيا». كان أوليفيرا يفكر بصوت مسموع «يالى من مسكين»
– كان يقول لها :

– لكن ألا تدركين أنك بهذه الطريقة لن تتعلمى شيئا ياعزيزتي؟
إنك تريد أن تثرى نفسك ثقافيا في الشارع وهذا غير ممكن، ولهذا عليك أن
تشتري في مجلة Reader's Digest.
– أه، لا لهذه القذارة.

«عصفور في الرأس» كان أوليفيرا يردد، ليس هي بل هو. لكن ما الذى يوجد في
رأسها؟ إنه هواء أو صوت قديم، إنه شئ لايجيد التلقى. لم تكن الرأس التي يوجد بها
المركز. «اغمض عينيك واضرب الهدف». كان يفكر أوليفيرا «إنه نظام زن⁽⁷⁾ Zen
الخاص بالتشنين بالقوس، لكن كان يصيب الهدف، ذلك أنه لايعرف أن ذلك هو النظام.
أما أنا فعلى العكس توك توك «وهكذا ننعن».

عندما كانت ماجا تتساءل بشأن مسائل مثل فلسفة زن Zen (كانت أمور يمكن أن
تحدث في النادى، حيث تتحدث دوما عن تطاعاتها وعن حكم قديمة حتى يظن أنها
ليست سطحية، وعن الوجه الآخر للميداليات، وعن الوجه الآخر للنقمر). كان
جريجوروفيفوس يجتهد في أن يشرح لها مبادئ الميتافيزيقا، بينما يرشف أوليفيرا كأس
البرمود وينظر إليهما بتلذذ. لم يكن من الحكمة شرح أى شئ لاماجا. كان الروائي
فاكونير⁽⁸⁾ Facounnier على حق في رأيه في أناس على شاكلتها؛ إذ كان الغموض يبدأ
مع بداية الشرح. كانت لاماجا تستمع إلى الكلام عن هذه القضايا وتلك الأمور وتفتح

4

عينها الجميلتين اللتين تقطعان جبل الميتافيزيقا على جريجوروفويوس. وفي النهاية تقنع نفسها بأنها فهمت الـ زن Zen وتتهدد بعمق. كان أوليفيرا وحده يرى ماجا وهي تنتظر بين الفينة والأخرى إلى تلك الشرخات الكبرى التي كانوا جميعا يبحثون عنها بطريقة جدلية.

كان ينصحها:

- لا تتعلمي بيانات بلهاء - لماذا تشتتين نظارة رغم أنك لست في حاجة إليها؟ كانت لاما جا تنق وتعجب كثيرا بكل من أوليفيرا وإيتين، فهما قادران على النقاش طوال ساعات ثلاث دون توقف. كان يوجد ما يشبه دائرة من الطباشير حول إيتين وأوليفيرا. وكانت هي تريد دخول تلك الدائرة وتترك السبب في أن مبدأ اللاتحديد كان مهما جدا في الأدب، ولما كان مورلي، الذي كانا يتحدثان عنه كثيرا وشديدي الإعجاب به، يريد أن يحول كتابه إلى كرة زجاجية، حيث يجتمع الكونان الصغير والكبير في رؤية فيها التلاشي.

كان إيتين يقول :

- من المستحيل أن أشرح لك هذا، إن ذلك هو الميكانو Meccano رقم 7 ، وأنت لاتزالين عند الرقم 2.

تشعر لاما جا بالحزن، وكانت تأتي بورقة صغيرة من أوراق الشجرة وتضعها على حافة الطريق، وتجلس لتتحدث إليها بعض الوقت وكانت تأخذها في كف يدها وتجعلها تنام على ظهرها أو على بطنها، وتقوم بتسريح شعرها، وينتهي بها الأمر إلى أن تنتزع منها الحشو وتتركها كهيكل فتصبح شبحا أخضر اللون وقد أخذت ترسم على جلدها. كان إيتين ينتزعها منها في حركة بها فظاظة وينظر إلى الضوء من ورائها. كانوا يعجبون بهذه الأشياء على هذه الشاكلة، وقد اعتراهم بعض الخجل لفظاظتهم معها، وكانت لاما جا تنتهز الفرصة لتطلب نصف لتر آخر من الشراب وبعض البطاطس المقلية إذا ما كان ذلك ممكنا.

(71 -)

5

كانت أول مرة في فندق بشارع/ قاليت Valette. كانا يسيران هائمين ويتوقفان بين الحين والآخر أمام مداخل المنازل، والمطر على شكل رذاذ يثير الضيق خصوصاً بعد تناول الطعام لأبد من عمل شيء للحيلولة دون الوقوف تحت هذا التراب المتجمد، ولنزاع هذه المعاطف التي تفوح منها رائحة الكاوتش. وفجأة التصقت لاماجا بأوليغيرا وتبادلا النظرات كأنهما اثنتين من البلهاء، فندق، كانت العجوز واقفة خلف المكتب الملى بالصدأ، بادلتها التحية المتفهمة، وأى شيء يمكن للمرء أن يفعله في ظل هذا الطقس الرديء؟ العجوز عرجاء، كانت تجر إحدى رجلتيها، يتألم المرء كثيراً عندما يشاهدها وهي تصعد السلم درجة درجة وتتوقف في كل واحدة لتجرّ الرجل المصابة، واستمرت على هذا المنوال حتى الدور الرابع، كانت تفوح رائحة شيء طرى، ربما كان شوربة، فعلى السجادة الموجودة في الممشى هناك بقعة زرقاء اللون كأنها جناحان، كان للحجرة نافذتان عليهما ستارة حمراء تم رفوها وملئته بالرقع، كان هناك ضوء مبلبل يتسلل كأنه ملاك إلى السرير ذي المفروش الأصفر.

حاولت لاماجا بطريقة بريئة أن تكون أدبية فوقفت إلى جوار النافذة وهي تتصنع النظر إلى الشارع، بينما أوليغيرا يتأكد من ترباس الباب، لأبد وأن يكون هناك تعليمات لاستخدام هذه الأشياء، وربما كان هذا هو ما يحدث له بصفة دائمة. وأول شيء كان يفعله هو وضعحافظة النقود على الترابيزة والبحث عن السجائر والنظر إلى الشارع وتدخين سيجارة بعمق ثم التعليق على ورق الحائط والانتظار، والانتظار والقيام بكل ما يجعل الرجل مهياً، وأن تكون الفرصة والوقت مهيئين أمامه للمبادرة. وفي لحظة معينة أخذاً يضحكان فقد كانا على قدر كبير من السذاجة لقياً بغطاء السرير الأصفر في أحد الأركان فأصبح كأنه دمية غير مركبة جيداً ومسنودة للحائط.

تعودا إجراء مقارنة بين مفارش الأسرة والأبواب واللمبات والستائر. كانت حجرات الفنادق من الدرجة الخامسة أفضل من فنادق الدرجة السادسة بالنسبة لهما. لكن لم يكن لهما أى حظ في فنادق الدرجة السابعة، فقد كان يحدث أى شيء مثل وقع ضربات في الحجرة المجاورة أو أن مواسير التدفئة كان يصدر عنها صوت رهيب، كان أوليغيرا قد روى لـ لاماجا حكاية تروپ مان^(١) Troppmann فكانت تنصت إليه وهي ملتصقة به. كان عليه أن يقرأ قصة تورجانييف Turguéniev. وكان كل شيء عليه قرأته طوال هذين العامين عجيباً (لايعترف لماذا كانا اثنتين). وفي يوم آخر يحكى قصة بيتيوت Petiot

5

ومرة أخرى يعود إلى فايدمان Waidmann ومرة أخرى كريست Christe. كان الفندق يفتح شهيتهما دائما للحديث عن الجرائم. إلا أن لاماجا أحيانا ما تغزوها موجة جد فتسأل، وهى تنظر إلى السماء الصافية، عن المدرسة السينية فى الرسم Sienes وفيما إذا كانت ضخمة كما يؤكد ذلك إيتن، وإلا فإن الأمر يتطلب الاقتصاد حتى يتم شراء جهاز إسطوانات، وعن أعمال هوجو وولف التى أحيانا ماتت رنج بها ثم تتوقف فى منتصف الطريق وقد نسيت البقية واعتراها الغيظ مما حدث. كان طبيب أوليفيرا ممارسة الحب مع لاماجا، فلا شئ أكثر أهمية عندها من ذلك، كما أنها تمارسه بطريقة يصعب فهمها، كانت وكأن المتعة تسيطر عليها، كانت تجد نفسها فيها للحظة، ولهذا كانت تتمسك بهذه اللحظة وتطيلها. إنها مثل لحظة الاستيقاظ ومعرفة الاسم الحقيقى. وبعد ذلك يعتريها خمول فتسقط فى منطقة كأنها الغروب وهذا ما كان يسعد أوليفيرا الذى يخشى الكمال دوما. إلا أن لاماجا كان تعاني بالفعل عندما تسترجع ذكرياتها وكل ما كان عليها أن تفكر فيه ولا تستطيع. فى هذه اللحظة كان من الضروري تقبلها قبله حارة، وتشجيعها على ممارسات أخرى، وأحيانا تنمو وهى تحته فتسك به بشدة وتتحوّل كأنها حيوان مسعور وقد تحجرت نظراتها والتوت يديها نحو جسمها، وأصبحت غامضة وعجيبة كأنها تمثال يطوف بأحد الجبال ويحاول أن ينتزع الزمن بأظافره وسط الزغطة وشخير شكاء يمتد إلى مالا نهاية. وذات ليلة ضربت فى جسده بأسنانها وعضته فى كتفه حتى سالت منها الدماء، لأنه كان يسير جانباً وقد اعتراه بعض الشرود. ثم كان هناك اتفاق غامض دون كلمات منطوقة. شعر أوليفيرا وكأن لاماجا تنتظر موته وهو شئ لم يمثل فيها «أناها» المستيقظة أو طريقة غامضة تنادى بالإفناء، أى ضربة السكينة المرفوعة التى تهبط ببطء فتقضى على نجوم الليل وتعيد المكان إلى الأسئلة والرعب. لكنه هذه المرة خرج عن طوره وكأنه مصارع أسطورى، تعنى المصارعة بالنسبة إليه إعادة الثور إلى البحر والبحر إلى السماء، فجعل لاماجا تقضى ليلة مليئة بالفكر لدرجة أنهما لم يتحدثا بعد ذلك عن هذه الليلة إلا قليلا وجعلها باسيفاي Pasifae^(٦) قام بتطبيقها واستخدمها كأنه يافع وعرفها وطالبها بأن تتصرف كما ينبغي مثل باقى الساقطات. قام بتجليلها وأخذها بين ذراعيه ورائحة الدم تقوح منها وجعلها ترتشف المني الذى يسيل من الغم وكأنه نوع من تحدى لوجوس Logos قام بمصّ تجاعيد بطنها والأرداف ورفعها لتكون فى مواجهته وليدنها من نفسها

5

فى هذه العملية الأخيرة للتعارف التى يمكن للرجل وحده أن يؤديها المرأة. آثار غيظها فى جلدنا وشعرنا واللغاب والشكوى، وأفرغ كل ما فيها حتى آخر نقطة من عافيتها وألقى بها على مخدة وملاءة وشعر بها وهى تبكى من السعادة وهى مستندة إلى وجهه، وأن سيجارة جديدة كانت قد أعادتها إلى الليلة فى تلك الحجرة وذلك الفندق.

شعر أوليفيرا بالقلق بعد ذلك من أن تظن أنها مترعة، وأن الألعاب قد تتحول إلى توضحيات. كان يخشى فى الأساس الشكل الناعم للرقعة التى تتحول إلى حب كانه حب الكلاب. لم يكن يريد أن تتحول الحرية، وهى اللباس الوحيد الذى تليق فيه لاماجا إلى أنوثة طيعة وحريصة. شعر بالهدوء، ذلك أن عودة لاماجا إلي القهوة السوداء والاعتسالى فى البيديه رافقها نوع من السقوط فى أسوأ أنواع الإيهام. لقد عوملت أسوأ معاملة فى تلك الليلة وقد انفتحت على مسام مكان ينبض ويتمدد، وكان وقع أول الكلمات على هذا الجانب بمثابة ضربات سوط ثم كانت عودتها إلى حافة السرير كأنها هلع متزايد يبحث عن مباعدة نفسه من خلال الابتسامات والأمال الغامضة. كل هذا جعل أوليفيرا يشعر بالرضا. ولما لم يكن يحبها، كما أن الرغبة سوف تنحسر (فهو لم يكن يحبها وسوف تنحسر الرغبة) ويحاول أن يباعده نفسه عن أى نوع من التوضيحية وكأنه يتقى شر الوباء. وطوال أيام، وطوال أسابيع، وطوال عدة شهور مارسا الحب فى كل حجرة فى فندق وفى كل ميدان وعلى كل الأوضاع وكل طلعة نهار فى إحدى مقاهى الأسواق السيرك العنيف، والعملية الخفيفة، والتوازن البصير. وبهذه الطريقة عرف أن لاماجا كانت تأمل أن يقوم أوراثيو بقتلها، وأن يكون القتل فريداً من نوعه، أو أن يؤدي إلى الدخول فى مصاف الفلاسفة، أى أن يكون حديث الأعضاء فى «نادى لاسيربينتى» La Serpiente : كانت تريد أن تتعلم وأن تبني نفسها. وكان أوراثيو يحظى بالإطراء، وأنها تتاديه ليقوم بمهام مقدم قرابين التطهير، ولما لم يكن هناك بد من التقائهما، ففى الحوار يتضح أنهما مختلفان، وكل واحد منهما يسير فى طريق مضاد، (وهذا ماكانت تعرفه هى وتدركه جيداً)، لهذا فإن الطريقة الوحيدة للقاء هو أن يقتلها فى الحب؛ حيث تتمكن من لقائه فى سماء غرف الفنادق وتحدث المواجهة بينهما وهما متكافئان ولايغطى جسدهما شئ، هناك فقط يمكن بعث المستحيل بعد أن يكون هو قد خنقها بعذوبة، وأن يترك خيط لعبابه يسقط فى الفم المفتوح وهو ينظر إليها جامداً، وكأنه يعود للتعرف عليها من جديد، وتكون هى ملكة فى الحقيقة، ويأخذها إلى جواره.

(- 81)

6

كانت الطريقة هي التواعد، بشكل غير واضح، على اللقاء في أحد الأحياء في ساعة معينة. يروق لهما تحدّي خطر اللّلقاء وقضاء اليوم كلّ وحده بجتر غيظه وهو جالس في أحد المقاهي أو على أحد المقاعد في ميدان من الميادين أو قراءة - كتاب - آخر. وأوليفيرا هو صاحب نظرية كتاب - آخر، وقبلتها على سبيل التراضي؛ فالأمر بالنسبة لها يعني أن كل الكتب تعنى كتاب - نقص، وكانت تؤدّ لو أنها شديدة التعطش طوال زمن لانهاثي (يقدر طوله بحوالي ثلاث أو خمس سنوات) لقراءة جوته وهوميرس وديلان توماس Dylan Thomas وماوريك^(١) Mauriac وفالكنر Faulkner وبودلير وروبرتو أرلت R. Arlet والقديس أوغسطين إلى غير ذلك من الأسماء التي يترد ذكرها أثناء الحوارات التي تدور في النادي. كان أوليفيرا يرد على ذلك بهز كتفيه باحتقار ويتحدث عن التشوهات التي أحدثها نهر البلاتا في سلالة من القراء جاءت في الوقت الضائع ومكتبات تغص بمذيعات العلم غير مؤمنات بالشمس والحب وقد جنّ من بيوت طغت فيها رائحة حبر المطبعة على جمال رائحة الثوم. كان في تلك الآونة يقرأ القليل؛ إذ كان مشغولا آنذاك بمشاهدة الأشجار والخيوط الرقيقة التي كان يجدها ملقاة على الأرض، وكذلك الأفلام القديمة في مكتبة السينما ومطاردة النساء في الحى اللاتيني. وأدى عدم وضوح اتجاهاته الثقافية إلى دخوله في تأملات لا طائل من ورائها، وعندما كانت لاماجا تطلب منه العون، أى تحديد تاريخ معين أو شرح أمر ما كان يزودها بها دون اهتمام وكأنها أمور غير مفيدة «الأمر أنك تعلم ذلك» كانت تقول بشئ من النعمة. وبالتالي كان يحاول أن يشرح لها الفرق بين العلم بالشئ ومعرفته ويقوم بتدريسيها على ذلك، لكن لاماجا لم تكن ملتزمة بالتمارين التي تصيحبها بخيبة الأمل.

وإذا ماكانت هناك منطقة لم يزورها قبل ذلك يتواعدان هناك، وغالبا مايلتقيان. كانت اللقاءات أحيانا لاتصدق لدرجة أن أوليفيرا كان يطرح من جديد مشكلة الاحتمالات، ويتناولها من كل جانب بشكل فيه ريبة. ألا يحتمل أن لاماجا قررت أن تدخل في هذا الاتجاه عند ناصية شارع/ فوجيراد Vaugirard في اللحظة التي قرر هو فيها عدم مواصلة السير في شارع بوسي^(٢) Buci قبل الناصية التي دخلت فيها بخمس نواصٍ أخرى، وأخذ وجهته إلى شارع/ موسيولويريس Monsieur le Prince دون أدنى سبب، وقد ترك العنان لنفسه ليحدها فجأة أمامه واقفة تتأمل إحدى الفترينات وقد

6

استغرقت في تأمل قرد محنّط. وعندما يجلسان في أحد المقاهي يقوم كل واحد منهما بالحديث تفصيلياً عن مساره والتغيرات المفاجئة التي حدثت ويحاول أن يشرحها وكأنها نوع من تراسل الأفكار، ثم الفشل في ذلك، ومع هذا التقيا وسط هذه الغابة المتشابكة من الشوارع، وغالبا ماكانا يلتقيان ويضحكان كائهما مجنونان، أو كائهما واثقين من قوة تزيدهما ثراء. كان أوليفيرا شغوفاً بالسلوكيات اللاعقلانية التي عليها لاماها بما في ذلك احتقارها الرزين للعمليات الحسابية البسيطة. وماكان بالنسبة له عملية تحليل الاحتمالات القائمة واختيار أحدها أو الوثوق ببساطة في التنبؤات، كان يبدو لها شؤماً. «وإذا لم تجدني؟» كانت تسأله. «لست أدري لكن هأنت هنا...». كانت الإجابة تجعل السؤال المطروح في غير محله، وكانت تظهر ابتذال أسسه المنطقية. وبعد ذلك كان أوليفيرا يشعر بأنه أكثر قدرة على الصراع ضد ماهو مدون في الكتب. وعلى النقيض من ذلك كانت لاماها تنزلق بفضل هذا الاحتقار إلى معلوماتها المدرسية. هكذا كانا وكائهما الثنائى بونش أند جودى^(٣) Punch and Judy متنافران ومتجادبان، وكان الأمر أنه عندما لا يكون هناك حب فإنه يتحول إلى صورة ملونة أو إلى نبات حميض دون أية كلمات. لكن الحب، هذه الكلمة...^(٤)

(7 -)

ألمس فمك بإصبع واحد، ألمس حافة فمك، وسوف أرسمها كما تخرج من بين يدي، وكأن فمك يفتح قليلاً لأول مرة، ويكفي أن أغمض عيني لأموح كل شيء ثم أبدأ من جديد، وهكذا في كل مرة يولد الفم الذي أعشقه، أرى الفم الذي تختاره يدي وترسمك في الوجه، إنه فم تم اختياره من بين كل الأفواه وبحرية كاملة اخترته لأرسمه بيدي في وجهك وعلى سبيل الصدفة التي لا أود تفسيراً لها يتطابق مع فمك الذي يبتسم تحت يدي التي ترسمه لك.

تنظرين إليّ، وبالقرب تنظرين إليّ، وتقتربين رويداً رويداً، وعندئذ نلعب لعبة السيكلوب^(١) وينظر كل منا للآخر كلما اقترب منه ثم تتضخم العيون وتقترب من بعضها البعض، وتتضخم كل عين إلى الأخرى، وينظر السيكلوبان كل للآخر وقد اختلطت أنفاسهما ثم تتلاقى الأفواه بطريقة دافئة وتغض كل فم الشفتين ولا يكاد اللسان يستند إلى الأسنان بل يظل كل لسان يتحرك في مكانه: حيث يدخل ويخرج هواء ثقيل له رائحة قديمة وصمت، عندئذ تقوم يدي بإغراق نفسها في شعرك ومداعبة أعماق شعرك ببطء ونحن نتبادل القبلات، وكأن الفم قد امتلأ بالأزهار أو الأسماك أو الحركات الملينة بالحيوية والرائحة الغامضة، وإذا ماعضضنا بعضنا فإن الألم لذيذ، وإذا ماغرقتنا في تلاشٍ مؤقت وعميق، وأن يمتص كل واحد منا نفس الآخر فإن هذا الموت الفوري جميل. فهناك ألعاب واحد وطعم واحد، لفاكهة ناضجة، أما أنا فأشعر وأنت ترتعشين إلى جوارى، كأنك على صفحة الماء.

8

كنا نذهب في المساء لنشاهد الأسماء على رصيف ميناء Quai de la Mégisserie خلال شهر مارس، شهر تقلبات الطقس، نذهب إلى المخبأ الذي يدخله ضوء الشمس الأصفر الذي يميل إلى الاحمرار قليلا في كل يوم يمر، كنا نسير على الرصيف المطل على النهر ونحن غير عابئين ببائعي الكتب القديمة، فلن يعطونا شيئا مقابل، وكنا نتحين اللحظة التي نرى فيها الأحواض الزجاجية للأسماك (كنا نسير ببطء مؤخرين لحظة اللقاء)، فترى جميع الأحواض وهي معرضة للشمس، وكأن مئات من الأسماك معلقة في الهواء بألوانها الوردية والسوداء، العصافير الساكنة في هوائها المستدير. كانت السعادة الغامرة غير المفهومة تحيط بخصرينا، وكنت تغنين وتجدبينني لعبور الشارع والدخول إلى عالم الأسماك المعلقة في الهواء.

يرفعون أحواض الأسماك، وكذلك الحواجز الكبيرة إلى الشارع حتى يراها السياح والأطفال الشغوفون بها والسيدات الهاويات جمع مثل هذه المخلوقات الغريبة (550 فرنك للسמكة) وكانت الأحواض تحت الشمس وملحقاتها من الجرادل وخرطوم المياه التي تخططها الشمس بالهواء، بينما العصافير الوردية والسوداء تدور وهي ترقص فرحة في مساحة صغيره من الهواء، إنها عصافير بطيئة وباردة. كنا نشاهدها ونحن نقترّب بعيوننا من الزجاج لدرجة التصاق الأنف به، فتغضب لذلك البائعات الطاعنات في السن وهن يحملن شباك صيد الفراشات المائية. وكان فهمنا يزداد سوءا كل يوم عن ماهية السمك. لكننا كنا نواصل سيرنا في هذا الطريق ونقترب من السمك الذي لا يفهم كنا ننقل من حوض إلى آخر، وكنا شديدي القرب منها كأنها صديقتنا البائعة في المحل الثاني، والتي قالت لك وهي قادمة من بونت نوف Pont Neuf «الماء البارد يقتل السمك، إن من المحزن أن المياه الباردة...» وكنت أنا أفكر في خادمة الفندق التي كانت تسدي لي النصائح بشأن نبات السُرْحُس «لاتروه، وضع طبقا من المياه فقط تحت الأليصيص، وعندما يريد أن يشرب يفعل، وعندما يرفض لا يشرب...» وكنا نفكر أيضا في ذلك الشيء العجيب الذي قرأناه وهو أن وجود سمكة واحدة في الحوض يجعلها تصاب بالحنن، وعندئذ يكفي أن توضع أمامها مرآة فتسعد السمكة..

ندخل المحلات حيث المزيد من الأنواع الأكثر حساسية، وحيث العديد من الأحواض الخاصة التي بها ترمومتر وبعض الديدان الحمراء. كنا نكتشف، ونحن نستغرب ذلك، أن البائعات يغضبهن بعض التصرفات والحب وشكل السير، وكن متأكدات أننا لن

8

نشترى منهم شيئاً بسعر 550 فرنك للقطعة. كان الزمن اللذيذ وكأنه قطعة شيكولاته ناعمة المذاق أو مربى برتقال من مارتينكا التي كنا شديدي الإعجاب بها ونحدث عنها بالكثير من التشبيهات حتى نستطيع أن نصل إلى ماهيتها، هذه السمكة كأنها مرسومة بيد جيوتو Giotto ألا تذكرون؟. أما هاتان الأخريان فتلعبان كأنهما كلبان يلهتان. أو أن سمكة ما تعتبر ظل سحابة بنفسجية كنا نكتشف كيف أن الحياة تستكين في أشكال ليس لها البعد الثالث وأنها تختفي. إذا مابقيت على خط مستقيم أو تركت ولو شرطة وردية دون حركة رأسية في الماء، تكفى ضربة واحدة بالزعانف حتى تعود الحياة هناك من جديد بالعينين والزعانف التي تشبه الشارب والبطن البارز أحياناً، ويطفو هناك شريط شفاف من البراز الذي لم ينفصل عن جسم السمكة. وتكفى حصوة صغيرة تقذف فجأة حتى يأتى السمك بالقرب منا، وتجعله يتخذ أبهى وأنقى صورة، وتلزمه، وهذه الكلمة الأخيرة هي واحدة من الكلمات الكبيرة التي كنا نستخدمها في ناحية ما في تلك الأيام.

(93 -)

9

دخلا إلى شارع/ فانو Vaneau عبر شارع فارين Varennes. كان المطر يتساقط على شكل رذاذ، وازداد إمساك لاماجا بذراع أوليفيرا وازداد التصاقها بمعطفه الواقى من المطر الذى كانت تفوح منه رائحة الشورية الباردة. بينما إيتين وبيريكو يتناقشان فى تفسير العالم من خلال الرسم والكلمة. كان أوليفيرا يشعر بالملل فطوّق خصر ماجا بذراعه. يمكن أن يكون هذا بمثابة تفسير، وهو ذراع يضم خصرنا ناحلا ودافئا. كان يشعر بإيقاع حركة العضلات وهو يمشى وكأنه لغة ملحّة تشير الملل، أو كأنه منهاج برليتز^(١) Berlitz الذى يطبق بالحاح أد - ب - ك، أد - ب - ك، إنه ليس تفسيراً : إنه فعل محض ي- ح - ب، ي- ح - ب -، وبعد ذلك تأتى دوما أداة الربط. فكر أوليفيرا بطريقة نحوية، أنه لو تتمكن ماجا أن تدرك كيف أن الاستجابة للرغبة تشيرها، ويالها من طاعة وحيدة غير مجدية كما قال أحد الشعراء، وهى بخصرها الدافئ، وهذا الشعر الملبل الذى ينسدل على خدها، والجو العام للوحات تولوز لوتريك^(٢) Toulouse Lautrec الذى تبدو عليه لاماجا وهى تسير ملتصقة به. كانت أداة الربط أوالضمير النحوى هو البداية "Te quiero" فالتعدى أولاً ثم التفسير بعد ذلك وليس العكس. إنه نوع من اكتشاف الطريقة المضادة للتفسير، وأن عبارة أد - ب - ك، أد - ب - ك يمكن أن تكون صرّة العجلة والزمن؟ كل شئ يعود ليبدأ. ليس هناك مطلق، وبعد ذلك يجب تناول الطعام أو اللاتناول، فكل شئ تحدث له أزمة. فالرغبة كل عدة ساعات ليست شديدة الاختلاف وهى شئ مختلف فى كل مرة : إنها خدعة الزمن لخلق الاوهام «الحب مثل النار يظل مشتعلًا دائما وهو يتأمل الكل، لكنه سرعان مايسقط فى لغة تختلف عن المؤلف».

- يههم إيتين :

- تفسير، تفسير، إذا لم تُسمّوا الأشياء فإنكم لاترونها. وأن هذا يسمى كلب. وذلك يسمى منزل، كما كان يقول ذلك بطل قصة دوينو Duino. يا بيريكو يجب التبيان وليس الشرح: أُرسم إذن أنا موجود.

- قال بيريكو روميرو :

- تبيان ماذا؟

- تبيان الأسباب التى بها نعيش.

- قال بيريكو:

- هذا الحيوان يظن أن ليس هناك حواسّ أخرى غير البصر ومايتأتى عنه.

قال إيتين:

9

- إن الرسم هو أكثر من مجرد منتج مرئي، إنني أرسم بكل مافي، وفي هذا المقام لا أختلف عن ثيربانتس أو تيرسو ... إلخ، وما يجعلني أستشيط غضباً هوالهوس بالتفسيرات. والـ Logos يفهم فقط على أنه فعل.

- قال أوليفيرا وهو عكر المزاج :

- إلى آخره، إننا نتحدث عن الحواس، أما ما نتحدثون عنه فيبدو لي أنه حوار الصمّ. ازداد التصاق لاماجا بأوليفيرا «والآن سستطق هذه بواحدة من تفاهاتها» فكر هو، «إنها بحاجة للاحتكاك أولاً واتخاذ قرار لارجعة فيه»، شعر بيوع من الحنان الناقم. إنه شيء فيه تناقض كبير كأنه الحقيقة نفسها» لا بد من اختراع الكلمة اللدنية، ولسعة النحلة. لكن ماهية الماهيات في هذا العالم لم تكتشف بعد، إن بيريكو علي معنى نالسبب الأعظم gran Logos قائم، وبالأسف، ماينقص هو نداء الأثنى لقدمي الملمية الماتقبة، هي سبيل المثال، والضوء الأسود الحقيقي، ومضاد المادة الذي يجعل جريجوريغيرس يفكر كثيراً.

- سأل أوليفيرا :

- آه، هل سياتي جريجوروفويس للاستمارة الانطوانات؟ كان بيريكو يجب بنعم أما إيتين فيعتقد أنه بالنسبة لمونديريان^(٧) Mondrian.

- قال إيتين :

- تأمل قليلا في مونديريان، تختفي الإشارات السحرية لـ كلي Klee. وكان هذا الأخير يراهن على الصدفة وعلى قوائد الثقافة، فالحساسية المحضة يمكن أن تشفى غليلها مع مونديريان. أما بالنسبة لـ كلي فهناك الحاجة إلى مزيج من أشياء أخرى، إنه مصفى للاصفياء، انه صيني هي الحقيقة، أما مونديريان فهو يرسم المطلق، تقف أمام لوحاته عريانا تشاه، وبعد ذلك تكون النتيجة أحد أمرين : أنك ترى أو لا ترى. إن المتعة والزخرفة والفنوديت والرعب في اللذه تزيد عن حد الكمال.

- سألت ماجا :

- هل تفهم مايقول؟ أرى انه غير محق بالنسبة لـ Klee

- قال أوليفيرا وهو يشعر بالملل :

- العبد، والظلي ليس لهما علاقة بهذا، فما يريد أن يقوله هو شيء آخر، فطليك ألا تجعلني الأمر مسالا شخصية.

- لكن لماذا يقول هذا؟ هذه الأشياء الجميلة لاتخدم بالنسبة لمونديريان.

- إنه يريد أن يقول أن أعمال كلي Klee تحتم أن يكون المرء حاضرا لا غير دبلوم في الفن، إن المرء لا يمكن أن يفهم مونديريان يطالب بالتخصص في هذا الموضوع الأمر.

9

قال إيتين:

- ليس الأمر كذلك.

- قال أوليفيرا :

- إنه كذلك بالفعل، طبقاً لما قلته فإن لوحة من لوحات موندريان تكفي في حد ذاتها. فالأنا يتطلب منك براعتك قبل خبرتك، إننى هنا أتحدث عن البراعة الفردوسية وليس عن البلاهة. تأمل جيداً فى التشبيه الذى ذكرته وهو الوقوف عريانا أمام اللوحة. إنه تشبيه يذكر بما قبل آدم. وعلى النقيض من ذلك فإن كلى Klee هو أكثر تواضعاً؛ لأنه يطالب بالمشاركة المتعددة الجوانب من قبل المشاهد ولا يكتفى بنفسه. إن كلّى فى الواقع هو تاريخ، أما موندريان فيخرج عن نطاق التاريخ، وأنت تتمنى الوصول إلى المطلق، هل أشرح لك؟

- قال إيتين :

- لا: بالفضاعة. كيف تمطر !

- قال بيريكو :

- ها أنت تتحدث الفرنسية بـكذلك رونالد الملعون، الذى يعيش للشيطان.

- قال أوليفيرا :

- فلنسرع، وماعلينا إلا أن نقاوم المطر بأجسادنا.

- ها أنت تبدأ، إننى أفضل مطرك وبجاعتك، وكيف يسقط المطر فى بوينوس أيرس. هناك رجل يدعى بدرو مينوثا^(٤) P. Mendoza يتأمل فى أمر الذهاب لاستعماركم - المطلق. قالت ماجا وهى تضرب برجلها حصوة صغيرة فى تنقلها من نقرة مياه إلى أخرى ماهو المطلق يا أوراثيو ؟

قال أوليفيرا:

انظرى، هى تلك اللحظة التى يصل فيها شئ ما إلى أقصى عمقه، وإلى أقصى مدى يصل إليه وإلى أقصى معنى له، ويعد ذلك يفقد أهميته بالكامل.

- قال بيريكو :

- ماهو وونج Wong قادم ،الصينى قادم فى حالة يرثى لها كأنه شورية طحالب. رأوا فى الوقت ذاته جريجوروفوس الذى ظهر عند ناصية شارع بابيلون Babylone وهو يحمل - على عادته - حافظة أوراق مليئة بالكتب. توقف كل من وونج وجريجوروفوس تحت أحد أعمدة الكهرباء (بدا أنهما يستحمان سوياً) وأخذاً يتبادلان النحية فى جوييه شئ من الرسميات. وفى مدخل بيت رونالد سمع صوت إغلاق المظلة الواقية من المطر وأن فرداً ما يحاول إشعال عود ثقاب؛ لأن لمبة السلم كانت مكسورة. يالها من ليلة، وسمع

9

صعود غامض ثم وقفة عند أول صينية للسلم، ذلك أنه كان هناك اثنان يتبادلان القبلات وهما جالسان على إحدى درجات السلم ومستغرقين في تبادل القبلات.

- قال إيتين:

- هيا، هذا ليس أوان البلاءة.

- اصمت - أجب صوت مكتوم اصعدوا، اصعدوا، أنتم لستم بشرا، اصمتي يا عزيزتي.

- قال إيتين :

- يالك من تافه، إنه جى مونود، وهو صديق عزيز على.

كان رونالد وبابس ينتظرونهما في الدور الخامس وكل واحد منهما يحمل شمعة وتفوح منهما - رائحة الفودكا من النوع الرخيص. صدرت إيماءة عن وونج فتوقف الجميع على السلم وصدر عنه فجأة النشيد الخاص «بنادي الشعبان» C. de la Serpiente، ثم دخلوا إلى الشقة مهرولين قبل أن يخرج الجيران ليستطلعوا الأمر.

استند رونالد إلى الباب، كان يرتدى قميص كاورسات وكأنه أحد الهنود الحمر.

- إن المنزل محاط بالمناظير. حلت اللعنات، وفي العاشرة مساءً سوف يعيش هنا إله الصمت والويل كل الويل لمن يدنس هذه المقدسات. بالأمس أتى أحد سكان الأوار السفلية لتأنيبنا. يابابس، مالذي يقوله ذلك السيد الهمام؟

- يقول لنا: «شكاوى متكررة».

- قال رونالد وهو يقوم بمواربة الباب حتى يدخل جوى مونود Guy Monod:

- وما الذي نفعله نحن ؟

- قالت بابس وهي تخرج ضرطة عنيفة بفمها، وتلوح بذراعها إشارة جنسية:

- نحن نفعل ذلك .

سأل رونالد:

- وقتانك؟

- قال جوى :

- است أدري، لقد ضلت الطريق، أعتقد أنها ذهبت، وربما عندما كنا على السلم، وفعلت ذلك فجأة، فانا لم أجدنا في الأوار الأعلى. هذا لا أهمية له. إنها سويسرية.

(104 -)

10

السحب الرقيقة والمتناثرة ذات اللون الأحمر تكسو سماء الحى اللاتينى ليلاً، والهواء الرطب الذى لازالت تعلق به بعض قطرات المطر التى يقذف بها الهواء، غير المنتظم السرعة، إلى النافذة التى يصدر من ورائها ضوء واهن، والزجاج المكسور الذى أصلح أحد أجزائه باستخدام شريط لاصق ذى لون وردى. هناك حمامٌ من رصاص منكمشة، فوق المواسير المصنوعة من الرصاص، وقد اختبأت جيداً تحت مزاريب المياة. أما الحافة المتوازية السطوح التى تحميها النافذة فهى مليئة بالطحالب وتفرح منها رائحة الفودكا والشمع والملابس المبتلة ويقايا طيبخ، ومما ذلك إلا الورشة الغامضة لبائس التى تقوم بصنع السيراميك، وكذلك الموسيقى لرونالد. إنها كلها مقر النادى الملى بالكراسى المصنوعة من البامبو وسيزلونجات زالت عنها أصباغها وأجزاء من أقلام رصاص وسلك ملقى على الأرض وطائر أم الصخر المحنط وقد أصاب العفن نصف الرأس، وموضوع عام أسى طرحه وجهاً إسطوانات قديم زين داخله على شكله بومه ولكن بطريقة فجأة وخليط من القرقرة والاحتكاك والصرير الذى لا يتوقف. هناك ساكسافون مزعج عزف فى ليلة من الليالى يوم 28 أو 29، وكان الصوت يعبر عن الخوف من الضياع، تصاحبه آلة من آلات ضبط الإيقاع وكأننا فى مدرسة للغيتات، ويبانو كيفما اتفق. لكن كان الجيتار يدخل بعد ذلك وكأنه يعلن دخول آلة أخرى، وفجأة (كان رونالد قد توقع ذلك بأن رفع إصبعه) يشذ عن الإيقاع بغير ويقضى بذلك على أول نوتتين موسيقيتين من الموضوع وقد تعلّق بهما وكأنه معلّق على الترامبولين. قام بيكس Bix بالقفزة فى منتصف المقطوعة. هذه الصورة الواضحة رسمت على صفحة الصمت فى قمة الإقلاع. هناك اثنان من الموتى يتصارعان وقد تكوّر كل منهما واستحال التفاهم بينهما، هما بيكس^(١) Bix وإيدى لانج^(٢) Eddie Lang (الذى كان إسمه سلفادورى ماسا Salvatore Massaro) وكانا يلعبان الكرة «ها أنا قد ادم يافيرجينا». أين دفن بيكس؟ فكر أوليفيرا وأين دفن إيدى لانج؟ وكمن من اميال الادم تفصل بينهما بعد أن كان الجيتار يصارع النغير فى ليالى باريس «المستقطبة»، وشراب الجن ضد الحظ العاثر، الجان؟

- الحال جيد هنا، فالجو حار والمكان مذلّم.

- يا بيكس. يالك من مجنون عظيم. ضع Jazz me blues أيها الادم.

- إنه تأثير التقنية على الفن

10

- قال رونالد وهو يضع يده على مجموعة من الأسطوانات، ويحاول أن يرى ماهو مكتوب على التكتيت.

- هؤلاء الناس السابقين على الأسطوانة الكبيرة لا يستغرقون أكثر من ثلاث دقائق وهم يعزفون. أما الآن فإنك تجد طائرا أخرق هو ستان جيتس^(٣) Stan Getz الذي يقف أمام الميكروفون لمدة خمس وعشرين دقيقة، ويمكن له أن يعزف بمزاجية عالية ويعطى أحسن ما عنده. أما المسكين بيكس فلم يكن أمامه مناص إلا الاعتماد على الكورس ولاشيء أكثر، فلم يكد يدخل في طور الاندماج وفجأة يتوقف كل شيء، لقد استشاط غضبا عندما كانا يسجلان أسطوانات.

- قال بيريكو :

- ليس كثيرا، كان الأمر بمثابة تأليف «سوناتات» بدلا من الأناشيد، كما أنني لا أفهم شيئا في مثل هذه الأمور المتعبة. لقد أثبتت لأنني تعبت من القراءة في حجرتي منذ كنت أقرأ دراسة لخوليان مارياس^(٤) وهو كتاب لن ينتهي أبدا.

(65 -)

11

ملاً جريجورفيوس الكأس بالفودكا، وأخذ يرتشف منها بخفة. هناك شمعتان مضأتان على حافة المدفأة، حيث كانت يابس تحتفظ عليها بالشرابات المتسخة وزجاجات البيرة. ومن خلال الكأس الذى كساه البخار من الخارج عبّر جريجور فيوس عن إعجابه بالشمعتين اللتين تعيشان بعيداً عن عالمهم وعلى النقيض منهم وكأنها نغير بيكس وهو يدخل ويخرج فى زمن مختلف. كان حذاء جوى مونود يضايقه بعض الشئ؛ حيث كان مستلقياً ونائماً على الكتبة أو كان يستمع وهو مغمض العينين. جاءت لاماجا لتجلس على الأرض وهى تضع سيجارة مشتعلة فى فمها. كان ضوء الشموع الخضراء ينعكس على عينيها. تأملها جريجورفيوس وقد أثارته، كما تذكر شارعا فى مدينة مورلى Morlaix أثناء المساء وكذلك جسرا مرتفعاً وسحباً.

– هذا الضوء يماثلك تماماً، إنه شئ يروح ويغدو ويتحرك طوال الوقت.

– قالت لاماجا :

– مثل ظل أوراثير ، إذ يطول أنفه ويقصر. إنه رائع.

– قال جريجورفيوس :

– إن يابس هى راعية الظلال، وبفضل صناعة الصلصال، وهذه الظلال المحددة....

كل شئ هنا يتنفس، ويعاود المرء الاتصال المفقود. فالموسيقى تساعد على ذلك وكذا الفودكا والصداقة... هذه الظلال على الكورنيش. إن الحجرة لها رتتين وشيئاً ينبض. نعم إن الكهرباء^(١) الـ eleática قد مضت على الظلال. وهامى الآن تشكل جزءاً من الأثاث والوجوه. لكن هنا يحدث العكس ... انظرى إلى هذا الهيكل: إن ظله يتنفس، إن الحلية الحزنونية تعلو وتهبط. كان الإنسان يعيش آنذاك ليلة فيها طراوة وفيها قابلية وفى حوار مستمر. أما الرعب والخوف فياله من جمال ليطلق الفنان العنان لخياله

ضم يديه بحيث لا يكد يباعد بين الإبهامين : فظهر ظل كلب على الحائط وهو يفتح فمه ويحرك أنثيه، كانت لاماجا تضحك، وعندئذ سألها جريجورفيوس عن مدينة مونيفيدو، ضاع خيال الكلب فجأة، ذلك أنه لم يكن متأكداً من أنها من أورجواي: تحدث عن ليستر يونج^(٢) Lester Young وعن كانساس سیتی Kansas City Six-Sh.... (وضع رونالد إصبعه فى فمه).

– إن أورجواي تبدولى غريبة. لابد وأن مونيفيدو مليئة بالأبراج والأجراس الضخمة المصهورة بعد المعارك. لابد وأن فى المدينة عظاماً ضخمة على شاطئ النهر.

11

- قالت لاماجا :

- بالطبع، إنها مزارات وللوصول إليها نركب الأتوبيس المتجه إلى / بوثيتوس.

- وهل يعرف الناس فى مونتيديو لوتريمونت ميدا Lautreamont؟

- وماهو ذاك ؟

تنهّد جريجوروفيفوس وشرب المزيد من الفودكا، ليستر يونج L. Young عازف الساكس ودكى ويلر Dickie Wells عازف المتردّد Trombon وجون سيمون J. Simmons الكونتوباس وجو جونز Joe Jones ضابط الإيقاع، أغنية Four o' Clock Drag. نعم إنها عطايات ضخمة، كأنها آلات المترددة على شاطئ النهر، ال blues يجر نفسه وربما drag كان يريد أن يقول عطاية الزمن. إنه زحف لاينتهى منذ الرابعة فجرا، أو أن الأمر شئٌ مختلف تماما. «آه، Lautréamont» كانت لاماجا تقول وهى تتذكر فجأة، «نعم أعتقد أن الكثيرين يعرفونه».

- كان من أوروغواى رغم أنه لا يبدو ذلك.

- قالت لاماجا وهى تستعيد نشاطها :

- لا يبدو ذلك .

- فى الواقع، لو تريامونت ... لكن رونالد ظهر عليه الغيظ، فقد ذكر واحدا ممن هم من مثله العليا لآبد من الصمت، وهذا مؤسف. فلنتحدث بصوت منخفض، وأن تحكى لى عن مونتيديو.

- آه، ياللسخف إذن - قال إيتن وهو يرمقهما بحنق. كانت الذبذبة تحرك الهواء وتتخذ اتجاه سلالم خاطئة وتترك درجة نون الصعود عليها ثم تقفز خمس درجات مرة واحدة، وتعاود الظهور من جديد فى أعلى مكان. كان ليونيل هامبتون^(٢) L. Hampton يوازن «أنت هنا يا أمى الجميلة» ثم يقفز فيسقط وهو يدور بين الزجاج، وينور فى حلقة تكاد تتسع لقدم، تتكون مجموعة من النجوم بشكل فوري، خمسة، ثلاثة، وعشرة نجوم. فيقوم بإطفاؤها بمقدمة الخف. كان يستلقى وهو يحمل مظلة يابانية. تلف فى يده بسرعة كبيرة. ثم عزفت الأوركسترا فى النهاية؛ فهناك النقيير Trompete يدوى، والعودة إلى الأرض، ويسقط البهلوان. آخر الثمرة، انتهى. كان جريجوروفيفوس يستمع إلى صوت هامس هو عن مونتيديو من خلال لاماجا، وربما كان سيعرف المزيد عنها وعن طفولتها وفيما إذا كان اسمها سابقا لوثيا أو ميمي. كانت الفودكا قد وصلت به

11

للدرجة التي جعلت الليلة عظيمة، فكل شيء حوله ينطق بالوفاء والأمل. فهما هو جوى موند قد رفع ساقيه عن مكانهما، وبالتالي لم يعد حذاؤه الغليظ يؤثر على عَصَص جريجورفيوس. أما لاماجا فقد اتكأت عليه قليلا فأصبح يشعر، ولو قليلا، بدفع جسمها في كل حركة له لينطق بجمله أو يواصل الاستماع إلى الموسيقى. وعندما يثنى جريجورفيوس جسمه بشدة يتمكن من تمييز ملامح الركن الذي يقوم فيه كل من رونالد وونج باختيار الأسطوانات ووضعها على الجهاز. أما أوليفيرا وبابس فكانا جالسين على الأرض وهما يستندان إلى حائط مغطى ببطانية سمكية. كان أوراثيو يتناغم مع نفثات الدخان بينما الفودكا قد استولت على عقل بابس واستولى عليها كذلك الإيجار المتأخر وبعض الأصباغ التي تزول عند ثلاثمائة درجة؛ فهناك اللون الأزرق الذي يتحول إلى موجات برتقالية، الأمر الذي لا يحتمل. كانت شفتا أوليفيرا تتحركان في صمت بين نفثات الدخان. كان يتحدث بصوت منخفض وكأنه حديث داخلي وهو متكئ إلى العدا، وكان مايدور من حديث يجعل أمعاء جريجورفيوس تتلوى، ولم يكن يدري لماذا، فربما كان غياب أوراثيو هو أنه ترك له لاماجا لتلعب بعض الوقت، لكنه هناك يحرك شفتيه في صمت، يتحدث مع لاماجا وسط دخان السجائر وموسيقى الجاز وهو يضحك في أعماقه من الحديث كثيرا عن لوتريامونت ومونت فيديو.

(136 -)

12

كانت اجتماعات النادي تروق دائما لجريجوروفويس ذلك أنه لم يكن ناديا أبدا، وبذلك يتفق مع مفهومه عن ذلك النوع من الإنشاءات. أما رونالد فقد كان يعجبه النادي للفوضوية التي عليها ومن أجل بابس، وكذلك للطريقة التي يهلكون بها أنفسهم دون اهتمام بأى شئ، وقد أسلموا أنفسهم لقراءة أعمال كل من كارسون ماك كولر^(١) Carson Mc Cullers وميلر Miller ورايموند كينو^(٢) R. Queneau والاستماع لموسيقى الجاز وكأنها تمرين متواضع للتحرر والمصارحة دون مواربة بأنهم فشلوا فى الغنون. ويمكن القول بأنه كان يروق له أوراثيو أوليفيرا، حيث كانت له علاقة به مؤشرها المطاردة، أى أن جريجوروفويس يشعر بالغيط من وجود أوليفيرا فى اللحظة التي يراه فيها، بعد أن أخذ يبحث عنه فترة لكنه لايعترف بذلك، أما عن أوراثيو فقد كان يستعذب الغموض الرخيص الذى يلف به جريجوروفويس أصوله الأسرية ونمطية حياته. كان يسليه أن يكون جريجوروفويس محبا لـ لاماجا وأن يظن أن أوليفيرا لايعرف. كما أن كليهما يقبل بالآخر ويرفضه فى الوقت نفسه، وكأن ذلك نوع من المصارعة بعد ارتداء حلة المصارعة الملتصقة بالجسد. كان هذا أيضا نوعا من التمرينات التي تكمن وراء اجتماعات النادي. كان يتبارزان كثيرا فى إظهار الألعية وإعداد الكثير من التلميحات التي تجعل لاماجا تفقد صبرها وتثير غيظ بابس. كانا يكتفيان بذكر أى شئ حسيبا اتفق، كما يفكر الآن جريجوروفويس فى أنه هناك نوع من المطاردة التي لا أمل من ورائها بينه وبين أوراثيو، وفجأة يطلب أحدهما عون السماء «لقد هربت منه...». وفى الوقت الذى ترمقهما لاماجا بنوع من التواضع الفاقد الأمل فالآخر قد ارتفع فى طيرانه وارتفع لدرجة أننى تمكنت من صيده. وينتهى بهما الأمر للضحك من نفسيهما، لكن بعد فوات الأوان، ذلك أن أوراثيو كان ينتابه الامتعاض من استعراض الذاكرة هذا، كما أن جريجوروفويس يشعر بأنه المقصود بذلك الامتعاض فتزداد إثارته فيتولد بين الاثنين نوع من النغمة المتواطئة. وبعد ذلك بدقيقتين يعودان لنفس الممارسة. كانت هذه هى لقاءات النادي بالإضافة إلى أشياء أخرى.

قال جريجوروفويس وهو يمالأ الكأس :

- نادراً ماتناول المرء هنا فودكا سيئة مثل هذه المرة يالوثياً، كنت تقصين على طفولتك، والأمر لايمكن فى أنه يصعب على تصورها على شاطئ النهر وشعرك مضفرا ووجنتاك متوربتين تماما مثل أمالى ترانسلفانيا الذين أنا منهم. وهذا قبل أن تصاب بالشحوب من جراء هذا الطقس اللوثي^(٣) Luteciano.

- سألت لاماجا :

12

~ اللوتى ؟

تنهد جريجوروفوس وأخذ يشرح لها، بينما تسمع لاماها بتواضع من يتعلم، وهذا ماكانت تفعله كثيرا حتى يهاجمها السهو فينفذ الموقف. قام رونالد الآن بوضع أسطوانة جديدة لهاوكنز Hawkins. وبدأ أن لاماها مغتازة من هذه الشروح التى تقضى على الموسيقى، كما أنها لم تكن الشروح التى تنتظرها كأنها زغزغة أو تنهيدة عميقة كما كان هاوكنز يفعلها قبل أن يواصل عزفه من جديد. تماما مثلما كانت تفعل هى عندما يبدى أوراثيو اهتماما بأن يشرح لها بيتا من الشعر فيه غموض، بأن يضيف إليه هذا الغموض السحري. ولو كان هو الذى يشرح لها «اللوتية» بدلا من جريجوروفوس لكان كل شئ قد غمرته السعادة بما فى ذلك موسيقى هاوكنز واللوتيين وضوء الشموع الخضراء والزغزغة والتنهيدة التى كانت الحقيقة الوحيدة لديها، وهى شئ يمكن مقارنته بروكامادور أو فم أوراثيو، أو مقطوعة موسيقية لموزار! فلم يكن من الممكن الاستماع إليه جيدا ،ذلك أن الأسطوانة قد تقدمت.

- قال جريجوروفوس بتواضع :

- لآكونى هكذا، ماأريده هو أن أفهم حياتك بشكل أفضل، أى أنت والمراحل التى عشتها.

- قالت لاماها :

- حياتى! لن أقصها حتى ولو كنت ثملة. ولن تستطيع فهمى بطريقة أفضل حتى أقص عليك طفولتى على سبيل المثال. فأتا لم أمرَ بمرحلة الطفولة.

- ولا أنا. فقد كنت فى الهرسك.

- أما أنا فكنت فى مونتفيديو. سوف أقول لك شيئا. أحلم أحيانا بالمدسة الابتدائية. إنه لأمر فظيع أن أستيقظ وأنا أصبح. وعند الخامسة عشرة. أنا لست أدرى فيما إذا كنت قد عشت مرة سن الخامسة عشرة.

- قالها جريجوروفوس بنغمة غير واثقة :

- أعتقد أننى عشتها.

- وأنا أيضا. فقد كنت فى منزل به مئور والكثير من الأصص. وكان والدى يتناول ماتى (شاي من الباراجواى) ويقرأ المجلات الفارغة. هل يزورك والدك؟ أى هل ترى شبحة مرة أخرى..

12

- قال جريجوروفيفوس :

- لا، لكن ما أراه هو أمى وخاصة فى جلاسكو. تعود أمى أحيانا فى جلاسكو، لكن ليس على شكل شبح. إنها بمثابة ذاكرة باهتة جدا. وهذا كل شئ. يهضمه الملح الفوار هذا شئ سهل. وماذا بالنسبة لك؟
- قالت لاماجا بنفاد صبر :

- لست أدري! إنها تلك الموسيقى وهذه الشموع الخضراء، هاهو أوراثيو قابع فى الركن كأنه هندي. لماذا على أن أحكى لك كيف تعود أمى؟ لكن منذ عدة أيام كنت فى المنزل فى انتظار أوراثيو وقد حلّ الظلام. كنت جالسة بالقرب من السرير، بينما كانت تمطر. كان الوضع شبيها بما تحويه هذه الأسطوانة. نعم، كان شيئا من هذا القبيل. كنت أرقق السرير وأنا أنتظر أوراثيو، ولست أدري لماذا كانت مرتبة السرير موضوعة بطريقة معينة. وفجأة رأيت والدى وظهره لى ووجهه مغطى كعادته دوما، حيث كان يسكر وبعد ذلك يذهب لينام. كنت أرى ساقيه. وهيئة اليد موضوعة على صدره، شعرت أن شعري يقف من الفزع، وكنت أريد الصراخ، أو أى شئ من هذا القبيل الذى تشعر به المرأة. وربما شعرت بالخوف ذات مرة كنت أريد الخروج مسرعة، كان الباب بعيدا، فى نهاية ممرات وممرات. ويبدو الباب أكثر بعدا كلما تقدمت، وكانت المرتبة الوردية تصعد وتهبط. كما كنت أسمع شخير والدى. وبين لحظة وأخرى سوف تطل إحدى الأيدي، والعيون ثم الأنف المعقوفة. لا، لايلزم أن أقص عليك كل هذا. وفى النهاية صرخت كثيرا لدرجة أن الجارة التى تسكن الدور الذى تحتى أنقذتنى، وأعدت لى فنجانا من الشاي. وبعد ذلك عاملنى أوراثيو على أننى مصابة بالهستيريا.

داعب جريجوروفيفوس شعرها، فطأطأت لاماجا رأسها. «حسن» فكر أوليفيرا وهو يرفض مواصلة الاستماع لبهلوانيات ديزى جيلسبى⁽⁴⁾ Dizzy Gillespie دون أن يضع الشبكة الواقية على الأرجوحة العليا. «حسن، كان لابد أن يكون». إنه مجنون بهذه المرأة، وهو يقول لها ذلك باستخدام أصابعه العشرة. ياله من تكرار للألعاب. إننا ننتحل نفس القوالب المستهلكة وتتعلم، كاليلها، الدور المعروف سلفا للجميع. لكن إذا ماكنت أنا نفسى الذى أقوم بمداعبة شعرها وهى تحكى لى أشياء أرجنتينية وتناكلم لما حدث، عندئذ لابد من الذهاب معا إلى المنزل وقد لعبت الخمر برؤوسنا جميعا ووضعها على السرير بعناية ومداعبتها وخلع ملابسها ببطء وفك كل زرار بخفة وكذا المشابك

12

الأخرى، وهى لاتريد، تريد، لاتريد، تتصلب، تغطى وجهها، تبكى، تعانقنا، وكأنها تقترح علينا شيئاً مهيباً وتساعد على خلع اللباس الداخلى وتلقى بالحذاء بأطراف قدميها، وهذا يبدو لنا أنه نوع من الاحتجاج ويستثيرنا إلى أقصى درجة، أه، إنها غير نبيلة، غير نبيلة. لابد وأننى سوف أقوم بتمزيق وجهك يا صديقى المسكين أوسيب جريجوروففيوس. دون مزاج ودون أسف مثلهما، يفعل ديزى Dizzy ذلك على ألتة دون أسف أو مزاج. ليس هنا مزاج على الإطلاق مثل ذلك الذى يعزفه ديزى.

— قال أوليفيرا :

— إنه القرف بعينه؛ ابعد هذه القذارة من الطبق، فلن أعود إلى النادي مرة أخرى إذا ما كان على أن أستمع إلى هذا القرد العالم.

— قال رونالد ساخرا :

— إن السيد لاتروق له موسيقى البوب انتظر لحظة وسوف نضع لك أسطوانة لبول فيتمان^(٥) P. Whiteman.

— قال إيتين :

— هناك حل وسط ؛ إنه توافق بين كافة الآراء : فلنستمع إلى بيسى سميث^(٦) Bessie Smith يارونالد يا حبيبي، الحمامة فى القفص البرونزى. ضحك كل من رونالد وبابس ولم يعرف السبب فى ذلك بشكل جيد، وأخذ رونالد يبحث فى الرف الخاص بالأسطوانات القديمة. كانتريشة الجهاز تقرر بشكل فظيع، وكأن هناك شيئاً أخذ يتحرك فى العمق وكأن هناك طبقات وطبقات من القطن تفصل بين الصوت والأذان. كانت بيسى تغنى وهى معصوية الوجه وقد وضعت فى سلة مليئة بالملابس المتسخة كان الصوت كأنه غريق يرتطم بالملابس ويصعد ويستغيث دون وجل أو طلب إحسان «أريد أن أكون لعبة أحد ما». ثم يتماسك منتظرا، هناك صوت قادم من الناصية ومن منزل به نساء مسنات «أكون لعبة أحد ما»، إنه أكثر دفئا وشوقا. يتلوه الآن «أريد أن أكون لعبة أحد ما».

لسع أوليفيرا فمه برشفة كبيرة من الفودكا، ووضع ذراعه على كتفى بابسى واستند إلى جسمها المريح، «الشفعاء» فكر أوليفيرا وهو يغرق نفسه بنعومة فى دخان السجائر. كان صوت بيسى ينحف فى نهاية الأسطوانة، والآن سوف يقوم رونالد بقلبها على الوجه الآخر، ومن هذا الجزء المتهاك تولد مرة أخرى أغنية Empty Bed Blues ذات ليلة من لبالى العشرينيات فى ركن ما من الولايات المتحدة. كان رونالد قد أغمض عينيه، بينما يديه فوق ركبتيه تتحركان بخفة متابعة الإيقاع. أغمض كل من وونج وإيتين عيونهما.

12

كانت الحجرة شبه مظلمة، وكان يسمع صوت الريشة وهي تحتك بالأسطوانة القديمة. كان أوليفيرا لا يكاد يصدق بأن كل ذلك يحدث : لماذا هناك، ولماذا النادي، ولماذا هذه الاحتفالات البلهاء، ولماذا هي هكذا هذا الـ blues عندما تغنيها بيس؟ «الشفعاء» فكر أوليفيرا مرة أخرى وهو يتمدد إلى جوار بابس التي ذهبت الخمر برأسها تماما وأخذت تبكي في صمت وهي تستمع إلى بيس ترتجف على الإيقاع. المنتظم أو تأخيرها، تنتحب من داخلها حتى لا تتعب أبدا عن Los blues للسريير الخالي، واليوم التالي، والحذاء الملقى في بركة المياه والإيجار المتأخر والخوف من الشيوخوخة وصورة الشروق في المرأة القائمة على حافة السريير، الموسيقى والحنين اللانهائي للحياة «الشفعاء». إنه اللاواقع الذي يشير إلى لاواقع آخر، تماما مثل صور القديسين الذين يشيرون إلى السماء وبأصابعهم. لا يمكن أن يكون ذلك موجودا، وأننا هنا في الواقع أن أكون أنا فردا اسمه أوراثيو. وذلك الشبح الذي هناك، وصوت سوداء ماتت منذ حوالي عشرين عاما في حادثة سيارة! إنها حلقات في سلسلة غير موجودة، كيف تبقى هنا، وكيف نحن مجتمعون هذه الليلة اللهم إلا إذا كان ذلك مجرد لعبة من الأوهام، ذات قواعد مقبولة ومتفق عليها، ومجرد أوراق لعب في يد صانع لا يمكن تخيله...».

- قال أوليفيا لبابس هامساً في أذنها :

- لا تبكي .. لا تبكي يا بابس. كل هذا ليس حقيقة.

- قالت بابس وهي «تنف» :

- آه، نعم، نعم هذه حقيقة .. نعم هذه حقيقة.

- سوف يكون - سوف يكون، وقبلها على خدها - لكنه ليس الحقيقة.

- قالت بابس وهي تبلع المخاط وتدور بيدها بين جانب وآخر :

- مثل تلك الظلال رغم أن المرء حزين يا أوراثيو فكل شئ جميل.

لكن كل هذا من غناء بيس وخرير كوليمان هوكنز Coleman Hawkins. ألم يكن مجرد أوهام ولم يكن شيئاً أسوأ من ذلك بمعنى أنه وهم لأوهام أخرى إلى آخر ذلك من سلسلة طويلة متجهة نحو الورا، أى نحو قرد ينظر إلى نفسه على صفحة المياه في أول يوم من أيام العالم؟ لكن بابس كانت تبكي، وقد قالت : «آه، نعم، نعم ذلك حقيقة». أما أوليفيرا فقد أخذت الخمرة برأسه، فكان يشعر أن الحقيقة هي في ذلك. أى في أن

12

بيس وهو كنز لم يكونا إلا أوهاما، والأوهام والتخيلات هي وحدها القادرة على تحريك عشاقهما، إنها الأوهام وليست الحقائق. كان هناك أكثر من ذلك، هناك الشفاعة والدخول من خلال الأوهام إلى منطقة لا يتخيلها إنسان ومن غير المجدى التفكير فيها، فكل نوع من التفكير يدمرها وهو لم يكد يقترب منها لتطويقها، إنها تدمن دخاناً تأخذ بيده وتبدأ معه فى الهبوط إذا ما كان الأمر هبوطاً، وتظهر له مركزاً إذا ما كان الأمر كذا، وتضعه فى المعدة حيث تغلى الفودكا هناك بلذة على شكل زجاج وفقاقيع. إننى شئ يختلف عن أى وهم مهما كان جميلاً وغير قابل للتحقيق حتى ولو كان يسمى الخلود. وعندما أغمض عينيهِ قال لنفسه إذا ما كان هناك طقس ولو كان فقيراً قادراً على انتزاعه ليظهر له المركز بشكل أفضل، وجذبه نحو مركز لا يمكن تصوره، فربما لن يكون كل شئ مفقوداً، ولو تغيرت الظروف بعد عدة تجارب لكان الوصول إلى ذلك ممكناً. لكن بلوغ ماذا؟ ومن أجل ماذا؟ لقد لعبت الخمر برأسه لدرجة أنه أصبح غير قادر على وضع افتراض للعمل، أو أن يكون فكرة عن الطريق المفروض السير فيه. غير أنه لم يكن سكران بالكامل حتى يتوقف عن التفكير الاستنتاجي. وكان يكفيه ذلك التفكير ليشعر بأنه يباعده أكثر وأكثر عن شئ بعيد جداً وعظيم جداً حتى يتجلى من خلال هذا الضباب غير الرشيق لكنه الأنسب، إنه تأثير الفودكا، وتأثير لاماجا، وتأثير بيس سميث. أخذ يرى حلقات خضراء تدور بقوة، فتح عينيهِ. لقد اعتاد على أنه بعد سماع الأسطوانات يأتى الغثيان.

(106 -)

13

كان الدخان يغمر رونالد الذي أخذ يسحب الأسطوانة تلو الأخرى دون أن يجهد نفسه ليعرف ما الذي يفضلهُ الآخرون. كما كانت بابس تنهض من على الأرض بين الفنية والأخرى وتقلب هي الأخرى في مجموعة الأسطوانات القديمة مقاس ٧٨، وتختار خمساً منها أو سبباً وتتركها على الترابيزة بمتناول رونالد الذي كان يميل إلى الأمام ويداعب بابس التي كانت تتلوى وهي تضحك وتجلس على ركبتها ولو للحظة، ذلك أن رونالد يريد أن يكون هادئاً حتى يسمع I look so meek «لاتعامليني باحتقار» «لأننى يبدو على الإذعان».

وتتلوى بابس على ركبتى رونالد وقد أثارها طريقة Satchmo في الغناء. كان الموضوع شعبياً جداً لدرجة استباحة مساحات من الحرية لم يكن رونالد أن يسمح بها عندما كان Satchmo يغنى "Yellow Dog Blues". كما أن الرفير الذي كان يطلقه رونالد على رأسها محمل بالفودكا وطبق Souerkraut الذي كان يهز بابس بقوة، ومن المنظور العلوى الذى اتخذته وكأنه منظور هرمى جميل من الدخان والموسيقى والفودكا والـ Sauerkraut ويدى رونالد التى تروح وتجي مداعبة. تلتفت بابس بإلقاء نظرة إلى أسفل وحاجبها مقطبين وترى أوليفيرا على الأرض وقد استند بظهره إلى الحائط الذى تغطيه البطانية، وهو يدخن وقد أفقدته الخمرة وعيه تماماً. ويظهر وجهه مثل أبناء أمريكا اللاتينية وبه مسحة من نغمة ومرارة، بينما تلوح ابتسامة على شفثيه أحيانا بين كل نفس من الدخان. إنهما شفتا أوليفيرا التى تاققت لهما مرة من المرات (ليس الآن)، كانتا تتحركان بشكل واهن جداً. أما باقى الوجه فأنضحى كأنه مغسول وغائب لاملاح له. ومهما كانت درجة حب أوليفيرا لموسيقى الجاز فإنه لم يدخل أبداً فى صميمه مثل رونالد. فالجاز بالنسبة له يمكن أن يكون جيداً أو سيئاً، ساخناً أو بارداً، أبيض أو أسود، قديماً أو حديثاً، من شيكاغو أو نيوأورليانز. لكن لن يكون من صميم الجاز: أى لن يكون ذلك مثلاً كان Satchmo ورونالد وبابس يرددون Baby don't you play me cheap because I look so meek ويأتى بعد ذلك دخول النفير فجأة ذلك العضو الأصفر وهو يحرك الهواء ويحدث متعة التقدم والتقهر، وفى النهاية هناك نوتات ثلاث صاعدة كأنها منومٌ من الذهب الخالص. إنها وقفة حيث تهتز كل أرجاء الدنيا فى لحظة لاحتتمل، وعندئذ يأتى الإنزال من خلال الحدة الشديدة منزلقاً وهابطاً كأنه صاروخ فى آلية جنسية، هناك يد رونالد تداعب رقبة بابس وهناك قرقرة إبرة الجهاز، بينما تدور الأسطوانة، أما الصمت الذى كان فى أى موسيقى حقيقية فقد أخذ يهبط ببطء من على الحوائط، ويخرج من تحت الكتبة، وينتشر كأنه شفاه أو شرانق.

13

- قال إيتين :

- «يا سلام»

- قال رونالد وهو يفتشُ في مجموعة الأسطوانات التي اختارتها بابس :

- نعم إنها العصر الذهبي لأرمسترونج .. إنها فترة مماثلة لمرحلة العملاقة عند بيكاسو إذا ما أردنا القول. أما الآن فكلاهما أصبحا خنزيرين. وإذا ما فكر المرء في أن الأطباء يخترعون إكسيرا لاستعادة الشباب ... فإنهما سيظلان مرابطين صدورنا عشرين عاما أخرى.

- قال إيتين :

- على صدورنا نحن لا.. فنحن قد أطلقنا عليهما النار في اللحظة المناسبة، وليتهم يطلقون على نفس الطلقة عندما تحين ساعتي.

- قال أوليفيرا وهو يتثاب :

- إنها الساعة المناسبة. إنك لاتطلب شيئا، بببي لكن هذا حقيقي فقد أطلقنا عليهما الطلقة القاضية. لقد كانت الطلقة وردة بدلا من الرصاصة. ومابعد ذلك فليس إلا التعود والورق الكربوني، والتفكير في أن أرمسترونج قد ذهب الآن إلى بوينوس آيرس لأول مرة، لايمكن للمرء أن يتصور آلاف البلهاء وهم على قناعة بأنهم يستمعون إلى موسيقى من العالم الآخر، أما Satchmo فهو يستخدم حيلة أكثر من أي ملاكم عجوز محاولا مداراة التواءات، ومتعباً ومتهما بالنقود ولايعنيه في شيء مايفعله؛ فهو يؤدي عملا روتينيا. وإذا ماكان هناك أصدقاء أعزاء على يضعون أصابعهم في أذانهم إذا ما أرادت أن تسمعهم Mahogany Hall Stomp منذ عشرين عاما؛ فإنهم الآن يدفعون الكثير من المال من أجل الاستماع إلى تلك المقطوعات التي أعيد قلبها. ومن الواضح أن بلادي ما هي إلا انتحال، وهذا يجب أن أقوله بكل حب.

- قال بيريكو وهو يمسك بقاموس :

- بادئين بك .. لقد جئت إلى هنا لتسير وتضع نفسك في نفس قالب مواطنيك الذين ذهبوا إلى باريس ليتربوا عاطفيا، وهذه التربية تتم في إسبانيا من خلال المواخير ومباريات مصارعة الثيران.

- قال أوليفيرا وهو يتثاب من جديد :

- وكذلك من خلال الكونتيسة باردو باثان وعموما فإنك على حق بابببي. إنني كان يجب أن أكون مع ترافلر ألعب النرد. حقا إنك لاتعرفه ولاتعرف شيئا عن كل ذلك، فلماذا الكلام ؟

(- 115)

14

خرج من الركن الذى كان فيه ووضعه قدمه فى مكان بعد أن تحسسه جيدا ليختار المكان بعناية، ثم تقدم بالقدم الأخرى وينفس درجة الحذر، وبينما هو على بعد مترين من رونالد ويابس أخذ يضم نفسه حتى جلس على الأرض.

- قال وونج وهو يشير بإصبعه إلى المذّور الكائن فى الشبّاك المائل :
- إنها تمطر وبينما كان أوليفيرا يضرب سحابة الدخان بيده ببطء رمق وونج بنظرة فيها سعادة:

- حمداً لله أن هناك من قرر أن يضع نفسه على مستوى سطح البحر فلا يرى إلا الأحذية والركب فى كل مكان. أين كأسك تش؟

- قال وونج :

- هناك.

وبعد هنيهة اتضح أن الكوب ملى بالشراب وفى متناول اليد. أخذ يشربان وهما يستحسانان الشراب، بينما وضع لهما رونالد أسطوانة لجون كولترين^(١) John Coltrane مما جعل بيريكو يصدر إشارة يعبر فيها عن ضجره. وتلا ذلك أسطوانة لسيدنى بيتش^(٢) Sidney Bechet فى الأيام الخوالى لباريس، وكأن بالمقطوعة نوعاً من السخريّة من الثوابت فى أمريكا اللاتينية وأسبانيا.

- هل صحيح أن سيادتكم تقوم بإعداد كتاب عن التعذيب؟

- قال وونج :

- آه، ليس بالضبط.

- ماهو إذن ؟

- كان فى الصين مفهوم مختلف للفن.

- أعرف ذلك؛ فكلنا قرأ للصينى ميربو^(٣) Mirbeau. هل صحيح بحوزتك صور عن

التعذيب، تم التقاطها فى بكين عام ألف وتسعمائة وعشرين أوشى من هذا القبيل؟

- قال وونج وهو يبتسم :

- آه، لا.. إنها صور باهتة جداً ولا تستحق أن أريك إياها.

- هل صحيح أنك تحمل أقطع صورة فى جعبتك ؟

- قال وونج :

- آه، لا.

- وأنت أظهرتها لبعض النساء فى أحد المقاهى ؟

14

- قال وونج :
 - كُنْ يلحن كثيرا، والأسوأ من هذا أنهم لم يفهم شيئا.
 - قال أوليفيرا وهو يمدّ يده :
 - فلنرهما .

أخذ وونج ينظر إلى يده وهو يبتسم، إذ كان أوليفيرا شديد السكر، حتى يلح في الطلب. شرب المزيد من الفودكا وغير الوضع الذي كان عليه. وضعوا في يده ورقة مطبقة أربع تطبيقات، وعوضا عن يونج كانت هناك ابتسامة قط من القطط Cheshire ونوع من الاحترام بين الدخان. كان طول العמוד يبلغ مترين، لكن كان هناك ثمانية أعمدة، أى عمود واحد مكرر ثمانى مرات فى أربع مجموعات تتكون كل واحدة منها من صورتين. ويمكن مشاهدتها من اليسار إلى اليمين ومن أعلى إلى أسفل. كان العמוד هو نفسه رغم وجود اختلافات طفيفة فى المنظور، والشئ الوحيد الذى يتغير تتلّ فى المحكوم عليه والذى تم ربطه فى العמוד، وكذلك فى وجود الحاضرين (كانت هناك امرأة على اليسار) وكذا فى الوضع الذى عليه الجلاد الذى كان يقف دوما فى الناحية اليسرى وكأنه نوع من اللطف مع المصور. هناك أيضا عالم فى السلالات البشرية يمكن أن يكون أمريكيا أو من الدنمارك، قوى البنيان، لكن الكاميرا الكوداك قديمة تعود إلى عام ألف وتسعمائة وعشرين. وهى كاميرات فورية وسيئة للغاية. وبغض النظر عن اللقطة الثانية، عندما قررت نصال السكاكين فصل الأذن اليمنى، حيث كانت ترى ويرى باقى الجسد وهو عريان، فإن باقى الصور قد تجمع فيها الدم الذى كان يغطى الجسم وكذلك الحالة السيئة للفيلم أو التحميص؛ مما جعلها مثيرة للراء خاصة فى الصورة الرابعة؛ حيث لم يكن المحكوم عليه إلا كتلة سوداء يبرز منها الفم المفتوح وذراع ناصع البياض. أما الصور الثلاث الأخيرة فقد كانت متمائلة تقريبا اللهم إلا الوضع الذى عليه الجلاد، فهو يميل إلى جوار شنطة السكاكين ويستخرج النصل (لكن كان عليه أن يحتال ويحاول البدء بالقطع الأكثر قوة) وربما كان ينظر فيما إذا كان الذى وقع عليه التعذيب حياَ ذلك أن هناك قدما كانت تنزلق إلى الخارج رغم ضغط الحبال الموثق بها، كما أن رأسه كانت تميل إلى الوراء والفم مفتوح دائما، أما على الأرض فإن الرقعة الصينية جعلتها مكسوة بالنشارة، ذلك أن بركة الدماء لم يتسع حجمها، وكان شكلها بيضاويا يحيط بالعמוד. «الصورة السابعة هى الصورة الخطيرة». كان صوت يونج يأتى من بعيد، من وراء الفودكا والدخان، وكان ينبغى أن

14

ينظر إلى هذه الصورة بشكل جيد، ذلك أن الدم كان يسيل على طرفي الصدر اللذين هبطا إلى الداخل (ما بين الصورة الثانية والصورة الثالثة) لكن يرى في الصورة السابعة ظهور سكين قاطع، ذلك أن شكل الفخذين المفتوحين قليلاً أخذ يتغير، وعندما تقرب الصورة من نظرنا يرى أن التغيير لم يكن في الفخذين بل بين أصلهما Ingle، وفي مكان البقعة الباهتة في الصورة الأولى، كأن هناك فتحة يسيل منها الدم، أي كأنها دماء تسيل على فخذ فتاة تم اغتصابها. وإذا ما كان يونج لا يعير اهتماماً بالصورة الثامنة فلا بد أنه على حق، ذلك أن المحكوم عليه لا يمكن أن يكون على قيد الحياة. فلا أحد يترك رأسه هكذا تسقط على الصدر «طبقاً للمعلوماتي فإن العملية تستغرق ساعة ونصف ساعة»: قال يونج ذلك بصوت مهيب. أعيد تطبيق الورقة مرة ثانية، وفتمحت حافظة أوراق جلدية ذات لون أسود وكأنها قم تمساح صغير لتلتهم الورقة وسط الدخان. «من المؤكد أن بكين ليست مثل الأمس. أنا شديد الأسف لأنني أطلعك على شيء بدائي لكن هناك وثائق أخرى لا يمكن للمرء أن يحملها في جيبه. ومن الضروري الحديث عن تفسير لذلك إنها البداية». كان الصوت قادماً من بعيد كأنه امتداد للصور وختام مهيب يصدر عن محام. بدأ صوت المغنى بيج بل بروونزى⁽¹⁾ Big Bill Bronzzy يترنم بأغنية See, see, rider. وكما هي العادة فإن كل شيء يلتقي كأنه لقاء الشيتتين، وهناك تلصيق Collage فظ كان يجب ضبطه بمزيد من الفودكا والفلسفة الكانتية. إنها مهدئات ضد أي تخثرات سريعة في الواقع. أو كأن الأمر يتمثل غالباً في أن يغمض المرء عينيه ويستند إلى العداء، أي إلى العالم الوثير الذي عاشه في ليلة تم اختيارها بعناية من بين أوراق اللعب المفتوحة. «انظر باريس» كان بيج بيل يغنى، وهو ميت آخر «انظر ماذا فعلت».

15

فى تلك الآونة كان من الطبيعى أن يتذكر الليلة التى قضاهما فى قناة سان مارتين Saint Martin والاقتراح الذى عرضوه عليه (ألف فرك) ليشاهد فيلما فى منزل طبيب سويسرى. لم يكن إلا واحداً من رجال دول المحور، وقام بترتيب الأمور لتصوير عملية شفق بكل تفاصيلها. كان الفيلم مكوناً من شريطين صامتين، لكن التصوير كان رائعاً. وكان الاقتراح على أساس ضمانى الجودة، كما يمكنه دفع المبلغ عند الخروج.

وفى اللحظة الحاسمة والتى سيقول فيها لا للعرض وأن يغادر هذا المقهى ويرفقه الفتاة السوداء (من هايتى) صديقة صديقه الطبيب السويسرى، توَقَّر لديه من الوقت مايمكن معه من تخيل المشهد وأن يتصور - ولم لا - نفسه مكان الضحية. فليس هناك كلام له قيمة أمام القيام بشفق إنسان أيا ما كان، لكن إذا ماكانت الضحية تعرف أن هناك كاميرا (كان من اللائق أن يتم إبلاغها) ستقوم بتصوير كل لحظة تمر وتأثيرها على قسمات وجهها، وكذا كل واحدة من التواءاته لإمتاع الناس فى المستقبل.... «وأيا كانت وطأة ذلك على فلن أكون لامباليا مثل إيتين» فكر أوليفيرا، «ومايحدث هو أنني أصر على الفكرة غير المسبوقة والقاتلة بأن الإنسان خلق لشيء آخر حينئذ يكون واضحا ... ماهى الوسائل البائسة لإيجاد مخرج وسبب لهذا المُنزَق». وأسوأ ما فى الأمر هو أنه تأمل ببرود شديد الصور التى أظهرها له يونج وذلك لأن المحكوم عليه لم يكن والده، كما أنه قد مضى على حادثة يكين هذه أربعون عاما.

- قال، إنه أوليفيرا للبأس التى عادت معه بعد شجار مع رونالد:

- انظرى كان يصبر على الاستماع إلى المغنية^(١) Ma Rainey ويظهر احتقاره للموسيقى فاتس وولر^(٢) Fats Waller - إنه أمر لا يصدق عقل أن يكون المرء حقيرا إلى هذه الدرجة، ما الذى كان يفكر فيه المسيح وهو على فراشه قبل أن يخلد للنوم؟ وفجأة بينما يتسم المرء يتحول كل شيء إلى مرارة.

- قالت بابس:

- أه، الهُوسُ الرهيب لا، وخصوصا هذه الساعة.

- كل شيء يتسم بالسطحية يافتاة، كل شيء هو ظاهرى. اسمعى عندما كنت صغراً أفعل ذلك مع الكبريات من الأخوات فى الأسرة إلى غير ذلك من سلسلة القمامة العائلية. أتعرفين لماذا؟ حسن، هذا لكثير من الأسباب التافهة ومن بينها فإن أى حالة وفاة - كما يقلن - أو أى شيء يحدث فى المنطقة المحيطة هو أهم بكثير من جبهة

15

الحرب أو زلزال يقضى على عشرة آلاف شخص وأشياء من هذا القبيل. كم أن المرء قميّ لدرجة لا يمكن تخيلها يابابس، ومن أجل هذا يجب أن يكون قد قرأ كل أعمال أفلاطون ولعدد من القساوسة ولجميع الكلاسيكيين دون استثناء، أضف إلى ذلك معرفة مايجب معرفته بشأن الإدراك، وفي هذه اللحظة وبالتحديد يصل المرء إلى حالة من القمأة لا يمكن تخيلها، لدرجة أنه يصبح قادراً على الإمساك بتلابيب والدته الأمية، وأن يعبر عن سخطه؛ لأن السيدة منهمكة بسبب موت الروسى الذى كان على الناصية أو إبنة أخ الجارة التى تسكن الدور الثالث. وعندما يحدثها المرء عن الزلزال فى باب المندب أو عن الهجوم الذى وقع عند نهر فاردر إنج Vardar Ingh ويحاول أن يدفع بهذه التعسة إلى أن تأسف لمجرد القضاء على ثلاثة فرق من الجيش الإيراني ...

- قال بابس :

- اهدأ، تناول جرعة يافتي ولاتحول فى نظرى إلى سفّاح.

- فى الحقيقة يمكن أن نطبق على كل ذلك المقولة الشائعة : عيون لاترى قلب لايحس. قولى لى أى ضرورة تكمن فى أن نضرب على رؤوس هؤلاء العجائز من خلال تزمت الليفاعة وقماعتها وقذارتها؟ تش، أى سكر أنا عليه يا أخى! إنى ذاهب إلى المنزل. لكنه لايريد الابتعاد عن البطانية الشديدة الدفء، وكذلك البعد عن تأمل جريهوروفوس وهو فى هذا اللقاء العاطفى مع لاماجا. انتزع نفسه بقوة وكأنما ينتف المرء ريش ديك عجوز وقد تصلبت جثته فأصبح يقاوم وكأنه على قيد الحياة. ثم تنهّد وهو يشعر بالرضا: لأنه قد تعرف على موضوع Blue Interlude وهى أسطوانة كانت بحوزته ذات مرة فى بوبنوس أيرس. فلم يكن يتذكر حتى أفراد الأوركسترا ماعدا بينى كارتر Benny Carter وربما تشو برى^(٣) Chu Berry. وكان يستمتع العزف المنفرد الصعب لتيدى ديلسون^(٤) Teddy Wilson. قرر البقاء حتى تنتهى هذه الأسطوانة. كان يونج قد قال بأن السماء تمطر. لابد وأن هذا العازف هو تشو برى، اللهم إلا إذا كان هاوكنز بشخصه. لكن لا، لم يكن هاوكنز «غير معقول أن حالة الفقر المتنامى التى نحن جميعا عليها»، فكر أوليفيرا وهو ينظر إلى لاماجا التى كانت تنظر بدورها إلى جريجوروفوس، وهذا الأخير كان يحمل فى الهواء. «سوف ينتهى بنا الأمر للذهاب إلى مكتبة مازارين Maz-arine ونقوم بإعداد بطاقات بحثية عن نبات تفاح الجن Mandrágoras وزنوج البانتو Bantu أو عن التاريخ المقارن لمقص الأظافر». أى تصوّر عدد كبير من الموضوعات

15

الثافهة والقيام بعمل ضخم لبحثها ومعرفتها معرفة حقيقية، وبالنسبة لتاريخ مقص الأظافر تم البحث فى ألفى كتاب للتأكد من أنه حتى عام 1675 لم يكن يذكر بهذا الاسم. وفجأة فى ماجونثيا Maguncia يقوم أحد ما برسم صورة سيدة تقوم بقص أحد أظافرها. لكن الآلة التى تستخدمها ليست مقصاً بالتحديد بل شيئاً يشبهه، ففى القرن الثامن عشر يسجل شخص يدعى فيليب مالك كينى Philip McKinney براءة اختراع أول مقص له زنبرك. كان هذا فى بالتيمور : ثم حل المشكلة؛ إذ يمكن للأصابع أن تضغط بكامل قوتها حتى تقطع أظافر القدمين المستعصية ثم يعود المقص ليفتح من جديد بشكل آلى. الحصىلة هى خمسمائة بطاقة بحثية خلال عام من العمل. وإذا ما انتقلنا الآن إلى اختراع مسمار البريمة أو استخدام فعل «gond» فى الأدب ال Pali خلال القرن الثامن. كل شئ يمكن أن يكون مهماً باستثناء الحوار الدائر بين لاماجا وجريجوروفوس. مثل العثور على أحد المتاريس أو أى شئ أو مبنى كارتير أو مقص الأظافر أو الفعل gond أو كوب آخر أو عملية الخوزقة التى يقوم بها أحد الجلادين بعناية دون أن ينسى أياً من التفاصيل أو شامبيون جاك دوبريه Ch. J. Duprée وقد تاه فى ال Blues الذى كان أفضل منه (كانت إبرة الجهاز تحدث جلبة مزعجة).

Say goodbye, goodbye to whiskey

قولى له مع السلامة، مع السلامة ياويسكى

Lordy, so long to gin,

ياالورد، إلى اللقاء مع الجن

Say goodbye, goodybye to whiskey

قولى له مع السلامة، مع السلامة ياويسكى

Lordy, so long to gin.

ياالورد، إلى اللقاء مع الجن

I just want my reefers,

ما أريده هو السيجار

I just want to feel high again--

ما أريده فقط هو أن أعود للسكّر من جديد

الأمر المؤكد هو أن رونالد سوف يعود للاستماع إلى بيغ بيل برونزى وقد حدثه فى هذا تراسلات كان أوليفيرا يعرفها ويحترمها، كما أن بيغ بيل سوف يحذثهم عن أحد المتاريس الأخرى بنفس درجة الصوت والنبهة التى تحكى بها لاماجا لجريجوروفوس طفولتها فى مونتفيدو، غير أن بيغ بيل يحكى دون مرارة :

They said if you white, you all right.

قالوا إذا ماكنت أبيض فهذا جيد

If you brown, stick aroun',

وإذا ماكنت أسمر فابق هنا

But as you black Mm,

لكن لما كنت أسود

15

mm, brother, get back, get back, get back.

إذن، إذن، فعليك بالتراجع، بالتراجع، بالتراجع

- أعرف أنه لايجنى المرء طائلا من وراء ذلك - قال جريجوروفويوس - فالذكريات لاتفيد إلا الماضي الأقل أهمية.

- قالت لاماجا :

- نعم، لن يجنى المرء شيئا.

- لهذا السبب، فإذا ماكنت قد طلبت منك أن تحدثني عن مونتيديو فهو لأنك بالنسبة لي تبدين كأتك ملكة فى ورق الكوتشينة، أراك من الوجه لكن بلا خلفية، وأقول لك هذا حتى تفهيمتنى.

- ومونتيديو هى الخلفية ... ترهات، ترهات، ترهات. ماذا تعنى سيادتك بالزمن القديم؟ الأمر بالنسبة لى يعنى كل ماحدث لى حتى ليلة الأمس.

- قال جريجوروفويوس :

- هذا أفضل، أنت الآن ملكة، لكن ليس فى ورق اللعب.

- هذا بالنسبة لى لايعنى منذ وقت طويل، يعنى بعيد، شديد البعد، لكن ليس منذ وقت طويل، إنك تعرف يا أوراثيو جيدا المناطق المسقوفة فى ميدان إندبدينثيا، فى ذلك الميدان الحزين الملئ بالشوايات. من المؤكد أنه كان هناك اغتيال، كما أن الباعة يعلنون عن الصحيفة اليومية وهم فى هذه السقيفة.

- قال أوراثيو :

- وكذلك ورق اليانصيب وكافة الجوائز.

- إنها والسياسة وكرة والقدم و...

- إنه البخار الناجم عن الجرى، والشراب الكحولى أنكاب Ancap واللون المحلى.

- قال جريجوروفويوس :

- لا بد وأن الأمر غريب

وضع نفسه بشكل يغطى به على نظرات أوليفيرا ويبقى وحده مع لاماجا التى كانت تنظر إلى الشموع وتتابع الإيقاع بقدمها.

- قالت لاماجا :

- لم يكن هناك وقت فى مونتيديو فى ذلك الحين، كنا نعيش بالقرب من النهر فى

15

منزل كبير به حوش داخلي مكشوف. كان عمري دوماً ثلاثة عشر عاماً. أتذكر ذلك جيداً - السماء صافية، وثلاثة عشر عاماً من العمر، ومدرسة المرحلة الخامسة والحول الذي بها. وذات يوم أحببت شاباً أشقراً كان يبيع الصحف في الميدان. كانت له طريقة خاصة في نطق كلمة «صحافة» تجعلني أشعر بوجود فراغ هنا كان يرتدي بنطلونات طويلة، لكن عمره لم يتجاوز الاثنى عشر عاماً. لم يكن والدي يعمل، وكان يقضى فترة مابعد الظهيرة وهو يتناول الشاي في البهو. فقدت أمي عندما بلغت الخامسة من العمر، وربتني بعض العمات اللاتي انتقلن إلى الريف بعد ذلك. وعندما كنت في الثالثة عشرة من العمر كنا أنا والدي وحيدتين في المنزل. كان كانه دير صغير وليس منزلاً. كان هناك إيطالي وامرأتان مسننتان ورجل أسود يعيش مع زوجته؛ حيث كانا يتشاجران أثناء الليل، وبعد ذلك يعزفان على الجيتار ويغنيان. كانت عينا الرجل الأسود ملونتان وفمه ميلل دائماً. كنت أشعر ببعض القرف منهما وأفضل اللعب في الشارع. وإذا مارأني والدي على هذا الحال كان يجعلني أدخل المنزل ويضربني. وذات يوم وبينما كان يضربني رأيت الأسود وهو يتجسس علينا من خلال الباب الموارب. لم ألاحظ ما يحدث في البداية، إذ ظهر كانه يحك فخذه ويفعل شيئاً بيده كان والدي منهمكاً للغاية وهو يضربني بالحزام. من الغريب أن يفقد الإنسان براءته فجأة دون أن يعرف أنه دخل مرحلة أخرى في الحياة. في تلك الليلة قام الأسود وزوجته السوداء بالغناء في المطبخ حتى ساعة متأخرة. كنت في حجرتي وقد بكيت كثيراً لدرجة أنني شعرت بغطش شديد لكنني لم أشأ الخروج. كان والدي يتناول الشاي على الباب. كان الجو شديد الحرارة ولا يمكنك أن تدرك ذلك فكلكم أيها السادة من بلاد باردة، إنها الرطوبة وخاصة عندما تكون بالقرب من النهر. يبدو أن الأمر أسوأ في بونوس آيرس، يقول أوراثيرو إنه أسوأ بكثير. أنا لست أدري. في تلك الليلة كنت أشعر أن الملابس التصقت بجسدي؛ والجميع يتناول الشاي بكثرة. خرجت مرتين أو ثلاث مرات لأشرب من الصنبور الذي كان في الحوش مثبتاً بين نبات المالبون. بدا لي أن مياه هذا الصنبور أكثر برودة لم تكن ترى أي نجمة، كما أن رائحة المالبون كانت فظة. إنها نباتات غليظة لكنها جميلة، عليك أن تداعب بيدك ورقة من أوراق المالبون. أطفأت الحجرات الأخرى نورها. كان والدي قد ذهب إلى حانة راموس الأعور. أدخلت الكرسي والشاي والغلاية الفارغة؛ فقد كان يترك كل ذلك دائماً على الباب، ويمكن أن

15

يسرقها أحد أفراد الجوار. أتذكر أنني عندما عبرت الحوش كان القمر قد بزغ ويرى جزء منه فتوقفت لأنظر. القمر دائما يشعرني بالبرودة. كنت أومن بتلك الأشياء. كان عمري ثلاثة عشره عاما لا أكثر. ثم شربت بعد ذلك من الصنبور وعدت إلى حجرتي التي كانت في الدور العلوى. فصعدت سلما حديديا أصبت عليه بالتواء في عقبي عندما كنت في التاسعة. وعندما أخذت في إشعال الشمعة الموجودة على الكومودينو امتدت يد ساخنة وأمسكت بكتفى. وشعرت أنها تغلق الباب بينما تقوم يد أخرى بإغلاق فمى وأخذت أشعر برائحة تنفس الأسود الذى كان يتحسس جسدى ويقول لى أشياء فى أذنى ويلق وجهى وينزع ملابسى، ولم أتمكن من فعل شئ حتى مجرد الاستغاثة، ذلك أننى كنت أعرف أنه سوف يقتلنى إذا ماصرخت وأنا لا أريد أن يقتلونى، فأى شئ أهون من القتل والموت الذى هو الحماقة الكبرى. لماذا تنظر إلى بهذا الشكل يا أوراثيو؟ إننى أقص عليه كيف اغتصببنى الأسود الذى كان يسكن فى الدير. إن جريجوروفىوس يرغب فى معرفة كيف كانت حالى فى أوروچواى.

- قال أوليفيرا :

- عليك أن تقصى ذلك بكل التفاصيل.

- قال جريجوروفىوس :

- يكفى أن تكون لدى فكرة عامة.

- قال أوليفيرا :

- لا توجد أفكار عامة.

(120 -)

16

عندما غادر الحجرة كان الفجر قد اقترب ،أما أنا فلم أكن أعرف كيف أبكى.

- قالت بابس :

- هذا القدر ،

- قال إيتين :

- أوه، تستحق ماجا عن جدارة هذا التكريم، والشئ الوحيد المثير للفضول كالعادة هو الطلاق الشيطاني في الشكل والمحتوى، ففي كل ماتحكيه هو نفس مايحدث بين العشاق بغض النظر عن المقاومة الضعيفة والعدوانية القليلة.

- قال أوليفيرا :

- الفصل الثامن، القسم الرابع - الفقرة أ- دار نشر Presses Universitaires

.Françaises

- قال إيتين :

- أسكت.

- قال رونالد :

- باختصار هل الوقت مناسب للاستماع إلى شئ مثل تسجيل Hot and Both

ered^(١).

- قال أوليفيرا وهو يملأ كوبه :

- إنه عنوان مناسب لمثل تلك الذكريات، كان الأسود شجاعا.

- قال جريجوروفويس :

- ليس هذا مجالا للسخرية

- أنت الذي بدأت يا صديقي.

- إنك سكران يا أوراثيو.

- هذا أكيد، إنها اللحظة الكبرى، ساعة البصيرة، أيتها الفتاة لابد لك أن تبحثي عن عمل في مصحة لأمراض الشيخوخة. انظري إلى أوسيب. إن ذكرياتك الحميمة جعلته يصغر عشرين سنة على الأقل.

- قالت لاما جا حنقة :

- هو الذي طلب ذلك وعليه ألا يقول الآن أن هذا لا يعجبه. أعطني المزيد من الفودكا

يا أوراثيو.

16

لكن لم يبدُ على أوليفيرا أنه كان مستعداً لمزيد من التدخل بين لاماجا وجريجوروفوس الذى كان يغمغم بتفسيرات لاتكاد تسمع. بينما كان صوت يونج يسمع بوضوح أكثر وهو يعرض إعداد القهوة. لابد أن تكون ساخنة جداً وقوية، وهذا سرّ تمّ تعلمه فى كارينو منتون Menton. أقر النادى الاقتراح بالإجماع. تصفيق. وبشغف قبل رونالد تيكتيت إحدى الأسطوانات، وضعها على الجهاز الذى يعمل وقرّب منها الإبرة بشكل مهيب. وفى لحظة سيطر إلينجتون عليهم جميعاً Ellington بالإيقاع الشعبى الشهير للنفير، بينما دخل بيبي كوكس Baby Cox بنعومة ثم أنعم منها كان جونى هودجس Johnny Hodges فى تصاعد الإيقاع el crescendo (لكن الإيقاع كان قد أخذ فى التصلب بعد مرور ثلاثين عاماً. إنه نمر عجوز رغم أنه قرن حتى الآن) بين riffs وحرّة فى الوقت ذاته، إنه معجزة صغيرة وصعبة: «أنا أغنى إذن أنا موجود». اتكأ على البطانية السمكية، وأخذ يتطلع إلى الشموع الخضراء من خلال كأس الفودكا (كنا سنرى لنشاهد الأسماك على رصيف كواي دى ميغيسير Quai de la Mégisserie) وكان من البساطة التفكير فى أن ماقد يسمى بالواقع قد تنطبق عليه الجملة التالية التى يعبر فيها الدوق Duke عن استخفافه «لاتغنى أى شئ إلا إذا كانت هذه الرقصة»، لكن لماذا توقفت يد جريجوروفوس عن مداعبة شعر لاماجا، هاهو المسكين أوسيب لايدرى ماذا يقول وقد اعتراه حزن عميق لكشف خبايا الماضى. كان من المؤلم أن اعترته حالة التصلب فى هذا الجو: حيث تساعد الموسيقى على كسر المقاومة وتسيطر وكأنها تنفّس مشترك، والسلام الذى يملأ قلباً واحداً ضخماً ينبض من أجل الجميع ويتولى مسئولية الجميع. والآن هناك صوت منكسر قادم من أسطوانة متهالكة يفتح لنفسه مكاناً ويحاول أن يطرح الدعوة القديمة لعصر النهضة، والخمريات الحزينة القديمة و«لنحيا الحاضر» شيكاغو عام 1929م.

You so beautiful but you gotta die some day,

You so beautiful but you gotta die some day,

All I want's a little lovin' before you pass away.

أنت جميلة جمالا أخاذاً، لكن ستموتين يوماً ما

أنت جميلة جمالا أخاذاً، لكن ستموتين يوماً ما

كل ما أريده هو بعض الحب قبل أن تموتى.

16

من حين لآخر يحدث أن تتوافق كلمات الأموات مع ما يفكر فيه الأحياء (إذا ما كان هناك من كانوا يعيشون والآخرين موتى). «أنت جميلة جمالا أخذاً». أنا لا أريد أن أموت دون أن أفهم السبب في مجيئى إلى الوجود. إنه الـ bleus ورينيه دوما ل R. Daumal، أوراثير أوليفيرا، لكنك ستموتين يوماً ما» «أنت جميلة جمالا أخذاً»، ولهذا كان جريجوروفويس يلح على معرفة الماضى الخاص به لاما جا، حتى يموت بشكل أقل من هذا الموت نحو الراء الذى هو عبارة عن الجهل بالأشياء التى يجرفها الزمن. وتثبيتها فى زمنها، «ستموتين يوماً ما» «أنت جميلة جمالا أخذاً» حتى لا يعشق شبحا يتركه ليداعب شعره تحت الضوء الأخضر. مسكين يا أوسيب. هاهى الليلة تنتهى نهاية سيئة بعد أن كان كل شئ رائعاً. وكذا هذا جوى مونود but you gotta die some day والزنجى إيونيو (ويعد أن تستعيد لاما جا ثقتها سوف يحدث ما يتعلق به ليد بسما، والرجال الذين لاقوها ليلة الكرنفال والأسطورة الكاملة فى مونتيديو) وفجأة نجد خطوة فى الصميم إذ يظهر إيريل هاينز^(٢) Earl Hines الذى كان يعرض تنويعاً أخرى من «ليس لى أحد» للرجة أن بيريكو الذى كان منهمكاً فى قراءة بعيدة عن الجو العام رفع رأسه مستنداً إلى فخذ جريجوروفويس، وكان ينظر إلى الباركيه والسجادة التركية ونبات أحمر يتوه فى الأصيص وكوبا فارغا إلى جوار قائم ترابيزة. كانت تريد التدخين لكنها لن تطلب من جريجوروفويس سيجارة، دون أن تعرف السبب فى رفضها ذلك، ولن تطلب ذلك من أوراثير لكنها كانت تعرف السبب فى أنها تطلب من أوراثير، لم تكن تريد أن تنظر إلى عينيه فسوف يعود للضحك من جديد انتقاماً من التصاقها بجريجوروفويس، وأنها لم تقترب منه طوال الليلة. كانت تشعر بعدم الحماية وأخذت تراودها أفكار غريبة، وبعض أبيات الشعر التى تنتحلها حتى تشعر أنها ليست بمعزل، فمن ناحية «ليس لى أحد ولا أحد يهتم بى»، فهذا ليس حقيقياً ذلك أن هناك اثنين على الأقل من الحاضرين قد اعتراهما الحزن بسببها بالإضافة إلى بيت من الشعر للشاعر الفرنسى بيرس^(٣) Perse الذى يقول «أنت هنا يا جى وأنا ليس أمامى أحد ألجا إليه إلا أنت، حيث كانت لاما جا تختبئ وتحضن الصوت» أنت هناك يا حبيبى، كما أن القبول الواهن بالحمية التى تتطلب إغماض العينين والشعور بالجسد على أنه قربان، وكأنه شئ يمكن لأى واحد أن يأخذه ويلطخه ويرفع من قيمته مثل إيرنيو، وأن موسيقى هاينز تتوافق مع البقع الحمراء والزرقاء التى كانت تتراقص على أهدابها وتتنادى دون

16

أن يعرف السبب. قولانى، إلى اليسار قولانا (ولا أحد يهتم بى) وتدور بجنون، إلى أعلى قولانى، وتظل ساكنة كأنها نجمة ذات لون أزرق يشبه ألوان ببيرو فرانسيسكا^(١) Pierodellafrancesca و«لاملجأ لى إلا أنت»، قولانا وقولانى، لايمكن لرونالد أن يعزف على البيانو مثل إيريل هاينز. وفى الحقيقة يجب أن يكون لديها هى وأوراثيو هذه الأسطوانة للاستماع إليها ليلا فى ظلمة الحجرة وتعلم حب بعضهما البعض باستخدام تلك الجمل وهذه المداعبات الممتدة والعصبية «ليس لى أحد» على الظهر وعلى الأكتاف والأصابع والقفأ وإدخال الأظافر فى الشعر ثم إخراجها من جديد لكن رويدا رويدا، ثم يعقب ذلك زوبعة وقولانى تندمج مع قولانا «أنت هناك يا حبيبى مع «ولا أحد يهتم بى» كان أوراثيو هناك، لكن لم يعن بها أحد ولم يقم أحد بمداعبة رأسها. لقد اختفت قالين وقولانا كما كانت أهدابها تؤلمها، لأنها تغمض عينيها بقوة. كان يسمع صوت رونالد وهو يتحدث ورائحة قهوة، إنها رائحة رائعة للقهوة. ياعزيزى وونج، وونج، وونج، وونج. اعتدلت فى جلستها وهى تغمض عينيها وتفتحهما. نظرت إلى جريجوروفويس الذى بدا وكأنه فقد شيئا من قدره وأصبح قدرا. هناك من قدم له فنجانا.

(– 137)

17

- قالت لاماجا :
- لا أحب الحديث عنه لمجرد الكلام.
- قال جريجوروفس :
- حسن كنت أسأل فقط.
- يمكن أن أتحدث عن شيء آخر إذا ماكنت تريدني أن أتكلم.
- لا تكوني سيئة.
- قالت لاماجا :
- إن أوراثيو مثل حلوى الأفوكاتو.
- ماهي حلوى الأفوكاتو ؟
- أوراثيو هو مثل كوب ماء وسط العاصفة.
- قال جريجوروفس :
- آه لابد وأنه ولد في تلك الفترة التي نتحدث عنها مدام ليوني عندما تلعب الخمر برأسها قليلا! إنه زمن لم يشعر أحد فيه بالسكينة، كانت الخيول تجر الترام والحروب تدور في الحقول، ولم يكن هناك علاج للأرق كما تقول مدام ليوني.
- قال جريجوروفس :
- إنه العصر الذهبي الجميل في أوديسا Odessa حدثوني أيضا عن أزمة من ذلك النوع، كانت أمي رومانسية تسدل شعرها ... يذرعون الأتanas في الشرفات، وفي أثناء الليل لم يكن هناك حاجة لاستخدام الأواني المخصصة للبصق، كان الزمن غير عادي. لكنني لست أرى أوراثيو في إطار غذاء ملكات النحل هذا.
- ولا أنا. لكن ربما كان أقل حزنا. إن كل شيء هنا يؤله بما في ذلك الأسيرين. في الحقيقة جعلته يتناول حبة من الأسيرين في الليلة الماضية بسبب ألم في أضراسه فأمسك بها وأخذ ينظر إليها، وتكلف الكثير من الوقت في اتخاذ قرار بلعها. قال لي أشياء غريبة منها أنه مما ينقل العدوى تناول أشياء لايعرفها المرء جيدا، وهي الأشياء التي اخترعها آخرون لتهدئة أشياء أخرى غير معروفة أنت تعرفه جيدا عندما يأخذ في تقليب الأمور على أكثر من وجه.
- قال جريجوروفس :
- لقد كررت كثيرا كلمة «شيء» ليس هذا لطيفا، ومع ذلك يوضح جيدا ما الذي يحدث لأوراثيو. إنه ضحية الانغلاق، وهذا بديهي.
- قالت لاماجا :
- وماعنى الانغلاق؟
- إنه ذلك الإحساس غير المريح الذي يتولد من أنه عندما ينتهي الغرور يبدأ

17

العقاب. أنا متأسف لاستخدام لغة فيها تجريد ومجاز. لكنى أريد أن أقول إن أوليفيرا لديه حساسية شديدة - من الناحية الباثولوجية - ضد أى شئ يفرض عليه مما حوله، ومن العالم الذى يعيش فيه ومن أى شئ صادفه، وأقول ذلك مستخدما عبارات لطيفة. ويمكن قول ذلك فى كلمة واحدة، تزعجه الظروف. وبإيجاز أكثر العالم يؤله. لقد شككت فى ذلك يالوثيا وببراءة عذبة تتصورين أن أوليفيرا سوف يكون أكثر سعادة فى أى واحدة من الأركادياس الصغيرة Las Arcadéas التى تصنعها مدام ليونى ومن هن على شاكلتها فى هذا العالم. هذا دون الحديث عن أمى، أم الأوديسا Odessa. أعتقد أنك لم تصدقى حكاية الأناثاس،

- قالت لاماجا :

- ولاحظى أوانى البصق من الصعب تصديق ذلك.

عن لجوى مونود الاستيقاظ عندما كان كل من رونالد وإيتن يتفقان على الاستماع إلى جيلى رول مورتون^(١) Jelly Roll Morton. وفتح إحدى عينيه وقرر بأن هذا الظاهر الذى يحجب ضوء الشموع هو ظهر جريجوروفيس. أصابته رعشة عنيفة، فالشموع الخضراء التى ترى من عند السرير أحدثت لديه انطبعا سينا، كما أن المطر الذى يتساقط على المنور، يختلط، بشكل غريب، ببقايا صور حلم، إذ كان يحلم أنه فى مكان غريب لكنه مشمس؛ حيث كانت جابى تسير عريانة، وتلقى بلبابة الخبز لبعض الحمام الكبير وكأنه بط قد اعترته البلاءة. «أعانى من الصداغ» قال جوى لنفسه. لم يبد أى اهتمام بالمغنى جيلى رول مورتون. رغم أنه كان مسليا الإنصات إلى صوت المطر فى المنور، بينما كان جيلى رول يتغنى بهذه الكلمات «توقف عند الناصية وقد ابتل حذاؤه ودخلت المياه إلى قدميه» ومن المؤكد أن وونج قد كوّن على الفور نظرية تتعلق بالزمن الفعلى والزمن الشعري، لكن هل حقيقى أو وونج تحدث عن إعداد قهوة؟ بينما جابى تلقى بلباب الخبز للحمام، بينما وونج يدخل بصوته، بين ساقى جابى وهى عريانة فى حديقة مليئة بالزهور العنيفة، قائلا : «هناك سرّ تعلمته فى كازينو مينتون» ومن المحتمل جدا أن يهل علينا وونج وهو يحمل ماكينة القهوة مليئة عن آخرها.

كان جيلى رول يعزف على البيانو محمدا الإيقاع بنعومة باستخدام حذائه، وذلك لعدم وجود أى آلة إيقاعية. كان يمكن لجيلى رول غناء Mamie's Blues وقد اتكأ إلى الخلف قليلا على شيزلونج، بينما عيناه مثبتتان فى هيكل فى السماء الصافية أو ربما

17

كانت ذبابة تروح وتغدو فوق عيني جيلي رول. كانت الحياة على هذا المنوال، قطارات تروح وتغدو محملة بالمسافرين، بينما يبقى المرء على الناصية ورجلاه مبتلتان، وفي الوقت نفسه يستمتع إلى بيانو يعمل ميكانيكياً وإلى ضحكات مجلجلة تداعب الفترينات الصفراء في الصالة حيث لا يتوفر المال دائماً للحصول على تذكرة الدخول «لقد أخذ منى حبي». لقد ركبت بابس الكثير من القطارات على مدار حياتها، إذ يطيب لها السفر بالقطار خاصة إذا ما كان هناك صديق في انتظارها وفيما إذا ما كان رونالد يتحسس فخذاً بيده بعذوبه مثلاً هو الحال الآن، ويرسم لها الموسيقى على جلدها. «اثنين - تسعة عشر، لقد أخذ منى حبي»، ومن المؤكد أن هناك قطارا آخر سوف يأتي بها في رحلة العودة، لكن من يدري فيما إذا كان جيلي رول سيكون على ذلك الرصيف وجالسا إلى ذلك البيانو وفي تلك الساعة التي غنى فيها الخاصة Mamie Desdume، والمطر الذي يتساقط على منور في باريس في الواحدة صباحاً والأقدام المبللة وفتاة الليل التي تغغم بـ «إذا لم تستطع أن تعطيني دولاراً فأعطني سنتيماً لعيناً». وقد قالت بابس كلمات مثل هذه في ثينثيناتي Cincinnati. كما أن كل النساء قلن أشياء مثل هذه ذات مرة وفي مكان ما بما في ذلك على فراش الملوك. كانت لدى بابس فكرة خاصة جداً عن أسرة الملوك، وعلى أي الأحوال فإن امرأة ما قالت عبارة مثل هذه «إذا لم تستطع أن تعطيني مليون دولار فأعطني الورقة الملعونة ذات الألف دولار» إنها مسألة نسبية، ولماذا كان عزف جيلي رول على البيانو حزينا، وكأنه ذلك المطر الذي أيقظ جوى يدفع به لاما جا للبقاء، كما أن وونج لم يظهر ومعه القهوة.

- قال إيتين وهو يتنهد :

- طف الصاع، وأنا لا أدري كيف يمكن لي تحمل تلك القذارة: إنه مثير لكنها

قذارة.

- إنه ليس ميدالية لبيسانيلو^(٢) - Pisanello - قال أوليفيرا .

- كما أنه ليس قنبلة من قنابل شوينبرج^(٣) - Schoenberg - قال رونالد - لماذا طلبته مني؟ إنك تفتقر إلى الذكاء والشفقة. هل حدث لك ذات مرة أن كانت قدماء في المياه في منتصف الليل؟ حدث ذلك لجيلي رول؟ وهذا يري عندما يغنى، إنه شيء معروف أيها العجوز.

- قال إيتين :

17

- إننى أرسـم بشكل أفضل عندما تكون قدمائى حافيتين وعليك ألا تقول لى حججا خاصة بـ Salvation Army. ومن المستحسن أن تضع شيئاً أكثر ذكاء مثل سولات سونى رولنز^(٤) Sonny Rollins. والأنماط الإنسانية لمنطقة الشاطئ الغربى تدفعنا - على الأقل - للتفكير فى جاكسون بولوك^(٥) Jackson Pollock أو توبى^(٦) Tobey. وسوف نرى أنهما انتقلا من عصر البيانولا وصندوق الدنيا.

- قال أوليفيرا وهو يتثاب :

- إنه قادر على الاعتقاد بتقدم الفن، لا تُعزّه اهتماما يارونالد، وعليك أن تخرج بيدك غير المشغولة بشئ، أسطوانة أغنية^(٧) Stack O'Lee Blues إذ بها سولو على البيانو اعتبره جديراً بالاستماع إليه.

- قال إيتين :

- فيما يتعلق بتطور الفن فما ذلك إلا أكاذيب جد معروفة لكن فى موسيقى الجاز يوجد عدد كبير ممن يمارسون الابتزاز شأن أى نوع من أنواع الفنون. فهناك فارق بيناً للموسيقى التى يمكن ترجمتها فى شكل انفعال ما. وهناك انفعالات تود لو تتحول إلى موسيقى، إنه ألم أبوى وضحكة ساخرة ذات لون أصفر وبفسجى وأسود. لا يابنى إن الفن يبدأ مما وراء هذا وذاك، لكن غير ذلك على الإطلاق.

لم يبد على أحد من الحاضرين الاستعداد لمقارعة ذلك أن وونج ظهر وهو يحمل القهوة، بينما رونالد يهز كتفيه وكان قد وضع الأسطوانة الخاصة بـ وارين بنسلفانيا Waring's Pennsylvania ومن خلال صرير رهيب كان يصل الصوت الذى يسعد أوليفيرا، إنه صوت نغير ولا يعرف من يعزفه ثم البيانو بعد ذلك؛ يصل كل هذا من خلال دخان فونوغراف قديم وتسجيل غير سليم وأوركسترا من النوع العادى، وكان ذلك سابقاً على موسيقى الجاز، أى على هذه الأسطوانات القديمة، ومن خلال الاستعراضات فى المراكب وليالى Storyville نشأت الموسيقى العالمية الوحيدة فى هذا القرن وهى شئ يقرب بين بنى الإنسان بشكل أقوى وأفضل من لغة الأسبرانتو ومن منظمة اليونسكو ومن الخطوط الجوية، إنها موسيقى بدائية جدا لدرجة أنها تبعد عن الدخول فى مصاف العالمية، لكنها جيدة جدا لتقص حكايتها من خلال رفضها وإنكارها والشارلستون وخروجها على الدين وغناها blues ورقصاتها Stamp و Fox-Shimmy و hat، الأمر الذى جعل من الممكن تصنيفها وتبويبها وتمييز هذا الأسلوب من

17

ذاك مثل الـ Swing والـ bebop والـ cool، إنها عملية ذهاب وإياب من وإلى الرومانسية والكلاسيكية، الجاز الدماغى الساخن، إنها الموسيقى - الإنسان، إنها موسيقى لها تاريخ وتختلف عن الموسيقى الحيوانية اليلهاء الخاصة بالرقص مثل الـ polk والفالس والسامبا. إنها موسيقى تهى الجو للتعارف والاحترام المتبادل سواء كنت فى كوبنهاجن أو ميندوثا أو رأس الرجاء الصالح، هى التى كانت تقرب الشباب الصغير من بعضهم البعض وهم يحملون أسطواناتهم تحت إبطهم وتجعل لهم ملامح وإيقاعا، وكأن ذلك شفرة للتعارف والتقارب، وأن يشعر المرء بأنه أقل عزلة بعد أن أحاط به كل من رؤساء المكتب والأسر والحب المرء. إنها موسيقى تسمح بكافة التخيلات والأمزجة وجمع الأسطوانات طراز 78 المتهاكة التى تتضمن عزف فريدى كيبارد^(٨) Freddie Keppard أو بونك جونسون^(٩) Bunk Johnson والرجعية المتميزة والرجعية المتميزة لديكسى لاند Dixieland والتخصص الأكاديمى فى بيكس بيدريك Bix Beiderbecke أو القفز نحو المغامرة الكبرى لثيولونيوس مونت^(١٠) Thelonis Monk وهوراس سيلفر^(١١) Horas Silver أو تيد جون Thad Jones أو تكلف إيرول جارنر Errol Garner أو آرت تاتوم^(١٢) Art tatum، هناك التوبة والجدود والشغف بالمجموعات الصغيرة والتسجيلات الغريبة تحت اسم مستعار ومسميات فرضتها ماركات صناعة الأسطوانات، أو ما عن اللقائمين على الأمر - كل هذا الخليط كان يتم الاستماع إليه يوم السبت ليلا فى حجرة الطابعة أو فى البديروم الخاص بالشلّة حيث تفضّل الفتيات الرقص وهن يستمعن إلى ستار دوست^(١٣) "Star Dust" When your man is going to put you down وتفوح منهن بعذوبة ويطء رائحة الكولونيئات والبرفانانت ورائحة الجلد والحرّ وتسمعن بقبلة عندما يتأخر الوقت، هناك من قام بوضع أسطوانة The blues with a feeling فلم يعد يرقص أحد. لقد توقف الجميع وهم يملون يمنة ويسرة ويتحول كل شئ إلى قذارة وسفالة، ويود كل رجل لو انتزع هذا الصديرى الدافئ بينما تقوم اليدان بمداعبة الظهر، أما الفتيات فقد فتحن أفواههن بعض الشئ وأخذن يسلمن أنفسهن لذلك الخوف اللذيذ والليل، وعندئذ يصعد صوت النغير الذى يملك عليهن ليهن من خلال الرجال، ويأخذهن من خلال جملة واحدة ساخنة تجعلهن يسقطن كل واحدة بين ذراعى رفيقها وكأنهن شجرة قطعت للتو، وهناك سباق لايتحرك وقفزة فى هواء الليل على المدينة ويظل الأمر كذلك حتى يظهر صوت بيانو يعيدهن إلى وعيهن وقد فقدن طاقتهن، وأصبح فى حالة هدوء وهن

17

لازلن عذراوات حتى السبت التالي. كل ذلك من خلال موسيقى تفزع أصحاب القفا المفضض، وهؤلاء الذين يؤمنون بأن لاشئ حقيقي إلا إذا كان هناك برنامج مطبوع وترتيبات مسبقة، وهكذا يمضى العالم بينما موسيقى الجاز ليست إلا عصفورا يهاجر أو ينتقل أو يرتحل أو يقفز فوق الحواجز ويخدع نقاط التفتيش الجمركي، إنه شئ يجرى وينتشر، وهذه الليلة في فينا نجد إيلا فيتزجيرالد^(١٤) Ella Fitzgerald تغنى، بينما كينى كلارك Kenny Clarke يفتح في باريس كهفًا Cave. أما في بريجنان Perpigan فتلعب أصابع أوسكار بيترسون^(١٥) Oscar Peterson هناك Satchmo في كل مكان قد سكن القلوب في كل من وارسو وبرمنجهام وميلان وبوينوس أيرس وجنيف وفي العالم أجمع وذلك بفضل موهبة أعطاهها له الله. إنه المطر والخبز والملح، إنه شئ يختلف تماما عن الطقوس الوطنية والتقاليد التي لا يمكن كسرها واللغات والفلكلور : إنه سحابة لاتعرف الصود وجاسوس الهواء والماء، إنه نموذج فريد، إنه من الماضي، ومن أسفل، يسهم في إحداث مصالحة بين المكسيكيين وأهالي النرويج والروس والأنبان ويعيد ضمهم إلى النار المركزية المظلمة المنسية. إنه أبلة وسيئ ويعيدهم إلى جذور تمت خيانتها، إنه يشير إليهم قائلاً بأنه ربما كانت هناك طرق أخرى، وأن الطريق الذى بدأوا السير فيه لم يكن الوحيد كما لم يكن أفضل الطرق. أو ربما كانت هناك طرق أخرى، وأن ما اختاروه هو الأفضل، أو ربما كانت هناك طرق ممتعة في السير ولم يسيروا فيها أو ساروا فيها حتى المنتصف، وأن الإنسان دائما يعلو دائما على مجرد كونه إنسانا ودائما أقل من كونه إنسانا، أو أكبر من كونه إنسانا؛ ذلك أن في داخله ذلك الذى تشير إليه موسيقى الجاز وتركز عليه وتعلن عنه. وهو أقل من كونه إنسانا إذ إنه من خلال هذه الحرية استطاع القيام بلعبة جمالية أو أخلاقية، وصنع قاعدة الشطرنج واحتفظ لنفسه بدور الفيل أو الحصان، إنه نوع من تعريف الحرية يتم تدريسه في المدارس خاصة في المدارس التى لم ولن يدرس فيها للأطفال أول إيقاع ragtime وأول جملة في الـ blues ... إلخ.

يمكن لى الجلوس فى هذا المكان والتفكير على بعد ألف ميل

يمكن لى الجلوس فى هذا المكان والتفكير على بعد ألف ميل

لايمكن لى تذكر الآخر منذ أن حلّ بى الحزن.

(97 -)

18

لم يكن يكسب شيئا من وراء تساؤلاته حول ما الذى يفعله هناك فى مثل هذه الساعة ومع هؤلاء الناس، هؤلاء الأصدقاء الأعزاء غير المعروفين سواء فى أمسهام أو غدهم، هؤلاء الناس الذين ليسوا إلا عرضا بسيطا فى المكان والزمان. بابس ورونالد وأوسيب وجيلي رول وأختاتون : أى فارق بينهم؟ إنها نفس الظلال التى تعكسها نفس الشموع الخضراء، إنها حالة السكر فى أعلى درجاتها، إنها الفودكا غير الأصلية عادة القوة، أه لو كان ممكنا التفكير فى استنتاج لكل ذلك وفهم النادى، وفهم «العربة الباردة» وفهم حب لاماجا وفهم كل خيط من خيوط العرائس والسير وراء هذه الخيوط وصولا إلى الأصابع وإثراك كل عروسة أو كل محرّك للعرائس، وكأننا فى عيد الغطاس. فهُم كل ذلك لا على أساس أنه رمز لواقع لا يمكن بلوغه بل على أساس أنها قوة داعمة (أى لغة تستخدم وأية قلة حياء)، أو مماثلة لحظ البداية فى مسابقة كان يجب الدخول فيها فى هذه اللحظة، بأن يخرج الإنسان من الجلد السميك للبطانية الدافئة التى تشم لها رائحة طيبة وقوية لدرجة يخشى المرء معها الخروج إلى بسطة السلم والهبوط بمفرده والخروج إلى الشارع وحده، وأن يبدأ المشى، المشى وحده، حتى يبلغ الناصية، الناصية وحدها. والوصول إلى مقهى ماكس، ماكس وحده، وعمود الإنارة الكائن فى شارع بليتشاس Bellechasse؛ حيث ... حيث كان وحده، وربما ابتداء من هذه اللحظة.

لكن كل شئ فى إطار ميتا - فيز - يقى؛ ذلك أن أوراثيو، الكلمات ... أى أن الكلمات بالنسبة لأوراثيو ... (يالها من قضية تم التعرض لها كثيرا فى لحظات الأرق). أن يأخذ لاماجا من يدها، تحت المطر وكأنه دخان السيجارة، وهى شئ يُشكّل جزءا من المرء تحت المطر. العودة لممارسة الحب معها، لكن من أجلها بعض الشئ وليس لتعلم الإعراض السهل أو النفور الذى ربما يكون غطاء لعدم جدوى الجهد، والسخف الذى يساعد على تعلّم علم الجبر فى جامعة لاهدف لها، خصصت لكلاّب عائلة أو بنات ضباط الجيش. أخذت خيوط الفجر تضرب فى المنثور، إنه إلوچه الحزين جدا لـ لاماجا وهى تنظر إلى جريجوروفوس وهو ينظر إليها 'Struthin' with some barbecue. وبابس التى عادت تبكى من جديد من أجلها وقد جلست خلف رونالد الذى لم يكن

18

يبكى، لكن كان وجهه مغطى بالدخان الذى بدا وكأنه التصق به والفودكا التى تحولت إلى هالة تشبه هالات القديسين، هذا هو بيريكو الشبح من أمريكا اللاتينية وقد صعد على كرسى بلا مسند للظهر أو اليدين كرمز للاستخفاف والأسلوية المبتذلة. أه لو كان كل ذلك قابلا للاستنتاج، أه إذا لم يكن كل ذلك، وهو فى الواقع لم يكن إلا لكونه هناك حتى يكون أحد ما (أى فرد، أما الآن فهو، ذلك أنه كان الذى يفكر، وعلى أى الأحوال كان هو القادر على أن يعرف أنه يفكر. أه ياديكارت أيها العجوز الملعون!) حتى يكون أحد ما، من كل ذلك الذى كان هناك، قادرا على الإلحاح، وأن يعرض وينهش وينتزع، لست أدري ماذا، لكن يجب أن ينهش حتى يصل إلى العظام، ومن كل هذا قد يمكن طلاق سراح زيز سلا، أو صرآر الليل، ويمكن الدخول من أى باب إلى أى جنة، إلى جنة مجازية بالنسبة للآخرين مثلما أن الماندله Mandala مجازية بالنسبة للآخرين. ويمكن أن نقطف ورده من هذه الحقيقة: هذه الزهرة يمكن أن تكون لاماچا أو بابس أو وونج، لكنها مشروحة وشارحة، وقد تم إرجاعهم إلى الأصل بخروجهم من شخصيتهم فى النادي: إعادتهم وخروجهم وظهورهم، ربما كان كل ذلك ليس إلا شوقا للجنة على ظهر الأرض، أو نمودجا مثالياً للنقاء. إلا أن النقاء اليوم أصبح محصلة لامناص منها للتبسيط، سواء طار الفيل، أو الأبراج، وقفز الحصان، وسقطت العساكر، وفى وسط رقعة الشطرنج وقف الملوك وقد أصبح حجمهم كبيرا كأنهم أفيال من فحم الأنتراسيت وقد أحيطوا بأصفى وأنقى مافى الجيش. وعند الفجر تتكسر الرماح التلسة، وسوف يعرف الحظ، وسوف يكون هناك سلام. إنه نقاء مثل النقاء فى جماع التماسيح الأمريكية، وليس النقاء الخاص بمقولة أه يامريم، يا أمى، والأقدام قذرة. إنه نقاء سقق من الحجر الأسود وعليه يقف الحمام ويلقى بروثه على السيدات وقد جن جنونهن من الغيظ ومن حرّم الفجل .. نقاء ... يا أوراثيرو من فضلك.

(كفى هيا، هيا إلى الفندق، وخذى حماما، واقرئى قصة «عذراء باريس»^(١) أو قصة «إناث الذئب فى ماتشيوكول»^(٢) وتخلص من هذا السكر) النقاء. كلمة فظيعة. بوريه وبعد ذلك وقفة. تنتهى بعض الشئ. وما الفائدة التى يمكن أن يكون السيرىالى بريست Bris-set قد جناها؟ لماذا تبكى؟ من يبكى؟ يجب فهم البوريه وكأنه عيد الغطاس Damn the language الإدراك. وليس البصيرة : الإدراك. إنه الشك فى فردوس يمكن استرجاعه:

18

لا يمكن أن نكون هنا، حتى لا يمكن أن نكون بريست^(٢) Brisset. الإنسان أصله الضفادع ... «أعنى كائنه خفاش وسكران كئنه فراشة إرهاب ملكي أمام الأبواب التي يمكن أن ...» (هناك قطعة من الثلج في الدماغ، يجب الخلود إلى النوم، مشكلة : جوني دودس^(١) Johnny Dodds أو البدتونيكولاس؟ إنه دودس فهذا شبه أكيد. ملاحظة : اسأل رونالد) بيت من الشعر سيء يضرب بجناحيه في المنثور : «قبل السقوط في بحر العدم مع آخر انبساطة للقلب ...» أي حاله سكر يا أبي. «أبواب الإحساس ل^(٥) Aldley Huxdous أخذ لنفسك قطعة من مخدر المسكاليينا والباقي ليس إلا فرحة غامرة وإسهال» لكن جادين (نعم، كان جوني دودس وقد تأكدت من ذلك بطريقة غير مباشرة، أما ضابط الإيقاع فلا يمكن أن يكون إلا زوتي سينجلتون^(٦) Zutty Singleton، أما عازف الكلايينيت فهو جوني دودس. إنه الجاز، العلم الاستنتاجي، وهذا في غاية السهولة بعد الرابعة صباحاً، غير منصوح به للسيدات) لكن جادين. يا أوراثير قبل أن تنتهي ونخرج متجهين إلى الشارع فلنسأل أنفسنا وروحنا على طرف يدنا (على طرف يدنا؟). في وسط اللسان، أو أي شيء من هذا القبيل. أسماء الأماكن، والمختارات الوصفية، وجزءان مـ صـ و - ران). لنسأل أنفسنا فيما إذا كان من الواجب البدء في المهمة من أعلى أو من أسفل (لكن حسن، إنني أفكر بوضوح، إن الفودكا تثبت الأشياء كأنها فراشات على سطح كرتوني. أ هو أ، «إبريل هو الشهر الأكثر قسوة» كل شيء في مكانه، وهناك مكان لكل وردة هي وردة هي وردة) «أوف، تنبه لـ Jabberwocky أصاب أوراثير المزيد من الانزلاق ورأي بوضوح كل ماكان يريد رؤيته. لم يكن يدري فيما إذا كان يجب البدء في المهمة من أعلى أو من أسفل مع أنه ركز كل حواسه، أو كما هو الحال عليه الآن، في حالة الشتات واللاتماسك فهو منتبه إلى المنور والشموع الخضراء وإلى الوجه الحزين لـ لاماجا وإلى ما ريني Ma Rainy التي تغني Jelly Beans Blues، أو ربما كان على ذلك الحال، أي مشتتاً وواعياً للإشارات المرسلة ويمتص كأنه أسفنجة، مثله مثل كل شيء كان حوله؛ فلم يستحق منه إلا نظرة قصيرة بعينه الحقيقيتين. لم تكن حالة السكر تحول دون أن يشعر أنه فتت كل أجزاء بيته ويدخله هو لم يعد أي شيء في مكانه. ومع هذا - هذا حقيقي، هذا حقيقي ورائع - نجدما على الأرض أو في السقف أو تحت السرير أو طافية، وكان هناك نجوم وقطع

18

من الخلود وقصائد هي الموسيقى ووجوه ضخمة لنساء وقطط حيث يضطرم غيث أنواعها، وفي خليط الزبالة «وشرار من لسانه من معدن اليشم»؛ حيث الكلمات تتشكل في صغيرة ليل نهار، وفي معارك رهيبية للنمل ضد أم أربع وأربعين والسبب في حالة تعايش مع أنقى إشارة للجوهر، والصورة الواضحة مع أسوأ الأفاقين، تنتصر الفوضى وتجري في الحجرات وعلى خصلات شعرها قد علقت عيون من زجاج وامتلات الأيدي بورق اللعب الذي لا يمكن توليفه ورسائل تنقصها التوقعات والعنوان، وعلى الموائد كانت أطباق الشوربه تبرد، وامتلات أرضية المنزل بالبطلونات الملقاة وبالتفاحات الفاسدة والضمادات المتسخة، وفجأة نما وكبر كل ذلك وتحول إلى موسيقى صاخبة، كان أقطع من الصمت المخمل للبيوت المنظمة التي يعيش فيها أقرباؤه من نوى السمعة الحسنة، ووسط هذه الفوضى حيث نجد الماضي غير قادر على العثور على زرار قميص والحاضر كان يخلق ذقنه بشقفة زجاج لعدم وجود أمواس فربما دفنت في إحدى الأصص، وفي خضم زمن كان ينفث كأنه دوارة هواء على أي رياح، كان هناك رجل يتنفس حتى أصبح غير قادر على المزيد، وكان يشعر أنه يعيش حتى الجنون في دائرة تأمل الفوضى المحيطة به، ويسأل فيما إذا كان لكل هذا معنى. إن كل فوضى لها مايررها إذا ماكان عليها أن تخرج من الحالة التي هي عليها. وربما من خلال الجنون يمكن الوصول إلى العقلانية شريطة ألا تكون العقلانية التي يكمن خطؤها في الجنون. «الانتقال من الفوضى إلى النظام» فكر أوليفيرا، «نعم لكن أي نظام يمكن أن يكون بحيث لا يبدو بأنه الأكثر فحشا ورعبا وغير قابل للإصلاح ضمن كل حالات الفوضى؟ إن النظام عند الآلهة هو الإعصار أو اللوكيميا، والنظام عند الشعراء هو نقيض المادة، والمكان الصلب وزهور شفاه ترتعش. أي حالة سكر أنها عليها، يا أمي لابد من الخلود إلى النوم في الحال» كانت لاماجا تبكي، واختفى جوى. أما إيتين فقد ذهب وراء بيريكو، لكن جريجوروفوس وونج وروناك كانوا يتأملون الأسطوانة التي تدور ببطء بسرعة 33,5 لفة/ دقيقة لا أكثر ولا أقل. وفي كل هذه الدورات كان Oscar's Blues، أوسكار بلور، ومن الواضح أن أوسكار كان يعزف على البيانو، اسمه أوسكار بيتر سون. إنه عازف بيانو بهيئة النمر والقماش المخمل، هو عازف بيانو حزين وضخم الجثة، إنه عازف على البيانو، بينما يتساقط المطر في المنور. كل ذلك في النهاية، أدب.

(153 -)

19

- قالت لاماجا وهى تداعب شعره :
- أعتقد أننى أفهمك إنك تبحث عن شئ لاتعرف ماهيته. كما أننى أيضا لا أعرف عنه شيئا. إلا أنهما شيخان مختلفان. ذلك الذى كانوا يتحدثون عنه فى الليلة السابقة ... نعم أنت تبدو كأنك موندريان Mondrian أما أنا وڤييرا دا سيلفا Vieira da Silva.
- قال أوليفيرا :
- آه، وعلى ذلك فأنا موندريان.
- نعم يا أوراثيرو.
- تريدان القول إننى أنسم بالدقة.
- أنا أقول موندريان.
- ألم يخطر ببالك الشك فى أنه وراء موندريان، ذلك يمكن أن يبدأ واقعا هو ڤييرا دا سيلفا ؟
- قالت لاماجا :
- آه بلى، لكلك لم تخرج حتى الآن من واقع موندريان، فأنت خائف، وتريد أن تكون واثقا، لست أدرى من ماذا ... إنك مثل طبيب ولست كشاعر.
- قال أوليفيرا :
- لنترك الشعراء ولاتجعلى موندريان يقف فى وضع غير مقبول بإحداث المقارنة.
- إنه أعجوبة، لكن بدون هواء. إننى أعرف بعض الشئ فى الداخل. وعندما تبدأ فى الحديث بأنه يجب العثور على الوحدة، فأنى فى هذه اللحظة أرى أشياء جميلة، لكنها ميتة وليست إلا زهورا مجففة وأشياء من هذا القبيل.
- لنر يا لوثيا : هل تعرفين جيدا مامعنى الوحدة؟
- قالت لاماجا :
- أنا اسمى لوثيا، لكنك لايلزم عليك أن تنادينى بهذا الاسم الوحدة نعم أعرف مامعناها. إنك تريد أن تقول بأن كل شئ يجتمع فى حياتك حتى تتمكن من رؤيته فى وقت واحد؛ أليس كذلك؟
- بلى، بشكل أو بآخر - تنازل أوليفيرا - إنه لأمر عجيب ذلك المتمثل فى الجهد الكبير الذى تبذله لإدراك المفاهيم المجردة. الوحدة، التعددية ... ألسنت غير قادرة على إدراكها من الحاجة لذكر أمثلة؟ لا، لست قادرة على ذلك. حسن لنر : حياتك أليست وحدة بالنسبة لك؟
- لا، لا أعتقد. إنها أجزاء وأشياء مرت بى.

19

- لكنت بدورك مررت بها أيضا مثل مرور الخيط بهذه الحجارة الخضراء. وبمناسبة الحديث عن الحجارة، من أين أتى ذلك العُقد؟
- قالت لاماجا :

- أعطاه لى أوسيب كان ملكا لوالدته التى من أوديسا Odessa. بلغ أوليفيرا الشاى ببطء، وصلت لاماجا حتى السرير المنخفض الذى أعارها إياه رونالد حتى تتسع الحجرة لروكامادور. وأخذ فى الاعتبار السرير وروكامادور وصياح الجيران. لم يعد هناك مكان للعيش، لكن بوسع أى إنسان إقناع لاماجا بأن روكامادور سوف يتماثل للشفاء بشكل أسرع فى مستشفى الأطفال. كان من الضروري مرافقتها إلى الريف يوم أن تلقت تلغراف مدام إيريني، وأُفِّدَ روكامادور فى خرق وبطاطين وإعداد سرير كيفما اتفق والتضحية بكل ما هو ثمين، وتحمل بكاء وصياح روكامادور عندما يحين وقت إعطائه التحاميل أو وقت الرضعة. فلا شئ يمكن أن يدارى طعم الألوية. تناول أوليفيرا كوبا آخر من الشاى وهو ينظر بغیظ إلى علبة Deuche Grammophon Gesellschaft التى أعطاهما له رونالد ولا يعرف متى سوف تستمع إليه دون أن يتقلب روكامادور أو يوعى. كان يفرضه عدم المهارة التى عليها لاماجا وهى تقوم بفك اللفة أو وضعها لروكامادور، وكذا غناؤها الذى لا يحتمل لإلهاء الطفل والرائحة التى تنبعث بين الحين والآخر من سرير روكامادور والقطن والصراخ والأمان الأبله الذى كان يبدو على لاماجا بأن لاشئ خطير وأن ماتقوم به حيال ابنها هو ماكان ينبغى أن تفعله، وأن روكامادور سوف يشفى فى غضون يومين أو ثلاثة. كل شئ غير كاف بالمره، بشكل أو بآخر. لماذا هو موجود هناك؟ قبل ذلك بشهر كان لكل واحد منهما حجرته ويعد ذلك قررا العيش سويا. فقد قالت لاماجا إنه بهذه الطريقة يمكنهما توفير الكثير من المال وسوف يشترتون جريدة واحدة ولن تتبقى كسرات خبز، كما أنها سوف تقوم بكى ملابس أوراثيرو، والتدفئة والكهرباء ... كان أوليفيرا على وشك الإعجاب بهذا الهجوم المبالغت المتعلق بالمشاعر العامة. قبل الأمر فى النهاية، ذلك أن العجز ترويل كان يمر بمصاعب مالية، وكان يدين له بحوالى ثلاثين ألف فرنك. وفى تلك اللحظة استوى الأمر عنده سواء فى العيش مع لاماجا أو بمفرده. كان شديد التروى، وكان من عادته أن يجتر كثيرا كل شئ وكأنه يصعد به، لكنه لا يمكن تجنبه، ووصل الأمر به إلى الظن بأن وجود لاماجا سوف ينقذه من التأملات الزائدة عن الحد، لكنه لم يشك لحظة واحدة

19

فيما كان سيحدث مع روكامادور. ورغم كل هذا كان يتمكن من الانعزال للحظات حتى يتمكن بكاء روكامادور من إعاقته إلى المزاج العكر. «سوف ينتهي بى الأمر إلى ما آل إليه مصير أبطال والترباتر» فكر أوليفيرا. «مناجاة داخلية الواحدة تلو الأخرى. هى الرذيلة المحضة. وماريو الأبيقورى، الرذيلة المحضة. الشئ الوحيد الذى ينقذنى من الموقف هو رائحة البول التى لهذا الطفل».

- قال أوليفيرا :

- كان عندى شك دائم بأنك يمكن أن ينتهى بك الأمر إلى مضاجعة أوسيب.

- قالت ماجا :

- إن حرارة روكامادور مرتفعة.

تناول أوليفيرا كريا آخر. لابد من العناية بمثل هذه الأعشاب، ففى باريس يصل سعر الكيلو إلى خمسمائة فرنك فى الصيدليات. ولم تكن إلا أعشاب مثيرة للتعز، والتى كان محل بيع المنظفات الكائن فى محطة سان لازار Saint-lazare يعلن عنها «شأى برى». إنه شراب الهندو» مدر للبول ومضاد حيوى وملين. ولحسن الحظ، فإن المحامى الفذ، وهو أخوه بالنسبة، قد شحن له خمسة كيلو جرامات من ميناء كروث دى مالطا Cruz de Malta. وما قدبقى منها القليل «إذا ما انتهت الأعشاب فأنا فى مأزق» فكر أوليفيرا. «فالحوار الوحيد الحقيقى لى هو مع ذلك الفنجان الأخضر» كان يدرس التأثير الفعّال لذلك المشروب وتنفس الأعشاب وهى تتمدد فى الماء، وأنها عندما تمتص الماء تنزل وتتراكم فوق بعضها البعض وقد فقدت كل بريق لها وكل رائحة إلا إذا حفزها للحركة، من جديد صب كمية من المياه، إنها رئة أرجنتينية بديلة، لهؤلاء العزل والحزانى. منذ فترة وأوليفيرا يبدى اهتمامه بأشياء لاقيمة لها، كما أن هناك الآن ميزة وهى التأمل فى الفنجان الأخضر، وأن ذكاه الغادر لن يتمصور أبدا أن يلصق بالفنجان الأخضر بعض المفاهيم مثل تلك الترهات، غير اللائقة التى تهز الجبال والقمر والأفق والفتاة البالغة والعصفور والحصان. «هذا الشأى يمكن أن يهدىنى أيضا إلى مركز» كان يفكر. (أخذت بالفكرة القائلة بأن لاماها وأوسيب كانا معا تنوب شيئا فشيئا وتفقد صلابتها. وفى لحظة معينة أصبح الفنجان الأخضر أكثر قوة، وأخذ يطرح بركانه العاتى وفراغه الملى بالفقايع ويخاره الذى يصعد على شكل خصلات فى هواء الحجرة الشديد البرودة رغم وجود المدفأة التى يجب ملؤها فى حوالى التاسعة). «وهذا

19

المركز الذي لا أعرف ماهو» ألا يصلح كتعبير طبوغرافى لإحدى الوحدات؟ إننى أسير فى حجرة ضخمة أرضيتها من البلاط. وواحدة من هذه البلاطات هى النقطة الصحيحة التى يجب أن أتوقف عندها حتى ينتظم كل شئ فى منظوره السليم. «النقطة الصحيحة» قالها أوليفيرا بنوع من التضخيم والسخرية ليتأكد من أن الأمر لن يظل إلا مجرد كلمات. «إنه مربع يجب من خلاله البحث عن الزاوية المضبوطة (والشئ المهم فى هذا النموذج هو أن الزاوية جادة للغاية، ويجب أن يلصق المرء الأنف فى اللوحة حتى تتحول مجموعة الخطوط التى لامعنى لها إلى لوحة لفرانثيسكو الأول أو لمعركة سينجاجليا^(٧) Singaglia وهو شئ مثير إلى أبعد حد)» لكن يبدو أن هذه الوحدة، التى هى جماع الأحداث التى تحدد ملامح حياة، تستعصى على الظهور قبل أن تنتهى الحياة نفسها وكأنها عشب شأى مغسول. ومعنى هذا أن كتاب السير قد يرون الوحدة وهذا ليست له أية قيمة فى نظر أوليفيرا. المشكلة تكمن فى اقتناص وحدته دون أن يكون بطلا أو يكون قديسا أو خارجا على القانون أو أحد أبطال الملائكة أو نصير الإنسان أو راعيا. إنه اقتناص الوحدة فى قمة التعددية، وأن الوحدة يمكن أن تكون الدوامة فى الإعصار وليس خلاصة الشأى الذى غُسل وأصبح باردا.

— قالت لاماجا :

— سوف أعطيه ربع أسبرينة.

— قال أوليفيرا :

— إذا استطعت أن تجعله يبيتلها فانت أعظم من أمبروسيو بارى^(٨) Ambrosio Paré

... جئت لأتناول الشأى. وقد انتهت منه.

إن قضية الوحدة كانت تقلقه ذلك أنه بدا له الوقوع فى أسوأ مطب. أثناء الدراسة، هناك فى شارع قيامونت Viamonte، خلال عام 1930 تأكد وهو يشعر بالمفاجأة (أولا) والسخرية (ثانيا) أن هناك العديد من الأنماط الإنسانية كانت تدخل ضمن وحدة مفترضة للشخص (Persona) الذى لم يكن يتعدى حدود المفرد اللغوى، وأن هناك إيضاح مبكر للشخصية (Carácter). هؤلاء الناس أسسوا لأنفسهم مجموعة من المبادئ لم يتم قبولها بحب ولم تكن إلا إقالة الكلمة، وذلك المفهوم الفعلى، والرفض والجنب والتدعى.

وهكذا نجد كلمة الواجب، وماهو أخلاقى، وماهو لا أخلاقى، والتأجب، والعدل، والشفقة، وماهو أوربى، وماهو أمريكى، والنهار والليل، والزوجات والخطيبات

19

والصديقات، والجيش والبنوك والعلم والذهب الأمريكي أو الروسي والفن التجريدي ومعركة كاسيروس^(٢) Caseros، كل ذلك يمكن أن يبدو كأنه أسنان أو شعر، أى شئ مقبول وقد تم ضمُّه، وأصبح شيئاً لايعاش ولايتم تحليله، ذلك لأنه هكذا وتيمِّمنا ويكملنا ويقوينا. إن اغتصاب الكلمة للرجل والانتقام الرهيب الذى قام به الفعل ضد والده جعلت أية تأملات لأوليغيرا مليئة بعدم الثقة المرُ، ودفع ذلك به للافادة من عدوه ليفتح لنفسه طريقاً يصل من خلاله إلى درجة ربما أمكن له فيها تحييده ومواصلة الطريق - كيف ذلك؟ وبأى وسائل؟ وفى أى ليلة بيضاء أو فى أى يوم كله ظلام دامس؟ - حتى المصالحة الكاملة مع نفسه ومع الواقع الذى يعيش فيه. يتم الوصول إلى الكلمة دون كلمات (ياله من بعيد وياله من وضع غير محتمل الحدوث) وبدون وعى يعقل، يقتنص الوحدة العميقة. وهو شئ قد يكون فى النهاية مثل معنى لذلك الذى لم يكن إلا كيانا قائماً. الآن يتناول الشاي ويتأمل عجز روكامادور المكشوف وأصابع لامجا وهى تروح وتغدو حاملة القطن، ويسمع صراخ روكامادور الذى لم يكن يروق له أبداً أن يفكوا اللغة المغطى بها.

(90 -)

20

- قال أوليفيرا :
- كان عندي شك دائم بأنه يمكن أن ينتهي بك الأمر لمضاجعته غطت لاماجا ابنها الذي أخذ يقل صراخه، ومسحت يديها ببعض القطن.
- قال أوليفيرا :
- من فضلك اغسلي يديك كما ينبغي وأبعدى كل هذه القذارة من هنا.
- قالت لاماجا :
- في الحال.
- تحكم أوليفيرا نظرتها (وهذا كان أمرا مكلفا عنده دائما)، فجاءت لاماجا بإحدى الصحف وفتحتها على السرير ثم وضعت القطن داخلها ولفتها ثم خرجت من الحجرة وذهبت لتلقى باللفة في حجرة الحمام الكائنة على البسطة. وعندما عادت، وقد أصبحت يديها حمراوين ولاسعتين، قدم لها أوليفيرا كوبا من الشاي. وجلست على الكرسي المنخفض، وأخذت تشرب الشاي بانتظام. إنها تقضى على المشروب لأنها تحرك الشفاطة وتقلب كأنها تصنع البولنتا (العصيدة).
- قال أوليفيرا وهو يخرج دخان السجارة من أنفه :
- عموما، على أى حال كان يمكنكما إخبارى بذلك، سوف أدفع الآن ستمائة فرانك للتاكسي حتى أحمل حاجياتي إلى مكان آخر والعثور على حجرة وهذا ليس بالأمر السهل في هذه الفترة.
- قالت لاماجا :
- ليس هناك داع لذهابك إلى متى سوف تواصل تخيل أمور زائفة ؟
- قال أوليفيرا :
- أتخيل أمورا زائفة؟! إنك تتحدثين وكأنك تجيدين الحوار في أفضل القصص الأرجنتينية. ولم يبق أمامك الآن إلا الضحك من أعماقك من فظاظتي التي لاتضارع، ويكون ذلك ختام ما بعده ختام.
- قالت لاماجا وهي تنظر بعينيها إلى السرير :
- لاتبك أكثر من ذلك... لتتحدث بصوت منخفض. سوف ينام ويستغرق في النوم من تأثير الأسبرين. أنا لم أضاجع جريجوروففيوس.
- لا، بل إنك ضاجعته.
- لا يا أوراثيو. هل لدى أسباب تمنعني من أن أقول لك ذلك؟ فمنذ أن عرفتكم لم

20

يكن لى عشيق آخر إلا أنت، لايهمنى إذا ماقلت ذلك بشكل سيء مما يجعلك تضحك من كلماتى. إننى أتكلم بما أقدر عليه، ولست أدرى كيف أقول ما أشعر به.

- قال أوليفيرا وهو يشعر بالملل وقدم لها كوباً آخر من الشراب :

- حسن، حسن، الأمر - إذن - هو أن ابنك جعلك تتغيرين. فقد تحولت منذ أيام إلى هذا الذى يقولون عنه الأم.

- لكن روكامادور مريض.

- قال أوليفيرا :

- ربما هذا، ماذا تريدین؟ إن التغيرات بدت لى بطريقة أخرى؛ ففى الحقيقة أننا لانتحمل بعضنا البعض بما فيه الكفاية.

- أنت الذى لاتتحملنى، أنت لاتتحمل روكامادور.

- هذا حقيقى؛ فالطفل لم يكن ضمن حساباتى. فالرقم ثلاثة هو رقم سى داخل غرفة واحدة، والتفكير أنه مع أوسيب سوف تكون رابعة هذا شئ لايحتمل.

- ليس لأوسيب أى علاقة بهذا.

- قال أوليفيرا :

- لیتك تقومین بتسخين البطاطس المحمّرة .

- كررت لاما جا :

- ليس له أى علاقة؛ لماذا تصرّ على معاناتى أيها العبيط؟ أنا أعرف أنك مرهق ولم تعد تحببى. كما أنك لم تحببى أبداً، فقد كان شيئاً آخر، لم يكن إلا نمطا من الأحلام.

هياً يا أوراثيو، لاتجبر نفسك على البقاء، فلقد حدث لى هذا كثيراً جدا

نظرت إلى السرير. كان روكامادور قد نام.

قال أوليفيرا وهو يقوم بتغيير الأعشاب :

- مرات كثيرة - إنك تتسيمين بالصراحة، وهذا صالح جدا للسيرة العاطفية الذاتية.

وليقل ذلك أوسيب. يعرفك ويسمع منك على الفور حكاية الأسود. هذه واحدة.

- على أن أقول ذلك، أنت لاتفهم.

- وإن أفهم، لكنه أمر سئ.

- أعتقد أن على أن أقوله رغم ماقد يكون به من سوء. فمن العدل أن أقول ذلك لإنسان، وكيف عشت إذا ما أراد ذلك. إننى أتحدث عنك وليس عن أوسيب. أنت يمكن لك أن تحكى لى شيئاً عن صديقاتك إذا ما أردت؛ لكن كان على أن أقول لك كل شئ.

أتعرف أن هذه هى الطريقة الوحيدة لأجعلهم يذهبون قبل أن أبدأ حب رجل آخر. إنها الطريقة الوحيدة لأجعلهم يخرجون من الباب ويتركونا وحدنا فى الحجرة.

- إنه نوع من التكفير عن النفس؛ فلم لاتكون مناسبة؟ فى البداية الأسود.

20

- قالت لاماجا وهى تنظر إليه :
- نعم، الأسود فى البداية، وبعد ذلك ليديسما.
- طبعاً، ليديسما بعد ذلك.
- والثلاثة الذين أمسكوا بى فى الحارة ليلة الكرنفال.
- قال أوليفيرا وهو يشرب الشاي :
- من الأمام .
- والسيد فيسنت شقيق صاحب الفندق.
- من الخلف.
- وأنت.
- من الخلف، لكن أن تضمينى إلى القائمة وأنا موجود ليس إلا التأكيد على شكوكى، وفى الحقيقة حتى تكتمل القائمة كان عليك أن تذكرى اسم جريجوروفوس.
- كانت لاماجا تحرك الشفاطة وطأطأت رأسها؛ فانسدل شعرها كله على وجهها ومحا بذلك التعبير على قسمات وجهها الذى تلصص عليه أوليفيرا بنوع من اللامبالاة.
- وبعد ذلك أصبحت صديقة
- عجز صيدلانى
- وابن أحد الضباط
- وأخرجك الريح من هذا ...
- كان أوليفيرا يندن هذا التانجو. شفطت لاماجا الشاي وحركت كتفها دون أن تنظر إليه. «يامسكينة» فكر أوليفيرا، مدّ يده بقوة إلى شعرها ودفعه بقسوة وكأنه يفتح ستارة. أحدثت الشفاطة صوتاً جافاً بين أسنانها.
- قالت لاماجا وهى تلمس فمها بإصبعين يرتعشان :
- كائنك ضربتنى؛ هذا لا يهمنى لكن ...
- قال أوليفيرا :
- هذا يهكم لحسن الحظ إذا لم تكونى تنظرين إلى هكذا لكنتُ سأحتقرك. أنت رائعة حتى مع روكامادور وكل شئ.
- وبماذا يعود على قولك هذا؟
- هذا يقيدنى.
- نعم، هذا يقيدك. كل شئ يقيدك فى سبيل ماتبحث عنه.
- قالها أوليفيرا بدقة :
- ياعزيزتى، الدموع تقضى على طعم الشاي. وهذا معروف.

20

- ربما يفيدك أيضا أن أبكى.
- نعم، ولكن بالدرجة التى أشعر فيها أنني مذنب.
- اذهب يا أوراثير، فهذا سيكون أفضل.
- ربما، تصوّرتى أنني إذا ماذهبت الآن فإننى أقوم بشئ شبيه بالبطولة. أى أنني أترك وحيدة دون مال ومعك ابنك المريض.
- قالت لاماچا وهى، بطريقة هوميرية، وسط الدموع: - نعم يكاد يكون بطولة، هذا حق.
- ولما كنت أقاوم أن أكون بطلا، فمن الأفضل، فى نظرى، البقاء حتى نعرف ماهو هدفنا كما يقول أخى بأسلوبه الجميل.
- إذن ابق.
- لكن هل تفهمين كيف ولماذا أرفض تلك البطولة؟
- نعم، بالطبع.
- هيا اشرحى لماذا لن أرحل؟
- لن ترحل لأنك شديد البرجوازية وتأخذ فى اعتبارك مايفكر فيه رونالد وبابس وباقى الأصدقاء.
- مضبوط. من الجيد أن ترين أنك لاعلاقة لك بقرارى. فلن أبقى تضامنا معك أو شفقة عليك أو أنه يجب العناية بروكامبور. وأقل من كل ذلك هو وجود شئ مشترك بيننا.
- قالت لاماچا :
- أحيانا ماتكون شديد الكوميديا .
- قال أوليثيرا :
- بالطبع بوب هوب^(١) Bob Hope إنها نظرة إلى الجانب الذى أنا فيه.
- عندما تقول بأنه ليس بيننا أى شئ مشترك يتحرك فمك بطريقة
- هكذا بعض الشئ. أليس كذلك؟
- بلى، هذا لا يصدق.
- كان عليهما أن يخرجوا متاديل الجيب ويغطيا الوجه بكلتا اليدين وبقهقهة لدرجة أن روكامادور كان على وشك الاستيقاظ. كان شيئا فظيعا. ورغم أن أوليثيرا كان يفعل مافى وسعه حتى تتحكم فى نفسها وهو يعض المنديل وتتساقط دموعه من الضحك

20

فإنها قد انزلت من الكرسي رويدا رويدا؛ إذ كانت أرجله الأمامية أكثر قصرا مما ساعدها على السقوط حتى أصبحت بين ساقى أوليفيرا الذى كان يضحك ضحكة متقطعة بسبب الزغطة ويقهقه ثم أخرج المندبل من قمه.

- قال أوليفيرا متضرعا :

- بيئى لى مرة أخرى كيف يكون فمى عندما أقول تلك الأشياء.

- قالت لاماجا :

- هكذا.

ومرة أخرى أخذ يتلويان حتى أن أوليفيرا انطبق على نفسه ضاغطا على كرشه. فرأت لاماجا وجهه فى وجهها، وكانت عيناه تلمعان بين الدموع وتبادلا قبلة معكوسة، هى فوق أما هو فقد أنسدل الشعر عليه كأنه أهداب. تبادلا قبلة وقد عض كل منهما الآخر قليلا فلم يكد كل فم يتعرف على الآخر؛ إذ كانت الأفواه مختلفة وتبحث عن بعضها من خلال اليدين، من خلال شبكة قوية من الشعر المنسدل وكذا الشاى الذى سكب على حافة الترابيزة وأخذ السائل يتساقط على تنورة لاماجا.

- غمغم أوليفيرا وهو يلصق شفتيه بشفتى لاماجا :

- قولى لى كيف كانت مضاجعة أوسيب، بسرعة، ذلك أن دمي يتصاعد بشدة إلى رأسى ولا يمكن أن أظل هكذا؛ إنه لأمر فظيع.

- قالت لاماجا وهى تعض شفتيه :

- يفعل ذلك بشكل جيد أفضل منك كثيرا، ويتواتر أكثر.

- هل retila la murta لن تكذبى على. هل يفعلها معك حقيقة.

- كثيرا، ومن كل جانب، وأحيانا بشكل يزيد عن الحد. إنه إحساس رائع.

- وهل يجعلك تضعين الـ Políneos بين الـ argustas.

- نعم، وبعد ذلك نقوم بـ entreturmemos los porcos حتى يقول هو كفى، كفى، كما

أنى لا أستطيع المزيد. لابد من الوصول إلى أقصى شئ، هل تفهمنى. لكن هذا لا يمكنك أن تتركه ذلك أنك تملّ بسرعة.

- دمدم أوليفيرا وهو يعتدل :

- أنا وغيرى هذا الشاى أصبح لا يطاق سوف أخرج إلى الشارع بعض الوقت.

- قالت لاماجا :

- ألا تريدنى أن أوصل ما أحكيه عن أوسيب؟ بالإجلىجى.

20

- الإلجيجي يثير ضجرى كثيرا، كما أنك لاتتمتعين بسعة الخيال، إذ تقولين نفس الأشياء دوما، «الملل» gunfia ياله من تجديد، ولايقال، «أحكى عن».
- قالت لاماجا بغيط :
- الإلجيجية هى ما اخترعته أنا، فانت تقول أى شئ وتشعر بالتفوق، وهذا ليس بالإلجيجية الحقيقية.
- عودة إلى أوسيب.
- لاتكن أحمق يا أوراثيو. أقول لك بأننى لم أضاجعه. هل على أن أؤدى يمين القسم الأعظم؟
- يبدو لى أننى سوف أصدقك فى نهاية الأمر.
- قالت لاماجا :
- وبعد ذلك فأغلب الظن أننى قد يؤدى بى الأمر لمضاجعة أوسيب. لكن سوف تكون أنت الذى أردت ذلك.
- لكن هل يروق لك هذا النمط ؟
- لا. المسألة هى أنه يجب أن أدفع ثمن الدواء، فأنا لا أريد منك أى نقود. كما أننى لايمكن أن أطلب من أوسيب أى نقود وأتركه على هذا الحال.
- قال أوليفيرا :
- نعم أعرف إنه الجانب الطيب فيك؛ فالجندي الذى صادفته فى الحديقة لم يهن عليك أن تتركه حتى لايبكى.
- ولاهذا يا أوراثيو. ها أنت ترى أننا جد مختلفين.
- نعم، إن الرحمة ليست نقطة قوتى. لكن يمكننى أيضا أن أبكى فى واحدة من هذه المواقف وعندئذ أقومين
- قالت لاماجا :
- لم أرك تبكى إن هذا بالنسبة لك هو بمثابة مهملات.
- بكيت ذات مرة.
- من الغيط فقط - إنك لاتعرف البكاء يا أوراثيو، فهو أحد الأشياء التى لاتعرفها.
- جذب أوليفيرا لاماجا وأجلسها على ركبتيه. وفكر فى أن لاماجا وخاصة دماغها كانت تحزنه، إنها تلك الرائحة التى قبل ذلك «البحث من خلال» فكر بطريقة غامضة «حقا، البكاء هو واحدة من الأشياء التى لا أعرفها، هو ذاك البكاء والشفقة على النفس».

20

- قال لها وهو يقبّل شعرها :
- لم نحب بعضنا أبدا .
- قالت لاماجا وهي تغمض عينيها :
- لالتحدث باسمي فأنت لاتستطيع أن تعرف فيما إذا كنت أحبك أم لا . وهذا أيضا لاتعرفه .
- أتظنني أنني أعمى إلى هذا الحد ؟
- على العكس ، من المناسب جدا لك أن يكون بك شيء من العمى .
- آه . إنها حاسة اللمس التي تحل محل التعرف على الأشياء ، والغريزة التي تذهب إلى ماوراء الذكاء ؛ إنه الطريق السحري والليلة المظلمة للروح .
- هذا يناسبك - أصرّت لاماجا كلهم قلّ فهمهم لما يقول ، وكانت تريد مداراة ذلك .
- انظري ما أنا عليه يكفيني لأعرف أن كل واحد يمكن أن يذهب لحال سبيله .
- أعتقد أنني بحاجة لأكون بمفردي يالوثيا . في الحقيقة أنا لا أعرف ما الذي سأفعله ؛
- فانا أعاملك أنت وروكامبور ، يبدو لي أنه يستيقظ الآن بشكل ليس فيه عدل ، وأريد ألا أظل في هذا الطريق .
- لاتشغل بالك بي وبروكامبور .
- أنا لا أشغل بالي ، لكن ثلاثتنا مربوطين إلى بعضنا البعض من الأرجل ، وهذا غير مريح أو جمالي ؟ فلن أكون أعمى بما فيه الكفاية يا عزيزتي ، لكن عصب البصر يسمح لي أن أرى أنك سوف تكونين على أحسن حال بدوني . غير أنه لم تنتحر أي واحدة من صديقاتي حتى الآن رغم أن كبرياتي يدمى عندما أقول ذلك .
- نعم يا أوراثيو .
- أي أنني إذا ما استطعت الوصول إلى قدر مناسب من البطولة لأترك هذه الليلة أو غدا ، فهذا لايشكل أي أزمة .
- لاشئ .
- قالت لاماجا :
- سوف تأخذين ابنك من جديد إلى مدام إيريني وتعودين إلى باريس لتمارسي حياتك .
- هو ذاك .
- سوف تذهبين إلى السينما كثيرا ، وستواصلين قراءة الروايات ، وسوف تتنزهين ، وأنت تعرضين حياتك للخطر بالسير في أسوأ الأحياء وأصعب الأوقات .

20

- كل ذلك.
- سوف تجدين أشياء كثيرة غريبة فى الشارع، وسوف تجلبينها إلى المنزل، وسوف تقومين بصناعة بعض الأشياء، كما أن وونج سوف يعلمك بعض الحيل السحرية، وسيظل أوسيب خلفك على بعد مترين ويديه معقودتان وعلى مهابة متواضعة.
- قالت لاماجا وهى تعانقه وتخبئ وجهها :
- من فضلك يا أوراثيرو .
- وبالطبع سوف نلتقى فى الأماكن الغربية بطريقة سحرية مثل تلك الليلة فى ميدان الباستيل Bastille. أتتذكرين؟
- فى شارع دافال Daval.
- كان الخمر قد لعب برأسى كثيرا وظهرت أنتِ على الناصية، وأخذ كل واحد منا ينظر إلى الآخر نظرة فيها بلامه.
- ذلك أننى كنت أظن أنك سوف تذهب فى تلك الليلة إلى حفل موسيقى.
- كما أنك قلت لى إنك على موعد مع مدام ليونى.
- لهذا بدا لنا الأمر شديد الطرافة.
- كنت ترتدى بلوفرا أخضر وتوقفت على الناصية للتسرية عن أحد الشواذ جنسيا.
- لقد طرده ضربا من المقهى، وكان يبكى بحرقة.
- أتذكر مرة أخرى أننا التقينا بالقرب من رصيف كوى دى جيماب Qual de Jemmapes.
- قالت لاماجا :
- كان الجو حارا .
- لم تشرح لى أبدا وبشكل جيد ما الذى كنت تبحث عنه فى هذا الميناء.
- أوه، لم أكن أبحث عن شئ.
- كنت تحمل قطعة نقود فى يدك.
- لقد وجدتتها عند السياج، إذ كانت تلمع بقوة.
- ويعد ذلك ذهبنا إلى ميدان الجمهورية P. de la République حيث البهلوانات وكسبنا كيسا من الكرملة.
- كانت فظيعة.

20

- ومرة أخرى كنت خارجا من محطة مترو موتون دوفيرنيت Mouton-Duverniet
- وكنت جالسة فى شرفة مقهى برفقة أسود وفيليبيني.
- وأنت لم تقل لى أبدا ما الذى كنت تفعله فى هذه المنطقة.
- قال أوليفيرا :
- كنت ذاهبا إلى متخصصة فى علاج أمراض القدم إذ كان عندها صالة انتظار
- مغطاة حوائطها بورق لونه بين البنفسجى والفوشيا، ومنه منظر يحتوى على مراكب
- ونخيل وعشاق متعانقين تحت ضوء القمر، تصويرى هذا المشهد مكر خمسمائة مرة
- فى مساحة 12 × 8.
- هل كنت تذهب لهذا السبب وليس لأجل إزالة كالأو.
- قالت لاماجا وهى ترفع رأسها وترمقه بتركيز :
- يا ابنتى لم يكن كالأو. لقد كانت «سنطة» فى بطن القدم، يبدو أنها Avitaminosis.
- هل شفيت منها جيدا؟
- استيقظ روكامادور مع أول قهقهة وأخذ يتشاكى. تنهد أوليفيرا، والآن سوف يتكرر
- المشهد، سوف يرى لاماجا من ظهرها لفترة وهى منكفئة على السرير ويديها تروح
- وتغدو. أخذ يتناول الشاي ويدخن سيجارة بحب، لم يكن يريد التفكير. ذهبت لاماجا
- لتغسل يديها ثم عادت - تناولوا كوين من الشاي، ولم يكأ أحدهما ينظر إلى الآخر.
- قال أوليفيرا :
- أفضل مافى هذا الأمر هو أننا لانعير اهتماما لمثل هذه الأمور. لانتظري إلى
- هكذا. إذا مافكرت قليلا سوف تدركين ما الذى أريد قوله.
- قالت لاماجا :
- أدرك ذلك أنا لا أنظر إليك بهذه الطريقة لهذا السبب.
- أه هل تعتقدين أن ...
- نعم بعض الشئ، لكن من الأفضل ألا نتحدث فيه من جديد.
- أنت على حق - حسن - سوف أخرج لجولة فى الشارع.
- قالت لاماجا :
- لاتعد .
- قال أوليفيرا :
- علينا ألا نبالغ أين تريدين أن أذهب لأنام؟ هناك فرق بين عقدة لا حل لها وبين

20

- التسليم الذى يهب فى الشارع، لابد وأن الحراسة خمسة تحت الصفر.
- قالت لاماجا :
- سوف يكون من الأفضل ألا تعود يا أوراثيو أجد سهولة فى قول ذلك الآن. أنتهم ؟
- قال أوليفيرا :
- حسن يبدو لى أننا نتعمق كثيرا فى تهنة بعضنا البعض بما لنا من أسلوب جيد.
- أنا حزينه كثيرا لأجلك يا أوراثيو.
- آه، هذا لا. ببطء توقفى هناك.
- أنت تعرف أنتى أرى أحيانا، أرى بوضوح. فكرت منذ ساعة أن أفضل حل هو إلقاء نفسى فى النهر.
- مجهولة فى نهر السين لكنت تعرفين العوم كالك بجعة.
- أصرت لاماجا :
- أنا حزينه لأجلك أدرك الآن. فى الليلة التى التقينا فيها خلف نوتردام رأيت أيضا أن ... لكنى لم أرد تصديقه. كنت ترتدى قميصا جميلا أزرق اللون، كانت هذه أول مرة ذهبا فيها إلى فندق. أليس كذلك؟
- لا، لكن مستوى الأمر. وعلمتتى أن أتحدث بالأجليجى.
- إذا ماقلت لك إننى فعلت كل هذا شفقة.
- هيا - قال أوليفيرا وهو ينظر إليها فزعا.
- كنت معرضا فى تلك الليلة للخطر. كان يرى ذلك وكأنه صوت إنذار قادم من بعيد ... لا يمكن شرح ذلك.
- قال أوليفيرا :
- إن الأخطار التى أتعرض لها ميتافيزيقية، صدقنى.
- ولن يستطيع أحد أن يخرجنى من الماء ولو استخدم الخُطاف، وسوف أنفجر من انسداد فى أوعائى، ومن الأنفلونزا الآسيوية ومن سيارة بيجو 403.
- قالت لاماجا :
- لست أدري! أفكر أحيانا فى الانتحار، لكنى أرى أننى لن أفعل ذلك. ألا تعتقد أننى لن أفعل ذلك من أجل روكامبور. فقبله كانت تستوى الأمور عندي. ففكرة الانتحار بدت لى جيدة، لكك الذى لا تفكر فيه ... لماذا تقول - إذن - أخطار ميتافيزيقية؟ هناك أيضا أنهار ميتافيزيقية يا أوراثيو. أنت سوف تلقى بنفسك فى واحد من هذه الأنهار.

20

- قال أوليفيرا :
- ربما وهذا سوف يكون نهر التاو Tao.
- بدا لي أنه يمكنني حمايتك. لانتقل شيئا. ولقد أدركت بعد فترة قصيرة جدا أنك
- لست بحاجة إلي. كنا نمارس الحب كأننا موسيقيان اجتماعا ليعزفا سوناتا.
- رائع ماتقولين.
- كان هكذا. فالبيانو يسير لحاله والكمنجة تسير في طريقها، ومن اجتماع
- الإيقاعين تخرج السوناتا. لكنك ترى أننا لم نلتق في الحقيقة. لقد أدركت ذلك في
- الحال يا أوراثيو، لكن السوناتات كانت رائعة.
- نعم ياعزيزتي.
- والجليجليجو.
- ياسلام.
- وكل شيء، والنادي، وتلك الليلة في كواي دي برس تحت الأشجار عندما
- اصطدنا النجوم حتى الفجر، وقصصنا حكايات الأمراء، وكنت عطشانا، واشترينا
- زجاجة نبيذ فوار. كانت غالية الثمن، وشربنا على ضفاف النهر.
- قال أوليفيرا :
- وعندئذ حضر المتسوك وأعطيناه نصف الزجاجة.
- وهذا المتسوك كان يعرف الكثير؛ يعرف اللاتينية وأشياء من الشرق، كما أنك
- ناقشته حول ...
- ابن رشد على ما أعتقد.
- نعم ابن رشد.
- والليلة التي أمسك فيها الجندي بعجزى أثناء احتفالات فوار دي ترون Foire du
- Trône فما كان منك إلا صويت له لكمة في وجهه فأخذونا جميعا إلى الحبس.
- قال أوليفيرا ضاحكا :
- يجب ألا يسمع روكامادور ذلك .
- لحسن الحظ لن يتذكرك روكامادور أبدا فلم يختزن أي شيء حتى الآن. إنه مثل
- العصافير التي تاكل الباب الذي يلقي لها. تنظر إليك وتأكل اللباب وتطير ... ولايتبقى شيء.
- قال أوليفيرا :
- لا لايتبقى شيء.
- كانت الساكنة التي في الدور الثالث تصيح وهي على بسطة السلم، وقد أخذت الخمر
- برأسها كالعادة. في مثل هذه الساعة. ألقى أوليفيرا نظرة غير مركزة على الباب. لكن

20

لاماجا ضمته إليها، وأخذت تنزلق حتى أمسكت بركبتيه، وأخذت ترتعش وتبكي.

— قال أوليفيرا :

— لماذا أنت منهارة هكذا؟ تمرّ الأنهار الميتافيزيقية من أى ناحية فلا يجب أن يذهب المرء بعيدا ليجدها، انظري، لا أحد أغرق نفسه عن حق إلا أنا، أعدك بشئ : أن أتذكرك في آخر لحظة حتى يكون الفراق أكثر مرارة، إنها قصة سلسلة قوية، وغلافها يحمل ألوانا ثلاثة.

— غمغت لاماجا وهي تضغط على ساقيه :

— لاتخرج .

— سوف أتجول بعض الشيء لا أكثر من هذا.

— قالت لاماجا :

— لنخرج سويا أنت ترى أن روكامادور نائم، وسوف يظل على هذا الحال حتى يحين وقت إعداد الرضعة له، لدينا ساعتان هيا بنا إلى المقهى الذى فى الحى العربى. ذلك المقهى الحزين حيث نقضى فيه وقتاً ممتعا.

لكن أوليفيرا كان يريد الخروج وحده، أخذ يخلص ساقيه رويدا رويدا من عناق لاماجا. كان يداعب شعرها ومرّ أصابعه على العقد وقبّلها فى رأسها فى المنطقة التى خلف الأذن، وقد سمعها تبكي وشعرها مسدول على وجهها «لا للابتزاز» فكرّ. «فلنبك وجهها لوجه، ولكن ليس بهذه الطريقة الرخيصة التى يتم تعلّمها من السينما» رفع وجهها وأجبرها على النظر إليه.

— قال أوليفيرا :

— السافل هو أنا اتركينى لأدفع الحساب، وأبكي من أجل ابنتك فربما يموت. لكن لاتدرفى الدموع على بلا جدوى. يا إلهي، منذ زمان إميل زولا لم ير مشهد هكذا. اتركينى لأخرج من فضلك.

— لماذا؟ — قالت لاماجا دون أن تتحرك من مكانها وهي تنتظر إليه كالكلب.

— لماذا ماذا ؟

— لماذا ؟

— آه، أتريدين القول لماذا كل هذا؟ حاولى أننا تعرفى، أعتقد أنه لانتحمل كثيرا من الذنب أنا أو أنت، لسنا بالغين يالوثيا. إنها جرأة، لكن ثمنها غال جدا، فالشباب الصغار يتجاذبون من شعرهم بعد أن انتهوا من اللعب. لابد وأنه شئ من هذا القبيل. لابد وأن نفكر فيه.

(126 -)

21

يحدث نفس الشيء لكل الناس، حيث إن تمثال جانو Jano ليس إلا تبذيراً غير مفيد،
فى الواقع فإنه بعد الأربعين عاماً نجد أن الوجه الحقيقى لنا أصبح فى القفا ونحن
ننظر إلى الخلف وقد فقدنا الصبر. إنه مايسمى بالمكان العام. لايمكن عمل شئ إلاّ،
بل يجب قوله هكذا باستخدام الكلمات التى تلوى شفاه المراهقين ذوى الوجه الواحد،
من كثرة الملل. إنه محاط بغتية يرتدون وفتيات اتسخت ملابسهن بشكل لذيذ تحت بخار
كافيتريات بيع القهوة باللبن الكائنة فى سان جرمان - دى - برى - Saint Germain
des - Prés، وهم يقرأون دوريل^(١) و Durrell و بوقشوار^(٢) Beauvoir و دوراس^(٣) Dras
و دواسوت^(٤) Douassot و كينو Queneau و ساروت^(٥) Sarraute. وها أنا هناك، أرجنتيني
متفرنس (فظيع، فظيع) وقد ابتعدت عن موضتى المراهقة del cool وفى اليدين بشكل
لايتسق مع الجو العام هل أنتم مجانين لرئيسه كريفل^(٦) René Crével، وفى الذاكرة كل
المدرسة السريالية، وفى Plevis لأنطونين أرتود^(٧) Antonin Artaud، وفى الأذان
مقطوعة Ionisations لإدجار فاريس^(٨) Edgar Varése. وفى العيون بيكاسو (لكن يبدو
أننى موندريان، وهذا ماقلوه لى).

Tu sèmes des syllabes pour récolter des élales - أنت تسكب سلفاته بين أفخاذ
سكان الناحية - كريفل يسخر منى.

- أقوم بعمل أستطيع أن أجيب عليه.

- وهذا n'arrêtera - t- elle donc pas de secouer l'arabe á sanglots - أنت لم تتوقف
عن هز الشجرة بالشهيق والزفير؟

- إنك غير عادل - أقول له - فلا يكاد يبكى ولا يكاد يشكو. من المحزن أن يصل
المرء إلى لحظة فى الحياة؛ حيث يكون أسهل عليه فتح كتاب عند ص 96، والحوار مع
المؤلف، من المقهى إلى القبر، ومن الملل إلى الانتحار، بينما هناك أحاديث تدور على
الموائد المجاورة عن الجزائر وأديناور^(٩) وميجانو باردو^(١٠) وجو تديبرت Guy Trébert
وسيدنى بشت Sidney Bechet وميشيل بوتور^(١١) M. Butor وعن نابو كوف Nabokov وزاو
ووكي^(١٢) Zao-wu-ki ولويسون بوبيت Iaulisen Bobet. وفى بلادى يتحدث الفتيان عن

21

ماذا يتحدث الفتیان فی بلادی؟ لم أعد أدري، فأنا أعیش بعيداً، لكنهم لايتكلمون عن سبيلمبرجو Spillimbergo ولاعن خوستوسواريث^(١٣) J. Suarez. ولا عن التيبورون دى كيا Tiburón de Quillá ولاعن بونینی Bonini، لايتحدثون عن ليجيسامو^(١٤) Leguisamo. وكما هو طبيعى. التئوه هو فی الطبيعة والواقع حيث أصبحا، دون أن يدى المرء، عدوين. فی بعض الأحيان يبدو ماهو طبيعى كأنه مزيف إلى أبعد الحدود. والواقع فی سن العشرين يسير بمحاذاة الواقع عند الأربعين، وفى كل جانب هناك موس جيليت تشق الجوال. أكتشف عوالم جديدة تعيش بشكل متوازٍ وبعيدة، ويزداد شكى فی أن الاتفاق هو أسوأ التطلعات. لماذا هذا التعطش إلى كلية الوجود؟ لماذا هذا الصراع مع الزمن؟ أنا أيضا أقرأ ساردت Sarraute، وأتأمل صور جوتيريرت وهو مقيد بالسلاسل لكنها أمور تحدث لى، إما إذا كنت أنا الذى أقرر فإن قرارى فی الغالب هو نحو الورا. تعبت يدى فی المكتبة وتخرج مؤلفاً لـ كريثل وتخرج مؤلفاً لروبرتو أرلت Ro- berto Arlt وتخرج جارى Jarry. إبنى شغوف باليوم، ولكن من منظور الأمس (هل قلت إبنى شغوف؟) وهكذا تمضى الأمور؛ فكيف وأنا فی هذا العمر يكون الماضى حاضرا والحاضر هو مستقبل غريب وغامض حيث الفتية يرتدون البلوفرات والفتيان ينسدل شعرهن ويشربون جميعاً قهوة بالكريمة، ويداعب بعضهم البعض برقة بطيئة كأنها مداعبات فقط أو النباتات مع بعضها؟

يجب الكفاح ضد ذلك.

يجب العودة إلى الحاضر.

يبو أننى موندريان. أنا

لكن موندريان كان يرسم حاضره منذ أربعين عاما.

(صورة لموندريان وهو يشبه تماما قائدا أوركسترا «خوليو دى كارو، ذلك» يضع العدسات وشعره مكوى ورقبته جامدة. انطباع عام يخلو من الذوق، ويشير التقزز وهو يرقص Piba diquera. أى نوع من الحاضر كان يشعر موندريان وهو يرقص؟ هذه اللوحات التى رسمها وهذه الصورة التى تخصه هوة شاسعة).

إنك عجوز يا أوراثيو. ياكيننتو أوراثيو أوليفيرا، إنك عجوز يا فلاكو، إنك واهن وعجوز يا أوليفرا.

21

- إنه يصب سلفات الحديد والنحاس بين أفخاذ الأرباض.
استهزأ كريفل.

ماذا أنا فاعل له؟ فى خضم الفوضى العظمى لازلت أومن بأننى دواة رياح. وبعد العديد من اللقات لابد من الإشارة إلى شمال وإلى جنوب وعندما نقول عن أحد إنه دواة رياح فهذا يدل على ضيق أفقه؛ حيث ترى اللقات لكن لا يرى المقصد أى سن السهم الذى يبحث عن مكان ليثبت فيه والبقاء فى نهر الرياح.

هناك أنهار ميتافيزيقية. نعم يا عزيزتى. طبعاً وأنت ستكونين معنية بابتك الذى يبكى بين الحين والآخر، أما هنا فهذا يوم آخر، وهامى الشمس الصفراء التى لاتدفى. أنا أسكن فى شارع سان جيرمان - دى - برى، وفى كل مساء عندى موعد مع فيرلين/ هذا المهرج الضخم لم يتغير، وللبحث عن مغامرات عاطفية ومقابل إدخال عشرين فرنك فى الفتحة يغنى لك ليو فيرى^(١٤) Leo Ferré عشقه، أو جيلبرت بتيو^(١٥) Gilbert Becaud أو جوى بيرت^(١٦) Gry Béart. أما فى بلادى : إذا ماشئت أن ترى الحياة بلون وردى / ضع عشرين سنتيم فى الفتحة ... وربما قمت بتشغيل الراديو (سيحل موعد سداد الإيجار يوم الاثنين القادم، سوف أبلغك) وتنصت لموسيقى الغرفة، فربما كان موزار. أو أنك وضعت أسطوانة وجعلت الصوت منخفضاً حتى لا يستيقظ روكامادور. يبدو لى أنك لاتضع فى الاعتبار جيداً أن روكامادور اشتد عليه المرض شديد الهزال ومريض، وأنه ربما يعنون به أفضل فى المستشفى. لكنى لا يمكن أن أتحدث إليك فى مثل هذه الأشياء، لنقل انتهى كل شئ، وأننى أسير هائماً على وجهى أبحث عن الشمال والجنوب إذا ماكنت أبحث بالفعل. إذا ماكنت أبحث عنه بالفعل، لكن إذا ماتركزت البحث عنهما، ماهذا؟. أه يا حبيبى. أشتاق إليك. وتولنى كثيراً فى جلدى وفى حنجرتى وفى كل شهيق أشعر أن الفراغ يدخل إلى صدرى وأنت لست هناك.

- قال كريفل :

- أنت؟! أنت على استعداد دائماً تتسلق الأتوار الخمسة من أجل العرافات التى تقوم بفتح أبواب المستقبل على مصراعها ولم لا. لماذا لا يجب البحث عن لاماجا، فلاكتر من مرة كنت أكتفى بإطلالة وأنا قادم من شارع السين/ Seine متجهاً إلى القوس الذى يؤدى إلى كواى دى كونت Qual de Conti. ولا أكاد أميز أشكال الأشياء بسبب الضوء الذى يجمع بين الرمادية ولون الزيتون، ويرى طافيا على النهر. هامو شبحها النحيف يرسم على بونت دى أرت Pnt des Arto، وكنا نتجول بحثاً عن الظلال، ونتناول

21

المقلية فى شارع فويرج س ت. دنيس Faubourg St. Denis، وتبادل القبلات إلى جوار المراكب القديمة الكائنة فى قناة سان مارتين - معها كنت أشعر بنمو شئٍ جديد، وهناك البوادر الرائعة للغروب، أو تلك الطريقة التى ترسم بها الأشياء نفسها عندما تكون سويًا وإلى جوار السور المحيط ببرج/ كور دى روان Cour de Rohan يصعد المتشربون إلى المملكة المخيفة والمقبضة الخاصة بالشهود والقضاة ... لماذا لا يجب عشق لاماجا وتملكها تحت عشرات من الأسقف مقابل ستمائة فرنك، وعلى أسرة مغطاة بمفارش منسول قماشها وقد علتها القذارة، وإذا ماكنت فى هذه الحجة التى تصيب بالدوار، وفى هذا السباق لتذكر الماضى كنت أتعرف على نفسى وأعرف اسمى، وأخيراً حتى عندما أخرج من الزمن وأقفاصه المليئة بالقروود والتكتيت والفترينات أوميغا إلكترون جيرارد بيرجو فاشيرون أند قسطنطين Omega Electron Girard Per- regaud Vacheron and Constantin؛ حيث أسجل الساعات والدقائق الخاصة بالواجبات الخاصة بالواجبات المقدسة للخصى. فى جو تسقط فيه آخر القيود وتتحول المتعة إلى امرأة للمصالحة، إنها امرأة للقبرة، لكنها مرأة أو أنها شئٍ بمثابة قربان للكينونة، ترقص حول المركب ومقدمة للحلم بأن يكون الفم فى الفم دون أن يبتعد بعضنا عن الآخر أحياناً، وتتلاصق كل أجزاء جسدنا بدفئها، وتتحول الأذرع إلى دليل نباتى وتقوم الأيادى بمداعبة الفخذ والفخذ والرقبة ...

- قال كريفل :

- إنك تلجأ إلى الحكايات .

- لا أيها العجوز، فهذا يحدث على الأصح فى الجانب الآخر من البحر، وهذا مالا تعرفه. منذ زمن وأنا لا أتلاحم مع كلمات. إننى لازلت أستخدمها مثلك ومثل الآخرين. لكننى أنظفها كثيراً قبل أن أرديها.

يشعر كريفل بعدم الثقة، أتفهم ذلك. ينبت بينى وبين لاماجا حقل من الكلمات. ولاتكاد تفرقنا بضع ساعات أو عدة أمتار وألمى يسمى ألماناً وحباً يسمى حباً. وكلما تقدم بى الزمن سوف يقل إحساسى ويزداد تذكري. لكن ماهى الذكري إلا إذا كانت لغة المشاعر وقاموس الوجوه والأيام وأنواع الطيب التى تعود كلها مثل الأفعال والصفات ضمن دائرة الخطاب وقد تقدمت بعض الشئ إلى الشئ نفسه، أى إلى الحاضر المحض وتصيينا بالجزن أو تعطينا الدرس المستفاد حتى تتحول الذات إلى قاضٍ كنسى والوجه الذى ينظر إلى الخلف يفتح عينيه بقوة، ويمحو الوجه الحقيقى

21

شيئاً فشيئاً مثل الصور القديمة، وفجأة يصبح جانو Jano واحداً آخر منّا. أقول كل هذا لكريفل، لكنني أتحدث مع لاماجا، حيث إننا الآن بعيدان عن بعضنا. ولا أتحدث إليها بالكلمات التي لم يكن من ورائها جدوى إلا البعد عن فهم بعضنا. الآن، وقد تأخر الوقت، أبدأ في انتقاء كلمات جديدة، إنها كلماتها، الكلمات التي تدخل في إطار ذلك الذي تفهمه لكن ليس له اسم، إنها نساء وتوترات تتغير من طابع الجو بين جسدين أو تملأ جو الحجرة أو بيت شعر بالتبر، لكن ألم نعش هكذا طوال الوقت ونحن انمزق بعضنا بعنوية؟ لا، لم نعش هكذا. ربما كانت تريد ذلك، لكنني عدت من جديد لوضع النظام الزائف التي يخفي الفوضى، وعدت إلى تصوّر أنني ألقى بنفسى في دائرة حياة عميقة حيث يمكن لمس المياة الرهبة بأطراف القدم. هناك أنهار ميتافيزيقية، إنها تسبح فيها مثل تلك القبرة التي تسبح في الهواء وتدور حول برج الأجراس وهي تشعر بالغربة وتترك نفسها لتسقط حتى تعلو بشكل أفضل بقوة الدفع. إنني أصف وأعرف وأرغب تلك الأنهار، لكنها تسبح فيها. إنني أبحث عن الأنهار وأجدّها وأنظر إليها وأنا على الكوبري، أما هي فتسبح فيها لكنها لاتعرف، مثلها مثل القبرة. إنها ليست في حاجة إلى أن تعرف مثلي، يمكن لها أن تعيش في الفوضى دون أن يوقفها أى وعى بالنظام. هذه الفوضى التي هي نظامها الغامض، هذه البوهيمية الجسدية، والروح هي التي تفتح لها الباب الحقيقي على مصراعيه. فحياتها ليست فوضى إلا في ناظرى، فقد دفنت نفسى في أحكام مسبقة بحيث أصبحت أسفّه وأحترم في الوقت نفسه. إنني أنا المحكوم عليه بإطلاق سراحه من قبل لاماجا التي تحاكمنى دون أن تعرف. أه. اتركينى أدخل. اتركينى لأرى يوماً ما كيف ترى عيناك.

غير مفيد أيها المحكوم عليه بإطلاق سراحه؛ عد إلى المنزل واقرأ إسبينوزا. لاماجا لاتعرف من هو إسبينوزا⁽¹⁸⁾ Spinoza. إن لاماجا تقرأ روايات روسية وألمانية لاحصر لها، كما تقرأ لبيريث جالدوس. ثم تنسأها كلها في الحال. لن تشك أبداً أنها أدانتنى بقراءة إسبينوزا، إنها قاض لامتثال له. إنها قاضٍ من خلال اليد وسيرها في وسط الطريق. وقاضٍ؛ لأنها تنظر إلى فقط وتتركنى عريانا، قاضياً؛ لأنها غبية وغير سعيدة وغير مستقرة وكاثوليكية وأقل من لاشئ. ولكل ذلك الذى أعرفه من خلال معرفتى المرة باستخدام الكيال العفن للجامعى والرجل المستتير، لهذا كله فهى قاضٍ. اتركى نفسك

21

أيتها القبرة لتسقطى بهذه المقصات الحامية التى تقطع سماء سان جيرمان دى برى Saint Germain -des- Prés وانتزعى هاتين العينين اللتين تنظران دون أن تبصر. إننى محكوم علىّ، دون حق فى الاستئناف، وسوف أساق سريعا إلى تلك السقالة الزرقاء حيث يدفعوا بى يدى المرأة وهى تعنى بابنها، وسوف ينفذ الحكم سريعا ويسرعان ما يكون النظام الكاذب بأننى وحدى أستعيد الأهلية وأنا العلمية والوعى. ومع العلم الغزير هناك شوق غير مفيد للحزن على شئ مثل المطر هنا فى الداخل أو أن السماء تمطر أو أنه يشم رائحة الأرض المروية، والكائنات الحية: نعم الكائنات الحية.

(- 79)

22

انحصرت الآراء فى أن العجوز قد انزلق، وأن السيارة قد «خرقت» الضوء الأحمر. وأن العجوز كان يريد الانتحار. ذلك أن الأمور تزداد سوءا كل يوم فى باريس، وأن المرور كان فظياعا، والعجوز لم يكن السبب، أو كان هو السبب، وأن فرامل السيارة لم تكن فى حالة جيدة. العجوز كان يقود بطريقة متهوره وأن المعيشة تزداد غلاء كل يوم، وأن الأجانب فى باريس تجاوزوا الحد المعقول، وأنهم لا يفهمون قوانين المرور، وأنهم يستولون على أماكن العمل من الفرنسيين.

لم تظهر على العجوز كدمات كبيرة. كان يبتسم ببلاهة، ويمسح بيده على شاربه. وصلت سيارة إسعاف، وضعوه على النقالة، أخذ قائد السيارة يلوح بيديه ويشرح كيفية وقوع الحادث أمام رجل البوليس والفضوليين.

- إنه يعيش فى المنزل رقم 32 بشارع مدام Madame - قال فتى أشقر، تبادل بضع جمل مع أوليفيرا وباقى الفضوليين - إنه كاتب. أنا أعرفه يؤلف كتباً.
- لقد أصابه ولقى الصدمات فى رجليه، لكن السيارة قد فرملت بالكامل.
- قال الفتى :

- لقد أصيب فى صدره فلقد انزلق العجوز فوق قانونات كثيرة.

- قال أوليفيرا :

- لقد أصيب فى رجليه .

- قالها رجل قصير القامة جدا :

- طبقا لوجهة النظر .

- قال الفتى :

- لقد أصابته السيارة فى صدره؛ وقد رأيت بهاتين العينين.

- فى تلك الحالة أليس من المستحسن إبلاغ أسرته؟

- ليست له أسرة؛ إنه كاتب.

- قال أوليفيرا :

- أه.

- عنده قِطٌ وكتب كثيرة؛ فقد ذهبت إليه ذات مرة لأسلمه لفة من قبل البوابة وجعلنى أدخل المنزل. الكتب هناك فى كل مكان. كان لابد أن يحدث له ماحدث، فالكتب كثيرا مايسيرون لاهين. أما بالنسبة لى، فحتى تدهمنى سيارة ... كانت تسقط بعض قطرات المطر التى أسهمت فى فض حلقة الشهود. قام أوليفيرا برفع ياقة البالطو وأبرز أنفه للهواء البارد، وأخذ يسير على غير هدى. كان متأكدا أن

22

العجوز لم يصب بأذى كبير، لكن مازال يرى وجهه الهادئ أو ربما الحائر وهم يضعونه على النقالة تحيطه عبارات التشجيع والملاطفة «لا عليك، لاشئ يستحق ... لا عليك، التي قالها عامل الإسعاف وهو رجل ذو شعر أحمر، وكان يجب عليه أن يقولها لكل الحاضرين. «إنها العزلة الكاملة» فكر أوليفيرا «ليس كثيرا لأننا وحدنا، فهذا شئ جد معروف. فإن يكون المرء وحيدا فهي عزلته في إطار معين حيث يمكن من خلالها لأخرين أن يكونوا على اتصال بنا إذا ماكان الأمر ممكنا، لكن أى أزمة أو حادثة في إحدى الحارات أو إعلان الحرب تؤدي جميعها إلى تداخل الأطر المختلفة، ويتحول رجل - ربما كان جهيدا في اللغة السنسكريتية أو الفيزيقا - إلى «جنو» Pépère بالنسبة لعامل النقالة الذي يسعفه في حادثة. فقد وضع إنجار آلان بو E. A. Poe في غربة يد، وفيرلين كان بين يدي أطلية غير مهرة، ونرغال وأرتود Artaud كانا في رعاية الأطباء النفسيين. ما الذي كان يعرفه عن كيتس Keats فقد ذلك الطبيب الإيطالي الذي كان يستنزفه ويقتله جوعا. فإذا ما كان هناك رجل مثلهم قد التزموا الصمت، وهذا أغلب الاحتمالات، فإن الآخرين ينتصرون دون سوء قصد، ودون أن يعرفوا ذلك الذي أجريت له العملية، ذلك الذي يعانى من مرض السل، ذلك الجريح العريان الملقى على سرير وقد اشتدت به العزلة وهو محاط بكائنات تتحرك كأنها وراء زجاج فترينة ومن زمن آخر...».

دلف إلى أحد مداخل البيوت وأشعل سيجارة. كان المساء يحل بالمكان، وكانت مجموعة من الفتيات تخرج من المتاجر وهن في حاجة إلى الضحك والتحدث بصوت مرتفع والتدافع، ويجلبن عن أنفسهن هذا الصدا خلال ربع ساعة قبل السقوط في دائرة البوفتيك والمجلة الأسبوعية. وأصل أوليفيرا سيره. ودونما حاجة لإضفاء المزيد من الدرامية؛ فإن الموضوعية الشديدة التواضع توضح أن باريس أصبحت تعيش اللامعقول وحياة التبعية. ولما فكر في الشعراء كان من السهل تذكر كل هؤلاء الذين أدانوا عزلة الإنسان وهو إلى جوار أخيه الإنسان. والكوميديا الساخرة في تبادل التحية، وطلب «المعذرة» عند المرور بأحد على السلام والمقعد الذي يترك للسيدات في المترو وإظهار الأخوية في السياسة والرياضة. ويظهر فقط نوع من التفاؤل البيولوجي والجنس الذي يمكن أن يكون تمويها لدى البعض على أنهم في جزيرة معزولة، وهو ماكان يحزن جون دون^(١) Johon Donne. فالاتصال في الفعل والسلالة والمهنة والسرير وملعب التنس كأن اتصلا بين الأغصان والأوراق التي تتداخل ويداعب بعضها البعض من شجرة إلى أخرى. أما الجنوع فتعبر بشمم عن توازيها الذي لايدخل في باب المصالحة. «في جوهر

22

الأمر يمكن لنا أن نكون على السطح» فكر أوليفيرا. «لكن قد يكون من الضروري العيش بطريقة أخرى. لكن مامعنى العيش بطريقة أخرى؟ ربما كان ذلك يتمثل فى العيش بطريقة غير معقولة لينتهى الأمر إلى القضاء على اللامعقول. أن يجذب المرء نفسه بقوة من الداخل بحيث تؤدي القفزة إلى الوقوع بين أزرع الآخر. نعم وربما هو الحب، لكن الآخر Otherness تنوم مثلما تنوم امرأة، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة. لا توجد Otherness «الآخر» فى جوهر الأمر، فلا نكاد نجد إلا الـ togetherness (الاتحاد الملائم). وهذا أفضل من لاشئ... الحب هذا الحقل الكوني يعطى الذات. ولهذا عن له فى تلك اللحظة أنه كانت هناك ظلمة فى البداية : دون أن يملك المرء نفسه فليس هناك ملك للآخر. ومن سيملك نفسه فى الواقع؟ ومن ذا الذى عاد من نفسه ومن العزلة المطلقة، التى تعنى أن ليس هناك حتى الرفقة مع النفس، وأن لامناس من دخول السينما أو الماخور أو بيت أحد الأصدقاء أو فى مهنة تستولى عليه أو الزواج حتى يكون على الأقل، وحيدا - بين - الأ-خر-ين؟ ومما هو من تناقضات الأمور فإن أقصى حالات العزلة تؤدي إلى أقصى حالات التبعية وإلى التشوف إلى رفقة الآخر وإلى الإنسان المعزول فى صالة المرايا والأصداء. غير أن أناسى مثله وغيره كثيرون من الذين قبلوا أنفسهم (أو كان كل يرفض نفسه لكن يعرفها عن قرب) دخلوا فى أسوأ تناقض ألا وهو الوصول - ربما - إلى حافة الآخر وعدم القدرة على تجاوزها. والآخر الحقيقى المكون من الاتصالات الحساسة والتوافق الرائع مع العالم لا يمكن أن يكون من منظور واحد فقط. فأمام اليد الممدودة لابد وأن تكون هناك يد أخرى ترد عليها من الخارج؛ أى من الآخر.

(- 62)

23

توقف عند أحد النواصي وقد ملّ تأملاته الحادة (وهذا الذى يحدث له فى كل لحظة - ليس يدرى لماذا-) والمتمثل فى أنه يفكر أن العجوز الجريح قد يكون على سرير فى إحدى المستشفيات ويحيط به الطلاب والمرضات بطريقة لطيفة وغير شخصية. ويسألونه عن اسمه وسنه ومهنته. وسوف يقولون له إن الأمر بسيط ويزيلون عنه الألم بحقنة وضادة). توقف أوليفيرا ليتأمل ماكان يحدث حوله. فهى ناصية مثل أى ناصية فى أى مدينة، تمثل النموذج الكامل لما كان يفكر فيه وتكاد تباعده عن المزيد من إجهاد نفسه. ففى المقهى (كان الأمر يستدعى دخول المقهى وتناول كوب من النبيذ) كانت هناك مجموعة من البنائين تتحدث مع رئيسها وهى واقفة على طاولة البار. وكان هناك اثنان من الطلاب يقرآن ويكتبان على إحدى الترييزات. يراهما أوليفيرا وهما يرفعان رأسيهما وينظران إلى مجموعة البنائين ثم يعودان إلى الكتاب أو إلى الكراسة، ثم ينظران من جديد. من صندوق زجاجى إلى آخر. النظر، والانعزال والنظر : كان ذلك كل شئ. وفوق الشرفة المغلقة للمقهى بدت السيدة التى تسكن الدور الأول وهى تخطب شيئاً أو تقوم بتفصيل فستان إلى جوار النافذة. كانت رأسها المصففة الشعر تتحرك بطريقة إيقاعية. أخذ أوليفيرا يتصور ماتفكر فيه وفى المقص والأولاد الذين سيعودون من المدرسة من لحظة وأخرى، وفى الزوج الذى أنجز يوم عمله فى أحد المكاتب أو البنوك. البنائون والطالبان والسيدة، الآن جاء متسولٌ ظهر من شارع متعامد وهو يحمل زجاجة نبيذ أحمر تبرز من جيبه، ويدفع أمامه عربة طفل ملأها بالصحف القديمة والعلب الصفيح والملابس القديمة والمتسخة ودمية دون رأس ولفة من المكان الذى خرج منه وذيل سمكة. البنائون والطالبان والسيدة والمتسول، وفى الأكشاك المخصصة لبيع ورق اليانصيب، وكأنها نصيب مخصصة للتشهير بالمجرمين، هناك سيدة عجوز تتناثر بعض خصلات شعرها من تحت كوفية ذات لون رمادى، وقد وضعت يديها فى قفاز أزرق تظهر منه أطراف أصابعها TRAGE MERCREDI وهى تنتظر الزبون دون أمل. وتضع موقدا من الفحم إلى جوار قدميها وقد وضعت نفسها فى تابوت رأس، هادئة تكد تتجمد من البرد وتقدم الحظ وتفكر، لست أدرى فى ماذا، فريما كانت مجموعة من الأفكار والتكرارات الخاصة بتخاريف الشيخوخة، وفى المدرسة التى كانت تهديها بعض الحلوى أيام طفولتها، وفى الزوج الذى توفى فى Somme، وفى الابن الذى يرتحل من مكان إلى آخر بغرض التجارة. وفى المساء تجد غرفتها على السطح بدون مياة ساخنة والشورية المطبوخة لثلاثة أيام. والبرجر البقرى

23

الذي هو أرخص من البوفتيك TIRAGE MERCREDI. البنائون والطالبان والمتسوّك وبائعة ورق البيانصيب، توجد كل مجموعة وكل واحد في صندوق زجاجي، لكن إذا ماسقط عجوز تحت عجلات سيارة سوف نرى سباقا نحو مكان الحادث. وتبادل للانطباعات فيه نبرة الحماس والنقد ونقاط الاختلاف والاتفاق حتى تعود قطرات المطر من جديد فيرجع البنائون إلى طاولة البار والطالبان إلى الترابيزة والـ X إلى X والـ Z إلى Z.

«إن العيش بطريقة لاعقلانية يمكن أن يقضى ذات مرة على اللاعقلانية التي لا تنتهي» كرّر أوليفيرا على نفسه، «لكن سوف يبلّغني المطر، على أن أدخل إلى أي مكان» رأى اللافئات الخاصة بصالة الجغرافيا Salle de Géographie فلجا إلى المدخل. كانت هناك محاضرة عن أستراليا تلك القارة المجهولة، واجتماع تلاميذ يسوع مونت فافيت Cristó de Montfauet. وعُزف على البيانو تقدمه السيدة / تريبات Berthe Trépat. ودعوة للاشتراك في حلقة دراسية عن المناخ. تحوّل إلى جودوكا Judoكا خلال خضسة أشهر. ومحاضرة حول تعمير ليون. كانت حفلة العزف على البيانو سوف تبدأ على الفور، كما أن تكلفة التذكرة بسيطة. نظر أوليفيرا إلى السماء وهز كتفيه ثم دخل. كانت تراوده فكرة الذهاب إلى منزل رونالد أو إلى مرسم إيتين. لكن كان من الأفضل أن يكون ذلك ليلا. بدا له من الطريف - دون أن يرى لماذا - أن يكون اسم عازفة البيانو بيوت تريبات. كما بدا له من الطريف اختبائه في حفلة موسيقية ليهرب من نفسه، وهذا برهان ساخر على كثير من الأفكار التي أخذ يقلّبها على وجوهها في الطريق. «لسنا شيئا»، فُكر وهو يقوم بوضع مبلغ مائة وعشرين فرنكا على مستوى أسنان العجوز الموضوعية في قفص شبك التذاكر. أعطته تذكرة في الصف العاشر، وهذا سوء تصرف مقصود من العجوز؛ فالحفلة على وشك أن تبدأ، ولم يكن هناك أحد إلا بعض الصلح من الطاعنين في السن وبعض ذوى الذقون ومجموعة أخرى تجمع بين السمتين السابقتين وتبدو عليهم علامات أنهم من حيّ واحد أو لهم روابط أسرية. بالإضافة إلى امرأتين تتراوح أعمارهما بين أربعين وخمسة وأربعين عاما وقد ارتدّتا معاطف قديمة وتحملان في أيديهما مظلات اللوقاية من المطر يتساقط منها الماء، وعدد قليل من الشباب معظمهم متزواج وهم يتناقشون بحدة ويتدافعون، وسمع صوت مضغ حبات

23

الكرملة وقرقعة الكراسى من طراز فيينا. كان إجمالى الحاضرين عشرين شخصا. وكانت الرائحة تقول بأنها أمسية ممطرة. فكانت الصالة باردة جدا وعالية الرطوبة، وتصدر همهمة أصوات من وراء الستار. أشعل أحد الطاعنين فى السن «الببية» فأسرع أوليفيرا بإخراج سيجارة «جلواز»، لم يكن يشعر أنه بحالة جيدة، فقد دخلت المياه إلى فردة من حذائه، كما أن رائحة البحر والملابس المبتلة كانت تشعره ببعض القرف. أخذ ينفخ بشكل متوال حتى يقوم بتسخين السيجارة وكرمشتها. رن جرس متقطع من الخارج فصفق أحد الشباب بحماس. قامت حاجبة السينما العجوز، التى ترتدى قبعة مائلة وتضع ماكياجها يؤكد أنها كانت نائمة، بإغلاق ستارة المدخل. فى هذه الأثناء تذكر أوليفيرا أنهم أعطوه برنامجا. كان عبارة عن ورقة مكتوبة بشكل ردى حيث تمكن بعد لى من معرفة أن السيدة بيرت تربيان حاصلة على الميدالية الذهبية، وسوف تعزف «الحركات الثلاث غير متواصلة» لروزيه بوب Rose Bob (فى الفترة الأولى) ومقطوعة «بالقانا من أجل الجنرال ليكليرك» لالكس ألكس A. Alix (الفترة الأولى المدينة) وخلاصة ديليبس - سان ساينتز Sintés Delibes-saint-saëns «لنفس الفنان وللعايزة بيرت تربيان».

«يا للإزعاج»، فكر أوليفيرا «ياله من برنامج مزعج». ظهر رجل خلف البيانو، دون أن يعرف بالضبط كيف وصل. كان أبيض الشعر وله لغد معلق فى رقبته، يرتدى حلة سوداء ويداعب بيده الوردية اللون السلسلة المعلقة فى الصديرى الفانتازيا. بدا الصديرى سميكاً فى نظر أوليفيرا، دوت بعض التصفيقات المكتومة التى صدرت عن أنسة ترتدى معطفا واقيا من المطر بنفسجى اللون وتضع على عينيها نظارة ذات شئبر من الذهب. ويصوت شديد الشبه بصوت الببغاء تولى العجوز ذو اللغد تقديم الحفل الموسيقى، وأشار فى تقديمه إلى أن روزى بوب كانت تلميذة سابقة فى العزف على البيانو لمدام بيرت تربيان، وأن المقطوعة الموسيقية «الباقانا» لالكس ألكس ألفها أحد ضباط الجيش البارزين الذى ظهر تحت اسم مستعار. كما أن المقطوعات المشار إليها كانت تستخدم، أساسا، أحدث وسائل التأليف الموسيقى. وفيما يتعلق بالمقطوعة «Sintés Delibes-Saint Saëns» (وهنا رفع العجوز ناظريه بنوع من الشرود) فهى تمثل فى إطار الموسيقى المعاصرة بعدا من الأبعاد التجديدية العميقة وصفتها مؤلفتها

23

مدام تربيّات بأنّها «توليفة بين الأشتات». كان الوصف صادقا بالدرجة التي كانت العبقريّة الموسيقية لكل من ديليبس وسان ساينز تنحو إلى التناضع والتداخل والتناغم، وهي سمات قد أصابها الجمود بسبب الفردية المبالغ فيها في الغرب. وآلت إلى عدم التطور والتشابك، إلا أن العبقريّة الإبداعية لمدام تربيّات أنقذتها من هذا المصير. هذا حقيقيّ فالحساسية الشديدة التي هي عليها أدّت بها إلى اقتناص نقاط التقاء كانت خافية على عامة المستمعين، وتولّت هي المهمة النبيلة والشاقة في أن تكون حلقة وصل من خلالها يمكن أن يلتقي فيها أعظم أبناء فرنسا. لقد حان الوقت للقول بأن مدام بيرت تربيّات - بغض النظر عن نشاطها كمدرسة للموسيقى - سوف تحتفل قريبا بعيدها الفضيّ في خدمة التأليف الموسيقي. لم يجرؤ المقدم في مقام كهذا، وهي كلمة بسيطة تلقى في بداية حفل موسيقي ينتظره الجمهور بشغف، أن يقوم بتحليل التأليف الموسيقي لمدام تربيّات رغم أنه كان شديد الاهتمام به - ويمكن تلخيص الجمالية الموسيقية لهؤلاء الذين يستمعون لأول مرة لأعمال روزيه بوب ومدام تربيّات، في أنها عبارة عن تكوينات مضادة للبنائية، أي أنها خلايا صوتية مستقلة بذاتها، وهذا ثمرة الإلهام المحض. وتترابط تلك الخلايا من خلال التوجّه العام للعمل، لكنها تحررت تماما من أية قوالب كلاسيكية، أو سلّم الاثنتي عشرة نغمة، أو اللانغم (كرّر الكلمتين الأخيرتين بتركيز خاص). فعلى سبيل المثال نجد أن مقطوعة «الحركات الثلاثة غير المتصلة» لروز بوب، التلميذة النجيبة لمدام تربيّات، تبدأ من نقطة رد الفعل داخل الفنانة إزاء صوت باب يغلق بقوة. أما النغمات الاثنتي والثلاثين (acordes) التي تشكل الحركة الأولى فلم تكن إلا عدة تتابعات لهذا الصوت على المستوى الجمالي. لم يتصور الخطيب أنه يفشى سرا إذا ما أشار إلى جمهور الحضور المثقف أن تقنية تأليف⁽¹⁾ «Sintors» Délébes-Saint-Saëns لها صلة حميمة بالقوى الأولية والباطنية للإبداع. ولن ينسى أبدا أنه حضر مرحلة من مراحل تأليف هذه المقطوعة، وأنه ساعد مدام تربيّات في العمل على بندول rambomantico من خلال النوت الموسيقية لكلا الأستاذين حتى يتسنى اختيار تلك الجمل التي يكون تأثيرها على البندول مؤكداً ذلك الإلهام الأصيل للفنانة. ورغم أنه كان يمكن أن يضيف الكثير إلى مقالته إلا أنه كان يعتقد أن واجبه هو الانتباه مما يقول، ولكن ليس قبل أن يؤكد على أن مدام/تربيّات تعتبر واحدة من الفنانات البارزة للروح الفرنسية والمثل الحيّ على العبقريّة التي لاتدركها الجماهير العريضة.

23

تحرك لغد العجوز بقوة، ولم يستطع النطق بالمزيد من جراء التأثر والكُحَّة فاختمت وراء الستار. أربعون يدا قامت بالتصفيق المكتوم. ضاعت رؤوس بعض عيدان الثقاب تمطى أوليفيرا، ما أمكنه، فى مقعده وجلس بشكل أفضل. لابد وأن العجوز الذى تعرض للحادثة يشعر أنه فى وضع أفضل وهو على سرير المستشفى وهو غارق فى النعاس الذى يعقب الصدمة. كما أنه سعيد فى أنه يرفض أن يكون سيد نفسه، ويتحول السرير إلى مركب وأجازة ونوع من الخروج عن مسار الحياة اليومية. «قد أقرر الذهاب لعيادته فى أحد الأيام القادمة» كان يقول لنفسه، «لكن ربما أنسف له الجزيرة الجرداء وأتحول إلى أثر لقدم فى الصحراء. يالك من حساس».

أدى التصفيق إلى أن يفتح عينيه ويشهد الانحناء الصعبة التى تعبَّر بها مدام بيرت تريبات عن شكرها للجمهور. وقبل أن يتمعن فى وجهها جيدا تصلبت عينيه فى الحذاء الذى تنتعله وهو حذاء رجالي لا يمكن لأى تنورة أن تدار به، إنه حذاء كاروهات بدون كعب وأشرطة أنثوية لافائدة لها. وما بعد ذلك كان متصلبا وواسعا فى الوقت ذاته. إنها امرأة سمينية وضعت نفسها فى كورسيه لايرحم. لكن مدام تريبات لم تكن سمينية ولانكاد نطلق عليها صفة الامتلاء بعض الشيء. لابد وأنها تعاني بعض آلام الظهر «اللومباجو» مما يؤدى إلى تحريكها ككتلة وهى الآن فى وضع المواجهة تقدم تحياتها بصعوبة. وبعد ذلك سوف يكون لها بروفيل وهى تنزلق بين الكرسي والبيانو وتُفرد نفسها بطريقة هندسية حتى تستقيم جلستها. ومن هذا المكان أدارت الفنانة رأسها فجأة وحيث الجمهور من جديد، لكن لم يكد يكون هناك تصفيقا. «لابد وأن هناك أحدا على أعلى المسرح يحرك الخيوط» كان يحب العرائس والشخص المتحركة، وكان ينتظر الكثير من «التوليف بين الأشئات». نظرت بيرت تريبات إلى الجمهور من جديد، بدا وجهها المستدير، وكان عليه دقيق، يكتف بوضوح كل ننوءات القمر، أما الفم فكان مثل كرزة قرمزية اللون امتدت حتى أخذت شكل مركب مصرى. ثم عادت لوضع البروفيل، تأمل أنفها المذب الصغير على شكل منقار ببغاء، ثم أصابع البيانو هنيهة بينما ارتاحت الأصابع عليها بدءا بالدوه حتى السى وكأن يديها شططتين من الشمواه المتهاك. أخذت تسمع الاثني والثلاثين نغمة فى الحركة الأولى غير المستديمة. وبين الحركة الأولى والثانية مضت خمس ثوان ثم خمس عشرة ثانية بين الثالثة والرابعة.

23

وعند الوصول إلى النغمة رقم خمسة عشر كانت روز بوب قد أمرت بوقفة لمدة خمس وعشرين ثانية. لاحظ أوليفيرا - الذى جذبته حسن الاستخدام لطرائق الموسيقى فيبـرن^(٦) Webern. فى البداية - لاحظ أن بعض الأحداث أدت إلى تدهور الموقف بسرعة. فبين النغمتين السابعة والثامنة سمع صوت كحة، وبين الثانية عشرة والثالثة عشرة سمع صوت حكة عود ثقاب. وبين الرابعة عشرة والخامسة عشرة سمع تكرار هذه العبارة «آه، يالسوء الحظ» نطقها فتاة شقراء. وعند النغمة العشرين قامت سيدة من السيدات العجائز وكأنها موضوعة فى محاولة للتخليل والحفظ، بالضغط بقوة على المظلة الواقية من المطر وفتحت فمها لتقول شيئاً مفاده أن النغمة الحادية والعشرين زادت بشكل فيه تطويل. وكان أوليفيرا يتسلى بالنظر إلى بيرت تريبات، ويشك فى أن عازفة البيانو كانت تدرس تلك النغمات بطرف عينيها. ومن خلال هذا الطرف، مع وضع البروفيل الذى عليه بيرت تريبات، يمكن أن تتسلل نظرة رمادية وسمائية - خطر لأوليفيرا أنها بهذه النظرة ربما كانت تحسب عدد تذاكر الدخول. وعند النغمة الثالثة والعشرين اعتدل أحد السادة، به صلع شديد، فى جلسته وهو غير راضٍ. ويعد أن زفر بقوة معبرا عن سخطه خرج من الصالة وكل ضربة بكعب حدائه تضرب مسمارا فى الصمت لمدة ثمانى ثوانٍ فرضتها روز بوب - وابتداء من النغمة الرابعة والعشرين قل عدد الوقفات، ومن الثامنة والعشرين حتى الثانية والثلاثين سمع إيقاع وكأنه مسار جنازى له سماته الخاصة أبعدت بيرت تريبات قدميها عن بدال البيانو ووضعت يدها اليسرى على حجرها وبدأت فى عزف الحركة الثانية. هذه الحركة استمرت أربعة أوزان Compa. ويشتمل كل واحد من هذه الأوزان على ثلاث نوتات متساوية القيمة. أما الحركة الثالثة فكانت فى الأساس عبارة عن الخروج من أطراف أصابع البيانو والتقدم نحو المركز وتكرار هذه العملية من الداخل إلى الخارج، كل ذلك فى إطار نغمات ثلاث تؤدى فى وقتين Tresillos «إلى غير ذلك من لمحات تزيين النغمة. وفى لحظة معينة لاتدل على أن شيئاً سوف يحدث توقفت العازفة عن مواصلة العزف واعتدلت بطريقة مفاجئة ووجهت تحية تكاد تكون متحدية، لكن أوليفيرا استخلص منها ما بدا له أنه عدم ثقة وربما خوف، صفق فتى ورفيقته بقوة، ووجد أوليفيرا نفسه يصفق بدوره دون أن يدرى لماذا (وعندما عرف السبب افتتظ وتوقف عن التصفيق) استعادت تريبات وضع

23

البروفيل الذى كانت عليه فى الحال وممرت أحد أصابعها على البيانو بلا مبالاة منتظرة الصمت، ثم أخذت تعترف مقطوعة «باقانا من أجل الجنرال ليكليك».

وخلال الدقيقتين أو الثلاث دقائق التالية وزّع أوليفيرا اهتمامه بين هذا المساء غير العادى الذى تلقى به بيرت تربيّات بكل ما أوتيت من قوة وسرعة وبين الإشارات التى تصدر على استحياء أو بوضوح من قبل العجايز والشباب لمغادرة الصالة، ومقطوعة باقانا هى خليط من جمل لـ ليزت^(٢) Liszt ورشمانيتوف^(٤) Rachamaninov وهى تكرار لايتغير لموضوعين أو ثلاثة ثم الدخول بعد ذلك فى تنويعات لاتنتهى، فيها أجزاء من البسالة (عزفتها بشكل سيء فيه خروق وشقوق فى كل مكان) واللحظات المهيبة حيث النعش على عربة مدفع لكن ألكس ألكس كسر ذلك بالفرقعات التى أسلم نفسه لها بمتعة، تصور أوليفيرا مرة أو مرتين أن تسريحة الشعر الخاصة بالسيدة/ تربيّات سوف تسقط فجأة، لكن هناك عدد من بنس الشعر تمسك بها وكأنها مسلحة وسط الوميض والرعد الذى هو جوّ مقطوعة «باقانا»، ثم جاء دور النغمات السريعة والمتلاحقة التى تعلن النهاية. وتكررت الموضوعات الثلاث بشكل متوال (كان أحدهما شديد الشبه بـ دون خوان لـ إشتراوس) ثم أمطرت تربيّات العديد من النغمات التى تزداد حدة والتى تنتهى بتذكّر هستيرى للموضوع الأول وبالنغمتين فى النوت الأكثر خطورة، كان إيقاع آخرهما زائفا ناحية اليد اليمنى، لكنها أشياء يمكن أن تحدث لأى إنسان، صفق أوليفيرا بحرارة وهو يشعر بقضاء وقت طيب.

وقفت العازفة فى مواجهة الجمهور وكان هناك زنبركا يحركها، وحيث الحاضرين، بدأ أنها تعد من بقى فى الصالة، فلم يكذب بقى إلا ثمانية أو تسعة أفراد. خرجت بيرت تربيّات واثقة من نفسها من الناحية اليسرى، ثم قامت موظفة الصالة بإغلاق الستارة وقدمت حبات الكرملة.

لم يكن الأمر يستحق البقاء، ورغم ذلك ففى هذا الحفل الموسيقى يوجد جوّ يُشعر أوليفيرا بالسعادة، وعلى أى الأحوال فإن تربيّات المسكينة كانت تحاول تقديم أعمال للجمهور لأول مرة؛ الأمر الذى كان مثار جدال فى هذا العالم الذى تسيطر عليه موضة الرقصات البولندية وسوناتا «Claro de luna» لبيتوفن ورقصة النار. كان هناك شئ يحرك النفس فى وجه هذه الدمية المحشوة بقصاصات القماش والقטיפىة والبولين

23

الطويلة، والتي وضعت في عالم فج ملئ بأباريق الشاي المكسرة والسيدات العجائز اللاتي سمعن عزف إدوارد ريسلر^(٥) E. Rislser. واجتماعات الفن والشعر في صالات مغطاة حوائطها بورق من الموضة القديمة وميزانيات تبلغ أربعين ألف فرانك شهريا وتضرعُ عفوى للأصدقاء حتى يصل المرء إلى نهاية الشهر، والاهتمام بالفن الأ- صيب - ل على طريقة أكاديمية ريموند دونكان Raimond Duncan، ولم يكن الأمر بحاجة لخيال واسع لتصوّر الهيئة التي عليها ألكس وروزيه بوب والحسابات التي يقومون بإجرائها قبل استئجار صالة للحفل الموسيقى والبرنامج المنسوخ على الآلة الكاتبة بواسطة طالب متطوع وقوائم المدعوين التي لا طائل من ورائها والإحساس بخيبة الأمل من وراء الستار عندما ترى الصالة وبها عدد قليل، لكن يجب الأداء بنفس الطريقة، الميدالية الذهبية والخروج بنفس الطريقة. كان الأمر بمثابة فصل من فصول سيلين^(٦) Céline. كان أوليفيرا يعرف أنه غير قادر على تصوّر يتجاوز الجو العام وعن محاولة البقاء غير المجدية لمثل تلك الأنشطة الفنية التي تؤديها مجموعات مهزومة وغير مجدية. «ماكان ينقصني هو أن أكون وسط هذا الجو الملئ برائحة التفالين» عبّر أوليفيرا بغضب «هناك عجوز سقطت تحت سيارة، والآن تريبات، ولسنا بحاجة للحديث عن الجو الكئيب خارج المبنى وعن نفسى. وخاصة عن نفسى».

بقى في الصالة أربعة أفراد، وبدا له أن من الأفضل الجلوس في الصف الأول لمزيد من الرفقة لمن تقوم بتنفيذ حكم الإعدام. بدا له هذا التصرف لطيفا حيث يعبر عن التضامن. لكنه وإن جلس في المقدمة فقد قضى فترة الانتظار وهو يدخن. وبطريقة غير مفهومة، في اللحظة التي عادت فيها تريبات للظهور من جديد، قررت سيدة من الحضور مغادرة المكان فنظرت إليها محدقة قبل أن تبذل جهدا لتحية الصالة التي تكاد تخلو من الحضور. تصوّر أوليفيرا أن السيدة التي خرجت للتو تستحق ركعة في عجزها. وسرعان ما اكتشف أن ردود أفعاله هذه تعكس نوعا من التأييد لتريبات رغم مقطوعات الباقانا التي عزفتها ورغم روزيه بوب «منذ فترة لا يحدث لى مثل هذا» فكر. «لنر فيما إذا كنت بدأت أضعف مع مرور السنين»، هناك الكثير من الأنهار الميتافيزيقية وفجأة يجد نفسه راغبا في الذهاب إلى المستشفى لزيارة العجوز، ثم إنه يصفق لهذه المجنونة الموضوعة في كورسيه، غريبة. ربما كان السبب هو البرد الذي

23

يشعر به في الحذاء.

بينما مرت ثلاث دقائق أو أكثر على بداية مقطوعة «Sintesis Delibes Saint- Saëns» خرج الثنائي - رجل وامرأة- الذي كان بمثابة العصب الرئيسي للجمهور، تصوّر أوليفيرا من جديد أنه لمح نظرة تريبات كأنها تفادى الموقف، وفجأة بدا أن أصابعها ويديها بدأت تتصلب وأخذت تعزف وهي تميل نحو البيانو وتبذل جهدا كبيرا وتنتهز أي وقفة لتتنظر شزرا إلى الصالة حيث يجلس أوليفيرا وسيد تلوح على وجهه ابتسامة يستمعان وقد أبديا اهتماما كبيرا، لم يتأخر كثيرا «التوليف بين الأشتات» في التعبير عن مكنونه حتى بالنسبة لشخص لايعرف شيئا مثل أوليفيرا، وبعد أربعة أوزان من Route d' Omphale تلتها أربعة أخرى من Les Filles de Cadix قامت اليد اليسرى بعزف Mon Coeurs' ouvre à ta voix بينما تقوم اليد اليمنى، بشئ من التشنج، بإدخال موضوع أجراس لكى Lakmé، ثم تقوم كلتا اليدين بعزف جمل من Danse Macobre الرقصّة المسالوية والزمينة Coppélia إلى آخر ذلك من الموضوعات المذكورة في البرنامج مثل نشيد لفيكتور هوجو وجان دى نيفيل Jean de Nivelle و«على ضفاف النيل»، كل ذلك بشكل تبادلي مع الموضوعات الشهيرة، ولما كان المفهوم هو الشتات كان من المستحيل تصور إنجان أفضل من هذا، ولهذا فعندما بدأ السيد ذو الابتسامة المريحة في الضحك بصوت منخفض، وأدبا منه وضع قفازا على فمه، لم يكن أمام أوليفيرا إلا القبول بأن الرجل على حق ولايمكن أن نطالبه بأن يصمت. وربما ساور تريبات نفس الشك ذلك أنها تدخل المزيد من الجمل المتنوعة، ويزداد بذلك توقف يديها فتواصل عزفها بأن تهز عضديها وتحك كتفيها وكأنها دجاجة تبحث عن وضع مريح في قفصها، ومن جديد تعزف جملة من يفتح قلبى على صوتك من جديد، وجملة أين تذهب الشاب نيروز؟ وهما نغمتان مؤلفتان، وتلاحق سريع في الختام Les filles de Cadix ترا لا-لا-لا- وكانها رغبة، وعدة نوت مجتمعة إلى جانب (مفاجأة) بيير بولير^(٧) Pierre Boulez. صدرت عن السيد ذى الابتسامة اللطيفة صرخة ثم خرج مهرولا وهو يضع القفاز على فمه في اللحظة التي أنزلت فيها تريبات يديها لتتنظر بثبات إلى أصابع البيانو وتمرّرت بترية طويلة، لانهاية لها، هناك فراغ لامناص منه بين أوليفيرا وتريبات، فلم يعد أحد في الصالة إلا كلا الاثنين.

23

- قال أوليفيرا مدركا أن التصفيق غير مناسب :
- براثو .. براثو يامدام. دارت تربيّات بعض الشئ على الكرسي، دون أن تنهض من مكانها، ووضعت مرفقها على حافة البيانو، تبادلنا نظرة، نهض أوليفيرا واقترب من حافة خشبة المسرح.
- مهم جدا - قال :
- صدقيني ياسيدي لقد استمعت إلى حفلك الموسيقى باهتمام بالغ.
- ياله من ابن قحبة.
- كانت تربيّات تنظر إلى الصالة الخالية من المستمعين. كان أحد رموشها يرتعد بعض الشئ، وبدا أنها كانت تسأل نفسها سؤالا أو تنتظر شيئا، شعر أوليفيرا أنه يجب أن يواصل حديثه.
- إن فنانة مثلك تدرك جيدا عدم الفهم والجهل الذي عليه الجمهور، وفي حقيقة الأمر أعرف أنك تعزفين لنفسك أنت.
- لنفسى أنا -
- كررت تربيّات الجملة بصوت كانه البغواء وهو شديد الشبه بصوت ذلك الرجل الذي قام بتقديم الحفل.
- لمن إذن إذا لم يكن ذلك ؟ قال أوليفيرا وهو يتسلى إلى المسرح وكأنه يعلم. إن الفنان لا يضع فى اعتباره إلا النجوم كما قال نيته.
- قالت تربيّات وهى تشعر بالمفاجأة :
- من أنت ياسيدى؟
- أوه، إننى واحد ممن يهتمون بالظواهر كان من الممكن سرد المزيد من الكلمات، وإذا ماكان فى كل ذلك شئ مهم فليس إلا شيئا من الرفقة دون أن يرى المرء لماذا. كانت تربيّات تستمع إلى الكلام ولا زالت شاردة بعض الشئ. اعتدلت فى جلستها بعد شئ من الجهد ونظرت إلى الصالة والستارة.
- قالت :
- نعم، لقد تأخر الوقت وعلى أن أعود إلى المنزل .
- قالت ذلك، وكأنها تتحدث مع نفسها كنوع من العقاب أو شئ من هذا القبيل.
- قال أوليفيرا وهو ينحنى :
- هل أحظى بمرافقتك بعض الوقت؟ إذا لم يكن هناك من ينتظرك فى إحدى غرف الكواليس أو على بوابة الخروج.

23

- لن يكون هناك أحد. فلقد ذهب فالتنتين بعد التقديم، ما رأيك في التقديم؟
- قال أوليفيرا وهو يزداد وثوقا بأنه كان يحلم، وأنه يروق له الاستمرار في هذا الحلم.
- مهم .
- قالت تريبات :
- يمكن فالتنتين أن يفعل أشياء أفضل، وفي رأيي أنه لأمر منفّر من جانبه ... نعم
منفّر وهو الذهاب وتركى وحدى كائى خرقه قماش.
- لقد تحدث عنك وعن مؤلفاتك بإعجاب شديد.
- مقابل خمسمائة فرنك تجده قادرا على أن يتحدث بإعجاب عن سمكة ميتة.
إنها خمسمائة فرنك! - كررت تريبات وقد استغرقت في تأملاتها.
«إننى أمثل هنا دور الأبله» قال أوليفيرا لنفسه. فإذا ما حياها وعاد إلى الصالة ربما لم تكن الفنانة لتتذكر عرضه. لكن الفنانة أخذت تنتظر إليه فراها أوليفيرا وهى تبكى.
- إن فالتنتين حقيير. كلهم ... كان هناك أكثر من مائتى شخص وقد رأيتهم سيادتك. إنهم أكثر من مائتين. وهذا عظيم بالنسبة للتقديم لأول مرة أليس كذلك؟
والجميع دفعوا ثمن تذكرة الدخول ولاتظن أننا أرسلنا دعوات مجانية. إنهم أكثر من مائتى ولم يبق الآن إلا سيادتك، لقد ذهب فالتنتين، وأنا
- هناك عدم حضور ينظر إليه على أنه انتصار حقيقى.
- قال أوليفيرا هذه العبارة برنين لا يصدق.
- لكن لماذا ذهبوا؟ فلقد رأيتهم يذهبون؟ أقول لك إنهم أكثر من مائتين، ومنهم أناس من عليّة القوم؛ فلقد رأيت مدام /روش وديكتور/ لاكور ورأيت مونتليير الأستاذ الذى شهد آخر حفل للمسابقة الكبرى فى العزف على الكمان... أعتقد أن مقطوعة «باغانا» لم ترقهم كثيرا، وأنهم تركوا المكان لذلك. أليس كذلك؟ لأنهم ذهبوا قبل أن أعزف مقطوعتى «Sntesis» وأنا متأكدة من هذا فقد رأيتهم.
- قال أوليفيرا :
- بالتأكيد يجب القول بأن مقطوعة باغانا ...
- قالت تريبات :
- ليست باغانا بشكل مطلق إنها مقطوعة هى القذارة بعينها. والسبب فى ذلك هو فالتنتين. فلقد حذرونى أن فالتنتين يضاجع ألكس ألكس فلماذا يجب على أن أدفع الثمن؟ وأنا الحاصلة على الميدالية الذهبية، وسوف أطلعك على القراءة النقدية لأعمالى وانتصاراتى فى جرينوبل Grenoble وفى بوى Puy ...

23

كانت دموعها تسيل وتأخذ مسارها حتى الرقبة، وتتوه بين نتوءات الرقبة وجدها الذى بدت عليه الشيوخوخة. أخذت ذراع أوليفيرا وهزتها. تكاد تتعرض لحالة هستيرية بين لحظة وأخرى.

- قال أوليفيرا متعجلا :

- لماذا لا تبحتين عن معطفك ولنخرج؟ سوف يساعد هواء الشارع على انتعاشك.

ويمكن أن نتناول أى مشروب، وهذا بالنسبة لى سوف يكون ...

- كررت تربيات :

- تناول أى ميدالية ذهبية.

- قال أوليفيرا بطريقة غير لائقة :

- ما يحلو لك ياسيدتى.

وصدرت عنه حركة ليخلص نفسه، لكن الفنانة ضغطت على ذراعه وازداد اقترابها منه. وصلت إلى أنف أوليفيرا رائحة العرق بعد الحفلة وقد اختلطت برائحة النفثالين واللبن الجوى (أضف إليها البول والدهانات الرخيصة). فى البداية كان روكامبور والآن تربيات هذا لا يصدق. «الميدالية الذهبية»، كانت الفنانة تكرر هذه العبارة وهى تبكى وتبتلع ريقها. وفجأة أخذت تتنحب فاهترت وكأنها تطلق نغمة فى الهواء «وكل ذلك هو ما يحدث دائما...» فهم أوليفيرا الذى كان يحاول بلا جدوى، مباحدة الأحاسيس الشخصية ليلجا إلى نهر ميتافيزيقى. وبدون أية مقاومة تركت تربيات نفسها تتجه إلى الستائر حيث كانت موظفة الصالة تنتظر إليها وهى تحمل نظارتها فى يدها وكذا القبعة المزينة بالريش.

- هل تشعر السيدة بأنها ليست على مايرام؟

- قال أوليفيرا :

- إنه الانفعال هاهى تتحسن، أين معطفها؟

بين لوحات الإعلانات والترابيزات المتقادمة وآلة الهارب والشماعة، كان هناك كرسى علق عليه معطف واق من المطر أخضر اللون، ساعد أوليفيرا تربيات التى كانت مطاطنة الرأس لكنها لا تبكى. خرجا من خلال باب صغير وممشى مظلم متجهين إلى ليل الشارع. كان المطر يتساقط فى شكل رذاذ.

- قال أوليفيرا الذى لم يكن معه إلا أقل من ثلاثمائة فرانك :

- لن يكون من السهل العثور على تاكسى .. هل تعيشين بعيدا.

- لا، إننى أعيش بالقرب من البانتيون Pantheon. كما أننى أفضل السير.

- نعم، هذا أفضل.

23

أخذت تربيّات تسير ببطء وهى تحرك رأسها فى هذا الجانب وذاك الآخر. وبوضع غطاء الرأس المتصلّ بالمعطف كان الهواء يدخل بقوة وكأنه أوبو روى^(٨) Ubu Roi، فما كان من أوليفيرا إلا أن رفع ياقة القميص وياقة المعطف.

- قالت الفنانة :

- إنك إنسان لطيف لم يكن من اللازم أن تفعل ذلك. مارأيك فى مقطوعتى

الموسيقية ؟

- أنا ياسيدتى مجرد هاو. الموسيقى بالنسبة لى هى بمثابة ...

- قالت تربيّات :

- لم ترق لك

- فى الحلقة الأولى ...

- لقد عملنا لشهور طويلة مع فالتنتين. ليل نهار بحثا عن مصالحة بين العبقريات.

- على أى الأحوال سوف تعترفين ياسيدتى بأن ديليبس

- كررت تربيّات :

- إنه عبقرى وقد أكد ذلك أمامى إيريك ساتى^(٩) Erik Sati ومهما يقل دكتور لاکور بأن ساتى كان لى كيف يمكن قول ذلك. إنك ياسيدتى تعرف جيدا أن ساتى كان مقتنعا بما يقول، نعم، كان مقتنعا. من أى البلاد أنت أيها الشاب؟

- من الأرجنتين ياسيدتى، وأقول لك بالمرّة أننى لست شاباً.

- أه، الأرجنتين. السهول للمترامية الأطراف ... أظن ياسيدتى أنهم قد يهتمون بأعمالى؟

- أنا متأكد من ذلك ياسيدتى.

- ربما أمكن لك أن تهيب لى مقابلة مع السفير. فإذا ما كان تيبود^(١٠) Thibaud قد

يسافر إلى الأرجنتين ومونتيفيديو. فلم لا أذهب أنا التى تعزف موسيقى من تأليفها؟

- سال أوليفيرا الذى كان يشعر بشئ كأنه غثيان :

- هل تؤلفين كثيرا؟

- أنا مستغرق فى عملى رقم ثلاثة وثمانين، أليس كذلك. لنر ... أتذكر الآن أنه كان

على التحدّث مع مدام نوليت قبل خروجى ... فهناك حسابات معلقة. الإجمالى مائتى

فرد. ومعنى هذا ... استغرقت فى مهماتها، وسال أوليفيرا نفسه فيما إذا كان من

الأرحم مواجهتها بالحقيقة، لكنها كانت تعرفها إنها تعرف الحقيقة بالطبع.

- قالت تربيّات :

- إنها فضيحة قمت بالعزف فى نفس الصالة منذ عامين ووعد بولينك^(١١) Poulenc

23

بالحضور هل أخذت ذلك فى اعتبارك؟ بولينك بشحمه ولحمه، كنت ملهمة فى ذلك المساء، وللأسف فإن بعض الالتزامات طرأت له بشكل مفاجئ الأمر الذى حال دون حضوره ... لكن نعرف جميعا ما يحدث مع الموسيقيين الذين هم على الموضة.... وفى تلك الليلة قبضت منى السيدة نوليت أقل من النصف - ثم أضافت بغيظ - النصف بالضبط. وبالطبع سوف يكون نفس الشئ وبحساب مائتى فرد...

- قال أوليفيرا وهو يأخذها برفق من مرفقها لتدخل شارع سين Seine:

- ياسيديتى إن الصالة كانت شبه مظلمة وربما أخطأت فى تقدير عدد الحضور.

- قالت تربييات :

- أوه، لا.. أنا واثقة بأننى لم أخطئ، لكنك جعلتنى أخطئ فى الحسبة التى أقوم بها، معذرة لأبد من حسابها مرة أخرى ثم عادت للاستغراق فى المهمة وتحريك شفتيها وأصابعها بشكل دائم وهى غائبة تماما عن المسار الذى يأخذها فيه أوليفيرا وربما فقدت أيضا الإحساس بحضورها. وكل ما يمكن أن نقوله بصوت مرتفع كان من الممكن أن تقول لنفسها: كانت باريس مليئة بالناس التى تتحدث مع نفسها فى الشارع. وأوليفيرا لم يكن استثناء والاستثناء الوحيد هو أننى أقوم بدور الأبله مع العجوز، ومرافقة هذه الدمية الباهتة القماش إلى منزلها، هذه البلونة المسكينة المنفوخة، حيث تتراقص البلاهة والجنون مكونتين باقانا حقيقية هذه الليلة. «إنه لأمر منفر، لأبد من الإلقاء بها على أى درجة سلم ووطء وجهها بالقدم وسحقها وكأنها حشرة، وتحطيمها وكأنها بيانو يسقط من الدور العاشر. والرأفة الوحيدة بها هو إخراجها مما هى فيه والحيلولة دون استمرارها فى المعاناة وكأنها كلب يعيش وسط أوهامه لكنها لاتصدقها، إنها تصنعها حتى لاتشعر بالمياة وهى تدخل حذاءها وأن المنزل خاو على عروشه أو أن به هذا اللاعالم من الشعر الأبيض. إننى أشعر بالقرع منها، سوف أتركها على الناصية القادمة. كما أنها لن تدرك ما أنا فاعله ياله من يوم، ياله من يوم.

إذا ما عبر بسرعة من شارع لوينو Lobineau فلن تناله أبدا، لكن ربما وجدت العجوز الطريق إلى منزلها. نظر أوليفيرا إلى الخلف وانتظر اللحظة التى هز فيها ذراعه وكان هناك ثقلا يقع عليه أو معلقا به. لكنها كانت يد تربييات، كما ازداد إمساكها بذراعه ويكل ثقلها بينما هو ينظر إلى شارع لوينو ويساعد الفنانة فى الوقت ذاته على عبور الشارع. وأصل معها فى شارع تورنون Tourmon.

- قالت تربييات :

- من المؤكد أنه أشعل نار المدفأة وليس الأمر هو أن الجو بارد فى الواقع بل لأن

23

النار هي صديق الفنانين. أليس كذلك؟ سوف تصعد لتناول كأس معي ومع قائلتي.
 - قال أوليفيرا :
 - آه، لا ياسيدي، هذا لايجوز ومبلغ فخري هو أننى أرافقك حتى باب منزلك.
 إضافة إلى ذلك ...
 - لا تكن متواضعا أيها الفتى. فأنت شاب. أليس كذلك؟ من الملاحظ أنك شاب فتى،
 ذراعك على سبيل المثال كانت أصابعه قد انتفخت بعض الشيء بسبب ضغط كم
 البالو - أنا أبداً أكبر من سننى، فأنت تعرف كيف تكون حياة الفنان.
 - قال أوليفيرا :

- لا يمكن أبداً، فيما يتعلق بى فقد تجاوزت الأربعين: أى أنك ياسيدي تمدحني.
 كانت الجملة تخرج منه هكذا، ولم يكن هناك مايمكن عمله. لقد طف الصاع. كانت
 تربيات تتحدث عن أيام مضت وهي معلقة بذراعه، وبين الفينة والأخرى تتوقف فى
 منتصف الجملة ويبدو أنها تعود مرة أخرى للحسابات. وأحيانا أخرى تضع إصبعها
 فى أنفها بطريقة عفوية وتنظر بغضب لأوليفيرا. وحتى تتمكن من وضع إصبعها فى
 أنفها كانت تخلع قفازها بسرعة متصنعة بأن هناك أكلان فى كف يدها فتهرشه بيدها
 الأخرى (بعد أن تكون قد سحبتها بشكل مهذب من ذراع أوليفيرا) وترفعها بحركة
 وكأنها تضعها على البيانو ثم تنبش أحد فتحات أنفها فى أقل من ثانية. كان أوليفيرا
 يتظاهر بأنه ينظر إلى الجانب الآخر وعندما يعود برأسه تكون تربيات قد تعلقت بذراعه
 من جديد بعد أن لبست القفاز. وسارا على هذا النحو وهما يتحدثان - بينما يتساقط
 المطر، كانا يتحدثان عن أشياء مختلفة - وعندما مر بقصر لوكسمبورج كانا يتحدثان
 عن باريس وعن الحياة التى أصبحت صعبة للغاية وعن المنافسة الحادة من قبل
 الشباب المندفع وعديم الخبرة وعن الجمهور الذى أصبح جاهلا ولايوجد علاج له وسعر
 شرائع البوفتيك فى سوق سان جيرمان أو فى شارع بوس Buci وهى الأماكن الممتازة
 لشراء البوفتيك الجيد بسعر معقول. وبطريقة مهذبة سألت تربيات أوليفيرا مرتين أو
 ثلاث عن مهنته وتطلعاته وماقد فشل فيه، لكنه قبل أن يتمكن من الرد على أسئلتها كان
 الحديث يعود من جديد لينصب على اختفاء قائلتين غير المبرر والخطأ المتمثل فى عزف
 مقطوعة باغانا لألكس ألكس، ولم تفعل هذا إلا لأنها ضعيفة أمام قائلتين.
 وسوف تكون هذه آخر مرة «هذا اللوطى» غمخت تربيات. كان أوليفيرا يشعر
 بأن يده بدأت تؤله تحت قماش المعطف «من أجل هذه الحثالة، على أنا أن ألس برازا

23

برازا ليس له رأس أو قدمين بينما لى خمسة عشر عملا فى انتظار تقديمها لأول مرة...». وبعد ذلك كانت تتوقف تحت المطر وهى هادئة داخل معطفها الواقى من المطر (لكن المياة بدأت تدخل لأوليفيرا من منطقة الرقبة أمّا ياقة المعطف التى هى من جلد الأرنب أو الفئران فقد أخذت تصدر رائحة تشبه رائحة قفص فى إحدى حدائق الحيوانات. ويحدث له هذا كلما أمطرت السماء ولا يمكن فعل شئ). وتظل تنتظر إليه وكأنها تنتظر إجابة، يتسم لها أوليفيرا برقة وهو يميل فى سيره متجها بها إلى شارع ميديسيس Médices.

– تقول تريبات :

– إنك متواضع جدا ياسيدى، ومحافظ جدا، حدثنى عن نفسك لنر. لابد وأنتك شاعر. أليس كذلك؟ أه كان فالتين أيضا عندما كنا فى مرحلة الشباب... إنها «أنشودة الشفق» ياله من نجاح فى ميركير دى فرانس France de Mercure... أرسل إليها تيبودت^(١٧) Thibaudet بكارت تهنئة. أتذكر ذلك وكأنه وصل هذا الصباح. كان فالتين يبكى وهو فى السرير، فقد كان الأمر مشيرا للشجن.

حاول أوليفيرا أن يتصور فالتين يبكى وهو منكفى على وجهه على السرير، لكن الشئ الوحيد الذى استطاع رؤيته هو فالتين فى صغره وهو أحمر اللون وكأنه سرطان البحر. إنه يرى فى الواقع روكامادور يبكى فى سريريه وهو منكفى على وجهه ويرى لاماجا وهى تحاول أن تضع له أحد التحاميل بينما يقاوم ويتقوس ويهدب بعجزه من بين يدي لاماجا الخرقاوين. وربما وضعوا للعجوز الذى أصيب فى الحادث تحاميل أيضا. إنه أمر لا يصدق فقد أصبحت التحاميل موضوعة هذه الأيام. ويجب أن نحلل فلسفيا هذا الاتجاه والاهتمام بفتحة الشرج. والارتقاء بها لتكون بمثابة قم ثان وأنها تجاوزت مهمتها فى الإخراج بل أصبحت تمتص وتزرد هذه الطلقات ذات اللون الوردى والأخضر والأبيض وذات الشكل الأيرويدىاميكى. لكن تريبات لم تترك له فرصة للتركيز. كانت تريد أن تعرف شيئا عن حياة أوليفيرا وتضغط على ذراعه بيد واحدة وأحيانا بكتا يديها وتتجه إليه بعض الشئ وكأنها فتاة مغرمة به أثناء الليل. حسن إنه أرجنتينى يعيش منذ فترة فى باريس ويحاول أن لنر. ما الذى كنت تحاول أن ؟ كان من المؤلم شرح ذلك من البداية أو النهاية، إن ماكان يبحث عنه ...

– قالت تريبات :

– الجمال، العلو، والغصن الذهبى؛ لاتقل شيئا إننى أخمن جيدا، أنا أيضا قدمت

23

إلى باريس من بو Pau منذ بضع سنوات باحثة عن الغصن الذهبي لكنني كنت ضعيفة وشابة، كنت ... لكن ما اسمك ياسيدي؟

- قال أوليفيرا :

- اسمي أوليفيرا.

- أوليفيرا ومصدره الزيتون، البحر الأبيض المتوسط أنا أيضا من الجنوب. كلانا الرُّب يافتي. كلانا الرُّب يافتي. ولستا مثل فالتين الذي هو من ليل بـ Lille فأهل الشمال يتسمون بالبرود كأنهم أسماك. إنهم زُبقيون، هل تؤمن ياسيدي بالعمل العظيم Gran Obra؟ إنه فولكانللي^(٧٢) Fulcanelli. إنك تفهمني لا تنقل شيئا أخذت في اعتياري أنك مبتدئ. وربما لم تبلغ الدرجة التي يتحدثون عنها، أما أنا انظر هاهي مقطوعتي الموسيقية Sintesis على سبيل المثال. إن مقالته فالنتيني صدق. إن حساسيتي للإشعاعات الضيلة كانت تظهر لى الأرواح التوأم، وأعتقد أن العمل الموسيقي الذي ألفتة يعكس ذلك؛ أليس هكذا ؟

- بلى هو كذلك.

- إن لك ياسيدي Karma، وهذا مايمكن تخمينه في الحال كانت اليد تضغط بقوة إذ أخذت الفنانة تدخل في طور التأمل، ولهذا كانت في حاجة إلى أن تحتضن أوليفيرا الذي لم يجد أية مقاومة محاولا أن يجعلها تعبر الميدان والسير في شارع سوفلوت Soufflot «أه لو رأني إبتين أو وونج سوف تقوم الدنيا» كان أوليفيرا يفكر. لماذا كان عليه أن يهتم بما يفكر فيه إبتين أو وونج، وكأن المستقبل يكتسب أهمية بعد الأنهار الميتافيزيقية التي اختلطت بالقطن المتسخ. «يبدو وكأنني لست في باريس، ومع هذا فأنا وأغ تماما لما يحدث لي. إذ يضايقني أن هذه السيدة العجوز المسكينة أخذت التعاسة تدب في روحها وفجأة وحالة الغرق التي عليها بعد عزف بافانا ودرجة الصفر الضخمة التي حصلت عليها في الحفل الموسيقي. إنني أسوأ من خرقة ملقاة في المطبخ وأسوأ من القطن المتسخ. إنني ليست لى علاقة بى أنا»، ولما كان قد بقي له ذلك في تلك الساعة وهو تحت المطر وملتصقا بتريات، أى بقي له الشعور، وكأنه الضوء الأخير الذي أخذ ينطفئ في منزل أخذت اللمبات تطفأ فيه الواحدة تلو الأخرى، بقي له أنه لم يكن ذلك، وأنه ينتظر نفسه في مكان ما، وأن ذلك الذي يسير في الحى اللاتيني وهو يجر عجوزا هستيرية، ربما كانت عاشقة لنساء مثله، ليس إلا البديل، بينما الآخر، الآخر ... «هل بقيت هناك فى حيك، حىَ الماجرو Almagro؟ أو هل غرقت فى الرحلة،

23

وفى مخادع القحاب والخبرات الكبرى والفوضى الكبرى الضرورية؟ إن كل شئ يبدو لى كائنه عزاء، إنه لمن المستحب أن يظن الإنسان أن بمقدرته العودة إلى نفسه رغم أنه لا يكاد يوقن بهذا الآن، فالإنسان الذى يشنقوه لابد أن يستمر فى اعتقاده بأنه سوف يحدث شئ فى آخر دقيقة مثل زلزال، وأن الحبل الذى يقطع مرتين ومع ذلك يجب التماس العذر له، والاتصال الهاتفى من قبل الحاكم أو التجمهر الذى سوف يفك وثاقه. والآن قد بقى القليل من الوقت أمام هذه العجوز لتلمس قاربى».

لكن تربيات استغرقت فى خطراتها وشطحاتها وتحمست، وأخذت تحكى عن لقائها مع جيرمين تيلفرى^(١٤) Germaine Tailleferre فى لاجاردى ليون Gare de Lyon وكيف أن تيلفرى قالت لها إن «مقدمات لمعينات برتقالية اللون Preludios para rombos نارالنجا كان عملا مهماً وأنها سوف تتحدث مع مارجريت لونج^(١٥) Marguerite Long لتجعلها تشارك فى حفل موسيقى.

- كان يمكن أن ينجح ياسيد أوليفيرا، وتأكيداً لقدراتى. لكن رجال الأعمال أنت تعرف ذلك، إنه الطغيان الذى لا يعرف الحياء، لدرجة أن أكبر العازفين هم ضحايا يفكر فالنتين أن أحد عازفى البيانو من الشبان الذين لاوزاع عندهم يمكن ... لكن هاهو مصيرهم الفشل مثل العجائز. إنهم على نفس الشاكلة.

- ربما أنت نفسك فى حفل آخر

- قالت تربيات وهى تخفى وجهها رغم أن أوليفيرا حاول أن ينظر إليها :

- لا أريد أن أعرف أكثر من ذلك؛ إنه لأمر مخجل أن أظهر حتى الآن على خشبة المسرح لأقدم أعمالى الموسيقية لأول مرة، فمكاني هو الإلهام، هل تعرف ذلك، إننى يجب أن أكون الملهمة لمن يقومون بالتنفيذ. وعليهم جميعاً أن يهرعوا إلى ليطلبوا منى السماح لهم بأن يعزفوا مؤلفاتى، وعليهم أن يتضرعوا إلى ... نعم أن يتضرعوا إلى. أما أنا فقد أسمع، ذلك أنى أعتقد أن أعمالى هى بمثابة يجب أن تشعل حساسية الجمهور سواء هنا أو فى الولايات المتحدة والمجر ... نعم، قد أسمع لكن قبل ذلك عليهم أن يطلبوا شرف عزف أعمالى.

ضغطت على ذراع أوليفيرا بحمىة، وقد قرّر، بون أن يدرى لماذا، السير فى شارع سان جاك Saint Jacques، وأخذ يسير وهو يجز الفنانة برقة. كان يهب هواء مثالج

23

ويضرب وجهيهما بحيث كانت قطرات المطر تسقط في عيونهما وفي الفم، لكن تربيات بدت زاهلة عن هذا الجو البارد وهي معلقة بذراع أوليفيرا وتلتعلم ببعض العبارات التي كانت تنتهى بزغطة أو ضحكة قصيرة تعبر عن الغضب أو السخرية، لا، إنها تعيش في شارع سان جاك، لا، كما أنه لا يهتم معرفة أين تعيش. تستوى الأمور عنده حتى لو استمر على هذا الحال طوال الليل، هناك أكثر من مائتي فرد حضروا حفل عزف مقطوعة «Sntesis» لأول مرة.

- سوف يقلق فالنتين إذا لم تعودى سيادتك.

- قال أوليفيرا وهو يفكر في شئ يريد أن ينطق به، وربما كان دافعه هو دفع هذه الكرة الموضوعة في الكورسيه والتي تتحرك ككغفذ تحت المطر والرياح، وبعد خطاب طويل حدث أثناءه نوبات انقطاع بدا أن من الممكن الاستنتاج بأن تربيات تعيش في شارع إستراباد Estrapad، كان أوليفيرا شبه شارد وهو يجفف المياة من على عينيه بواسطة اليد الأخرى، وقام بتوجيه نفسه وكأنه أحد أبطال روايات جوزيف كونراد^(١٦)، وهو يقف على مقدمة المركب، وفجأة اعترته رغبة في الضحك، (وهذا ماكان يؤدي معدته الخاوية حيث تتلوى عضلاتها، كان ذلك غير عادى ومؤلم وعندما سيحكيه لرونج فلن يصدقها). والحديث ليس عن تربيات التي واصلت تعداد مفاخرها في مونبيلييه Montpellier وفي باو Pau وهي تذكر الميدالية الذهبية بين الحين والآخر، وإن يتحدث عن غلطه في عرضه مرافقتها؛ لم يع جيدا من أين، وماهو سبب هذه الرغبة في الضحك؟ فربما كانت مسببة عن أمر مسبق، يرجع إلى وقت مضى وليس من الحفل الموسيقى رغم أنه الأمر الأكثر إضحكا في العالم، هل هي سعادة أو شئ وكأنه تجسيد للسعادة، إنها السعادة رغم أن من الصعب عليه تصديق ذلك. ربما ضحك لسعادته، وأن هذه السعادة نقية وصافية بدرجة غير مفهومة، «إننى على وشك الجنون فكر». ومع هذه المختلة معلقة بذراعى لابد أنها معدية»، لم يكن هناك أى سبب يجعله يشعر بالسعادة؛ فالمياه تدخل إلى نعل الحذاء وتدخل من عند الرقبة، وتربيات معلقة بقوة بذراعه، وفجأة تنتابها نوبة فتنحبه كلما تذكرت فالنتين، إنه نوع من رد الفعل المشروط الذى لايمكن أن يكون مصدر سعادة لأحد بما فى ذلك المجانين، كان أوليفيرا يود لو يضحك بصوت مرتفع، لكنه يسند تربيات باهتمام بالغ ويسير معها برفق فى اتجاه شارع إستراباد رقم 4، ولم تكن لديه الدوافع ليفكر فى الأمر، وأكثر من ذلك محاولة فهمه، ومع ذلك فكل شئ على مايرام، فهو يرافق تربيات إلى رقم 4 فى الشارع محاولا

23

ألا تتعثر في برك المياه أو تسير تحت شلالات المياه المتساقطة من على أسطح المنازل وأفاريزها على ناصية شارع كلوتيلد Clotilde. وكانت أدنى إشارة لتناول كأس (مع فالتين) في المنزل هي فكرة جيدة بالنسبة له. لكن لابد من صعود خمسة أو ستة أدوار وهو يجرّ الفئانة ثم يدلف إلى حجرة ربما لم يقم فالتين بإشعال المدفأة منها (لكن كانت هناك سلمندرا جميلة وزجاجة كونيكا، ويمكن أن يخلع حذاءه ويضع قدميه بالقرب من النار، ويتحدث عن الفن وعن الميدالية الذهبية)، وقد يعود مرة أخرى إلى منزل تريبات وفالتين، وقد أتى معه بزجاجة نبيذ ومرافقتهم ورفع معنوياتهما. بدا الأمر وكأنه القيام بزيارة العجوز في المستشفى والذهاب إلى أى مكان لم يخطر على باله الذهاب إليه قبل ذلك، كأن تكون المستشفى أو شارع إستراباد. قبل السعادة، وذلك الإحساس الذى جعل معدته تتلوى كانت هناك يد تمتد إلى داخل الجلد وتأخذ في تعذيبه عذابا لذيذا (على أن أسأل وونج عن يد ممدودة داخل الجلد).

- الدور الرابع، أليس كذلك؟

- قالت تريبات :

- بلى، هذا المنزل ذو الشرفة، إنه مبنى يعود للقرن الثامن عشر. يقول فالتين إن نينون دى ليكول Ninon de Lenclos. آه، حقا، إن فالتين يكذب طوال الوقت؛ إنها لا تكاد تمطر، أليس كذلك؟

- وافق أوليفيرا :

- إن المطر يسقط، ولكن بدرجة أقل فلنعبّر الشارع الآن إذا مارغب.

- قالت تريبات وهي تنظر إلى المقهى الذى على الناصية :

- الجيران، بالطبع. هناك العجوز التى تسكن فى الدور الثامن... لا يمكن لك تصور كمية الكحوليات التى تشربها. ألا تراها هناك جالسة على الترابيزة الجانبية؟ إنها ترمقنا. سوف ترى فى الغد الإهانات....

- قال أوليفيرا :

- من فضلك ياسيديتى، خذى حذرك من هذه البركة.

- أوه. أنا أعرفها وأعرف صاحب المقهى. إنها يكرهاننى. كما أن فالتين، والحق يقال، تصرف ضدهما فى بعض المواقف فهو لا يطيق العجوز التى تسكن فى الثامن. فذات ليلة كان عائدا فيها إلى المنزل، وقد لعبت الخمر برأسه كثيرا، فقام

23

بتخليخ باب منزلها بروث القطط. ورسم فوقه لن أنسى ذلك أبدا .. كانت فضيحة ... فقد وضع قالتين نفسه فى البيانو وهو يحاول أن يزيل عن نفسه بقايا روث القطط؛ إذ بلغ من فرط حماسه الفنى أن لطخ نفسه أيضا. وكان على أن أتحمّل أسئلة البوليس والعجوز وكل الحى ياله من موقف مررتُ به وأنا من على هذا الصيت قالتين رهيب، إنه يتصرف كطفل.

كان أوليفيرا سيعود ليرى الرجل ذا الشعر الأبيض واللغد والميدالية الذهبية، كان الأمر وكأن طريقا فتح فجأة فى وسط الحائط، وكان يكفى أن يطل المرء بكتفيه والولوج إليه، وتهبئة مكان للدخول فى الحجر، ويعبر هذه الكتلة والخروج لرؤية شئ آخر. كانت اليد تضغط على معدته لدرجة الغثيان. كان سعيدا بدرجة لا تتصور.

- قبل الصعود من المستحسن أن أتناول «Fine» المخلوط بالمياه.

- قالت تريبات وهى تتوقف عند الباب وتنتظر إليه: هذا المسار الجميل جعلنى أشعر

ببعض البرد، أضف إلى ذلك المطر

- قال أوليفيرا وهو يشعر بخيبة الأمل :

- بكل سرور، لكن ربما كان من الأفضل أن تصعدى وتخلعى حذاءك على الفور؛

فقد ابتل عقبك.

- قالت تريبات :

- حسن، هناك تدفئة فى المقهى، أنا لا أعرف فيما إذا كان قالتين قد عاد أم لا.

إنه قادر على السير هنا وهناك باحثاً عن أصدقائه، وفى مثل هذه الليالى يعيش أى امرأة.. إنه مثل كلب صغير .. صدقنى.

- وقام أوليفيرا برسم صورة ماهرة :

- وربما جاء وأشعل المدفأة وكأس من البونتش Ponche وجورب من الصوف ...

عليك ياسيدي أن ترعى نفسك جيدا.

- أوه، أنا قوية مثل شجرة. غير أننى لم أحضر معى نقودا لأدفعها فى المقهى.

وسوف يكون على أن أعود إلى صالة الحفلات الموسيقية حتى يعطونى نصيبى ... ومن

الطبيعى أنه من غير المنصوح به السير ليلا وأنا أحمل ميلغا كبيرا من المال. هذا الحى

للأسف

- قال أوليفيرا :

- سوف أكون فى غاية الرضا فى أن أقدم لك ماترغبين فى تناوله وقد استطاع

23

إدخال تربيّات عند مدخل الباب وكان يخرج من ممرّ المنزل هواء دافئ ويحمل بخاراً به رائحة بعض الأطعمة أو صلصة الفطريات. أخذت تذهب عنه حالة السعادة وكأنها قررت السير وحيدة في الشارع بدلاً من البقاء معه عند مدخل الباب. لكن كان يجب العمل ضد ذلك فالسعادة لم تكن تدوم عدة لحظات. غير أنها كانت جديدة كل الجدة ومختلفة، وفي تلك اللحظة التي ذكر فيها فالتين وهو في البانيو ملطخ بروت القطط كان هناك إحساس بإمكانية السير خطوة إلى الأمام، خطوة حقيقية، خطوة دون استخدام الأقدام والسيقان. إنها خطوة في داخل الحائط الحجري والتقدم وإنقاذ النفس من الجانب الآخر. ومن المطر الذي يضرب في الوجه والمياه التي تدخل إلى الحذاء، من المستحيل فهم كل هذا الذي كان من الضروري فهمه كالعادة يوماً. إنها سعادة، إنها يد تحت الجلد وتضغط على معدته، إنها الأمل - وإذا ما كان من الممكن التفكير في كلمة مثل هذه، وإذا ما كان ممكناً عنده أن يكون هناك شيء ولو غامض تحت مفهوم كلمة الأمل؛ فهذا هو الحمق بعينه وهو الشيء الجميل الذي لا يصدق، لكنه الآن يذهب ويبتعد تحت المطر ذلك أن تربيّات لم تدعه إلى الصعود إلى منزلها، وتعود به إلى المقهى الذي على الناصية، وتعود به إلى الوضع السابق، وإلى كل ما حدث طوال اليوم. إنه كريفل والكبارى التي على نهر السين والرغبة في الذهاب إلى أي مكان وإلى العجوز وهو ملقى على الثقالة. والبرنامج المنسوخ على الآلة الكاتبة. وروزيه بوب والمياه التي دخلت في الحذاء، وبحركة بطيئة للغاية، وكان المرء يزيح عن صدره جبلاً، أشار أوليفيرا إلى كلا المقهيين اللذين يكسر ضوءهما ظلام المكان. لكن تربيّات لم تفضل واحداً منهما على الآخر، وفجأة نسيت نواياها وأخذت تغغم بشيء دون أن تترك ذراع أوليفيرا وتنتظر، كأنها محكوم عليها، في اتجاه ممرّ المنزل.

- قالت فجأة وقد سمّرت ناظرها في أوليفيرا حيث كانت عناها تلمعان وتدور فيهما دمة :

- لقد عاد إنه هناك. أنا أسفة وهو مع أحد، وهذا أكيد فكل مرة يقوم بتقديمي في إحدى الحفلات يعود مهزولاً ليضاجع أحد أصدقائه.

كانت تنتحب وهي تدفن أصابعها في ذراع أوليفيرا وتلف في كل لحظة لتلقى نظرة في الظلام. سمع صوت مواء مكتوم، وصوت جدى ناعم توقف عند حنية السلم، لم يكن

23

- أوليفيرا يدرى ما الذى يقوله وانتظر بأن أخرج سيجارة وأشعلها ببطء.
- قالت تريببات بصوت منخفض جدا للدرجة لا يكاد يسمع :
- المفتاح ليس معى، إنه لا يترك لى المفتاح عندما يذهب لمضاجعة أحد.
- لكن لا بد وأن ترتاحى ياسيدتى.
- ما الذى يهمه هو فيما إذا كنت أريد أن أرتاح أو حتى يقضى علىّ. لقد أشعلا نار المدفأة واستهلكا مابقى من كمية قليلة من الفحم التى أهداها لى الدكتور ليموان.
- ولابد أنهما عريانان. نعم، وعلى سريرى، عريانين قذرين. وعلىّ غدا أن أنظف كل شئ؛ إذ إن فالتنين سيكون قد تقيأ على الملاءة. يوما ... غدا، وكأن ذلك شئ أبدي. أنا، فى الغد.
- قال أوليفيرا :
- ألا يعيش فى الجوار أحد الأصدقاء حيث يمكن أن تقضى الليلة عنده؟
- قالت تريببات وهى تنظر إليه بغيظ :
- لا. صدقتى يافتى. إن أغلب أصدقائى يعيشون فى منطقة نويلى Neuilly، أما هنا فهناك تجد تلك العجوزات اللاتى لا يخرسن. وكذا الجزائريين الذين يعيشون فى الثامن، أسوأ سلالة.
- قال أوليفيرا :
- إذا ما قبلت يمكننى أن أصعد وأطلب من فالتنين أن يفتح لك الباب
- وربما إذا ما انتظرت سيادتك فى المقهى يمكن أن نحل الأمر.
- قالت تريببات وهى تجرجر صوتها وكأنها سكرانة :
- ما الذى ستحله إن يفتح لك الباب. إننى أعرفه جيدا. سوف يلتزمان بالصمت ويطفئان الأنوار. فهما ليسا فى حاجة إلى الإضاءة الآن؟ وسوف يشعلان النور بعد ذلك؛ أى عندما يتأكد فالتنين أننى ذهبت للنوم فى أحد الفنادق أو إلى مقهى لقضاء الليلة.
- إذا ما قامت بالطرق على الباب بقوة سوف ينتابهما الذعر. لا أظن أن فالتنين يجب مثل هذا النوع من الفضائح.
- إنه لا يهمه شئ، فعندما يكون فى مثل هذا الموقف لا يعنى بشئ على الإطلاق وقد يصل به الأمر إلى أن يرتدى الملابس ويذهب إلى قسم الشرطة الكائن على الناصية وهو يغنى الـ Marseilles وكان على وشك أن يفعلها مرة من المرات. فقد أمسك به روبرت صاحب المحل، فى الوقت المناسب وصعد به إلى المنزل. كان روبرت رجلا طيبا.

23

إلا أنه كانت له هو أيضا فعلاته، وكان متفهما.

- قال أوليفيرا مصرًا :

- اتركيني لأصعد، وف تذهبين سيادتك إلى المقهى الذى على الناصية وتنتظرينى هناك، سوف أقوم بترتيب الأمور؛ فلا يمكن لك أن تظلى هكذا طوال الليل. أضاء النور فى ممر المنزل فى الوقت الذى أخذت فيه تربيّات ترد فيه على أوليفيرا بحمّة، قفزت وخرجت إلى الشارع وابتعدت عن أوليفيرا بمسافة كبيرة. أما هو فقد بقى فى مكانه ولا يدري ماذا يفعل. كان هناك اثنان ينزلان بسرعة ومرا من جانبه دون أن ينظرا إليه واتجها نحو شارع ثوين Thouin. وينظرة عصبية فاحصة إلى الوراء عادت تربيّات للاحتماء بباب المنزل، فقد كان المطر يتساقط بغزارة.

دخل أوليفيرا باحثًا عن السلم بدون رغبة، ومع ذلك كان يقول لنفسه إن هذا هو الشئ الوحيد الذى يمكن فعله. ولم يكذ يتقدم خطوات ثلاث حتى أمسكت تربيّات بزراعته وأعادت وجهه نحو باب المنزل. كانت تتطلق منها الأوامر والنفي والتضرعات وقد اختلط كل ذلك فى نوع من القرقرة فى شكل نويات حيث اختلطت الكلمات وعلامات التعجب. ترك أوليفيرا نفسه لها وقد ترك نفسه لأى شئ. كان النور قد انطفأ لكنه عاد للاشتعال من جديد بعد بضع ثوان. وسمعت أصوات وداع فى الدور الثانى أو الثالث. تركت تربيّات أوليفيرا واستندت إلى الباب وهى تتصنع أنها تقوم بوضع أزرار المعطف الواقى من المطر وكأنها تنهى للخروج. ولم تتحرك حتى مرّ إلى جانبها الرجلان اللذان نزلا على السلم وقد ألقيا نظرة غير فضولية على أوليفيرا وهمها بكلمة «معذرة» عند المرور على أحد. فى أحد الدهاليز فكر أوليفيرا للحظة أن يصعد السلم، لكنه لم يكن يعرف الدور الذى تعيش فيه الفنانة، دفن بغيظ وقد لفه الظلام من جديد وهو ينتظر أن يحدث أى شئ أو لا يحدث شئ على الإطلاق. ورغم المطر فإن انتخاب تربيّات يصل إليه بوضوح أكثر. اقترب منها ووضع يده على كتفها.

- من فضلك يامدام تربيّات لاتضعفى هكذا. قولى لى ما الذى يمكن أن نفعله، لابد وأن هناك حلاً.

- همهمت الفنانة :

- اتركنى، اتركنى .

- إنك مرهقة وعليك أن تخلدى للنوم. وعلى أى حال لنذهب إلى أحد الفنانق. أنا أيضا ليس معى نقود، لكن سوف أحاول التوصل إلى اتفاق مع صاحب الفندق، وسوف أدفع له فى الغد. أنا أعرف فندقًا فى شارع فاليت Valette فليس بعيدا عن المكان.

23

- قالت تربيّات وهى تستدير وتنتظر إليه :
- فندق .
- إنه حل سيئ ، لكن الأمر هو قضاء الليلة.
- وحضرتك تريد الذهاب بى إلى فندق.
- ياسيديتى، سوف أرافقك حتى الفندق، وسوف أتكلّم مع المالك حتى يعطونك حجرة.
- إلى فندق، تريد حضرتك الذهاب بى.
- قال أوليفيرا وقد فقد صبره :
- لا أبغى شيئا لايمكن لى أن أدعوك إلى منزلى فليس لى منزل. وأنت لاتتركينى أن أصعد حتى أحاول أن أجعل ثالثتين يفتح لك الباب هل تفضلين أن أذهب؟ وفى هذه الحالة أقول لك طابت ليلتك.
- لكن من يدري فيما إذا كان كل ذلك يقوله أو يفكر فيه فقط. لم يكن أبدا أكثر بعدا عن هذه الكلمات إلا فى هذه اللحظة. وربما كانت أول ماينطق به فى وقت آخر. لم يكن من الواجب أن يتصرف هكذا. لايدري كيف يتصرف. لكن لم يكن التصرف هكذا. بينما تربيّات تنتظر إليه وهى ملتصقة بالباب. لم يتفوه بشئ بل بقى ساكنا إلى جوارها، ورغم أن الوضع لايصدق فقد كان يريد المساعدة وعمل أى شئ من أجل تربيّات التى أخذت تنظر إليه بقسوة وترفع يدها ببطء، وفجأة لطمت أوليفيرا الذى تقهقر وقد اختلط عليه الأمر. مباعدا نفسه عن تلقى الصفعة بكاملها، لكنه شعر بضربة الأصابع الناعمة ولمسة الأظافر.
- كررت تربيّات :
- إلى فندق لكن هل أنتم تستمعون لمثل ماعرضه على؟
- كانت تنظر إلى الممرّ المظلم، وهى تقلّب عينيها، أما فمها المزين بطريقة عنيفة فكان يتحرك وكأنه كائن مستقل له حياته الخاصة. وأثناء هذه البلبلة التى عاشها أوليفيرا ظن أنه رأى من جديد: يرى لاماجا وهى تحاول أن تضع بها التحاميل لروكامادور، بينما يتلوى الصغير ويضم إلبتيه وهو يصرخ بصوت عال. هاهى تربيّات تحرك فمها من مكان إلى آخر وعيناها مثبتتان فى جمهور غير مرئى يشاهدها فى ظلمة الممرّ. وهاهى تسريحة شعرها اللامعقولة تهتز بشدة كلما اهتز رأسها بعنف.
- غغم أوليفيرا وقد وضع إحدى يديه على الخريشة التى نزت بعض الدم
- من فضلك كيف يمكن أن تتصورى هذا؟

23

لكن نعم، كان يمكنها تصور ذلك (وهذا ما قالت بصوت عال، بينما عاد الضوء من جديد إلى الممر) كانت تعرف جيدا أى نوع من الفسقة هؤلاء الذين يسيرون وراء السيدات فى الشوارع، لكنها لن تسمح (أخذ باب الحارسه يفتح ورأى أوليفيرا وجهها كأنه لفارة ضخمة لها عينان صغيرتان تنظران بنهم). لن تسمح لمارد رهيب، أو زئير نساء مبتدئ أن يهاجمها عند مدخل منزلها. ولذلك فهناك البوليس وهناك القضاء. كان هناك أحد ينزل على السلم بسرعة، هو فتى علق فى شعره بعض الزينة ويبدو مثل العجر واثكأ الفتى على درابزين السلم ليرى ويسمع بهدوء ... وإذا لم يتمكن الجيران من حمايتها فهي قادرة على أن تجبر الآخرين على احترامها؛ فهذه ليست المرة الأولى التى يقوم فاسد وإنسان منخط

وعلى ناصية شارع تورنيفورث Tournifort أدرك أوليفيرا أن السجارة لازالت بين إصبعيه وقد أطفأتها قطرات المطر وتجعدت، استند إلى أحد أعمدة الإنارة ورفع وجهه وترك المطر يغرقه بالكامل. وعلى ذلك فلن يلاحظ أحد شيئا، لن يلاحظ أحد شيئا على هذا الوجه المبلل بالمطر. ثم عاد للسير ببطء وهو مطأطأ الرأس وقد زرر رقبة المعطف. وكما هى العادة كان جلد الياقة ينضج بالرائحة العفنة ورائحة الدباغة. لم يكن يفكر فى شئ، كان يشعر أنه يسير وكأنه يرى كلبا ضخما أسود اللون يسير تحت المطر. إنه شئ له أرجل ثقيلة، له صوف يتدلى ثقيل ويتحرك تحت المطر. ومن حين لآخر كان يرفع يده ويمسح بها على وجهه. لكنه ترك المطر يسقط فوق وجهه، وكان يحرك شفته ويشرب شيئا مملحا يجرى على جلده. وبعد فترة طويلة وعندما اقترب من حديقة النباتات Jardin des Plantes عاد لتذكر أحداث اليوم. وإحصائها الواحد تلو الآخر وأنه، على أى حال، لم يكن من الحماسة الشعور بالسعادة وهو يرافق السيدة العجوز إلى منزلها، وكما هى العادة فقد دفع ثمن هذه السعادة غير العاقلة. وهاهو الآن يؤنب نفسه على ذلك، ويقوم بتفكيك كل ماسبق حتى لايتبقى منه شئ إلا ما اعتاد عليه وهو فتحة يهب من خلالها الزمن واستمرارية فى اللاتحديد دون أن تكون هناك أفاق معلومة. «لانبذع الأدب»، كان يفكر وهو يبحث عن السجارة بعد أن جفف يديه قليلا فى دفء جيوب بنطالونه «للتترك الكلمات فى مكانها للتترك الكلمات القوادة لمعانها وبريقها، لقد حدث ماحدث وانتهى الأمر. تربيات، إنها شديدة الحمق، لكن كان من

23

المناسب الصعود وتناول كأس معها ومع قالتين. وخلع الحذاء ووضع به جوار المدفأة. في الحقيقة أنني كنت سعيدا لذلك السبب؛ أي لفكرة خلع حذائي وتجفيف الجوارب. لقد خذلتك. فماذا أنت فاعل معها. لنترك الأمور كما هي. فعلى أن أخلد إلى النوم. لم يكن هناك أي سبب آخر، لا يمكن أن يكون هناك سبب آخر. فإذا ما تركت لنفسى العنان سوف أعود إلى الحجرة وأقضى الليلة في تمريض الطفل»، وفي الاتجاه المؤدى إلى شارع سوميرارد Sommerard يستغرق المرء ما يقرب من عشرين دقيقة تحت المطر. وبذلك يكون من الأفضل الاتجاه إلى أول فندق أمر به وأنام. ولم يعد الكبريت يشتعل. كان الأمر مثيرا للضحك.

(- 124)

23

- قالت لاماجا وهي تجفف الملعقة بخرقه غير نظيفة :
- لا أستطيع التعبير عما أريد وربما كانت هناك أخريات يستطعن التعبير عنه، لكنني كنت هكذا دائما. فمن السهل كثيرا الحديث عن الأمور المحزنة أكثر من الحديث عن الأمور المضحكة.

- قال جريجوروفوس :
- إنه قانون إنها المقولة الكاملة، والحقيقة العميقة، وعندما نذهب بذلك إلى مستوى دماء الأب، فإنه يتحلل في تلك المقولة التي تشير إلى أن الأدب السيء هو ابن المشاعر الطيبة إلى غير ذلك من هذا القبيل. السعادة لا يمكن تفسيرها بالوثيا، وربما لأنها اللحظة الأنسب لحجج مايا Maya.

نظرت إليه لاماجا حائرة، تنهد جريجوروفوس.
- حجج مايا - كرر - لكن يجب ألا نخلط الأمور ببعضها. لقد رأيت سيادتك أن الكارثة هي أمر، لنقل، ملموس وربما كان ذلك لأنه يتولد عنها نوع من الثنائية : الشيء والفاعل - ولهذا فإنها تظل أمدا طويلا في الذاكرة، ولذلك يمكن أن تحكي جيدا المصائب التي تقع.

- قالت لاماجا وهي تقلب اللبن على السخان :
- الأمر أن السعادة هي أمر يخص فردا واحدا، أما الكوارث فهي تخص الجميع.
- قال جريجوروفوس :

- إنه إستنتاج صحيح جدا وأريد أن قول لك إنني لست كثير الأسئلة؛ ففي تلك الليلة كنا مجتمعين فيها في النادي ... حسن. لدى رونالد فودكا تفك عقدة اللسان. فلا تصوري على أنى شيطان أعرج. كنت أريد فقط أن أفهم أصدقائي بشكل أفضل. أنت وأوراثيو ... عموما هناك شيء غير مفهوم، إنه نوع من الغموض المركزي. يقول رونالد بابس إنكما زوجان مثاليان؛ فأنتما تكملان بعضكما. وأنا لا أرى أنكما تكملان بعضكما إلى هذا الحد.

- وماذا يهم ؟
- ليس هذا هو المقصد، لكنك كنت تقولين لي إن أوراثيو قد رحل.
- قالت لاماجا :

- لاتوجد علاقة إنني لا أعرف التحدث عن السعادة، لكن ذلك لايعني أنني لم أكن سعيدة، وإذا ما أردت يمكن أن أقص عليك لماذا رحل أوراثيو. لماذا يمكن أن أكون أنا

24

الراحلة لولا وجود روكامادور - أشارت بغموض إلى الشنط والأوراق التي اختلطت ببعضها والأواني والأسطوانات التي تملأ الحجرة - يجب الحفاظ على كل هذا، ويجب البحث عن مكان يذهب المرء إليه ... لا أريد أن أبقى هنا. إنه لجو كئيب.

- يمكن لإيتين أن يحصل لك على حجرة جيدة الإضاءة. عندما يعود روكامادور إلى الريف، يمكن أن سعرها سبعة آلاف فرنك شهريا. وإذا لم يكن لديك مانع فإننى سوف أقيم فى هذه الحجرة، فهي تروق لى ولها جو خاص، وهنا يمكن للمرء أن يفكر ويقضى وقته بشكل جيد.

- قالت لاما جا :

- لاتظن ذلك فى حوالى السابعة تبدأ الفتاة التي تسكن فى الدور السابع فى الغناء Les amants du Havre «عاشقا هافر» إنها أغنية دقيقة، لكن مع تكرارها ...

لما كانت الأرض كروية

لاتقلق يا حبيبى

لاتقلق يا حبيبى

- قال جريجوروفىوس بنغمة غير مبالية :

- حسن .

- نعم. إنك تفلسف الأمور جيدا، وربما قال ذلك ليديسما. لا، أنت لم تعرفه. كان السابق على أوراثيو فى أورجواى.

- أهو الأسود ؟

- لا، الأسود كان اسمه إيرينيو.

- إذن؛ فإن قصة الأسود حقيقية ؟

نظرت إليه لاما جا باستغراب، حقا إن جريجوروفىوس غبى. وباستثناء أوراثيو (وأحيانا...) فإن كل الذين رغبوا فيها كانوا يتصرفون دائما كالبلهاء. أخذت تقلب اللبى وهي متجهة إلى السرير، وحاولت أن تجعل روكامادور يشرب ملعقة. صاح الطفل ورفض. كان اللبى يتساقط على رقبته «طوبى طوبى طوبى» كانت لاما جا تقول ذلك بصوت فيه نوع من نغمة التنويم محاولة أن تنجح فى وضع ملعقة اللبى فى فم روكامادور الذى احمر وجهه ولم يكن يريد شراب اللبى. لكنه يتنازل فجأة دون أن يعرف أحد ويبتلع اللبى الملعقة تلو الأخرى بعد أن انزلق بعض الشئ إلى أقصى السرير. بينما جريجوروفىوس يشعر بالرضا العميق وهو يحشو البابب ويشعر كأنه أب.

24

- قالت لاماجا وهي تضع الكسرولة إلى جوار السرير :
- تشين تشين ، وأخذت تلف روكامادور جيدا ، فقد أخذ النوم يداعب جفونه -
- لازالت حرارته مرتفعة حتى الآن إذ تبلغ تسع وثلاثين درجة ونصف.
- ألا تقيسين له الحرارة بالترمومتر ؟
- من الصعب أن أضع له الترمومتر، إذ يظل يبكي بعد ذلك عشرين دقيقة، وأوراثيو لا يمكنه تحمله، إنني أعرف ذلك من حرارة جبهته، لابد وأن حرارته تزيد على تسع وثلاثين درجة لا أفهم لماذا لا تنخفض الحرارة؟
- قال جريجوروففيوس :
- أخشى أن ما يحدث هو إجراء التجارب عليه أليس ذلك اللبن مضرا مع ارتفاع حرارة الطفل ؟
- قالت لاماجا وهي تشعل سيجارة جلواز :
- ليس كثيرا بالنسبة لطفل ربما كان من الأفضل إطفاء النور حتى ينام سريعا.
- مفتاح النور هناك إلى جوار الباب.
- كان يصدر عن المدفأة شعاع اكتسب قوة عندما جلسا وجها لوجه ودفنا بعض الوقت دون أن يتبادلا الحديث. كان جريجوروففيوس يرى سيجارة لاماجا وهي تلعو وتنخفض، فكان وجهها الهادئ ينعكس عليه الضوء لثانية فيتحول إلى جمرة. وتلمع عينها وهي ترمقه، ثم يعود كل شيء إلى الظلمة حيث أخذ أنين روكامادور وأهاته يخفتان شيئا فشيئا ثم أعقب ذلك زغطة تتكرر كل فترة. دقت الساعة الحادية عشرة.
- قالت لاماجا :
- لن يعود، وعموما فسوف يعود بحثا عن حاجياته، الأمر سواء، انتهى كل شيء كيوت Kaputte.
- قال جريجوروففيوس بحذر :
- أنساءل إن أوراثيو شديد الحساسية، ويجد صعوبة كبيرة في تحركاته في باريس. يعتقد أنه يفعل ما يريد، وأنه يشعر بحرية كبيرة هنا لكنه يتخبط في الحوائط والدليل على هذا ما يحدث له في الشارع، فقد راقبته فترة من الوقت من بعد.
- قالت لاماجا بشيء من اللطف :
- تَتَجَسَّسْ .
- لنقل الملاحظة.
- في الحقيقة، كنت أنت الذي تراقبني رغم أنني لم أكن معه.

24

- هذا ممكن، ففي تلك اللحظة لم يحظر ببالي التفكير في الأمر. إذ كنت شديد الاهتمام بسلوكيات من أعرفهم، وهذا أكثر تشويقاً من مشاكل لعب الشطرنج. فلقد اكتشفت أن وونج يمارس العادة السريّة، وأن بايس تمارس نوعاً من الصدقات الينسينية Jansenista فهي تدير رأسها للحائط وتمد يدها بكسرة خبز بها شيء في الداخل. لقد مرت على فترة ركزت جهدي فيها على دراسة والدتي. كان ذلك في الهرسك منذ فترة طويلة. أذجال Adgalle كانت تسحرني؛ إذ كانت تصمم على وضع باروكة شقراء، بينما أعرف أنا أن شعرها أسود. لم يكن أحد يعرف ذلك القلق، فلقد استقر بنا المقام هناك بعد وفاة الكونت روسلر Rosler. وعندما كنت أسأله (لم أكد أبلغ العاشرة آنذاك، كانت فترة مليئة بالسعادة) كانت أمي تضحك وتجعلني أقسم أنني لن أقول الحقيقة. لقد كنت أفقد صبري إزاء هذه الحقيقة التي تخفيها والتي كانت أكثر بساطة وجمالاً من الباروكة الشقراء. هذه الأخيرة ليست إلا عملاً فنياً، وكانت أمي تستطيع أن تمشط شعرها بتلقائية كاملة في حضور الخادمة دون أن نساورها الشك. لكن عندما تبقى وحدها كنت أود، لست أدري لماذا، الاختباء تحت الكنب أو خلف الستائر البنفسجية وقررت إحداث ثقب في جدار المكتبة الذي يؤدي إلى التسريحة الخاصة بأمي. وقمت بالعمل أثناء الليل عندما ظن الجميع أنني نائم. وهكذا تمكنت من رؤية أذجال وهي تخلع الباروكة الشقراء وتسدل شعرها الأسود الذي يجعلها تبدو مختلفة وجميلة للغاية، وبعد ذلك تخلع الباروكة الثانية وتظهر رأسها وكأنها كرة بلياردو، أو أي شيء مثير للتقزز حيث تقيأت في تلك الليلة معظم الجلّاش على المائدة.

- قالت لاماجا بتمعن :

- طفولتك تشبه بعض الشيء طفولة سجين زندا^(١) Zenda.

- قال جريجوروفس :

- كانت عالماً من الباروكات وأسأله ما الذي قد يفعله أوراثيو لو كان في مكان؟ في الحقيقة كنا سنتحدث عن أوراثيو. كنت تريد أن تقول لي شيئاً.

- قالت لاماجا وهي تنظر إلى سرير روكامادور :

- غريب أمر هذه الزنطة، هذه هي المرة الأولى التي تحدث له.

- ربما كان الهضم.

- لماذا يصير الجميع على أن أخذه إلى المستشفى؟ وقد قال لي الطبيب الذي له وجه

24

النملة هذا المساء؛ فلا أريد أن أخذه، فهذا لا يروق له. إننى أفعل له كل ما يجب.
جاءت بابس هذا الصباح وقالت إن الحالة ليست خطيرة. كما أن أوراثيو يعتقد أن
الحالة ليست خطيرة جدا.

- ألن يعود أوراثيو ؟

- لا، سوف يرحل للبحث عن أشياء.

- لاتبكى يا لوثيا.

- إننى أخرج المخاط. ها قد زالت عنه الزغطة.

- احكى لى يالووثيا فيما إذا كان يفعل ذلك بشكل جيد.

- لا أتذكر شيئا. الأمر لا يستحق. نعم إنى أتذكر. لماذا؟ ياله من اسم غريب :
أندجال.

- نعم، ومن يدري فيما إذا كان الاسم الحقيقى أم لا. لقد قالوا لى ...

- مثلما هو الحال مع الباروكة الشقراء اللون والباروكة السوداء - قالت لاما جا.

- مثل كل شئ - قال جريجوروفىوس - حقا، لقد ذهبت عنه الزغطة. وسوف يظل

ناثما حتى الصباح. متى تعرفتما على بعضكما أنت وأوراثيو ؟

(- 134)

25

كان من المستحسن أن يصمت جريجوروفويوس أو يتحدث فقط عن أدجال ويتركها تدخن في ظلمة الحجرة وهي بعيدة عن أبعادها وعن الأسطوانات والكتب التي يجب أن تحزمها حتى يستطيع أوراشيو أن يأخذها معه عندما يجد حجرة. لكن كان الأمر غير مُجد. فقد كان يصمت هنيهة. منتظرا أن تقول شيئاً، وينتهي به الأمر إلى توجيه الأسئلة. فالجميع كان لديهم شئ يسألونها عنه وكأنهم يتضايقون أن تغنى «أيها الوغد الصغير» أو أن تقوم برسم أشياء صغيرة مستخدمة أعواد الثقاب المستعملة أو تداعب القلط التي بها قذارة في شارع سوميرارد Sommerard أو إرضاعها لروكامادور.

- ترنمت لاماجا :

- إذن أيها الوغد الصغير الحياة لاتعنيننا في شئ.

- قال جريجوروفويوس وكأنه يتذكر :

- أنا أيضاً أعشق أحواض أسماك الزينة، لكنى فقدت أى اهتمام بها عندما بدأت أمارس العمل الخاص بالرجال. ففي دوبروفينك Dubrovnik عملت في بيت دعارة حيث ذهب بنى إلى هناك بحار دانمركى كان عشيق أُمى في تلك الآونة؛ أُمى التى فى أوديسا Odessa. فألى جوار السرير كان هناك حوض سمك جميل، كما أن السرير أيضا كان به شئ من الحوض بفرشة ذى اللون السماوى المتقادم بعض الشئ؛ وقد قامت العجوز الشقراء برفعه بعناية قبل أن تمسك بى وكأنها تمسك أرنباً من أذنيه. لايمكن للمرء أن يتصور الخوف، يالوثيا، أو الرعب من كل ذلك. لقد كنا ممددين على الظهر؛ الواحد إلى جوار الآخر. كانت تداعبنى بطريقة آلية، وبينما أشعر بالبرد تحدثنى هى عن أى شئ مثل الشجار الذى حدث للتو فى البار والأمطار الرعدية خلال شهر مارس ... كانت الأسماك تتنقل وتتنقل؛ كانت هناك سمكة سوداء ضخمة أكبر من باقى السمك. كانت السمكة تتنقل وتتنقل مثل يدها التى تداعب فخذى صعوداً وهبوطاً ... لم تكن ممارسة الحب عندئذ إلا ذلك. إنها سمكة تتنقل وتتنقل بهوس. إنها صورة مثل غيرها من الصور وهى حقيقة. إنه تكرار لانهائى لرغبة عارمة فى الفرار والخروج من الزجاج والدخول فى شئ آخر.

- قالت لاماجا :

- من يدري يببولى أن الأسماك لاتريد الخروج من الحوض؛ فهى لاتكاد تلمس الزجاج بأنفها.

25

فكر جريجوروفوس أن الفيلسوف تشيستوف^(١) Chestov تحدث فى موضع ما عن أحواض السمك ذات الحواجز المتحركة والتي يمكن رفعها فى لحظة معينة دون أن تجرؤ الأسماك التى تعودت على المساحة العبور إلى الجزء الآخر. إذ تصل إلى نقطة معينة فى مياة الحوض ثم تدور وتعود دون أن تعرف أن الحاجز قد زال وأنه يكفى مواصلة التقدم

- لكن الحب يمكن أيضا أن يكون ذلك .. قال جريجوروفوس - إنه لأمر جميل تأمل الأسماك فى الأحواض، وفجأة تخرج إلى الهواء الطلق وتطير كأنها الحمام، إنها أمل أحمق بالطبع. إننا جميعا نترجع بسبب الخوف من أن تصطدم أنوفنا بشئ غير طيب، وعن الأنف كحد للعالم يمكن أن يكون موضوعا للتسلية. هل تعرفين كيف يعلمون القبط ألا تحدث أى قذارة فى الحجرات؟ إنها عصا على الأنف، وهو أمر فظيع. أعتقد أن باسكال^(٢) Pascal كان أكثر خبرة فى عالم الأنوف أكثر مما يمكن أن نستنتج من تأملاته عن الأنف المصرية.

- قالت لاماجا :

- باسكال ؟ أى تأملات مصرية؟

تنهد جريجوروفوس. الجميع يتنهدون عندما تقوم بتوجيه أى سؤال. ومنهم أوراثيو، وإيتين بصفة خاصة. ذلك أنه لم يكن يتنهد فقط بل كان «يشخر» ويتأفف ويتهمها بالغباء، «إنه لأمر محزن جدا أن يكون المرء جاهلا» - فكرت لاماجا وهى نائمة. وكل مرة لاتروق أسلنتها لأحد ينتابها إحساس حزين، وكأن هناك كتلة بنفسجية تحيط بها للحظة، كان من الضروري أخذ نفس عميق، وتزول بذلك الكتلة البنفسجية وتبتعد كأنها الأسماك، وتتفتت أشلاء وكأنها طائرات ورقية فى الأراضى البور فى Pochitos بوئينوس، أو الصيف على الشواطئ وبعض البقع البنفسجية فى اتجاه الشمس، وهذه الأخيرة تسمى رُع وهى مصرية مثل باسكال. هاهى أصبحت لاهتم كثيرا بتنهدات جريجوروفوس، فبعد أوراثيو لم تعد تهمها تنهدات أى إنسان آخر عندما توجه سؤالاً له، وعلى أى الأحوال فإن البقعة البنفسجية تبقى هنيئة، وتنتابها الرغبة فى البكاء، ويستمر ذلك هنيئة مثل تلك التى تستغرقها فى نفث رماد السجارة من خلال تلك الممارسة التى تؤدى إلى اتساع السجاد على افتراض أنه موجود.

(- 141)

26

- قال جريجوروفوس :

باريس - فى جوهر الأمر - هى مجاز ضخم.

ضرب على الباب وضغط قليلا على التدبغ. أشعلت لاماجا سيجارة «جلواز» أخرى وأخذت تترنم. كانت مرهقة لدرجة أنها لم تغضب لعدم فهمها العبارة، ولما لم تسارع بتوجيه الأسئلة كعادتها قرر جريجوروفوس تفسير مايقول. كانت تسمع وهى بعيدة، وقد ساعدتها ظلمة المكان على ذلك وكذا السيجارة. كانت تسمع عبارات متفرقة، وذكر اسم أوراثيو أكثر من مرة وعن حيرته، ومايقوم به معظم أعضاء النادى فى السير على غير هدى، والأسباب الكامنة وراء الاعتقاد بأن كل ذلك يمكن أن يكون له مدلول معين. وخلال بضع لحظات ترسم إحدى عبارات جريجوروفوس فى الظلمة فتأخذ اللون الأخضر أو الأبيض، وأحيانا تكون على طريقة الرسام أتلان^(١)، وأحيانا أخرى على طريقة إستيبى^(٢) Estève. وبعد ذلك يكون هناك صوت يجمع شتات نفسه وينمو كأنه مانسيير Manessier أو ويفريدولام^(٣) Wifredo lam أو بيابيرت^(٤) Plaubert. أو إيتين أو ماكس إرنست Max Ernest. كان الأمر مسليا، إذ يقول جريجوروفوس : «... وكلهم ينظرون إلى الوجهة البابلية - لنقلها هكذا - وحينئذ» كانت لاماجا ترى أن الكلمات تفصح لنا عن المتألق ديرويل^(٥) Deyrolle أو ببسيير Bissière، لكن جريجوروفوس كان يتحدث الآن عن عدم جدوى الوجود التجريبي، وفجأة تصبح الكلمات فريدلاندر Friedländer أو الحساس فيلون^(٦) Villon الذى يكشف الظل ويجعله يهتز، إنه الوجود التجريبي، ويصبح اللون الأزرق كأنه دخان، ورود، تجريبية، ولون أصفر شاحب، وفراغ حيث ترتعش شرارات بها بياض.

- قالت لاماجا وهى تنفض السيجارة :

- ها قد نام روكامبور، على أيضا أن أناام بعض الوقت.

- لن يعود أوراثيو هذه الليلة على ما أظن.

- لست أدري. أوراثيو مثل القطط، وربما تجد المرأة جالسا هناك على الباب، وربما

ركب القطار المتجه إلى مارسيليا.

- قال جريجوروفوس :

- يمكن أن أبقي إذ يمكنك أن تنامي، بينما أقوم أنا برعاية روكامبور.

- لكن لا أشعر بنعاس. فطوال هذا الوقت أرى أشياء فى الهواء بينما أنت تتحدث.

لقد قلت «إن باريس هى مجاز ضخم»، وعندئذ كانت عندى مايشبه هذه الإشارات

26

لـسـجـاى Sugai، يخالطها الكثير من الأحمر والأسود.

- قال جريجوروفيس :

- كنت أفكر فى أوراثيو إنه مثير للغربة كيف أن أوراثيو أخذ يتغير خلال هذه الشهور التى تعرفت عليه خلالها، أتصور أن هذا لم يسترع انتباهك فانت شديد القرب ومسئولة عن هذا التغير.

- لماذا هى مجان ضخم ؟

- إنه متواجد هنا مثلما يبدأ آخرون فى أى حالة هروب؛ فإما الفودو Voodoo أو الماريشوانا، إما أن يكون بيير بوليز Pierre Boulez أو ماكينات الرسم لتينجلى Tinguely. إنه يخمن وجود مفتاح فى مكان ما فى باريس أو فى يوم من الأيام أو فى إحدى الوفيات أو أى لقاء، إنه يبحث عن المفتاح بجنون. خذى فى اعتبارك أنني أقول مثل المجنون، أى أنه فى الواقع لايعى بأنه يبحث عن المفتاح أو أنه - المفتاح - موجود. إنه يتصور هيئته وأقنعتة. ولذلك أتحدث عن المجاز.

- لماذا تقول بأن أوراثيو قد تغير ؟

- سؤال مهم يالوثي، عندما عرفت أوراثيو نظرت إليه على أنه مثقف هاو، أى مثقف غير مدقق. أنتم أيها السادة هكذا فى تلك النواحي. أليس كذلك؟ فى ماتو Matto وجروسو Grosso. تلك الأماكن.

- هذان المكانان يقعان فى البرازيل.

- إذن هما فى بارانا Paraná. بالذكاء واليقظة والألمام بكل شئ أكثر منا نحن. الأدب الإيطالى على سبيل المثال أو الإنجليزى. وكل العصر الذهبى الأسباني، وبالطبع فالمعرفة بالأدب الفرنسية أمر ظاهر للعيان. كان أوراثيو يمثل كل هذا كما يلاحظ عليه بشكل يزيد عن الحد. ومن مثار إعجابى أنه قد تغير لهذا الشكل فى فترة زمنية قصيرة. لقد تحول الآن إلى إنسان فظ، وهذا واضح بمجرد النظر إليه، حسن لم يتحول إلى الفظاظة، لكنه يفعل ما فى وسعه.

- دمدمت لـماجا :

- لانتقل ترهات .

- أفهمينى أريد القول إنه يبحث عن الضوء الأسود، عن المفتاح، وأخذ يدرك بأن أشياء مثل هذه لاتوجد فى المكتبات. وفى الحقيقة أنت التى علمته ذلك، وإذا مارحل فذلك لأنه لن يغفر لك هذا على الإطلاق.

- لن يرحل أوراثيو بسبب هذا.

26

- هناك أيضا مجاز، إنه لا يعرف لماذا يرحل، أما أنت فهي ذلك الذي يرحل بسببه ولا يمكن له معرفته إلا إذا قرر أن يثق بى.
- قالت لاماجا وهى تتزحلق من على الكرسي وتجلس على الأرض
- لا أعتقد ذلك، كما أنني لا أفهم شيئا، ولأتذكر بولا Pola، فلا أريد الحديث عن بولا.
- قال جريجوروفيفوس بلطف :
- واصلى النظر لكل ما يرسم فى الظلام يمكن أن نتحدث عن أشياء أخرى بالطبع، هل تعرفين أن الهنود الشيكرين، بفضل إلحاحهم فى طلب مقصّات من المبشرين، لديهم الآن تلك المجموعات وفيها يعتبر هؤلاء الناس بأنهم المجموعة الإنسانية الأكثر إنتاجا لها قياسا على تعدادهم؟ لقد قرأت ذلك فى مقال لألفريد مترو^(٨) Alfred Métraux الدنيا مليئة بأشياء غير عادية.
- لماذا باريس هى مجاز ضخمة؟
- قال جريجوروفيفوس :
- عندما كنت صبيا كانت مربيات الأطفال يمارسن الحب مع الفرسان المسلحين بالرماح والذين كانوا يقومون بأعمالهم فى منطقة بوزسوك Bozsok. ولما كنت أصايقهن عند قيامهن بتلك المهام، كن يتركننى أنور فى صالون ضخمة ملئ بالسجاد المفروش والمعلق على الحائط، والذي يمكن أن يكون صانع المتع التى لدى مالت لوريس بريج^(٩) Malte Laurids Brigge. وفى سجادة من كل هذا نجد مخططا لمدينة أوفر^(١٠) Ofir طبقا لما وصلت إلى الغرب من خلال الأسطورة.
- كنت أجلس على ركبتى وأنفع كرة صفراء بأنفى أو بيدي وأسير فى الخط المرسوم لنهر شان تن Shan-Ten وأعبّر الأسوار التى يحرسها الجنود السود المسلحون بالرماح، وبعد المرور بالعديد من المخاطر وباصطدام رأسى فى أرجل الترابيزة المصنوعة من خشب الماهوجنى الموضوعة فوق وسط السجادة، وكنت أصل إلى مقر إقامة ملكة سبأ وأبقى نائما كأنتى يريقة فوق منصة القدام الخاصة لتناول الطعام. نعم باريس هى مجاز ضخمة، ما الذى يمثله شكلها؟ أه، إنها الطفولة المفقودة، الاقتراب، الاقتراب! لقد أتيت إلى هذه الحجرة عشرين مرة، إلا أنى غير قادر على تذكر الرسم الذى على تلك السجادة
- قالت لاماجا :
- لقد تهالكت لدرجة أنه لم يبق فيها الكثير من الرسومات أعتقد أنها عبارة عن زوج من الطواويس يتبادل قبلة بالمنقار. أما الباقي فيميل إلى اللون الأخضر. صمت كلاهما وهما يستمعان لوقع أقدام تصعد السلم.

27

- قالت لاماجا :

- أو بولا أعرف عنها أكثر مما يعرف أوراثيو.

- دون أن تكونى قد رأيته على الإطلاق يالوثيا؟

- قالت لاماجا وقد نفذ صبرها :

- إننى رأيته كثيرا لقد جاء بها أوراثيو وهى فى الشعر، وفى المعطف الخفيف،

كان يرتعد منها. وكان يغتسل منها.

- قال جريجوروفوس :

- حدثنى كل من إيتين وونج عن تلك المرأة فقد رأياها ذات يوم فى ترأس أحد المقاهى فى سان كلود S. Cloud. النجوم وحدها تعرف ما الذى كان يفعله كل أولئك الناس فى سان كلود. لكن الأمر حدث هكذا. كان أوراثيو ينظر إليها كأنها جرثومة على ما يبدو. وبعد ذلك انتهز وونج ذلك الموقف ليضع نظرية غاية فى التعقيد عن الإشباع الجنسى، فطبقا له يمكن التقدم فى طريق المعرفة طالما تم الوصول فى لحظة معينة إلى مقابل معين من الحب (إنها كلماته، اعذرني، إنها المصطلحات الصينية) الذى تجسده الروح فجأة على مستوى آخر ويدخل فى إطار سيرىالى. هل تظنى ذلك يالوثيا؟

- أظن أننا نبحث عن شئ من هذا القبيل، لكن ما يحدث هو أننا نُخدع أو نُخدع. باريس هى حب عظيم بطريقة عمياء. فكلنا ولهون لكن هناك شيئا أخضر، هو نوع من الطحالب، لا أدري. كان نفس الشئ فى مونتفيديو. فلا يمكن للواحدة منا أن تعشق أحدا عشقا حقيقيا، إذ سرعان ماتقع أشياء غريبة مثل حكايات خاصة بالملاءات والشعر، وبالنسبة للمرأة هناك حكايات أكثر يا أوسيب مثل الإجهاض، عموما.

- الحب، الجنس. هل نتحدث عن نفس الشئ؟

- قالت لاماجا فإذا :

- نعم ماكننا نتحدث عن الحب نتحدث عن الجنس، لكن ليس كثيرا عن الموضوع معكوسا، لكن الجنس Sexualidad هو شئ مختلف عن الجنس فى نظرى.

- قال أوسيب بطريقة غير متوقعة :

- دعينا من النظريات هذه المفاهيم مثل تلك التوليفات وربما كان أوراثيو يبحث فى بولا عن شئ لم تعطه له على ما أظن. لننتحدث عن الأمر من منظور عملى.

27

- قالت لاماجا :
- إن أوراثيو يبحث دوماً عن العديد من الأمور إنه يشعر بالإرهاق مني؛ لأنني لا أعرف كيف أفكر، وذلك هو كل شيء. أتصور أن بولا تفكر طول الوقت.
- ذكر أوسيب :
- ياله من حب مسكين ذلك الذي يتغذى على الفكر .
- قالت لاماجا :
- لابد أن نكون منصفين، بولا هي امرأة جميلة، وأعرف ذلك من خلال العينين اللتين ينظر إليّ بهما أوراثيو عندما يعود إليّ بعد أن كان معها. كان يعود وكأنه عود ثقاب أشعل للتو وقد نما فيه اللهب لكنه لا يكاد يستمر ثانية، ومع ذلك فهو رائع! إنه نوع من الصبر ورائحة كبريت قوية، وهذا اللهب الضخم الذي يخبو بعد ذلك. كان يعود على تلك الحال ذلك أن بولا تملؤه بالجمال. كنت أقول له ذلك يا أوسيب وكان من العدل أن أقوله. كنا قد ابتعدنا عن بعضنا بعض الشيء رغم أننا كنا لازلنا متحابين. هذه الأمور لا تحدث فجأة. فقد كانت بولا تأتي وكأنها الشمس تطل من النافذة. على دائماً أن أفكر في أشياء بتلك الطريقة حتى أعرف أنني أقول الحقيقة. كانت تدخل حتى وقت قليل وتنتزع مني ظلي. أما أوراثيو فقد كان يحترق كأنه على ظهر سفينة، وكأنه يتحمر. كان سعيداً سعادة غامرة.
- لم أكن لأصدق. بدا لي أنك ... عموماً. أن بولا سوف تمضي مثلها مثل أخريات. وفي هذا المقام يجب أن نذكر فرانسواز على سبيل المثال.
- قالت لاماجا وهي تلقي برماد السجاجة على الأرض :
- لا أهمية لذلك فإذا ما تحدثت عنها فكأنني أتحدث عن أنماط مثل ليديسما على سبيل المثال. حقيقياً أنك لاتعرف شيئاً عن ذلك الأمر. كما أنك لاتعرف كيف انتهت القصة مع بولا.
- لا.
- قالت لاماجا :
- بولا سوف تموت وليس السبب هو دبابيس الإبرة، فقد كانت تلك أكلوية رغم أنني فعلتها. صدقني لقد فعلتها وأقولها بكل جدية. سوف تموت بسرطان الثدي.

27

- وأوراثيو...
- لاتكن قذرا يا أوسيب. فأوراثيو لم يكن يعرف شيئا عندما ترك بولا.
- من فضلك يالوثيا، أنا
- إنك تعرف جيدا ما تقوله وماتريده هنا هذه الليلة يا أوسيب. لاتكن سافلا. ولا تلمح بهذا.
- لكن ماذا من فضلك؟
- بأن أوراثيو كان يعرف ما بها قبل أن يتركها.
- كرر جريجوروفويس :
- من فضلك ولا حتى ...
- قالتها لاماجا برتابة :
- لاتكن قذرا ما الذى ستكسبه من وراء تلطيخ صورة أوراثيو؟ ألا تعرف أننا منفصلين ، وأنه دخل بينما المطر يتساقط ؟
- قال أوسيب وكأنه يتكبر على الكرسي :
- أنا لا أقصد شيئا أنا لست هكذا يا لوثيا. إنك طوال حياتك تسيئين فهمي. ربما على أن أركع على ركبتى مثلما فعلها قبطان الجرافين Graffin وأتوسل إليك أن تصدقيني وأن ...
- قالت لاماجا :
- اتركنى وشأنى بولا أولا وأنت ثانيا. إنها كل هذه البقع التى على الحوائط وهذه الليلة التى لاتنتهى. إنك قادر على أن تفكر بأننى أقتل بولا.
- هذا لم يخطر ببالي على الإطلاق.
- كفى، كفى. فأوراثيو لن يغفر لى ذلك على الإطلاق رغم أنه قد لا يكون عاشقا لبولا. إنه لأمر مضحك. إنها دمىة مكونة من لاشئ وعليها بقع شعبة أعياد الميلاد. إنها شمع أخضر جميل. أتذكر ذلك.
- يالوثيا، لا أستطيع تصور أنك ...
- لن يغفر لى ذلك أبدا رغم أننا لانتحدث عنه. هو يعرف بالأمر؛ فقد رأى الدمىة ورأى الدبابيس، ألقى بها على الأرض وداس عليها بقدمه. ولم يلاحظ أن ما فعل كان الأسوأ، وأن الخطر يزداد. بولا تعيش فى شارع دوفين Dauphin. وكان يذهب ليرأها كل مساء تقريبا. فهل قصت عليه حكاية الدمىة الخضراء يا أوسيب؟

27

- قال أوسيب بعدوانية وضيق :

- من المحتمل جدا، كلكم مجانين.

- إن أوراثيو كان يتحدث عن نظام جديد، وعن إمكانية العثور على حياة أخرى. إنه كان يشير إلى الموت عندما يتحدث عن الحياة. كان الشؤم وكنا نضحك كثيرا. قال لي إنه كان يضاجع بولا، وعندئذ فهمت أنه ليس من الضروري أن أغضب أو أتشاجر معه. يا أوسيب أنا لم أكن مفتاظة جدا في الحقيقة، إذ يمكن لي أنا أن أضاجعك الآن إذا ماراق لي ذلك. إنه لأمر من الصعب شرحه. فليس الأمر خيانة وأشياء من هذا القبيل. فكلمة خيانة عند أوراثيو وكذا كلمة خداع تجعلانه شديد الغضب. وعلى أن أعترف أنه منذ أن عرفنا بعضنا قال لي إنه لا يعتبر نفسه مجبرا. ولقد صنعت الدمية؛ لأن بولا دخلت حجرتي، وبذلك طف الصاع. وأجدها قادرة على سرقة ملابسى وارتداء شراياتى واستخدام أحمر الشفاه الخاص بى وإعداد الرضعة لروكامادور.

- لكنت قلبت إنك لاتعرفينها.

- كانت فى أوراثيو أيها الأحمق. أيها الأحمق أوسيب. مسكين يا أوسيب. يالك من أحمق فى معطفه، فى جلد الياقة. إنك رأيت أن معطف أوراثيو فيه جلد عند الياقة. كانت بولا هناك عندما كان يدخل، وكانت فى طريقة نظره للأشياء وعندما كان يخلع ملابسه هناك فى ذلك الركن ويستحم - وهو ثابت - فى هذا الطشت. أتراها يا أوسيب؟ عندئذ كانت بولا تخرج من جلده، وكنت أراها كأنها البلازما الظاهرية وأمسك نفسى عن الإجهاش بالبكاء وأنا أفكر أننى فى منزل بولا لن أكون هكذا. ولن تشك بولا أبدا أننى فى شعره أو فى عينيه أو فى شعر صدره. لست أدري لماذا. وعلى العموم فقد أحببنا بعضنا جيدا. لست أدري لماذا. ذلك أننى لا أعرف كيف أفكر وهو يحتقرنى، من أجل تلك الأشياء.

(- 28)

28

هناك من كان يصعد السلم.

- قال جريجوروففوس :

- ربما كان أوراثيو .

- قالت لاماجا :

- ربما لكن يبدو لي أنه الساعاتى الذى يسكن الدور السادس، فهو يعود متأخرا.

ألا يروق لك الاستماع إلى الموسيقى؟

- فى هذه الساعة؟ سوف يستيقظ الطفل.

- لا. فسوف نخفض صوت الأسطوانة، وليتنا نستمع إلى رباعية. ويمكن أن نجعل

الصوت منخفضا بحيث نسمع نحن فقط. سوف نرى.

- قال جريجوروففوس :

- لم يكن أوراثيو .

- قالت لاماجا وهى تشعل عود ثقاب :

- لا أدري .

وتلقى نظرة على بعض الأسطوانات المرصوفة فوق بعضها فى أحد الأركان.

- ربما جلس خارج المنزل فأحيانا يعجبه هذا، وأحيانا يصل إلى الباب ويغير رأيه.

قم بتشغيل جهاز الأسطوانات بالضغط على هذا الزر الأبيض الذى عند حافة المدفأة.

كانت هناك كرتونة وكأنها كرتونة أهدية. جلست لاماجا على ركبتها ووضعت

الأسطوانة على الجهاز وسط ظلمة الغرفة. أحدث الاحتكاك بكرتونة الأهدية بعض

الصوت. استقرت نغمة بعيدة فى الهواء وأصبحت فى متناول الأيدي. بدأ

جريجوروففوس يحشو الباب وهو لازال يشعر ببعض الأشياء. لا يروق له شوينبرج

Schoenberg لكن السبب كان شيئا آخر. الوقت المتأخر والطفل المريض ونوع من

التعدي. هو ذاك، التعدي. إنه أحمق. لكن تحدث له نوبات مثل هذه؛ حيث ينتقم نظام

ما من الوحدة التى كان فيها. كانت ملقاة على الأرض ورأسها تكاد تكون موضوعة فى

كرتونة الأهدية وبدأ أنها نائمة. من حين لآخر كان يسمع شخير روكامادور، لكن

جريجوروففوس استغرق فى الاستماع إلى الموسيقى، واكتشف أنه يمكن أن يتنازل

ويسير على رأى الطرف الآخر دون احتجاج ويفوض الآخر لفترة فى ابن فيينا الذى

مات ووري التراب كانت لا ماجا تدخن وهى ملقاة على الأرض. كان وجهها يرى بين

الفينة والأخرى وهى مغمضة العينين وشعرها على وجهها، وكان خداهما يلمعان وكأنها

تبكى. لكن ليس من الضرورة أن يكون بسبب البكاء. كان من البلافة تصور أنها

تبكى. وعلى الأصح كانت تزم شففتها بغيط عندما تسمع الضربات المكتومة فى سقف

28

- الحجرة. الضربة الثانية، ثم الثالثة. أصاب جريجوروففيوس الفرع، وكان على وشك الصراخ عندما أحسَّ بيد تمسك بعقبه.
- لا تقلق إنه العجوز الذي يسكن فى الدور العلوى.
- لكننا لانكاد نسمع شيئاً.
- قالت لاماجا بطريقة غامضة :
- إنها مواسير المجارى فكل شئ يوضع من هناك. وقد حدث لنا هذا مرات سابقة.
- قال جريجوروففيوس :
- إن السمع هو علم مثير للعجب .
- قالت لاماجا :
- سوف يصاب بالتعب إنه أحمق.
- ظلت الضربات تسمع واعتدت لاماجا وهى غاضبة وخفضت أكثر صوت جهاز الأسطوانات، مرت ثماني أو تسع نغمات، وقفة، ثم استؤنفت الضربات.
- قال جريجوروففيوس :
- مستحيل من المستحيل أن يسمع ذلك الرجل شيئاً.
- إنه يسمع أفضل منا. وهذا أسوأ مافى الأمر.
- هذا المنزل هو مثل أذن ديونيسيوس Dionisos.
- من؟ الذى لم يكن سعيداً بالمرة وبالتحديد فى الحركة الموسيقية. ويواصل ضرباته. سوف يستيقظ روكامادور.
- ربما كان من الأفضل...
- لا. لا أريد. وعليه أن يهدم السقف. وسوف أضع له أسطوانة لماريو موناكو^(١) Mario Monaco حتى يتعلم. لكن للأسف ليس عندى أى أسطوانة له. ياله من أحمق. وحيوان قذر.
- قالها بترنيمه عذبة :
- يالوثيا لقد تجاوزت الساعة منتصف الليل.
- زمجرت لاماجا :
- الوقت دائماً سوف أترك هذه الحجرة. فلأمكننى أن أخفض صوت الأسطوانة أكثر من هذا فلا نكاد نسمع شيئاً. انتظر سوف تقوم بتكرار الحركة الأخيرة. لائق بالا.
- توقف صوت الضربات وظلت الرباعية تعزف إلى النهاية دون أن يسمع الشخير الهادئ لروكامادور. تنهدت لاماجا ورأسها تكاد تكون فى داخل مكبر الصوت. عادت الضربات من جديد.
- قالت لاماجا :

28

- ياله من أحمق الأمر على هذا الحال دائما .
- لاتلحى يالوثيا .
- لاتكن غبيا . لقد ملكت منهم ، بودى لو طردتهم جميعا . ماذا لو أنى أريد الاستماع إلى شوينبرج ، فيما لو كان ليضع لحظات
- أخذت تبكى ثم رفعت اليك أب بيد واحدة مع آخر نغمة ، ولما كانت إلى جوار جويجوروفويس وهى تميل على مكبر الصوت لتوقف التشغيل ، كان من السهل على جريجوروفويس أن يمسك بخصرها ويجعلها تجلس على إحدى ركبتيه . وأخذ يمسح بيده على شعرها ويرفعه عن وجهها . كانت لاماجا تبكى بشكل متقطع وهى تكح وتدفع بزفيرها المحمل برائحة الدخان فى وجهه .
- أيتها المسكينة ، أيتها المسكينة - كان يكرر وكلماته ترافق مداعبات يده - لا أحد يجبها ، لا أحد . كلهم يتصرفون بسوء مع المسكينة لوثيا .
- قالت لاماجا وهى تبلع مخاطها بشكل نهم :
- ياغبى إنى أبكى لأنى أريد ذلك وحتى لا يواسينى أحد . يا إلهى أى ركبتين حادثين انفرستا فى كأنهما مقص .
- توسل جريجوروفويس :
- استمرى هكذا قليلا من الوقت .
- قالت لاماجا :
- لا أريد ولماذا يواصل هذا الأحمق ضرباته تلك ؟
- لاتعيريه اهتماما يالوثيا . مسكينة
- أقول لك إنه يواصل ضرباته . هذا لا يصدق .
- نصحبها جريجوروفويس بشكل غير لائق :
- اتركه يواصل ضرباته .
- قالت لاماجا وابتمت فى وجهه .
- أنت الذى كنت قلقا قبل ذلك .
- من فضلك آه لو تعرفينى ...
- قالت لاماجا فجأة بنغمة متفهمة :
- أوه . أعرف كل شئ . لكن كن هادئا . أوسيب إن ذلك الرجل لم يكن يضرب بسبب صوت الأسطوانة . يمكننا أن نضع أسطوانة أخرى إذا ماشئنا .
- ياللهول ، لا .
- لكن ألا تسمع ، إنه يواصل ضرباته ؟

28

- قال جريجوروفيفوس :
- سوف أصدق إليه وأصفعه على وجهه .
- استندت لاماجا ونهضت دفعة واحدة وأفسحت له الطريق :
- الآن وقل له إنه ليس من العدل أن يوقظ الناس في الواحدة صباحا . هيا . اصعد .
- إن باب منزله هو الأيسر ، ومعلق عليه حذاء .
- حذاء معلق على الباب ؟
- نعم ، العجوز مجنون تماما . هناك حذاء وجزء من أكورديون أخضر اللون . لماذا لاتصعد ؟
- قال جريجوروفيفوس بنبرة تعب :
- لا أعتقد أن الأمر يستحق كل شيء مختلف ، وغير مُجد . يالوثيا أنت لم تتركى أن
- عموما ، وعلى أى الأحوال فإن هذا الرجل يمكن أن يتوقف عن الضربات .
- نهبنا لاماجا إلى أحد الأركان وخلعت شيئا معلقا بدا من بعيد في الظلمة أنه منفضة من
- الريش ، ثم سمع جريجوروفيفوس ضربة مدوية في السقف . ساد الصمت في الدور العلوى .
- قالت لاماجا :
- والآن يمكن لنا أن نستمع لكل ما نريد .
- «أسأل نفسي» فكر جريجوروفيفوس ، وقد ازداد الإرهاق به .
- قالت لاماجا :
- لنستمع مثلا إلى سوناتا لبرامز^(٢) Brahms . ياله من شيء رائع . لقد تعب من الدق
- على السقف ، انتظر حتى أعثر على الأسطوانة . لابد وأنها هناك ، لا أرى شيئا . «إن
- أوراثيو هناك خارج الحجرة» - فكر جريجوروفيفوس ، «يجلس على بسطة السلم ويسند
- ظهره للباب ويسمع كل شيء . إنه مثل شخصيات التاروت Tarot ، ويجب أن ينصرف . إنه
- مثل متعدد الأسطح ؛ حيث إن كل فنان وكل وجه له معنى للوهلة الأولى وهو المعنى الزائف
- ثم يضم إليه المعنى غير المباشر وهو الإلهام . هكذا كان برامز وأنا والضربات على
- السقف وأوراثيو : هناك شيء يتجه ببطء في طريق فهمه . كل شيء غير مجد فيما عدا ذلك»
- وتسأل ما الذى قد يحدث إذا ما حاول من جديد معانقة لاماجا في ظلام الحجرة؟ «لكنه
- هناك يستمع وقد تكون لديه قوة التحمل على الاستماع وهو يستمع إلينا ، فهو منفرد
- أحيانا» . أضف إلى ماسبق أنه يخشاه ، وهذا ما يصعب عليه الاعتراف به .
- قالت لاماجا :
- لابد وأنها هذه الأسطوانة نعم فالتيكيت عليه جزء مفضض واثنين من العصافير
- .. من الذي يتحدث هناك في الخارج؟
- «إنه مجسم متعدد السطوح أو شيء يتبلور ويودا رويدا في الظلام» فكر

28

جريجوروفويس «سوف تقول هي الآن ذلك، وسوف يقع في الخارج الآخر وأنا ... لكني لا أعرف ماهو ذلك وماهو الآخر».

- قالت لاماجا :

- إنه أوراثيو .

- إنه أوراثيو ومعه امرأة.

- لا من المؤكد أنه العجوز الذي يسكن فوقنا.

- أهو الذي يعلق الحذاء على الباب ؟

- نعم، صوته يشبه صوت امرأة عجوز. إنه مثل صوت طائر العنق، ويضع فوق رأسه دائما طاقيّة من الأستراكان.

- نصح جريجوروفويس :

- يستحسن ألا تضعي الأسطوانة لنتنظر ونرى ما الذي يجري.

- قالت لاماجا وهي مغتظة :

- لن نتمكن إذن من الاستماع لأسطوانة برامز .

«إنها ثورة على القيم مثيرة للسخرية» فكر جريجوروفويس «إنهما على وشك الإمساك بتلابيب بعضهما على بسطة السلم ولاتفكر هي إلا في الاستماع للسوناتة»، لكن كانت لاماجا على حق، كانت دائما الوحيدة التي على حق «إنني أصدر أحكاما مسبقة أكثر مما كنت أفكر» قال جريجوروفويس لنفسه «يعتقد المرء أنه طالما يمارس حياة الأفرنجي effranchi ويقبل بالتطفل المادي والروحي لـ لوتيثيا Lutecia فقد أصبح إلى جانب المذهب السابق على الآدمية. يالئ من أحمق. لاضير».

قال جريجوروفويس متتهدا :

- أما الباقي فهو الصمت(٣)

- عقت لاماجا بصوت كان به نغمة أنفية :

- الصمت، باللعجب قالت لاماجا التي كانت تعرف الإنجليزية جيدا: سوف ترى أنهما سوف يبدآن من جديد. والعجوز سيكون هو البادئ بالحديث. هاهو - لكن ماذا فعلت سيادتلك من أمر مشين لنر بماذا يرد عليه أوراثيو. يبدو لي أنه يضحك بصوت منخفض، وعندما يبدأ في الضحك لا يجد الكلمات، إنه أمر لا يصدق. سوف أفتح لأرى ما يحدث.

- كنا في وضع جيد جدا.

- غغمغم جريجوروفويس وكأنه يرى ملاك الطرد وهو قادم جيرارد دافيد Gerard David، وفان در ويدن Van der Weiden، مايسسترو دي فليمال

28

Maestro de Flemalle في مثل هذه الساعة يلاحظ أن كل الملائكة، دون أن يدري السبب، فلانمكيون، وجوههم مكتنزة تعلوها البلاهة، لكنهم مشرقون وعليهم تطريز معين واستنكاريون بطريقة برجوازية. إن والدي طلبه، وعندئذ سيكون من الأفضل أن تذهبوا أيها الفسقة. أصبحت الحجرة مليئة بالملائكة لقد نظرت إلى السماء، فماذا رأيتم؟ ثلّة من الملائكة تتبعني. إنها النهاية المعتادة، هم الملائكة البوليس والملائكة المحصلين الملائكة، الملائكة، إنها العفونة ويالها من عفونة مثل تيار الهواء المثّلج الذي يدخل إليه من فتحتى البنطلون، وكذلك الأصوات التي تزرأ على بسطة السلم وبينية لاماجا على الباب.

- قال العجوز :

- ليس بهذا الشكل إن الحيلولة دون أن ينام الناس في هذه الساعة هو أمر غبي. سوف أقوم بإبلاغ الشرطة. ثم ماذا تفعل هناك، هل أنتم مختفون وراء الباب؟ كان يمكنني قطع لسانك الطويل. هذا شيء مشين إذن.

- اذهب لتنام أيها العجوز.

كان أوراثيو يقول ذلك وهو ملقى على الأرض بطريقة مريحة.
- وكيف أناام مع الفوضى التي تقوم بها زوجتك الطيبة؟ هذه وقاحة لكني أحذرك. هذا لن يمر دون عقاب. وسوف تعرف جيدا ما أقول.

- قال أوراثيو وهو يتثأب :

- وبالنسبة لأخي الشاعر فقد وصلتنا منه أخبار هل تمعنت جيدا في هذا النمط.

- قالت لاماجا :

-إنه أحقق لقد وضعت الأسطوانة، وجعلت الصوت منخفضا، ومع ذلك يدق على السقف، ثم أوقف الموسيقى ويظل يواصل ضرباته. ما الذي يريده إذن؟

- حسن، إنها حكاية الرجل الذي ترك فردة حذاء تسقط.

- قالت لاماجا :

- لأعرفها .

- قال أوليفيرا :

- هذا ماهو متصوّر وعموما فإن الطاعنين في السن يهتمونني الاحترام المختلط بمشاعر أخرى نحوهم. لكن بالنسبة لهذا الرجل فإنني على استعداد لأشتري له زجاجة فورمالين وأضعه فيها ليتركنا وشأننا.

28

- قال العجوز :

- وفضلا عن ذلك فهو يسبني بلغته التي لا أفهمها وهى لغة دخيلة وقذرة. نحن هنا فى فرنسا نستحق ما يحدث لنا لابد أن نطردكم. إنكم عار. وأنا أأسأل ما الذى تفعله الحكومة؟! العرب كلهم أوغاد وعصابات من القتل.

- قال أوليفيرا :

- عليك أن تختتمها بالأملح الأسطورية، أه لو تعرف عدد هؤلاء الحقييرين الذين يجمعون المال فى الأرجنتين ماذا كنتم تسمعون؟ لقد وصلت للتو وأنا مبتل بسبب المطر.
- إنها رباعية لشوينرج. وأنا الآن أريد الاستماع لسوناتا لبرامز، ولكن بصوت منخفض.
- من المستحسن أن نترك ذلك للغد.

قال أوليفيرا مسائرا وقد اتكأ على مرقفه ليشعل سيجارة جلواز Rentrez chez vous, monsieur, on vous emmerdera plus pour ce sa [عد إلى بيتك ياسيد وإلا ستعرض لمتابع لم تخطر لك على بال].

- قال العجوز :

- Des falneants [تسالى] كلهم قطة De tueurs, tous.

كانت الطاقية المصنوعة من الأستراكان ترى فى ضوء عود الثقاب. وكان يرتدى بيجامة سمكة وله عينان تنظران بغضب. كانت الطاقية تلقى بظلالها العملاق على السلم. كانت لاماها تشعر بالذهول. نهض أوليفيرا وأطفأ عود الثقاب بنفخة. ودخل الحجرة وأغلق الباب بخفة.

- قال أوليفيرا :

- أيها التافه لست أرى أى شئ.

- قال جريجوروفوس :

- أيها التافه الحمد لله الذى أرحته عن طريقك.

- لنقل إن العجوز على حق أضف إلى ذلك كبر سنه.

- قالت لاماها :

- كبر السن ليس سببا .

- ربما لا يكون السبب، لكنه وسيلة حماية.

- قال أوليفيرا :

- لقد قلت يوما إن الدراما التى تعيشها الأرجنتين هى أنها تدار بواسطة العجائز.

28

- لقد أسدل الستار على تلك الدراما ومنذ أن تولى بيرون أصبح الأمر معكوسا، ومن سيطر الآن هم الشباب، وربما كان هذا أسوأ من ذاك، فماذا يفعل المرء، والدوافع المتعلقة بالسن والجيل والألعاب والطبقة ماهي إلا أخطاء لاتحصى، وأعتقد أننا إذا ماكننا نهمس في أذان بعضنا بطريقة غير مريحة فمرجهه إلى أن روكامادور ينام بعمق كأنه من الأبرياء.

- نعم، لقد نام قبل أن نبدأ في الاستماع إلى الموسيقى. إنك مبتل للغاية يا أوراثيو.
- لقد ذهبت إلى حفل موسيقى.
- عزف البيانو - فسر أوليفيرا.
- قالت لاماجا :

- أه حسن، اخلع معطفاك وسوف أعد لك شراب الشاي الساخن.
- مع كوب من الخمر (Cafia) فقد بقي منها نصف زجاجة هناك.
- سأل جريجوروففيوس :

- ماهي الـ Cafia ؟ هل هي تلك الخمر التي يسمونها «دبوسا» ؟
- لا إنها تشبه أكثر الـ باراك barak وهو مشروب جيد بعد الحفلات الموسيقية وخاصة في الحفلات التي تقدم لأول مرة والأثار الناجمة التي لاتوصف. أه لو أضأنا إضاءة حقيقة لاتؤذي عيني روكامادور.

أضأت لاماجا أباجرة، ووضعتها على الأرض صانعة بذلك نوعا من رامبراندت⁽⁴⁾ Rembrandt حيث وجده أوليفيرا مناسباً. إنها عودة الأبن العالق. إنها صورة العودة رغم أنها قد تكون مؤقتة وعارضة، ورغم أنها قد لاتعرف جيدا لماذا عاد وأخذ يصعد شيئا فشيئا وألقى بنفسه أمام الباب ليسمع من بعيد نهاية الرعية ومايهمهم به أوسيب ولاماجا. «لا بد وأنهما مارسا الحب كثيرا» فكر وهو ينظر إليهما. لكن لا. من المستحيل أن يكون قد ساورهما الشك في عودته تلك الليلة. وهما يرتديان ملابسهما كما أن روكامادور في وسط السرير. فإذا ماكان بين كرسيين، وكان جريجوروففيوس بدون الحذاء ومشتمرا كم القميص أضف إلى ذلك، أي أهمية لهذا إذا ماكان الوجود الطاغى هناك هو نفسه ومعطفه مبلل، وأصبح رث المظهر.

- قال جريجوروففيوس :
- السمع، ياله من شيء جميل أن يمد الصوت من خلال المادة ويصعد الأنوار وينتقل من حائط إلى آخر ليصل إلى مقدمة السرير. إنه أمر لا يصدق. ألم تمارسا الغطس ذات مرة؟

28

- وقال أوليفيرا وهو يلقي بالمعطف فى أحد الأركان ويجلس على كرسى بدون مسند للظهر أو اليدين :

- لقد حدث لى ذات مرة .

- يمكن أن يسمع كل مايتحدث به الجيران فى الدور الأسفل؛ فالأصوات تنتقل من خلال المواسير على ما أعتقد، وذات مرة كنت فى جلاسجو Glasgova وعرفت أن الجيران من تروتسكا trozkistas.

- قالت لاماجا :

- صورة جلاسجو تشبه الجو الرديء، والميناء الملئ بالناس المحزونين.

- قال أوليفيرا :

- سينمائية أكثر من اللازم لكن هذا المشروب - الشاي - هو نوع من العفو، يعيد الأمور إلى نصابها بطريقة لاتصدق. ياللهول لقد دخلت مياه كثيرة فى الحذاء، انظر، إن كوبا من الشاي هو بمثابة نقطة فى نهاية الفقرة. وبعد تناوله يمكن البدء بفقرة جديدة.

سوف أجهل دوما هذه المتع القادمة من السهول الفسيحة - قال جريجوروفويوس، لكن جرى الحديث أيضا عن مشروب آخر على ما أعتقد.

- أمر أوليفيرا :

- هات الـ Caña أعتقد أنه لازال هناك أكثر من نصف زجاجة.

- سأل جريجوروفويوس :

هل تشترونه من هنا؟

«لماذا يسأل بصيغة الجمع؟» فكر أوليفيرا «من المؤكد أنهما تمرعا طوال الليل، وهذا مؤثر واضح، على أية حال».

- لا، إن أخى يرسل لى. لى أخ يعمل محاميا وهو رائع المستوى. يرسل لى بالمشروب ويؤنبئى. أتلقي كل شئ بغزارة.

أعطى لاماجا كوب الشاي بعد أن فرغ منه، وجلست هى القرفصاء إلى جوار قدميه وهى تحمل الـ Pava بين ركبتيها. أخذ يشعر بتحسن. شعر بأصابع لاماجا تلمس عقب إحدى رجليه وتلمس رباط الحذاء. تركها تخلع له الشراب وهو يتنهد، أخرجت لاماجا الشراب مبتلا ولغت رجله فى ورقة مزدوجة من Figaro litteraire ملحق الفيجارو الأدبى.

كان الشاي ساخنا جدا ومرا. أعجب جريجوروفويوس بشراب الكانيا Caña فلم يكن مثل الباراك لكنه شبيه به. كان هناك كتالوج تفصيلي بأنواع المشروبات المجرية

28

والتشبيكية، وبعض مشروبات الأيام الخوالى. كان يسمع صوت المطر، ولكن بشكل ضعيف. كان الجميع فى حالة جيدة وخاصة روكامادور الذى ظل أكثر من ساعة دون أن يصدر عنه أى صوت. كان جريجوروفويوس يتحدث عن ترانسيلفانيا ومغامرات كانت له فى سالونيك. تذكر أوليفيرا أن على تريبيزة الكومودينو هناك جواراً وشبشبا قماشياً. حاول واقترب من السرير. «ومن باريس فإن الإشارة لشئ قد يكون بعيداً عن فيينا يبدو كأنه محض خيال أدبى» كان يقول جريجوروفويوس بصوت فيه نغمة الاعتذار. وجد أوراثيو السجائر وفتح باب الكومودينو ليخرج الشبشب. وفى الظل كان يرى برقيول روكامادور بشكل غير واضح كان مستلقياً على ظهره. لمس جبهته بإصبعه دون أن يعرف السبب. «لم تكن أمتى تتحسس فى الإشارة إلى ترانسيلفانيا، فقد كانت تخشى أن ترد خواطر حكايات الوطايط وكان ذلك ... وكذا التوكاى، فأنت تعرف...» وعندما كان أوراثيو مستنداً على ركبتيه وهو إلى جوار السرير رأى بشكل أفضل «تصور ذلك من مونيفيديو» كانت لاماجا تقول. «يظن المرء أن الإنسانية واحدة، لكن عندما يعيش إلى جانب الثيرو... هل التوكاى عصفور؟». «حسن، بعض الشئ» إنه رد الفعل الطبيعى، فى تلك الحالات. لنرى : أولاً ... («مامعنى بعض الشئ؟ هل هو عصفور أو ليس بعصفور؟»). لكن لم يكن هناك إلا مداعبة الشفتين بأحد الأصابع، وعدم وجود إجابة. «لقد خولت لنفسى تصوّر شئ فيه القليل من الأصالة يالوثيا. ففى كل نوع جيد من النبيذ يرقد عصفور نائماً» إنه التنفس الصناعى، إنها حماقة. وهى حماقة أخرى جعلت يديه ترتعشان بذلك الشكل. لم يكن ينتقل حذاءه، وملابسه مبتلة (وكان من الضرورى أن يفرك بالكحول وربما بالعمل بقوة).

ذات مساء كانت روح النبيذ تغنى فى الزجاجات، قال أوسيب بإيقاعية: «أعتقد أنه من الخمریات ...» كان من الممكن لمس الصمت الحائق الذى عليه لاماجا وملاحظتها العقلية : أنكريونت، شاعريونانى لم يقرأه أحد أبداً، كلهم يعرفونه إلا أنا - ولن سيكون بيت الشعر هذا : *un sair l'âme du Vin* ؟ روح النبيذ ذات مساء ؟ انزلت يد أوراثيو بين الملاءات، تكلف الكثير من العناء فى لمس بطن روكامادور الصغيرة وفخذه الباردين وفى الناحية العليا من الجسم بدا أن هناك بعض الدفء لكن لا. لقد كان بارداً «وضع الرجل فى القالب» فكر أوراثيو «يجب الصراخ وإشعال النور وإحداث جلبة وصخب، لماذا؟» لكن، ربما كان، حتى الآن «عندئذ كان معنى ذلك أن هذا الحس الغريزى لايفيدنى فى شئ، هذا الذى أعرفه من تحت، فإذا ما صرخت فإننى

28

بذلك مع تربيّات، ومن جديد أعيش المحاولة البلهاء ثم أُنْدم. لابد من وضع القفاز، ويجب أن أفعل مايجب فعله في مثل هذه الحالات. آه، لا، كفى. لماذا يشعل النور والصراخ إذا كان كل ذلك غير مجدٍ؟ إننى أكون مثل الكوميديان الكامل، الكوميديان الديوث. وأقصى مايفعله المرء هو ...» «سمع صوت احتكاك كوب جريجوروففيوس بذجاجة الـ Caña «نعم إنه شديد الشبه بالباراك» وضع سيجارة جلواز بين شفتيه وقام بإشعال عود ثقاب وهو ينظر بقوة

- قالت لاماجا التى كانت تقوم بتغيير الأعشاب :

«سوف توقظه» نفخ أوراثيو عود الثقاب بغلظة، إنها عملية معروفة تلك التى تقول بأن حدقة العين عندما تتعرض لشعاع ... إلخ. «أصبح الأمر واضحاً». «إنه مثل الباراك، لكنه أقل منه رائحة».

كان جريجوروففيوس يقول.

- قالت لاماجا :

- ها قد عاد العجوز للطرق على السقف مرة أخرى .

- قال جريجوروففيوس :

- لابد أنها نافذة صغيرة .

- لاتوجد نوافذ صغيرة فى هذا المنزل. لقد جن جنونه وهذا مؤكد.

إنتعل أوليفيرا الشبشب وعاد إلى الكرسي. كان الشاي رائعا ساخنا ومُرّاً. سمعت طرقتين فى الدور العلوى ولكن دون قوة.

- خمن جريجوروففيوس :

- إنه يقتل الصراصير .

- لا، إن عينيه محمرتان ولا يريد أن يتركنا ننام. اصعد لتقول له شيئا يا أوراثيو.

- قال أوليفيرا :

- اصعدى أنت لست أدري لماذا، لكنه يخشاك أكثر منى. فمعك لايتحدث عن

كراهية الأجانب والتفرقة العنصرية وأنواع أخرى من التفرقة.

- إذا ماصعدت فسوف أتفوه بعبارات يقوم على إثرها باستدعاء البوليس.

- إنها تمطر كثيرا ادخلى إليه من المنظور الأخلاقى، عليك أن تتنى على ديكوات

باب منزله. وتحديثى عن مشاعرك كأم. هيا اعملى بما أقول.

- قالت لاماجا .

28

- لا أكاد أرغب فى الصعود .
- قال أوليفيرا بصوت منخفض :
- هيا أيتها الرقيقة .
- لكن لماذا تريد أن أصعد أنا ؟
- لأنى أرغب فى ذلك، وسوف ترين أنه سيتوقف عما يفعل.
- وقعت طرقتان ثم طرقة، نهضت لاماجا وخرجت من الحجرة، تابعتها أوراثيو، وعندما سمع أنها تصعد السلم أشعل النور ونظر إلى جريجوروفىوس، وبإصبع واحد أشار إلى السرير. وبعد دقيقة أطفأ النور بينما جريجوروفىوس يعود إلى كرسيه.
- قال أوسيب وهو يمسك بزجاجة الكانيا فى الظلام :
- إنه أمر لا يصدق .
- بالطبع، أمر لا يصدق ولانماص منه وكل ذلك، لاشئ من سجل الوفيات أيها العجوز، كان يكفي أن أترك هذه الغرفة ليوم واحد حتى تقع أحداث جسام، عموما فبعض الأشياء تكون بمثابة عزاء للآخرى.
- قال جريجوروفىوس :
- لا أفهم .
- إنك تفهمنى جيدا، وهو كذلك، وهو كذلك، لا يمكن أن تتصور مدى لامبالاى بذلك.
- أدرك جريجوروفىوس أن أوليفيرا يحدثه بدون تكلف، وأن ذلك قد غير الأمور كأن بالإمكان ... لقد قال شيئا عن الصليب الأحمر، وصيّدليات الخدمة الليلية.
- قال أوليفيرا :
- افعل ماتريد، فالأمر عندى سيان ماهو هذا اليوم ... ماذا، يا أختى؟
- أه، لو أمكنه الاستلقاء فى السرير ويظل نائما لمدة عامين «بجاجة» فكر. لقد سرت عوى اللاحركة إلى جريجوروفىوس فكان يشعل الباب ببطء، كان يسمع صوت كلام قادم من بعيد، إنه صوت لاماجا مختلطا بصوت المطر وصوت العجوز وهو يرد عليها بصوت مرتفع.
- وفى شقة أخرى سمع صوت باب يفتح حيث خرج البعض يحتجون على الجلبة.
- قال جريجوروفىوس :
- فى جوهر الأمر عندك حق لكن هناك مسئولية قانونية على ما أعتقد.
- قال أوليفيرا :
- نحن ضالعون فى الأمر حتى أذانتنا وخاصة كليهما، فأننا يمكننا أن أبرهن على أننى

28

- وصلت فى وقت متأخر، إنها حالة أم تترك الطفل يموت بينما تقوم برعاية عاشق على السجادة.
- إذا ماكنت تريد إلهامى...
 - هذا ليستله أهمية على الإطلاق.
 - لكن مايقوله كذب يا أوراثيرو.
 - يستوى الأمر عندى. فالمضاجعة هى واقعة هامشية، أنا ليست لى علاقة بكل ذلك، فلقد صعدت لأننى كنت مبتلا وكنت أريد تناول الشاي. اصمت هناك أحد قادم.
 - قد يكون من المناسب الاتصال بإدارة المساعدة العامة. - قال جريجوروفويوس.
 - حسن، إتصل، ألا يبدو أن هذا هو صوت رونالد ؟
 - قال جريجوروفويوس وهو ينهض :
 - لن أمكث هنا لأبذل من عمل شئ، أقول لك لأبذل من عمل شئ.
 - لكن أنا أيضا على قناعة تامة، تش× الفعل، دائما هو الفعل Die Tätigkeit أيها العجوز. كان عددا قليلا وولدت الجدة، تحدثا بصوت منخفض فسوف توقظان الطفل.
 - التحية :
 - قال رونالد.
 - قالت بابس وهى تفعل مافى وسعها لإدخال المظلة الواقية من المطر :
 - أهلا.
 - قالت لاماجا التى جاءت من خلفها :
 - تكلمنا بصوت منخفض لماذا لاتغلقى المظلة حتى تتمكنى من الدخول ؟
 - قالت بابس :
 - عندك حق يحدث لى هذا فى كل مكان. لاتحدث جلبية يارونالد. لقد أتينا فقط لنمكث بضع لحظات ولنقص عليكم ماحدث لجوى. إنه أمر لا يصدق هل احترقت الفيوزات عنده ؟
 - لا، إنه من أجل روكامادور.
 - قال رونالد :
 - تحدثنى بصوت منخفض، وضعى هذه المظلة القذرة فى أحد الأركان.
 - قالت بابس :
 - من الصعب جدا إغلاقها مع أنها سهلة الفتح.
 - قالت لاماجا وهى تغلق الباب :
 - لقد هددنى العجوز باستدعاء البوليس كاد يضربنى كان يصرخ فى كالمجنون، يا

28

أوسيب على سيادتك أن ترى ماعنده في الحجرة، إذ يمكن أن يرى بعض ما فيها من علم السلم. هناك ترابيزة محملة بالزجاجات الفارغة وفي الوسط هناك طاحونة هواء ضخمة تكاد تكون بالحجم الطبيعي مثل تلك الطواحين الموجودة في ريف أوروغواي. كانت الطاحونة تدور بفعل تيار الهواء، وأنا ظللت ألتصص عليه من نافذة الباب. كان لعاب العجوز ينزل من فمه غيظا.

- قالت بابس :

- لا أستطيع أن أغلق المظلة وسوف أتركها في ذلك الركن.

- قالت لاماجا :

- إنه يبدو كأنه خفاش، أعطها لى وسوف أغلقها. أترين كيف أن الأمر سهلا ؟

- قالت بابس لرونالد :

- لقد انكسر فيها سلكان .

- قالت رونالد :

- لاتصايقى نفسك كما أننا سوف نذهب على الفور. كنا نريد فقط أن نقول لهم إن جوى قد تناول عليه من الجاردينال gardenal.

- قال أوليفيرا الذى لم يكن يشعر نحوه بأى استلطاف.

- ياله من ملاك مسكين .

- قد وجده إيتين على وشك الموت. أما بابس وأنا فقد ذهبنا إلى Vernissage (هل على أن أحدثك عن ذلك، إنه رائع) أما جوى فقد صعد إلى البيت وتجرع السم وهو فى السرير. أخذت بالك.

- قال أوليفيرا :

- إنها ليست طريقة مهذبة هذا شئ يؤسف له.

- قالت بابس :

- لقد ذهب إيتين إلى المنزل بحثا عنا، ولحسن الحظ فإن كل أصدقائنا معهم المفتاح ، وسمع أن هناك من يتقيأ، داخل المنزل كان جوى هناك. كان يموت. فما كان من إيتين إلا أن خرج مسرعا للبحث عن نجدة. لقد ذهبوا به إلى المستشفى؛ إن حالته خطيرة.

- أضافت بابس وهى تشعر بهول الموقف :

ومع هذا المطر .

- قالت لاماجا :

28

- إجلسا هناك لا يارونالد، إذ تنقصه إحدى الأرجل، الحجرة مظلمة لكن ذلك من أجل روكامادور. تحدثوا بصوت منخفض.
- قال أوليفيرا :
- يجب إعداد بعض القهوة لهما ياله من طقس، تش.
- قال جريجوروفويس :
- على أن أذهب لست أدرى أين وضعت المعطف الواقى من المطر. لا، هناك لا يالوثيا...
- قالت لاماجا :
- إبق لتناول القهوة، وعموما فليس هناك مترو فى هذه الساعة. كما أننا على أحسن حال هنا. يمكنك أن تطحن بناً طازجا يا أوراثيو.
- قالت بابس :
- هناك رائحة مكان مغلق .
- قال رونالد غاضبا :
- إنها تحب شارع نُوْمَا أذنون Ozono إنها مثل الحصان، لاتعشق إلا الأشياء النقية التى لا يخالطها أى شئ آخر. مثل الألوان الأولية. والسلم الموسيقى. ليست من البشر، صديقى.
- قال أوليفيرا وهو يحاول البحث عن مطحنة البن :
- الإنسانية هى مثال كما أن الهواء له أيضا تاريخه، تش. فالانتقال من الشارع الجليل بالمياه وبه هذا الأوزون الضخم، كما تقولون أنتم، إلى طقس حيث تولى خمسون قرنا تجهيز الحرارة والجودة بابس هى نوع من Rip van Winkle فيما يتعلق بالتنفس.
- قالت بابسى بسرور :
- أوه ريب فان وينكل كانت جدتى تحكيه.
- قال رونالد :
- فى إيداهو Idaho، إننا نعرف ذلك حسن. حسن، مايحدث هو أن إيتين اتصل بنا منذ نصف ساعة فى البار الكائن على الناصية ليقول لنا إنه ربما كان من الأفضل أن تقضى الليلة خارج المنزل أو حتى نعرف فيما إذا كان جوى سوف يتقيا الجاردينال. وقد يكون من غير المناسب أبدا أن يصعد الـ flics ويجدوننا هنا، إنهم أصدقاء كثيرون إضافة إلى ذلك مايعلق بأعضاء النادى، فهم فى حالة يرثى لها فى الفترة الأخيرة.

28

- قالت لاماجا وهى تجفف الفناجين بفوطة :

- وما العيب فى النادى؟

- لاشئ. لكن لنفس ذلك السبب يشعر المرء أنه أعزل. فقد شكّا الجيران كثيرا من الضوضاء ومن الأسطوانات الموسيقية، وأننا ندخل ونخرج طوال الوقت.... إضافة إلى ذلك فإن بابس تشاجرت مع البوابة ومع كل السيدات اللاتي فى العقار فأعمارهن تتراوح بين الخمسين والستين.

- قالت بابس، وهى تمضغ حبة كرملة أخرجتها من شنطة يدها :

- إنهم شديدي الإزعاج تفوح منهن رائحة الماريجوانا رغم أن الواحدة منهن تقوم بإعداد الجلاش. تعب أوليفيرا من طحن البن وأعطى المطحنة لرونالد. أخذت لاماجا وبابس تتحدثان بصوت منخفض وتتناقشان حول الأسباب التى من أجلها أقدم جوى على الانتحار. وبعد البحث الكثير فى المعطف الواقع من المطر استلقى جريجوروفىوس على الكرسي. كان شديد السكون. كان البابب فى فمه وهو مطفأ. يسمع صوت المطر على النافذة. «شوينبرج برامز» فكر أوليفيرا وهو يأخذ سيجارة جلواز «لاحرج، ففى مثل هذه الظروف عادة مايسطع شوبان أو مقطوعة توديسموزيك من أجل سيجفريو Todesmusid Para Sigfrido. أدت العاصفة التى وقعت أمس فى اليابان إلى مقتل مابين ألفين إلى ثلاثة آلاف شخص. الحديث هنا من الناحية الإحصائية...» لكن الإحصائية لم تحل دون مواصلة استمتاعه بالسيجارة. تمنعها جيدا وأشعل عود ثقاب آخر. كانت سيجارة جلواز مصنوعة بدقة بيضاء ناصع لونها وعليها حروف رفيعة وتبغها الجاف كأنه شعر عريّف يحاول الهرب من الطرف الرطب «دائما أبلل السجائر عندما أكون فى حالة عصبية» فكر «عندما أفكر فى موضوع روزيه بوب ... نعم كان يوما شديد الإزعاج، وماينتظرننا». إن أفضل طريقة كانت تتمثل فى إبلاغ الأمر لرونالد حتى يقوم هذا بدوره بإبلاغ بابس باستخدام واحد من أنظمة اتصالاته التى تشبه التراسل من خلال الأحاسيس والتى كانت تثير استغراب بيريكو روميرو. إنها نظرية الاتصال، واحدة من تلك الموضوعات المثيرة التى اصطادها لنا الأدب على حسابه حتى ظهر لنا أنصار هاكسيلي Huxley أو أنصار بورخيس Borges فى الجيل الجديد. رونالد ينضم الآن إلى حديث الهمس الدائر بين لاماجا ولازال يدير الطاخونة ولكن ببطء. والقهوة بذلك لن يتم إعدادها إلا بعد اللفة الخمسائة وألف. ترك أوليفيرا نفسه ينزلق من على الكرسي المزعج طران الفن الجديد وجلس على الأرض بشكل أفضل واتكأ برأسه على

28

رصّة من الصحف اليومية. فى سقف الحجرة هناك وميض فوسفورى لادب وأنها من وحى الخيال أكثر من أى شئٍ آخر. أغمض عينيه لكن الوميض الفوسفورى استمر لحظة، قبل أن تبدأ حلقات بنفسجية اللون فى الانفجار الواحدة تلو الأخرى، بوف، بوف، بوف، كان من البديهي أن كل واحدة منها تنسب إلى انقباض القلب أو انبساطه. وفى أحد الأماكن فى هذا المنزل يرن جرس التليفون. فى مثل تلك الساعة وفى باريس، هذا أمر غير عادى. «ميت آخر» فكر أوليفيرا «لا يمكن الاتصال فى هذه المدينة التى تحترم النوم إلا لهذا السبب» تذكر المرة التى قام فيها صديق أرجنتىنى حديث الوصول إلى باريس بالاتصال به فى العاشرة والنصف مساءً. ومأحدث بعد ذلك هو كيفية البحث فى الدليل والعثور على أى تليفون فى نفس العقار والاتصال به فوراً. هاهو الرجل الطبيب الذى يسكن فى الدور الخامس يرتدى «روب دى شامبر» ويطرق الباب ويقول له بأن هناك من يتصل بك تليفونيا. ارتدى أوليفيرا بلوفر على عجل وصعد إلى الدور الخامس ووجد سيدة يلوح على قسماتها الغيظ، وعرفت أن البيب إيرميذا فى باريس ومتى سلتقى تشى. أحمل لك أخبارا عن كل الناس ترافلر وشباب الـ بيدو Bidú ... إلخ. تحاول السيدة أن تخفى غيظها فى انتظار أن يبكى أوليفيرا لموت إنسان عزيز عليه جداً. لكن أوليفيرا لم يكن يدرى ماذا يفعل، فى الحقيقة ياسيدتى وباسيدى إننى أشعر باختلاط الأمر على، إنه صديق أت من بعيد، وحضراتكما تدركان أنه ليس مدركا للعوادات هنا أو الأرجنتين، المواعيد الكريمة والمنزل المفتوح والوقت الذى لا يساوى شيئاً والمستقبل أمامنا كل شئٍ بوف، بوف، لكن وسط كل ذلك الذى كان هناك على بعد أمتار ثلاثة قد لا يكون هناك شئٍ. ولم يكن هناك بوف، بوف، لقد تم القضاء على نظرية الاتصال بالكامل. لاماما ولا بابا ولا باب ولا بيبي ولا بوف بوف لاشئٍ اللهم إلا بشاعة الموت ويحيط به أناس ليسوا بـ Salteños. ومكسيكيين لمواصلة الاستماع للموسيقى. والسهر طوال الليل والخروج مثلهم من خلال أحد أطراف اللقّة، وهم أناس ليسوا بدائيين للغاية جاوزوا هذه الفضيحة إما بقبولها أو الاتفاق معها، كما أنهم لم يحققوا ذاتهم بما فيه الكفاية حتى يرفضوا كل فضيحة والانخراط ولو مرة واحدة بالصدفة على سبيل المثال فى الثلاثة آلاف الذين قضى عليهم إعصار فيرونكا «لكن كل ذلك ليس إلا أنثروبولوجيا رخيصة». فكر أوليفيرا وهو واع لشيءٍ وكأنه يرد بداخل معدته ويجعلها تتلوى. وفى النهاية السمة التشريحية «تلك هى الاتصالات الحقيقية، إنها البلاغات التى تأتى من تحت الجلد. ولا يوجد قاموس لتلك الاتصالات

28

تشى» من الذى أطفأ لمبة رامبراندت Renbrandt. لايتذكر، ومنذ هنيهة مضت كان هناك تراب ذهبي على مستوى الأرضية. ومهما حاول تذكر ماحدث منذ أن وصلت بابس مع رونالد، لايمكن عمل شئ، وفى لحظة معينة قامت لاماجا (لماذا أنا متأكد أنها كانت لاماجا) أو ربما جريجوروفينوس بإطفاء الأباجرة.

- كيف ستقومين بإعداد القهوة فى الظلام؟

- قالت لاماجا وهى تقلب بعض الفناجين :

- لا أدري، كان هناك بصيص من الضوء قبل ذلك.

- قال أوليفيرا :

- أشعل الضوء يا رونالد؛ إنه هناك تحت الكرسي الذى تجلس عليه، وعليك أن تدبر الأباجرة، إنه النظام الكلاسيكى.

- قال رونالد :

- كل ذلك أحمق.

نون أن يتمكن أحد من معرفة ما إذا كان يقصد طريقة إضاءة اللمبة. قضى الضوء على الكرات البنفسجية وزاد استحسان أوليفيرا لطعم السيجارة. أصبح الآن فى حالة جيدة للغاية؛ فالحرارة مرتفعة، سوف يتناولون القهوة.

- قال أوليفيرا لرونالد :

- تعال إلى هنا سوف تكون فى وضع أفضل مما كنت على ذلك الكرسي؛ إذ إن به شيئاً بارزاً فى الوسط يدخل فى الآلية. ويمكن لرونج أن يضمه إلى مقتنياته من بكن. أنا واثق من ذلك.

- قال رونالد :

- أنا على أفضل حال هنا رغم أن ذلك قد يفسر بشكل سيئ - لست فى وضع مريح. تعال، ولنر فيما إذا كانت تلك القهوة سيتم إعدادها أم لا أيتها السيدات.

- قالت بابس :

- قالت لاماجا نون أن تنظر إليه :

- إن سعادتك تقوم بدور الذكورة هذه الليلة هل هو دائماً معك هكذا؟

تقريباً ساعدينى على تجفيف هذه الصينية.

انتظر أوليفيرا أن تقوم بابس بالحديث عن مهمة إعداد القهوة، وعندما نهض رونالد من على الكرسي وجلس بالقرب منه جلسة التذرى قال له بضع كلمات فى أذنه. وعندما

28

سمعتها جريجوروفوس تدخل فى الحديث عن القهوة وكان ردّ رونالد هو الإطراء على بن موكا والتدهور فى طريقة إعدادة، وبعد ذلك عاد رونالد للجلوس على كرسى فى الوقت المناسب لتناول القهوة فى الفنجان الذى قدمته له لاماجا. عادت الضربات من جديد فوق السقف، ضربتين، ثلاث. انفلج جريجوروفوس وشرب مافى الفنجان جرعة واحدة، كان أوليفيرا يمسك جماع نفسه حتى لايقهقه. ربما كانت القهقهة قد ساعدته على تخفيف الألم فى معدته. كانت لاماجا تشعر بالمفاجأة، فهى فى الظل تراقبهم جميعا الواحد تلو الآخر، وبعد ذلك بحثت عن سيجارة على الترابيزة فى محاولة منها الخروج من موقف لاتفهمه، إنه نوع من الحلم.

- قالت بابس بإيقاع بلافاتسكى Blavatsky :

- أسمع دفع خطوات لابد وأن هذا العجوز مجنون. لابد من أن نأخذ حذرنا، فى كانساس سيتى Kansas city حدث ذات مرة... لا إنه واحد يصعد السلم.

- قالت لاماجا :

- السلم أخذ يرتسم فى الأذن أتألم كثيرا لموقف الصم، أشعر الآن وكأن يدي على السلم أمدّ بها على الدرج الواحدة تلو الأخرى. وعندما كنت صغيرة حصلت على عشر درجات من عشرة فى مؤلف؛ إذ كتبت حكاية جلبة صغيرة. كانت جلبة طريفة تروح وتغدو وتحدث لها أشياء ...

- قالت بابس :

- أنا، على العكس ... أوكى أوكى. ليس من الضرورى أن تقرصنى.

- قال رونالد :

- ياروحى اصمتى بعض الشئ حتى نتمكن من معرفة من الذى يصعد. نعم إنه ملك الألوان، هو إيتين. إنه الحيوان الأكبر فى قصة نهاية العالم.

«لقد تلقى الأمر بهوء» فكر أوليفيرا «كان موعد ملعقة النواء فى الثانية على مايبدو، ولدينا أكثر من ساعة لنكون فى وضع هادئ» لم يكن يفهم أو يريد فهم السبب فى هذا التأخير، وهذا الرفض لشئ معروف، رفض، سلبى... «نعم إن هذا يماثل النيجاتيف اللواقع لما - يجب - أن - يكون ... أى لكن لاتتحدث عن الميتافيزيقا يا أوراثيو، أه يايوريك المسكين، كفى لايمكننى تفاديه، بيولى أن الوضع أفضل هكذا، وعلى ذلك فإذا أضأنا النور وأدعنا الخير وكنائه حمامة. إنه النيجاتيف. الضد تماما... الاحتمال الأغلب أنه لازلنا حياً، وأننا جميعا أموات. فكرة أكثر تواضعا : لقد قتلنا لأننا مسؤولون عن موته، أى أننا محرضون على شئ

28

معين... أه يا عزيزي إلى أين أنت ذاهب؟ إنك مثل الحمار وعلاقته بالجزرة المعلقة بين عينيه.
وكان إيتين ليس إلا. كان الحيوان الضخم الملوّن.

- قال إيتين :

- لقد تم إنقاذه إنه ابن القحبة، له أرواح أكثر من قيصر بوريجا César Boriga.
أما ذلك، لاتدرون ماهو معنى التقويء

- قالت بابس :

- اشرح، فسّر .

- غسيل المعدة، وحقنة شرجية مكونة من أشياء لا أدري ماهي، وحقن في أماكن كثيرة، وسرير مهيباً لتكون رأسه مائلة إلى أسفل. تقيأ كل ما أكله في مطعم أوريسستياس Orestias؛ فقد تناول الغداء فيه على ما يبدو. إنه لفظيح، كان في القى بقايا محشى ورق عنب. هل لاحظتم أنني مبتل لهذه الدرجة ؟

- قال رونالد :

- توجد قهوة ساخنة ومشروب اسمه كانيا وهو مشروب قدر. صدرت عن إيتين بوف وألقى بالمعطف الواقى من المطر في أحد الأركان واقترب من المدفأة.

- كيف حال الطفل يالوثيا ؟

- إنه نائم، لمدة طويلة لحسن الحظ.

- قالت بابس :

- ليكن صوتنا منخفضاً.

- شرح إيتين بصوت فيه نبرة تعاطف :

- لقد استعاد وعيه في حوالى الحادية عشرة كان في حالة يرثى لها. لقد تركنى الطبيب لآكون إلى جوار السرير وتعرف جوى على «إنك صنف من الحمقى» قلت له «أذهب إلى الجحيم» رد على. فهمس الطبيب في أذنى قائلا بأن تلك بادرة طيبة. كان فى الصالة مرضى آخرون، وقد قضيت وقتاً طيباً رغم أن المستشفيات بالنسبة لى

- سألت بابس :

- هل عدت إلى المنزل هل كان عليك الذهاب إلى قسم البوليس ؟

- لا. لقد تم حل كل شئ. على أى الأحوال كان من المناسب أن تظلوا حضراتكم هنا هذه الليلة، فإنك لو رأيت وجه البوابة عندما أنزلوا جوى ...

- قالت بابس :

28

- ابن الداعرة.

- لقد تصنعت المهابة وعندما مررت إلى جوارها رفعت يدي وقلت لها «يامدام، الموت له احترامه دائما، فهذا الشاب قد انتحر؛ لأنه تعرض لآلام عشق كريزلر Kreisler» تجمدت في مكانها - صدقوني، كانت تنظر إليّ وقد تحجرت عيناها كأنهما بيضتان مسلوقتان، وعندما مرت الثقالة بالباب اعتدل جويّ وقد اتكأ بخذه على يده الشاحبة وكأني جالس في التواييت الخاصة بحضارة ما قبل الرومان، ويتقيأ أمام البوابة، كان لون القى أخضر وقد سقط فوق ممسحة الأرجل. كان العمال الذين يحملون الثقالة يتلوون من كثرة الضحك، كان شيئا لا يصدق.

- طلب رونالد :

- أريد المزيد من القهوة، اجلس سيادتك هنا على الأرض؛ فهي الجزء الأكثر دفئا في المكان، قهوة جيدة لإيتين المسكين.

- قال إيتين :

- لست أرى شيئا، ولماذا عليّ أن أجلس على الأرض؟

- قال رونالد:

- لتراقبنا أنا وأوراثيو؛ إذ تقوم بتكوين حلقة حراسة .

- قال أوليفيرا :

- لاتكن أحمق .

خذ بكلامى، واجلس هنا وسوف تعرف أمورا لا يعلم بها حتى وونج، الكتب البراقة ودرجات كهانة، وخلال هذا الصباح كنت أتسلى بقراءة البارود Bardo، إن أهالي التبت هم مخلوقات غير عادية.

- سأل إيتين وهو يحشر نفسه بين أوليفيرا ورونالد وقد تجرّع محتوى الفنجان دفعة واحدة - الشراب :

- من جعلك مبتدئا؟ قال إيتين بعد أن شرب جرعة - هو منتج أرجنتيني على ما أظن.

ياها من بلاد، يا إلهي.

- قال أوليفيرا :

- لاتتحدث بسوء عن وطني تشبه ذلك العجوز الذى يسكن فوقنا.

- شرح رونالد :

- لقد أخضعني وونج لعدة تجارب ؛ حيثيقول إن لدى قرا كافيا من الذكاء، لأبداً في تدميرهِ بشكل إيجابي، واتفقنا على أن أقوم بقراءة البارود بعناية ثم ننتقل إلى المراحل الأساسية في

28

البوذية. هل هناك جسد غير مرئى يا أوراثيو. يبدو أن المرء عندما يموت ... عبارة عن جسم عقلى، أنفهمنى ...

لكن أوراثيو كان يتحدث بصوت منخفض فى أنثى إيتين الذى كان يزوم ويتحرك ويتأنى منه رائحة الشارع الملىء بالمياه ورائحة المستشفى التى تفوح منه طيبخ الكرب وقد انخرط فى نوع من الالمبالاة وفى المتاعب التى لاتحصى مع البوابة. ولما كان رونالد قد توقف عن سرد مايتحدث به كان فى حاجة لأحد حتى يكمل له شرح الباربو. واتجه إلى لاماجا التى كان هيكلا يرتسم أمامه وكأنها هنرى مور فى الظلام أو أنها عملاقة ترتدى الملابس من الأرض، فهناك الركبتان اللتان على وشك الخروج من الكتلة السوداء الجوفية وبعد ذلك الجسد الذى كان يصعد إلى السقفه لكن يوجد فوقه كتلة من الشعر الذى يزداد سوادا عن الظلمة المحيطة، وفى كل ذلك الظل الموجود بين الظلال تلمع عينا لاماجا وهى موضوعة فى الكرسى وتحاول من وقت لآخر ألا تنزلق وتسقط على الأرض بسبب الأرجل الأمامية القصيرة للكرسى.

- قال إيتين وهو يشرب جرعة :

- إنه موضوع مزعج .

- قال أوليغيرا :

- يمكنك الذهاب إذا شئت لكنى أعتقد أن لاشئ هام سوف يحدث. ففى هذا الحى تقطع أمور مثل هذه فى كل لحظة.

- قال رونالد :

- سوف أبقى هذا المشروب. قلت لى ما أسمه؟ ليس سيئا للغاية، له رائحة الفاكهة.

- قال إيتين :

- يقول وونج إن يونج Jung كان متحمسا للباربو. وهذا مفهوم، كما أن على الوجوديين أن يقرؤوه بتعمق أيضا. انظر عند محاسبة الميت يقوم الملك Rey بوضعه أمام مرآة، لكن تلك المرآة هى الكاما Kama وهى عبارة عما فعله الميت طوال حياته. ويرى الميت فى المرآة كل أعماله، سيئاته وحسناته لكن صورة هذه الأعمال لا علاقة لها بأى واقع بل هى نوع من عرض من صور عقلية ... ربما لم يبد الشعور بالفزع على العجوز يونج، بل قلت قدرته على الكلام. ينظر ملك الموتى إلى المرآة لكن مايفعله فى الواقع هو النظر فى ذاكرتك. هل يمكن تصور وصف أفضل من ذلك للتحليل النفسى؟ كما أن هناك شيئا أكثر غرابة مما سبق ياعزيزتى وهو أن الحكم الذى ينطق به الملك ليس حكما بل هو حكمك أنت. أنت نفسك تحكمين على نفسك دون أن تدري. ألا ترين أن سارتر كان يجب عليه أن يذهب للعيش فى لاهاسا Lhasa؟

28

- قالت لاماجا :

- هذا لا يصدق، هل ذلك الكتاب هو أحد كتب الفلسفة؟

- قال أوليفيرا :

- إنه كتاب من أجل الموتى .

صمت الجميع وهم ينصتون لصوت المطر. شعر جريجوروفوس بالحزن من أجل لاماجا التي لا بد أنها تنتظر تفسيراً ولا تجرؤ على المزيد من الأسئلة.
- قال لها :

- إن كهنة اللأما يقومون بالإفصاح عن بعض المسائل لمن يحتضرون وذلك حتى يرشدونهم في العالم الآخر ويساعدونهم على إنقاذ أنفسهم، على سبيل المثال كان إيتين قد استند بكتفه إلى كتف أوليفيرا، وجلس رونالد جلسة الترنزى يترنم بـ Big Lip Blues «الشفة الممتلئة» وهو يفكر في جبلى رول فقد كان ميته المفضل، أشعل أوليفيرا سيجارة جولان، وفي لحظة انعكس شكل النار على وجوه الأصدقاء وكأننا نرى لا تور La Tour وانتزعت جريجوروفوس من الظل، وربطت غمغمته بشفتيه اللتين تتحركان، وبطريقة فظة جعلت لاماجا تجلس على الكرسي، لقد عكست النار على وجهها النهم الذي يبدو في لحظة الجهل والشرح، ولغت بأبس الهادئة بطبقة رقيقة وكذا رونالد الموسيقي الغارق في ارتجالاته المولولة. عندئذ سمعت ضربة فوق السقف في اللحظة التي انطفأ فيها عود الثقاب.

«يجب أن يحاول العيش» تذكر أوليفيرا «لماذا؟» لقد قفز بيت الشعر إلى الذاكرة وكأنه وجوه الأصدقاء في ضوء عود الثقاب. جاء لحظياً وربما بغير قصد. كان كتف إيتين يشعره بالدفء وينقل له وجوداً خادعاً وقرباً أكثر من الموت، هذا الكبريت الذي انطفأ كان سيقضى على الوجوه مثلما هو الحال الآن وكان سيقضى على الأشكال مثله مثل الصمت الذي أخذ يلتف حول الضربة التي سمعت في السقف.

- علق جريجوروفوس وكأنه يصدر حكماً نهائياً :

- وعلى هذا فإن البارود يعود بنا إلى الحياة وإلى الحاجة إلى حياة نقية، وخاصة عندما لا يكون هناك مناص، عندما نلتصق بالسرير ونحن نعانى من السرطان.

- قالت لاماجا وهي تتنهد :

- أه لقد فهمت الكثير مثل بعض قطع الصورة المفرقة Puzzle أخذت توضع في مكانها المناسب رغم أن ذلك لن يكون على نفس درجة الكمال التي عليها الكاليديسكوب

28

Calidescapio؛ حيث نجد أن كل قطعة زجاج وكل غصن وكل حبة رمل تبدو كاملة في مكانها ومتوازنة ومثيرة للملل لك دون مشاكل.
- قال أوليفيرا :

- إنها مصطلحات غربية، الحياة والموت، عالمنا والعالم الآخر، ليس ذلك مايلمه البارود يا أوسيب رغم أنني ليست عندى أدنى فكرة عما يعلمه لك البارود. هو على أى الأحوال شئ أكثر مرونة وأقل حتمية.
- قال إيتين الذى كان يشعر أنه فى أحسن حال :

- انظر رغم أن الأخبار التى رواها له أوليفيرا سرت فى أمعائه كأنها سرطان البحر، لكن لاشئ من ذلك فيه تناقض - انظر، أيها الأرجنتيني العزيز، إن الشرق ليس شيئاً كبيراً من العالم الآخر كما يقول بذلك المستشرقون. فلا تكاد تتعمق بعض الشئ حتى تشعر بنفس ماتشعر به دوما. إنها محاولة غير مفهومة لانتحار الذكاء من خلال الذكاء نفسه. إنه العقرب وهو يرشق زبانه فى نفسه وقد سئم من كونه عقرباً، لكنه فى حاجة إلى هذا التعقرب للقضاء على العقرب. ففي مدرّاس وفى هايدلبيرج نجد أن جوهر القضية لا يختلف : فهناك نوع من الخطأ لا يوصف فى بداية البدايات، ومنه تنبثق هذه الظاهرة التى أحدثكم عنها فى هذه اللحظة وأنتم تسمعون. إن كل محاولة لشرحه تفشل لسبب بسيط يدركه أى إنسان وهو أنه لكى نقوم بالتعريف والفهم لابد وأن نكون خارج مانقوم بتعريفه وفهمه. أنا، إذ تقوم كل من مدراس وهايدلبيرج بتعزية نفسيهما بالقيام بصناعة المواقف حيث نجد أساس بعضهما التأمّل وأساس بعضهما الآخر الحدس، ورغم ذلك فلا توجد اختلافات واضحة بين التأمّل والحدس، وهذا ما يدركه أى تلميذ فى المرحلة الثانوية. وهكذا نجد أن الإنسان يبدو واثقاً من نفسه عندما يبط أرضاً لا تتعلق به بشكل جوهري؛ وهذا عندما يلعب وعندما يغزو وعندما يتسلح بذرائعه التاريخية على أساس الـ ethos وعندما يوكل الغموض المركزى إلى قس من أى ملة، وأيا كان الأمر فهناك المفهوم الغريب القائل بأن السلاح الرئيسى، أى اللغز الذى ينتزعنا بقوة إلى الدرجة الحيوانية، ماهو إلا خدعة كاملة. وتأتى بعد ذلك المحصلة التى لامناص منها وهى اللجوء إلى دائرة الوحي والإلهام والتلعثم والليلة المظلمة التى تعيش فيها الروح والرؤى الجمالية والميتافيزيقية. إن مدراس وهايدلبيرج هما وجهان مختلفان لنفس التذكرة الطبية، فأحياناً يسيطر الـ Yin وأخرى الـ Yang، لكن فى كلا طرفى الصعود والهبوط هناك اثنين من الإنسان القديم - Homo Sapi-

28

- ens غير مفهومين يضربان بقوة على الأرض ليركب كل واحد على حساب الآخر.
- قال رونالد :
- إنه لأمر غريب وعلى أى الأحوال فمن البلاء إنكار الواقع رغم أننا لانعرف ماهو. ولنقل إنه محور الصعود والهبوط. كيف يمكن أن هذا المحور لم يجد حتى الآن فى فهم مايدور فى الأطراف؟ ابتداء من إنسان ناندرتال...Neaanderthal.
- قال أوليفيرا وهو يزد من اتكائه على إيتين :
- إنك تستخدم كلمات هذه الكلمات يطيب لها أن يقوم المرء بإخراجها من الدولاب ويجعلها تلف أرجاء الحجرة. الواقع، إنسان ناندرتال، انظر إليهن كيف تلعب وكيف تدخل إلى أذاننا وتنزلق إلى الداخل.
- قال إيتين متجهما :
- هذا حقيقى، ولهذا أفضل أصباغى وألوانى؛ فأنا أكثر ثقة.
- واثق من ماذا ؟
- من تأثيرها.
- من تأثيرها عليك، على أى الأحوال، وليس تأثيرها على بداية منزل رونالد.
- فألوانك ليست أكثر ثقة من كلماتى أيها العجوز.
- ألوانى لاتحاول أن تفسر شيئا.
- وهل تكتفى بأنه لا يوجد تفسير؟
- قال إيتين :
- لا، لكننى فى الوقت ذاته أفعل أمورا تزيل عنى غصة الإحساس بالفراغ. وهذا هو أفضل تعريف لمصطلح homo sapiens.
- قال جريجوروفىوس متنهدا :
- ليس تعريفا بل عزاء نحن فى الواقع لسنا إلى مثل الكوميديا عندما يصل المرء إلى المسرح مع بداية الفصل الثانى. فكل شئ جميل لكن المرء لايفهم شيئا، فالممثلون يتحدثون ويتصرفون، ولسنا نعرف لماذا ولماهو السبب. إننا نسقط عليهم جهلنا وبيدون أمامنا كأنهم مجانيين يدخلون ويخرجون بعزيمة واضحة. لقد قالها شكسبير. وإلا لكان من واجبه أن يقولها.
- قالت لاماجا :
- أعتقد أنه قالها.
- قالت بابس:

28

- نعم قالها .
- قالت لاما جا :
- أ رأيت ؟
- قال جريجوروفوس :
- تحدث أيضا عن الكلمات ولم يفعل أوراثيو شيئا إلا طرح المشكلة فى نمطها الجدلى أو بعبارة مثل هذه، إنها على طريقة ويتجنسين Wittgenstein الذى أكن له الكثير من الإعجاب.
- قال رونالد :
- لا أعرفه لكن حضراتكم ستكونون على اتفاق معى فى أن مشكلة الواقع لا يمكن مواجهتها بالتنهيدات.
- قال جريجوروفوس :
- من يدرى، من يدرى يارونالد.
- هيا، اترك الشعر لمناسبة أخرى. أنا موافق على أنه لايجب الوثوق بالكلمات، لكن الكلمات تأتي فى الواقع بعد ذلك لآخر، أى بعد تواجدها هنا هذه الليلة جالسين حول أباجورة صغيرة.
- طلبت لاما جا :
- تحدث بصوت منخفض .
- أصر رونالد :
- أنا أحسّ بنون أية كلمات، أعرف أنى هنا ذلك ما أسميه الواقع رغم أنه لا يكون إلا ذاك.
- قال أوليفيرا :
- تمام، كن هذا الواقع ليس ضمانا لك أو لآخر، اللهم إلا إذا حولته إلى مضمون، ومن هناك إلى قناعة، وإلى بناء مفيد، لكن مجرد وجودك على يسارى وأنا على يمينك يجعل من الواقع واقعين على الأقل. وليكن معلوما أننى لا أريد التعمق، وأدين لك أنك وأنا كاشتان غير متصلين على الإطلاق، اللهم إلا من خلال المشاعر والكلمة، وهى أمور يجب ألا ننق فيها إذا ماكان المرء جادا.
- أصر رونالد :
- كلانا موجود هنا فلا يهم كثيرا على اليمين أو على اليسار. كلانا ينظر إلى بايس والجميع يسمع ما أقوله.
- أعرب جريجوروفوس عن أسفه :
- لكن هذه الأمثلة التى تسوقها تصلح فقط للأطفال يابنى إن أوراثيو على حق، فلا يمكن أن تقبل ببساطة ذلك الذى تعتقد أنه الواقع. وأقصى شئ يمكنك قوله هو أنك

28

أنت، فذلك لا يمكن رفضه دون أن يحدث استغراب بديهي. فالخطأ هو في الأنا ergo ومبايلي الأنا ergo وهذا واضح تماما.

- قال أوليفيرا :

- لا تطرح الأمر وكأنه قضية مدرسية لتبقى في دائرة دروسه الخاصة بالهواة الذين هم نحن. لنبق عند ذلك الشيء المثير الذي يسميه رونالد بالواقع. وأنه يؤمن بواقع واحد. هل لازلت تعتقدون بأنه واقع واحد يارونالد ؟

- نعم، لكن أعترف لك بأن طريقتي في الإحساس به وفهمه مختلفة عن طريقة بابس، وأن واقع بابس يختلف عن واقع أوسيب وهكذا على التوالي. غير أن ذلك يشبه الآراء المختلفة بشأن لوحة الجيوكاندا أو حول سلطة نبات الهندباء الخسئية. الواقع هناك ونحن بداخله نفهمه على طريقتنا لكننا داخله.

- قال أوليفيرا :

- الشيء الوحيد الهام هو ذلك المتعلق بفهم الواقع على طريقتنا تعتقد سيادتك أن هناك واقعا مسلما به! لأننا أنا وأنت نتحدث في هذه الغرفة، وهذه الليلة. ولأنك وأنا نعرف أنه خلال ساعة أو فترة من هذا القليل سوف يحدث في هذا المكان أمر محدد. كل هذا يعطيك ثقة كبيرة في الوجود، على ما أظن. تشعر أنك واثق من نفسك وجالس ومتمكن من نفسك ومن هذا الذي يحيط بك. لكن إذا أمكنك في الوقت نفسه أن تحضر هذا الواقع من خلالي أو من خلال بابس، وإذا ما تمكنت من إيجاد مكان لك، تفهمني، واستطعت أن تكون الآن في نفس هذه الصخرة من خلال تواجدي أنا وكل ما أكون وماكنت وكل ما كانت وتكون بابس فقد تفهم أن حب الذات الرخيص هذا لا يقوم لك أي واقع صحيح. إنه يعطيك فقط اعتقادا قائما على الرعب، وحاجة لتأكيد ما يحيط بك حتى لا تسقط في الفخ وتخرج من الجانب الآخر حيث لا تعرف إلى أين.

- قال رونالد :

- إننا جدد مختلفان وأعرف هذا جيدا. لكننا نلتقي في عدة نقاط خارجة عن أنفسنا. فانت وأنا ننظر إلى تلك الأباطورة، وعلى أفضل الأحوال قد نكون ننظر إلى نفس الشيء. لكن لا يمكن أن نكون واثقين بأننا لانرى نفس الشيء. هاهي هناك أباطورة. يا للشياطين.

- قالت لاما جا :

- لا ترفع صوتك سوف أعد لكم المزيد من القهوة.

28

- قال أوليفيرا :

- هناك إحساس بأننا نشير فوق آثار قديمة. إننا تلاميذ صغار، إذ نرفض حججا عفا عليها الزمان ولا أهمية لها، وكل ذلك ياعزيزي رونالد هو لأننا نتحدث بطريقة جدلية. نقول : أنت، أنا، اللمة، الواقع. عد خطوة إلى الوراء من فضلك. عليك أن تهتم بها فهذا لا يكلف شيئا. الكلمات تختفى. هذه اللمة هي حافز حسى لا أكثر. والآن خطوة أخرى إلى الوراء. فما تسميه رؤيتك وهذا الحافز الحسى تصبح العلاقة بينهما غير مفهومة، ولكي يتم تفسيرها لابد من أن تخطو من جديد خطوة إلى الأمام وسوف يذهب كل شيء إلى الشيطان.

- لكن تلك الخطوات إلى الوراء تعتبر بمثابة التراجع في الطريق الذى سارته الإنسانية - احتج جريجوروفويس.

- قال أوليفيرا :

- نعم وهنا تكمن المشكلة الكبرى، وهو معرفة ما إذا كان ماتسميه بالإنسانية قد سارت إلى الأمام أو كما كان يبينو لكلاجيس^(٥) Klages، على ما أعتقد، ففي لحظة معينة سار في طريق خطأ.

- بدون لغة لا يوجد إنسان، وبدون تاريخ لا يوجد إنسان.

- وبدون جريمة لا يوجد قاتل. لابرهان أمامك لتثبت أن الإنسان لم يكن ليختلف عما هو عليه الآن.

- قال رونالد :

- ليس الأمر سيئا للغاية .

- أى نقطة للمقارنة تتوفر عندك لتظن أن الأمر كان جيدا؟ لماذا كان علينا أن نخترع تمدن ونعيش وقد غمرتنا الأشواق إلى الفربوس المفقود، وتقوم بصنع المثل، هل ننظر إلى مستقبل معين؟ إذا ماتمكنت النودة من التفكير والقدرة على، فإنها قد تفكر فى أن الأمور بالنسبة لها ليست سيئة للغاية. إن الإنسان يلجأ إلى العلم وكأنه بمثابة مايسمى بالملاد الأمن الذى لم أعرف ماهيته حتى الآن. يقوم العقل من خلال اللغة بعزل بنية معمارية مناسبة كأنها الإيقاع الجميل لتكوين اللوحات الخاصة بعصر النهضة، ثم يغرسنا فى وسط المكان. ورغم أن العلم، أى العقل يعيش على الفضول وعدم الرضا فإنه يبدى فى تهدئتنا. «إنك هنا، فى هذه الحجرة مع أصدقائك وأمام هذه الأباجورة. لتافزع. فكل شيء يسير على مايرام. ولنر الآن : ماهى طبيعة تلك الظاهرة

28

المضيئة؟ هل عرفت ماهية ما يسمى باليورانيوم المخصب؟ هل يروق لك علماء النظائر، هل كت تعرف أننا نحول الرصاص إلى ذهب؟ كل شيء يدعو للفضول والنوار، لكن ذلك ابتداءً من المقعد الذين نحن جالسون عليه ومرتاحون.

- قال رونالد :

- أنا أجلس على الأرض وغير مرتاح بالمرّة، وأقول ذلك إحقاقاً للحق، اسمعني يا أوراشيو : إن رفض هذا الواقع ليس له معنى. إنه هنا وننتشارك فيه، والليلة تمضي بالنسبة لكننا، والمطر ينزل في الخارج وهذا يعرفه كلانا، ماذا أدري أنا عن ماهية الليلة والزمن والمطر لكنها هنا وخارجة عني، إنها أمور تحدث لي، ولا يمكن فعل شيء حيالها.

- قال أوليفيرا :

- هذا واضح لا أحد ينفي ذلك تشي، إن ما لانفهمه هو السبب في أن ذلك يحدث هكذا. لماذا نحن هنا، والمطر يسقط في الخارج، إن اللامنتطقى ليس الأشياء بل هو أن الأشياء قد تكون هناك وتشعر بها نحن أنها لامعقولة. بالنسبة لي، تفرّ مني العلاقة القائمة بيني وبين ذلك الذي يحدث لي في هذه اللحظة. إنني لا أنفي أنها تحدث لي، لكنها تحدث لي. وهذا هو اللامعقول.

- قال إيتن :

- ليس هذا واضحاً بما فيه الكفاية .

- لا يمكن أن يكون واضحاً وإلا كان زائفاً وإن كان من الممكن أن يكون حقيقة علمية لكنه زائف ومطلق. إن الوضوح مطلب ثقافي ليس إلا. ليتنا نتمكن من المعرفة الواضحة والفهم الواضح على هامش العلم والعقل. وعندما أقول «ياريت» ربما أقول وأتفوه بعبارة حمقاء. ومن المحتمل أن الملاذ الآمن الوحيد يمكن أن يكون العلم، اليورانيوم 235، وتلك الأشياء. أضف إلى هذا يجب أن نعيش.

- قالت لاما جا وهي تصب القهوة :

- نعم وفوق هذا يجب أن نعيش.

- قال أوليفيرا وهو يضغط على إحدى ركبتيه :

- أفهمني يارونالد إنك أكبر بكثير من ذكائك، وهذا معروف، على سبيل المثال، وهذا الذي يحدث لنا الآن هنا ماهو إلا لوحة من لوحات ريمبرانت حيث لا يكاد يلمع ضوء في أحد الأركان وليس ضوءاً فيزيقياً، ليس ذلك الذي تطلق عليه بهدوء أباجورة وعدد الواطات والبوجيهات. إن اللامعقول هو الاعتقاد بأننا يمكن أن نفتنص إجمالاً ما يكوننا في هذه

28

اللحظة أو فى أى لحظة أخرى وتخمينه على أنه شئ متناسق. أو شئ مقبول إذا ما أردت هذه اللفظة. وفى كل مرة تحدث لنا فيها أزمة فهذا هو اللامعقول بالكامل. ولتترك أن الجدلية يمكنها فقط تنظيم الدوايب فى لحظات السكون. وتعرف جيدا أنه عند الوصول إلى نزوة الأزمة نتصرف غريزيا، عكس ما هو متوقع، مرتكبين بربرية لا يمكن توقعها. وفى تلك اللحظة بالتحديد يمكن القول بأن كان هناك شئ كأنه إشباع الواقع. أليس كذلك؟ إن الواقع يندفع ويظهر بكل قوته، وفى تلك اللحظة نجد أن طريقتنا الوحيدة لمواجهة هى التخلّى عن الجدلية. وهى اللحظة التى نطلق فيها النار على إنسان، ونقفز من على السور ونتناول فيها علبة جاردينال مثل جوى، وأن نفك أسر الكلب، ويصبح الحجر حرا لأى غرض. إن العقل يساعدنا فقط فى تجفيف الواقع بهدوء. أو تحليل عواصفه المستقلية. لكن لا يساعدنا على حل أزمة فورية. غير أن تلك الأزمات ماهى إلا براهين ميتافيزيقية، تشي، وحالة قد تكون الوضع الطبيعى والعادى لإنسان القرد منتصبا، إذا لم نمسك بها من خلال العقل.

- القهوة ساخنة، خذوا حذرکم.

- هذه الأزمات التى يعتبرها أغلب الناس على أنها مثيرة للعجب ولا معقولة. فأننا شخصيا لادى انطباع بأنها تساعد على تبيان اللامعقول الحقيقى، الذى هو العالم المنظم والهادئ وحجرة يتواجد فيها عدد من الناس يتناولون القهوة فى الثانية صباحا، دون أن يكون لكل هذا فى الواقع أى معنى ولاحتى متعة، مثلما نحن عليه فى وضع طيب إلى جوار هذه المدفأة المشتعلة بطريقة غامضة. إن المعجزات لاتبدو لى لامعقولة. فاللامعقول هو ما يسبقها وما يلحقها.

- قال جريجوروفىوس وهو ينزع عن نفسه الكسل :

- ومع ذلك يجب محاولة العيش.

«هاهو» فكر أوليفيرا «برهان آخر سوف أحتفظ به، ومن بين ملايين أبيات الشعر الممكنة يختار هو البيت الذى فكرت فيه منذ حوالى عشر دقائق؛ ما يسميه الناس الصدفة».

- قال إيتين بصوت ينم عن النعاس :

- حسن، ليس الأمر هو محاولة العيش، ذلك أن الحياة قد وهبت لنا، ومنذ زمن يشك كثير من الناس أن الحياة والكائنات الحية هما شيان مختلفان. الحياة تعيش لنفسها؛ راق لنا هذا أم لا. وقد حاول جوى أن يكذب هذه النظرية، لكن المبدأ الذى نتحدث عنه لانزاع فيه من الناحية الإحصائية. وتشهد بذلك معسكرات الاعتقال والتعذيب، وربما كان الأمل، من بين كل مشاعرنا، هو الشعور الوحيد الذى ليس لنا فى

28

الحقيقة. فالأمل مردّه إلى الحياة، إنه الحياة نفسها تدافع عن نفسها .. إلخ. وبهذا سوف أخذ للنوم ذلك أن مشكلة جوى قد أرهقتني كثيرا اليوم. يارونالد، عليك أن تأتي غدا صباحا إلى المرسوم، فلقد انتهيت من لوحة «طبيعة مية» وسوف تعجبك كثيرا.

- قال رونالد :

- لم يقنعني أوراثيرو، أنا على اتفاق بأن معظم مايحيط به هو لامعقول، لكن ربما نطلق هذه التسمية على كل ما لا نفهمه حتى الآن. وسوف يفهم ذات مرة.

- قال أوليفيرا :

- إنه متفائل لطيف يمكننا أيضا أن ندخل التفاؤل في حساب الحياة المحضة. ماتقوم به قدرتك هو أنه لامستقبل لك، وهذا منطقي في معظم حالات اللا أدريين. أنت دائما حي، أنت دائما في الحاضر، وكل شيء ينظم لك بطريقة مرضية، وكأنا نشاهد لوحة لغان إيك^(٦) Van Eyck. لكن إذا حدث لك ذلك الشيء الرهيب وهو عدم الإيمان، وفي الوقت نفسه ألقيت نظرة على الموت، على هذا الشيء المفرع فإن المرأة سوف تعلقها طبقة ضباب كثيفة.

- قالت بابس :

- كفى يارونالد لقد تأخر بنا الوقت، النعاس يُغالبنى.

- انتظري انتظري، إنني كنت أفكر في موت والدي. نعم، شيء مما تقوله حقيقي.

هذه الحجرة لم أتمكن من إدخالها في إطار هذه المعضلة. كانت شيئا غير مفهوم. لقد كان رجلا شابا وسعيدا يعيش في الألباما. كان يسير في الشارع عندما سقطت فوقه شجرة. كان عمري آنذاك خمسة عشر عاما. جأوا للبحث عني في المدرسة، لكن هناك العديد من الأمور اللامعقولة يا أوراثيرو. الكثير من حالات الوفيات أو الأخطاء.... ليس الأمر في العدد على ما أظن، ليس اللامعقول الكامل كما تعتقد أنت.

- اللامعقول هو الذي قد لا يبدو لامعقولا- قالها بنوع من الصفر - اللامعقول هو أنك تفتح الباب في الصباح وتجد زجاجة اللبن على العتبة، وتظل هادئا لأن ذلك حدث لك بالأمس وسوف يحدث لك في الغد. إنه ذلك الركود. ليكن ذلك هكذا، إنه الافتقار المشبوه إلى الاستثناءات، أنا لا أدري، تشي، قد يكون من المناسب محاولة سلوك طريق آخر.

- قال جريجوروفوس غير واثق :

- برفض الذكاء ؟

- لست أدري، ربما استخدمه بطريقة أخرى، هل ستم البرهنة على أن المبادئ المنطقية

28

هى اللحم والظفر مع ذكائنا؟ أه لو أن هناك شعوباً قادرة على البقاء فى إطار نظام سحرى... حقيقة أن الفقراء يأكلون الدود بدون طهى، لكن ذلك أيضاً هو مسألة قيم.

- قالت بابس :

- الدود، ياللقرفا ياعزيزى رونالد لقد تأخر الوقت.

- قال رونالد :

- فى جوهر الأمر إن ما يضايقك هو الشرعية فى كل أنماطها، فعندما نلاحظ أن شيئاً ما أخذ يعمل بشكل جيد تشعر وكأنك فى سجن. لكننا جميعاً على شئ من ذلك، إننا مجموعة ممن يطلق عليهم الفاشلين، فلم ندرس ونحصل على شهادة جامعية إلى باقى تلك الأشياء. ولذلك نحن فى باريس يا أخى، كما أن اللامعقول عندك ينحصر، فى الأول والآخر، فى نوع من المثالية غير الواضحة، لكنها فوضوية، ولم تستطع تحديد ملامحها.

- قال أوليفيرا :

- لك الحق كل الحق ويا له من أمر جيد أن يخرج المرء إلى الشارع ولصق الإعلانات التى تطالب بحرية الجزائر. وما ينتظر عمله فى ميدان الكفاح الاجتماعى.

- قال رونالد :

- إن العمل يمكن أن يجعل لحياتك معنى وقد قرأت ذلك فى أعمال مالرو على ما أظن.

- قال أوليفيرا :

- دار نشر N. R. F.

- قال أوليفيرا :

- وعكس هذا تظل تستمنى، وكأنك قد تقلب الأمر بشأن المشاكل الزائفة وتنتظر أمراً ما لست أدرى ماهو، إذا ما كان كل ذلك لامعقول يجب أن نفعل شيئاً لتغييره.

- إن الجمل التى تقولها لها عندي رنين إنك لاتكاد تعتقد أن النقاش يدور حول شئٍ تعتبره أنت محدداً مثل عملك acción فتزهو بما تقول. أنت لاتريد أن تتنبأ إلى أن العمل، مثل اللامعول يستحق ذلك الزهو .. كيف يمكن أن يتصرف المرء دون أن يكون هناك موقف مسبق، أى نوع من المفاهيم لما نعتقد أنه خير وحقيقى؟ إن مفاهيمك عن الحقيقة والخير ماهى إلا مفاهيم تاريخية، إذ تدخل فى دائرة سلوكيات موروثة. لكن التاريخ والسلوكيات فى نظرى يثيران شكاً كبيراً.

- قال إيتين وهو يعتدل فى جلسته :

- أحياناً يطيب لى أن أستمع إليك وأنت تتحدث بمزيد من الإسهاب عما تسميه

28

بالموقف المركزي. فربما كان في المركز نفسه فجوة كاملة.

- قال أوليفيرا :

- لا تظن أننى لم أفكر فى هذا لكن حتى لو كانت هناك أسباب جمالية، وهى أسباب أنت قادر جدا على تمييزها، فإنك ستقبل بين أن يضع المرء نفسه فى مركز ما وبين التجول على المحيط الخارجى، هناك فارق نوعى يجعلنا نفكر.

- قال جريجوروفوس :

- يا أوراثيرو إنك تستخدم كثيرا تلك الكلمات التى لم تنصحنا بها المرة منذ فترة وجيزة. إنك رجل لا يطلب منه خطب بل أشياء أخرى، أشياء فيها ضباب وغير مفهومة مثل الأحلام، والصدف والإلهام، وفوق كل هذا الدعاية السوداء.

- لقد ضرب الرجل الذى يسكن فوق، على السقف مرة أخرى - قالت بابس.

- قالت لاماجا :

- لا، إنه المطر لقد حانت الساعة إعطاء الدواء لروكامادور.

- لازال أمامك المزيد من الوقت - قالت بابس وهى تميل بسرعة لتتنظر إلى ساعة يدها فى ضوء اللبنة - إنها الثالثة إلا عشر دقائق. هيا بنا يارونالد لقد تأخرنا كثيرا.

- قال رونالد :

- سوف نذهب فى الثالثة وخمس دقائق

- سألت لاماجا :

- لماذا فى الثالثة وخمس دقائق؟

- فسر جريجوروفوس :

- ذلك أن الربع ساعة الأول هو جيد دائما .

- طلب إيتين :

- صب لي كأسا آخر من الكانيا، بالسوء الحظ لم يبق عندي شئ. أطفأ أوليفيرا

السيجارة. «إنه الاهتمام» فكر أوليفيرا شاكرا إنهم أصدقاء حقيقيون بما فيهم أوسيب ذلك الشيطان المسكين. والآن أمامنا ربع ساعة لربود الأفعال المتوالية والتي لا يمكن لأحد تجنبها، لا أحد، ولاحتى التفكير أنه فى القادم وفى مثل تلك الساعة نفسها أو تذكر كل شئ بالتفصيل يمكن أن يغير درجة الأدرينالين أو اللعب أو العرق الذى تشعر به الآن فى أيدينا ... هذه هى البراهين التى لايريد رونالد أن يفهمها أبدا. ما الذى فعلته هذه الليلة؟ كان شيئا فظيعا بعض الشئ وعن عمد، وربما كان من الممكن التدرّب على تجربة بالونة الأكسجين، أو شئ من هذا

28

القبيل. كنت أحرق، في الواقع، وقد كان من الممكن أن نمس في حياة مسيو فالديمار^(٧)
Valdemar.

- قال رونالد في أذنها :
- يجب أن نعدّها .
- لا تقتل ترهات من فضلك. ألا تشعر أنها مهيأة، وأن الرائحة تسبح في الهواء؟
- قالت لاماجا :
- ها أنتم تتحدثون بصوت منخفض جدا في الوقت الذي لا يستلزم ذلك. «أنت تتحدثين» فكر أوليفيرا.
- غمغم رونالد :
- الرائحة ؟ أنا لا أشعر بأي رائحة.
- قال إيتين وهو يهتز كأنه يشعر بالبرد :
- حسن. الساعة تقترب من الثالثة يارونالد افعل شيئا، إن أوراثيرو لن يكون عبقرية، لكن من السهل الإحساس بما يريد أن يقوله لك والشيء الوحيد الذي يمكننا فعله هو البقاء بعض الوقت وتحمل ماسيتاتي. وأنت يا أوراثيرو، أتذكر الآن، ذلك الذي قلته اليوم عن لوحة رمبرانديت كان جيدا للغاية. هناك ما يسمى بما وراء الرسم - Meta pintura مثل ما يسمى بما وراء الموسيقى Metamúsica. كما أن العجوز كان يتعمق كثيرا في كل مايفعله. لكن عميان المنطق والعادات الجيدة هم وحدهم الذين يمكن أن ينفقوا أمام لوحات رمبرانديت دون أن يشعروا أن هناك نافذة تطل على شيء آخر، إنها إشارة. هذا في منتهى الخطورة بالنسبة للرسم، لكن على العكس...
- قال أوليفيرا :
- الرسم هو نوع مثل باقى الأنواع ولا يجب حمايته كثيرا بصفته نوعا، وفيما عدا ذلك فإمام كل لوحة من لوحات رمبرانديت هناك مائة رسام، وبذلك فإن الرسم بمنأى بالكامل.
- قال إيتين :
- لحسن الحظ.
- وافق أوليفيرا :
- نعم لحسن الحظ، لحسن الحظ يسير كل شيء في أفضل مسار ممكن له. أشعلى اللبنة الكبيرة ياباباس. مفتاح النور يوجد خلف الكرسي الذي تجلسين عليه.
- قالت لاماجا وهي تنهض :

28

- أين يمكن العثور على ملعقة نظيفة .

بذل أوليفيرا جهدا بدا له منفرا حتى لا ينظر إلى عمق الحجرة، كانت لاماجا تفرك عينيها وهي مأخوذة، أما بابس وأوسيب والجميع فكانوا ينظرون بطريقة مستترة ثم يبدرون رؤوسهم وينظرون مرة أخرى، بدأت بابس في تهينة نفسها لتأخذ لاماجا بين ذراعيها، لكن لمحت شيئا على وجه رونالد فتوقفت، اعتدل إيتين في جلسته ببطء وقد فرد بنظولونه الذي لازال مبللا، أما أوسيب فقد بدأ يخرج من دائرة الكرسي ويتحدث عن معطفه «الآن يجب أن يضربوا على السقف» فكر أوليفيرا وهو يغمض عينيهِ «عدة ضربات متوالية» فكر أوليفيرا بطريقة مهيبية، لكن كل شيء يحدث على العكس، فبدلا من إطفاء الأنوار نشعلها، كما أن المسرح هو في هذا الجانب. لعلاج للأمر» نهض بدوره وهو يشعر بوجع في عظامه من جراء السير طوال اليوم وكل ما حدث أثناءه، وجدت لاماجا الملعقة على رف المدفأة خلف رصة من الأسطوانات والكتب. أخذت تنظفها بظرف فستانها وتقحصتها جيدا في ضوء اللبنة، «سوف تقوم بصب النواء في الملعقة ويعد ذلك يقع منها نصف الجرعة حتى تصل إلى حافة السرير» قال أوليفيرا لنفسه وهو يستند إلى الحائط، كان الجميع صامتين لدرجة أن لاماجا نظرت إليهم باستغراب وجدت صعوبة في فتح زجاجة النواء، كانت بابس تريد مساعدتها بأن تمسك الملعقة، كما أن وجهها ممتنع، والأمر كئ لاماجا تقوم بفعل شيء رهيب لا يمكن ذكره، وظلت كذلك حتى صبت لاماجا النواء في الملعقة ووضعت زجاجة النواء كيفما اتفق على حافة الترابيزة التي لاتكاد تتسع لشيء من كثرة ما عليها من أوراق وكراسات، كانت تمسك بالملعقة مثل بلوندين^(٨) لاعبة السيرك، أو كأنها ملاك القديس الذي يقع في هوة؛ أخذت تشير وهي تجر الشيشب واقتربت من السرير وإلى جوارها بابس تتلوى قسمات وجهها وتمسك نفسها لتنظر ولاتنظر، وتتنظر بعد ذلك إلى رونالد وإلى الآخرين الذين أخذوا يقتربون من ورائها، وكان آخرهم أوليفيرا والسيجارة مطفأة في فمه.

- قالت لاماجا وهي تتوقف إلى جوار السرير :

- دائما ما يتساقط النواء مني ...

- قالت بابس وقد أقتربت ببديها من كتفها لكن دون أن تلمسها :

- يالوثيا سقط السائل على الكوفرتة وفوق الملعقة.

صرخت لاماجا واستلقت على السرير ووجهها لأعلى، وبعد ذلك على جانبها وقد التصقت يداها ووجهها بعروس غير مبالية ومظلومة، كانت ترتعش وتهتز وهي غير مقتنعة وتعامل بقسوة وبحنان لكن بلا جدوى.

- قال رونالد :

28

- ماذا يحدث، كان علينا أن نهيئها لقد أخطأنا. إنها وقاحة منا. كل الناس يتحدثون عن ترهات ، وعن ذلك وذلك....
- قال إيتين بجفاء :
- لا تكن هستيريا افعل مثلما فعل أوسيب فلم يفقد أعصابه، عليك بالبحث عن ماء كولونيا، وإذا ماكان هناك شئ يصلح فى نظرك. سمعت العجوز فى الدور العلوى، هأقد بدأ مرة أخرى.
- قال أوليفيرا وهو ينظر إلى بابس التى كانت تحاول انتزاع لاماجا من السرير :
- الأمر يستحق يالها من ليلة بالنسبة له، يا أخى.
- قال رونالد :
- فليذهب إلى الجحيم أخرج إليه وأصفعه على وجهه هذا العجوز ابن القحاب إذا لم يحترم آلام الآخرين
- قال أوليفيرا :
- موافق هاهو ماء الكولونيا. خذ منديلى رغم أن بياضه ليس ناصعا. حسن. لابد من الذهاب إلى قسم البوليس.
- قال جريجوروفويوس الذى كان يحمل معطفه على ذراعه :
- يمكننى أن أذهب.
- لكن من الواضح، أنك واحد من العائلة.
- كانت بابس تقول :
- آه لو أمكنك البكاء وهى تداعب جبهة لاماجا التى أسندت وجهها إلى المخذة، وكانت نظرتها ثابتة فى اتجاه روكامادور.
- أريد منديلا مبللا بالكحول من فضلكم، أريد شيئا يساعدها على أن تسترد وعيها.
- أخذ رونالد وإيتين يوران حول السرير. تتكرر الضربات فوق السقف بطريقة إيقاعية، وفى كل مرة ينظر رونالد إلى أعلى، وفى إحدى هذه المرات هرّ قبضته إلى أعلى بطريقة هستيرية. كان أوليفيرا قد تقهقر إلى جوار المدفأة، ومن هناك كان ينظر ويصمت. كان يشعر أن الإرهاق أخذ يغفوه ويشده إلى أسفل، وكان يتنفس ويتحرك بصعوبة. أشعل سيجارة أخرى كانت آخر مافى اللعبة. أخذت الأمور تتحسن بعض الشيء، قامت بابس مسرعة بانتقاء ركن فى الغرفة ثم قامت بإعداد نوع من السرير الصغير باستخدام كرسيين ويطانية، وكانت تتسامر مع رونالد (كان شيئا مثيرا أن ترى إشاراتها من فوق لاماجا التى غرقت فى هذيان بارد وفى حوار داخلى محموم

28

لكنه جاف ومتشنج) وكانا يغطيان عيني لاماجا بمندبل فى لحظة معينة (إذا ماكان المندبل مبللا بماء الكولونيا فسوف يصيبونها بالعمى؛ قال أوليفيرا لنفسه). كانا يساعدان إيتين، بسرعة غير عادية، فى رفع روكامبور ونقله إلى السرير المرتجل ويقومان فى الوقت ذاته بنزع الكوفرتة من تحت لاماجا ليضعوها فوقها وهما يتحدثان معها بصوت منخفض ويداعبانها ويدفعانها إلى استنشاق المندبل. كان جريجوروفىوس قد وصل إلى الباب وبقي هناك بون أن يقرر الخروج وظل ينظر عفوياً إلى السرير، وبعد ذلك لأوليفيرا الذى كان يدير له ظهره لكنه يشعر أنه يراه، وعندما قرر الخروج كان العجوز قد وصل إلى بسطة السلم وهو مسلحٌ بعضاً، فعاد أوسيب إلى داخل الحجرة بقفزة واحدة. هوت العصا على الباب «وهكذا كان يمكن للأمور أن تتعقد» قال أوليفيرا لنفسه وهو يتقدم خطوة نحو الباب. أما رونالد الذى خَمِنَ ما يحدث فقد اندفع غاضباً بينما تصبح بابس بعبارة بالإنجليزية. أراد جريجوروفىوس اتقاء ذلك لكن كان رد فعله متأخراً. خرج رونالد وأوسيب وبابس وتبعهم إيتين الذى كان ينظر إلى أوليفيرا وكأنه الوحيد الذى حافظ على شئ من رباطة الجأش.

- قال له أوليفيرا :

- هيا اذهب إليهم حتى لايرتكبوا حماقة، يكاد يصل عمر العجوز إلى ثمانين عاماً وهو مجنون.

- كان العجوز يصبح على بسطة السلم :

- Tous des cons! كلكم حمقى إنكم مجموعة حثالة. كما أنكم تظنون أن ذلك سوف يمر هكذا بون عقاب. أيها التل من القانورات. والشئ المثير أنه لم يكن يصرخ بقوة. ومن الباب الموارب عاد صوت إيتين وكأنه كارامبولا : «Ta gueule pépère» اصمت أيها العجوز. أمسك جريجوروفىوس بذراع رونالد، لكن من خلال الضوء الذى يخرج من الغرفة أدرك رونالد أن الرجل طاعن جداً فى السن واقتصر على أن يلوح فى وجهه بقيضته وهو أقل اقتناعاً فى كل مرة. نظر أوليفيرا مرة أو اثنتين فى اتجاه السرير حيث بقيت لاماجا شديدة السكون تحت الكوفرتة، كانت تبكي وجسمها يهتز من البكاء بينما فمها فى المخذة. وبالتحديد فى المكان الذى كانت فيه رأس روكامبور. بماذا تعود على لطمه أوجعها لولد صغير - كان العجوز يقول - هذه ليست طريقة تصرف نحن فى باريس ولسنا فى الأمازون. ارتفع صوت إيتين وغطى على الصوت الآخر مقتعاً إياه. قال أوليفيرا لنفسه إنه لن يكون من الصعوبة الذهاب إلى السرير وأن يميل ليحدث لاماجا فى أذنها بكلمات. «لكن ذلك أفعله من أجلى أنا» فكر «إنها هناك وقد تجاوزت أى شئ. أما أنا فسوف أنام بعد ذلك بشكل أفضل رغم أن ذلك قد لا يكون إلا مجرد

28

كلام. أنا، أنا، أنا. أنا سوف أنام بعد أن أقبلها وأواسيها وأكرر كل مقالته هؤلاء.

- حسن، أنا أيها السادة من الذين يحترمون آلام الأم،
قال صوت العجوز :

- معذرة عمتم مساءً سيداتي سادتي.

كان المطر يضرب بقوة وكأنه سيل. يضرب النافذة. لابد وأن باريس أصبحت فقاعة ضخمة تكاد تكون شهباء حيث يبرز من خلالها الفجر رويدا رويدا. اقترب أوليفيرا من الركن حيث بدا معطفه كأنه جذع إنسان محطم ومفعم بالطوية. ارتدى المعطف ببطء وهو ينظر دائما في اتجاه السرير وكأنه ينتظر شيئا. كان يفكر في ذراع بيرت تربيته وفي ذراعه هو والسير تحت المطر. «بماذا أفادك الصيف، أيها البلبل الذي على الشج» ذكر ذلك البيت من الشعر بطريقة ساخرة. «لقد تعفّن، تشي، تعفّنًا كاملا. وليس معي المزيد من السجائر» يجب الذهاب إلى مقهى بيرت Bérbert، وعلى أي الأحوال فإن الصباح سوف يكون منفرا للغاية هنا وفي أي مكان.

- قال رونالد وهو يغلق الباب :

- ياله من عجوز أحمق .

- قال إيتين :

- عاد إلى حجرته اعتقد أن جريجوروفويس ذهب لإبلاغ البوليس هل سيبقى هنا؟

- لا، من أجل ماذا؟ لن يروق هذا للبوليس إذا ما وجد أناسا كثيرين في مثل هذه

الساعة. ومن الأفضل أن تبقى بابس، فوجود امرأتين هو حجة مناسبة في مثل هذه

الحالات. فهذا أكثر حميمية، هل تدرك ذلك ؟ نظر إليه إيتين.

- أود أن أعرف لماذا يرتعش فمك كثيرا.

- قال أوليفيرا :

إنه اصطكاك عصبى .

- هذا - الاصطكاك وكذا الهواء البارد يكون تأثيرهما سيئا عندما يجتمعان. أرافقك هيا.

- هيا.

كان يعرف أن لاما جا أخذت تتماسك وهي في السرير وتنتظر إليه. وضع يديه في

جيوب معطفه وتوجه إلى الباب. قام إيتين بحركة وكأنه يسد عليه الطريق وبعد ذلك تبعه.

رأه رونالد وهو يخرج وهن كتفيه بغيط «كل هذا غير معقول» فكر. شعر بعدم الراحة من

فكرة أن يكون كل شيء لامعقول، لكنه لم يدرك لماذا. أخذ يساعد بابس، ويعمل على أن

يكون مفيدا بالقيام بوضع بعض المياه على الكمادات. بدأت الضربات على السقف.

(- 130)

29

- قال أوليفيرا :

- خذ.

كان جريجوروفوس جالسا يقرأ إلى جوار المدفأة وهو يرتدى الروب دى شامير.
كان قد نُتِبت لُبة على الحائط بواسطة مسمار. وصنع من ورق الصحف «طاقة» لتنظيم ضوء اللمة.

- لم أكن أعرف أن معك مفتاح.

- قال أوليفيرا وهو يلقي بمعطفه فى الركن المعتاد :

- محاولات للعيش، سوف أترك لك المفتاح فقد أصبحت الآن مالك المنزل.

- لفترة محددة فقط - فالجو هنا بارد جدا أضف إلى ذلك وجود العجوز الذى يسكن فوق، فقد أخذ يدق على السقف هذا الصباح لمدة خمس دقائق، دون أن نعرف لماذا.
- إنه الجمود. فكل شئ يستمر وقتا أطول بعض الشئ مما ينبغي، فأنا على سبيل المثال أصعد هذه الأبواب وأخرج المفتاح وأفتح ... الجو مكتوم هنا.

- قال جريجوروفوس :

- إن البرد شديد، كان لابد من تهوية الحجرة بفتح النافذة حوالى ثمان وأربعين ساعة بعد تبخير المكان.

- وهل ظلت هنا طوال الوقت؟ أهل العطف. يالك من نموذج.

- لم يكن من أجل ذلك، فقد كنت أخشى أن ينتهز أحد الجيران الفرصة ويستولى على الحجرة. وقد قالت لى لوثيا ذات مرة إن المالكة هى عجوز مجنونة. وأن هناك بعض الجيران لايسددون الإيجار منذ عدة سنوات. كنت أنا قارئنا ممتازا للقانون المدنى فى بودابست، وهى عادات لامناص منها.

- الأمر هو أنك ظلت هنا كمُتيم أحبيك يا عيوى. أمل ألا تكون قد أُلقيتما بالأعشاب الخاصة بى فى الزبالة.

- أه، لا، إنها هناك على الكومودينو. بين الجوارب. لقد أصبحت هناك مساحة كبيرة خالية.

- قال أوليفيرا :

- على ما يبدو، لقد استولت على لاماجا رغبة عارمة فى النظام. فلم أعد أرى الأسطوانات أو القصص، تشئى، لكن وأنا أفكر فيه الآن ...

- قال جريجوروفوس :

- لقد أخذت كل شئ

29

فتح أوليفيرا درج الكومودينو وأخرج الأعشاب وأعد الشاي. ثم أخذ يشفط بهدوء وهو ينظر في أرجاء الحجرة. كانت كلمات أغنية «ليلتي الحزينة» تتراقص في رأسه. قام بالعد على أصابعه : الخميس والجمعة والسبت. لا. الاثنين والثلاثاء والأربعاء. لا. الثلاثاء ليلًا، بيرت تريبات، أحببتني، وهذا أفضل شيء في حياتي، الأربعاء (حالة سكر من كثرة الشراب لم تحدث لي إلا قليلًا. وليس خلط الفودكا مع النبيذ الأحمر) تركت روجي جريمة / وشوكة في القلب، الخميس والجمعة يركب رونالد سيارة على سبيل الاستعارة ويزور جوي مونود. وكأنه قفاز مقلوب، كميات ضخمة من القى الأخضر اللون، أصبح بعيدا عن دائرة الخطر. كنت أعرف أنني أحبك، وأنت سعادتي، وأملتي، وخيالي، السبت، إلى أين؟ إلى أين، في أي مكان إلى جوار ميري - لو- روا Marly-le-Roi، والإجمالي هو خمسة أيام، لا، هم ستة، حوالى أسبوع، ولازالت الحجرة باردة جدا بالرغم من المدفأة، أوسيب، ياله من رجل ضفدعة، ملك الراحة.

- قال أوليفيرا، وهو يرمى على الكرسي :

- أي أنها غادرت وبالقرب منه La papita اوماً جريجوروفوس بالإيجاب. كان الكتاب مفتوحا وموضوعا على ركبتيه، وكان الانطباع هو أنه يريد (بشكل مؤدب) مواصلة القراءة.

- وتركت لك الحجرة.

- قال جريجوروفوس :

- كانت تعرف أنني كنت أمر بموقف حرج، فأخذت جدتي لم تعد ترسل لي المعاش ومن المحتمل أنها قد ماتت. السيدة بابنجتون Miss Babington تلتزم الصمت، لكن نظرا للموقف في قبرص.... من المعروف أن له انعكاسات على مالطة : الرقابة إلى غير ذلك، عرضت على لوثيا مقاسمتها الحجرة بعد أن أعلنت سيادتك أنك ستغادر. ولم أكن أدري هل أقبل أم لا، إلا أنها ألحّت.

- هذا لا يتسق كثيرا مع لعبتها.

- لكن كل ذلك كان في السابق.

- أقصد قبل تبخير الحجرة ؟

- بالضبط.

- لقد كسبت ورقة البانصيب يا أوسيب.

- قال جريجوروفوس :

- إنه لأمر محزن فكل شيء كان يمكن أن يحدث بشكل مختلف.

29

- لاتكن شكاء أيها العجوز. فهي حجرة بثلاثة ونصف، بمعدل خمسة آلاف فرنك شهريا، بالإضافة إلى المياه...
- قال جريجوروفوس :
- كنت أود أن يكون الموقف واضحا بيننا. هذه الحجرة...
- ليست حجرتي، نمت هادئا. كما أن لاما جا غادرت.
- على أى الأحوال
- إلى أين ؟
- تحدثت عن مونتغيديو.
- ليس معها من المال مايكفى.
- تحدثت عن بيرخيا Perugia.
- أى عن لوكا Luca، إنها منذ أن قرأت رواية^(١) Sparkeubroke وهى شغوفة بتلك الأشياء. قل لى بصراحة أين هى ؟
- ليست عندى أدنى فكرة يا أوراثيو. قامت يوم الجمعة الماضى وملأت الشنطة بالكتب والملابس وحزمت أشياء كثيرة، ويعد ذلك أتى اثنان من السود وأخذوا كل ذلك. وقالت لى إن بإمكانى أن أبقى هنا، ولما كانت تيكى طوال الوقت فلا تظن أنه كان من السهل الكلام معها.
- قال أوليفيرا وهو يشرب الشاي :
- كم أود أن أصفك على وجهك .
- وماذنبى أنا ؟
- ليس الأمر هو ذنبك، تشى. إنك قذر على الطريقة الديسكوفسكية وكذلك ظريف فى الوقت ذاته. إنك من النوع المراهن على الطريقة الميتافيزيقية. فعندما تبتسم بهذه الطريقة يدرك المرء أنه لايمكن فعل شئ.
- قال جريجوروفوس :
- أوه، ها أنا قد عدتُ، فميكانيكية Challenge and response هى للبرجوازيين. أنت مثلى، ولهذا لن تضربنى، لاتنظر إلى هكذا، أنا لا أعرف شيئا عن لوثيا. وقد رأيت واحدا من السود وهو الذى يتردد على مقهى بونابرت. فعلى الأفضل يمكن أن يدلك على مكانها. لكن لماذا تبحث عنها الآن؟
- فسّر هذه الكلمة «الآن».
- هز جريجوروفوس كتفيه.

29

- قال :

- كانت «السهرة إلى جوار جثة الميت» جديرة، خاصة بعد أن أزعنا البوليس عن كاهلنا، ومن الناحية الاجتماعية تسبب غيابك في تعليقات متناقضة؛ فالنادى كان يدافع عنك لكن الجيران والعجوز الذي يسكن فوق...

- لا تقل لي إن العجوز حضر هذه السهرة.

- لا يمكن تسميتها سهرة على الميت، فلقد سمحوا لنا بالإبقاء على جثة الطفل حتى منتصف اليوم، وبعد ذلك جاء دور إدارة الخدمة الوطنية التي اتسمت بالفعالية والسرعة. وهذا قول واجب.

- قال أوليفيرا :

- أنا أنصور ماحدث لكن ذلك ليس سببا يجعل لاماجا تنتقل من المكان دون أن نقول شيئا.

- كانت تتصور طوال الوقت أنك كنت مع بولا.

- قال أوليفيرا :

- هو ذلك إذن

- إنها أفكار يتدعها الناس، والآن نتبادل الحديث بأنا وأنت، بسببك أرى أنه من الصعب على الآن أن أقول لك بعض الأشياء، إنه تناقض - وهذا بديهي لكن هذا هو الأمر، وربما لأنها خطاب رفع فيه التكلفة بشكل زائف، وأنتم من دفعوني إلى ذلك في تلك الليلة.

- حسن يمكن أن نرفع الكلفة بينك وبين الشخص الذي كان يضاجع امرأتك.

- لقد تعبت من القول بأن ذلك ليس حقيقيا، وأنت ترى أن ليس هناك أى سبب حتى تكون هناك كلفة بيننا، وإذا ماكانت لاماجا قد ضاقت بها السبل حقا فإننى أقدر أن ذلك كان فى دائرة الألم فى تلك اللحظة، نص الوقت الذى يعانق فيه المرء نفسه ويعزينا ... لكن الأمر لم يكن هكذا، أو لا يبدو ذلك على الأقل.

- قال أوليفيرا :

- هل قرأت شيئا فى الصحيفة اليومية

- الانتماء ليست له أى علاقة، يمكننا أن نواصل حديثنا دون رفع الكلفة، هاهي، فوق المدفأة.

حقا ليس للانتماء علاقة، ألقى أوليفيرا بالجرنال وتناول كوبا آخر من الشاي، لوكا، مونتيغيدو أحييتار فى الدولا، سوف يكون معلقا دوما... وعندما يوضع كل شئ فى الشنطة ويتم حزم الأمتعة فلايمكن للمرء أن يستنتج أن (حذار : ليس كل استنتاج بمثابة برهان) لا أحد فيها يعزف شيئا، ولايجعل أوتاره تهتز، ولايجعل أوتاره تهتز.

29

- حسن، سوف أبذل جهدي لمعرفة أين ذهبت. لن تكون بعيدة عن هنا.
- قال جريجوروفيس :
- هذا سوف يكون بيت سيادتك دائما وربما تأتي أدجال Adgalle لقضاء الربيع معي.
- هي أمك ؟
- نعم. كان تلغرافا مثيرا للشجن، مع إشارة إلى اسم الله. كنت لحظتها أقرأ الآن الـ Sefer Yetzirab وأحاول تقصى التأثيرات الأفلاطونية الجديدة. أدجال هي امرأة قوية للغاية في عالم السرية cafalstica. وسوف تدور مناقشات رهيبية.
- هل نوهت لاما جا بشكل أو بآخر بأنها سوف تنتحر ؟
- حسن، النساء، كما معروف.
- بالتحديد.
- قال جريجوروفيس :
- لا أعتقد كانت تلح على موضوع مونتيديو.
- إنها بلهاء ليس معها أي نقود.
- فيما يخص مونتيديو وفيما يخص الدمية الشمعية.
- آه الدمية. وكانت تفكر هي ...
- تعتبر ذلك مؤكدا. سوف تبدى أدجال اهتمامها بالموضوع وهو ماتسميه سيادتك بالتوافق لم تكن لوثيا تعتقد أنه كان توافقا. ولا أنتم أيضا في حقيقة الأمر. قالت لوثيا لي إنه عندما اكتشفت سيادتك الدمية الخضراء ألقيت بها على الأرض وأخذت تطؤها بقدميك.
- قال أوليفيرا بحرارة :
- أكره الغباء .
- لقد غرزت الدبابيس كلها في الصدر ولم تغرز إلا واحدا في منطقة العضو. هل كنت تعرف سيادتك أن بولا كانت مريضة عندما حطمت الدمية الخضراء ؟
- نعم.
- هذا سوف يثير اهتمام أدجال للغاية. هل تعرف نظام اللوحة المسممة؟ يتم خلط السم بالالوان ويتم انتظار مطلع القمر المناسب لرسم اللوحة. حاولت أدجال ذلك مع والدها، لكن حدث تشويش وعلى أي الأحوال فإن العجوز توفي بعد ذلك بثلاثة أعوام بمرض الدفتريا. كان وحيداً في القلعة. كان عندنا قلعة في ذلك العصر وعندما شعر بالاختناق حاول

29

القيام بعملية فتح الرغامى Traqueotomia أمام المرأة بأن غرس فى نفسه أنبوباً أو شيئاً من هذا القبيل. وجوده ملقى على أول السلم. لست أدري لماذا أقص عليك ذلك.

- لأنك، على ما أظن، تعرف أن هذا لايهمنى.

- قال جريجوروفىوس :

- حقاً، يمكن أن يكون الأمر كذلك هيا لنعدّ القهوة. فى هذه الساعة يقرأ المرء أن الليل قد حل رغم أنه لايرى الظلام.

أمسك أوليفيرا بالجرنال. وبينما أوسيب يضع الكسرولة على المدفأة. أخذ يقرأ الخبر من جديد. شقراء. عمرها اثنتان وأربعون سنة. أى بلاهة فى التفكير بأن ... رغم ذلك، واضح «وبدأت أعمال إنشاء السد العالى»^(٢) فى أسوان قبل ذلك بخمس سنوات، وعلى ذلك سوف يتحول الوادى الأوسط للنيل إلى بحيرة ضخمة ومباني ضخمة سوف تكون من أجمل المباني على ظهر هذه البسيطة».

(107)

30

إنه سوء تفاهم متلما تحدثت، تشي. لكن القهوة تناسب اللحظة. هل شربت كل الكافيا؟
- سيادتك تعرف «السهر إلى جوار جثة الميت»...

- الجسد الصغير. واضح.

شرب رونالد كثيرا. كان متأثرا للغاية ولا أحد يعرف لماذا. أما بابس فكانت تشعر بالغيرة، حتى لوثيا نفسها كانت تنتظر إليه باستغراب. لكن الساعاتي الذي يسكن في السادس أتى إلينا بزجاجة المشروبات الكحولية القوية aguardiente وشربنا كلنا منها.
- هل أتى كثير من الناس؟

- انتظر. كنا أعضاء النادي، لكن سيادتك لم تكن من بينهم («لا، أنا لم أكن هناك») والساعاتي الذي يقيم في السادس، البوابة وابتنتها وسيدة كانت تشبه العثة. أمّا ساعي البريد المتخصص في توزيع التلغرافات فقد مكث بعض الوقت، ورجال الشرطة الذين كانوا يتلصصون لمعرفة هل قتل الطفل أم كانت وفاة طبيعية إلى غير ذلك.
- أنا أستغرب أن البوليس لم يتحدث عن تشريح الجثة.

- تحدث رجال البوليس عن ذلك. وقد احتجت بابس على ذلك احتجاجا فظيعا، ولوثيا جاءت امرأة، وأخذت تنظر بعض الوقت وتلمس الجثة ... لم يكن في السلم مكان ليسعنا جميعا وكان البرد شديدا. لقد فعل البوليس بعض الأشياء، لكنه بعد ذلك تركنا في حالنا. ولست أعرف كيف وصلت شهادة الوفاة إلى حافظة نقودي، إذا ما أردت أن تراها.

- لا، واصل الحكاية، فأنا أنصت إليك رغم أنه لا يبدو ذلك. احك ولاشي أكثر، تشي. إنني شديد التأثر. هذا لا يلاحظ على لكن يمكن أن تصدقني. أنا أنصت إليك هيا أيها العجوز، أنا أتخيل المشهد بالكامل، لن تقول لي إن رونالد لم يساعد في إنزال الجثة على السلم.

- نعم فعلها هو وبيريكو والساعاتي. أما أنا فكانت أرافق لوثيا.

- من الأمام.

- وكانت بابس في آخر الطابور مع إيتين.

- من الخلف.

- وخلال المسافة بين الدورين الرابع والثالث سمعت ضربة قوية. قال رونالد إن

30

العجوز الذى يسكن الخامس هو الذى فعلها وأنه ينتقم. عندما تصل أمى سوف أقول لها بأن تنشئ علاقة مع العجوز.

- أمك ؟ أذجال ؟

- إنها أمى، التى فى الهرسك. هذا المنزل سوف يروق لها. إنها شديدة الحساسية فى التلقى. وقد حدثت أشياء كثيرة فى هذا المكان... فأنا لا أقصد الدمية الخضراء فقط.

- لنر، اشرح لماذا أمك شديدة الحساسية. لنتحدث، تشى، لابد من حشو الشلّت. املاها بالسؤال.

(- 57)

31

تخلّى جريجوروفيفوس منذ وقت طويل عن توهمه الفهم، وعلى أى الأحوال كان يروق له أن يكون لسوء الفهم نوع من النظام أو السبب، وأيا كانت حالة اللعب بأوراق التاروت فإن فتحها كان عملية استنتاجية دوماً، وكانت تتم على مستطيل ترابيزة أو فوق مغرش السرير. إنها محاولة يتمكّن فيها من يتناول هذا المشروب الكريه القادم من السهول فى أمريكا الجنوبية من الكشف عن النظام الذى يكمن وراء هيامه على وجهه. أو أن يختره فى التوّ على أسوأ حال. وبعد ذلك قد يكون من الصعب عليه الهروب من خيوط العنكبوت، وبين جرعة الشاي والأخرى كان أوليفيرا يركّز حتى يتذكر أى لحظة من الماضى أو يجيب على أسئلة. وكان من جانبه يسأل باهتمام ساخر بتفاصيل الدّقن وتصرفات الناس، وقليلاً ما كان يشير إلى لاماجا، لكن كان يرى أنه كان يشك فى أن هناك إحدى الأكاذيب، مونتيديو، لوكا، ركن فى باريس. قال جريجوروفيفوس لنفسه إن أوليفيرا لو عرف أين هى لوثيا فسوف يخرج مسرعاً. يبدو أنه متخصص فى القضايا الخاسرة، بخسرها أولاً ثم يتراجع كالمجنون ثانياً.

- قال أوليفيرا وهو يغير الأعشاب :

- سوف تسعد أذجال بفترة إقامتها فى باريس إذا ماكانت تبحث عن الجحيم فما عليك إلا أن تبين لها واحدة من تلك الأشياء، وليكن هذا فى مستوى متواضع بالطبع، لكن الجحيم أصبح زهيد الثمن. فالرحلات إلى الجحيم الآن : هى رحلة فى المترو فى السادسة والنصف أو الذهاب إلى مخفر البوليس لتجديد رخصة الإقامة.

- بالنسبة لسيادتكم لكم يروق لك أن تعثر على المدخل الكبير أليس كذلك؟ الحوار مع أياكس Ajax ومع جاك كليمنت^(١) Jaques Clement ومع كيتل Keitel ومع ترويمان Troppmann.

- نعم، لكن الفتحة الأكثر اتساعاً هى فتحة الحوض. حتى إن ترافل نفسه لا يفهم، انظر فيما إذا كان ذلك شيئاً قليلاً، ترافلز هو صديق لا تعرفه أنت.

- قال جريجوروفيفوس - وهو ينظر إلى الأرض :

- حضرتك، تخفى اللعبة.

- مثلاً ؟

- لا أدري، هى اختلاجة. فأنت لاتفعل شيئاً منذ أن عرفتك إلا البحث، لكن يواتينى الإحساس بأنك تضع فى جيبك ماتبحث عنه.

- لقد تحدث المتصوفة عن ذلك لكن دون أن يذكرها الجيوب.

31

- وفى الوقت نفسه تسهم فى تعكر صفو حياة عدد من الناس.
- إنهم يسمحون بذلك أيها العجوز، ولست بحاجة إلا لإحداث دفعة صغيرة وأدخل وكل شئ مهيا، ليس هناك قصد سيئ.
- لكن ما الذى تقصده من وراء ذلك يا أوراثيرو؟
- حق المدينة.
- هنا ؟
- إنه نوع من المجاز. ولما كانت باريس مجازا آخر (لقد سمعتك تقولها ذات مرة) يبدو لى من المناسب أننى جئت من أجل ذلك.
- لكن لوثيا ؟ وبولا ؟
- قال أوليفيرا :
- كميات غير متجانسة، تعتقد سيادتك أن طبيعتهن الأنثوية تسمح بوضعهن فى نفس الطابور. وهاتان، ألا تبحثان أيضا عن سعادتهما؟ وسيادتك أيها المتزمت المفاجئ أليس وجودك هنا بفضل إلهاب سحائى أو بفضل المرض الذى قد وجدوا الطفل مريضا به ؟ الحمد لله أن كلينا ليس من عشاق التظاهر بما ليس فينا، وإلا لكان أحدا قد خرج ميتا بينما يخرج الآخر وقد وضعت فى يده الكلابشات. وهذا شئ أساسى عند شولوكوف^(١) صدقنى. لكننا لانتقز بعضنا. المرء يشعر بحماية شديدة فى هذه الغرفة.
- قال جريجوروفىوس وقد عاد ينظر إلى الأرض من جديد :
- حضرتك، إنك تخفى اللعبة.
- يا أختى إيلوثيدا، سوف تصنع لى معروفا.
- أصر جريجوروفىوس :
- حضرتك لديك فكرة إمبريالية فى قاع رأسك. حق المدينة الخاص بك؟ سيطرة مدينة. إن حنقك: طموح أسوأ علاج، لقد أتيت إلى هنا لتعثر على تمثالك وهو ينتظر فى أحد جوانب ميدان بوفين Dauphine، لكن مالا أفهمه هو التقنية الخاصة بك. الطموح. لم لا؟ إنك متميز للغاية فى بعض الجوانب. لكن كل مارأيتك تفعله حتى الآن كان عكس مايمكن أن تقوم به طموحات أخرى. هناك إيتين على سبيل المثال، ولندع الحديث عن بيريكو.
- قال أوليفيرا :
- آه إن عينيك تفيدانك فى شئ على ما يبدو.

31

- كرر أوسيب :

- عكس ذلك تماما لكن دون التخلي عن الطموح. وهذا مالا أفهمه.

- أوه، الشرح، حضرتك تعرف ... كل شيء شديد الغموض يا أخي. ولنقل إن هذا الذي تسميه طموحا لا يمكن أن يؤتى ثماره إلا من خلال الرفض. هل تروق لك التركيبة؟ ليس ذلك لكن ما أريد قوله هو بالتحديد مالا يمكن قوله. لابد من اللف والدوران كالكلب الذي يبحث عن ذيله. ومن خلال ذلك ومع ماقلته لك عن حق المدينة يجب أن يكون كافيا بالنسبة لك يابن دولة الجبل الأسود.

- أفهم ولكن بطريقة فيها الكثير من العتامة. إذن حضرتك ... لكن يكون طريقا مثل الذي يسلكه من هو واسع الثقافة أو شيئا من هذا القليل. أمل ذلك.

- لا، لا،

- إنه رفض علماني لنقله هكذا؟

- ولذلك. إنني لا أرفض شيئا. بل إنني - وببساطة - أفعل مافي وسعى حتى ترفضني الأشياء. ألا تعرف أنه لكي تفتح نقبا يجب أن تتولى إخراج التراب وإبعاده ؟

- لكن حق المدينة، إذن ...

- بالضبط، ها أنت تضع الإصبع على الجرح. تذكر قوله «لأنكون من هذا العالم» عليك الآن أن تقوم بترفيعه (برّيه) ببطء شديد.

- هو طموح يضرب بكل شيء عرض الحائط، ثم العودة من جديد إذن ؟

- شيء قليل، لحظة من ذلك، لا يكاد يصل إلى جزء، شيء لاقيمة له. أه أيها العبوس ابن ترانسلفانيا.

- غمغم جريجوروفوس وهو يبحث عن الباب :

- حضرتك والآخرين غمغم جريجوروفوس وهو يبحث عن الباب - يالها من قلة ذوق - لصوص أبيض، وفخاخ الفضاء، كلاب الله وشعوب تمشي على السحب. الحمد لله على أنني أتمتع بالثقافة ، ويمكنني تعدادهم. خنازير نجّمية.

- قال أوليفيرا:

- إنك تشرفني بهذه الأوصاف، وهذا دليل على أنك أخذت تدرك جيدا.

- ياه، إنني أفضل استنشاق الأوكسجين والهيدروجين بنفس النسب التي هيأها الله! فقدراتي وتفاعلاتي الكيماوية هي أقل بكثير من التي عليها حضراتكم. والشئ الوحيد الذي يهمني هو الحجر الفلسفي. وهو شيء بسيط بالمقارنة بفخاخكم

31

وأحواضكم واستنتجاتكم الوجدية.

- منذ فترة طويلة لم يدر بيننا حوار جيد حول الميتافيزيقا، أليس كذلك؟ لم يعد هناك صلة بين الأصدقاء، بل أصبح هذا السير على الموضة، فرونالد يفزع منهما. أما إيتين فلا يخرج من المجموعة الشمسية. أشعر بأننى فى وضع جيد مع سيادتك.

- قال جريجوروفوس :

- فى الحقيقة قد كان من الممكن أن نصبح أصدقاء إذا ماكان عند سيادتك شئ من البشرية. وأظن أن لوثيا قد قالت ذلك لك أكثر من مرة.
- كل خمس دقائق، يلعب الناس كثيرا بكلمة «إنسانى»، لكن لاما جا، لماذا لم تبق مع سيادتك الذى تشع إنسانية ؟

- لأنها لاتحبني؛ فالإنسانية فيها متسع لكل شئ.

- وسوف تعود الآن إلى مونتيديو وسوف تسقط فى تلك الحياة التى ...
- ربما ذهبت إلى لوكا. وسوف تكون فى وضع أفضل فى أى مكان مما هو معك.
وهو نفس ماحدث مع بولا أو مع الآخرين. ولتعذرني على صراحتي.

- لكن هذا جيد يا أوسيب أوسيفيتش. ممّا نخدع بعضنا ؟ فلا يمكن العيش إلى جوار عرائس الظل وإلى جوار مروض العثة. فلا يمكن قبول رجل يقضى نهاره وهو يرسم بالحلقات المتموجة الألوان التى تحدثها قطرات البترول فى مياه نهر السين. فأنا ومعنى أفعالي ومفاتيحي المصنوعة من الهواء، أنا أكتب باستخدام الدخان. وسوف أوفر عليك الرد لأننى أراه : لاتوجد مواد أكثر صرامة من تلك التى تدخل فى أى مكان وتتنفس دون أن تدري فى الكلمات أو الحب أو الصداقة. لقد أن الألوان لكى يتروكونى وحدي، ووحدى. وسوف تقرر أننى لا أمسك بتلابيب أحد. تنازل يابن البوسنة. وربما لن تعرفنى فى المرة القادمة عندما ترانى فى الشارع.

- أنت مجنون يا أوراثيرو. أنت مجنون بغياء. لأن ذلك يروق لك.

أخرج أوليفيرا من جيبه قصاصة من جريدة كانت هناك، منذ متى ؟ لايعرف : إنها تتضمن قائمة بالصيدليات الليلية التى تلبى طلبات الجمهور من الثامنة مساء الاثنين حتى الثلاثاء فى نفس الساعة.

- الجزء الأول - قرأ - ريكولكيستا 446 (5488 - 31) قرطبة 336 (8845 - 32) إسميرالدا 599 Esmeralda (1700 - 31) سارمينتو 581 Sarmiento (2021 - 32).

31

– ما هذا ؟

– التماسات الواقع. أشرح لك : استعادة الأرض Reconquista هي شيء فعلناه مع الإنجليز. أما قرطبة فهي الضليعة. وإيسميرالدو فهي الغجرية التي شنت بسبب حبها لرئيس الشماسة. أما سارمينتو فقد أخرج ربحا ذهب مع الريح. الكويليه الثاني : Recon- quista فهو شارع الحمص والمطاعم اللبنانية. وقرطبة هي الكعك الرائع. وإيسميرالدو هي نهر كولومبي. سارمينتو لم يتغيب عن المدرسة أبدا. الكويليه الثالث : Reconquista صيدلية. إسميرالدو صيدلية أخرى وسارمينتو صيدلية. الكويليه الرابع

– وعندما أصر على أنك مجنون فهو أنني لا أرى مخرجا لرفضك الشهير.

– فلوريدا 620 (2200 – 31).

– لم تذهب إلى الجنازة، فرغم أنك ترفض أشياء كثيرة إلا أنك غير قادر على أن تنظر إلى أصدقائك وجها لوجه.

– إيبوليتو يريجوين Hipálito Yrigoyen 749 (0936 – 34).

– ولوليا هي في وضع أفضل عندما تكون في قاع النهر وليس على سربرك.

– لوليفار 800. رقم التليفون غير واضح. فإذا مامرض طفل من أطفال الحي فلن يتمكنوا من الحصول على التراميسين.

– في قاع النهر، نعم.

– كورينتنس Corrientes 117 (1468 – 35).

– أو في لوكا أو في مونتيفيديو.

– أو في ريبادافيا Rivadavia 1301 (7841 – 38).

– قال جريجوروفويوس وهو ينهض :

– احتفظ بهذه القائمة من أجل بولا سوف أخرج، أما سيادتكم فافعل ما بدا لك. فلست في منزلك لكن لما لم يكن هناك وقع لأي شيء. وعلى المرء أن يبدأ من الصفر إلخ اختر لنفسك ماتريد من هذه الأوهام. سوف أنزل لأشتري زجاجة من المشروبات الكحولية aguardiente. لحق به أوليفيرا وهو على الباب ووضع كفه على كتفه.

– قال وهو ينظر إلى وجهه ويبتسم :

– لأفال lavalle 2099 Cangallo كانجايو 1501 بويرريدون Pueyrredon 53.

– قال جريجوروفويوس :

– لاتوجد أرقام التليفونات.

31

- قال أوليفيرا وهو يرفع يده :

- أخذت تفهم فى جوهر الأمر تعرف سيادتك أننى لايمكننى أن أقول لك شيئاً ولا لأحد آخر.
توقفت الخطوات عند مستوى الدور الثانى «سوف يعود» - فكر أوليفيرا «إنه يخشى
أن أحرق له السرير أو أمزق الملابس، ياله من مسكين» وبعد لحظة واصلت الخطوات
نزول السلم.

جلس على السرير ونظر فى الأوراق التى فى درج الكومودينو فوجد رواية لبيريث
جالدوس^(٣) وفاتورة من الصيدلية. كانت ليلة الصيدليات. وبعض الأوراق التى عليها
كتابات بالرصاص. لقد أخذت لاماجا كل شئ، لكن بقيت رائحة من الأمس وهى رائحة
ورق الحائط والسرير ذو المفروش المقلّم ورواية لجالدوس، أى فكرة. وعندما لم يكن فىكى
يوم^(٤) Vicki Baun كان روجرمارتين دى جارد Roger Martin du Gard ومن هناك القفزة
غير المفهومة إلى تريستان الإيرميت^(٥) Iristan L'Hermite، وطوال ساعات يكرر «أحلام
المياة التى تحلم» أو لوحة عليها Pantungs أو قصص شويتز Schwitters، وهى نوع من
الفدية أو التوبة فى أرقى درجاتها وأكثر سرية وفجأة السقوط فى جون دون باسوس
Johon Dos Passos وقضاء خمسة أيام يلتهم كميات كبيرة من الحروف المطبوعة.
- كانت الأوراق التى عليها آثار أقلام الرصاص عبارة عن رسالة.

(- 32)

32

بيبي ياروكامادور، بيبي بيبي، ياروكامادور :

ياروكامادور، أعرف أن ذلك يشبه المرأة؛ فانت تنام أو تنظر إلى قدميك، أما أنا فأمسك بمرأة وأعتقد أنك أنت، لكني لا أصدق. أكتب لك لأنك لاتعرف القراءة، ولو كنت تعرفها لما كتبت لك أو أكتب لك عن أشياء مهمة. وسيكون على ذات يوم أن أكتب لك بأن تتصرف جيداً أو أن تتدثر، يبدو أنه غير قابل للتصديق ياروكامادور ذات مرة. أكتب لك الآن على المرأة ومن حين لآخر أقوم بتجفيف إصبعي لأنه يبتل بالدموع. لماذا ياروكامادور؟ أنا لست حزينة، أمك هي «الوحشة»، لقد التهمت النيران منى el borch الذى أعدده لأوراثيو. سيادتك تعرف من هو أوراثيو ياروكامادور. إنه السيد الذى أحضر لك الأرنب المصنوع من القماش المخملى يوم الأحد. وكان يشعر بكثير من الملل ذلك أن كلينا كنا نتحدث مع بعضنا، وكان هو يريد العودة إلى بابس، وعندئذ أجهشت بالبكاء فما كان منه إلا أن أظهر لك كيف أن أذن الأرنب اللعبة تتحرك. كان جميلاً فى هذه اللحظة، أريد أن أقول إنه أوراثيو. وسوف تفهم يوماً من الأيام ذلك الوضع ياروكامادور.

ياروكامادور، من البلاهة البكاء بهذا الشكل، لأن الـ borsch قد التهمت النيران. الحجرة مليئة بالنجر السكرى ياروكامادور، وسوف تتسلى إذا مارأت قطع البنجر والكريمة وقد ألقت بكل شئ على الأرض. الحمد لله، فعندما يصل أوراثيو أكون قد انتهيت من تنظيف المكان. لكن على أولاً أن أكتب لك. فالبكاء بهذه الطريقة فيه بلاهة شديدة. إذ تلين الكسورلات وترى وكأنها هالات منعكسة على زجاج النافذة. ولم نعد نسمع غناء الفتاة التى تسكن فوق، والتى تغنى طوال اليوم أغنية - Les amants du Hav- re «عشاق ميناء الهافر»، وعندما نكون سوياً سوف أغنيها لك. اسمع Puisque la terre es rond, mon amour t'en fait pas, monamour t'en fait pas ... لاتقلق يا حبيبي طالما أن الأرض مستديرة».

إن أوراثيو يغنى تلك الأغنية صفيراً عندما يكتب أو يرسم، وسوف تروق لك ياروكامادور، سوف تروق لسيادتك. يغضب أوراثيو كثير لأننى أحب الحديث عنك قبل بيريكو. لكن الوضع فى أوروجواى مختلف، بيريكو هو ذلك السيد الذى لم يحضر لك شيئاً ذلك اليوم لكنه كان يتحدث كثيراً عن الأطفال والتغذية. هو يعرف أشياء كثيرة. وسوف يأتى اليوم الذى تحترمه كثيراً ياروكامادور، وسوف تكون غيباً إذا ما إحترمت. إذا ما احترمت. إذا ما احترمت ياروكامادور.

32

ياروكامادور، إن مدام إيريني ليست مَسْرُورة من كونك لذيذا وسعيدا وكثير البكاء والصياح والتبول. تقول هذه السيدة إن كل شيء على مايرام، وإنك طفل تثير الإعجاب، وبينما تتحدث تضع يديها في جيوب المريلة كما تفعل بعض الحيوانات الخبيثة. وهذا ما يخيفني ياروكامادور، وعندما قلت ذلك لأوراثيو ضحك كثيرا. لم يع أنني أسفت لذلك وأنه بالرغم من عدم وجود أى حيوان خبيث يخبئ يديه فإني أشعر، لا أعرف ما أشعر به، فلست قادرة على تفسيره. أه ياروكامادور لو أستطيع أن أقرأ في عينك ما حدث لك خلال الخمسة عشر يوما، لحظة بلحظة. أعتقد أنني سوف أبحث عن قابلة جديدة رغم أن أوراثيو قد يثور ويرغى ويزبد لكن لا تهتم بما يقوله عنى. ستكون مربية لاتتحدث كثيرا ولا يهتم ماذا تقوله فيما إذا كنت سينا أو أنك تبكى ليلا أو أنك لاتريد تناول الطعام. لا يهتم أنها ليست خبيثة عندما تقول لى ذلك، أو تقول لى شيئا لا يمكن أن يؤذيكَ. كل شيء غريب ياروكامادور، فمثلا يطيب لى النطق باسمك وكتابته فى كل مرة ألمس فيها طرف أنفك فتضحك. أما مدام إيريني فهي عكس ذلك؛ إذ لاتناديك باسمك أبدا؛ إذ تقول «الطفل» تصوّر، إنها تقول «الطفل» ويقول «هذا الصعلوك» وكأنها قد وضعت قفازا من الكاوتش لتتحدث. وربما لبست القفاز، ولذلك تضع يديها فى المريلة، وتقول إنك جميل وطيب.

هناك شيء اسمه الزمن ياروكامادور. إنه عبارة عن حيوان يسير ويسير، لا يمكن لى أن أشرح لك هذا فأنت صغير جدا، لكنى أريد القول بأن أوراثيو سوف يصل على الفور.

هل أتركه يقرأ رسالتى حتى يقول لك شيئا هو الآخر؟ لا، أنا أيضا لا أريد أن يقرأ أحد رسالة كتبته لنفسى فقط، إنها سر كبير بيننا ياروكامادور. أنا لم أعد أبكى، أنا سعيدة، لكن من الصعوبة بمكان فهم الأمور. فأنا فى حاجة إلى وقت طويل لأفهم القليل من ذلك الذى يدركه أوراثيو والآخرين على الفور. ورغم ذلك فهؤلاء الذين يفهمون الأمور بشكل جيد لا يستطيعون فهمك وفهمى. فهم لا يفهمون أنني لا يمكن أن أبقيك معى وأطعمك وأغير لك اللقمة وأعمل على أن تنام أو أن تلعب. لا يفهمون، وهذا لا يهتمهم فى الواقع. لكنى أنا التى يهمنى ذلك كثيرا. أعرف أنني لا يمكن أن أبقيك معى، فذلك غير سليم بالنسبة لكلينا. فعلى أن أكون بمفردى مع أوراثيو وأعيش مع أوراثيو، لست أدري إلى متى، وأساعده فى البحث عما يبحث عنه، وأنت أيضا تبحث ياروكامادور، فسوف تكون رجلا، وسوف تبحث كالبه كبير.

32

الأمر هكذا ياروكامادور : في باريس نبدو كأننا طحالب، وننمو على درابزينات السلالم، ونقضى الوقت في حجرات مظلمة تغوح منها رائحة الشحوم حيث يقوم الناس بممارسة الحب طوال الوقت، ويعد ذلك يقومون بقلّ البيض ويستمعون لأسطوانات فيفالدى Vivaldi ويشعلون السجائر ويتحدثون مثل أوراثيو وجريجوروفيفوس وونج وأنا ياروكامادور، ومثل يريكو ورونالد وبابس. نقوم جميعا بممارسة الحب وقلّ البيض وندخن، أه، لا يمكنك أن تعرف كل ماندخنه والحب الذى نمارسه واقفين أو مستقلين أو على الركبتين وباليدين والفم ونحن نيكى أو نغنى، وفى الخارج يوجد كل شئ، فالنوافذ تفتح على الهواء وهذا يبدأ بطائر الدورى، أو تسرب المياه، يسقط المطر بكثرة هنا ياروكامادور أكثر من الريف؛ فتصدأ الأشياء والقنوات وأرجل الحمام والسلوك التى يستخدمها أوراثيو فى صناعة بعض المنحوتات. لا تكاد توفر لدينا ملابس، ونحاول الاكتفاء بالقليل منها مثل معطف جيد وهذا لا يتسرب المياه إلى داخله، إننا قذرون جدا، كل الناس قذرون وبهم جمال فى كل باريس ياروكامادور. والأسرة فيها رائحة الليل ورائحة الكوابيس وتحتها كتب وزنايبير. وأوراثيو ينام وينتهى المطاف بالكتاب تحت السرير. هناك مشاجرات رهيبية؛ ذلك أن الكتب تختفى ويظن أوراثيو أن أوسيب سرقها منه، ثم تعود للظهور من جديد وتضحك. ولا يوجد مكان لى شئ ولاحتى زوج من الأحذية ياروكامادور. وحتى يمكن وضع طشت الغسيل على الأرض لابد من رفع جهاز الأسطوانات لكن أين نضعه إذا ماكانت الترابيزة ممثلة بالكتب. أنا لايمكن لى أن أبقى هنا، ورغم أنك قد تكون صغيرا فلايمكن أن يكون هناك متسع لك، إذ ستصطدم بالحوائط. وعندما أفكر فى ذلك أجهش بالبكاء ولايفهم أوراثيو ويظن أنني سيئة. وأنه غير سليم ما أفعله بعدم إحضارك معى هنا رغم أنني أعرف أنه قد لايتحمل وقتا طويلا. لا أحد هنا يتحمل وقتا طويلا. بما فى ذلك أنا وأنت، يجب العيش فى صراع، إنه القانون، والطريقة الوحيدة المجدية، لكنها تؤلم ياروكامادور، وهذا قذر وممر. ذلك لايروق لك أنت الذى ترى أحيانا الخراف الصغيرة فى الريف أو تسمع العصافير وهى تقف على دواة الرياح فوق المنزل. إن أوراثيو يعاملنى على أنني عاطفية، وعلى أنني مادية، وعلى أنني كل شئ، وذلك لأنى لا أحضر أو لأنى أريد إحضارك، لأننى أتنازل. ذلك أنى أريد أن أحضر لأراك، وفجأة أفهم أنه لايمكن لى الذهاب ولأنى قادرة على السير ساعة كاملة تحت المطر إذا ماعرفت أن فى أحد الأحياء يعرض فيلم بوتيمكين Potemkin ولابد من مشاهدته حتى لو سقطت السماء

32

على الأرض ياروكامادور، ذلك أن العالم لا يهتم إذا لم يكن عند المرء القوة ليوصل اختياره لشئ حقيقى وإذا ما قام المرء بتنظيم نفسه وكأنه درج ويضعك أنت فى ناحية والأحد فى ناحية وحب الأم واللعبة الجديدة و La gare لموباسان. والقطار والزيارة التى يجب القيام بها. لا أرغب فى الرحيل ياروكامادور وأنت تعرف أن ذلك جيد ولست حزينة. أورايشو على حق فأننا لا أهتم أحيانا بأى شئ يتعلق بك، وأعتقد أنك سوف تشكر لى هذا يوماً ما عندما تفهم وعندما ترى أن من المناسب أن أكون على ما أنا عليه. لكننى فى الوقت نفسه أبكى ياروكامادور، وأكتب لك هذه الرسالة فلست أدرى وربما كنت مخطئة وربما كنت سيئة أو أننى مريضة أو بى بعض الحماقة، القليل منها، ورغم ذلك فهذا شئ فظيع. الفكرة نفسها تصيبنى بمغص، فأصابع القدم عندى أصبحت كلها فى الداخل. وسوف أمزق الحذاء إذا لم أستطع إخراجها، وأحبك كثيراً ياروكامادور، يابيبى روكامادور، يافص الثوم، أحبك كثيراً أيها الأنف السكرى، أيها الشجيرة، أيها الحصان اللعبة ..217..

(-132)

33

«تركنى وحدى عمداً»، فكر أوليفيرا وهو يفتح ويغلق درج الكومودينو» إما أن يكون لطفاً أو سفالة من أخط الأنواع، وهذا طبقاً لوجهة نظره. فربما كان يقف على السلم ويتصنعت كئنه سادى عتيد. ينتظر الأزمة الكرامازوفية الكبرى، والهجوم التيليني Celinesco أو أنه يسير على أحد أطراف قدميه الهرسكية، وعند الكأس الثانية Kusch أى فيما يتعلق بـ Bebert يعد التاروت الذهبى وي طرح تقاليد صعود أذجال. إنه تعذيب للجسد على مذبح الأمل: مونتيغديو، نهر السين، أو لوكا. وتنويعات أخرى: المارنى Marne و Perugs لكن عندئذ، سيادتك، فى واقع الأمر....».

أشعل سيجارة جلوان مستخدماً ما بقى من السيجارة السابقة، ونظّره فى الدّرج مرة أخرى. أخرج الرواية وهو يفكر بشكل غامض فى الأسى وهو موضوع النظرية. الأسى لنفسه: كان ذلك أفضل «لم ابغ السعادة أبداً» فكر وهو يقلّب صفحات الرواية بطريقة بغير انتباه: ليس ذلك حجة أو تبريراً... لسنّا فى هذا العالم إذن. لماذا ساشعر بالأسى نحوها؟ هل لأنى وجدت رسالة موجهة لابنها وفى الحقيقة هى فى الأساس إلىّ أنا؟ أنا، مؤلف الرسائل الكاملة إلى روكاما دور. لا يوجد أى سبب للشعور بالأسى. فأينما كانت تظل شعرها كأنه برج يكونى من بعيد وتمزقنى بغيابها. تريدن تريدنا. سوف تنظم أحوالها جيداً بدونى وبدون روكامادور. إنها ذبابة زرقاء رائعة تطير نحو الشمس وتصطدم أحياناً بالزجاج، ينزف أنفها. وتحدث المأساة. وبعد ذلك بدقيقتين تستعيد سعادتها وتقوم بشراء تمثال صغير من إحدى المكتبات، وتعود جرياً وتضعه فى ظرف وترسل به إلى واحدة من صديقاتها الهائيات اللاتى لهن أسماء إسكندنافية واللاتى انتشرت فى بلاد غاية فى الغرابة. كيف يمكن أن تأسى لحال قطة أو لحال لبؤة؟ إنها ماكينات الحياة والبرق الكامل. وخطئى الوحيد هو أننى لم أكن قابلاً للاحتراق بما فيه الكفاية حتى يمكن لى تدفئة يديها ورجليها كما تريد. إنها اختارتنى كالعليقة المشتعلة وأنا الآن بالنسبة لها إناء ماء تحمله على عنقها، مسكينة، بالكارثة.»

فى سبتمبر عام 80، بعد شهور قليلة من وفاة/ والأشياء التى تقرئنها هى قصة مكتوبة بشكل سيئ للأسف/ والذى، قررت الابتعاد عن عالم التجارة، وتركته/ طبعه

34

فاسدة، ويتساءل المرء كيف يمكن أن يهتم/ إلى شركة أخرى تقوم بصناعة نبيذ Jereg لها سمعتها الطيبة مثل تجارتي؛/ بشئ من هذا القبيل. والتفكير في أنه قد انقضت ساعات كاملة يلتهم/ قمت بطلب الائتمانات بما استطعت، وأجرت العقارات ونقلت/ هذه الشورية الباردة وفاسدة الطعم، الكثير من القراءات التي لا تُصدق،/ الخُمَارات ومتعلقاتها، وذهبت للعيش في مدريد./ وهى مَجَلَّتى Fnano Sain و Elle ، المجلات الحزينة التي كانت تعيرها لها/ أما عمى (العمومة من الأب) السيد رفائيل بوينو/ بابس. وذهبت للعيش في مدريد وأتصور أنه بعد أن/ جوثمان وأتايدي، فقد أراد لى أن أسكن في منزله إلا أنني. التهمت خمس أو ست صفحات ينتهى الأمر بالمرد بداخل التروس مع بعضها/ قاومت ذلك حتى لا أفقد استقلالى. وتمكنت فى نهاية الأمر/ ومن الصعب عليه البعد عن القراءة، وهو أمر قريب بعض الشئ من عدم التمكن/ من التوصل إلى حل وسط، موفقاً بين/ من النوم أو التبول، إما الإزعاج أو السيطا أو اللعاب./ حريتى المريحة وبين احترام رغبة قريبي/ استطعت فى النهاية التوصل إلى حل وسط، يالها من لغة/ بأن استأجرت حجرة قريبة من مسكنه ووضعت نفسى/ مكونة من جمل سابقة السك وذلك لنقل أفكار شديدة التعقّن./ فى المكان المناسب حيث يمكن لى أن أكون بمفردى عندما أريد أو التمتع. والعملات من يد ليد ومن جيل عفونة،/ بدفء الجو الأسرى عندما يكون ذلك ضروريا كان يعيش/ بأقصى حالات الاضطراب اللغوى الاستمتاع بدفء الجو الأسرى/ السيد الطيب، أريد القول. كنا نعيش فى الحى الذى/ ذلك جيد، حقا إنه جيد. أه ياما كيف أمكنك ابتلاع/ بنى فى المكان الذى كانت به صوامع الغلال. أما حجرة/ هذه الشورية الباردة وما معنى الصوامع؟ نشئ. قضيت ساعات طويلة/ عمى فقد كانت رئيسية بسعر ثمانية عشر ألف ريال، كانت حجرة جميلة وجوها مرح،/ وأنا أقرأ هذه الأشياء، وربما كنت على قناعة بأنها كانت/ إلا أنها لا تكفى لعدد كبير من أفراد الأسرة. أما أنا فقد أخذت الدور الأرضى، الحياة، وكنت على حق إنها الحياة، ولهذا يجب القضاء/ الذى هو أقل بعض الشئ من الرئيس، لكنه واسع/ عليها. (الرئيس، ما هو ذلك؟). وفى بعض

34

الأمسيات/ بحيث يزيد عن حاجتى وحدى، وزينته بأبهى أنواع الزينة ووضعت فيه، خطر لى أن أتأمل كل الفترينات الموجودة فى/ كل وسائل الراحة التى تعودت عليها./ القسم المصرى الكائن فى اللوفر، وكنت أعود وأنا شديد الرغبة فى تناول الشاي/ حمدا لله أن كان ما معى من المال يكفينى وزيادة./ والخبز بالسكرا، كنت ملتصقة بالنافذة، ومعك/ كانت انطباعاتى الأولى هى الشعور بالمفاجأة الطيبة فيما يتعلق/ قصة ضخمة وغير جيدة، وأحيانا ما يصل بك الأمر إلى البكاء، نعم/ بشكل مدريد؛ حيث لم أكن أعيش هناك منذ/ لا تنفى ذلك، كنت تكيّن ذلك أنهم قاموا بقطع رأس/ زمن جونثا لوبرابو^(١). وما كان مثار العجب/ أحد ما فكيف تحضينى بكل ما أوتيت من قوة، وكنت تريد أن تعرفى/ هو جمال واتساع الأحياء الجديدة والوسائل/ إلى أين ذهبت لكنى لم أقل لك ذلك لأنك كنت/ التجريبية للاتصال، والتحسّن الواضح على/ عبارة عن عبء فى متحف اللوفر، ولا يمكن السير وأنت إلى جانبى./ واجهة المباني، والشوارع وحتى الناس./ كان جهلك يتسبب فى تعكير صفو أى متعة أيتها المسكينة/ والحدائق الرائعة الجمال التى أنشئت فى الميادين/ وحقيقة السبب فى ذلك هو أنك كنت تقرئين قصصا كبيرة وسيئة كانت عندي/ التى كانت متربة، وكذلك المباني الفخمة التى أقامها الأغنياء وكذلك/ على سبيل الأنانية (الميادين المتربة)، إننى أفكر فى/ المحلات الكثيرة والفخمة وهى ليست أقل من/ ميادين القرى التابعة للمحافظات أو فى شوارع لاديوخا/ تلك التى توجد فى باريس أو لندن وهى ترى من الخارج، وأخيرا هناك/ عام اثنين وأربعين، حيث الجبال البنفسجية اللون عند مغيب الشمس/ وفرة من المسارح الجميلة المهيأة لكل الطبقات والأذواق والقدرات المالية./ تلك السعادة المثلثة فى أن يعيش المرء وحده فى أبعد منطقة فى العالم، والمسارح/ وقد جعلنى هذا الذى لاحظته على المجتمع بعد ذلك/ الجميلة. عن أى شىء يتحدث ذلك النمط؟ لقد أشار هنا إلى/ أدرك التغيرات الحارة التى طرأت على/ إلى باريس وإلى لندن، وتحدث عن الأنواق عن الثروات/ عاصمتنا منذ عام ٦٨: إن التقديم كان يشبه القفزات/ ها أنت ترين يا ماجا ها أنت ترين. فهذه العيون تجر نفسها/ التى تتم كيفما اتفق بمثابه السير يخطى ثابتة من تلك التى يقوم بها من/ بشكل ساخر وتذهب إلى حيث تذهبين وقد اعتركت الانفعالات، وأصبحت مقتنعة/ يعرفون إلى أين هم

34

ذهابون؛ إلا أنها لم تكن مع ذلك أقل واقعية. فى/ بأنك كنت ترتكبين عملا بربريا؛ لأنك كنت تقرئين/ كلمة واحدة شعرت بحساسية فى أنفى من ثقافة الأوربيين./ لأحد الروائيين الإسبان الذى تظهر صورته على الغلاف من الداخل./ والحياة الرغدة والثروة والعمل.

لكن النمط كان يتحدث عن حساسية من الثقافة الأوربية والعمل، وكنت/ عمى هو رجل أعمال شهير فى مدريد./ مقتنعة بأن تلك القراءات تساعدك على فهم/ كما شغل مناصب هامة فى زمن سابق فى/ الكون الصغير والكون الكبير، وغالبا ما كان يكفى أن/ الحكومة: شغل منصب القنصل الأول، وبعد ذلك شغل منصب ملحق. أصل أناصى تقومين إلى درج الترابيرية الخاصة بك وتخرجين - فقد كان عندك/ فى السفارة، وبعد ذلك أجبره الزواج على أن يستقر به المقام فى/ ترابيزة عمل وذلك لا يمكنك أن تتركه أبدا/ البرلمان، كما خدم لبعض الوقت فى دائرة المالية بدعم وتشجيع/ فقد أدركت ماهية وطبيعة العمل الذى يمكن أن تؤديه على/ برايو موريو⁽³⁾، وفى نهاية المطاف فإن احتياجات أسرته/ هذه الترابيزة نعم، كنت تستخرجين من الدرج صفحة وعليها قصائد/ دفعته إلى التخلي عن الأمان المزعج المتمثل فى الراتب/ لـ تريستان الأيرميت T.L. Hermite، على سبيل المثال أو محاضرة لبوريس/ والدخول فى عالم الآمال والمغامرات الخاصة بالعمل الحر، وكانت/ دى شوليزير، وكنت تريبنى إياها مترددة بعض الشئ/ طموحات متواضعة، حيث الاستقامة والنشاط والألمعية والعلاقات/ وعلى شئ من الخيال، كمن اشترى أشياء عظيمة وسوف يقوم/ المتعددة. كرس جهده فى موضوعات مختلفة وبعد مرور/ بقراءتها فى الحال. لم تكن هناك حيلة/ بعض الوقت مستغرقا فى مثل تلك المهام كان يشعر بسعادة فيما يقوم به/ لأفهامك بأنك لن تصلى إلى أى شئ بهذه الطريقة/ وبأنه أجل كل الملفات إلى أجل غير مسمى وكان يعيش من ذلك/ وأن هناك أشياء قد تأخر المرء كثيرا فيها وأخرى سابقة/ مع هذا، بأن يوقظ النائمين فى الأرشيف/ لأوانها، وكنت دوما على وشك فقدان الأمل/ وباعت الهمة فى نفوس هؤلاء الذين هم على المكاتب مهين/ وفى مركز السعادة والمرح، كان/، بكل ما فى وسعه، الطريق لبعض الذين حادوا عن القضبان./ هناك ضباب كثيف فى قلبك الحائر. وباعت الهمة/ كانت صداقاته تساعدك وهى صداقات لأناس من هذا الحزب أو ذلك الآخر./ فى نفوس هؤلاء الذين هم على المكاتب، لا، لا يمكن أن تفعل هذا معى/ وكذلك عليه القوم الذين كان يعرفهم فى كل مؤسسات الدولة./ من

34

أجل ذلك، فكمتيك هو مكتيك وأنا لم أضعك هناك/ لم تكن هناك أبواب مغلقة بالنسبة له. ويمكن الظن بأن/ أو أخذك من هناك، كنت أنظر إليك فقط وأنت تقرئين رواياتك/ البوابين في الوزارات المختلفة يدينون له بوضعهم ذلك/ وتتفحصين أغطية ورسوم صفحاتك/ وكانوا يحيونه على اعتبار أنه من المكان. سمعت ذات مرة أنه خلال بعض الفترات/ وأشجعك، وأن أقوم بفعل أشياء تأمل كل امرأة أن يقوم الرجل/ قد كسب الكثير من المال، وذلك بأن شارك في بعض موضوعات/ بأدائها نحوها، وأن يقوم ببطاء يلف خيط حول خصرها/ شهيرة متعلقة بمناجم الفحم والسلك الحديد، لكن، وفجأة تجعلها تطنطن وتلف حول نفسها، وأن يعطيها الحافز الذي/ كانت كرامته المتوجسة عائقا أمامه في أحيان أخرى./ ينتزعها من شغل الإبرة أو الكلام،/ عندما استقر بي المقام في مدريد، كان وضعه المالي،/ الكلام الذي لا يتوقف بشأن الكثير من الموضوعات المتعددة/ على ما يرام طبقا لظواهر الأمور. لم يكن يفتقر إلى/ الناجمة عن اللاشئ. انظرني إذا كما كنت مخيفا وما الذي لدى/ شئ، لكن لم تكن لديه مدخرات، وهذا في الحقيقة لرجل أخذت حياته تقترب/ أن على أن أفقدك (ولا حتى أفقدك، قبل أن/ من نهاية المطاف، ولم يك يتوفر لديه الوقت حتى يتمكن/ يكون على أن أكسبك)، وهذا في الحقيقة. كان شيئا غريب بالنسبة/ من استعادة الأرض التي خسرها.

لرجل، مداهن، منذ فترة طويلة/

كان آنذاك رجلا أكثر شباه مما يبدو عليه لم تُسمع تلك الكلمة، كيف أخذت لغتنا نحن الذين من أصل/ كان يرتدى الثياب الأنيقة التي يرتديها الشباب، مهذب و/ كرييو Oriollo، فعندما كنت صغيرا كنت أعي الكثير من المفردات/ مميذا. كان يطلق دقته كلها وشاربه وأصبحت هذه العادة/ أفضل من الوقت الراهن، وكنت أقرأ تلك الروايات، وكانت لدى حصيلة/ التي تمسك بها كنوع من الوفاء للجيل السابق/ هائلة من المفردات غير أنها غير مجدية على الإطلاق،/ الذي تنسب إليه تلك العادة، كانت رفته ولطف معشره/ مهذباً ومميذاً، نعم هو ذلك، كنت أأسأل عما إذا كنت/ من الصفات المتوازنة، ولم ترجع أبدا كفتهما إلى جوار الأسرية غير المتأنية/ تضعين نفسك في بنية هذه الرواية، أو أنها تكون لك/ أو إلى العجرفة. ففي الحوار تكمن/ بمثابة حافز

34

لتذهبي إلى هناك، إلى بلادك العجيبة/ قيمته الأساسية وكذلك نقطة ضعفه، فلما كان يعرف/ حيث كنت أحسدك بلا جدوى بينما تحسدني أنت على/ قدرته على الكلام كان يضعف أمام الرغبة في الدخول في/ زيارتي لمتحف اللوفر، والتي كنت تشكّين في فحواها رغم أنك لم تقولي/ التفاصيل الصغيرة ويطيل حكاياته بشكل مرهق. فأحيانا/ شيئا، وهكذا أخذنا نقرب إلى ذلك كان لابد/ يبدأ السرد من البداية وينمق حكاياته بتفاصيل صيبانية/ أن يحدث ذات يوم عندما قد تستوعبين جيدا أننى/ مغرقة في التفاصيل، وكان من اللازم أن تقول له أن بحق الله/ لن أعطيك إلا جزءا من وقتي ومن/ عليك أن تختصر. وعندما كان يتحدث عن حادثة قنص (وهي ممارسة/ حياتي، وأن يطيل حكايته بشكل مرهق/ يعشقها كثيرا)، كان يقضى وقت طويلا/ هو ذلك بالضبط، وأصبح أنا أثقل الظل حتى أسترد ذاكرتي/ بدأ بالاستهلال وحتى لحظة خروج الطلقة، وهذا يؤدي بالمستمع/ لكن كم كنت رائعة في النافذة، حيث ينعكس اللون الرمادي للسماء على/ إلى أن تصعد روحه إلى بارئها للتسرية عن نفسها من الموضوع/ خدك وتمسكين بالكتاب في يديك وفمك دائما/ وعندما يسمع صوت السقوط، كان يشعر ببعض الفزع. لست أدري/ به بعض النهم والعيون متشككة. لقد ضاع وقت طويل/ فيما إذا على أن أحسب سخطه المستمر، على جهاز الدمع/ معك، وكنت كنوع من القوالب الذي/ كعيب فيه أم لا فأحيانا، خاصة في الشتاء يجعل/ كان من الممكن أن تكوني هو تحت نجم آخر، وبذلك يكون أخذك بين نراعى/ عيناها مبللتان وحمراوان وكأنه يبكي/ وممارسة الحب معك مهمة شديدة الحنو/ وتنزل دموعه مخاها ولعاباً، لم أعرف رجلا/ وشديدة الاقتراب من حالة السكر. وهنا كنت أخدع نفسي/ لديه هذا العدد الهائل والمتنوع من المناديل المطرزة على اليد. ولهذا/ وكنت أترك نفسي لأسقط في ذلك القحار الأبله الذي عليه المثقف/ وللعادة التي كان عليها في التباهي بالمنديل الأبيض في يده/ الذي يظن نفسه مهيباً للفهم (وتنزل دموعه مخاها ولعاباً؟)/ اليمنى أو في كلتا يديه، كان صديقي، الأندلسي،/ لكنه وببساطة تعبير قدر) كان مجهزا/ يجب المزاح وهو إنسان طيب، لكنني سوف أتحدث عنه بعد ذلك،/ لفهم إذا كانت هناك رغبة في الضحك يا ماجا، سمعت وذلك هو فقط/ يطلق على عمى فيرونكا.

34

من أهلك ولا تقصيه على أحد. ياماجا إن القلب/

كان يعبر لى عن مودته الصادقة، وخلال الأيام الأولى/ المفزع هو أنا، وكنت ترتعدين، وكأنك لهب نقى وحر/ لإقامتى فى مدريد لم يبتعد عنى وذلك ليساعدنى/ وكأنك نهر من الزئبق، وكأنك التغريدة الأولى/ فى كل ما يتعلق بإقامتى ويساعدنى فى آلاف الأشياء./ للعصفور عندما يشقشق النهار، ومن الجميل أن أقوله لك/ وعندما كنا نتحدث عن الأسرة وأتناول أنا موضوع/ مستخدما الكلمات التى تملك شغاف قلبك، ذلك أنك لم تكونى تعتقدين أن/ ذكريات طفولتى والطرائف التى تحدث من والدى كان يداخل/ ذلك لا يوجد خارج دائرة قصائد الشعر وأن من حقنا استخراجها/ العم الطيب نوع من القلق العصبى، والحماس المحموم/ إلى أين ذهبت، وأين سنكون اعتبارا من اليوم، إننا نقطتان/ للشخصيات العظيمة التى رفعت من شأن/ فى كون غير مفهوم، قريبتان أو بعيدتان، إننا نقطتان تبدعان/ لقب بوينودى جوثمان ويخرج المذيل وينوه لى بحكايات/ خطأ، نقطتان تبتعدان وتقتربان بشكل/ لا تنتهى. كان يرانى بمثابة آخر سلسلة/ عشوائى (للشخصيات العظيمة التى رفعت من شأن لقب بوينو/ الذكور فى سلالة تتسم بالموصفات الثرية و،/ دى جوثمان، لكن انظرى إلى ذلك التكلف الذى عليه هذا النمط يا ماجا/ كان يداعبنى وينظر إلى وكأننى طفل صغير رغم/ كيف أمكنت تجاوز الصفحة الخامسة...) لكن لن أشرح/ إننى أبلغ من العمر ست وثلاثين عاما.. عمى المسكين! فى ذلك الإفصاح عن/ لك ذلك الذى يسمونه حركات بدونويدس brownoides، وبالطبع/ عن الودّ والعطف كان يزيد نبع عينيه/ لن أشرح لك ذلك ورغم هذا يا ماجا فكلانا/ واكتشف وجود ألم سرى وشوكة)/ يقوم بتشكيل نموذج. فأنت عبارة عن نقطة فى مكان ما/ رقيقة مغروزة فى قلب ذلك الرجل الرائع./ أما أنا فنقطة أخرى فى مكان ما وأخذنا ننتقل، فربما أنت الآن/ لست أدرى كيف أمكننى اكتشاف ذلك: لكن كنت/ فى شارع هاشيت، أما أنا الآن، فاكتشف فى حجرتك/ على يقين من وجود الجرح الذى يحاول أن يداريه وكأننى أراه/ الخالية هذه القصة، وغدا سوف تكونين فى شارع جار دى ليون Gare de Lyon (إذا/ بعينى هاتين وألمسه بأصابعى. كان خيبة أمل/ ما ذهبت إلى لوكا يا حبيب) أما أنا ففى شارع شيمين فير Chemin vert، عميقة ومسيطرة والأسف لأننى غير متزوج/ حيث اكتشفت نوعا رائعا من النبيذ ورويدا/ بوحدة من بناته الثلاث، إنه التناقض فى المشاعر الذى

34

لا منجى منه ذلك/ رويدا يا ماجا أخذنا نكوّن نموذجاً غير معقول،/ أن بناته الثلاث! يالأسف! كن قد تزوجن.

ونرسم بحركتنا نمودجا مماثلاً لذلك ترسمه الذباب عندما يطير في أجواء حجرة وينتقل من هنا إلى هناك، وفجأة يغير مساره وسط الطريق ومن هنا إلى هنا، ذلك هو ما يطلق عليه الحركة البدونويديس، هل تدركين الآن؟ إنها نوع من الزوايا المستقيمة وخط يصعد من هنا إلى هناك ومن العمق حتى الواجهة وإلى أعلى وإلى أسفل مصحوب بالتقلصات؛ حيث يتوقف فجأة ثم يبدأ في السير في اللحظة ذاتها، ولكن في اتجاه آخر، كل ذلك يضع رسماً ونمودجاً وشيئاً غير موجود مثلك ومثلّي مثل النقطتين التائيهتين في باريس؛ حيث تنتقلان من هنا إلى هناك مانعة رسمها، وترقصان من أجل لا أحد ولا حتى لنفسيهما، إنه نموذج لم ينته وغير مفهوم.

35

نعم يا بابس نعم، نعم يا بابس، لنطفيء النور darling، تصبحين على خير.
نوما هادئا، الخروف الصغير تلو الآخر، ها قد انقضى كل شيء أيتها الصغيرة، ها قد
انقضى، الجميع يتصرفون بشكل سيئ جدا مع المسكينة بابس، سنلغي أسماعنا من
قوائم النادى حتى نعاقبهم، الجميع يتصرفون بشكل سيئ جدا مع المسكينة بابس،
فايتين سيئ وبيريكو سيئ وأوليفيرا سيئ، هذا الأخير هو أسوأهم جميعا. إنه ذلك
العضو فى محاكم التفتيش كما وصفته بذلك الجميلة، الجميلة بابس نعم يا بابس نعم.
Rok -a- bye- baby تورا - لورا - نعم يا بابس نعم، وعلى أى الأحوال كان
لا بد أن يقع شيء فلا يمكن معايشة هؤلاء الناس دون أن يحدث شيء، تشر، بيبي،
تشى. حسن، ها قد نامت فى هدوء، لقد انتهى النادى يا بابس، وهذا أكيد، فلن نرى
أورايشو بعد ذلك أبدا، إنه الضال أورايشو. لقد تحطم النادى هذه الليلة وكأنه قطعة من
الكيك بلغت السقف والتصقت به، يمكن لك الاحتفاظ بالقلابة يا بابس، فلن ينزل أكثر
من ذلك ولا تظلى هكذا فى حالة انتظار، تشى، darling لا تبكى. يالها من حالة سكر
تمر بها هذه المرأة لدرجة أن روحها تفوح منها رائحة الكونياك.
ترحل برونالد بعض الشيء، واتكأ على بابس، وعليه النوم. نادى، أوسيب، بيريكو
فنتالسك: لقد بدأ كل شيء لينتهى، مثل الآلهة الغيرة والبيضة المقلية المخلوطة
بأوليفيرا، والسبب المحدد يكمن فى البيضة المقلية اللعينة. وطبقا لرواية إيتين لم تكن
هناك حاجة لإلقاء البيضة فى الزباله، إنها رائحة تلك الألوان الخضراء المعدنية، وقد
غضبت بابس على طريقة هوكوزاى Hokusai: كانت رائحة البيضة كأنها رائحة القبور
التي تؤدي بالإنسان فكيف يمكن أن يجتمع النادى على بعد خطوتين من البيضة
وأجهشت بابس بالبكاء فجأة، وصعد تأثير الكونياك عليها إلى أقصى درجة. أدرك
رونالد أنه بينما تتم مناقشة موضوعات أبدية كانت بابس قد تناولت وحدها أكثر من
نصف زجاجة كونياك، وكان الهدف من البيضة المقلية هو التقليل من تأثير الكونياك
ولم يستغرب أحد وخاصة أوليفيرا أن بابس سوف تقوم من خلال قلى البيضة بهضم
عملية الدفن شيئا فشيئا. وأن تعد نفسها، فى خضم الزغطة وخفقان القلب لتطرد من
أمعانها كل ما يتعلق بالطفل وباقي ما عندها. كانت الابتسامات التي حاول وونج أن
تسود بين بابس وأوليفيرا السامى عن اللحظة، غير مجدية. لم تجد أيضا الإشارات
إلى طيبة، مقابلة لغة OIL بلغة OC والفرنسى البروفنسالى بينين Allier- Linites وLoire:
هناك تناغم صوتى وأصول صرفية طبقا لتأكيد وونج من خلال س. إسكوفير
"Stescoffier" وهو كتاب له أهمية عظمى استماع أوليفيرا حكاية رجل محاكم التفتيش
(المتسلط)، وأن يرفع حاجبيه علامة على الحيرة والإعجاب، وأمعن النظر

35

لجرجوروفقيوس، وكان هذا الأخير يمكن أن يوضح له النعت. كان النادي يعرف أن بابس وقد أفلتت عقالها هي بابي المنجنيق. وقد وقع ذلك أكثر من مرة. والحل الوحيد هو التحلق حول محررة المحضر والمكلفة بالوفية في انتظار أن يفعل الوقت فعله، فلا يوجد بكاء أبدى ذلك أن الأرامل يتزوجن من جديد. لا يمكن عمل شيء، فقد سكرت بابس وأخذت تترع بين المعاطف والكوفيات الخاصة بأعضاء النادي، وتعود من الردهة وتريد أن تصفى حساباتها مع أوليفيرا، وكانت هذه هي اللحظة المناسبة لحديث مع أوليفيرا بأمر رجل محاكم التفتيش، والتأكيد بطريقة مسيلة للدموع على أنها في حياتها الكلايية تعرفت على إنسان ما شديد الانحطاط، وغيظ القلب، وابن قحبة، وسادي، وخبيث، وجلاذ، وعنصرى، ولا يستطيع أن يفعل الحد الأدنى من الخير، كومة قمامة وعفن، وكومة إخراج بشري وقذر ومريض بالزهري، وقد تلقى بيويكي هذه الأشياء بفرح غامر وكذا إيتين. كما كانت مثار تعليقات متناقضة من الآخرين ومنهم العضو الجديد المختص به.

كانت بابس الزوايع وإعصار الجنس الإقليمي: أصبحت المنازل بوريه. حتى أعضاء النادي رؤوسهم وتدثروا بالمعاطف الواقية من المطر وأمسكوا بالسجائر بكل قواهم. وعندما تمكن أوليفيرا من قول شيء ساد صمت مسرحي. قال أوليفيرا إن اللوحة الصغيرة لنيكولاس دي ستايل^(١) Nicolas Destael جميلة جدا، وأن ونج الذي أثر علينا كثيرا بحديثه عن أعمال إسكوفير Escoffier يجب عليه أن يقرأها ويلخصها في إحدى الجلسات القادمة للنادي. فنعتته بابس مرة أخرى بأنه رجل محاكم التفتيش، ومن المؤكد أن أوليفيرا فكر في شيء مسل إذا ابتسم. صفعته بابس على وجهه. فما كان من أعضاء النادي إلا اتخاذ إجراءات سريعة. وابتعدت بابي وهي تبكي وتصرخ وقد أمسك بها وونج برقة متدخلًا بينها وبين رونالد الذي اعتراه غضب شديد. وتحلق أعضاء النادي حول أوليفيرا بحيث أصبحت بابس خارجة عن الحلقة وقد قبلت ب (أ) الجلوس على أحد الكراسي و (ب) منديل بيريكو. لابد أن التحديدات الخاصة بشارع مونج Mange قد بدأت في تلك اللحظات، وكذلك أيضا حكاية لامجا السامرية، كما كان يبدو لرونالد - الذي كان يرى خيالات خضراء وهو يغالب النعاس - إن أوليفيرا سأل دونج فيما إذا كان صحيحا القول بأن لامجا كانت ترى في شقة مفروشة في شارع/ مونج، وربما كان رد وونج بأنه لا يعرف أو قال إنه يعرف كما أن هناك أحدهم، ومن المحتمل أنها بابس التي أخذت تبكي بصوت عال وهي جالسة على الكرسي ثم عادت لسب

35

أوليفيرا وألقت في وجهه إنكار ماجا السامرية لذاتها إلى جوار سرير بولا المريضة. كما أن أوليفيرا أخذ في تلك اللحظة يضحك وينظر بصفة خاصة إلى جريجوروفويوس، ثم طلب المزيد من التفاصيل حول هذا التفانى من جانب ماجا، وأى عدد إلى آخر ذلك من البيانات الجديدة بسجل العقارات. والآن كان رونالد يحاول أن يمد يده ويضعها بين ساقى بابس التى كانت تزأر وكأن زئيرها يأتى من بعيد. كان يطيب لرونالد وأصابه تائهة فى هذه الأراضى الدافئة. كما أن بابس هى العنصر الذى أسفر عنه سرعة حل النادى، وكان من الضرورى توبيخها فى اليوم التالى: هى - أشياء - لا - تَفْعَل. لكن النادى كان يحيط بأوليفيرا بشكل أو بآخر، وكان هناك محاكمة مخجلة. وقد أدرك أوليفيرا ذلك قبل أعضاء النادى أنفسهم فقد جلس وسط الحلقة وأخذ يضحك والسيجارة فى فمه ويديه فى جيوب المعطف الواقع من المطر، وبعد ذلك سأل (لم يسأل أحد بعينه إذ كانت نظرتة تقع فوق الرؤوس المتحلقة حوله) فيما إذا كان النادى ينتظر غرامة كبيرة أو شيئا من هذا القبيل. لكن النادى لم يدرك هذا السؤال فى اللحظات الأولى أو أنه فضل عدم فهم السؤال باستثناء بابس التى عادت للصراخ ووصفته بأنه رجل محاكم التفتيش وهى جالسة على الكرسي ويمسك بها رونالد وكانت كلماتها ترن وكأنها إيقاع جنائزى فى - تلك - الساعة - المتأخرة - من - الليل - عندئذ أمسك أوليفيرا عن الضحك وكأنه قبل بالحكم الصادر فجأة (رغم أن أحدا لم يكن يحاكمه فالنادى لم يكن هدفه ذلك) وألقى بالسيجارة على الأرض ودهسها بحذائه، وبعد لحظة ابتعد قليلا عن إيتين لتفادى يده التى كانت تتحرك بطريقة غير حازمة. وتحدث بصوت منخفض وأعلن إلغاء عضويته من النادى وهو قرار لا رجعة فيه، وأن النادى الذى بدأ به واستمر مع الجميع يمكن أن يذهب إلى الجحيم.

Dont acte

(121)

36

أصبح شارع دافين غير بعيد، وربما كان من المناسب التوجه إلى هناك للتأكد مما قالته بابس. ومن المؤكد أن جريجوروفوس عرف منذ اللحظة الأولى أن لاماجا، على عاداتها المجنونة، قد تذهب لزيارة بولا. إنها الصدفة، لاماجا السامرية. اقرأ El ergade «المعجن» هل انقضى النهار دون أن تقوم بعملها الطيب؟ كان الأمر مضحكا. كل شيء كان يثير الضحك، وربما أمكن القول بأن كانت هناك ضحكة كبرى وذلك ما يسمونه التاريخ. الوصول إلى شارع دافين والطرق بخفة على باب الحجرة الكائنة في آخر دور ثم لا تظهر لاماجا، التي تدعى لوثيا، لا؛ كان ذلك تصورا زائدا عن الحد. وهي تحمل إناءً للبصاق في يدها أو إناء لرى الزرع. لا يمكن أن ترى المريضة، فقد تأخر الوقت كما أنها نائمة.

إنه أسموديو^(١) Asmodeo أو أنهما تركتاه يدخل وقدمتا له القهوة، لا، الأسوأ من ذلك، وأنهما في لحظة من تلك اللحظات أجهشتا بالبكاء، ولما كان البكاء معدبا فسوف يبدآن ثلاثتهم في البكاء حتى يتصافوا، وعندئذ يمكن أن يحدث أي شيء، فالنساء اللاتي تعانين من الجفاف مرعبات. أو أن يجعلاه بعد عشرين نقطة من خلاصة نبات ست الحسن الواحدة تلو الأخرى. يجب على، في حقيقة الأمر، أن أغادر - قال أوليفيرا لقط أسود في شارع دانتون - فهناك واجب جمالي، وهو أن على أن أكمل التمثال. ثلاثة. الرقم. لكن لا يجب نسيان أورفيو Orfeo. وربما قمت بخلق رأسى أو ملثها بالرماد أو الوصول إلى حالة التسول. فلم أعد ذلك الذى عرفته أيتها النساء. بهلوان، ومهرج، ليلة de empusas، حيوان خرافى lamias، ثقل ظل ونهاية النمرة الكبرى. ياله من أمر مثير للملل أن يكون المرء هو نفسه طوال الوقت. لا مناص منه. لن أراها بعد ذلك أبدا. وهو مكتوب. وأنت ماذا فعلت بشبابك. إنك عضو محاكم التفتيش. في الحقيقة هذه الفتاة تخرج علينا بنماذج هو على أى حال عضو تفتيشى على نفسه، وعندئذ شاهد القبر المناسب: كان ضعيفا أكثر من اللازم. لكن محكمة التفتيش الضعيفة هي محكمة رهيبة فهي تعذيب بالرهنة ونيران من النشا، ورمال متحركة، وحيوان الرنة يمتص وهو جاثم على الصدر. وجوهر الأمر هناك الكثير من الرحمة وأنا الذى كنت أتصور نفسى بلا قلب. لا يمكن عشق ما أرغب فيه وبالشكل الذى أرغبه، أضف إلى ذلك مقسمة الحياة مع الآخرين كان لابد من أن يعرف المرء كيف يعيش وحده، وأن يفعل الحب الشديد فعلته، فإما أن ينقذنى أو يقتلنى لكن بدون شارع دافين، وبدون الصغير الذى

36

مات، وبدون النادي وباقي الأعضاء.

ألا تعتقد ذلك سيادتك تشي؟

لم ينطق القط بأى شيء

كان الطقس أقل برودة على ضفاف السين عنه فى الشوارع. رفع أوليفيرا ياقة المعطف وذهب ليتأمل المياه. ولما لم يكن من أولئك الذين ينتحرون بحث عن أحد الكبارى ليقف تحته ويفكر قليلا فى أمر الكيبوتز. فمئذ لحظات وفكرة الكيبوتز تراوده. إنه كيبوتز الرغبة، «من المثير للفضول أن تظفر إلى الذهن عبارة كهذه وليس لها أى مدلول، كيبوتز الرغبة، وفى المرة الثالثة لظهورها أخذت بتضح شيئا فشيئا، وفجأة اكتشف أنها ليست جملة لا معقولة وعلى سبيل المثال فإن جملة مثل: الأمل ذلك الوهم يعتبر لا معقولا. فما هى إلا موجز شديد الاختصار والغموض للسير هائما، من قرصنة إلى أخرى. كيبوتز. مستمرة، ومستوطنة، وركن يتم اختياره لإقامة آخر قيمة حيث يخرج المراء إلى الهواء الطلق ليلا ووجهه يغسله الزمن ويتحد بالعالم. ويعمد إلى الجنون الأكبر وإلى المجازفة العظمى والانفتاح على بلورة الرغبة، الانفتاح على اللقاء. حذار يا أوراثيو أشار أوليفيرا وهو يجلس على أحد المتاريس تحت الكوبرى، وهو ينصت إلى شخير المتسولين وهم تحت طبقة من ورق الصحف.

لم يكن أمرا مؤلما أن يسلم نفسه للحزن ولو مرة واحدة، أشعل سيجارة أخرى منحته شيئا من الدفء وسط الشخير القادم، وكأته من أعماق الأرض. وقبل بالأسى لوجود مسافة لا يمكن قطعها بينه وبين الكيبوتز الخاص به. وما كان الأمل هو مجرد وهم ليس إلا. فليس هناك مدعاة للأحلام والأوهام. بل على العكس من ذلك، يجب الإفادة من التبريد الليلي للاحساس بانقشاع الغمة عن العقل. والتحديد الدقيق لنظام الفلك فوق رأسه. وأن، بحثه غير الواثق لم يثمر إلا الفشل، وربما كان ذلك هو الانتصار بعينه. ذلك لأنه جدير به هو (فقد كان لدى أوليفيرا صورة جيدة عن نفسه كسلالة بشرية) ولأن البحث عن الكيبوتز بعيد المنال كما أنه بمثابة قلعة لا يمكن السيطرة عليها إلا من خلال الأسلحة الفتاكة وليس بواسطة روح الغرب، فهذه القوى قد خارت بسبب كذبها على نفسها، كما أشير إلى ذلك فى النادي، إنها تلك القيود على الحيوان الإنسان الذى وضع فى طريق لا رجعة فيه. كيبوتز الرغبة وليس كيبوتز الروح

36

أو النفس، ورغم أنه رغبة يمكن أن تكون تعريفا غامضا للقوى غير المفهومة، وكنت أشعر به حاضرا وفاعلا، حاضرا في كل خطأ، وفي كل قفزة إلى الأمام، ذلك كان يعنى الإنسان، وليس الجسد والروح بل ذلك الكل الذى لا تنضم أجزاؤه، ذلك اللقاء الدائم مع المفتقد، مع كل ذلك الذى يسوق من المشاعر، إنه الحنين الجارف إلى أرض يمكن أن تضرب فيها الحياة من اتجاهات أخرى ومسميات مختلفة رغم أن الموت قد يكون على الناصية ويرفع مكنته إلى أعلى ورغم أن الأمل ليس إلا مجرد وهم يستمر الشخير، ومن أن لا أسمع صوت خرطه.

وفي هذه الحالة لم يكن ارتكاب الخطأ يهم كثيرا، وكأن البحث عن الكمبيوتر الخاص به يتم من خلال خرائط صادرة عن الجمعية الجغرافية، واستخدمت أثناءه البوصلات الحقيقية. أى الشمال هو الشمال والغرب هو الغرب. لن يكفى أن يفهم ويدرك بسرعة خاطفة أن الكمبيوتر الخاص به لن يكون أكثر استحالة مثلما هو عليه الآن فى تلك الساعة وفى هذا البرد ويغد مرور تلك الأيام، وأنه لو دأب فى البحث عنه بالأتقان مع القبيلة بجدارة وبدون أن يلصق به نعت رجل محاكم التفتيش، وبدون أن يديروا وجوههم عنه بسبب صدمة، وبدون أن يكون هناك أناس يبكون، وسوء نية ورغبة فى أن يذهب كل شئ إلى الجحيم والعودة إلى ما كان يفعل سابقا، وإلى مكان خال محمى ضمن أى مخزون روحى أو مؤقت.

قد يموت دون أن يبلغ الكمبيوتر الخاص به. لكن ما هو الكمبيوتر هناك بعيد. كان هناك، وكان هو يعرف أنه هو الآخر، فقد كان رغبته. كانت رغبته هو، كما كان هو الرغبة. كما أن العالم وتمثله عبارة عن الرغبة، كانت رغبته أو الرغبة. لا يهم كثيرا فى مثل تلك الساعة. عندئذ كان يمكن له أن يضع وجهه بين كفيه ولا يترك إلا المساحة الضرورية للسيجارة، ويظل إلى جوار النهر بين المسؤولين يفكر فى الكمبيوتر.

استيقظت المتسولة من حلم رأت فيه أنه جاء إليها أحد. وقال لها مكررا كفى أيتها الداعرة وأدركت أن ثيلستين Celestin قد غادر أثناء الليل وقد حمل معه عربة الأطفال المحملة بعلب السرددين (انتهت صلاحيتها) التى أهديت إليهما فى جيتو ماراي Marais. كان توتو ولافلور ينامان كاثنين من البلهاء تحت الخيش، أما الجديد فكان جالسا على مصطبة يدخن السجائر. كان الفجر يبرز.

36

قامت المتسولة بجمع الأعداد المتوالية لجريدة «فرانس سوار» بعناية، كانت تتدثر بها وأخذت تهرش رأسها قليلا. فى السادسة صباحا كانت هناك شوربة ساخنة فى شارع/ دى جور du Jour، ومن المؤكد أن ثليستين سوف يذهب لتناول الشورية ويمكن أن ينتزع منها علب السردين إذا لم يكن قد باعها بعد لـ بيبون أو لافاس. - قذارة - قالت المتسولة، وقد بدأت المشوار المعقد لتعتدل فى جلستها - وبالمرة هو عجز التحقت بمعطف خفيف أسود اللون يغطيها حتى العقبين. اقتربت من المتسول الجديد. كان على اتفاق معها أن البرد يكاد يكون أسوأ من البوليس. وعندما أعطاهما سيجارة وأشعلها لها فكرت المتسولة أنها قد رأتها فى مكان ما. فقال لها الجديد إنه رآها أيضا فى مكان ما. وسرّ كلاهما بهذا النوع من التعارف خلال الساعات الأولى من الصباح. جلست على المصطبة المجاورة وقالت له إن الوقت مبكر لتناول الشورية. تناقشا فى موضوع الشورية بعض الوقت رغم أن الجديد لا يعرف شيئا عنها. فكان عليها أن تشرح له أين يجد الأماكن التى تقدم أفضل أنواع الشورية. كان جديدا بالفعل لكنه يبدى اهتمامه بكل شئ وربما وافته الجراءة على سرقة علب السردين من ثليستين. تحدثا عن السردين بوعود الجديد أنه إذا وجد ثليستين فإنه سيطلبها بها. - حذرت المتسولة :

- سوف يخرج الحظاف لأبد من التصرف بسرعة وأن تضربه بأى شئ على رأسه. وبالنسبة لتونى فقد عالجوه بخمس غرز للجرح، وكان يزقق لدرجة يسمعه بها أهالى شارع/ بوانتواز إنه العجز - أضافت المتشردة وقد أسلمت نفسها للحنين للأيام الخوالى.

كان الجديد يتأمل إشراق الشمس فى أحد جوانب ميدان فيرت - جالانت، ويرى شجر الصفصاف الذى أخذ يخرج فروعه الرفيعة من الضباب. وعندما سألته المتشردة عن سر ما عليه من رعشة رغم أنه يرتدى المعطف هز كتفيه وقدم لها سيجارة أخرى. كان يدخن ويدخن، ويتحدث وهو ينظر إلى نفسه بإعجاب. أخذت المتسولة تشرح له عادات ثليستين وأخذ الجديد يتذكر الأمسيات التى رآها وهى تعانق ثليستين فوق كل المقاعد وعلى حواجز الكوبرى دى آر ت وعلى ناصية اللوفر أمام أشجار الموز وكأنتهما نمران وتحت بوابات سان جيرمان لأكسروا S.G. l'Awxerrais وذات ليلة فى شارع جيب لوكير Git-le Cœur كانا يتبادلان القبلات ويتخاصمان وهما فى شدة

36

السكر، وكان يرتدى فائلة رسام. أما المتسولة فقد كانت على عاداتها ترتدى أربع أو خمس ملابس، وبعض المعاطف الواقية من المطر والمعاطف الطويلة وتمسك بشنطة لونها أحمر يبرز منها قصاصات عبارة عن أكمام وطائرة ورقية ممزقة، كانت تعشق ثيلستين الذى كان يثير الإعجاب وتملأ وجهه بأحمر الشفاه ونوع آخر كأنه شحوم، ويفرق كلاهما فى مناجاتهما أمام الناس ثم يسيران بعد ذلك فى شارع/ نيغير Neuer. وعندئذ قالت لاماجا «إنها هى العاشقة، أما هو فلا يبالى» ونظرت إليه لحظة قبل أن تميل لتلتقط حبلا رفيعا أخضر اللون وتلفه على إصبعها.

- كانت المتشردة تقول وهى تشجعه :

- ليس الجو باردا فى مثل هذه الساعة. سوف أسأل لافلور فيما إذا ما كان معها القليل من النبيذ. فالنبيذ يجعل الليلة تمر بهدوء! لقد حمل ثيلستين معه لتدين كانا لى وأخذ علب السردين. لا، لم يبق معها شئ. يمكن لحضرتك أن تذهب لشراء لتر من النبيذ من بار حبيب Habeb فأنت حسن الهدنام. وعليك بشراء الخبز إذا ما وجدته - كانت تستلطف الجديد رغم أنها فى حقيقة الأمر تعرف أنه ليس جديدا، فهو يرتدى ملابس جيدة ويمكن أن يقف على طاولة البار فى حبيب ويتناول بيرنود Pernod الكأس تلو الآخر دون أن يحتج الآخرون للرائحة الكريهة وغير ذلك. ظل الجديد يذخن، ويهز رأسه موافقا رغم أن وجهه متجه إلى ناحية أخرى. هو وجه معروف. لو كان ثيلستين هنا لعرفك فى الحال. ... البرد القارس يبدأ فى التاسعة وهو برد يخرج من الطين، من أسفل. لكن يمكننا الذهاب لتناول الشورية فهى جيدة للغاية.

(وعندما أوشك على رؤيتهما فى قاع نهر/ نيير، وعندما وصل إلى المكان المحدد الذى دهمت فيه سيارة نقل. بيير كورى (بييركورى؟) ^(١) سألت لاماجا، مستغربة ومستعدة للتعلم). عادا ببطء إلى الشاطئ العلوى للنهر واستندا إلى صندوق رغم أن مثل هذه الصناديق كانت تبدو لأوليغيرا جنازية أثناء الليل وكأنها صف من توابيت الإغاثة متراصة على السياج الحجرى. وفى ليلة شديدة البرد أخذتا يتسليان بكتابة RIP بواسطة عصا صغيرة فوق كل صناديق الصفيح. وقد أثار ذلك استلطف، رجل البوليس وتحدث معها عن أشياء مثل الاحترام للمكان والسياحة، وبالنسبة للسياحة لم يعرف السبب جيدا. فى تلك الأيام كان كل شئ كيبوتزا أو أن الكيبوتز يمكن تحقيقه،

36

وكذا السير في الشارع مع كتابة RIP على صناديق bouqwnotes والإعجاب بالمتسولة العاشقة، كل هذا كان عبارة عن جزء من قائمة غير واضحة من التمارين التي يجب ممارستها وإقرارها. وتركها وراء الظهر. وهكذا كان، وكان الجو باردا ولم يكن هناك كيبوتز. باستثناء الكذبة القائلة بالذهاب إلى شراء نبيذ أحمر من أجلها من بار حبيب وصنع نموذج من الكيبوتز مماثل لما له كويلاخان Kubla Khan مع الاحتفاظ بالأنقاب والدرجات للعجوز حبيب.

In xanoou did Kubla Khan

في زانو دي كويلاخان

Astately pleeaure- deme decree

صدرت الأوامر ببناء قبة رائعة

— قالت المتشردة، وهي أقل استلطافا للجدید :

— أجنبي إسباني، هه؟ إيطالي؟

— قال أوليفيرا :

— خليط، وهو يحاول جاهدا أن يتحمل الرائحة.

— قالت المتشردة بنغمة إلهام :

— لكن سيادتك تمارس عملا على ما يرى .

— أه، لا، عموما أنا كنت أحمل الكتب لأحد الطاعنين في السن، لكن مرت فترة لم

نر بعضنا فيها.

— ليس هذا ما يخلط طالما أن ليس هناك مبالغة. أنا، عندما كنت شابة ...

— قال أوليفيرا وهو يسند يده على المكان الذي يوجد أسفله أحد الأكتاف :

— إيمانويلا فرغت المتسولة عندما سمعت الاسم، ونظرت إليه شززا وبعد ذلك أخرجت امرأة صغيرة من جيب البالطو الطويل ونظرت إلى فمها. وتسائل أوليفيرا عن الظروف التي لا تصدق والتي جعلت المتشردة تعالج شعرها بالأوكسجين. انشغلت حتى درجة الاستغراق في وضع أحمر الشفاه على شففتيها. فأصبح أمامه متسع من الوقت لينظر هو إلى نفسه ويصفها بأنها نفس حمقاء. اليد على الكتف بعد أن كانت على كتف تربيات، مع وجود نتائج معروفة على الملأ. إنها ركلة في الأرذاف تقلبها كما يقلب القفاز. إنه قمى، وفاسد وخفيف الظل ريب RIP، ريب RIP رغم السياحة.

— كيف تعرف أن اسمي إيمانويلا؟

— أنا لا أتذكر من قال لي هذا.

أخرجت إيمانويلا علبة حبوب Valda مليئة بالمساحيق الوردية، وأخذت تدهن خدها أه لو كان ثيلستين هنا، من المؤكد أن. وبالطبع فإن، ثيلستين: إنه لا يكل.

36

هناك الكثير من علب السردين.. وتذكرت فجأة.

— آه، قالت.

— وافق أوليفيرا وقد أخذ يلف نفسه ما استطاع وسط دخان السجائر :

— هذا محتمل

— قالت إيمانويلا :

— لقد رأيتهما مرات عديدة

— كنا نتجول هنا وهناك.

— لكنها هي التي كانت تتحدث معي عندما كانت بمفردها: إنها فتاة طيبة. لكن بها

شيء من الجنون.

«وقعى على ذلك» فكر أوليفيرا. كان ينصت لإيمانويلا التي أخذت تستعيد ما فى ذاكراتها بشكل أفضل، كانت هناك علبة من اللوز المغطى بطبقة سكرية وبلوفر أبيض شائع الاستخدام آنذاك وفتاة طيبة لا تعمل ولم تضيع وقتها الذى مضى بعد الحصول على الدبلوم، تنتابها نوبات جنون وتنفق ما معها من فرنكات فى شراء حبوب الحمام فى جزيرة سان لويس. وأحيانا ما ترتسم عليها علامات الحزن الشديد وأحيانا أخرى تكاد تفقد وعيها من كثرة الضحك وأحيانا تتصرف بسوء.

— قال إيمانويلا :

— تشاجرنا! لأنها نصحتنى أن أترك ثيلستين وشأنه، ولم تعد تظهر بعد ذلك أبدا، لكننى كنت أحبها كثيرا.

— هل جاءت لتتحدث معك مرات عديدة؟

— هذا لا يروق لك، حقا؟

— قال أوليفيرا وهو ينظر إلى الشاطئ الآخر :

— ليس ذلك هو القصد لكن نعم، كان ذاك. فالأمر أن لاماجا لن تعترف له إلا بجزء من علاقتها بالمتشردة بالإضافة إلى بعض التعميمات الأخرى .. إلخ. إنها الغيرة من أمور، راجع بروست Praust هو التعذيب الخفى و So no .

كانت السماء ستمطر ويدت شجرة الصفصاف وكأنها معلقة فى الهواء الملئ بالرطوبة، لكن الجو أصبح أقل برودة بعض الشيء، وربما أضاف شيئا مثل: «إنها لم تحدثنى عنك كثيرا» ذلك أن إيمانويلا ابتسمت ابتسامة رضا وخبت واستمرت فى وضع المسحوق الوردى باستخدام اصبع اعتراه اللون الأسود. وبين الفينة والأخرى

36

ترفع يدها وتضرب على رأسها وشعرها الملبّد من كثرة القذارة. والموضوع فوقه توكّة قماشية من الصوف مقلّمة باللونين الأحمر والأخضر، هذه التوكّة لم تكن إلا تليفحة التقطتها من أحد صناديق القمامة. كان عليه أن يغادر المكان ويتجه إلى المدينة القريبة من المكان فهي أعلى بحوالى ستة أمتار وتبدأ عند السياج الآخر لنهر السين وراء صناديق RIP المصنوعة من الصفيح؛ حيث يدور حوار بين الحمام وهو يهيب ريشه فى انتظار شروق الشمس حوالى الثامنة والنصف؛ حيث تظهر فى سماء مائلة للغاية ولا يزال ضوء الشمس؛ إذ سوف تتساقط قطرات المطر كما هى العادة.

وعندما تهيأ لترك المكان نادى عليه إيمانويلا بصوت عال، فتوقف فى انتظارها، وصعد السلم سويا، واشترى لترين من النبيذ الأحمر من بار حبيب ثم سارا معا فى شارع هيرونديل Hirondele واحتميا بالمر المسقوف. تكرمت إيمانويلا بأن أخرجت مجموعة من أعداد الصحف من بين اثنين من المعاطف التى ترتديها واقترضا ورق الصحف فى أحد الأركان المظلمة بعد أن تأكد منه أوليفيرا بإشعال أعواد ثقاب واهنة. ومن الجانب الآخر للأبواب كانت تأتي رائحة الثوم والكرب متقطعة والنسيان الرخيص. أخذ أوليفيرا يزم على شفثيه وانزلق حتى أصبح فى أقصى الركن واستند إلى الحائط والتصق بإيمانويلا التى أخذت تشرب من الزجاجاة وتخفّر تعبيرا عن الانسجام. إنه نوع من عدم تربية الحواس والمتأمل فى فتح الفم إلى أقصى درجة وكذا الأنف وقبول أسوأ الروائح ألا وهو العفن الإنسانى. مرت دقيقة ثم دقيقتان ثم ثلاث، وفى كل مرة يصبح الأمر أكثر سهولة مثل أى مرحلة تعلّم. حاول أوليفيرا السيطرة على الشعور بالغثيان فأمسك بالزجاجاة ولم يستطع النظر إلى فتحة الزجاجاة؛ إذ يعرف أنها مضمخة بالروج واللعباب. كما أن الجو المعتم يزيد من حدة حاسة الشم. أغمض عينيه ليحمى نفسه من شىء لا يعرف ما هو. وشرب ربع لتر دفعة واحدة. وبعد ذلك أخذوا يدخلان وكل يسند كتفه للآخر وهما يشعران بالرضا. أخذت تزول حالة الغثيان ليس عن هزيمة بل إحساسا بالذل وأخذت تنتظر وهى مطاطئة الرأس، وكان من الممكن البدء فى التفكير فى أى شىء. كانت إيمانويلا تتحدث طوال الوقت، وتتفوه بعبارات مليئة بالطنطنة بين كل زغطة وأخرى، وتونج شبح ثيلستين بأمومة وتقوم بإحصاء علب السردين ويعلو الاحمرار وجهها مع كل نفس من السيجارة كما كان أوليفيرا يرى طبقات القذارة على جبهتها وشفثيتها المملتين وعليها آثار النبيذ وعصابة الرأس علامة الفخار لإلهة سورية وقد دهسها أقدام أفراد جيش معاد ورأس فيلية ممرغة فى التراب

36

وطبقات الدم القذرة، لكنها تحتفظ بتيجانها الأبدية المكونة من مساحات حمراء وخضراء. إنها الأم الكبرى وقد ألقى بها في التراب ووطنتها أقدام الجنود السكارى الذين كانوا يتسلون بالتبول على نهديها المبتورين، ثم يأتى أكثرهم إضحاكا ويركع على ركبته وسط صيحات الآخرين وذكره منتصبا فوق الآلهة التي سقطت ويستمنى على الرخام ويترك مني ليُدخل في عينيها، بعد أن قام الضباط بانتزاع الأحجار الثمينة، وفي الغم المفتوح وكأنه يقبل الهوان كقربان أخير قبل أن يطويها النسيان. وكان من الطبيعي أن تقوم إيمانويلا بالبحث عن ذراع أوليفيرا وترتاح عليه بثقة بينما تبحث يدها الأخرى عن الزجاجة وكان يسمع صوت كلوكو أثناء الشرب ثم الخنفرة بعد كل جرعة. كان من الطبيعي أن يكون كل شيء إما وجه العملة الأول أو الوجه الآخر. وكئن ذلك هو الرمز المضاد والشكل الممكن للبقاء. ورغم أن أوليفيرا كان غير واثق من السكر الذى هو الرفيق الخبيث للخداع الأكبر، فقد كان هناك شيء يقوله بأن هناك كيبوتز، وأن وراء كل ذلك كان هناك أمل في كيبوتز. لم يكن الأمر يقينا استنتاجيا، لا، أيها العجوز العزيز لا، بحق ما هو عزيز عليك، وليس الأمر لأن الحقيقة في النبيذ أو هناك جدلية على طريقة الفيلسوف فيتش Fichte أو بعض الشواهد الأخرى لأسبينوزا: كان فقط كانه نوع من القبول في دائرة الغشيان، فقد دفن هيراقليطوس Heraclito نفسه في كومة من الروث ليعالج نفسه من الاستسقاء. قال له ذلك أحدهم في تلك الليلة وهو واحد كانه من عالم آخر، واح مثل بولا أو وونج. أى من الناس الذين ضايقهم بغية إقامة اتصال معهم من خلال الشق الطيب، وإعادة ابتكار الحب وكان تلك هى الطريقة الوحيدة للولوج إلى الكيبوتز الخاص به، غطته القاذورات حتى ذقنه، هو هيراقليطوس الغامض. هو مثلهما لكن بدون تناول النبيذ وفوق هذا كان يعمل على علاج نفسه من الاستسقاء. ربما كان ذلك، أى أن القاذورات تغطيه حتى ذقنه، ويأمل، ومن المؤكد أن هيراقليطوس كان عليه أن يبقى وسط القاذورات أياما كاملة. وأخذ أوليفيرا يتذكر أيضا أن هيراقليطوس قال إنه إذا لم يكن هناك أمل في شيء فسوف يعثر على ما لا يتوقع، **ولتقم بلوى رقبة البجعة**، قالها، لكن لا، إنه لم يقل عبارة من هذا النوع. وبينما يشرب جرعة أخرى كبيرة وتضحك إيمانويلا من صوت نزول النبيذ وتدابع زراعه وكأنها تؤكد له أنها تحتفى برفقته وأن عليه أن يفى بوعده لها بانتزاع علب السردين من ثيلستين، كان كلا اللقبين الخاصين بالبجعة المخنوقة يصعدان وكأنهما تجشوء من أثر النبيذ. ويدفعانه للرغبة في الضحك وأن يقصر الأمر على إيمانويلا. لكنه لم يفعل إلا أن أعاد

36

لها الزجاجة وهي شبه فارغة.

فأخذت إيمانويل تغنى بصوت مرتفع «عشاق هافر Amanta du Haure وهي الأغنية التي كانت تترنم بها لاماجا عندما تشعر بالحزن. غير أن إيمانويلا كانت تغنى كلمات هذه الأغنية بنبرة مأساوية وغير متسقة مع اللحن وتتوه منها الكلمات وهي تداعب أوليفيرا الذي ظل يفكر بأن الذي يأمل هو الوحيد الذي سيكونه الباهت على ما هو غير متوقع. وأخذ يغمض عينيه بعض الشيء حتى لا يقبل بالضوء الباهت الذي يخرج من الأبواب. إذ كان يتصور نفسه بعيدا جدا (هل على الشاطئ الآخر للبحر، أو أن ذلك كان نوعا من الحنين للوطن؟) وأن الجو المحيط أكثر نقاء وأنه لا يكاد يوجد شيء عن الكيبوتز الخاص به. من البديهي أنه يحب لوى عنق البجعة حتى ولو لم يقل هيراقليتس بذلك. أصبح يعيش حالة هيام.

«ولما كانت الأرض مستديرة فلا تقلق يا حبيبي»

مع النبذ والصوت الفاتن الذي يثير الهيام، وسوف ينتهى الأمر بنواح وتعزية للنفس مثل حالة بابس، أيها المسكين أوراثيرو الذى رسا فى باريس كيف أمكن لك تغيير شوارعك: كورينتس، سوباتشيو، إيسميرالدا والريّض القديم. لكن رغم ما تبذله من جهد خارق فى إشعال سيجارة جلواز أخرى فإنه يرى الكيبوتز فى أعماق عينيك ليس على الشاطئ الآخر من البحر أو ربما كان هناك على الجانب الآخر أو هنا فى ناحية قريبة بشارع جالاند Galande أو جزيرة بوتو Puteowx فى شارع تومب إيسوار Rombe Issoire، وعلى أى الأحوال فالكيبوتز الخاص بك هو هناك دائما وليس نوعا من السراب.

– ليس سرا يا إيمانويلا.

– قالت إيمانويلا وهي تبحث بيدها بين تنوراتها اللاتي لا تحصى لتعثر على الزجاجة الأخرى :

– اصمت .

بعد ذلك انغمسا فى أمور أخرى فقصت عليه إيمانويلا حكاية غريبة رآها ثلستين عند منطقة جرينيل Orenelle، وأراد أوليفيرا أن يعرف لون شعر الغريبة إلا أن ثلستين لم ير إلا ساقها اللذين كانا طافيين بعض الشيء على صفحة النهر. فقام بالانتقال من المكان قبل أن يبدأ البوليس عادته اللعينة باستجواب كل الناس. وعندما شرب معظم محتوى الزجاجة الثانية وأصبحت سعيدين أكثر من أى وقت مضى أنشدت إيمانويلا

36

مقطعا من قصيدة La mort du loup^(٢) فقام أوليفيرا بإدخالها فجأة فى قصيدة مارتين فيرو^(٤). مرت بعض سيارات النقل فى الميدان، وأخذنا يسمعان همهمات ديليوس -Deli-us، فذات مرة ... لكن كان من غير المجدى أن يحدث إيمانويلا عن ديليوس رغم أنها كانت امرأة شديدة الحساسية ولم تكن تكتفى بالشعر وتعبّر باستخدام اليد بأن تحك جسمها فى جسم أوليفيرا لتباعد البرد عنها وتداعب ذراعه وتترنم ببعض مقاطع أوبرالية وتهجما على ثيلستين. ضغط أوليفيرا على السجارية وهى فى فمه حتى شعر بها كأنها جزء منه وأخذ ينصت إليها وتركها تزداد التصاقا به وكان يكر على نفسه أنه ليس أفضل منها وعلى أسوأ الأمور والافتراضات يمكن أن يعالج نفسه على طريقة هيراقليطوس، وربما لم يكتب بعد الرسالة الأكثر تعمقا القادمة من الظلمة، وترك للطرفة ولصوت تلاميذه بنقل الرسالة فقد تتركها أذان تحسن الاستماع. كان يشعر بظرف ما تقوم به يد إيمانويلا بفك الأزوار على سبيل الصداقة، وأن يفكر فى الوقت ذاته أن الظلمة ربما تكون قد غرقت فى القاذورات حتى ذقنها دون مرض ودون أن تعاني من الاستسقاء، اللهم إلا بغرض رسم صورة قد لا يغفرها لها العالم الخاص بها وأظهر ذلك فى صورة حكم أو درس. وأنها مارست حياة المهربين فتجاوزت حدود الزمن حتى اختلطت بالنظرية، ولم تعد إلا جزئية مؤلمة وغير لطيفة إلى جوار الماسة الرائعة Panta thei. أو أنها نوع من المداواة العظيمة التى قد يدينها حربوقراط، كما أنه يدين أيضا ولأسباب تتعلق بالنظافة العامة قيام إيمانويلا بأوضاع جنسية معينة، بينما هى ساهية غير مبالية بالمرّة بالتأمل الذى يدور فى الجزء العلوى، وقد شغلت نفسها فى مهمة لن تخرج منها إلا بالقليل، وكانت تنصرف كذلك بدافع من عزاء النفس حتى يشعر المتشرد الجديد بالسعادة فى أول ليلة من حياته الجديدة، وربما أحبها قليلا كنوع من العقاب لثيلستين، وأن ينسى الأشياء الغريبة التى كان يمضغها بصعوبة بلغته الأمريكية البرية، بينما يزداد التصاقه بالحائط، وأسلم نفسه لتنهذاتها وهو يضع يده فى شعر إيمانويلا وهو يظن، ولو للحظة، أن هذا هو شعر بولا (ولذلك كان هذا هو الجحيم) وأنها وثبت عليه وهى بين المعاطف المكسيكية وكروت البوستال التى تحمل رسومات Klee كلى ورباعية دوريل، وذلك يمتع ويُمَتّع به، بينما هى على وعى كامل وفاقدة البصر وبعيدة عن كل هذا قبل أن تطالب بنصيبها فى هذا الوضع الجنسى، مثلها مثل إيمانويلا التى اعتدت وهى خائفة من البوليس، ثم جلست فجأة وقالت: لم نكن نفعل شيئا، وتحت اللون الرمادى الذى لا يعرف كيف يملأ البوابات فتح أوليفيرا

36

عينه فجأة ورأى ساقى الحارس فوق ساقيه والأزرار مفكوكة بطريقة مزرية، وهناك زجاجة فارغة تتدحرج من جراء ضربة بقدم الحارس. ثم وجه له الركلة الثانية فى فخذه، أما اللكمة فقد أصابت رأس إيمانويلا التى طأطأت رأسها وأخذت تئن وجلست على ركبتيه دون أن يدرى كيف حدث ذلك، وكانت هذه هى الوسيلة المثلى ليضع جسم الجريمة داخل البنطلون الذى انكمش بشكل عجيب وبروح متعاونة حتى يتمكن من قفل البنطلون. وفى حقيقة الأمر لم يحدث أى شئ، لكن كيف يمكن تفسير ذلك لرجل البوليس الذى اقتادها إلى سيارة نقل السجناء وكيف سيشرح الأمر لبابس ويقول لها إن محاكم التفتيش هى شئ آخر ولأوسيب بصفة خاصة، كيف يمكن الرجوع إلى الوراء استعدادا للدفاع إلى الأمام ثم يترك نفسه يسقط وربما من إنقاذ نفسه فيما بعد، إيمانويلا ليتمكن فيما بعد من ...

– طلب أوليفيرا من رجل البوليس :

– لنتركها لشأنها فالمسكينة أكثر سؤرا منى.

طأطأ الرأس فى الوقت المناسب ليتفادى الضربة، قام رجل بوليس آخر بالامساك به من حزامه، وبدقعة واحدة ألقى به فى عربة السجناء. وألقيا فوقه بإيمانويلا التى كانت تترنم بأغنية شبيهة بـ (٥) remps des cerises إنه زمن الكرز، وتركاها وحدهما داخل السيارة. أخذ أوليفيرا يحك فخذه الذى كان يؤله بشدة وانضم بصوته إليها ليغنى معها نفس الأغنية إذا ما كانت هى الأغنية. تحركت السيارة وكأنها تندفع من خلال منجنيق.

– ترنمت إيمانويلا :

– وكل عشقنا

– قال أوليفيرا وقد ألقى بنفسه على المقعد وأخذ يبحث عن سيجارة :

– وكل عشقنا ذلك أيتها العجوز، ولا حتى هيراقليطوس.

قالت إيمانويلا :

– Tu me fais chier ..

وأخذت تبكى بصوت مرتفع .. وكل عشقنا .. غنتها وهى تنتحب. سمع أوليفيرا أن رجلى البوليس كانا يضحكان وهما ينظران إليهما من خلال شبكة النافذة «حسن إذا ما كنت أريد الهدوء فسوف يتوفر لى بشكل زائد عن الحد. لايد من الاستفادة بهذا الهدوء، تش. ولاتفعل شيئا مما تفكر فيه؛ فالاتصال بالتليفون لسرد حلم مسلي كان

36

أمرا جيدا، لكن كفى، لا يجوز الإلحاح. وليذهب كل لحالة، فالاستسقاء يتم علاجه بالصبر وبالقاذورات والوحدة وما دام ذلك فإن النادى قد انفض، انفض كل شئ لحسن الحظ، أما ما بقى فهي مسألة وقت. فرملت السيارة فى إحدى النواصى فى الوقت الذى كانت إيمانويلا تقول فيه بصوت عال «عندما يعود زمن الكرز»، وقام أحد رجال البوليس وفتح النافذة وحذرهما أنهما إذا لم يلتزما الصمت فسوف يحطم وجهيهما ركلا. نامت إيمانويلا على أرضية السيارة مستلقية على بطنها وهى تبكى بصوت مرتفع. ووضع أوليفيرا قدميه فوق مؤخرتها وارتاح فى المقعد، يتم لعبة الحجلة بحجر صغير يتم دفعه بطرف الحذاء. المكونات: رصيف، حجر صغير وحذاء ورسم جميل منقوش بالطباشير وملون بشكل جيد. السماء فى العلالى والأرض تحت، ومن الصعب الوصول بالحجر الصغير إلى السماء، وغالبا ما يتم تقرير الأمور بشكل خاطئ فيخرج الحجر بعيدا عن الرسم. ومع ذلك يتعلم المرء رويدا رويدا كيف يمكن الانتقال من مربع إلى آخر (هناك مجلة على شكل الكراكول، وأخرى مستطيلة وأخرى خيالية وهذه قليلة الاستخدام) وفى يوم من الأيام يتعلم المرء الخروج من الأرض وتوجيه الحجر حتى السماء، حتى الدخول إلى السماء (وكل عشقنا؛ انتبهت إيمانويلا وهى مستلقية على بطنها) لكن الأمر المزعج هو أنه فى اللحظة التى نصل فيها إلى هذه الدرجة من الارتفاع، وعندما لا يكاد يكون هناك أحد قد تعلم توجيه الحجر حتى السماء، تنتهى الطفولة فجأة وتسقط فى الروايات وفى خضم الألم من أجل الصاروخ الرائع وفى المضاربة والمراهنة على سماء أخرى يجب أن نتعلم كيفية الوصول إليها، ومن ثم الخروج من طور الطفولة «لن أنسى زمن الكرز» ضربت إيمانويلا بقدميها على الأرض». ينسى المرء أنه لكى يصل إلى السماء فهو فى حاجة إلى مكونات هى الحجر الصغير وسن الحذاء، وكان هذا هو ما يعرفه هيراقليتوس وهو وسط القاذورات، وربما كانت إيمانويلا كذلك وهى تخرج المخاط بصفحة يدها زمن حصاد الكرز، أو كلا اللوطيين اللذين لا يعرف كيف يجلسان فى سيارة نقل المساجين (لكن الباب كان قد فتح ثم أغلق وسط خليط من الصيحات والضحكات وصفارة) وكانا يضحكان ضحكا هستيريا وينظران إلى إيمانويلا على أرض السيارة، وإلى أوليفيرا الذى كان يريد التدخين لكنه لم يتبق معه سجاثر أو كبريت، كما أنه لم يتذكر أن رجل البوليس كان قد فتش جيوبه؛ وكل عشقنا، وكل عشقنا. الحجر الصغير وسن الحذاء، هى تلك المواد التى عرفتھا لاماجا بشكل جيد للغاية. أما هو فأقل كثيرا منها، وكذلك النادى بشكل

36

مقبول، كما أنها منذ نشأته في بورثاكو Burgaco أو في الأحياء الفقيرة في مونتفيدو كانت تشير إلى الطريق المستقيم نحو السماء دون حاجة إلى عرافة أو زن zen أو الترهات المنتقاة، نعم، الوصول إلى السماء من خلال الركلات والوصول برفقة الحجر الصغير (هل باستخدام الصليب؟ إنه لأداة قليلة الاستخدام) وعند الركلة الأخيرة يتم توجيه الحجر نحو الأزرق، الأزرق، وفجأة نجد الزجاج مكسورا، والعقاب هو النوم بدون تناول الحلوى، وأن الطفل سي، لكن ما الذي يهم إذا ما كان الكيبوتز خلف الزجاج، وليست السماء إلا أسما صيبانيا للكيوتز الخاص به.

— قال أوراثيو :

— لكل ذلك علينا أن نغنى وندخن يا إيمانويلا، انهضى أيتها العجوز الكثيرة البكاء.

— تخور إيمانويلا :

— وكل عشقنا.

— قال أحد اللوطيين وهو ينظر إلى أوراثيو بنوع من الحنان :

— إنه وسيم له سيحة أبله، قام اللوطي الآخر بإخراج ماسورة من الصفيح من جيبه، ثم أخذ ينظر من خلال إحدى الفتحات، وتعلو وجهه الابتسامة تتجعد ملامحه، فما كان من اللوطي الأكثر شباهًا إلا أن انتزع منه الماسورة وأخذ ينظر من الفتحة «لا يرى أي شيء يا جو». قال: «نعم ترى الأشياء يا جميل». قال جو: «لا، لا، لا» نعم ترى.†LOOK THROUGH THE PER PHOLE AND YOU' SEE PATTERNS PRETTY AS. VAN BE,"

«أنظر من خلال الفتحة، وسوف ترى مناظر غاية في الروعة».

«الوقت ليلا يا جو» أخرج جو علبة كبريت، وأشعل عودا ووضع أمام الجانب الآخر من المنظار (صندوق الدنيا). صيحات الحماس as can b Patterns Pretty. وكل عشقنا صاحبت إيمانويلا وهي تجلس على أرضية السيارة. كان كل شيء يسير بشكل جيد: إذ تأتي كل جزئية في موعدها، الحجلة وصندوق الدنيا؛ واللوطي الصغير ينظر ويمعن النظر، أو يا جو أنا لا أرى شيئا، أريد المزيد من الضوء، المزيد من الضوء يا جو. كان أوراثيو مستلقيا على المقعد وحيا الظلمة، ورأس الظلمة الذي كان يطل من روث المواشي ذى الشكل الهرمي بعينيهما اللتين تشبهان النجوم الخضراء.

as can be Patesnes كان الغلام على حق، إنه طريق إلى الكيبوتز، وربما كان الطريق الوحيد إليه، فذلك لا يمكن أن يكون العالم، كان الناس يستخدمون

36

صندوق الدنيا بطريقة خاطئة، وعلى ذلك لابد من إعادته إلى وضعه السليم بمساعدة إيمانويلا وبولا وبابس وماجا وروكامادور، وأن يلقى المرء بنفسه على الأرض مثلما فعلت إيمانويلا ومن هناك يبدأ النظر، أى من على جبل البعر، والنظر إلى الدنيا من خلال فتحة الشرج .and yo'll pattey as can be,

وكان من الضروري أن يمر الحجر من خلال فتحة الشرج بواسطة ركلة بسن الحذاء ومن الأرض إلى السماء حيث المربعات مفتوحة. وسوف يتهاذى التيه كأنه خيط ساعة مقطوع؛ مما أدى إلى تفجير زمن الموظفين وأصبح أشلاء متناثرة. ومن خلال المخاط والمنى ورائحة إيمانويلا وروث الظلام قد يتم الدخول في الطريق الموصل إلى الكيبوتز الرغبة وليس المؤدى إلى السماء (الصعود، هذه كلمة مناققة، السماء glauts vocis)، بل هو السير بخطوات إنسان على أرض إنسان متجها نحو الكيبوتز الكائن هناك بعيدا لكنه على نفس المستوى، كما أن السماء على مستوى الأرض، وهذا على الرصيف المتهاالك الذى تدور فوقه اللعبة، وبعد ذلك قد يدخل المرء فى عالم عندما ينطق فيه بكلمة سماء فلن تعنى مجرد كلمة بالية كأنها قطعة قماش فى المطبخ ملطخة بالشحوم Patterns Pretty as can be, وعندما يدفع الحجر ينتهى به الأمر فى الكيبوتز.

(- 37)

ومن ذلك الجانب

Il faut voyager loin en airnant sa maison
Apallinaiere, Les mamelles de Tiresias

يجب أن نسافر بعيداً أو نحب منزلنا

أبو لونير †Led mamelles de Tiresias

37

كان يغتاظ لأنه يُدعى ترافلر، لم ينتقل أبداً من الأرجنتين حتى ولو كانت الرحلة هي الذهاب إلى مونتفيدو وإلى أسونثيون في باراجواي، تلك المدن التي تذكر بلا مبالاة واضحة. وظل حتى الأربعين من العمر ملتصقا بشارع/ كاتشيمايو، كما أن عمله كمدير، بالإضافة إلى بعض الأعمال الأخرى في سيرك «لاس إستريلاس»[†] "las Estrellas" لم يكن باعثاً على الأقل في التجوال في عالم بارنوم^(١) Barmum.

تمتد منطقة السيرك من سانتا في Santa Fe إلى كارمن دي باتا جونس Carwen[†] de Patagones، مع فترات إقامة مطولة في العاصمة الفيدرالية لابلاتا روساريو-La Plata و Rorario، وعندما تبدى تاليتا Talite قارئة الموسوعات اهتمامها بالشعوب التي تعيش حياة الترحال والثقافات الخاصة بالرحل كان ترافلو يدمدم ويطرب إطرأً غير صريح على الحوش المليء بنبات الغرنوق. وعلى السرير النقال وعلى عدم الخروج من الركن الذي بدأ وجودك فيه. وبين كوب من الشاي وآخر كان ينطق ببعض الحكم التي تتأثر بها زوجته، لكن كان يرى أنه مستعد أكثر من اللازم ليكبح جماح نفسه. وعندما ينام كانت تطفر منه أحيانا بعض الكلمات الخاصة بأنه منبت الجذور والمنفى، والانتقال إلى ما وراء البحار والمروء غير نقاط الجمارك والإمساك بمساطر الطبوغرافيا غير الدقيقة. كانت تاليتا تداعبه عند الاستيقاظ من النوم بادرة بتوجيه ضربات إلى عجزه، وبعد ذلك يضحكان كالمجانين لدرجة كان يبدو معها أن خيانة ترافلر لنفسه سوف تكون في مصلحة الاثنين. كان يجب الاعتراف بشئٍ وهو أن ترافلر خلافا لمعظم أصدقائه، لم يكن يلقي اللوم على الزمن أو الحظ في أنه لم يسافر على هواه. ولم يكن يفعل إلا تناول المشروب الكحولي ginebra جرعة واحدة بـوكان ينظر إلى نفسه على أنه أبله كبير.

– كانت تاليتا تقول عندما كانت تسنح لها الفرصة :

– بالطبع، أنا أفضل رحلاته، لكنه أبله لدرجة لا يدرك معها ما يحدث. أنا، ياسيديتي، هي التي حملته على أجنحة الخيال حتى وصلت به إلى حافة الأفق.
كانت السيدة بتلك التساؤلات تعتقد أن تاليتا تتحدث بجدية وتجيب على الأسئلة في الإطار التالي:

– أه، يا سيدتي، الرجال غير مفهومين (أو لنقل إنهم غير متفهمين).

أو :

– صدقيني! فأنا وزوجي خوان أنطونيو على نفس الشاكلة، ودائما أقول له هذا، لكنه

37

فى دنيا أخرى.

أو :

- كيف أفهمك يا سيدتى! الحياة كفاح.

أو :

لا تكونى سيئة الظن أيتها السيدة، تكفى الصحة والمال، ثم تقوم تاليتا بسرد ذلك على ترافلر، ويتقلب كلاهما على أرض المطبخ حتى تتمزق ملابسها، كان أعظم شئ عند ترافلر هو الاختباء فى دورة المياه، والتصنت - بينما يمسك فى فمه بالمندبل أو الفانلة - على تاليتا وهى تجعل السيدات اللاتى يقمن فى بنسيون Sobrales يتحدثن، وكذلك بعض الأخريات اللاتى كن يقمن فى الفندق المقابل. وخلال لحظات الأمل والتقاؤل التى لم تكن تدوم طويلا يحول إحدى الغرف إلى راديو - مسرح؛ ليسخر من تلك السيدات البدينات دون أن يدركن ما يحدث لهن ويدفعهن للبكاء بحرقة وألبحث عن محطة الراديو كل يوم، لكنه لم يكن قد سافر بعد، وكان هذا الموضوع بمثابة غصة فى حلقه.

- إنه حجر حقيقى - كان ترافلر يشرح ذلك وهو يضع يده على معدته.

- أنا لم أَرُ حجرا أسود - كان يقول مدير السيرك الذى هو كاتم السر لكل هذا

الحنين والشوق.

- لقد أصبح الحجر هكذا بسبب البقاء فى مكان واحد، والتفكير بأن هناك شعراء

كانوا يشكون من كثرة التنقل يافير جوتو!

- تحدث معى بالقشائلية تش، - كان المدير يقول ذلك، وهو الذى كان يهتز للرجاء

الذى يأخذ البعد الشخصى الحاد.

- لا أستطيع يا مدير - يغمغم ترافلر ويعتذر بطريقة ضمنية؛ لأنه ناداه باسمه -

الكلمات الأجنبية الجميلة عبارة عن واحة أو درجة من الدرجات، ألن نذهب أبدا إلى

كوستاريكا؟ أو إلى بنما حيث ترسو هناك الغلايين الإمبراطورية؟ مات جاردل Gardel

فى كولومبيا!

- ما ينقصنا هو المال تش. كان المدير يقول ذلك وهو يخرج ساعته - سوف أذهب

إلى الفندق، ذلك أن زوجتى كوكا Cuca غاضبة.

يبقى ترافلر وحيدا فى المكتب، ويتساءل عن شكل الأمسيات فى كونكتيكوت

Connecticut، وكنوع من عزاء النفس كان يتذكر أفضل ما فى حياته. ومن بينها على

سبيل المثال هو أنه دخل على رئيسه فى مكتبه ذات صباح أحد الأيام من عام 1940،

37

بقسم الضرائب الداخلية، وهو يحمل كوب ماء فى يده، كان قد فصل من الخدمة بينما كان رئيسه يجفف عرق وجهه باستخدام المناديل الورقية. تلك كانت واحدة من الأحداث الطبية فى حياته، ففى ذلك الشهر بالتحديد كان سيحظى بترقية. وكما كان زواجه من تاليتا شيئاً آخر طيباً فى حياته (رغم أنهما كان يريان عكس ذلك) فهي مقيدة بدبلوم الصيدلة الحاصلة عليه ومآلها الشيخوخة دون الاستئناف لدى الضمادة اللاصقة، كما أن ترافلر مثل لشراء تحاميل ضد الالتهاب الشعبى، ومن خلال الشرح الذى طلبه من تاليتا أطلق الحب رغوته مثل الشامبو تحت الدش. أضف إلى ذلك أن ترافلر كان يصبر على أنه أحب تاليتا فى اللحظة التى أنزلت فيها ناظريها وحاولت شرح الأسباب التى تجعل التحاميل أكثر فاعلية بعد التبرز وليس قبله.

- تقول تاليتا بعد التذكر :

- أيها التعس كنت تفهم التعليمات، لكنك كنت تتصنع عدم المعرفة حتى أتولى أنا الشرح.
- الصيدلانية هى فى خدمة الحقيقة - رغم أنها قد تكون موجودة فى الأماكن الأكثر حميمية، أه لو عرفت مدى الانفعال الذى صاحب قيامى بوضع أول جرعة للتحاميل هذا المساء بعد أن تركتك. كان لون الجرعة أخضر وحجمها كبير.
- قالت تاليتا :

- هو الكافور، وأنت حسن الحظ، فأنا لم أبع لك التحاميل برائحة الثوم التى تلاحظ على بعد عشرين متراً.
لكنهما أحياناً ما يعتريهما الحزن ويدركان بطريقة غامضة أنهما لجأ إلى التسلية هذه المرة أيضاً كوسيلة قصوى لمحاربة الكآبة التى عليها أهل مدن الموانئ وحياة ليس فيها الكثير (ما الذى يمكن أن يقال بعد «الكثير»، الضيق غير الواضح فى فم المعدة، وهو الحجر الأسود كالعادة).

كانت تاليتا تشرح الاكتئاب الذى عليه ترافلر للسيدة دى جوتوسو
- إنه يعتريه خلال فترة القيلولة، وكأنه يدخل إليه من غشاء الجنب.
- تقول السيدة دى جوتوسو :
- لابد وأنه نوع من الالتهاب فى الأحشاء يقولون إنه المولد اللعين.
- إنه من الروح يا سيدتى، فزوجى شاعر، صدقنى.
كان يحبس نفسه فى دورة المياه، ويضع فوطه على وجهه، وتتساقط الدموع من عينيه من كثرة الضحك.

37

– ألم يقولوا لك إنه نوع من السعادة؟ أنت تعرفين ابني فيكتور؛ إذ ترينه هناك يلعب مع الأشقياء، هو كالزهرة، صدقينى. لكن عندما تنتابه السعادة يضحك بهستيرية؛ إذ يغمض عينيه هاتين السوداوين ويفتح فمه وكأنه ضفدعة، وبعد هنيهة لا يتمكن من فرد أصابع قدميه.

– تقول تاليتا :

– ليس من الضروري فرد أصابع القدمين .

تسمع ضحكات ترافلر وهو فى دورة المياه، فتقوم تاليتا بتغيير مسار الحوار بسرعة لتلهى السيدة دى جوتوسو. وعادة ما يترك ترافلر مخبأه وهو يشعر بحزن عميق وتتفهم تاليتا ذلك. لابد من الحديث عن تفهم تاليتا. إنه نوع من الفهم الساخر والحنون والبعيد. حبها لترافلر عبارة عن كسرولات متسخة وإيالى طويلة من السهاد وقبول ناعم لخيلات الحنين والاشتياق وعشقه للتانجو وللحيلة، وعندما يشعر ترافلر بالحزن ويفكر فى أنه لم يسافر فى حياته (تعرف تاليتا أن ذلك لا يهمه؛ ذلك أن الأمور التى تقلقه أكثر عمقا من هذا) تتم مرافقته دون التحدث معه بكثرة، وتقديم مشروب الشاي والعمل على توفير السجائر والقيام بمهمة المرأة إزاء الرجل بأن تكون قريبة منه دون أن تغطى على ظله، وهذا هو الصعب فى الأمر. سعيدة تاليتا مع ترافلر وبالسيرك وبتمشيط القط الذى يقوم بالعمليات الحسابية قبل أن يدخل حلبة السيرك، وبتقديم الحسابات للمدير. وأحيانا ما تفكر بتواضع أنها أقرب بكثير عن ترافلر من تلك الأعماق الأولية التى تقلقهما، لكن أى إشارة ميتافيزيقية تفزعها بعض الشئ، وينتهى بها الأمر أن تقنع نفسها بأنه هو الوحيد القادر على القيام بالحفر وإحداث خروج السائل الأسود الملى بالزيت. كل ذلك كان يظهر على السطح بعض الشئ فى شكل كلمات أو نماذج ويطلق عليه الآخر أو الابتسامة أو الحب هو أيضا السيرك والحياة. وكل هذا من أجل أن تطلق عليه الأسماء الظاهرية وغير المناسبة وإن تلحق به أبدا.

وعندما لا يكون هناك الآخر يتحول ترافلر إلى إنسان يشغل نفسه بالعمل والفعل. وكان يسمى ذلك بالفعل المقيّد؛ فليس الأمر هو العمل على القتل. وقد مر طوال العقود الأربعة بمراحل قوية متنوعة: كرة القدم (فى الفريق المدرسى، سنتر فرويد، لم يكن سيئا) ورياضة العدو، والسياسة (سجن لمدة شهر عام 1934 فى سجن (بيوتو Devoto) عمل فى المناحل وتربية الأرانب (مزرعة مانثاناريس التى أفلس فى الشهر الثالث؛ إذ أصيبت الأرانب بالوبئة ولم يتم استئناس النحل) ثم فى قيادة السيارات (مساعدة

37

المتسابق مارى مون Marimon ، الذى انقلب فى سباق المقاومة Resistencie وكسرت له ثلاثة ضلوع) عمل أيضا فى النجارة (تشطيب الموبيليا التى تلقى على السطح بعد استخدامها، ولم يكن إلا الفضل الذريع) الزواج وركوب الدراجات فى طريق الجنرال بات Paz خلال أيام السبت وذلك باستئجار دراجة. والدافع وراء هذا الفعل هو مكتبة ذهنية وإتقان لغتين وسهولة فى الكتابة واهتمام ساخر بما هو غامض والكرات الزجاجية، وكذا محاولته فى أن يستخرج نبات تفاح الجن من خلال زراعة القلقاس الهندى فى طشت يملؤه بالتراب ويضيف إليه السائل المنوى، فيمنو القلقاس بسرعة وتغزو أطراف النبات البنسيون، وتخرج من النوافذ؛ فتتدخل تاليتا بحذر مستخدمة المقص، وكان ترافلر يختبر ساق النبات وهو يشك فى حدوث شئ، ثم يتنازل صاغرا عن تفاح الجن الذى هو الشغل الشاغل وقلق الطفولة وأحياناً ما يشير ترافلر إلى فريين له أكثر حظاً منه، فنقوم هى بمعانقته وتقيله وهى قلقة وتفعل ما فى وسعها لتباعده عن تلك الأفكار وتأخذه لمشاهدة فيلم لمارلين مونرو التى كان ترافلر يفضلها و - تفرمل - الغيرة الفنية فى ظلمة سينما برسيدنت روكا Presidento Roca .

(-98)

38

لم تكن تاليتا واثقة من أن ترافلز سيسعد من عودة صديق من أيام الصبا إلى الوطن، فقول شيء فعله ترافلز عندما علم بأن الذي اسمه أوراثيو قد عاد بطريقة عنيفة إلى الأرجنتين على ظهر المركب أندريا ث Andrea C. ركل القط المحاسب ونادى بأن الحياة ما هي إلا مهزلة محضة. وعلى أي الأحوال فقد ذهب لاستقباله في الميناء ترافقه تاليتا وقد وضعت القط المحاسب في سلة. خرج أوليفيرا من الغيلون ومن الجمارك وهو يحمل شنطة واحدة خفيفة، وعندما تعرف على وجه ترافلز رفع حاجبيه وسط مشاعر المفاجأة والغبط.

— ماذا عندك، تشي،

— قال ترافلز وهو يضغط على يده مصافحا وسط انفعال لم يكن يتوقعه :

— التحية.

— قال أوليفيرا :

— انظر هيا بنا إلى إحدى الشوايات في الميناء لتناول السجق.

— قال ترافلز :

— أعرفك بزوجتي .

قال أوليفيرا «سررت بمعرفتك» ومد يده مصافحا دون أن ينظر إليها وسرعان ما سأل عن هوية القط ولماذا أتيا به في سلة إلى الميناء. شعرت تاليتا بالإهانة من طريقة الاستقبال ووجدتها غير لائقة أبدا وقالت بأنها ستعود بالقط إلى السيرك.

— قال ترافلز :

— حقا.

— إنها تبدو ضعيفة إلى جوار النافذة في الترام؛ فأنت تعرفين أنه لا يروق له أن يكون بالقرب من المشي.

أخذ أوليفيرا يتناول نبيذا أحمر ويأكل السجق، ولما لم يتحدث عن شيء ذي بال قص عليه ترافلز أمر السيرك وكيف أنه تزوج تاليتا ولخص له الموقف السياسي والرياضي للبلد، مركزاً على صعود الملاك باسكوليتو بيريث Pascualito Perz، وقال إنه التقى به Fango فانتيخو في باريس بالمصادفة وأن أعوج الساقين هذا بدا نائما، بدأ ترافلز يشعر بالجوع فطلب كرسي وسعد بأن أوليفيرا أخذ أول سيجارة بابتسامة ودخنها بإعجاب، تناولا معا لترأ آخر من النبيذ الأحمر، وتحدث ترافلز عن طبيعة عمله، وأنه لم يفقد الأمل في العثور على عمل أفضل؛ أي يبذل جهدا أقل ويكسب أكثر، وظل طوال الوقت في انتظار أن يقول له أوليفيرا شيئا، ليس يدري ما هو، أي وجهة يكونا واثقين.

38

منها في هذا اللقاء بعد زمن طويل.

— عرض :

— حسن، احك شيئا.

— قال أوليفيرا :

— كان الطقس متقلبا جدا ومن حين لآخر يعتدل الجو في بعض الأيام، هناك أمر آخر: لقد أحسن ثيسار بروتو Cesar Brute القول بأنه لو ذهبت إلى باريس في شهر أكتوبر فعليك أن تذهب لزيارة اللوفر، وماذا؟ آه، حقا لقد ذهبت مرة إلى فيينا؛ فهناك مقاهى رائعة، وفيها سيدات بديئات يأخذن الكلب والزوج لتناول إستروديل strudel.

— قال ترافلر :

— حسن، حسن، لست مجبرا على الكلام إذا لم يرق لك ذلك.

— في يوم من الأيام وقع منى قالب سكر تحت الترابيزة في أحد المقاهى؛ في باريس وليس في فيينا.

— إذا ما كنت تريد الحديث عن المقاهى؛ فإن الأمر لم يكن يستحق أن تعبر المحيط.

— هذا الرجل يفهم - قال أوليفيرا وهو يقوم بقطع صغيرة من السجق، لكن هذا لن تجده في مدينة النور تشي، مدينة الأرجنتينيين؛ فقد قالوا لى ذلك - إنهم سيكون من أجل اللحم البقري، كما أنى عرفت سيدة كانت تتذكر بحنين وشوق طعم النبيذ المحلى؛ فالنبيذ الفرنسي في نظرها لا يمكن تناوله مخلوطا بالصودا.

— قال ترافلر :

— ياللهول .

— وكذا الطماطم والبطاطس، فهما أطعم من هناك ومن أى مكان.

— أرى أنك كنت تحك مرفقك في الكريمة.

— أحيانا، وعموما فمرفقى لم يرَ وقالها، وأقول هذا لأفيد من عبارتك المجازية اللطيفة، يالها من رطوبة يا أخى.

— قال ترافلر :

— آه، عليك أن تتأقلم من جديد على الطقس.

ظلا على هذا النحو خمسا وعشرين دقيقة.

(-39)

39

لم يكن أوليفيرا ليقص على ترافلر أنه قام بجولة في الأحياء الفقيرة عند توقف المركب في مونتفيديو، وأنه أخذ يسأل وينظر هنا وهناك، ويتناول كأسين من الكانيا ليكون محل ثقة أحد السمر. ولا شئ اللهم إلا العديد من المباني الجديدة قد وصل إلى الميناء قبل ساعة من إبحار الغليون اندرياث Andrea، وكانت المياه مليئة بالسمك الميت المقلوب على بطنه ويرى طافيا كذلك بعض الواقيات الذكرية على سطح المياه المليئة بالشحوم، ولم يكن أمامه بد إلا العودة إلى المركب في أنه ربما كان لوكا. وفي الواقع كان لوكا أو بيروصيا Perugia. وذهب كل شئ.

وقبل أن يغادر المركب إلى الوطن الأم قرر أوليفيرا أن كل ما حدث لم يكن ماضيا، وأن ذلك ليس إلا خدعة عقلية مثل خدع أخرى كثيرة التي يمكن أن تساعد على تصور سهل للمستقبل وقد قوته الألعاب التي تم لعبها. أدرك (وهو وحده على مقدمة السفينة عند الفجر وفي وسط الضباب الأصفر للعدم) أن لاشئ قد تغير إذا ما كان قد قرر البقاء ورفض الطول السهلة. وإذا ما افترضنا وجود النضج فلم يكن إلا نفاقا. فلم يكن هناك شئ ناضج. ولا شئ يمكن أن يكون أكثر طبيعية من تلك المرأة وهي تحمل قطافى السلة وهي تنتظره إلى جوار مانولو ترافلر. إنها تشبه بعض الشئ، تلك المرأة الأخرى التي (لكن ماذا جناه من التجول في هذه الأحياء الفقيرة في مونتفيديو واستنجا تاكسي ليذهب به إلى أبعد نقطة في الثيرو Cerro، ويسأل عن عناوين قديمة استعادتها ذاكرة غير راضية). كان لابد من مواصلة الطريق أو العودة على بدء أو الانتهاء: ليس هناك كوبرى حتى الآن. كان يحمل شنطة في يده، واستند إلى جدار إحدى الشوايات في الميناء. وذات ليلة حكى له رجل شبه سكران بعض الطرائف عن المغنى الجوال بيتينوتى وكيف أنه كان يغنى ذلك الفالس: تشخيصى بسيط: أعرف أن لا علاج لى. بدت له كلمة «التشخيص» ضمن كلمات الفالس أمرا لا يقاوم، لكنه الآن يكرر هذه الأبيات بنغمة قاطعة، بينما ترافلر يقص عليه أمر السيرك وأمر L.O.lausse حتى خوان بيرون Juan Peron.

(-86)

40

أدرك أن العودة هي في واقع الأمر الذهاب في أكثر من معنى. كان ينمو مع جيكرينيتين المسكنة والمتفانية، في حجرة فندق مقابلة لبنيسون «سويرالس»؛ حيث كان يقيم ترافلر وزوجته، سارت الأمور معهما سيرا حسنا فجيكرينيتين سعيدة وكانت تعد فناجين الشاي بطريقة ممتازة، ورغم أنها كانت تمارس الحب بنوع من التثاقل إلا أنها كانت تتمتع ببعض الصفات المنزلية الهامة، فكانت تهو له الوقت الكافي ليفكر في الأمر الخاص بالعودة والذهاب، فهذه كانت مشكلة تقلقه أثناء تحصيل عمولات بيع مقاطع الجبردين، انتقده ترافلر في البداية؛ لأنه كان يصر على أن كل شيء في بوينوس أيرس وأن هذه المدينة ما هي إلا واحدة من القحاب التي ترتدى الكورسيه. غير أن أوليفيرا فسر له ولتاليتا أن هذا النقد ملئ بالحلب لا يراه المجانين من أمثالهما. وانتهى بهما الأمر في أنه على حق، وأن أوليفيرا لا يمكن أن يدخل في مصالحة مناققة مع بوينوس أيرس، ولما كان قد مكث فترة بعيدا جدا عن البلاد في أوروبا، فإن الأشياء البسيطة والقديمة بعض الشيء كانت تسعده: مثل الشاي وأسطوانات دي كارو De Caro، وأحيانا الميناء في المساء، كان ثلاثتهم يتجولون كثيرا في المدينة منتهزين الفترة التي تعمل فيها جيكرينيتين في أحد المحلات، وكان ترافلر يتلصص في أعماق أوليفيرا على ملامح المواطنة ويقوم بتسميد الأرض بالكثير من البيرة، لكن تاليتا كانت أكثر عنادا (وهذا ملح أساسى للامبالاه) وتطالب بالانضمام إلى المكان خلال وقت قصير: فهناك لوحات كلوريندو تستا Clornde testa على سبيل المثال أو أفلام تورى نيلسون^(١) Tarre Nilson. كانت تدور مناقشات حادة بشأن بيولي كاسارس^(٢) Bloy casares. ودافيد بينياس^(٣) David Vinas والأب كاستيلاني^(٤) Castellani ومادناوتا Manauta وسياسة YPF^(٥) وأدركت تاليتا في النهاية أن أوليفيرا لا يهيمه أن يكون في بوينوس أيرس أو بوخارست، وأنه لم يعد في الواقع بل أتوايه. وتحت سطح المناقشة كان يدور هواء وتلاقى الثلاثة في هوسهم بالبحث عن وجهات النظر التي تخرج الناظر والمنظور إليه من البؤرة.. ويعد مشاجرات بدأت تاليتا وأليفيرا في احترام بعضهما البعض. كان ترافلر يتذكر أوليفيرا عندما كان عمره عشرة أعوام، فكان الألم يعصر قلبه، وربما كان سبب الألم هو الغازات التي تولدت عن شرب البيرة.

– يقول ترافلر :

– الأمر بالنسبة لسيداتك هو أنك لست شاعرا لا تشعر مثلكا بأن المدينة هي عبارة عن جوف كبير يتأرجح ببطء تحت السماء، وأن هناك عنكبوتا ضخما تبلغ أرجله القديس

40

بيثنتى وفى بورثاكو Burgaco وفى سراندى Sarandi وفى البالومار Palomar - أما الأرجل الأخرى فهي موضوعة فى المياه، وبإلها من عنكبوت مسكين بسبب هذا النهر القذر.

- قالت تاليتا مشفقة بعد أن أخذت تثق به :

- أوراثيو يصبو إلى الكمال؛ إنه الإنسان المغتاط فوق الجواد الأصيل. عليك أن تتعلم منا، فكلانا من أهالى المدن الساحلية البسطاء، ومع ذلك نعرف من هو بيير دى ماندريارجيس^(٦) Pieyre de Mandiargues.

- يقول ترافلر وهو يدور بعينه :

- وفى الشوارع تشير فتيات جميلات العيون ووجوه فى الأرض باللبن وإذاعة راديو المونودو Radio El Mando، كل ذلك ترك طبقة من بودة تلك عبارة عن أكذوبة مهذبة.

- والمتخصصين فى الفلكلور الكانيجى Canyengue وكأنهم خدم. ذكرنى ونحن فى المنزل أن أقرأ لك أيها العجوز اعترافات إيفون جيتري Ivonne Gwete، إنه لشئ عظيم.

- بالمناسبة، تقول السيدة/ دى جوتوسو بأنك إذا لم تعد لها المختارات الشعرية لجيرالد فسوف تضربك على أم رأسك - أبلغ تاليتا.

- أول شئ هو أن أقرأ الاعتراف على أوراثيو. وعليها أن تنتظر، إنها عجوز مقية.

- سأل أوليفيرا :

- هل السيدة/ دى جوتوسو هى تلك الطيبة التى تقضى يومها تتحدث مع

جيكريتيتين؟

- نعم، هما صديقتان خلال هذا الأسبوع، وسوف ترى ذلك خلال بضعة أيام،

فالحى الذى نعيش فيه هذه طبيعته.

- قال أوليفيرا :

- يغمره ضوء القمر.

- قالت تاليتا:

- هو أفضل بكثير من سان جيرمان دى بديه الذى تحدثت عنه.

- قال أوليفيرا وهو ينظر إليها وربما أغمض عينيه بعض الشئ.

- بالطبع ... وهذه الطريقة فى نطق اللغة الفرنسية، تلك الطريقة، وفيما إذا كان يغمض عينيه بعض الشئ (إنها صيدلانية للأسف)

ولما كان يروق لهم اللعب بالألفاظ اخترعوا فى تلك الأيام الألعاب فى المقابر بادئين باسم خوليو كارسايس^(٧) Julio Casars على سبيل المثال عند صفحة 558، ثم اللعب

بلغظة halliulla (رغيف رقيق) و hamago (مادة صفراء يخزنها النحل في بعض الخلايا) و (النسر صياد السمك) و Hologue (زروق من طراز قديم)، (داء الصقور الذى يؤدى إلى تقطيع الريش) و Harambel المتلجلج Harbullista و Harca (عصابة من جنود غير نظاميين) و Harija (غبار الدقيق)، ويظنون فى حقيقة الأمر على شئ من مشاعر الحزن وهم يفكرون فى إمكانيات لم تتم الإفادة منها بسبب الطبيعة الأرجنتينية ومرور الزمن - الذى - لا يرحم - وفيما يتعلق بالصيدلانية كان ترافلر يلح كثيرا على أن أصله اسم وشئ لأمة ميروفنجة Merouingia، ثم قام هو وأوليفيرا بكتابة قصيدة ملحمية تتحدث عن أن الرجل من الصيدلانيات قمن بغزو إقليم قطلونيا، وأشعن فيه الرعب ونبات الخربق eleboro والفلقليات. إنها الأمة الصيدلانية من الخيول الضخمة، إنه التأمل فى الادغال الصيدلانية أه، يا إمبراطورة الصيدالة، الرحمة بالضعاف والمربوطين من قرونهم ومن أصابهم الخرس والكسالى.

وفى الوقت الذى كان يقوم فيه ترافلر بالسعى لدى المدير حتى يجعله يدخل السيرك، فإن الهدف الذى هو وراء الأرق كان تناول الشائ فى الحجرة ومحاولة أن يعرف آخر تطورات الآداب الوطنية ولكن دون رغبة حقيقية. ولما أسلم نفسه لتلك المهام هبط الحماس وقلت بشكل واضح مبيعات مقاطع الجبردين. بدأت الاجتماعات فى حوش السيد/ كويسبو صديق ترافلر، وهو الذى كان يؤجر حجلات للسيدة دى جوتوسو ولسيدات أخريات ورجال آخرين شجعه حنان جيكربيتين التى كانت تعامله بلطف كأنه طفل صغير، فكان أوليفيرا ينام كثيرا لدرجة لا يستطيع معها أكثر من ذلك، وخلال فترات اليقظة الداخلية كان ينظر أحيانا فى كتاب صغير لكريبيل Creuel الذى وجده فى قاع الشنطة. ثم يتخذ هيئة إحدى شخصيات القصص الروسية. ولا يمكن أن يتمخض أى شئ جيد عن هذه الطريقة المنهجية. وكان هو الآخر واثقا من ذلك، أى من أنه عندما يقوم بإغماض عينيه بعض الشئ يمكن أن ترى بعض الأشياء وقد رسمت بشكل أفضل. وهذا أفضل من رؤيتها أثناء النوم إذ تتضح معالم السحاب meninges. لم يحدث تقدم كبير فى موضوع السعى فى وظيفة، فالمدير لا يريد أن يعرف شيئا عن موظفين جدد، وعندما حل الظلام، وقبل أن تتضح معالم الوظيفة، أتى ترافلر وزوجته لتناول الشائ مع السيد كويسبو، وجاء أوليفيرا أيضا وكان الجميع يستمعون لأسطوانات قديمة على بيك أب كان يعمل بمعجزة، وهذه هى الوسيلة التى يجب الاستماع إلى الأسطوانات القديمة من خلالها. كانت تاليتا تجلس أحيانا فى مواجهة

40

أوليفيرا ليقوما بالعاب القبر أو تحدى النفس أمام لعبة الأسئلة – الميزان، اخترعها مع ترافلر وكانت تروق لهم كثيرا. كان السيد كريستو ينظر إليهم على أنهم مجانين، بينما هم بلهاء فى نظر السيدة دى/ جوتوسو.

– كان ترافلر يقول لأوليفيرا دون أن ينظر إليه :

– لا تتحدث أبدا عن ذلك.

كان أقوى منه. فعندما يقرر مساعلته كان عليه أن يباعد ناظره دون أن يدري السبب لكن لم يتمكن من ذكر اسم عاصمة فرنسا؛ إذ كان يشير إليها بـ «ذلك» مثل الأم التى تقوم بتقشير ثمرة جوز الهند باختراع أسماء غير عدوانية للأماكن الحساسة عند الأولاد وهى أشياء من عند الله.

– كان يجيب أوليفيرا :

– لا أهمية على الإطلاق اذهب لترى إذا لم تكن تصدقنى كانت هذه أفضل طريقة. لإثارة حقن ترافلر، الرجال الفاضل، وبدلا من أن يصر على تساؤلاته كانت جيتارنه الرهيبية القديمة التى تنسب إلى بيت أمريكا Casa America تهتز وتبدأ فى ضرب إيقاع التانجو. كانت تاليتا تنظر بطرف عينيها لأوليفيرا وهى تحمل بعض النغمة. فقد وضع ترافلر فى مخيلتها أن أوليفيرا إنسان غريب، دون أن يقول ذلك بوضوح بالغ، وأنه بالرغم من أن ذلك ظاهر للعيان، فإن الغرابة لايد وأن تكون من نوع آخر، وتسير فى اتجاه آخر. كانت تمر بعض الليالى والجميع صامت كأنه ينتظر شيئا. كانوا على أفضل حال مجتمعين، لكن الأمر كان بمثابة الهدوء الذى يسبق العاصفة. فى تلك الليالى كانوا يفتحون لعبة الحيانة فتقع بين أيديهم أشياء مثل Ciso (جلبة) Claticero (كيسة مذنبة) و Clot أو Cisma (انشقاق) و Clistico (مسال مرارى) و Clision (قطع). وفى النهاية يخلدون للنوم وقد تعكر مزاجهم بشكل واضح، ويحلمون طوال الليل بأشياء مسلية ولطيفة: أى أن ذلك كان نوعا من العبث.

(59 –)

41

كانت الشمس تضرب وجه أوليفيرا ابتداء من الثانية بعد الظهر. أضف إلى ذلك كان يصعب عليه في ظل هذا الحر أن يقوم إعوجاج مسمار بالدق عليه على البلاط (والجميع يعرف حجم المخاطر التي ينطوى عليها تقويم إعوجاج مسمار بالدق عليه، إذ تمر لحظة يكون فيها المسمار قد أخذ وضع الاستقامة شبه الكاملة، وعندما يطرق مرة أخرى يلف ويغط بقوة على الأصابع التي تمسك به. إنه لأمر مثير للغضب) وبإصرار على بلاطة واحدة (لكن الجميع يعرف أن) بإصرار على بلاطة واحدة (لكن الجميع) بإصرار.

«ليس هناك أدنى حق»، فكر أوليفيرا وهو ينظر إلى المسامير المبعثرة على الأرض، كما أن دكاكين الحدادة مغلقة في مثل هذه الساعة. وإذا ما ذهبت وطرقت على الأبواب فسوف يطردونني ركلًا وكل ما أريده هو أن أبتاع منهم مسامير بثلاثين جيتا guitas على أن أقوم المسامير المعوجة، ولا مناص من ذلك.

في كل مرة يتمكن فيها من تقويم مسمار بنسبة خمسين في المائة كان المسمار يرفع رأسه ويتخذ وجهته نحو النافذة المفتوحة ويصغر حتى يتطلع ترافلر من النافذة كان يرى جزءا كبيرا من حجرة النوم وهو في غرفته، وكان هناك هاجس يقول له إن ترافلر في غرفة النوم وربما في حالة مضاجعة مع تاليتا. كان ترافلر وزوجته ينمان كثيرا أثناء النهار، ولم يكن ذلك بسبب العناء في السيرك فقط بل كان على سبيل العمل بمبدأ الكسل الذي يحترمه أوليفيرا. كان من المؤلم إيقاظ ترافلر في الثانية والنصف بعد الظهر، لكن أوليفيرا قد ازرقّت أصابعه التي كان يمسك بها المسامير، وأخذت كدمات الدماء في الانتشار والنضج، وأصبح الإصبع كأنه النرد غير المتقن الصنع. لقد كان أمرا منفرا للغاية. وكلما رأى الكدمات كلما شعر بالحاجة إلى إيقاظ ترافلر. وفوق هذا كان يرغب في تناول الشاي لكنه لم تنبثق عنده أعشاب، أو بمعنى آخر بقي عنده ما يكفي لعمل نصف كوب، وكان من المناسب أن يقوم ترافلر أو تاليتا بإعطائه الجزء الباقي ملفوفا في ورقة ومربوطا إلى بعض المسامير حتى يقذف إليه عبر النافذة ويمكن تحمّل القيلولة بتناول الشاي والمسامير المستقيمة.

«غريبة تلك القدرة التي أتمتع بها في الصغير» فكر أوليفيرا وهو حائر. ومن الدور الأسفل حيث كانت تقيم ثلاث نساء وفتاة لأداء الطلبات. كان هناك من يرد عليه بصغير

41

مضاد ومحزن، فهو صغير يشبه غليان الـ Paua وقد اختلط بصغير من فقد أستانه. كان أوليفيرا سعيدا بالاعجاب والمناوأة التي يثيرها صغيره. فلم يمارس الصغير فى كل لحظة بل ادخره للأوقات المهمة. وأثناء الساعات التي يخصصها للقراءة، من الواحدة صباحا حتى الخامسة فجرا ولكن بشكل منقطع، توصل إلى نتيجة غير مؤكدة تقول بأن الصغير لم يكن موضوعا من الموضوعات البارزة فى الأدب. فقليل من المؤلفين كانوا يجعلون الشخصيات التي يبدعونها تمارس الصغير، ليس هناك أى واحد منهم. ويقومون بإدانة أبطالهم بأن يجرؤوا على ألسنتهم مجموعة عبارات تتسم بالرتابة الشديدة (يقول، يجب، يغنى، يصرخ، يتلعثم، يهمس، يغغم، يتحدث بصوت منخفض، يتعجب، يتحدث بصوت جهورى) لكن لم يكن هناك أى بطل أو بطلة وقد توج أو توجت لحظة عظيمة فى المسار الحياتى بصغير من ذلك النوع الذى يكسر الزجاج، فإلقاطيون الإنجليز كانوا يصغرون للنداء على كلابهم، كما أن بعض أبطال قصص شارلز ديكنز كانوا يصغرون للحصول على Cab. أما فيما يتعلق بالأدب الأرجنتىنى فالصغير قليل، مما كان مثار خجل. ولهذا ورغم أن أوليفيرا لم يقرأ شيئا لـ كامبا تشيرس^(١) Cambaceres كان يميل إلى اعتباره أستاذا على أساس عناوين مؤلفاته، وأحيانا ما يتصور استمرار يكون فيه الصغير واضحا فى الأرجنتين المرئية وغير المرئية، وأنه سيلفها فى خيطه الرقيق الشفاف، ويجعل العالم فاغرا فمه أمام هذه الطبقة الدهنية المتجعدة التي ليست لها علاقة بصورة القصور التي ترسمها السفارات ومحتوى الملاحق الأسبوعية لكل من صحيفة Prensa التي أسسها جايناثايات وصحيفة لاناثيون Naelon أسسها ميتري Mitre، وكذلك الصعود والهبوط الذى عليه نادى الكرة بوكا جونيورز Boca Juniors والمتقنين المونى فى أغنية بياجوالا baguala وحى الأدباء "Boedo" «على القبة التي أنجبته» (البحث عن مسمار) «إنهم يصادرون على حتى مجرد التفكير فى هدوء، وهذه مصيبة»، وفيما عدا ذلك فتلك الخيالات كانت تشعره بالاشمئزاز لسطحيته رغم أنه قد يكون على قناعة بأنه يجب الإمساك بالأرجنتين من الجانب المخجل، والبحث عن حياثها المختبئ طوال قرن من الانغصاب بشتى صنوفه كما بين ذلك كُتّاب المقالات فيها. ومن أجل ذلك كان من الضروري أن يوضح لنفسه

41

بطريقة ما أنه لا يمكن أن يأخذ الأمر بالجدية التي يريدها، من ذلك الذى يجرؤ على القيام بدور مهرج السيرك الذى يقوم بتفكيك الكثير من السيادة فى الصاروخ المعجزة؟ من الذى يجرؤ على الضحك فى وجهها ليراها وقد احمر وجهها وربما ابتسمت أحيانا وكأنها تقابل أحدا وتتعرف عليه؟ تشئى، لكن بيب، يالها من طريقة لتعكير صفو اليوم، لنر فيما إذا كان ذلك المسمار سوف تكون درجة مقاومته أقل من المسامير الأخرى، فشكله ظريف.

«الجو بارد جدا» قال أوليفيرا لنفسه؛ إذ كان يعتقد فى الإحياء الذاتى. كان يتصبب عرقا، وكان من المستحيل عليه الإمساك جيدا بالمسامير وجانبها الموعج متجها إلى أعلى، إذ إن أقل طريقة ستجعل القادوم ينزلق إلى الأصابع المبتلة (من البرد) ويقرصه المسمار ويصيبه بالكدمات (من البرد). وساعات الأمور؛ إذ دخل ضوء الشمس إلى أرجاء الحجرة (كانت بمثابة القمر الذى ينشر ضوءه على السهول المغطاة بطبقة الجليد، أما هو فكان يصفر لحفز الخيل التى كانت تجر زحافته)، وفى الثالثة لم يبق أى ركن إلا وغزاه الجليد. كان الجو مهيباً لسقوط الجليد ببطء حتى يسيطر عليه النعاس الذى أجادت وصفه الروايات السلافية. وأصبح مغطى بالبياض القاتل لزهور الفضاء الناعمة. كان ذلك جيدا: زهور الفضاء الناعمة. فى هذه اللحظة هوى القادوم على إصبعه الإبهام. كان البرد الذى غزاه قويا لدرجة أنه استلقى على الأرض ليتغلب على التصلب الذى يحدثه التجمد ويعد هنيهة استطاع الجلوس وهو يهز يده فى كل الاتجاهات، وكان مبتلا من رأسه حتى أخمض قدميه، وربما كان مرد ذلك هو الجليد الذائب أو المطر الخفيف الذى يتناوب مع زهور الفضاء الناعمة، وتساهم فى تطرية جلد الذئب.

كان ترافلز يربط بنطلون البيجامة، وكان يرى أوليفيرا جيدا من النافذة وهو يصارع الجليد والسهول، كان على وشك أن يستدير ويقول لتاليتا أن أوليفيرا سقط على أرض الحجرة، أخذ يهز يده فى كل اتجاه. لكنه أدرك أن الموقف فيه شئ من الخطورة وأن من المستحسن مواصلة أداء دور الشاهد المتجهم وغير المبالي.

— قال أوليفيرا:

— أخيرا تخرج ، يا للهول، ظلت أصفر لك نصف ساعة. انظر إلى يدي وبها الكثير

41

من الكدمات.

- قال ترافلر :

- ليس السبب هو بيع مقاطع الجبردين .

- السبب هو تقديم بعض المسامير، تشي، أنا في حاجة إلى مسامير مستقيمة

وبعض الأعشاب.

- قال ترافلر :

- هذا أمر سهل، انتظر.

- اصنع لفة واقذف بها إلى.

- قال ترافلر :

- حسن لكن أفكر أن ذلك سوف يكلفني الذهاب إلى المطبخ

- قال أوليفيرا :

- لماذا أنت لست بعيدا جداً عنه.

- لا، لكن هناك حبل ممدد وعليه الغسيل إلى غير ذلك من هذه الأمور.

- نوه أوليفيرا :

- ادخل من تحت الحبل وإلا فاقطعه؛ فاحتكاك القميص المبتل ببلاط الأرضية هو

شيء لا ينسى، ويمكنني أن أقذف لك بسكين برى الأقلام وأراهن على أنني يمكن أن

أرشقها لك في النافذة. ففي صغري كنت أفعل ذلك على بعد عشرة أمتار .

- الأمر السيئ عندك هو أنك ترجع أي مشكلة للطفولة. لقد مللت من تكرار أن عليك

أن تقرأ ليون Jung تشي. وما هو أنت تظهر المشكلة بحديثك عن سكين برى الأقلام،

ويمكن لأي أحد القول بأنها سلاح عابر للكواكب. لا يجرى أي حديث معك إلا وكانت

سكين برى الأقلام واحدة من مكونات الحديث. قل لي ما علاقة هذا بحاجتك إلى قليل

من الأعشاب وبعض المسامير.

- قال أوليفيرا وقد أحس بالإهانة :

- حضرتك لم تتابع التسلسل المنطقي؛ أول شيء فعلته هو أنني ذكرت اليد المصابة

بكدمات ويعد ذلك المسامير، وعدت قلت لي إن هناك أحبال الغسيل التي تحول دون دخولك

41

المطبخ، فكان من المنطقي أن دفعني جبل الغسيل للتفكير في السكن، يجب على سيادتك أن
تقرأ لإدجار بويه تتش. ورغم الأحبال فليس عندك خيوط، هذا هو ما يحدث لك.
اتكأ ترافلر بمرفقيه على حافة النافذة وألقى نظرة على الشارع، لم يكن هناك إلا
مساحة صغيرة من الظل تكاد تلتصق بأرض الشارع. وعندما ترتفع إلى الدور الأول نجد
شعاع الشمس في حالة هياج أصفر يضرب في كل مكان ويكاد يسحق وجه أوليفيرا.
- قال ترافلر:

- إن سيادتك تعيش حالة سيئة كل قبولة مع هذه الشمس .

- قال أوليفيرا :

- هذه ليست الشمس، خذ في اعتبارك أنها القمر، وأن البرد قارس. لقد أصبحت
يدى هكذا بسبب تعرضي لتجمد الأطراف، ثم يعقب ذلك الإصابة بالفرغونيا، وخلال
بضعة أسابيع سوف تزورني وأنت تحمل زهور الكلايدولاس وتضعها على قبري.
- قال ترافلر وهو ينظر إلى أعلى :

- أهذا هو القمر؟ ما سوف أتيك به هو كمادات مبللة با Vieytes.

- قال أوليفيرا :

- إن أفضل شيء هناك هو وجود من بهم فحش، خاصة إنك سليلط اللسان يا مانو .Manei.

- قال أوليفيرا وهو يهز يده وكأنه يحاول فصلها عن ذراعه:

- قلت لك خمسين مرة ألا تتاديني ب مانو.

- قال ترافلر :

- تتاديك تاليتا ب مانو - الفوارق بينك وبين تاليتا هي أمر ظاهر للعيان. لست
أدري السبب في استخدامك نفس ألفاظها. وسألتني عن ذلك كل سرطانات البحر
الناسكة والتكافل (Simbioos) في كافة أشكاله وباقي الطفيليات.

- قال أوليفيرا :

- إن رقة سيادتك تكاد تذيب روحي.

- شكرا . كنت تطلب الأعشاب والمسامير. لماذا تريد المسامير؟

- قال أوليفيرا وقد اختلط عليه الأمر :

41

- لست أدرى؛ لقد أخرجت علبة المسامير المصنوعة من الصفيح واكتشفت أن كل ما بها من مسامير معوج، فأخذت في تقويمها في ظل هذا البرد، وها أنت ترى... لدى انطباع بأنه إذا ما توفرت لدى المسامير المستقيمة فسوف أعرف الغرض منها.

- قال ترافلر وهو يديق النظر إليه :

- أمر مهم، أحياناً ما تحدث لسيداتك أشياء مثيرة للفضول؛ فأول شيء هو المسامير وبعد ذلك الغرض منها، ياله من درس عظيم أيها العجوز.

- لقد فهمتني سيدتك دوماً - قال أوليفيرا - أما الأعشاب فهي، كما تتصور، بغرض إعداد شاي بدون سكر.

- قال ترافلر :

- حسن انتظرنى، ويمكن أن تصفر لى إذا ما تأخرت عليك كثيراً، إن تجد تاليتا نوعاً من التسلية فى هذا الصغير.

أخذ أوليفيرا يمزج يده وهو متجه إلى الحوض ومسح وجهه وشعره بالماء، وظل يفعل ذلك حتى ابتلت الفاتلة، ثم عاد إلى جوار النافذة عملاً بالنظرية القائلة بأن أشعة الشمس التى تسقط على الملابس المبتلة تحدث إحساساً عنيماً بالبرق «التفكير فى أننى سأموت» قال ترافلر لنفسه «دون أن أرى على الصفحة الأولى أول الأخبار وأبرزها: لقد سقط برج بيزا! إنه لخبر محزن إذا ما تأملناه جيداً».

أخذ يفكر فى عناوين وهى وسيلة تساعد على قضاء الوقت، لقد تعقدت الخيوط الصوفية للنسيج ومات مخونقاً فى لانوس الغرب، ثم أخذ يعدد العناوين حتى مائتى عنوان.

- غمغم أوليفيرا :

- على أن أنتقل من هذا السكن، فهذه الحجرة عظيمة الصغر، وفى الواقع لم يجب أحد.

- قال أوليفيرا بركة :

- الأعشاب، الأعشاب، تشئى. لا تفعل بى هذا يا مانو. إننى أفكر فى أنه يمكننا الحديث عبر النوافذ معك ومع توليتا وربما تأتى السيدة/ دى جوتوسو أو الخادمة، ثم نقوم بممارسة ألعاب الجبانة وغيرها.

«وبعد كل ذلك» فكر أوليفيرا «يمكننى أن أمارس لعبة الجباني بمفردى».

أخذ يبحث عن قاموس الأكاديمية الملكية الإسبانية حيث وجد أن كلمة الملكية Real

41

الموجودة على دفة القاموس ممسوحة وفتحته كيفما اتفق وأعدّ لمانو اللعبة التالية:
 لقد سئموا من الزبون Cliente ومن cleonasmcs فأخرجوا له الترس el clipeo وجعلوه
 بيتلع الرخويات المحارية cloaca رغم أنه كان يقلق cloaca بسبب هذا الانحدار clivaso
 الصاعد للمياة المخلوطة بنبات رأس العصفور clinopodio، وأخذ يحرك العيون clisos كأنه
 إنسان غليظ clerijon كلوروفيلي clarotico.
 - قال أوليفيرا بإعجاب شديد:
 - باللهول.

فكر أيضا أن كلمة «يطأ» يمكن أن تكون أيضا نقطة بداية، لكنه خرج صفر اليمين
 عندما اكتشف أنها غير موجودة في الجبانة. وعلى العكس من ذلك ففي باب Jonuuo
 هناك Jonjabando أى أن هناك اثنين من الـ Jobs شغوفين بالانصراف Joparse. والأمر
 السيئ هو أن الـ Jerbin كان قد jamado إذ تقيأهم وكأنتهم Jacos مصابة بداء وبائى.
 «وإنها حقاً مقبرة» فكر «لست أدرى كيف يستمر تجليد هذه القذارة».
 أخذ يكتب ألقاباً أخرى، لكن لم يوفق؛ فقرر إجراء تجربة على الحوارات التقليدية،
 وأخذ يبحث عن الكراسة التى كان يدون فيها تلك الحوارات بعد استهلاكها وهو فى
 المترو والمقاهى والحانات. كان فى الكراسة حوار شبه منتهى يدور بين إسبان؛ فقام
 بمراجعته، وقبل ذلك صب على نفسه كوباً من الماء.

حوار تقليدى بين الأسبان.

لويث: - عشت عاما كاملا فى مدريد - انظر ياسيدى، كان ذلك عام 1925 و....
 بيريث: فى مدريد؟ بالأمس تحديدا كنت أقول للدكتور جارثيا ...
 لويث: من عام 1925 حتى عام 1926؛ حيث كنت أعمل أستاذا للأدب فى الجامعة.
 بيريث: - كنت أقول له «يارجل، إن كل من عاش فى مدريد يعرف ما هو ذلك الأمر».
 لويث: - لقد أنشأوا كرسيا catedre خصيصا لى حتى أتمكن من إلقاء محاضراتى
 عن الأدب.
 بيريث: - بالضبط، بالضبط. أنا كنت أقول بالأمس للدكتور جارثيا الذى هو صديق
 حميم لى ...

41

لويث: - وبالطبع عندما يعيش المرء هناك أكثر من عام، فهو يعرف جيدا أن مستوى الدراسة متواضع جدا.

بيريث: هو ابن باكو جاريثا الذي كان وزيرا للتجارة، وكان يربى ثيران المصارعة.
لويث: - هو أمر مخجل. صدقتي، هو أمر مخجل حقا.

بيريث: نعم يا رجل، لا مرء في ذلك. فذلك الدكتور جاريثا ...
أصاب أوليفيرا بعض الملل من الحوار فأغلق الكراسة «shiva» فكر فجأة «آه
أيها الراقص الكوني، كيف سيُرى وميضك أيها البرونز الدائم تحت هذه الشمس لماذا
أفكر في شييا؟ بوينوس أيرس، يعيش المرء. طريقة عجيبة جدا. حصل على موسوعة.
ماذا أفدت من فصل الصيف أيها البلبل. الأسوأ من هذا هو التخصص وقضاء خمس
سنوات في دراسة سلوكيات الجراد acridido لكن انظر، يالها من قائمة لا يصدق
محتواها، بيب، انظر إلى ذلك قليلا.

كانت ورقة صفراء اقتطعت من مستند نولي، فربما كان أحد مطبوعات اليونسكو أو هيئة من
هذا القبيل، وعليها أسماء أعضاء مجلس برمانيا. خرج أوليفيرا بالقائمة ولم يقاوم رغبته في
إخراج قلم رصاص وكتابة هذه الألعاب الأدبية التي تعتمد على القيم الصوتية Jitanjafero.

UNu,

U Tin

Mya Bu

Thado Thiri Thudama U E Maung,

Sithu U Cho

Wunna Kyaw Htin U khln Zaw,

Wunna Kyaw Htin U Thein Han,

Wunna Kyaw Htin U Myo Min,

Thiri Pyanchi U Thant,

Thado Maba Thray Sithu U Chan Htoon.

إن المفردات "Wunna Kyaw Htin" الثلاثة بها بعض الرتابة». قال لنفسه وهو ينظر
إلى الأبيات: لابد وأن معناها «صاحب السيادة المعظم» تشي، وأفضل من تلك الثلاثة

41

Thiri, Pyanchi U Thant هنا فايقاعها الصوتى أفضل، وكيف يمكن نطق Htoon؟

- قال ترافلر:
- التحية .
- قال أوليفيرا :
- التحية، الجو بارد جدا، تشى.
- أسف لأنى جعلتك تنتظر؛ فأنت تعرف، المسامير ...
- قال أوليفيرا :
- بالتأكيد المسمار هو المسمار، وخاصة إذا ما كان مستقيما هل أحضرت اللفة؟
- قال ترافلر وهو يحك أحد جوانب صدره :
- لا ياله من يوم مزعج، تشى، إنه كالنار.
- قال أوليفيرا وهو يتحسس الفانلة التى أصبحت جافة تماما :
- أبلغنى حضرتك تعيش مثل الساماندرام Salamandre تعيشون فى عالم فيه العرافة دائمة. هل أتيت بالأعشاب؟
- قال ترافلر :
- لا، لقد نسيت الأعشاب تماما، ليس معى إلا المسامير.
- حقاً هيا اذهب للبحث عنها، عليك أن تلفها وتقذف إلى باللفة.
- نظر ترافلر إلى نافذة مسكنه ثم إلى الشارع ثم نظر إلى نافذة أوليفيرا فى النهاية.
- قال :
- سوف يكون صعبا؛ سيادتك تعرف أننى لم أجِدُ التصويب أبدا ولو كان على بعد مترين، وفى السيرك سخروا منى كثيرا.
- سيادتك تقول، سيادتك تقول، وبعد ذلك تتساقط منك المسامير على رأس أحد المارة، وعندئذ تقع الواقعة.
- قال أوليفيرا:
- ألقِ إلى باللفة، وبعد ذلك تلعب لعبة الجبانة .
- من الأفضل أن تاتى لتأخذ الأعشاب.
- هل أنت مجنون؟ سيكون على أن أنزل ثلاثة أنوار، وأسير وسط الجليد ثم أضع

41

- أنوارا ثلاثة، هذا لا يحدث حتى فى قصة «عشّة العم توم».
- ولست تريد منى القيام بممارسة صعود جبال الأندين ليلا.
- قال أوليفيرا بلهجة فيها صرامة:
- ليس هذا ما أقصد.
- كما لا تريد منى القيام بالبحث عن لوح خشب أمام المطبخ لأصنع لك كوبرى.
- قال أوليفيرا :
- هذه الفكرة ليست سيئة من كافة النواحي؛ فهى تساعدنا على استخدام المسامير، أتولى أنا الجانب الذى يخصنى وأنت الجانب الخاص بك.
- قال ترافلر:
- انتظر، ثم اختفى.
- أخذ أوليفيرا يفكر فى شتيمة قوية يسحق بها ترافلر عند أول فرصة سانحة، وبعد أن قلب فى أوراق الجبانة وألقى على جسمه بكوب ماء وقف تحت الشمس فى النافذة. لم يتأخر ترافلر كثيرا وأخذ يخرج من النافذة لوحا خشبيا ضخما. فى هذه اللحظة أدرك أوليفيرا أن تاليتا تساهم أيضا فى تحريك اللوح الخشبى، وحياها بصغيره. كانت ترتدى روبا خفيفا أخضر اللون ملتصقا بجسدها وكأنها تشير إلى أنها كانت عريانة.
- قال ترافلر متأنفا :
- يالك من غليظ فى أى متاعب تضعنا.
- وانت الفرصة لأوليفيرا:
- اسكت أيها العودة ذات الطول الذى يتراوح بين عشرة وأثنى عشر سنتمترا ولك رجلان فى كل عقدة من العقد الحادية والعشرين المكونة لجسمك ولك أربعة عيون ولك فى الفم فكائه القروء ومخالب تقذف بسمها الزعاف عندما تعمل... قال ذلك كله دفعة واحدة.
- علق ترافلر :
- فكّ هل تحققت من الكلمات التى تنطقها؟ تشى، إذا ما ظللت فى إخراج اللوح الخشبى من النافذة سوف يصل بقوة الجاذبية أن تقضى علىّ أنا ومعى تاليتا.

41

- قال أوليفيرا :
- هذا ما أراه، لكن عليك أن تضع في اعتبارك أن الطرف الآخر للوح الخشبي لازال بعيدا جدا عني.
- قال ترافلر :
- عليك أن تمد الفك بعض الشيء.
- الجلد لا يسمح بذلك تشي، كما أنك تعرف أنني أعاني من النظر إلى الفراغ من عل، إنني لست إلا بوصة تفكر وهي جيدة التكوين.
- البوصة الوحيدة التي أعرفك بها هي من باراجواي - قال ترافلر غاضبا - في الحقيقة لست أرى ما الذي نقوم به. لقد أخذ هذا اللوح يزداد ثقلا، وأنت تعرف أن الثقل أمر نسبي، فعندما جلبناه كان خفيفا جدا، بالطبع لم يتم تعريضه للشمس مثلما هو الآن.
- قال أوليفيرا متنهدا :
- أعدده إلى الحجرة، أفضل خطوة نقوم بها هي التالية: عندي لوح خشبي، لكنه ليس في مثل طول اللوح الآخر، غير أنه أعرض منه، ثم تقوم بربط اللوحين بمبل.
- وسأقوم بربط اللوح الخاص بي في السرير وأفعل أنت ما تريد باللوح الخاص بك.
- قالت تاليتا :
- من الأفضل بالنسبة لنا أن نربطه في درج الكومودينو، وسوف نستعد بينما تحضر أنت اللوح الخاص بك.
- «يالهم من معقدين» فكر أوليفيرا، وذهب يبحث عن اللوح الذي كان ملقى في أحد الدهاليز بين باب حجرته وباب حجرة أحد الأتراك الذي يمارس الطب الشعبي. كان لوحا من خشب الأرز ناعما لكن به عقدتين أو ثلاثا. وضع أوليفيرا إصبعه في أحد الخروم ولاحظ كيف أن إصبعه يخرج من الجانب الآخر، وتساءل فيما إذا كانت هذه التقويب سوف تكفي لربط الحبال. كان الدهليز في شبه ظلام تام (لكن الأمر هو التأثير على البصر من حجرة تدخلها الشمس إلى الظل) على باب حجرة التركي كان هناك كرسي تجلس عليه سيدة سميئة تلبس رداء أسود. ألقى عليها التحية وهو خلف اللوح بعد أن رفعه وأمسك به وكأته يمسك بترس ضخم (غير فعال).
- قالت السيدة التي ترتدي الأسود :
- مساء الخير يا سيد؛ الجو حار جدا.
- قال أوليفيرا :

41

- على العكس يا سيدتى إن الجو بارد للغاية.
- لا تكن ظريفا ياسيدى - قالت السيدة - أرجو احترام المرضى.
- لكن يا سيدتى ليس بك أى شئ.
- لا شئ؟ كيف تجربى سيادتك على ذلك؟
- «هذا هو الواقع» فكر أوليفيرا وهو يمسك اللوح وينظر إلى السيدة التى ترتدى الأسود؛ ذلك الذى أقبله فى كل لحظة على أنه الواقع، وهذا غير ممكن، غير ممكن.
- لا يمكن - قال أوليفيرا.
- قالت السيدة :
- اذهب أيها الرجل قليل الحياء، عليك أن تخجل وأنت تخرج فى هذه الساعة مرتديا الفاتلة.
- قال أوليفيرا:
- إنها Maslarens يا سيدتى.
- قالت السيدة :
- أيها القنر.
- «ذلك الذى أعتقد أنه الواقع» فكر أوليفيرا، وهو يداعب اللوح ويتكى عليه، «هذه الفترينة التى تم صنعها والتى أضيئت خلال خمسين أو ستين قرنا بواسطة الأيدى والخيالات والالتزامات والاتفاقات والحريات السرية».
- كانت السيدة تقول :
- إنها لأكدوبة أن يكون متقدما فى السن.
- «العمل على أن يكون المرء هو المركز» فكر أوليفيرا وهو يزداد استنادا إلى اللوح، لكنه أحقق للغاية. هو مركز وهمى مثل محاولة «كلية الوجود». ليس هناك مركز، بل هناك نوع من التلاقى المستمر وتموج للمادة. فطوال الليل أتحوّل إلى جسد لاهرك فيه، أما على الجانب الآخر من المدينة فتحول بكرة من الورق إلى صحيفة يومية، وفى التاسعة إلا الربع سوف أغادر المنزل، وفى الثامنة وأربعين دقيقة سيكون الجرنال قد جاء إلى الكشك الواقع على الناصية، وفى الثامنة وخمس وأربعين دقيقة ستتحد يدي مع الصحيفة وتتحركان فى الهواء، على بعد متر واحد من الأرض، متوجهتين إلى الترام ...
- قالت السيدة التى ترتدى السواد:
- والسيد بونش الذى أطال وأطال مع المريض الآخر.
- رفع أوليفيرا اللوح ووضعه فى حجرته. كان ترافلر يشير إليه ليسرع بعض الشئ،

41

وحتى يهدئ من استعجاله صفر صفرتين قويتين. كان الحبل فوق الدولاب، وكان عليه أن يصعد على كرسى ليتمكن منه.

- قال ترافلر :

- ليتك تُسرّع قليلاً :

- قال أوليفيرا وهو يطل من النافذة :

- ها هو أنا، ها هو، هل اللوح الذى معك مربوط جيداً، تشئى؟

- لقد ربطناه فى درج الكومودينو، كما أن تاليتا وضعت الموسوعة فوقه وهى

الموسوعة الخاصة بتعليم الذات: كيليت Quillet.

- قال أوليفيرا :

- جيد، وبالنسبة للوح الذى معى فسوف أضع فوقه الكتاب السنوى لمعهد

الدراسات التربوية والنفسية الذى يرسلونه إلى جيكريتيت دون أن يعرف السبب.

- قال ترافلر :

- لكن ما لا أراه واضحاً هو كيف سنقوم بربط اللوحين.

وأخذ يحرك الكومودينو حتى يخرج اللوح من النافذة شيئاً فشيئاً.

- قالت تاليتا التى كانت صاحبة الموسوعة :

- أنتما تبدوان اثنتين من القادة الأشوريين وهما يحملان خوازيق دك الأسوار؛ إنه

يتضمن موضوعات مثل la Mentalhygienisk Synpunkter i forsk oleundervisning

إنها كلمات رائعة، جديرة بذلك الفتى الشاعر سنورى ستورلسون^(١) Snorri Sturlus-

son وهو ذائع الذكر فى الأدب الأرجنتيني، إنها صدريات حقيقية من البرونز، وعليها

طلسم فى صورة صقر.

- قال ترافلر:

- إنها الأعاصير السرية للنرويج .

- سأل أوليفيرا مستغرباً بعض الشيء :

- هل سيادتك رجل مثقف بالفعل أم أنك تتحدث عنها؟

- قال ترافلر :

- لن أقول لك إن السيرك لا يضيع وقتى، لكن يتبقى عندي بعض الوقت لأضع

نجمة على صدرى، هذه الجملة التى تتحدث عن النجمة تطفر على ذهني دائماً عندما

أتحدث عن السيرك، وهذا محض عدوى. من أين أتيت بها؟ هل عندك فكرة يا تاليتا؟

41

- قالت تاليتا وهي تختبر متانة اللوح :
- لا، لكن ربما كان مصدرها إحدى الروايات فى بويرتوريكو.
- بعض الكلاسيكيين؟ نوّه أوليفيرا.
- إن أكثر شئ يضايقنى هو أننى أعرف أين قرأت تلك العبارة.
- قال ترافلر :
- الآن أتذكر حقيقة الأمر، لكن كان كتابا لا ينسى.
- قال أوليفيرا:
- هذا واضح .
- قالت تاليتا :
- اللوح الذى عندنا فى وضع ممتاز، أما الآن فلست أدري كيف يمكن ربط اللوحين ببعضهما.
- انتهى أوليفيرا من فك الحبل الملفوف وقسمه إلى جزعين واستخدم أحد الأجزاء فى ربط اللوح بملء السرير وأسند طرف اللوح على حافة النافذة، ثم أخذ يجر السرير فتحول اللوح كأنه ذراع رافعة أخذ يهبط شيئا فشيئا حتى استقر فوق لوح ترافلر، كما ارتفعت أرجل السرير حوالى نصف متر «الأمر السيئ» هو أن السرير سوف يرتفع إذا ما أراد أحد عبور الكوبرى» فكر أوليفيرا بقلق. اقترب من الدولاب وأخذ يدفعه فى اتجاه السرير.
- سألت تاليتا التى جلست على حافة نافذته :
- أليس عندك ثقل بما فيه الكفاية؟ وأخذت تنظر إلى حجرة أوليفيرا .
- قال أوليفيرا :
- لنتخذ أقصى التدابير الاحتياطية للحيلولة دون وقوع حادثة قوية دفع الدولاب حتى أصبح إلى جوار السرير ثم قلبه ببطء. كانت تاليتا معجبة بقوة أوليفيرا على نفس الدرجة من الإعجاب الذى تكنه لمكر وابتكارات ترافلر «إنهما من حيوانات ما قبل التاريخ gliptadontes» فكرت وهى مندهشة - فالفترات والعصور السابقة على الطوفان بدت لها ملاذا للحكمة.
- زادت سرعة الدولاب وسقط بقوة على السرير فاهتز المكان. سمعت صيحات من أسفل وفكر أوليفيرا أن التركى الذى يعيش فى الحجرة المجاورة يقوم بتجهيز ضغط شامانى عنيف. انتهى من إصلاح وضع الدولاب وركب فوق اللوح كأنه حصان لكن على الجزء الذى هو إلى جوار النافذة من داخل الحجرة.

41

- أعلن :
- سوف يقاوم أى ثقل؛ لن تكون هناك مأساة حتى تغطاظ الفتيات اللاتي تعشن فى الأوار السفلى. فهن يرين أن ذلك ليست له أية قيمة حتى يسقط أحد ميتا فى الشارع. الحياة، يقلن له.
- ألن تربط اللوحين بالحبل الذى معك؟ سأل ترافلر.
- قال أوليفيرا :
- انظر تعرف جيدا أن خوفي من السكن فى الأوار العالية حال دون صعودي إلى مواقع عليا. فمجرد اسم إفرست ينزل على كانه طلبة أتعرض لها، كما أشعر بالملل نحو كثير من الناس أكثر الملل هو من شيربا تنسينج sherpa Tensing ، صدقنى.
- هذا يعنى أننا أنا وزوجتى سنقوم بربط اللوحين - قال ترافلر.
- وافق أوليفيرا وقد أشعل سيجارة ماركة 43 :
- هذا هو .
- قال ترافلر لتاليتا :
- أخذت بالك إنه يحاول أن يجعلك تزحفين حتى وسط الكوبرى وتربطي الحبل.
- قالت تاليتا :
- أنا؟
- ها قد سمعت :
- حسن.
- لم يقل أوليفيرا إن على أن أرحف حتى منتصف الكوبرى.
- لم يقل ذلك، وإنما هو استنتاج. أضف إلى ذلك أنه من اللائق أن تكوني أنت التي تعطينه الأعشاب.
- قالت تاليتا :
- لن أعرف كيف أربط الحبل؛ فأنت وأوليفيرا تعرفان عمل العقد لكنها تنفك حتى فى الحال لدرجة أنها لا تتكون على الإطلاق.
- أجاب ترافلر :
- سوف نعطيك التعليمات .
- ربطت تاليتا روب الحمام وانتزعت فتلة كانت تلفها على إصبعها. كانت فى حاجة لأخذ نفس عميق ورغم ذلك فهي تعرف أن ترافلر تضايقه هذه التهنيدات.

41

- قالت ذلك لأوليغيرا بصوت منخفض :
- هل تريد بالفعل أن أكون أنا التي تحمل الأعشاب؟
- قال أوليغيرا وقد خرج بنصف جسده من النافذة وأسند كتفا يديه على اللوح:
- هل تقولان شيئاً؟ كانت الخادمة قد وضعت كرسيًا في الشارع وأخذت تراقبهم، ألقى عليها أوليغيرا التحية ملوحًا بيده «إنها فاتورة مزدوجة للزمان والمكان، فكر تتصور المسكينة أننا مجانين، وهي الآن تنهى لعودة سريعة للوضع الطبيعي، فإذا ما وقع أحد فإنها ستتلطخ بالدماء، كما أنها لا تعرف أن الدماء يمكن أن تلطخها، كما لا تعرف أيضاً أنه منذ عشر دقائق مر بأزمة تقلص في المعدة في الغرفة المجاورة للمطبخ، وكان السبب هو أنه جر الكرسي إلى الشارع، كما أن كوب الماء الذي شربه في الثانية وخمس وعشرين دقيقة لم يكن بارداً، وكان طعمه منفراً لتقلص المعدة التي هي مركز خراج الحكمة. ولم تكف إلا ثلاث حبات من الماغنسيوم ماركة Phillips للقضاء عليه، لكن هذه الواقعة الأخيرة ليس من الضروري أن تعرفه؛ فهناك بعض الأشياء الناجمة عن أسباب معينة أو المؤثرة يمكن أن تعرف فقط على المستوى الكوني، أقول ذلك مستخدماً عبارات بسيطة.
- قال ترافلر :
- لا تتكلم عن شيء، عليك أن تجهز الحبل.
- جاهز وهو حبل متين ، هيا يا تاليتا أنا سوف أصل إليك من هنا.
- ركبت تاليتا اللوح وكأنه حصان وتقدمت حوالى خمسة سنتيمترات وهي تسند نفسها بكتفا يديها ثم ترفع ردفيتها وتتقدم بعض الشيء.
- قالت :
- هذا الروب غير مريح على الإطلاق، من الأفضل استخدام أحد بنطلوناتك أو شيء من هذا القبيل.
- قال ترافلر :
- هذا لا قيمة له فقد تسقطين وتقضين على ملابسى.
- قال أوليغيرا :
- لا تستعجلي، تقدمي قليلاً حتى أتمكن من إلقاء الحبل.
- قالت تاليتا وهي تنظر إلى أسفل :
- هذا الشارع واسع جداً؛ إنه أوسع بكثير مما لو نظرت إليه من النافذة.

41

- قال ترافلر :
- النوافذ هى عيون المدينة، ومن الطبيعى أن تشوه كل ما ينظر إليه. ها أنت الآن فى نقطة فيها نقاء عظيم، وربما ترين الأشياء كأنك حمامة أو كحصان، ولا أحد يعرف أن له عيوناً.
- نصح أوليفيرا :
- ابتعد عن أفكار تتعلق بالأدب الفرنسى (N.R.F) وأمسك جيداً باللوح .
- بالطبع، فأنت تغتاط من أن يقول أحد شيئاً كان يروق لك أن تقوله قبله؛ فاللوح يمكن أن أمسك به جيداً بينما أفكر وأتكلم.
- قالت تاليتا :
- لابد أننى قد وصلت إلى منتصف الطريق.
- من المنتصف؟ إنك لم تخرجى بعد من النافذة، لازال أمامك ما لا يقل عن مترين.
- قال أوليفيرا وهو يشجعها :
- أقل من ذلك بقليل سوف أقذف لك بالحبل الآن.
- قالت تاليتا :
- أعتقد أن اللوح ينثنى إلى أسفل.
- قال ترافلر الذى جلس عليه كراكب حصان، لكن من الجزء الذى هو داخل الحجرة :
- لا شئ ينثنى؛ لا يهتز إلا قليلاً.
- قال أوليفيرا :
- وفوق هذا فإن طرف اللوح الخاص بكم يرتكن على الوح الخاص ببيوسوف يكون من الغريب أن ينثنى كلا اللوحين فى الوقت نفسه.
- قالت تاليتا :
- نعم، لكن وزننى ستة وخمسين كيلو جرام، وعندما أوصول إلى منتصف الطريق فسوف يكون وزننى ما لا يقل عن مائتى كيلو جرام، أشعر أن اللوح ينزل أكثر فأكثر.
- قال ترافلر :
- إذا ما نزل فإن أقدامى سوف تكون معلقة فى الهواء، لكن هناك مكان يمكن لى أن أمكنهما من الأرض، والشئ الوحيد الذى قد يحدث هو أن ينكسر كلا اللوحين، لكن سوف يكون أمراً غريباً لو حدث.
- أكد أوليفيرا :
- الألياف تقاوم كثيراً فى الاتجاهات الطولية؛ إنه مثل حزمة الأعشاب، إلى غير

41

- ذلك من الأمثال الأخرى، أتصور أنك قد أتيت معك بالمسامير والأعشاب.
- قالت تاليتا :
- أضع ذلك فى جيبى. اقذف إلىّ بالحبل دفعة واحدة. إننى متوترة، صدقنى .
- قال أوليفيرا وقد قذف بالحبل على طريقة رعاة البقر:
- إنه البرد حذار، لاتفقدى توازنك. من الأفضل أن أحزمك به، وهكذا نتأكد أن بإمكانك
- تلقف الحبل «هذا شئٌ مثير للفضول» فكر وهو يرى الحبل يمر فوق رأسها «تكتمل حلقات
- السلسلة تماما إذا ما كان المرء يريد ذلك حقا. والشئُ الزائف فى كل ذلك هو تحليله».
- أعلن ترافلر: ها أنت تصلين، لتتهينى جيدا حتى يمكنك أن تربطى اللوحين
- بشكل جيد، فهما بعيدين عن بعضهما قليلا.
- قال أوليفيرا :
- انظر ها أنا قد تمكنت من تطويقها، هاهو أمامك يا مانو لن نقول لى إننى لا
- أستطيع العمل معكم فى السيرك.
- قالت تاليتا شاكية :
- لقد أصببتى فى وجهى؛ فالحبل ملئ بالأشواك.
- اقترح أوليفيرا بحماس :
- سوف ألبس قبعة رعاة البقر وأسير وأنا أصفر وأمسك بكل العالم، وسوف
- يصفق لى الجمهور، إنه نجاح لم نشهده فى السيرك إلا قليلا.
- قال ترافلر وهو يشعل سيجارة :
- إنك تهذى وقد قلت لك ألا تنادينى بـ مانو.
- قالت تاليتا :
- قواى تخور؛ الحبل خشن وتمسك أجزاؤه ببعضها.
- قال أوليفيرا :
- إنها الفائدة المزبوجة للحبل: إنها وظيفته الطبيعية التى خربتْها توجهات غامضة
- تتمثل فى تحييدها. أعتقد أن هذا هو ما يسمونه فى الفيزياء بالأنتروبيا antrobia.
- قالت تاليتا :
- لقد قمت بربطه جيدا؛ هل أُلّف الحبل مرة أخرى؟ وعموما فهناك قطعة تتدلى.
- قال ترافلر :
- نعم ألقه جيدا؛ إننى أستشيط غيظا من الأشياء الزائدة والتى تتدلى؛ فهى شيطانية.

41

- قال أوليفيرا :
- تتوخى الكمال، وعليك الآن أن تعبرى إلى اللوح الخاص بى لنختبر الكوبرى.
- قالت تاليتا :
- أنا خائفة؛ ذلك أن اللوح الخاص بك يبدو أقل صلابة من اللوح الخاص بنا.
- قال أوليفيرا وهو يشعر بالإهانة :
- ماذا؟ لكن ألم تلاحظى أنه لوح من خشب الأرز؟ فخشب الصنوبر لن ينفك فى الحصول على شئ، اعبرى بهدوء إلى اللوح الآخر ليس إلا.
- سألت تاليتا وهى تستدير برأسها :
- ماذا أنت قائل يا مينو؟ وفى اللحظة التى كان سيجيب فيها ترافلر نظر إلى مكان تلاقى اللوحين وإلى الحبل المربوط بشكل غير جيد. كان يشعر وهو يجلس على اللوح أنه يهتز تحته بشكل جيد وغير جيد. ولم يكن أمام تاليتا إلى أن تسند نفسها بكلتا يديها وتستجمع قواها وتدخل إلى منطقة لوح أوليفيرا. وبالطبع فإن الكوبرى سوف يقاوم؛ لقد أحسن صنعه.
- قال ترافلر بنغمة يساورها الشك :
- انظرى، انتظرى لحظة ألا يمكنك أن تلقى إليه باللفة وأنت فى مكانك.
- قال أوليفيرا بصوت فيه الشعور بالمفاجأة :
- بالطبع لا يمكنها أى أفكار عندك؟ إنك تقضى على كل شئ،
- ما يقال عن إمكانية تسليمه له فى يده، هذا مالا أقدر عليه لكى يمكن أن أقذفه له من موقعى هذا، وهذا سهل جدا.
- قال أوليفيرا ناقما :
- القذف باللفة بعد كل هذا ويتحدثون عن القذف باللفة.
- إذا ما أخرجت ذراعك سوف تكون على بعد أقل من أربعين سنتيمترات من اللفة
- قال ترافلر ليس هناك حاجة لتصل تاليتا إلى هناك، ومع السلامة.
- قال أوليفيرا :
- سوف تخطئ الرصاصة الهدف، كما نفعل ذلك كل العشاء، وسوف تتبعثر الأعشاب على أرض الشارع ناهيك عن المسامير.
- قالت تاليتا وهى تخرج اللفة بسرعة :
- اهدأ ورغم أنها قد لا تقع فى يدك فإنها ستدخل الحجرة.

41

- قال أوليفيرا :
- نعم، وسوف ينفسخ على الأرضية القذرة، وما على إلا أن أتناول شايا قذرا مليئا بالزنابير.
- قال ترافلر :
- لا تعيريه اهتماما اقذفى إليه باللفة وعودى
- استدارت تاليتا ونظرت إليه، فقد كانت تشك أنه يتحدث جادا. كان ترافلر ينظر إليها بطريقة تعرفها جيدا فشعرت أن هناك مداعبة تسرى على ظهرها. أمسكت اللفة بقوة وحسبت المسافة.
- أنزل أوليفيرا ذراعيه ويدا أنه غير مبال بما قد تفعله تاليتا أو تحجم عنه. كان ينظر إلى ترافلر من فوق جسد تاليتا، وكان ترافلر ينظر إليه أيضا «هذان أصبح بينهما كوبرى» فكرت تاليتا، «فإذا ما سقطت فى الشارع فلن يثبثها لذلك» نظرت إلى بلاط الشارع فرأت الخادمة وهى تتأملها وقد فغرت فمها. وعلى بعد مسافة قليلة كانت هناك امرأة قادمة لايد وأنها جيكريتين. انتظرت تاليتا وهى تسند اللفة على الكوبرى.
- قال أوليفيرا :
- ها هو الأمر لايد أن يحدث ذلك، وإن يحل محلك أحد. تصل الى حافة الأشياء ويفكر المرء أنك ستفهم فى النهاية، لكن هذا غير مجد تشى، هاأنت تقلب الأمر وتقرأ التكيف. وتظل كما أنت ، بيب.
- قال ترافلر :
- وماذا؟ لماذا يجب أن أجاريك فى اللعب يا أختى؟
- الألعاب تتم وحدها. إنك أنت الذى تضع العصا لتفرمل مسار العجلة.
- العجلة التى صنعتها أنت، إذا ما كنا سنتحدث عن ذلك.
- قال أوليفيرا :
- لا أعتقد أنا لم أفعل إلا تهيئة الظروف كما يقول ذلك المتبحرون. يجب أن يكون اللعب نظيفا.
- إنها جميلة يستخدمها الخاسر أيها العجوز.
- من السهل أن يخسر المرء إذا ما عليك الطرف الآخر بكعب اللعب taba
- قال ترافلر :
- إنك لعظيم، إنها مشاعر راعى البقر.

41

كانت تاليتا تعرف أنهما يتحدثان عنها بشكل ما، وواصلت نظرها للخادمة التي تجلس بلا حراك وهي مفتوحة الفم، «أنا مستعدة لفعل أى شئ حتى لا أسمعهما يتناقشان» فكرت تاليتا «أيا كان ما يتحدثان عنه فهما يتحدثان عني، لكن ليس ذلك، رغم أنه يكاد أن يكون هو» خطر بباليها أن من المسلى إلقاء اللفة بحيث تسقط مباشرة في فم الفتاة، لكن هذا لم يرقها كانت تشعر بالكوبرى الآخر يعبر من فوقها والكلام يروح ويغدو والابتسامات والصمت الساخن.

«الأمر يشبه محاكمة» فكرت تاليتا «وكانه احتفال». عرفت جيكريتين التي كانت قادمة من الناحية الأخرى، وأخذت تحملق ببصرها إلى أعلى «من يحكم عليك؟» انتهى أوليفيرا للتو من نطق هذه العبارة. لم تكن المحاكمة لترافل بل هما يحاكمانها هي «إنه شعور شبه لصيق وكأنه الشمس تضرب الرأس والساقين، كانت على وشك أن تتعرض لضربة شمس، وربما كان ذلك هو الحكم الصادر. «لا أعتقد أن لا سلطة لك لتحكم على» قال مانو؛ لكن لم يكن الكلام لمانو بل موجه لها فهي التي تُحاكم، ومن خلالها، دون أن يعرف السبب، بينما كانت جيكريتين البلهاء تهز ذراعها الأيسر وتلوح لها بإشارات وكأنها، مثلا على وشك أن تصاب بضربة شمس فتسقط في الشارع ولا مناص من إدانتها.

- لماذا تتأرجحين هكذا؟ - قال ترافل وهو يمسك باللوح الخاص به بكلتا يديه.
تشى، إنك تجعليه يهتز أكثر من اللازم. أخشى أن نذهب جميعا إلى الشيطان.
- قالت تاليتا بنغمه تعسة :
- أنا لا أتحرك كل ما أريده هو أن ألقى لك باللفة، ثم أعود لدخول المنزل مرة أخرى.
- قال ترافل :
- الشمس كلها مركزة على رأسك أيتها المسكينة فى الحقيقة هذا شئ فظيع.
- قال أوليفيرا بغضب :
- أنت السبب لا يوجد أحد فى الأرجنتين قادر على مثل هذه الخبطة إلا أنت.
- قال ترافل بطريقة موضوعية :
- إنك متحامل على أسرعى يا تاليتا ارمى اللفة فى وجهه وعليه أن يكف عن مضايقتنا ولو مرة واحدة.
- قالت تاليتا :
- لقد تأخر الوقت فأننا لست واثقة من قدرتى على التصويب نحو النافذة.

41

- مهم أوليفيرا :
- قلت لك هذا، كان يفعل ذلك قليلا وخاصة فى الحالات التى على وشك أن تقع فيها أمور جسيمة - ها هى جيكربتين قادمة وهى تحمل الكثير من اللفائف. ها قد وقعت المعجزة.
- قال ترافلر بصبر نافذ :
- اقدنى بالأعشاب إليه كيفما اتفق ولا تنزعجى إذا حادت اللفة عن الهدف.
- مالت تاليتا برأسها فسقط شعرها على جبهتها حتى فمها، وكان عليها أن ترمش كثيرا؛ لأن العرق بدأ ينفذ إلى عينيها. كانت تشعر بأن لسانها ملئ بالملح وأشياء أخرى تبتو وكأنها شرر، أو نجوم صغيرة تجرى وتصطدم بالثة وسقف الفم.
- انتظري - قال ترافلر.
- سأل أوليفيرا :
- هل نتحدث إلى؟
- لا، انتظري أنت يا تاليتا. تماسكى جيدا فسوف ألقى لك بقبعة.
- طلبت تاليتا :
- لا تترك اللوح وإلا سوف أقع فى الشارع.
- إن الموسوعة والكومودينو يمسكان جيدا باللوح. لا تتحركى سوف أعود فى الحال.
- مال اللوحان بعض الشيء إلى أسفل. فأمسكت تاليتا بهما وهى مذعورة، صفير أوليفيرا بكل ما أوتى من قوة وكأنه يحاول إيقاف ترافلر، لكن ليس هناك أحد فى النافذة.
- قال أوليفيرا :
- ياله من حيوان لا تتحركى ولا تتنفسى. فقد أصبح الأمر إما الحياة وإما الموت.
- صدقيني.
- قالت تاليتا بصوت واهن :
- أدرك ذلك الأمر هكذا بصفة دائمة.
- وحتى يزيد الطين بله فإن جيكربتين تصعد على السلالم. وهذا ما سيعقد الأمر أمامنا، يا إلهى. لا تتحركى.
- أنا لا أتحرك لكن يبيو أن ...
- قال أوليفيرا :
- نعم، لكن قليل جدا لا تتحركى، وهذا هو الشيء الوحيد الذى يمكن عمله «لقد

41

حكما على» فكرت تاليتا. «وليس أمامي الآن إلا السقوط، بينما هما يواصلان العمل في السير، ومع الحياة».

- لماذا تبكين قال أوليفيرا مبديا اهتمامه.

- قالت تاليتا :

- أنا لا أبكي أنا أتصيب عرقا ما.

- قال أوليفيرا حانقا :

- انظري سوف أكون فظا، لكن لم أتخيل الخلط بين الدموع وبين الرشح؛ فالأمران مختلفان.

- أنا لا أبكي - لا أكاد أبكي أبدا، وأقسم لك على هذا. هناك أناس سيكون مثل جيكربتين التي تصعد السلم وهي محملة باللفائف. أنا مثل البجعة التي تغنى عندما توشك على الموت. قالت تاليتا، كان ذلك في إحدى أسطوانات جاردل Gardel.

أشعل أوليفيرا سيجارة، عاد اللوحان للتوازن من جديد، أخذ نفس الدخان برضا. - انظري، يمكننا أن نمارس لعبة الأسطة - الميزان حتى يعود ذلك الأحمق مانو ومعه القبة.

- قالت تاليتا :

- هيا، ليكن في معلومك أنني قمت الأمس بإعداد بعضها.

- حسن، سوف أبدأ أنا وعلى كل واحد أن يقوم بإعداد سؤال - ميزان. العملية المؤلفة من وضع طبقة من المعدن المنصهر على سطح صلب، بالإفادة من التيارات الكهربائية. ألا تسمى مراكب قديمة ذات شراع لاتيني، ووزنها مائه طن؟

- قالت تاليتا وهي تدفع شعرها للخلف :

- نعم هي إنه السير هنا وهناك، وتفادى ضربة أحد الأسلحة والتطبيب بالمسك، ودفع الأعشار، والفواكه لازالت خضراء، ألا يساوى ذلك أى عصائر نباتية مخصصة للتغذية مثل النبيذ، والزيت ... الخ؟

- وافق أوليفيرا :

- جيد جدا الألعاب النباتية مثل النبيذ والزيت... لم يخطر ببالي أبدا النظر إلى النبيذ على أنه لعبة نباتية. هذا رائع. لكن اسمعى ذلك: تخضر من جديد، وتخضر الحقول، ويتعقد شعر الرأس والصدف والانغماس فى خصام أو مشاجرة ووضع السم فى الماء باستخدام نبات البوصير الأبيض gardolobo أو أى مادة مشابهة وذلك لتدوين

41

- السّمك ثم صيده. أليس ذلك نهاية لقصيدة درامية خاصة عندما تكون أليمة.
- قالت تاليتا متحمسة. :
- يالها من صورة لطيفة إنها رائة يا أوراثيو. إنك تستطيع أن تعمل من الفسيخ شربات فى لعبة الجبانة.
- قال أوليفيرا:
- اللعب النباتى.
- فتح باب الحجرة ودخلت منه جيكربتين وهى متلاحقة الأنفاس. هى امرأة شقراء بها شئ من الحمرة، وتحدث بسهولة ولا تشعر بالمفاجأة لأنها وجدت دولابا ملقى على سرير وهناك رجل يركب اللوح وكأنه يركب حصانا.
- الجو حار جدا - قالت وهى تلقى باللفائف على أحد الكراسى - إنها أسوأ ساعة للتسوق، صدقنى ماذا تفعلنى يا تاليتا؟ أنا لست أدرى لماذا أخرج يوما وقت القيلولة.
- قال أوليفيرا دون أن ينظر إليها :
- حسن، حسن، الدور عليك الآن يا تاليتا.
- لا أتذكر ألعابا أخرى.
- فكرى، غير ممكن أنك لا تتذكرين.
- قالت جيكربتين :
- أه، السبب هو طبيب الأسنان إنهم يعطونى أسوأ المواعيد لحشو الأضراس. هل قلت لك إنه كان على الذهاب إلى طبيب الأسنان؟
- قالت تاليتا :
- أتذكر واحدة الآن .
- قالت جيكربتين :
- وانظر ماذا وقع ليوصلت إلى عيادة طبيب الأسنان فى شارع بارنس. أضغط على زر جرس العيادة وتخرج لى الخادمة فألقى عليها التحية «مساء الخير» فترد على «مساء الخير»، ادخلى من فضلك، أدخل وتذهب بى إلى صالة الانتظار.
- قالت تاليتا :
- هى هذه الذى عنده العربات الصغيرة محملة عن آخرها، أو صف البراميل المربوطة إلى بعضها البعض والتى تجر على طريقة العوامة فى تجاه مكان ملئ بالبوص: إنه مخزن السلع الضرورية، والذى أقيم حتى يشتري منه هؤلاء الناس الذين

41

تتوفر لديهم أموال أكثر، وكذلك كل ما يتعلق بالقصيدة الرعوية، هل الأمر يشبه عملية جَز حيوان ميت أو حي؟

- يا للجمال - قال أوليفيرا مذهولا - انتظري - لا أتذكر جيدا.

- كانت سيدتان ورجل ومعه فتى. كان يبدو أن الدقائق لا تنقضى. أقول لك إنني قرأت ثلاثة أعداد كاملة من الـ Idille. كان الفتى يبكي، أما الأب فقد كان عصيبا ... لست أريد الكذب انقضى ما يزيد على الساعتين منذ أن وصلت الثانية والنصف وفي النهاية جاء الدور على، فقال لى الطبيب «تفضلى بالدخول يا سيدتى» أدخل؛ فيقول لى: «لَمْ يضايقك كثيرا ما قمت بوضعه لك ذلك اليوم؟» فأقول له «لا يا دكتور. لم يضايقنى فى شئ، كما أننى كنت أمضغ الطعام على جانب واحد طوال ذلك الوقت.» فيقول لى «جيد جدا، وهذا ما ينبغي عمله، اجلسى يا سيدتى» اجلسى، فيقول لى «افتحى فمك من فضلك» لطيف جدا ذلك الطبيب.

- قال أوليفيرا :

- ها هى اسمعى جيدا يا تاليتا، لماذا تنتظرين إلى الخلف؟

- لأرى فيما إذا كان مانو قد عاد.

- لم يأت بعد. انصتى جيدا: الفعل ورد الفعل، أو فى الدورات والمسابقات، يقوم الفارس بدفع حصانه ليضرب بصدوره حصان الطرف المضاد. ألا يبدو ذلك مشابها لسنام الشئ، أو اللحظة الأكثر توترا وحده لمرض من الأمراض؟

- قالت تاليتا مفكرة :

- هو أمر غريب هل يقال هكذا فى الإسبانية؟

- أى شئ يقال هكذا؟

- أن يقوم فارس بدفع حصانه ليضرب بصدوره.

- يحدث ذلك فى المسابقات - قال أوليفيرا - وهذا وارد فى الجبانة تشى،

- سنام، هذه كلمة جميلة جدا، ومعناها للأسف.

- باه، يحدث نفس الشئ مع كلمة مورتديلا وغيرها الكثير - قال أوليفيرا - وقد عنى بذلك الراهب بريموند^(٢) Bremond، غير أنه لامناص من ذلك. الكلمات متنا، فهي تولد بوجه ولا شئ أكثر. فكرى فى الوجه الذى كان لكانط kant قولى لى شيئا عنه. أو فى برناردينو ريبادافيا^(١) Bernardino Rivadavia وهذا حتى نتعمق فى التفكير.

- قالت جيكربتين :

41

- لقد وضع لى طربوشا من مادة بلاستيكية .
- قالت تاليتا :
- الجو حار جدا قال مانو بأنه ذهب ليحضر قبة.
- قال أوليفيرا :
- ما الذى سوف يأتى به ذلك .
- قالت تاليتا :
- ما رأيك لو قذفت لك باللفة وعدت إلى منزلى
- نظر أوليفيرا إلى الكوبرى وتمعن فى مساحة النافذة بأن فتح ذراعيه بطريقة غير واضحة وهز رأسه.
- قال :
- من يدرى فيما إذا كنت ستصيبين الهدف ومن ناحية أخرى لدى انطباع ماهيته غير معروفة بسبب وجودك هناك تحت هذا البرد القارس. ألا تشعرين أنه قد تكونت على شعرك وفحات أنفك قطرات الماء التى تحولت إلى جليد؟
- قالت تاليتا :
- لا ؟ هل القطرات المتجمدة هذه مثل السنام؟
- قال أوليفيرا :
- نوعا ما فهما شيئان يتشابهان من منطلق اختلافهما . مثلما هو الحال بينى وبين مانو إذا ما فكرت فى هذا الموضوع. سوف تعرفين أن المشكلة مع مانو تكمن فى التشابه الزائد عن الحد بيننا.
- قالت تاليتا :
- نعم أحيانا يثير ذلك الكثير من الضيق.
- لقد ساحت الزبدة - قالت جيكربتين وهى تفرد قطعة من الزبدة على خبز أسود - فالزبدة مع هذا الحر، هو صراع.
- قال أوليفيرا :
- أسوأ الاختلافات تكمن فى ذلك أسوأ شئ فى الاختلافات. فكلتا رجلين شعرنا أسود ووجهين فيهما ملامح أهل الميناء الملاعين، نكن احتقارنا لنفس الأشياء تقريبا، وحضرتك...
- قالت تاليتا :
- حسن، أنا ...

41

- قال أوليفيرا :
- ليس لديك أى مبرر لتتهربى؛ إنه لأمر واقع أنك منضمة إلينا بشكل أو بآخر، وبذلك تزداد أوجه الشبه ومعها الاختلافات.
- قالت تاليتا :
- لا أعتقد أننى أنضم لكليكما.
- وماذا تعرفين؟ ماذا يمكن أن تعرفى أنت؟ ها أنت هناك فى حجرتك، تعيشين وتطهين الطعام وتقرئين موسوعة التعليم الذاتى. وتذهبين مساء إلى السيرك، وعندئذ يبدو لك أنك هناك حيث أنت. ألم تتمعنى مرة فى مطرقة الأبواب وفى الأزرار المعدنية وفى جزازات الزجاج.
- قالت تاليتا :
- نعم، أحيانا ما أقوم بذلك .
- إذا ما تمعنت جيدا فقد ترين فى كل النواحي هناك صور تلتقط كل تحركاتك من حيث لا تتوقين. أنا شديد الحساسية لتلك الحماقات. صدقيني.
- لقال، تناول اللبن فقد ظهرت على سطحة طبقة قشدة - قالت جيكيربتين - لماذا تتحدثون دوما عن أشياء غريبة؟
- قالت تاليتا :
- إنك تعطينى أهمية زائدة عن الحد .
- قال أوليفيرا :
- أوه، تلك الأشياء لا يقررها المرء هناك نظام كامل للأشياء لا يقررها المرء، ودائما ما تثير النفور رغم أنها ليست الأكثر أهمية. وأقول لك ذلك فهو عزاء كبير. فأنا على سبيل المثال، كنت أفكر فى تناول الشاي. والآن تصل هذه وتقوم بإعداد القهوة باللبن دون أن يطلب منها أحد ذلك. المحصلة: إذا لم أتناول القهوة، تتكون طبقة من القشدة لها سطح اللبن. ليس بالمهم، لكنه ينفّر بعض الشئ أندركين ما أقوله؟
- قالت تاليتا وهى تنظر إلى عينيه :
- آه، نعم فعلا أنت تشبه مانو. فكلكما يتحدث جيدا عن القهوة باللبن وعن الشاي.
- وينتهى الأمر بالواحد منا إلى أن القهوة باللبن والشاي هما فى الواقع ...
- قال أوليفيرا :
- بالضبط فى الواقع. ومعنى هذا أنه يمكننا العودة لما كنت أتحدث عنه قبل ذلك.

41

الفارق بيني وبين مانو هو أننا نكاد نكون متماثلين. وفي هذا المقام فإن الفارق هو بمثابة زلزال وشيك الحدوث. هل نحن صديقان؟ نعم، واضح لكن بالنسبة لى لن أشعر بالمفاجأة إذا ... تصورى أننا منذ أن عرفنا بعضنا، فلا نفعل إلا إظهار أسفنا لذلك، وأقول لك هذا لأنك تعرفين الأمر. فهو لا يروقه أن أكون على ما أنا عليه، فلا أكاد أقوم بتقويم بعض المسامير إلا وتقوم القيامة كما ترين ويدخلك أيضا فى اللعبة. لكن لا يروق له أن أكون على ما أنا عليه، وذلك لأن - فى الواقع - الكثير من الأشياء التى تطرأ على بالى والكثير من الأشياء التى أفعلها كأنك تلقين بها أمام ناظريه قبل أن يفكر بها هو، هبْ، ها هبْ، بان، بان، يطل من النافذة فيجدرنى أقوم بتقويم المسامير. نظرت تاليتا إلى الخلف فرأت ظل ترافلر الذى كان يسمع الحوار وهو مختبئ بين الكومودينو والنافذة.

- قالت تاليتا :

- حسن، لا تبالغ بالنسبة لك لن تخطر على بالك أشياء قد خطرت على بال مانو.

- مثلاً؟

- قالت جيكريت بلهجة فيها شكاية :

- لقد برد اللبن هل ترى أن أقوم بتسخين بعض اللبن يا حبيبى؟

- نصح أوليفيرا :

- اصنعى كريم كراميل للغد واصلى أنت يا تاليتا.

- قالت تاليتا وهى تنتهد :

- لا من أجل ماذا، الجو حار جدا، ويبدو لى أننى بدأت أشعر بدوار.

شعرت باهتزاز الكوبرى عندما ركب ترافلر فوقه من عند حافة النافذة، ومال رجفا، لكن دون أن يتجاوز حلق النافذة. وضع ترافلر قبعة من القش على اللوح، وأخذ يدفعها رويدا رويدا بواسطة يد منفضة من الريش ٢٨٥٠

- لو انحرفت القبعة قليلا سوف تسقط فى الشارع وسوف تكون هناك مشكلة الذهاب والبحث عنها.

- قالت تاليتا وهى تنظر بألم لترافلر :

- وربما من الأفضل أن أعود إلى منزلى.

- قال ترافلر :

- لكن عليك أولا أن تعطى الأعشاب لأوليفيرا.

41

- قال أوليفيرا :

- لم يعد الأمر يستحق عليها أن تقذف باللفة على أية حال - الأمر سيان.

- قال أوليفيرا :

- لقد مضى عقرب الدقائق يا بنى إنك تتحرك فى الزمان - المكان المستمر، ولكن ببطء الدودة، فكر فى كل الذى حدث منذ أن قررت الذهاب للبحث عن هذه القبعة المصنوعة من السعف، لقد انتهت مرحلة تناول الشاي دون أن تتم، وفى الوقت نفسه دخلت جيكربتين بطريقتها المشيرة على عهدها دائما محملة بالألوات المطبخية، نحن الآن فى قطاع القهوة باللبن، ولا يمكن فعل شئ إلاه.

- قال ترافلر :

- يالها من أسباب.

- ليست أسبابا بل هى براهين موضوعية تماما. إنك تتجه إلى التحرك فى المستمر كما يقول الفيزيائيون بينما أنا شديد الحساسية للاستمرار الحاد للوجود، وفى هذه اللحظة تبدأ القوة باللبن، وتستقر، وتسيطر وتنتشر وتتكرر فى مئات آلاف المنازل، أما الشاي فقد تم غسله وحفظه وإلقاء عليه. ومجرد وجود منطقة مؤقتة للقهوة باللبن يمكن أن تغطى هذا القطاع من القارة الأمريكية، فكرى فى كل ما يعنيه هذا ويتمخض عنه، هناك أمهات رؤوم تربين أطفالهن على أهمية الألبان، ويتجمع الأطفال حول الترابيزة الموضوعية إلى جوار المطبخ؛ حيث تجد فى الجزء العلوى منها الابتسامات والضحكات، أما الجزء السفلى فهناك طوفان من الركلات والقرص. وعندما نطق عبارة قهوة باللبن فمعنى هذا الانتقال والتلاقى اللطيف فى نهاية اليوم وتعداد الأسهم الحسنة أى الأسهم لحاملها والمواقف المؤقتة، والاستهلاك الغامض لبداية السادسة مساءً وهى الساعة الرهيبة؛ حيث تغلق الأبواب بالمفاتح ثم الجرى هرولة نحو الأتوبيس، لا يكاد يوجد أحد يمارس الحب فى هذه الساعة فذلك إما قبل أو بعد، فى مثل هذه الساعة يتم التفكير فى الدش (لكننا سوف نأخذ دشاً فى الخامسة) ويبدأ الناس يلوكون الاحتمالات المتوقعة أثناء الليلة. أى أنهم سوف يذهبون لمشاهدة الممثلة باولينا سينجرمان Paulina Singerman أو توكو تارا نقولا Toco Tarantala (5) (لكننا غير متأكدين، فلنزال لدينا قوت) ما علاقة كل ذلك بساعة تناول الشاي؟ إننى لا أتحدث معك عن الشاي الذى يتم شربه بطريقة سيئة، حيث يكون قريبا زمنيا من القهوة باللبن، بل عن الشاي فى الساعة المحددة والمطلوبة، أى فى اللحظة التى تزداد فيها حدة البرد، يبدو لى أن تلك الأشياء لا تفهمينها بما فيه الكفاية.

41

- قالت جيكريبتين :
- الخياطة هى امرأة نصابة هل تقومين بتفصيل ملابسك عند الخياطة يا تاليتا؟
- قالت تاليتا :
- لا فأنا عندى فكرة عن التفصيل والخياطة.
- حسنا يا ابنتى، فأنا بعد أن انتهيت من موعدى مع طبيب الأسنان خرجت مسرعة إلى الخياطة التى تقيم على الناصية الثانية لأخذ منها تنورة كان عليها أن تكون قد انتهت منها منذ ثمانية أيام. فتقول لى «آه، يا سيدتى لم أستطع أن أضرب غرزة واحدة بسبب مرض أُمى» فأقول لها: «لكنى ياسيدتى فى حاجة للتنورة» فتقول لى «صديقى، أنا أسفة جدا لزبونة مثل سيادتك. لكن ليس أمامك إلا أن تعذرينى». فأقول لها «أن أعذرك هذا لا يحل القضية يا سيدتى». ومن الأفضل لك الالتزام بالوقت ونكسب جميعا» فتقول لى «إذا كنت تنظرين للأمر هكذا فلم لا تذهبين إلى خياطة أخرى» فأقول لها «ليس الأمر فى أُننى لا أرغب بل طالما أُننى التزمت معك فمن الأولى أن أنتظرك، وهذا فى نظرى عدم التزام».
- قال أوليفيرا :
- أحدث لك كل هذا؟
- قالت جيكريبتين :
- طبعاً ألا ترى أُننى أقص ذلك على تاليتا؟
- هما أمران مختلفان.
- ها أنت تبدأ.
- قال أوليفيرا لترافلر الذى كان يضم حاجبيه :
- ها هى الأشياء أمامك - ها هى الأشياء أمامك. فكل واحد يعتقد أنه يتحدث عن أمور يشاركه فيها الآخرون.
- قال ترافلر :
- والأمر ليس هكذا بالطبع ياله من خبر.
- من المناسب أن تكرر ذلك تشى؟
- إنك تكرر كل ما يفترض أنه حكم على أحد.
- قال أوليفيرا :
- لقد وضعنى الرب على مدينتكم.

41

- عندما لا تحكم علىّ تتجه إلى زوجتك.
- قال أوليفيرا :
- لأنقذكما وأجعلكما يقظين.
- إنه نوع من الهوس الفسيفائى. تشعر به وأنت تهبط من جبل سيناء.
- قال أوليفيرا :
- هذا يطيب لى ؛أى أن تكون الأشياء واضحة ما أمكن. أما بالنسبة لك فليس هناك فارق حتى ولو أنت جيكربتين أثناء الحوار وبخلت علينا بحكاية خيالية عن طبيب أسنان وعن تنورة أو لست أدرى ماذا. لا يبدو أنك تترك أن هذا الدخول الذى يمكن أن تلتمس له العذر عندما يكون جميلا أو موحيا على الأقل يصبح ممقوتا ذلك أن مهمته الأساسية هى كسر النظام وضرب بنيته بالطورييد. كيف أتحدث يا أخصى.
- قالت جيكربتين :
- أوراثير لا يتغير أبدا لا تلق له بالا يا ترافلر.
- كلانا شديد اللبونة يامانو: إذ نسمح فى كل لحظة أن يهرف الواقع من بين أكفنا مثل المياه. لقد كان لدينا هناك شبه كامل وكأنه قوس قزح يبدأ من الإبهام ويتجه صوب البنصر. وكى يكلف الوصول إليه من جهد ووقت وما يجب القيام به ... هب، يعلن الراديو أن الجنرال بيستولى Pistalli أدلى بتصريحات. كابوت، كل ذلك هراء. «وأخيرا هناك شئ جاد» تفكر الفتاة الخادمة إما هذه وإما سيادتك أنت. وأنا، حتى لا تتصور أنى هذا الذى يشبه الصفدة بين الأصابع. وهذا المساء... انظر، فرغم البرد ينولى أننا قد بدأنا نفعل شيئا ونحن جادين. فتاليّا تحلت بالشجاعة المنقطعة النظير فى تغادى السقوط فى الشارع. وأنت هناك، أما أنا... إنى حساس إزاء بعض الأشياء، يالشباطين.
- لست أدرى فيما إذا كنت أفهمك - قال ترافلر وربما لم يكن سيئا مثال قوس قزح. لكن لماذا أنتم غيرمتسامحين؟ عشْ ودع الآخرين يعيشون يا أخصى.
- قالت جيكربتين :
- الآن وقد لعبت بما فيه الكفاية تعال وارفع الدولاى من على السرير
- قال أوليفيرا :
- أخذت بالك؟
- قال ترافلر مقتنعا :
- أه، نعم .

41

- لقد تمت البرهنة على ذلك، ببب.
- قال ترافلر :
- لقد تمت .
- والأسوأ من هذا هو أننا فى الواقع لم نكد نبدأ.
- قالت تاليتا وهى تلقى بشعرها إلى الوراء وتنتظر فيما إذا كان ترافلر قد قرب لها القبعة بما فيه الكفاية أم لا :
- كيف؟
- نصح ترافلر :
- لا تكونى عصبية؛ عليك إلى الخلف قليلا وببطء ومدى تلك اليد، وهكذا أنتظرى، سوف أدفع القبعة إلى الأمام قليلا. ألم أقل لك؟ ذكى.
- أخذت تاليتا القبعة ووضعته على رأسها دفعة واحدة. تجمع فى الشارع اثنان من الأولاد وسيدة، وكانوا يتحدثون مع الخادمة وينظرون إلى الكوبرى.
- قالت تاليتا وهى تشعر بثقة أكثر مع القبعة :
- الآن أقذف باللفة إلى أوليفيرا وانتهى الأمر. ثبتا اللوحين. وهذا ليس بالكثير.
- قال أوليفيرا :
- هل ستلقين باللفة؟ من المؤكد أنك لن تصوبى جيدا.
- قال ترافلر :
- اتركها تقوم بالتجربة وإذا ما تفككت اللفة فى الشارع فليتها تصيب السيدة/ جوتوسو هذه الخسة الضخمة - المنفرة.
- قال ترافلر :
- آه، لاتروق لك أيضا أنا سعيد بذلك، لأنى لا أستطيع هضمها. وأنت يا تاليتا؟
- قالت تاليتا :
- أفضل أن ألقى لك باللفة.
- الآن، الآن، لكن يبدو لى أنك متعجلة أكثر من اللازم.
- قال ترافلر :
- أوليفيرا على حق لنرى فيما إذا كنت ستقضين عليها فى النهاية وبعد كل هذا الجهد.
- قالت تاليتا :
- لكنى أشعر بالحر أريد العودة إلى المنزل يا مانو.

41

- لست بعبيده جدا حتى تشكين هكذا، فقد يتصور البعض أنك تكتبين لى من ماتو جروسو Matto Cerosso AE .
- قال أوليفيرا لجيكربتين التى كانت تنظر إلى الدولار :
- إنه يقول ذلك بسبب الأعشاب .
- سألت جيكربتين :
- هل ستواصلون اللعب لوقت طويل؟
- قال أوليفيرا :
- لا .
- قال أوليفيرا :
- أه، الحمد لله.
- أخرجت تاليتا اللغة من جيبيها، وأخذت تخرجها إلى الأمام والخلف. أخذ الكوبرى يهتز فأمسك به كل من أوليفيرا وترفلر بكل ما أوتيا من قوة. ولما تعبت تاليتا من هذا التأرجح أخذت تهز ذراعها وتمسك نفسها بذراعها الآخر.
- قال أوليفيرا :
- لا ترتكبي حماقات ببطء. أسمعين؟ ببطء!
- ببطء، وإلا سوف تسقطين فى الشارع!
- عظيم - قال ترفلر الذى كان ينظر إلى تاليتا وكأنه يريد الإمساك بها على الكوبرى بقوة النظر فقط - تمام يا عزيزتى. من المستحيل أن يكون أكثر وضوحا عن ذلك. هذا هو ما يسمى التبيان الحقيقى.
- أخذ اهتزاز الكوبرى يقل شيئا فشيئا. حاولت تاليتا الحفاظ على توازنها بكترا يديها ومطاطات رأسها. لم يكن أوليفيرا يرى إلا القبعة وشعر تاليتا المنسدل على أكتافها. رفع نظريه وتأمل ترفلر.
- قال :
- إذا ما بدا لك أنا أيضا أعتقد أنه من المستحيل أن يكون أوضح من هذا.
- «وأخيرا» فكرت تاليتا وهى تنظر إلى أرض الشارع والرصيف «أى شئ آخر هو أفضل من الوضع على هذا الحال بين النافذتين».
- قال ترفلر :
- يمكنك أن تقومى بأحد أمرين إما أن تواصلى إلى الأمام وهذا أسهل وتدخلين

41

فى مجال أسرة أوليفيرا أو تعودين القهقرى وهذا أصعب، ولكنك ستوفرين على نفسك متاعب صعود وهبوط السلالم وعبور الشارع.

- قالت جيكربيتين :

- لتأت إلى هنا أيتها المسكينة فوجهها كله ينضح عرقا.

- قال أوليفيرا :

- هم الأطفال والمجانين .

- قالت تاليتا :

- اتركنى لأرتاح قليلا أظن أننى أشعر بشئ من الدوار.

مال أوليفيرا بصدره على النافذة ومد لها ذراعيه. ولم يكن أمام تاليتا إلا التقدم حوالى نصف متر لتلمس يده.

- قال ترافلر :

- إنك لفارس همام من الواضح أنك قرأت المستشار الاجتماعى للأستاذ ميدانا Maldana. أى ما يسمى بالكونت. يجب ألا يفوتك ذلك يا تاليتا.

- قال أوليفيرا :

- إنه التجمد إرتاحى قليلا يا تاليتا واقطعى المسافة المتبقية بالتجديف. لا تعيريه اهتماما، فمن المعروف أن الجليد يجعل المرأ يشعر بالهذيان قبل النوم الأبدى.

لكن تاليتا استقامت فى جلستها ببطء واستندت بكتفا يديها ونقلت عجزها عشرون سنتمترا إلى الخلف. مرة أخرى وعشرون سنتمترا إلى الخلف. أما أوليفيرا فلا زال يمد يده لدرجة بدا معها أنه أحد الركاب على متن سفينة أخذت تبتعد عن الميناء ببطء. مد ترافلر ذراعيه، ووضع يديه تحت إبطى تاليتا. ظلت بلا حراك وبعد ذلك ألقّت برأسها نحو الخلف فى حركة مباغتة سقطت معها القبعة تتأرجح فى الهواء حتى الرصيف شعرت بفم ترافلر ملتصقا بدماعها بأنفاسه الساخنة والمتلاحقة.

- همهم ترافلر :

- ها قد عدت ها قد عدت، قد عدت.

- قالت تاليتا :

- نعم وهى تقترب من السرير - وكيف لا؟ لقد قذفت له اللفة الملعونة ثم عدت، ...

جلس ترافلر على حافة السرير. أخذ يفكر فى قوس قرح بين الأصابع وفى تلك الأشياء التى تمن أوليفيرا، تزلزلت تاليتا إلى جواره وأخذت تبكى فى صمت. «إنها

41

الأعصاب» فكر ترافلز «لقد مرت بلحظات عصيبة» سوف أحضر لها كوب ليمون وسوف أعطيها أسبرينة وسوف أمزج على وجهها بإحدى المجلات وأجبرها على أن تنام قليلا. لكنني قبل ذلك يجب أن أخرج الموسوعة الخاصة بالتعليم الذاتي وأصلح شأن الكومودينو وأدخل اللوح. «هذه الحجرة أصبحت غير منظمة» فكر وهو يقبل تاليتا. ولم تك تكف عن البكاء، حتى طلب منها أن تساعد في إعادة ترتيب الحجرة أخذ يداعبها ويقول لها بعض العبارات.

- قال أوليفيرا :

- وأخيرا، وأخيرا .

ابتعد عن النافذة وجلس على حافة السرير مستفيدا من المساحة البعيدة عن الدواب. كانت جيكربتين قد انتهت من إعادة جمع الأعشاب باستخدام ملقعة.

- قالت جيكربتين :

- كانت مليئة بالمسامير ياله من أمر غريب.

- قال أوليفيرا :

- غريب جدا.

- سوف أقول بالنزول إلى الشارع لأبحث عن قبعة تاليتا. فانت تعرفين كيف يتصرف الأطفال مع هذه الأشياء.

- قال أوليفيرا وهو يرفع مسمارا ويلفه بأصابعه.

- فكرة سليمة.

نزلت جيكربتين إلى الشارع. كان الأطفال قد أخذوا القبعة وأخذوا يتناقشون بحدة مع الخادمة والسيدة/ جوتوسو

- قالت جيكربتين بابتسامة راضية :

- أعطوني هذه القبعة؛ إنها قبعة السيدة التي تسكن في المنزل المقابل لنا، وأنا أعرفها.

- قالت السيدة دي/ جوتوسو :

- نحن جميعا نعرفها يا ابنتي ياله من مشهد في هذه الساعة، والأطفال متعلقون.

- قالت جيكربتين بنغمة ليس فيها إقتناع كبير :

- ليس فيه ما يسوء .

- كانت ساقاما مكشوفتين، وياله من مثال أمام الأطفال إنك يا سيدتي لم تلاحظي

41

ذلك. لكن من هذا المكان كان يرى كل شئ. وأقسم لك على هذا.

- قال الأصغر سنا :

- هناك شعر غزير.

- قالت السيدة دى جوتوسو :

- ها هو ينطق الأطفال بما يرون، مساكين هؤلاء الأبرياء وما الذى كانت تفعله هذه وهى تتركب اللوح كأنها تتركب حصانا، قولى لى شيئا؟ إنها الساعة التى يلجأ فيها الناس المحترمون إلى نوم القيلولة أو فعل أشياء تخصهم هل بوسعك أن تفعل نفس الشئ؟ يا سيدتى إذا لم يكن سؤالى هذا سخيفا.

- قالت جيكريتيت :

- أنا لا. لكن تاليتا تعمل فى سيرك، وهم جميعا فنانون.

- هل يقومون بالتمرينات؟- سأل أحد الأطفال - فى أى سيرك يتم أداء هذه النمرة؟.

- قالت جيكريتيت :

- لم تكن تمرينات الأمر ببساطة هو أنهما كان يريدان إعطاء زرجى القليل من الأعشاب، وعندئذ ...

كانت السيدة دى جوتوسو تنظر إلى الخادمة. قامت هذه الأخيرة بوضع إصبع على صدرها وأدارته - أخذت جيكريتيت القبعة بكلتا يديها ودخلت من البوابة. وقف الأطفال صفا واحدا وأخذوا يغنون أبياتا من أوبريت Caballeria ligera :

وضعوه له فى المؤخرة، وضعوه له فى المؤخرة.

وضعوا له عصا فى فتحة الشرج.

ياله من رجل مسكين ! ياله من رجل مسكين !

لم يستطع إخراج العصا.

(مكرر)

(148)

Ip mio supplijio عذابى هو
 عندما é quando
 non mi credo لا أرى نفسى
 in armonia فى حالة انسجام

UGARETTI, I Fiumi (١)

كان العمل عبارة عن منع الأطفال من المرور تحت الأقفاص ومد يد العون لو حدث أى شئ مع الحيوانات ومساعدة العارض، وتحرير الاعلانات، واللافتات المثيرة للانتباه، والعمل على إعطاء الانطباع الجيد، والتفاهم مع البوليس، وإبلاغ المدير بكل خروج عن النظام، طالما كان الأمر يستحق الإبلاغ، ومساعدة السيد مانويل ترافلر فى الإدارة ومساعدة السيدة أتاليا دونوس دى ترافلر فى شبك التذاكر (عند الضرورة) ... إلخ.

آه يا قلبى، لا تنهض

لتشهد ضدى

(كتاب الموتى، أُنقش على جعران)(٢)

فى هذه الفترة كان دينو ليباتى Dinu Iipati (٣) قد مات فى أوروبا عن ثلاثة وثلاثين عاما من العمر.

أخذ يتحدثان عن العمل وعن دينو ليباتى حتى وصلا إلى الناصية اقترحت عليها شراء إسطوانة لـ «الليبانى» ودخل مكتب السيد كريسيو للاستماع إليها، كان ترافلر وأوليغفيرا يريدان تناول البيرة فى المقهى الكائن على الناصية والحديث عن السيرك، فقد أصبحا زميلين، وفى غاية الرضا عن ذلك، لم ينس أوليغفيرا أن ترافلر قد - بذل - جهدا - جبارا لإقناع المدير، وأنه أقنعه بمحض الصدفة وليس لأى سبب آخر. فقرر أن يقوم أوليغفيرا بإهداء جيكربتين قطعتين من قطع قماش الكشمير الثلاثة التى بقيت معه، أما الثالثة فتأخذها تاليتا لتفصل منها بدلة حريمى. كان الأمر عبارة عن الاحتفال بالتعيين وبناء على ذلك طلب ترافلر تناول البيرة بينما تقوم تاليتا بإعداد طعام الغداء. كان ذلك يوم الاثنين وهو يوم الراحة الأسبوعية، فهناك عرضين يوم الثلاثاء أحدهما فى السابعة أما الآخر فى التاسعة، وسيتم فى هذه العروض تقديم أربعة دببة وعرضا لمهرج السيرك الذى وصل حديثا من كولومبى، وكذلك عرض القط المحاسب. وحتى يبدأ أوليغفيرا عمله، لن يكون إلا مجرد مشاهد حتى يدخل فيه بعد ذلك بشكل جاد.

42

وكان يرى العرض وهو يقوم بعمله، وهو عرض لم يكن أفضل من غيره. كان كل شئ يأخذ مساره الجيد.

كان كل شئ يأخذ مساره الجيد لدرجة أن ترافلز اطمأن وأخذ يطبل على الترابيزة. هناك فتى يعرفهما جيدا، فاقترب منهما وأخذ يتناقش فى موضوع السكك الحديدية فى المنطقة الغربية، وقام أوليفرا بالمراهنة بعشرة بيزو على طقم الملابس الرياضية، Chacarita Juniors وذلك بإشارات بأصابعه كأنها فرجار.

كان ترافلز يقول لنفسه إن كل شئ فى محله بهذا الشكل وأنه ليس هناك مخرج آخر، فى الوقت الذى انتهى فيه أوليفرا من نتيجة المراهنة، وأخذ يشرب البيرة. طرأ على رأسه، هذا الصباح، التفكير فى جمل مصرية، فى توت، ذلك الإله الذى اخترع الكتابة وإله السحر. أخذوا يتناقشون بعض الوقت حول ما إذا كان من الخطأ التناقش بعض الوقت ذلك أن اللغة مهما بلغت درجة البلاغة فى الحديث بها فإنها تشترك فى بنىوية كهنوتية غير مطمئنة على الاطلاق. وانتهى بهم الأمر إلى أن المهمة المزدوجة للإله توت هى ضمان واضع على الانسجام والمنطقية فى الواقع أو اللاواقع، سعدوا كثيرا بالتوصل إلى حل المشكلة الخاصة بالتسلسل الموضوعى. السحر أو عالم المحسّات، كان هناك إله مصرى يحدث انسجاما شفهيًا بين الموضوع - الشئ، كان كل شئ على أحسن حال.

(-75)

43

كان كل شيء في السيرك في موضعه، هناك الكثير من الترتير والموسيقى الصاخبة، والقط الحاسب، الذي كان يتصرف كرد فعل على تدرجه سرية لمسحوق بعض الأرقام الكرتونية من خلال حاسة الشم للقط، وفي الصالة نجد السيدات وقد تأثرن وأخذن يؤكدن لذريتهن أن هذا هو نموذج على نظرية التشو والارتقاء لداروين. وفي الليلة الأولى أطل أوليفيرا على حلبة العرض وهي خالية ونظر إلى أعلى في أقصى مكان من الخيمة الحمراء فوجد تلك الفتحة التي تمثل ربما نوعا من الاتصال، ذلك المركز، وتلك العين، وكأنها معبر بين الأرضية والفضاء الخارجى الحر. في هذه اللحظة توقف عن الضحك وفكر في أنه ربما صعد أحد على الصاري القريب من العين بطريقة تلقائية، وأنه لم يكن هو الذى ظل تحت وسط الصخب الذى يعم السيرك.

وفي إحدى تلك الليالى أدرك السبب في سعى ترافلر لحصوله على الوظيفة. وقد قالت له ذلك تاليتا دون مواربة، بينما يقومان بعد النقود في الحجرة المبنية من الطوب المحروق، والتي كانت تستخدم كبثك وإدارة السيرك. كان أوليفيرا يعرف ذلك ولكن بطريقة مختلفة. كما كان من الضروري أن تقول له تاليتا من وجهة نظرها وذلك حتى يولد كلا الشئين وكأنهما زمن جديد، أى حاضري يشعر أنه ضالع فيه ومجبر على ذلك. أراد أن يحتج، ويقول بأن ذلك لم يكن إلا من اختراعات ترافلر، وأراد أن يشعر مرة أخرى أنه خارج زمن الآخرين (هو، الذى كان يموت من أجل الدخول، من أجل الانغماس، من أجل أن يكون) غير أنه فهم في الوقت ذاته أن ذلك حقيقى وأنه انتهك، بشكل أو بآخر، عالم تاليتا وترافلر، دون مقدمات ودون أى قصد اللهم إلا الانصياع لنزوة حنين واشتياق. كان يرى في كلمات تاليتا رسم الحظ البائس للربوة Cerro، سمع الجملة البرتغالية الساحرة التي كانت تتبى بمستقبل فيه الثلجات والمواسير المحروقة. ضحك في وجه تاليتا، مثلما فعل ذلك في الصباح، وهو يتهيا لغسل أسنانه بالفرشاة.

ربطت تاليتا رزمة من الأوراق المالية فئة عشرة بيزو بفتلة خياطة، ثم جلسا لعد الباقي بطريقة ميكانيكية .

- قالت تاليتا :

- ماذا تريد أعتقد أن مانو على حق.

- قال أوليفيرا :

- نعم هو كذلك، لكنه في الوقت نفسه أحمق، وأنت تعرفين ذلك جيدا

- جيدا لا أعرف، وعلى الأفضل عرفت ذلك عندما كنت أجلس فوق اللوح، أنتما

43

تعرفان الأمر جيدا، أما أنا ففي الوسط مثل ذلك الجزء من الميزان الذي لا أعرف اسمه - إنك حوريتنا من بحر إيجيه، وأنت الكوبرى، الآن أفكر فى شىء، عندما كنت حاضرة وقعت أنا ومانو فى نوع من الغيبوبة، لدرجة أن جيكربتين لاحظت ذلك وقالته لى مستخدمة ذلك الفعل المرئى.

- قالت تاليتا وهى تسجل تذاكر الدخول :

- هذا ممكن إذا أردت أن أقول لك ما أفكر فيه. لا يعرف مانو ماذا يفعل معك، إنه يحبك كشقيق، وأظن أنك أدركت ذلك، لكن يأسف كثيرا لأنك عدت.
- لم يكن من الضروري عليه أن يأتى ليستقبلنى فى الميناء، فأنا لم أرسل له كروت بوستال.

- لقد ضمن ذلك من خلال تصرفات جيكربتين التى مالت الشرفة بنبات المالبون Malvones وقد عرفت جيكربتين ذلك من خلال الوزارة.

- قال أوليفيرا :

- إنها خطوات شيطانية عندما علمت أن جيكربتين عرفت ذلك عبر الطريق الدبلوماسى فهمت أن آخر شىء عندى هو أن أتركها ترتدى فى أحضانها بقرة مجنونة . ضعى فى اعتبارك أنها عملية منفرة. ياله من انتظار مثير للسخط.

- قالت تاليتا وهى تنظر إلى الأرض :

- إذا لم يعجبك الكلام فى ذلك الموضوع يمكننا أن نغلق الخزانة ونذهب للبحث عن مانو.

- يطيب لى كثير، لكن هذه التعقيدات التى يثيرها زوجك سببت لى مشاكل غير مريحة متعلقة بالضمير.. وذلك بالنسبة لى ... أقولها فى كلمة، إننى لا أفهم لماذا لا تقومين أنت نفسك بحل المشكلة.

- قالت تاليتا وهى تنظر إليه بتأن :

- حسن أعتقد أن الأمسية السابقة كان يمكن للأبله أن يدرك ما يحدث.

- بالطبع لكن ها هو مانو يأتى فى اليوم التالى ويتحدث مع المدير ويحصل لى على الوظيفة. فى اللحظة التى كنت أجفف فيها دموعى مستخدما مَقْطَعًا من القماش قبل أن أخرج لبيعه.

- قالت تاليتا :

- مانو رجل طيب لا يمكن لك أن تعرف أبدا ما عليه من طيبة.

43

- قال أوليفيرا :

- إنها طيبة غريبة، ولنترك هذا الذى لا يمكن أن أعرفه جيدا إلى جانب فلايد أن يكون حقيقيا، واسمى لى أن أنه لك بأن مانو ربما يريد أن يلعب بالنار. إنها لعبة من ألعاب السيرك إذا ما نظرنا إليها جيدا، وأنت- قال أوليفيرا وهو يشير إليها بإصبعه لك شركاء.

- شركاء؟

- نعم شركاء، أنا أولهم بالإضافة إلى واحد ليس هنا. تعتقدين أنك لسان الميزان من أجل استخدام جسدك الجميل لكن لا تعرفين أنك تلغين بجسدك فوق أحد الطرفين. عليك أن تدركى هذا.

- قالت تاليتا :

- لماذا لا تذهب يا أوراثيو؟ لماذا لا تترك مانو فى حاله؟

- لقد شرحت لك، كنت سأخرج لبيع مقاطع من القماش فيقوم هذا الغليظ ويحصل لى على عمل. ويفهم أنني لن أفعل شيئا سينا حياه، وهذا أسوأ ما فى الأمر. وقد يشك فى أى تفاهة تحدث.

- وعلى ذلك تبقى هنا بينما لا ينام مانو جيدا.

- وافقى، يا عجوزة.

ربطت تاليتا الأوراق المالية ذات فئة الخمسة بيزو، وفى اللحظة التى تعرض فيها نمره القط الحاسب كان يطلان دائما لمشاهدة هذا الحيوان غير المفهوم على الإطلاق. إذ استطاع حل عملية ضرب قبل أن تبدأ خدعة مداعبة حواس القط فى العمل. كان ترافلر فاغر الفم وكان يطلب من أقرب الناس حوله أن يراقبوه. غير أن القط هذه الليلة كان أبلها، فلا يكاد يصل فى العمليات الخاصة بالجمع حتى خمس وعشرين. لقد كان الأمر مأساويا. كان ترافلر وأوليفيرا يدخان عند واحدة من البوابات المؤدية إلى مسرح العروض، وقررا أن القطط ربما كان فى حاجة إلى غذاء فوسفاتى. لابد من التحدث مع المدير. كان المهرجانات اللذان يكرهان القط دونما سبب واضح، يرقصان حول النصبة التى كان عليها القط يداعب شواربه وهى تحت ضوء زئبقى. وعند اللفة الثالثة، وبينما يغنيان أغنية روسية، كشر القط عن أنيابه وضرب بمخالبه فى وجه المهرج الأكبر سنا. كان الجمهور يصفق كثيرا كالمجنون لهذه اللعبة. وفى عربة بونيتى Bonetti (الأب والابن المهرجين)، قام المدير بأخذ القط وتغريمهما مبلغا مضاعفا من

43

المال جزاء لهما على استفزازهما. كانت ليلة غريبة، فعندما نظر أوليفيرا إلى أعلى رأى نجم الشعري وسط الفتحة السوداء وكان يخمن بشأن الأيام الثلاثة التي يكون فيها العالم مفتوحا عندما ترتفع الأيادي، وأن هناك معبراً بين الإنسان والفتحة في الجزء العلوي، هو كوبري بين الإنسان (من ذا الذي يريد التسلق حتى الفتحة إلا من كان يريد الهبوط وقد تغير، ووجد نفسه بعد ذلك مع سلالته، لكن بشكل مختلف؟ كان يوم 24 أغسطس أحد الأيام الثلاثة التي يُفتح فيها العالم. لكن لماذا كل هذا التفكير في ذلك الأمر، ونحن لازلنا في شهر فبراير؟ لم يكن أوليفيرا يتذكر اليومين الآخرين. كان من المثير للفضول تذكر تاريخ واحد من ثلاثة، لكن لماذا هذا التاريخ بالذات؟ ربما كان السبب يكمن في أن العبارة مكونة من ثمانية مقاطع والذاكرة تميل إلى مثل تلك الألعاب إذن يمكن القول بأن الحقيقة هي بيت من الشعر مكون من اثنا عشر مقطعاً أو أحد عشر مقطعاً. وربما كان السر في الإيقاع الذي يحدد طبيعة الدخول ويحدد مراحل الطريق. هناك موضوعات أخرى للدراسة، لمن يرغبون في التبحر. كانت مشاهدة المهرج ممتعة وذلك لخفة حركته التي لا تصدق. وكذلك الطريق اللبني حيث يتوقف دخان السجائر على رؤس مئات الأطفال من حي بيادل باركي Villa del Parque وهو حي لازالت فيه أشجار الكافور - لحسن الحظ - تقوم بمهمة إحداث التوازن أو الميزان، وتذكر مرة أخرى هذه الآلة فهي رمز العدل وهي رقعة في الزودياك.

(125-)

44

ينام ترافلر قليلا، وهذا حقيقي، ففي منتصف الليل يتنفس وكأن هناك ثقلا على صدره فيعانق تاليتا التي تحتضنه دون أن تتفوه بكلمة، وتضغط عليه بشدة حتى يشعر أنه قريب منها. كانا يتبادلان قبلات على الأنف وسط الكلام وقبلات فى الفم وفوق العيون. كما كان ترافلر يداعب خد تاليتا بيده التي يباعدها عن الملاءات ثم يعود للاختباء، وكأن الجو شديد البرودة رغم أن كلاهما يتصبب عرقا، وبعد ذلك يهملهم ترافلر بأربع أو خمس أرقام، وهذه عادة قديمة يلجأ إليها حتى لا يجافيه النوم. كانت تاليتا تتشعر به وقد أرخى ذراعيه وأخذ يتنفس بعمق بوهداً.

أما أثناء النهار فكان يقضى اليوم سعيدا يصقّر على موسيقى التانجو وهو يتناول الشاي أو يقرأ، لكن تاليتا لم تكن لتتمكن من مواصلة الطهي، دون أن يظهر أربع أو خمس مرات بحجج مختلفة ويتحدث عن أى شئ، وخاصة عن المصحة العقلية، وخاصة أن الأمور تسير فى طريقها المرسوم، كما أن المدير يزداد اقتناعا كل يوم بإمكانيات شراء ممرض المجانين لم تكن فكرة مستشفى المجانين تروق كثيرا لتاليتا، ويعرف ذلك ترافلر. كان كلاهما يبحث عن البعد الفكاهى، وأن ذلك سوف يكون جديرا بإحدى مسرحيات صمويل بيكيت. والبعد عن كل ما يخص السيرك المسكين الذي يقوم بأداء وظيفته فى حى بيادل باركى، ويستعد للظهور لأول مرة فى سان إيسيدرو. وأحيانا ما كان أوليفيرا يأتى لتناول الشاي. ومع ذلك، فعادة ما كان يظل فى حجرته ليقرأ ويدخن على راحته، مستغلا الفترة التي تذهب فيها جيكربتين إلى العمل. وعندما كان ترافلر ينظر إلى عين تاليتا التي أخذت مسحة من اللون البنفسجى ويساعدها فى تنف ريش بطة - وهذا شئ عظيم بالنسبة لها تفعله كل خمسة عشر يوما فهي تعشق البط بكل أشكال طهيه - كان يقول لنفسه إن الأمور ليست أسوأ مما كانت عليه، لدرجة أنه يفضل أن يطل أوراثيو ويتناول معها الشاي، إذ بعد ذلك مباشرة يبدأون ممارسة لعبة مشفرة لا يكادون يفهمونها، لكن يجب ممارستها لقضاء الوقت وحتى يشعر الثلاثة أنهم جديرون ببعضهم البعض. كانوا يحبون القراءة، إذ تلاقوا فى فترة الشباب على الاشتراكية، كما أن ترافلر كانت له مسحة ميل للصوفية فى شبابه. كان الثلاثة يحبون القراءة والتعليق، كل على طريقته، وكذلك الجدل حول المزاجية الأسبانية - الأرجنتينية الخاصة بالرغبة فى الإقناع وعدم قبول الرأى الآخر على الإطلاق، وإمكانية الضحك بشكل هستيرى والشعور بأنهم أعلى من الإنسانية المتألة، والذريعة هو مساعدتها على الخروج من المآزق الذي تمر به حاليا.

44

ينام ترافلر نوما غير مريح وهذا حقيقى، كانت تاليتا تكرر هذا بطريقة خطابية وهى تنظر إليه أثناء قيامه بحلاقة ذقنه مستفيدا من شمس الصباح. وبعد التمريرة الأولى للموس تعقبها الثانية كان ترافلر يترنم بصغيره، وهو يرتدى الفانلة وينطلون البيجامة، على إيقاع أغنية gayola، ويعد ذلك يصبح قائلا: الموسيقى هى الغذاء الحزين لنا معشر الذين نعيش على الحب! ثم يعود إلى الوراء، ويرمق تاليتا بنظرة عدوانية، فقد كانت تقوم بنتف ريش البطة وكان تشعر بسعادة غامرة لأنها استطاعت أن تخرج أم البيض من أحشائها، كما أن شكل البطة كان جيدا، وهذا أمر غير مألوف فى مثل هذه الجثث الناقصة حيث العينان شبه مفتوحتان وشق لا يكاد يرى وكأنه ضوء بين الأهداب، يالها من حيوانات تعسة.

— لماذا تنام بشكل سيئ يا مانو؟

— **موسيقى، أنا...** أنا أنام بشكل سيئ؟ يا حبى أنا لا أنام. إذ أقضى الليل وأنا أأمل كتاب «التحرير من الذنب» liber penitentialis طبعة ماكروفيوس باسما Macrovius† Basca والذى أخذته فى أحد الأيام الماضية من الدكتور فيتا منتهزا فرصة سهو أخته. سوف أعيده له، لايد وأنه غالى الثمن. إنه liber penitentialis تصور.

— وما هو ذلك؟ قالت تاليتا التى أخذت تفهم الآن بعض الألغاز ووجود الدرج مغلقا بمفتاحين - إنك تخفى عنى قراءاتك، وهذه هى المرة الأولى التى تحدث منذ أن تزوجنا. - ها هو هناك، يمكن أن تطلعنى عليه كيفما شئت. لكن عليك أن تغسل يديك مسبقا. إننى أخفيه لأنه كتاب قيم، كما أنك دوما ملطخة الأيدى ببقايا الجزر أو غير ذلك، إنك منزلية جدا ويمكن بذلك أن تدمرى أى مخطوطة.

— قالت تاليتا وهى تشعر بالأهانة :

— كتابك لا يهمنى تعال لتقطع رأس البطة، فهذا أمر لا أحبه رغم أنها ميتة.

— اقترح ترافلر :

— استخدم الموس، وسوف يكون الأمر فيه شئ من القسوة، كما أنه من المناسب دائما أن يتمرن المرء فلا أحد يعرف ماذا سيحدث فى المستقبل.

— لا، استخدم هذا السكين المسنون.

— بالموس

— لا، بهذا السكين

اقترح ترافلر وهو يحمل الموس وهوى به على البطة فأطاحت الضربة بالرأس.

44

- قال :
- عليك أن تتعلمي فإذا ما كان علينا أن نتولى أمر مستشفى المجانين لأبد من توفر خبرة الاغتيال المزيج في شارع مورج Morgue
- هل يقتل المجانين أنفسهم بهذه الطريقة؟
- لا ياعجوز، لكنهم أحيانا ما يتشاجرون مثل العقلاء إذا ما وافقتني على هذه المقارنة السيئة.
- وافقت تاليتا :
- إنها مقارنة سوقية، وهي تقوم بإعداد البطة في شكل متوازي السطوح مربوطة بفتلة بيضاء.
- وفيما يتعلق بعدم نومي جيدا - قال ترافلز وهو ينظف الموس بورق صحي - فأنت تعرفين حقيقة الموضوع تماما.
- لنقل نعم، لكنك تعرف أيضا أن ليست هناك مشكلة.
- قال ترافلز :
- المشاكل هي مثل سخانات بريموس Primus، إذ يسير كل شيء سيرا حسنا حتى تحدث لحظة الانفجار، يمكنني أن أقول لك إن هذا العالم فيه مشاكل غائبة، إذ يبدو أنها غير موجودة مثلما هو الحال في هذه اللحظة، لكن ما يحدث هو أن ساعة الميقات الخاصة بالقنبلة تشير إلى الثانية عشرة صباح غد - تيك - تيك - تيك، كل شيء يسير سيرا حسنا، تيك تاك.
- قالت تاليتا :
- والسيء في الأمر هو أن المكلف بتشغيل الساعة هو أنت نفسك.
- إن يدي أيتها الفأرة الصغيرة محدد عليها توقيت الثانية عشرة صباح اليوم التالي.
- وبينما يمضي الوقت علينا أن نعيش ونترك الآخرين يعيشون.
- دهنت تاليتا البطة بالزبدة، الأمر الذي كان مشهدا مهينا.
- قالت وكأنها تتحدث إلى بهط قدمها :
- هل هناك ماتونبني عليه .
- قال ترافلز :
- لا شيء على الاطلاق في هذه اللحظة وسوف نرى ذلك غدا في الثانية عشرة.
- وذلك حتى تمتد الصورة لنصل إلى نهايتها.

- قالت تاليتا :

- يالشبه الكبير وبينك وبين أوراثيرو هذا التشابه أمر غير معقول.
- نعم تشبهه - ألحت تاليتا وقد تركت البطلة من بين يديها فوقعت على الأرض وأحدثت صوتا يثير القرف - كان هو أيضا سيقول تيك - تاك، - كما كان سيتحدث بعبارة مجازية. طوال الوقت، هل ستركاني في هدوء؟ أقول لك متعمدة إنك تشبهه حتى تنتهي من هذه الممارسات اللامعقولة. لا يمكن أن يتغير كل شيء هكذا مع عودة أوراثيرو. لقد قلت له ليلة أمس أنه لا يمكنني أكثر من ذلك. إنكما تلعبان معي وكأن الأمر مباراة تنس يضربني كل واحد منكما من أحد الجوانب. ليس هذا بالعدل يا مانو، ليس عدلا.

أخذها ترافلر بين ذراعيه رغم أنها كانت تقاومه وبعد أن وضع رجله فوق البطلة تزخلق بشدة لدرجة كادت تؤدي بها إلى أرضية الحجرة، استطاع السيطرة عليها وقبلها في طرف أنفها.

- قال وهو يبتسم لها بتعبير جعلها تسترخى وتبحث عن موضع أكثر راحة بين ذراعيه :
- ربما ليست هناك قبلة في نظرك يا فائرة انظري، ليس القصد هو أنني أبحث عن صاعقة تهبط على رأسي لكني أشعر أنه لا يجب أن أدافع عن نفسي باستخدام مضاد الصواعق، وعلى الخروج مكشوف الرأس حتى تدق الثانية عشرة في يوم من الأيام.. وبعد هذه الساعة يا حبيبتي سوف أشعر من جديد أنني أنا نفسي. ليس الأمر هو أوراثيرو يا حبي، ليس بسبب أوراثيرو فقط، رغم أنه جاء كنوع من حامل الرسالة. ولو لم يكن قد وصل فربما تحدث لي أشياء شبيهة. ربما كنت قد قرأت كتابا أوريا عشت امرأة أخرى ... إنها تصاريف الحياة، أفهمين، هذه البراهين غير المتوقعة على شيء لم يكن المرء يشك فيه، فجأة تحدث الأزمة. عليك أن تفهمي ذلك.

- لكنني أعتقد فعلا أنه يجري ورائي وأنتي ...؟

- قال ترافلر وهو يتركها من بين ذراعيه :

- إنه لا يجري وراءك على الإطلاق! إنك لا تهمين أوراثيرو في شيء. لا تغضبني أنا أعرف جيدا مقدارك، وسوف أشعر بالغيرة من كل الناس عندما ينظرون إليك أو يتحدثون معك. لكن رغم أنه أوراثيرو يمكن أن يطاردك، ففي مثل هذه الحالة، ورغم أنك قد تتصورين أنني مجنون، أقول لك أنك لا تعنين شيئا بالنسبة له وعلى ذلك فلست أشعر بالقلق. الأمر شيء آخر.

44

- قال ترافلر بصوت مرتفع :
- إنه شيء آخر تماما!!
- قالت تاليتا وهي تأخذ البطة وتنظف ظهرها باستخدام خِرقَة المطبخ :
- أوه لقد كسرت ضلوع البطة. الأمر إذن مختلف. أنا لا أفهم شيئا، لكن ربما أنت على حق.
- قال ترافلر بصوت منخفض وهو ينظر إلى سيجارته :
- وإذا ما كان هنا فلن يفهم هو الآخر شيئا.
- إلا أنه سوف يعرف أن الأمر مختلف إنه شيء لا يصدق، إذ يبدو أنه كلما اجتمع معنا، هناك حوائط تهدم وتذهب أشياء أخرى عديدة، وفجأة تبدو السماء صافية رائعة وتضع النجوم نفسها في سلة الخبز، ويمكن للواحد تقشيرها وتناولها. هذه البطة هي بجة لوهينجرين Lohengrin، وفي الخلف، في الخلف ...
- قالت السيدة/ دى جوتوسو وهي تطل من الدهليز :
- هل أضايقكما؟ فربما تتحدثان عن أمور شخصية، فأنا لا أريد التدخل في شيء لا علاقة لي به.
- قالت تاليتا :
- شجاعة ادخلي يا سيدتي. انظري، ياله من حيوان جميل.
- قالت السيدة دى جوتوسو :
- هو الروعة أقول دائما إن لحم البط قوى لكنه له مذاقه الخاص.
- قالت تاليتا :
- لقد داس عليه مانو وسوف تتحول إلى قطعة شحم، أقسم على هذا
- قال ترافلر :
- وقعى عليها .

(102)

45

كان من الطبيعى التفكير فى أنه كان ينتظر أن تطل من النافذة. إذ يكفى الاستيقاظ فى الثانية صباحا وسط الحر الشديد وسط الدخان الحاد الصادر عن مروحة قتل الناموس وهناك نجمتان كبيرتان تدخلان من النافذة. وفى الجانب المواجه هناك النافذة الأخرى التى يمكن أن تكون مفتوحة.

كان طبيعيا ذلك التصور، فلزال اللوح هناك فى حقيقة الأمر كما أن الرفض تحت وطأة شعاع الشمس يمكن أن يتحول إلى النقيض أثناء الليل، وعندئذ سوف يكون هو فى الشرفة يدخن سيجارة لإبعاد الناموس، وينتظر أن تقوم تاليتا، التى تشعر بالأرق، بالابتعاد بخفة عن جسم ترافلر لتطل هى الأخرى، وتنتظر إليه من ظلام إلى ظلام، وربما تمكن من خلال حركة بطيئة يديه من رسم إشارات مستخدما جمرة السيجارة، كان يرسم مثلثات ودوائر وتروس أسلحة ورموز الفلتر السيئ *E'difenilpropilamina* أو اختصارات نواثية تعرف هى ماهيتها، أو أن يقوم بعملية ذهاب وإياب بين الغم وذراع الكرسي ومن ذراع الكرسي إلى الغم، وهكذا طوال الليل.

لم يكن هناك أحد يطل من النافذة. أطل ترافلر إلى البئر الحار ونظر إلى الشارع حيث يمكن للسماء المرصعة بالنجوم قراءة جريدة مفتوحة لا حول لها ولا قوة. بدا أن النافذة الخاصة بحجرة الفندق المقابل أكثر قربا أثناء الليل. لدرجة أن أحد الرياضيين يمكن أن يعبر إليها بقفزة واحدة، لا، لم يكن ليتمكن من ذلك. ولو فعلها فإنه يغامر مغامرة مميتة لا أكثر، لم يبق للوح أى أثر. وليس هناك أى معبر.

تهدد ترافلر ثم عاد إلى السرير. وردا على سؤال وجهته له تاليتا وهى شبه مستغرقة فى النوم، دأب شعرها وهمهم بشئ. قبلت تاليتا الهواء تقلبت بعض الشئ ثم هدأت. إذا ما كان فى أى جزء من البئر الأسود، وأصبح فى عمق الحجرة ويطل من هناك، من النافذة فلابد وأنه رأى ترافلر. فالفانلة البيضاء تبدو وكأنها بلازما خارجية، كما أن الظهور اللامبالى للفانلة البيضاء لابد وأنه دمره كثيرا. ها هو الآن يقوم بحك عضده ببطء، وهذه حركة معتادة تدل على عدم الشعور بالراحة والنقمة بداخله، سوف يقوم بدغدغة السيجارة بين شفتيه، وسوف يلوك بعض البذاعات التى تناسب الموقف، وربما سيلقى بنفسه فى السرير دون أى اهتمام بجيكربتين التى تغط فى النوم.

لكن إذا ما كان فى أى جزء من البئر المظلم فإن مجرد الاستيقاظ والذهاب نحو النافذة فى مثل هذه الساعة من الليل، فهذا معناه أنه خائف بعض الشئ، أو أنه يكاد يقر بأنه خائف. ويمكن القول بشكل عملى أن ترافلر وأوراشيو لم يرفعا اللوحين من

45

مكانهما، فهناك معبر يشكل أو يأخذ ويمكن الذهاب والعودة من خلاله، ويمكن لواحد من الثلاثة العبور من نافذة إلى أخرى، وهو يمشى نائماً يطفئ الهواء المكثف بقدميه دون خوف من السقوط، وسوف يختفى الكوبرى عندما تظهر تباشير الصباح وعودة رائحة القهوة باللبن التي تعيدنا إلى الأبنية الصلبة وتزيح النوم العميق بضربات نشرة الأخبار في الراديو والدش البارد.

أحلام تاليتا: تحملها إلى معرض للرسم أقيم في قصر ضخم متهم واللوحات معلقة على ارتفاعات عالية وكن أحد من الناس قد حول سجون بيرانسى^(١) إلى متحف. وحتى يمكن الوصول إلى اللوحات لابد من الصعود وتسلق بعض الأقواس حيث نجد أن المبانى ملساء، ولا تكاد تسمح بأن يسند الواحد أصابع قدميه عليها، ثم التقدّم عبر دهاليز تؤدي إلى حافة شاطئ بحر هائج ذى موج من رصاص، ثم صعود سلالم حلزونية وفي النهاية المشاهدة ولكن بشكل رديء فهي تُسمّى إما من أسفل أو من أحد الجوانب، يمكن مشاهدة اللوحات التي فيها البقعة البيضاء، ونفس التّخنُّر النّشوي أو اللبن، كل ذلك يتكرر إلى ما لا نهاية.

استيقاظ تاليتا: تنهض فجأة وهي في السرير في التاسعة صباحاً، تهز ترافلز الذي ينام إلى جوارها مستلقياً على بطنه وتضربه بكفها على عجزه حتى يستيقظ، يمد ترافلز إحدى يديه ويقرصها في فخذه، ترتدى تاليتا فوقه وتجذبه من شعره، يستغل ترافلز قوته الجسدية، ويلوى ذراعها حتى تطلب منه العفو والسماح، قبلات، ارتفاع درجة الحرارة.

— لقد حلمت بمتحف فضليع، كنت تأخذني إلى هناك.

— أمقت تفسير الأحلام - أشربى الشاي.

— لماذا تستيقظ أثناء الليل؟ لم يكن ذلك من أجل التبول ذلك أنك عندما تفعل ذلك

تقوله لى وكأننى بلها «سوف أنهض لأننى لا يمكننى أن أتحمّل أكثر من ذلك»

وأنا أسف لك فائنا أستطيع التحمل طوال الليل، حتى انه لا يتوجب على ذلك فالوظائف الجسدية مختلفة.

— ماذا؟

— قل ، لماذا تنهض من السرير ليلاً؟ هل ذهبت إلى النافذة وتهدت؟

— لم ألق بنفسي منها.

— أيها الأبله.

— كان الجو حاراً.

— قل لى لماذا استيقظت؟

45

- لا شئ، لأرى فيما إذا كان أوراثيرو يشعر بالأرق هو أيضا وكان يمكن أن نتحدث قليلا.
- في هذه الساعة؟ إنكما لا تكادان تتبادلان الحديث أثناء النهار.
- ربما كان ذلك مختلفا. فلا أحد يعرف.
- قالت تاليتا وهي تلبس «السليب» :
- حلمت بمتحف فظيع .
- قال ترافلر وهو ينظر إلى السقف :
- قلت لى ذلك .
- قالت تاليتا :
- نحن أيضا لا نتحدث كثيرا مع بعضنا .
- حقيقى. إنها الرطوبة.
- لكن يبدو أن هناك شئ يتحدث، ويستخدمنا ليتحدث. أليس لديك هذا الإحساس؟
- ألا تشعر أننا مسكونون؟ أريد أن أقول... هذا صعب فى واقع الأمر.
- من الأرجح أننا منقولون. انظرى، هذا لن يستمر دائما، «ولا تضعفى يا كاتاليتا»
- يترنم ترافلر - «سوف تأتى أزمان أفضل، وسوف أشتري لك حجرة طعام»
- قالت تاليتا وهي تقبله فى أذنه :
- أيها الأبله هذا لن يستمر إلى الأبد، هذا لن يستمر إلى الأبد ... هذا لا يجب أن يستمر ولو لدقيقة بعد ذلك.
- إن عمليات البتر العنيفة سيئة، إذ يظل مكان البتر يؤلمك طوال العمر.
- قالت تاليتا :
- إذا ما أردت أن أقول لك الحقيقة لدى انطباع بأننا نربى عناكب، أو أم أربعة وأربعين، ونعنى بها ونصونها، وتنمو فتكون كائنات صغيرة فى البداية، وظريقة الشكل ولها كثير من الأرجل، ثم تنمو فجأة وتقفز فى وجهك. أعتقد أننى حلمت أيضا بالعناكب، لكنى أتذكر هذا بطريقة غامضة.
- قال ترافلر وهو يرتدى البنطلون :
- أسمع أوراثيرو، ذلك لأنه يصفر كالمجنون فى مثل هذه الساعة، وذلك احتفالا برحيل جيكربتين إلى العمل. ياله من رجل.

(٨٠-)

46

قالها ترافلر للمرة الرابعة وهو يضرب أوتار الجيتار قبل أن يتفوه بتانجو *Cotorrita de la suerte* ببغاء الحظ.

- الموسيقى هي الغذاء الحزين لمعشر الذين يعيشون على الحب.
أبدى السيد كريسبو اهتمامه بالعبارة، وصعدت تاليتا لتبحث له عن الفصول الخمسة ترجمة أسترانا مارين⁽¹⁾ *Astrana marin* . كان شارع كاتشيامايو *Cachi-mayo* مليئا بالضجيج عند حلول المساء. وفي حوش منزل السيد كريسبو كان هناك الكناري «ثين بيسوس»، ولم تسمع أصوات إلا صوت ترافلر الذي وصل، عندما كان يغنى عبارة: «العاملة الماكركة وحاضرة البديهة هي التي تهب بيتها السعادة». لم يكن من الضروري تبادل الحديث عند ممارسة لعبة المقشة ذات الخمسة عشر. كانت جيركيتين تكسب أوليفيرا المرة ثلو الأخرى، رغم أنه كان يتبادل اللعب مع السيدة دي جوتوسو. فى عملية دفع العملات فئة العشرين. أثناء ذلك الوقت أخرج ببغاء الحظ (الذي يخمن الموت والحياة) ورقة صغيرة وردية اللون: إنه الخطيب والعمر الطويل. لكن هذا لم يمنع صوت ترافلر ليصف، وبسرعة مرض البطللة: وفي المساء الذي كانت تحتضر فيه بحزن تسأل أمها «ألم يأت؟» ترن ترن.

- قالت السيدة دي جوتوسو :

- يالها من مشاعر إنهم لا يتحدثون بشكل طيب عن التانجو لكن هذا لا يمكن مقارنته بالموسيقى السخيفة التي يذيعونها. أتتى طببخ اللوبيا يا سيد أوراثيرو.
ركن ترافلر الجيتار على أحد أضص الزرع، ثم شطف كمية كبيرة من الشاي وشعر بأن الليلة ستكون ثقيلة. كان يودّ لو أنه يعمل، أو يشعر بالمرض، أو يسلى نفسه بأى شئ آخر. صب لنفسه كأسا من «الكانيا» وشربه دفعة واحدة وهو ينظر إلى السيد كريسبو الذي يضع نظارة القراءة على طرف أنفه ثم يأخذ فى تصفّح المقدمة بتوجسّ. شعر أوليفيرا بالهزيمة فجاء ليجلس بالقرب وتناول كأسا.

- قال ترافلر بصوت منخفض :

- العالم رائع وسوف تبدأ معركة أكتيوم خلال ساعة إذا ما استطاع العجوز تحمل الموقف حتى ذلك الجزء، وإلى جواره هناك إثنان من المجنونات، تحاربان باستخدام حبات الفاصوليا بكل ما أوتيتا من قوة.

- قال أوليفيرا :

- إنها مشاغل مثل غيرها هل انتهيت للكلمة؟ أن يكون الإنسان مشغولا، ويكون

46

لديه عمل، تسرى رعدة في العمود الفقري، تنشى. وحتى لا ندخل في عالم الميتافيزيقا سوف أقول لك بأن مشاغل السيرك ما هى إلا خداع محض. إننى أكسب هذا المال دون أن أفعل شيئا.

– انتظر حتى نظهر على المسرح فى سان إيسيدرو، سوف يكون الأمر صعبا. أما فى بيادل باركى فكانت كل مشاكلنا محولة، وخاصة المشكلة المتعلقة بالرشاوى التى كانت مثار قلق المدير. علينا الآن أن نبدأ مع أناس جدد وسوف تكون مشغولا طالما أن الكلمة تعجبك.

– لا تقل لى. يالها من دعابة تنشى.

وعلى ذلك سوف يكون هناك عمل؟

– خلال الأيام الأولى، وبعد ذلك يدخل كل شئ فى الأطار المرسوم. حدثنى قليلا.

ألم تعمل أبدا عندما كنت فى أوروبا؟

– قال أوليفيرا :

– الحد الأدنى الذى لا مناص منه كنت موزعا سرياً للكتب. إنه العجز توريل، وباله من شخصية لـ ثيلينى Celine. وعلى أن أقص عليك كل هذا يوما من الأيام، هذا إذا ما كان الأمر يستحق، لكنه لا يستحق.

– قال ترافلر :

– أود ذلك .

– أتعرف، إن كل شئ فى الهواء، بمعنى أننى عندما أقول لك أى شئ، فسوف يكون بمثابة جزء من الرسم الذى على البساط. وما ينقصه هو التّخخّر، وهذه تسمية تطلقها عليه كيفما اتفق هُبْ، وفجأة يدخل كل شئ فى مكانه الصحيح، فيتولد أمامك زجاج رائع فى مختلف جوانبه لكن الشئ المزعج - قال أوليفيرا وهو يحلق فى أظافره - يتمثل فى أنه ربما حدث التخخّر دون أن أدري، وفاتنى القطار وأصبحت فى المؤخرة مثل العجائز الذين يسمعون الآلة الحاسبة الألكترونية وهى تتحدث ويهزون رؤوسهم ببطء ظنا منهم أن قد حانت ساعة تناول شوربة الشعوية.

صدرت عن الكنارى «ثين بيزوس» زغردة أبرز ما فيها الصرير.

– قال ترافلر :

– عموما أحيانا يخطر على بالى أنه لم يكن من الواجب أن تعود

– قال أوليفيرا :

– إنك تفكر فى الأمر بينما أنا أعيش الموقف. وربما استوى الأمر. لكن علينا ألا

46

نفساق وراء نوع من الغشية. الحياء يقتل كلينا، إننا نسير عرايا في المنزل، وهناك بعض السيدات اللاتي يستفطنن ذلك، لكن عندما يكون الأمر متعلقا بالكلام ... إفهمنى، يخطر على بالي أحيانا أن أقول لك ... لست أدري، وربما قد تساعدنا الكلمات فى اللحظة المناسبة، قد تساعدنا. لكن لما لم تكن هى الكلمات المتعلقة بالحياة اليوفية، ويتناول الشاى فى الحوش، والدردشة الذكية، فإن المرء يتراجع وخاصة إذا ما كان أمامه أعز الأصدقاء عليه. ألم يخطر ببالك أحيانا أن تفضض أكثر لأى إنسان؟

- قال ترافلز وهو يشد أوتار الجيتار :

- يمكن ذلك لكن السيئ فى الأمر هو أنه بتطبيق هذه المبادئ فلننا نرى بوضوح ما هو دور الأصدقاء.

- ليكونوا هنا ، وفى واحدة من تلك التساؤلات من يقول لك....

- كما تريد سوف يكون من الصعب علينا التفاهم كما حدث فى الزمن الماضى.

- قال أوليفيرا :

- باسم الأيام الضوالى يتم ارتكاب الدعابات فى هذه الأيام انظر يا مانو، إنك تتحدث عن تفاهمنا، كما أنك تدرك جيدا أننى أود التفاهم معك وأنت معناها أكثر بكثير منك نفسك. والكارثة هى أن التفاهم الحقيقى شئ آخر. فنحن نرضى بالقليل جدا. وعندما يتفاهم الأصدقاء جيدا، وعندما يتفاهم العشاق جيدا، فيما بينهم، وعندما تتفاهم الأسر جيدا فيما بينها، عندئذ نعتقد أننا فى حالة انسجام. وهذه هى الخدعة المحضة، وليست إلا امرأة مخصصة للقبرة. أشعر أحيانا أن هناك تفاهما عميقا بين اثنين يكيان الكلمات والضربات لبعضهما وعمق التفاهم أكبر بكثير من اثنين ينظران إلى بعضهما من الخارج. ولذلك ... تشى، لكن يمكننى أن أكتب فى صحيفة لانايشون

Nacion عدد الأحد.

- قال ترافلز وهو يشدُ أرق أوتار الجيتار :

- كنت تسير سيرا حسنا وفى النهاية عاودك هجوم مباغت من الحياء الذى تحدثت عنه سلفا. جعلتنى أفكر فى السيده دى جوتوسو عندما تعتقد أنها مجبرة على الحديث عن البواسير التى يعانى منها زوجها.

- إن أوكتابيو قيصر هذا يقول أشياء - ومدام السيد كريسبو وهو ينظر إليها من فوق نظارة القراءة - إنه يتحدث عن أن مارك أنطونيو أكل لحما غريباً فى جبال الألب. ما الذى يمكننى تصويره فى هذه الجملة؟ أتصور أنه الماعز الجبلى.

46

- قال ترافلر :
- ربما كان من ذوى الساقين منتوف الزيش .
- قال السيد كريسيو بلهجة مهذبة :
- الشخصيات فى هذا العمل إما مجنونة أو على حافة الجنون يالها من تصرفات تصدر عن كليوباتره.
- قالت السيدة دى جوتوسو :
- الملكات شديداً التعقيد كليوباتره هذه كانت تفعل كل فعلة؛ رأيته فى فيلم، كان الزمن غير الزمن ولم تكن هناك أديان.
- قالت تاليتا وهى تسحب ستة من أوراق اللعب دفعة واحدة :
- مقشّة .
- يالللحظ الجيد ...
- يمكن أن أخسر فى النهاية. لم تُعَدْ معى عملات معدنية يا مانو.
- عليك أن تبحثى عن الفكّة مع السيد كريسيو، الذى دخل من زمن الفراغة وربما يعطيك عملات من الذهب الخالص، يا أوراثيو، فيما يتعلق بما كنت تتحدث به عن الانسجام...
- قال أوليفيرا :
- عموماً طالما أنت تصرّ على أن أقتب جيوبى الخاوية وأضع ما فيها على الترابيزة ...
- يجب تقليب الجيوب. لدى انطباع أنك سوف تبقى فى غاية الهدوء وأنت ترى الآخرين وقد ظهر أمامنا قرصان فى الاتجاه المعاكس. إنك تبحث عن ذلك الشئ الذى تسميه الانسجام لكنك تبحث عنه فى نفس المكان الذى قلت عنه أنه غير موجود فيه لا بين الأصدقاء أو الأسرة أو المدينة لماذا تبحث عنه فى الأطر الاجتماعية؟
- لست أدرى تشى. كما أننى لا أبحث عنه. كل شئ يحدث لى.
- لماذا يجب أن يحدث لك وهو أن الآخرين قد لا يتمكنوا من النوم بسببك؟
- أنا أيضاً أنام نوماً متقطعاً.
- لماذا تزوجت بجيكريتين، على سبيل المثال - لماذا تأتى لترانى؟ أليست هى جيكرتين؟ ألسنا نحن الذين نعكر صفو الانسجام؟
- صاح السيد كريسيو مفزوعاً.
- هل تريد تناول مشروب **تَفَاح الجن**!
- قالت السيدة دى/ جوتوسو :

46

- ماذا؟
- أقول تفاح الجن Mandragora! يأمر العبد أن تصب له كأس تفاح الجن يقول إنه يريد أن ينام. إنك في غاية الجنون!
- قالت السيدة دى جوتوسو :
- يجب تناول برومورال Brumural طبعاً، في مثل هذه الأيام ...
- قال أوليفيرا وهو يصب مشروب الكانيا في الأكواب :
- الحق معك أيها العجوز باستثناء شيء واحد وهو أنك تعطى لجيكربتين أهمية أكثر مما تستحق.
- ونحن؟
- ربما أنتم عملية التجلط التي تحدثنا عنها منذ لحظات. أكاد أفكر أن علاقتنا تكاد تكون كيميائية، وهذه عملية تخرج عن نطاقنا نحن. إنها نوع من الرسم الذي يتكامل. لقد جئت لاستقبالي، لا تنس هذا.
- ولم لا؟ لم أفكر أبداً أنك تأتي تحمل كل هذا الغيظ وأنهم غيروك كثيراً لدرجة أنني أربح في أن أكون مختلفاً ... ليس ذلك، ليس ذلك. أنت لا تعيش ولا تترك الآخرين يعيشون.
- كان الجيتار يتحرك بين الاثنين وكأنه يرقص الثيليتو Cielito.
- قال أوليفيرا بصوت منخفض جداً :
- ليس عليك إلا أن تفرقع بأصابعك هكذا ولن تروني بعد الآن. سيكون من غير العدل، ويسببني أنا، أن تكون أنت وتاليتا ...
- إترك تاليتا بعيدة عن هذا.
- قال أوليفيرا :
- لا - لا أفكر في أن تكون بعيدة عن هذا. نحن أنا وأنت وتاليتا نكون مثلثاً على طريقة تريسميخستس Trismegetis^(١). وأكرر لك، ما عليك إلا أن تصدر إشارة وأبتعد بنفسى. لا تتصور أنني غير واع بأنك تشعر بالقلق.
- ليس لهذا علاقة بمغادرتك الآن، وبأنك بهذا سوف تصلح الكثير من الأشياء.
- عجباً، ولم لا، لستما في حاجة إليّ.
- بدأ ترافلز مقدمة مالياخي Melevaje ثم توقف. ما قد انتهت الليلة وقام السيد كريسبو بإضاءة نور الحوش ليتمكن من القراءة.
- قال ترافلز بصوت منخفض :

46

- انظر في يوم من الأيام سوف تقرر أنت الانتقال من المكان ولن أكون في حاجة لأصدر لك إشارات بالرحيل، لكن لن أنام الليل كما قالت لك تالتيا، أنا في حقيقة الأمر لا أندم أنك رجعت، فربما كنت في حاجة إلى ذلك.
- كما تريد أيها العجوز. الأمور هي على هذا الحال، ومن الأفضل التزام الهدوء.
- ويحدث نفس الشيء بالنسبة لى.
- قال ترافلر :
- الحوار يبدو كحوار البلهاء .
- قال أوليفيرا :
- قمة التخلف العقلى.
- يتصور الواحد منا أنه سيشرح شيئا لكن تسوء الأمور أكثر فأكثر.
- قال أوليفيرا :
- الشرح هو خطأ جميل سجل هذه.
- نعم، إن من الأنسب الصيغ عن أشياء أخرى مثل الوضع الذى عليه المزب الراديكالى، حضرتك فقط لكن الأمر مثل عربة الحنطور، إنها العودة إلى نفس الموضوع، الحصان الأبيض ثم الأحمر ثم الأبيض من جديد. إنتتحن من الشعراء يا أخى.
- قال أوليفيرا وهو يملأ الأكواب :
- نحن عرافان ماهران إننا أناس لاننام جيدا ثم نُطَلُّ من النافذة لنستنشق الهواء الرطب، وأشياء من هذا القبيل
- أى أنك رأيتنى الليلة السابقة.
- اتركنى أفكر فى الأمر. فى البداية كانت جيكربتين ثقيلة، ثم عملية المسائرة، ويخفة شديدة ليس إلا، لكن فى النهاية ... وبعد ذلك نمت نوما عميقا أى أننى كنت أحاول أن أنسى نفسى. لكن لماذا تسألنى؟
- قال ترافلر وضغط بكفه على الأوتار :
- لا شيء.
- وفى محاولة من السيدة دى جوتوسو الاحتفال بانتصارها، اقتربت بكرسى وجلست وطلبت من ترافلر أن يغنى.
- قال السيد كريسبو :
- هناك شخصية تدعى إينو باربو تقول بأن رطوبة الليل سامة هذا لعمل يتضمن

46

أشخاصاً ذهب السُّكْرُ بعقلهم فأنشأوا المعركة يتحدثون عن أشياء لا علاقة لها بما يحدث.

- قال ترافلر :

- حسن، هيا للدخل السرور على السيدة، إذا لم يمانع السيد كريسيو، إنها مقطوعة ماليباخي Malevaje، إنه تانجو خوان ديوس فيليبرتو، آه، بيب، ذكرني بأن أقرأ عليك اعترافات إيفون جيتير. انها لأمر عظيم. هيا يا تاليتا للبحث عن مختارات جارديل Gardel فالكتاب موضوع على الكومودينو، كما يجب أن تكون مثل هذه الأشياء - وتُردّه لى بالمرّة - قالت السيدة دى جوتوسو - وهذا ليس لأى سبب إلا لأننى أحب أن تكون الكتب إلى جوارى. زوجى له نفس المزاجية. أقسم لك.

(-47)

47

أنا أنا، نحن لكن أنا أنا، أولاً أنا أنا، سوف أُدافع عن كونى أنا حتى آخر نفس،
أُتاليا، هى، أنا، أنا، أنا، حاصلة على شهادة، أُرَجنتينية، ظُفُر تجسّد، جميلة فى بعض
الأحيان، عيتان واسعتان وسوداوان أنا. تاليا دونوسى، أنا. أنا. أنا. أنا، بكرة الخيط
والخيوط. كوميدى.

مانو، ياله من جنون الذهاب إلى محل بيت أمريكا Casa America وتأجير تلك الآلة
بغرض التسلية فقط. Rewind. ياله من صوت. هذا ليس صوتى، إنه صوت زائف
ومتكلف. «أنا أنا، أنا هى، نحن، لكن أنا أنا، أولاً أنا، سأُدافع ...» استوب. إنه جهاز
رائع لكنه لا ينفع فى حالة التفكير بصوت عال، وربما يجب التعودّ عليه أولاً. يتحدث
مانو عن تسجيل مقطوعته الشهيرة لمسرح الراديو والمتعلقة بالسيدات لن يفعل شيئاً،
العين السحرية هى كذلك بالفعل. تنكمش الأخاديد الخضراء المتأرجحة وكأنه ينظر إلى
قط أعور. ومن الأفضل تغطية ذلك باستخدام ورقة كارتون. Rewind يلف الشريط
بأنسيابية وبشكل متزامن. Volume. التشغيل على ٥ أو ٥.٥: «العين السحرية هى
بالفعل كذلك، والأخاديد الخضراء التى...» لكن السحرية الحقيقة أن يقول صوتى
«العين السحرية تلعب الاستغماية، الأخاديد الحمراء ...» الصدى مرتفع المستوى.
يجب وضع الميكروفون قريباً وخَفُض درجة الصوت. أنا أنا، أنا هى. ما أنا عليه هو فى
الواقع ملهانة سيئة لفالكنر Faulkner. المؤثرات السهلة. هل يقوم بالإملاء مستخدماً
الماجنيثيفون أو أن الويسكى هو بالنسبة له بمثابة شريط تسجيل؟ أيقال عن الجهاز
مسجل أو ماجنيثيفون؟ يقول أوراثيو إنه ماجنيثيفون. وقد فغر فمه عندما رأى الجهاز
قال: ياله من ماجنيثيفون». لكن كتيب الاستخدام يطلق عليه مسجل. لابد وأن المسنولين
فى بيت أمريكا Casa America يعرفون الأمر. لماذا يقوم مانو بشراء كل شئ بما فى
ذلك الأحذية من كاسا أمريكا. إنه جمود وبلاهة Rewind. سيكون الأمر مسلياً:
«فالكنر» المؤثرات السهلة» أَسْتوب. أن أعود لأستمع لنفس هذا ليس أمراً مسلياً جداً.
لا بد وأن يستغرق كل هذا بعض الوقت، الوقت، الوقت. كل هذا لابد أن يستغرق بعض
الوقت Rewind. لنز فيما إذا كان الإيقاع الصوتى أكثر طبيعية: «... بو. الوقت، الوقت.
كل هذا يجب ...» إنه يشبه صوت إنسانة قرزمة مصابة بنزلة برد. لكننى أجيد تشغيل
الجهاز. سوف يستغرب مانو لذلك. إنه لا يثق مطلقاً فى قدرتى على تشغيل الأجهزة -
وبالنسبة لوظيفتى كصيدلية فإن أوراثيو لا يعيرها اهتماماً وينظر إلى وكأئننى بوريه

يدخل في المصفاة على شكل عجينة ويخرج من الجانب الآخر على شكل مكرونة، ثم يجلس المرء ويأكل. Rewind؟ لا، لتواصل، لتطفأ الأنوار، لتتحدث باستخدام ضمير الغائب، فعلى... عندئذ تقوم تاليتا دونوس بإطفاء النور ولم تبق إلا العين السحرية بتجاعيدها الحمراء. (ربما تكون خضراء، أو بنفسجية) وحجرة السجارة. الجو حار، ومانو لم يعد بعد من سان إيسيدر، إنها الحادية عشرة والنصف. ها هي جيكربتين تطل من النافذة، أنا لأراها لكن يستوى الأمر. لابد وأنها تطل من النافذة مرتدية قميص النوم. كما أن أوراثيو يجلس على ترابيزته وقد أشعل شمعة وأخذ يقرأ ويدخن. لست أدري لماذا أجد حجرة جيكربتين وأوراثيو تعطى الانطباع بأنها ليست حجرة في فندق. يالى من بلها، إنها حجرة في فندق لدرجة أن الصراصير تحمل رقم الحجرة على ظهرها، كما أنهما يتحلمان جارهما السيد بونش الذى يقوم بتحصيل عشرين بيزو نظير الكشف على مَرْضَى السِّل الرئوى، والكسور ومرضى الصرع. وفى الدور الأسفل هناك الهارب وماتترنم به الخادمة من أغانى التانجو Rewind. إنها فترة جيدة، استعادة ما لا يقل عن نصف دقيقة سابقة. إنه يسير ضد الزمن، وهذا أمر لطيب لمانو الحديث عنه. درجة الصوت 0 «... الرقم المكتوب هو الظهر...» فى أقصى الخلف Rewind. الآن: «... أوراثيو يجلس أمام الترابيزة وأمامه شمعة خضراء...» أستوب. ترابيزة، ترابيزة. عندما تكون الوظيفة هي صيدلية فليست هناك حاجة لقول ترابيزة. إنها النشا الخاصة. ترابيزة! هي الحنان الذى أسيئ استخدامه. حسن يا تاليتا. كفى من ترهات. Rewind. وحتى يصل الشريط إلى النهاية فإن الخطأ الرئيسى فى هذه الأجهزة هو أنه يجب معرفة الحساب جيدا. فإذا ما زفلت الشريط تضيع ... نصف دقيقة فى محاولة تركيبه من جديد. أستوب. مضبوط يكفى اثنين من الستيمترات. ماذا كنت قائلة فى البداية؟ لا أتذكر لكن صوتى يخرج وكأننى فأرة مذمورة، إنه الخوف المعتاد من الميكروفون. لنر 5,5 حتى يسمع جيدا «أنا أنا هي، نحن، لكن أنا، فى البدايات...» ولماذا، لماذا أقول هذا؟ أنا أنا، أنا هي، وبعد ذلك أتحدث عن الترابيزة ثم أغضب فى النهاية «أنا أنا، أنا هي، أنا هي» أوقفت تاليتا المسجل ووضعت الغطاء الخاص به ونظرت إليه بقرق شديد وصبت لنفسها كوب ليمون. لم تكن تريد التفكير فى حكاية المستشفى، (كان المدير يقول «المستشفى النفسية» وهي

تسمية غير رصينة)، لكنها إذا ما تركت التفكير في المستشفى (لكن عملية التوقف عن التفكير هذه ليست إلا أملاً أكثر منها واقعا) تدخل في دائرة أخرى تثير الضيق، كانت تفكر في مانو وأوراثيو في نفس الوقت وفي الاستعارة الخاصة بالميزان، والتي استخدمها أوراثيو، وكذلك هي في حجرة السيرك، كان الشعور بأنها مسكونة قويا في تلك اللحظة، فقد كانت المستشفى فكرة مثيرة للخوف، والمجهول وروية يشيب لها الولدان تتمثل في مجانين يهدرون غضبا، ويرتدون ملابس المصحة، ويطارد بعضهم البعض وقد حملوا السكاكين والكراسى مرفوعة في أيديهم، وأرجل الأسرة وأخذوا يتقيأون على الورق المسجلة عليه درجة الحرارة، ويستمنون بطريقة معينة. كان من المسكى أن يرى كل من أوراثيو وترافلر وهما يلبسان المرايل البيضاء ويعنون بالمجانين. «سوف تكون لى بعض الأهمية» فكرت تاليتا بتواضع. «ومن المؤكد أن المدير سوف يلقي على عاتقى رعاية صيدلية السيرك إذا ما كانت هناك صيدلية. ربما كانت عبارة عن صندوق صغير به أدوات الأسعافات الأولية. كما أن مانو سوف يسخر منى كعادته». على مراجعة بعض الأشياء وذلك حتى أنسى الزمن ومروره الناعم، والصراع اليومي الذى لا يوصف طوال هذه الصيف، الميناء والحر وأوراثيو وهو ينزل من المركب وتعبير وجهه يقول بأن صداقتنا سطحية، وسخافة ذهابها وحدها تحمل القط فى السلة، وعليك أن تعودى فى الترام إذ سوف نتحدث مع بعضنا. وبعد ذلك جاء زمن كانتها أرض فضاء مليئة بالعلب الصاج المعوجة وبعض القطع المعدنية التى يمكن أن تؤذى الأقدام وبعض المستنقعات الراكدة وبعض الخرق البالية التى تعلق بالنباتات الشوكية ثم السير ليلا مع أوراثيو ومانو وهما ينظران إليها أو ينظر كل إلى الآخر، والقط الذى تزداد بلاهته مع مرور الزمن، أو يتحول إلى عبقري، ويحل كل المسائل الحسابية أمام الجمهور الذى يصاب بالجنون من كثرة ما يرى، ثم العودة سيرا على الأقدام مع بعض المحطات فى البارات حيث يتناول أوراثيو وترافلر البيرة ويتحدثان، ويتحدثان فى اللاشئ. ويستمتع كل منهما للآخر وسط هذا الحر والدخان والإرهاق أنا، أنا، أنا. قلت ذلك دون أن أفكر فيما أقول، أى أن ذلك كان قد تجاوز مرحلة التفكير، فهي عبارة قادمة من أرض الكلمات فيها كأنها مجانين العيادة، وهي كائنات تحمل التهديد، أو غير معقولة وتعيش حياة خاصة ومنعزلة، ثم تُطفر فجأة دون أن

47

يوقفها شيء: أنا، أنا، أنا هي، وهو لم يكن مانو. هو كان أوراثيو الذى يسكن، والمهاجم المقدام، والظل داخل ظل حجرته أثناء الليل وهو حجرة السجاجة التى يرسم بها أشكال الأرق.

وعندما كانت تشعر تاليتا بالخوف تنهض وتعد الشاي بالنعناع بكميات متساوية. وقد أعدت الشاي وهى تأمل أن تسمع مفتاح مانو وهو «يخروش» فى الباب. كان مانو قد قال كلمات خفيفة: «إنك لا تهمين أوراثيو فى شيء». كانت عبارة مهينة لكنها هدأت من روعها. قال مانو بأنه حتى لو أطلق أوراثيو أى إشارة ولم يفعلها، فلم يلمح مطلقاً لـ

ملعقة من التليبو

ملعقة من الشاي

المياه ساخنة، الغلية الأولى، أستوب.

قد لا يهتم بها حتى فى مثل هذه الحالة. وعندئذ. لكن إذا لم يكن ذلك همه فلماذا هو جالس هناك فى حجرته يدخن ويقرأ. يبدو «أنا أنا، أنا هي» أنه فى حاجة إليها بشكل ما، إذا ما كانت هذه الكلمة هى الكلمة المناسبة، وقد أخذ يتعلق بها من بعيد وكأنها عملية امتصاص، غير واثقة، لبلوغ شيء معين، ورؤيته بشكل أفضل، أو أن يكون أفضل. إذن ليس: أنا أنا، أنا هي الرمز عكس: أنا هي لأننى أنا أنا. تنهدت تاليتا وهى تشعر بشيء من الراحة للتسلسل المنطقي ولطعم الشاي.

لكن لم يكن ذلك فقط وإلا لكان الأمر فى منتهى البساطة، غير ممكن (المنطق خُلِقَ لهدف) أن يبدى أوراثيو اهتمامه وفى الوقت نفسه لا يبدى. ومن التوليف بين الأمرين يخرج الثالث وهو شيء لم تكن له صلة بالحب على سبيل المثال (كان من البلاءة بمكان التفكير فى الحب عندما يكون مانو هو الحب فقط، مانو فقط وحتى تنتهى الأزمنة) ربما كان شيئاً يتعلق بالقنص والبحث، أو ربما ترقباً لشيء رهيب مثل القط الذى ينظر إلى الكنارى لكن لا يستطيع بلوغه. إنه نوع من التجمد للزمان ولليوم، وهو نوع من التوارى. قطعه ونصف قطعة، رائحة الحقول. إنه توارى دون تفسير من - ذلك - الجانب للأشياء، أو حتى يأتى اليوم الذى يجد أوراثيو فى نفسه الجراءة ويتحدث، أو يغادر، أو يطلق على نفسه رصاصة، أو أن يكون هناك أى شرح أو مادة يتم تصوّر تفسير من

خلالها، ليس الأمر هو أنه هناك وهو يشرب الشاي، وتنتظر هي إليه فيقوم مانو يتناول الشاي ويرمقه، فقد كان ثلاثتهم يرقصون رقصة بطيئة لا تنتهي. «أنا» فكرت تاليتا. «من المفروض أن أكتب روايات، أو تطرأ على ذهني أفكار رائعة». لقد كانت تشعر بالإحباط حتى عادت لتشغيل المسجل، وأخذت تغني بعض الأغاني حتى جاء ترافلر. اتفق كلاهما على أن صوت تاليتا لم يخرج بشكل جيد، وبين لها ترافلر كيفية غناء أغنية شعبية باجوالا baguala. وضعوا المسجل بالقرب من النافذة حتى يمكن لجيكربيتين أن تحكم بطريقة محايدة بما في ذلك أوراثيرو إذا ما كان في الحجرة لكنه لم يكن هناك. لاحظت جيكربيتين أن كل شيء في موضعه الصحيح وقرر الجميع تناول العشاء سوياً حيث يقوم بإعداد مشويات باردة كانت لدى تاليتا، بالإضافة إلى سلطة منوعة كانت جيكربيتين قد أعدتها قبل أن تطل من النافذة. وجدت تاليتا أن كل شيء على مايرام، وفي الوقت نفسه كانت لديها قماشة لتغطية السرير، أو لتغطية إبريق الشاي أو لتغطية أي شيء آخر سواء كان المسجل أو شعور ترافلر بالرضا، إلى غير ذلك من الأشياء التي تم اتخاذ قرار بإعدادها أو المعدة بالفعل لتكون فوق، لكن فوق ماذا؟ كانت تلك هي المشكلة والسبب الجوهرى في أن كل شيء ظل كما هو قبل تناول الشاي والتيليو مناصفة.

(110)

48

هناك إلى جوار الثيرو - رغم أنه لم يكن له جانب محدد، إذ يصل المرء إلى هناك فجأة كما لا يعرف جيداً أنه قد وصل بالفعل أم لا إلى المناطق المجاورة للثيرو - وفي حى مكون من المنازل المنخفضة الارتفاع، والأطفال الصغيرة التى تتشاجر، وسط كل هذا فإن الأسئلة لم تجد شيئاً فكل سؤال يصطدم بابتسامات رقيقة وينساء توفرت لديهن الرغبة فى المساعدة لكن لا تتوفر لديهن أية معلومات، وربما لو ذهب إلى مخفر الشرطة فقد يجد من يدلّه على شئ. لم يكن بوسعه البقاء وقتاً أطول فقد أُرِف موعِد إبحار المركب، وحتى لو لم تبحر فالبحث عديم الجدوى من البداية، وما فعله لم يكن إلا بدافع الشك وكأن الأمر لعبة مدهنة أو إنصياح للنجوم. يعود مرة أخرى إلى المركب ويلقى بنفسه فى الكابينة حتى يحين موعد الغداء.

وفى حوالى الثانية صباحاً من تلك الليلة عاوده الأرق لأول مرة. كان الجو حاراً وفى العنبر، كان هناك أكثر من مائة مهاجر يغطون فى نوم عميق، ويتصبّبون عرقاً، كان الوضع أسوأ من البقاء وسط لغافات الحبال تحت سماء النهر المحطمة وقد ارتفعت نسبة الرطوبة القادمة من الشرم وأخذت تلتصق بالجلد. أخذ أوليفيرا يذخن وهو يستند إلى أحد الصواجز ويتأمل العدد القليل من النجوم التى تظهر من بين السحب. خرجت لاماجا من وراء مروحة وهى تحمل فى يدها شيئاً كانت تجره على الأرض وأدارت له ظهرها بسرعة كبيرة وسارت متجهة إلى إحدى البوابات الأرضية فى السفينة. لم يفعل أوليفيرا شيئاً لمتابعتها، إذ كان يعرف جيداً أنها يمكن أن تكون واحدة من الفتيات الفاتنات من مسافرى الدرجة الأولى واللائى كن ينزلن إلى أعمق أعماق مقدمة المركب شغوفات بذلك الذى يسمينه خيرة الحياة، أو أى شئ من هذا القبيل. كانت تشبه لاماجا إلى حد بعيد وهذا واضح، لكن هو الذى أضاف زيادة إلى وجه الشبه هذا. ويعد أن خفت حدة ضربات قلبه كأنها كلب ينبع أشعل سيجارة أخرى ووصم نفسه بالبلهامة التى لا علاج لها.

لكن اعتقاده بأنه رأى لاماجا كان أقل حرارة من اليقين الناجم عن رغبة جموح تسهم فى انتزاع صورتها مما يسمونه باللاشعور وترسمها على قوام واحدة من النساء اللاتى على ظهر السفينة. وحتى هذه اللحظة كان يسمح لنفسه بذخ التفكير الحزين متذكراً بعض الأشياء، وبعض الحكايات التى يلبسها فى إطارها المناسب ويضع لها النهاية بنفس درجة الهدوء التى يطفئ فيها عقب السيجارة فى الطفاية. وعندما تولى ترافلز تقديم تاليتا له فى الميناء وهى فى هذا الوضع المضحك إذ كانت تحمل القط، فى

48

السلة، كما أن الانطباع على وجهها كان يتسم بالرقّة وشبيه بالملكة أليدا فالى **Alida** **Vali**. عاد ليشعر بأنّ بعض أوجه الشبه البسيطة أخذت تتكثّف فجأةً وتحدث تشابها كاملا لكنه زائف. وكان ذاكرته مقسمة إلى أبواب وفصول فأخرج منها بلازما خارجية لديها القدرة على أن تسكت وتكمل جسدا آخر ووجهها آخر والنظر إليه من الخارج وتأملها بنظرة تصور هو أنها نظرة تتصل دوما بالذكريات.

وخلال الأسابيع التالية التي مرت يفضل لتفاني جيكريتين الذي لا يقاوم، وتعلم ذلك الفن الصعب الخاص ببيع مقاطع الكشمير بالمرور على المنازل. توفر لديه بعض الوقت لتناول أكواب البيرة، وتهيّات يجلس فيها على الكراسي في الشارع لتجفيف مرحلة سبقت. كما أن البحث في الثيرو **Cerro** كان أساسه نوع من إبراء الذمة: أن يجدها ويحاول أن يفهمها ويودعها الوداع الأخير. إنّه ذلك التوجه الذي عليه الإنسان والمتمثل في إتمام ما يقوم به بنظافة دون أن يترك أية بقايا معلقة. هو الآن يدرك (ظل يخرج وراء مروحّة، امرأة تحمل قطا) أنه لم يذهب إلى الثيرو من أجل ذلك. يثير علم النفس التحليلي حقنه لكنه حقيقي: أنه لم يذهب إلى الثيرو من أجل ذلك. وتحول فجأة إلى بثر يسقط فوق نفسه إلى مالا نهاية. ومن المثير للسخرية أنه كان يوجه الشتائم لنفسه في ميدان الكونجريسو **Congreso** «وهذا هو ما كنت تسميه البحث؟. أكنت تظن نفسك حرا؟ كيف كان الوضع الذي عليه هيراقليس؟ لئر، عليك أن تكرر درجات التحرر حتى أضحك على نفسي بعض الشيء لكنك في عمق هذه الرقبة يا أخی» لم كان يود أن يعرف نفسه بشكل لا يدع مجالا للشك، وقد أحسّ بالصغار لاكتشافه، لكن كان يشعر بالقلق إزاء رضا غامض في مستوى المعدة. إنها تلك الإجابة الحيوانية المتمثلة في الإحساس بالسعادة الصادرة على الجسد عندما يضحك من مخاوف النفس فيتوقع مرتاحا في الصدر والأحشاء ويصل إلى أخصص القدم. والأمر السييء أنه كان يشعر بسعادة كبيرة من شعوره هذا وبأنه لم يعد وأنه في مرحلة مغادرة رغم أنه قد لا يعرف إلى أين. وفوق ذلك الإحساس بالسعادة كان يؤرقه شيء كأنه الهوس بالتفاهم المباشر، وهو أن هناك شيئا كان يود أن يتجسد وأن هذه السعادة النباتية ترفض بعناد وتجعله بعيدا. ظل أوليفيرا عدة لحظات كأنه أحد مشاهدي واقعة الخصومة تلك ولم يشأ أن ينحاز إلى أي طرف، أي التزم بموقف حيادي. وعلى ذلك جاء السيرك وتناول الشاي في حوش السيد كريسبو والتانجو الذي يعزفه ترافلر، وكان أوليفيرا ينظر إلى نفسه بطرف عينه من خلال هذه المرايا، لدرجة أنه دون ملاحظات متفرقة تحتفظ بها

48

جيكريبتين بكل حب فى درج الكومودينو دون أن تجرؤ على قراءتها، وبيطء أدرك أن الزيارة التى قام بها للثيرو cerro كانت جيدة النتائج لأنها كانت قد قامت على أسباب غير تلك المفترضة، فأُنْ يعرف أنه أحب لاماجا لم يكن فشلا أو الشبات على نظام متقادِم. إنه حب يمكن أن يستغنى عن الشئ، وأنه يجد غذاء فى اللاشئ وينضم إلى قوى أخرى يوضحها ويصهرها فى إطار باعث قد يقضى يوما ما على تلك السعادة الجسدية لهذا الجسم الذى أُتْرُعَ بالبيرة والبطاطس المقلية، وكان يضحك بهستيرية لكل تلك الكلمات التى يستخدمها ليملا فراغ صفحات الكراسى وأثناء ذلك، كثيرا ما يُلوح بيده فى الهواء ويصفر صغيرا ممتدا، انتهى الأمر بترافلر بأن أطلَّ من النافذة ليطلب منه أن يصمت قليلا. لكن أوليفيرا كان يجد بعض السلام مرات أخرى بالانخراط فى الأعمال اليدوية مثل تقويم المسامير أو فك فتلة مكونة من عدة خيوط ليقوم بصنع شبكة رقيقة يضعها على برنيطة اللمية، وكانت تصفها جيكريبتين بأنها لطيفة. ربما كان الحب العنصر الأكثر أهمية، وواهب الكينونة، إلا أن الحيلولة دونه يمكن أن تقى من الارتداد على النفس، وبذلك تتركه يجرى إلى النسيان ويبقى وحيدا من جديد على تلك الدرجة فى سلم الواقع المفتوح المسامى. وقتل الشئ المحبوب، أى ذلك الشك الإنسانى فى القديم، هو ثمن عدم التوقف عند درجة السلم، وعلى ذلك فإن توسل فاولست للحظة التى كانت تمضى لا يمكن أن يكون له مغزى إلا إذا تزامن معه أنها لا تتركه وكأنها كوب فارغ وضع على الترابيزة. إلى غير ذلك من الأشياء، وتناول شايا مرّا.

كان من الممكن تكوين نظام متماسك، ومنهج تفكير وحياة، انسجام، وكان يكفى لذلك الالتحاق المعهود، والارتقاء بالماضى إلى درجة الخبرة، والإفادة من تجاعيد الوجه ومن الهواء المعيش الذى تلقاه فى الابتسامات، والصمت طوال أكثر من أربعين عاما، وبعد ذلك يرتدى المرء حلة زرقاء ويقوم بتسريح فوديه اللذين ضرب فيهما الشيب ثم يتردد على معارض الرسم فى سادى Sade وفى Richmond وقد تصالح مع الدنيا.

إنه نوع من التعاسة الرصينة، والإحساس بالعودة، والدخول فى مرحلة الضجج وفى الزواج وفى الكلمات الأبوية عند تناول الطعام أو عندما تكون درجات المرحلة الدراسية غير مرضية، أقول لك ذلك لأننى عشت كثيرا. لقد سافرت كثيرا. عندما كنت صبيا، كلهن سواء اسمع كلامى، أتحدث إليك من واقع خبرتى يا بنى. أنت لا تعرف الحياة حتى الآن.

كل ذلك يمكن أن تزداد حدة السوء فيه على مستويات أخرى، مثل التأمل الذى

48

تهدهد دوما ساحة الأصنام والكلمات التي تزيّف الأنماط، والتحرّج التبسيطى والتعب الذى يأخذ فى مدّ يده ببطء ليخرج من جيب الصديرى راية الاستسلام. ويمكن أن يحدث أن الخيانة تكتمل فى العزلة التامة دون وجود شهود أو شركاء: يدا ليد بأن يظن المرء نفسه فوق الالتزامات الشخصية ودراما المشاعر، وفوق تعذيب الضمير عندما يعرف أنه مرتبط بسلالة، أو على الأقل بشعب ولغة، انها قمة الحرية الظاهرية، ودون أن يكون مجبرا على تبرير أى شئ، وترك المباراة والخروج من المنعطف والدخول فى أى شارع حسب الظروف معلنا أن ذلك هو الضرورى أو الوحيد، كانت لاماجا هى أحد هذه الطرق، وكان الأدب طريقا آخر (يجب إحراق الكراسى على الفور أم أن جيكريتين قد - تلوى - يد - بها) وكانت fiaca طريقاً ثالثاً، وتأمل العاهل الذى لا جدوى من ورائه طريقا رابعا. توقف عند محل لبيع البيتزا فى شارع كورينتيس بسعر الواحدة ألف وثلاثمائة وأخذ يوجه لنفسه هذه التساؤلات الكبرى، «إذن هل يجب أن يكون المرء وسط مفترق الطريق وكأنه مركز العجلة؟ وأى جدوى تكمن فى المعرفة أو الظن بأن كل الطرق زائفة إذا لم يكن سيرنا فيها من أجل هدف معين غير الطريق نفسه؟ لس المرء بوذا، فهنا لا توجد أشجار يستظل بها المرء طلبا للراحة إذ سوف يأتى رجل البوليس ويحرر لك محضرا..»

إنه السير واضعا مقصدا ليس هو السير نفسه، ولم يتبق من الثرثرة الممتدة، لم يتبق له شئ إلا تلك الرؤية، نعم، كانت تركيبة تأملية، وعلى ذلك فإن زيارة الثيرو Cerre كان لها مغزى، وعلى ذلك أيضا تتحول لاماجا من شئ مفقود إلى صورة اجتماع ممكن الحدث - لكن ليس معها بل هنا وهناك بعيدا عنها، ومن أجلها ولكن ليست هى، أما مانو والسيرك وتلك الفكرة التى لا تصدق عن ترميض المجانين والتى يتحدثون عنها كثيرا هذه الأيام، كل هذا يمكن أن تكون له دلالاته إذا أخذ أوليفيرا بقضم البيتزا كعادته وهى ساخنة لدرجة تلسع اللثة، فهو أكل، وشعر أنه فى وضع أفضل، كانت كثيرة تلك المرات التى قام فيها بتنفيذ نفسى الدورة فى العديد من النواصى والمقاهى فى مدن عديدة وكم هى عديدة تلك المرات التى توصل فيها لنتائج مشابهة وشعر بأنه فى وضع أفضل وشعر بأن من الممكن أن يبدأ العيش بطريقة جديدة، فذات مساء - على سبيل المثال - جلس ليستمتع إلى حفل موسيقى غير رصين، وبعد ذلك ... وبعد ذلك أمطرت السماء كثيرا، فلماذا نقلب الأمر على وجوهه. كان مثل ذلك مع تاليتا يقلب الأمور على أكثر من وجه وهذا أسوأ. هذه المرأة أخذت تعاني بسببه وهذا ليس لدافع

48

خطير بل لأنه كان هناك، ويبدو أن كل شيء أخذ يتغير بين تاليتا وترفلر فهناك الكثير من الأشياء التي كانت تعتبر من المسلّمات تأخذ نمطا آخر، وما بدا أنه طعام على الطريقة الأسبانية، تتحول المشكلة إلى ميتافيزيقا وجودية على طريقة كيرجارد حتى لا نطيل القول. كانت أمسية اللوح الخشبي هي نوع من العودة للنظام لكن ترفلر ترك الفرصة تفلت من يديه ليقول ما كان عليه أن يقوله حتى يقوم أوليفيرا بالانتقال من الحى والابتعاد عن حياتهما. لكن لم يقتصر على الصمت بل حصل له على الوظيفة فى السيرك وهذا دليل على أن. وفى هذه الحالة فإن استدرار الشفقة كان سينظر إليه على أنه بلاهة مثل المرة الأخرى: مطر، مطر. هل ستواصل تربيّات العزف على البيانو.

(-111)

49

كانت تاليتا وترفلر يتحدثان كثيراً عن مشاهير المجانين والأقل شهرة منهم، إذ أن فيراًجوتو قرر شراء المصحّة وترك السيرك والقط وكل المتعلقات الأخرى لشخص يدعى سواريث ميليان، بدا لهما، تاليتا بصفة خاصة، أن الانتقال من السيرك إلى العيادة يعتبر خطوة إلى الأمام، لكن ترافلر لم يكن يرى سبباً واضحاً لهذا التفاضل، كانا يشعران بالاثارة، وهما في انتظار تفاهم أفضل، وكانا يطلان من النافذة أو ينزلان إلى محل الفندق لتبادل وجهات النظر مع السيدة دى جوتوسو والسيد بونش والسيد كريسيو، بما في ذلك جيكربتين حتى لو كانت تسير حثيثة الخطى. والشئ السيء هو أنه كانت تجرى أحاديث كثيرة عن الثورة وأن معسكر مايو Campo de Mayo سوف يتمرد. كان ذلك يبدو في نظر الناس أكثر أهمية من الحصول على المصحّة الكائنة بشوارع ترييس Treilles. وفي نهاية المطاف أخذت تاليتا وترافلر في البحث عن شئ من الأوضاع العادية بقراءة ملخص عن المصححات النفسية. وكما هي عادتهما، يثاران من أى شئ، ففي اليوم الذي ذبحت فيه البطة كان النقاش بينهما حاداً دون سبب واضح، ووصلت حدة النقاش إلى جعل البغاء ثين بيزو يصاب بالجنون في قفصه كما أن السيد كريسيو كان يأمل مرور أى إنسان يعرفه ليبدأ في تحريك سبابة اليد اليسرى بطريقة دائرية وهي التي يستند عليها بصدغه. وفي مثل تلك الحالات كانت تظهر سحب كثيفة من الريش وهي تخرج من نافذة المطبخ، ويسمع صوت اغلاق الأبواب بطريقة عنيفة وجدلية مغلقة لا تتوقف عند حد، ولا تكاد تتوقف إلا عند تناول طعام الغداء، وهي فرصة يختفى فيها أى أثر للبطة.

وعندما يحين وقت تناول القهوة مع الكانيا ماركة Mariposa يكون هناك نوع من المصالحة المستترة تقرّ بهما من نصوص قويّة ومن أعداد من مجلات نفدت من السوق وهي مجلات تتحدث عن عالم الغيبيات، والكنوز الكونية، إذ كانا يشعران بالحاجة إلى نوع من التقويم للحياة الجديدة. كانا يتحدثان كثيراً عن حالات الذهول وذلك لأن ترافلر وأوليغيرا تطوعا باخراج الأوراق القديمة واستعراض بعض ما جمعهما من ظواهر، والتي بدأت بشكل مشترك عندما كانا في المرحلة الجامعية. ويعد ذلك واصل كل واحد منهما العمل بشكل فردي. وقد استغرقت دراسة هذه المستندات وقتاً طويلاً من أوقات القيلولة. وحصلت تاليتا على حق المشاركة بفضل أعداد من رينو بيجو Renovigo (وهي

49

صحيفة ثورية تصدر بلغتين) إصدار مكسيكي باللغة الأسبانية الأمريكية دار نشر لومن **Lumen** حيث كان يعمل فيها عدد كبير من المجانين الذين يتوصلون إلى نتائج غير مألوفة. كانت أخبار السيد فيراً جوتو تصلهم بين الحين والآخر إلا أن السيرك أصبح - عملياً - فى يد السيد سواريث ميليان، غير أنه بدا من المؤكد أنهم سوف يتسلّمون المصحّة فى منتصف شهر مارس. ظهر فيراجوتا مرة أو مرتين فى السيرك ليشاهد القط الحاسب فقد كان من غير الهينّ عليه الابتعاد عنه، وكان فى كل مرة يتحدث عن وشوك تنفيذ هذه العملية الكبرى وما سيتربّ على ذلك من مهام - ثقيلة التى ستقع عليهم جميعاً (تنهد) بات من شبه المؤكد أن سيوكّلون الصيدلية لتاليتا. كانت المسكنة عصبية، وأخذت تراجع بعض المذكرات التى تعود إلى الحياة الطلابية. كان ترافلر وأوليفيرا يسخران منها كثيراً لهذا السبب، لكن عندما يعود كلاهما إلى السيرك يعتريهما الحزن وينظران إلى الناس وإلى القط وكأنّ السيرك أصبح شيئاً غريباً لم يكن ملحوظاً قبل ذلك.

- يقول ترافلر :

- الناس هنا هم أكثر جنونا ليس هناك مجال للمقارنة.

كان - أوليفيرا - يهزّ - كتفيه، وهو غير قادر على القول بأن الأمر سيّان بالنسبة له، وكان ينظر إلى أعلى الخيمة ويستغرق بشكل أبله فى إجتراح بعض الكلمات.

- يقول ترافلر بغيظ :

- طبعاً أنت غيرت من مكان إلى آخر أنا أيضاً فعلت ذلك، لكن هنا، على هذا الساحل...

كان يمد ذراعه وهو يشير بشكل واضح إلى جغرافية لبوينوس أيرس.

- يقول أوليفيرا :

- التغيرات أنت تعرفها ...

وبعد فترة من هذه النوعية من الحوار يستغرقان فى الضحك، فينظر إليهما الجمهور شراً ذلك أنها يلهيان الناس عن النمر التى تعرض.

وفى لحظات البوح بالأسرار كان ثلاثتهم يقرّون بأنهم مهينون بما فيه الكفاية لمهامهم الجديدة، فعلى سبيل المثال، هناك أشياء مثل وصول عدد من جريدة ...

49

La Nacion (عدد الأحد) الأمر الذي كان مثار حزن شديد مقارنا بدرجة الحزن التي يشعرون بها وهم يرون الناس يقفون طوابير أمام شبك التذاكر فى السينمات وكذلك عرض مجلة **Reader's Digest**.

- تزداد قلة الاتصالات كل مرة - كان ترافلر يقول ذلك صغيرا - يجب أن تكون هناك صرخة مدوية.

- أجابت تاليتا :

- لقد أطلقها فلابا **Flappa** أثناء الليل والمحصلة فرض الأحكام العرفية.
- هذه ليست صرخة يا ابنتى، لاتكاد تصل إلى حشرجة، إننى أحدثك عن الأشياء التي كان يحلم بها إيريجوين **Yrigoyen**، إنها بلوغ المثال التاريخي والوعود التي فيها سمة النبوة إنها تلك الآمال التي يتعلق بها الجنس البشرى والتي لا نراها بكثرة فى هذه النواحي.

- قالت تاليتا، وهى تنتظر إليه بقلق، لكنها تحاول تجنب النظرة المتعلقة بالسمات الخلقية :
- إنك تتحدث مثل الآخرين.

كان الآخر فى السيرك يساعد سواريث ميليان فى إضفاء اللمسات الأخيرة كما كان يستغرب أن أصبح كل شئ لديه لا قيمة له. كان لديه الانطباع بأنه قد نقل بقية المسار الحيوى لتاليتا وترافلر اللذان كانا يشعران بالاثارة وهما يفكران فى المصحة، وما كان يهمه هو فى الواقع، خلال تلك تلك الأيام، هو اللعب مع القط الحاسب إذا أخذ يكن له مودة خاصة، وكان يقوم بعمل حسابات معينة لمتعته الذاتية. ولما كان فيراجوتا قد أعطى تعليمات بأنه يجب أن يخرج القط إلى الشارع فى السلة، مربوطا فى طوق يشبه تماما الأطواق الخاصة بمن شاركوا فى معركة أوكيناوا^(١). كان أوليفيرا يفهم مشاعر القط، ولم يكد يتعد عدة أمتار عن السيرك حتى يترك السلة فى محل لبيع منتجات الخنزير يثق فى صاحبه وينتزع الطوق من الحيوان المسكين ويذهب كلاهما إلى الأرض الفضاء والبحث فى علب الصفيح، وتناول المكرونة، كان ذلك عملا ممتعا. وبعد هذه الجولات الصحية كان يشعر أوليفيرا بإمكانية الدخول وسط الدردشة التي تدور فى حوش السيد كريسيبو، وأن يدخل فى حنان جيكربتين التي تصمم على أن تصنع له بعض أشغال الإبرة التي يستخدمها فى الشتاء. وفى الليلة التي اتصل

49

فيها فيراً جوتا بالتليفون ليبلغ ترافلز في الخندق بوشوك تنفيذ العملية الكبرى. كان الثلاثة يقومون باستكمال ملامح اللُفّة الأسبا أميركية والتي استخرجت مفرداتها من صحيفة رينو فيجو Renovigo. شعر ثلاثتهم بالحزن وهم يفكرون في أن المصححة تأمل منهم الجدية والعلم والتفاني وكل ما هو من هذا القبيل.

- أي حياة ليست تراجيديا؟ - قرأت تاليتا بلغة إسبانية أمريكية فصيحة، ظلوا على هذا الحال حتى جاءت السيدة دي جوتوسو وهي تحمل آخر الأخبار التي التقطتها من الإذاعة بشأن العقيد فلا ودباباته. وأخيرا هناك شيء واقعي، ومحدد أيقظهم في الحال وعلى غرّة، وكان هذا مفاجأة للسيدة التي تنضح بمشاعر وطنية فياضة.

(-188)

50

لم تكن هناك مسافة كبيرة بين محطة الأتوبيس وشارع تريس، أى ثلاثة نواصى وعدة أمتار. كان فيراجونا وكوكا مع المدير الإدارى فى اللحظة التى وصلت فيها تاليتا ومعها ترافلر. كانت العملية الكبرى تتم فى صالة بالدور الأول الذى يوجد به نافذتان تطلان على الحوش - الجنيئة حيث ينتزه المرضى. كما يرى خيط ماء يرتفع ويهبط فى نافورة أسمنتية. كان على تاليتا وترافلر أن يعبرا خلال بعض الدهاليز والحجرات الموجودة فى الدور الأرضى حتى يتمكنوا من الوصول إلى الصالة. فى هذه الأثناء أوقفهما بعض الرجال وبعض النساء مستخدمين لغة قشتالية صحيحة ليدفعاها إلى ترك أكثر من عبة سجاير لهم. بدا أن المريض الذى يرافقهما قد وجد الجو الطبيعى، إلا أن الظروف لم تساعد فى أول تساؤلات متعلقة بالتأقلم. وصلا إلى الصالة ولم يكدا يتبقى معهما سجاير، وقد قدّمهما فيراجوتا إلى المدير الإدارى بكلمات إطراء، وأثناء قراءة إحدى الوثائق التى لا يفهم معناها، لوحظ وجود أوليفيرا، وكان عليهما أن يشرحا له بالهمس والإشارة أن كل شىء على ما يرام وأن لا أحد يفهم الكثير. وعندما أبلغته تاليتا بصوت هامس عن ترقيتها، نظر إليها أوليفيرا باستغراب ذلك أنه قد دخل مباشرة فى أحد الدهاليز المؤدية إلى باب، هو ذلك. أما فيما يتعلق بالمدير فكان يرتدى الملابس السوداء.

كانت درجة الحرارة من الدرجة التى يجعل الأصوات مفخمة وعميقة حيث يقوم المذيعون بتلاوة النشرة الخاصة بالأحوال الجوية كل ساعة وبعد ذلك يتحدثون عن التكتيب الحكومى لوجود محاولة إنقلابية فى معسكر «كامبو دى مايو» والتوجهات العبوسة للعقيد فلايا. توقف المدير الإدارى عن مواصلة قراءة الوثيقة فى السادسة إلا خمس دقائق ليقوم بتشغيل الراديو الترانزستور اليابانى، ويطلع على آخر المستجدات، فعل هذا بعد اعتذار مسبق. كانت هذه الجملة بمثابة الإشارة الحازمة على قيام أوليفيرا بحركة من قد نسى شيئا وتذكره فجاء فخرج مسرعا (فالمدير الإدارى - فكر - سوف يسمح بنوع آخر من الاتصال بالأحداث) من باب غير الذى دخل منه. ورغم نظرات الاستغراب من ترافلر وتاليتا خرج من الصالة كالسهم.

ومن خلال جملتين يتضمنهما النص فهم أن المصححة تتضمن الدور الأرضى وأربعة أدوار أخرى بالإضافة إلى سراى كائن فى آخر الحوش - الجنيئة. ومن الأفضل القيام بجولة فى الحوش - الجنيئة إذا ما وجد الطريق، لكن لم تتح الفرصة فلم يكدا يخطو خمس خطوات حتى ظهر رجل شاب يرتدى كُما من أكمام الموظفين، واقترب منه

50

مبتسما وأخذه من إحدى يديه، وأخذ يتجول معه وهما يهزان ذراعيهما كأنهما طفلان، حتى وصلا إلى إحدى الطرقات التي توجد على جوانبها عدة أبواب وصلا إلى فتحة تبدو وكأنها أحد المصاعد. كانت فكرة معرفة العيادة من خلال أحد المجانين لطيفة للغاية وأول شيء فعله أوليفيرا هو إعطاء زميله سيجارة وهو فتى تتضح عليه معالم الذكاء، فما كان منه إلا أن قبل السيجارة وأصدر صفير رضا وارتياح، واتضح بعد ذلك أنه مريض، وأن أوليفيرا لم يكن مجنونا، أى سوء التفاهم المعتاد الذى يحدث فى مثل هذه الحالات. كان المشهد رخيصة ولا يبشر بالكثير، وأثناء المرور على الأدوار المختلفة أصبح أوليفيرا وريمورينو صديقين. وتم التعرف على البطوغرافيا الداخلية للمصحة من خلال بعض الطرائف. كانت هناك إناث اليوم قوية تقف ضد باقى الأفراد وتأخذت وضع التحقُّز. وصلا إلى الدور الرابع حيث كان الدكتور أوبيخير ويحتفظ بأرانب التجارب وصورة لمونيكا فيتى^(١) M.Vitti. فى هذه اللحظة جاء فتى أُحوِّل مهرولا ليقول لريمورينو أن ذلك السيد الذى معه هو السيد أوراشيو أوليفيرا وأنه ... تنهد أوليفيرا ونزل دوبرين ودلف إلى صالة العملية الكبرى حيث أوشكت قراءة الوثيقة على الانتهاء بين إغفاعات كوكا فيراجوتو، وتثاؤب ترافار المعبر عن اللامبالاة، أخذ أوليفيرا يفكر فى النمط الذى كان يرتدى بيجامة وردية اللون والذى رآه عند المنحنى الأول للدلهيز الكائن فى الدور الثالث. كان رجلا طاعنا فى السن يسير مستندا على الحائط ويداعب حمامة كأنها نائمة فى كفه. كان ذلك فى اللحظة التى صدر فيها عن كوكا فيراجوتو نوعا من الخوار.

- كيف يجب عليكم أن توقعوا بالموافقة؟

- قال المدير :

- اسكتى يا عزيزتى يريد السيد أن ...

- قالت تاليتا التى كانت متفاهمة هى وكوكا، وكانت تريد مساعدتها :

- هذا واضح إن عملية نقل الملكية تتطلب موافقة المرضى.

- قالت كوكا وهى فى مكانها.

- لكن هذا جنون .

- قال المدير الأدارى وهو يخلع الصديرى بيده التى ليس بها شئ :

- انظرى يا سيدتى .

المرضى هنا يتسمون بخصوصية شديدة، كما أن قانون مينديث دلفينوز Mendez

50

Delfino هو شديد الوضوح فى هذا المقام، وباستثناء ثمانى أو عشر أسر أعطت موافقتها فإن المرضى الباقين قد قضوا حياتهم من مصحة عقلية إلى أخرى، إذا ما وافقتنى على هذه العبارة، لا أحد هناك يسأل عنهم، وفى هذه الحالة فإن القانون يخول المدير الإدارى ليستشير هؤلاء فى أوقات الصحة عندهم، حول موافقتهم من عدمها على انتقال العيادة إلى مالك جيد. وما هى المواد وقد أشرنا عليها - أضاف وهو يظهر لها كتابا مجلدا بلون أحمر حيث ظهرت صفحات من **Razon Quinta** - تقرئين هذه النصوص وانتهى الأمر.

- قال فيرا جوتو :

- لقد فهمت جيدا هذا مصطلح يجب تطبيقه فى الحال.

- ما هو السبب الذى جمعتكم من أجله إذن؟ أنت بصفتك المالك وهؤلاء السادة كشهود: هنا لننادى على المرضى. وسيتم حل كل شئ هذا المساء.

- قال ترافلر :

- الأمر هو أن كل شئ معلق على هذا الذى تسميه سيادتكم لحظة الصحة. نظر إليه المدير مبتثسا من أجله وضغط على زر جرس دخل ريموريتو وهو يرتدى بلوزه. غمز بعينه لأوليغيرا ووضع دفتر سجلات ضخم على الترابيزة. تم أتى بكرسى إلى جوار الترابيزة وعقد ذراعيه وكأنه جلد فارسى، أما فيرا جوتو الذى سارع لفحص دفتر السجلات بوجه ينبئ عن مهمة لكل شئ سأل فيما إذا كانت الموافقة سوف يتم تسجيلها فى آخر المحضر فأجاب المدير الإدارى بنعم وعلى ذلك سوف يتم النداء على المرضى طبقا للترتيب الأبجدي وسوف يطلب منهم أن يوقعوا على المستندات بالقلم الجاف الأزرق وبالرغم من التجهيزات الفعالة تجرأ ترافلر على التنويه بأنه ربما يرفض بعض المرضى التوقيع أو يقوم ببعض التصرفات غير العادية كانت كوكا وفيرا جوتو معلقين - بكلماته دون أن يجرؤا على الوقوف إلى جانبه بشكل واضح.

(-199)

51

وهناك ليس إلا ظهر ريمودينو ومعه رجل طاعن فى السن بدا عليه الفزع الشديد وعندما تعرف على المدير الإدارى وجه إليه التحية بوقار.

قالت كوكا مندهشة : وهو يرتدى البيجامة !

قال فيراً جوت : لقد رأيتهم عند الدخول

- لم يكونوا مرتدين للبيجامات، بل كانت نوعاً من ...

- صمّت - قال المدير الإدارى - اقترب يا أنطونيث، ووقع فى المكان الذى يحدده لك ريمورينو. اطلع العجوز على دفتر السجلات بعناية فى الوقت الذى قرب إليه ريمورينو (القلم الجاف الأزرق). أخرج فيراً جوتو منديلا وجفف جبهته بضربات خفيفة.

قال أنطونيث :

- إنها الصفحة الثامنة لكن يبدو لى أن على التوقيع فى الصفحة الأولى.

- قال ريمورينو، وبين له مكاناً فى دفتر السجلات :

- هنا هيا فسوف تبرد القهوة باللبن الخاصة بك.

وقع أنطونيث توقيعاً منمقاً، وحيأ الجميع وخرج وهو يخطو فى خيلاء الأمر الذى أعجب تاليتا.

أما الثانى فكان ضخم الجثة ويعد أن دار حول الترابيزة مد يده مصافحاً المدير الإدارى ،الذى صافحه بدون رغبة ،وأشار إلى دفتر السجلات بإشارة جافة.

- لقد عرفت حضرتك بالأمر، وبالتالى عليك بالتوقيع والعودة إلى حجرتك.

- قال الضخم الجثة :

- حجرتى لم يتم كنسها حتى الآن .

أخذت كوكا فى اعتبارها الافتقار إلى عنصر النظافة كان ريمورينو يحاول أن يضع القلم الجاف الأزرق فى يد نمط ضخم الجثة كان يتقهقر ببطء.

- قال ريمورينو :

- سوف يقومون بتنظيفها فى الحال، وقع يا سيد فنكانور.

- قال السمين :

- أبدا! إنه فخ.

- قال المدير الإدارى :

- أى فخ؛ وأى خدعة؛ عليكم أيها السادة بالتوقيع وابتداء من الغد سوف تضاعف كمية الأرض باللبن.

51

- قال السمين :
- لن أوقع إلا إذا كان السيد أنطونيث موافقا .
- لقد وقع لتوه قبل سيادتك .
- التوقيع غير مفهوم وهذا ليس توقيع السيد أنطونيث . إنكم أجبرتموه على التوقيع تحت التهديد باستخدام المنخس الكهربائي . لقد قتلتم السيد أنطونيث .
- قال المدير الإداري لريمورينو الذى خرج مسرعا ثم عاد معه أنطونيث :
- هيا عليك أن تأتى به صدرت عن السمين صيحة فرح واقترب منه ليصافحه .
- قال المدير الإداري :
- قل له إنك موافق ، وأن يوقع دون خوف هيا لقد تأخر الوقت .
- قال أنطونيث للسمين :
- وقع بلا خوف يا بنى فالأمر سيان إذ سوف يسددونها لك فى الرأس .
- ألقى السمين القلم الجاف ، فأخذه ديمورينو وهو يزأر ، ونهض المدير كأنه حيوان مفترس . إختبأ السمين وراء أنطونيث ، وكان يرتعد ويَفْرَكُ أكمامه . هنا طرَّقَ قوى على الباب . وقبل أن يتمكن ريمورينو من فتحه دخلت سيدة ترتدى كيمونو وردى اللون واتجهت مباشرة إلى دفتر السجلات وفحصته من كل الجوانب وكأنه سرير مبنى بالطوب . إستقامت وهى راضية بوضعت كفَّها على الدفتر .
- قالت السيدة :
- أقسم على قول الحقيقة . كما أنك لن تتركنى أكذب يا سيد نيكاتور . هز السمين نفسه موافقا وسرعان ما أخذ القلم الجاف الذى ناوله إياه ريمورينو ووقع فى أى مكان كيفما اتفق دون أن يفسح الفرصة لشئ آخر .
- سمعوا المدير يهمهم :
- يالك من حيوان تأكد إذا ما كان التوقيع فى المكان المناسب يا ريمورينو . الحمد لله . جاء دورك يا سيدة شويت ، طالما أنك حضرت . حدد لها مكان التوقيع يا ريمورينو .
- قالت السيدة شويت :
- إذا لم تقوموا بإدخال تحسينات على الجانب الاجتماعى فلن أوقع لأبد من فتح أبواب ونوافذ للروح .
- قال السمين :

51

- أنا أريد نافذتين فى حجرى. أما السيد أنطونيث فيريد الذهاب إلى محل «فرانكو إنجليز» لشراء القطن وأشياء أخرى. هذا المكان شديد الظلمة.

لم يكد أوليفيرا يدير رأسه بعض الشئ حتى رأى تاليتا تنتظر إليه وابتسمت له. يعرف كلاهما أن الآخر يفكر أن كل شئ ما هو إلا كوميديا بلهاء، وأن المجنون البدين ليس أكثر جنونا من الباقين. إنهم ممثلون سيئون كما أنهم لا يبذلون جهدا فى أن يظهرُوا كمجانين محترفين أمام الحاضرين الذين قرأُوا جيدا ملفهم فى المصححة النفسية. فعلى سبيل المثال يلاحظ أن كوكا التى تسيطر على نفسها تماما وتقبض على شنطتها بكتا يديها أكثر جنونا من الثلاثة الذين وقعوا، والذين بدأوا الآن فى المطالبة بأمر وكأنه موت كلب، وهو الذى كانت تتحدث عنه السيدة شويت بإسهاب وحرصانة. لم تحدث أمور تخرج كثيرا عن المتوقع. ظلت الصدفة هى المحور الأساسى فى هذه العلاقات المتقلبة والمليئة بالثرثرة، ولم يكن ما يصدر من خوار من المدرس إلا للاسهام فى الاستمرار فى رسم صور متكررة من نفس الشكاوى والمطالب والفرانكو إنجليز Franco inglesa. هكذا رأوا أن ريمورينو يذهب بـ أنطونيث وبالسامين، وكيف أن السيدة شويت توقع فى الدفتر مبدية احتقارها. كيف أنه دخل كهيكل إنسانى عملاق، وكأنه لسان لهب مستقيم يرتدى فائلة وردية اللون وتبعه شاب أبيض الشعر ونو عيون خضراء وجمال خبيث. وقع هذين دون مقاومة تذكر، إلا أنهما اتفقا على رغبتهما فى البقاء حتى نهاية الجلسة. وللحيولة دون وقوع المزيد من المشاكل طلب منهما المدير أن يجلسا فى أحد الأركان، ثم ذهب ريمورينو للبحث عن اثنين آخرين من المرضى، إحداهما فتاة ضخمة الفخذين أما الثانى فكان رجلا منحنى الرأس لا يكاد يرفع ناظره عن الأرض. وبشكل مفاجئ عاد الحديث مرة أخرى عن موت كلب. وعندما انتهى المرضى من التوقيع صدرت عن الفتاة تحية كأنها راقصة. فكان رد السيدة كوكا فيراجوتو هو انحناء لطيفة برأسها الأمر الذى كان مثار ضحك كل من تاليتا وترافلر. وصل عدد التوقعات إلى عشرة ولازال ريمورينو يأتى بالمرضى. كانت هناك تحايا وبعض المشاكل الأخرى التى يتم مقاطعتها أو يتم تغيير أبطالها. كل هنية يتم توقع. إنها السابعة والنصف، أخرجت كوكا مسحوق التجميل وأخذت تصلح مكياجها بمهابة وكأنها مديرة المصححة. وهى نمطية تجمع بين مدام كورى M. Curie وإدفيج فويلير^(٢) وEdwidge Feuillere: تحرك آخر لكل من تاليتا وترافلر.

51

قلق كوكا من جديد وهى تقارن بين درجة التقدم فى الدفتر وتعبيرات وجه المدير الإدارى. وفى السابعة وأربعين دقيقة أعلنت إحدى المريضات أنها لن توقع إلا إذا قتلوا الكلب، فوعدها ريمورينو بذلك بغمزة عين متوجها بها لأوليغيرا الذى أولاها ثقته. تعاقب على الصالة عشرون مريضا وبقي خمس وأربعون آخرون. اقترب المدير الإدارى من الحضور ليبلغهم بأن الحالات الحرجة هى التى وقعت فى الدفتر (هكذا قال) ومن الأفضل أن تكون هناك إستراحة يتناولون فيها البيرة يستمعون للأخبار. وأثناء ذلك تحدثوا عن المصححات النفسية وعن السياسة. لقد تم إخماد الثورة بواسطة القوات الحكومية واستلمت الرؤوس فى لوجان Lujan، كما أن الدكتور نيرووروخاس كان يحضر مؤتمرا فى أمستردام. كان طعم البيرة رائعا.

وصل عدد التوقيعات إلى ثمانية وأربعين توقيعاً فى الثامنة والنصف. حل الظلام وأصبح جو الصالة معباً بالدخان وبالناس الذين جلسوا فى الأركان وكذا الكحة التى تصدر عن بعض الحضور بين الحين والآخر. كما كان بود أوليغيرا الخروج للشارع لكن المدير الإدارى كان يتسم بصلاية وهزم لا يلين. طالب آخر ثلاثة من الموقعين بإجراء تعديلات على نظام الطعام.

(كان فيراجوتو يصدر إشارات إلى كوكا لتأخذ ذلك ضمن ملاحظاتها، ففى مصحتها سوف تكون الوجبات ممتازة) وعن موت كلب (ضمت كوكا أصابع يدها بطريقة مائلة وأخذت تبرزها لفيراً جوتو الذى كان يهز رأسه إعراباً عن حيرته، ويرمق المدير الذى حل به الإعياء وكان يروح على نفسه مستخدماً كرتونة نتيجة حائط لإحدى محلات بيع الفطائر) وعندما قدّم العجوز وهو يحمل الحمامة فى كفه ويداعبها بخفة وكأنه يحاول أن يجعلها تنام، ساد صمت طويل حيث أخذ الجميع يتأمل الحمامة الساكنة فى مكانها فى كف المريض. كان من المؤسف أن تتم مقاطعته فيما يقوم به من مسح على ظهر الحمامة ليقوم بأخذ القلم الجاف الذى قدمه له ريمورينو. وبعد هذا العجوز دخلت شقيقتان الواحدة تتأبط ذراع الأخرى حيث طالبتا لحظة دخولهما بقتل الكلب وكذلك إدخال تحسينات على المكان. كان موضوع الكلب مثال ضحك ريمورينو فى النهاية شعر أوليغيرا أن هناك شيئاً يتزحلق منه عند ذراعه وعندما نهض قال لترافلر أنه سوف يخرج ليقوم بجولة ثم يعود فى الحال.

- قال المدير الإدارى :

- عليك أن تبقى أنت شاهد.

51

- قال أوليفيرا :
- إننى فى المنزل انظر، قانون مينديتشلفينو، هذا معروف.
- قال ترافلر :
- سوف أخرج معك سوف نعود بعد خمس دقائق.
- قال المدير الإدارى :
- لا تبتعدا عن المكان .
- قال ترافلر :
- هذا واضح تعال يا أخی. أعتقد أن الوصول إلى الجنية من هذا الجانب ألا يبدو لك أنه مخيب للآمال؟
- قال أوليفيرا :
- الإجماع شئ مُمل لم يعترض أى واحد على صاحب الصدىرى. انظر الجميع يتحدثون عن موت الكلب. هيا لنجلس بالقرب من النافورة فخرير المياه له طبيعة ترويحوية وهذا مناسب لنا.
- قال ترافلر :
- هناك رائحة نفط ترويحى جدا فى الحقيقة.
- ما الذى كنّا ننتظره فى الواقع؟ ها أنت ترى أن الجميع يوقعون فى نهاية الأمر. ولا توجد اختلافات فيما بينهم وبيننا. لا فارق على الإطلاق. سوف نقضى وقتا ممتازا هنا.
- قال ترافلر :
- حسن هناك فارق، وهو أنهم جميعا يرتدون ملابس وردية - انظر - قال أوليفيرا وهو يشير إلى الأدوار العليا. لقد حل الظلام تقريبا، وكانت الأنوار فى الدورين الثانى والثالث تطفأ وتضاء بشكل إيقاعى. يرى الضوء فى إحدى النوافذ والظلمة فى النافذة المجاورة، وهكذا على التوالى، كذلك ضوء فى أحد الأدوار وظلمة فى الدور العلوى.
- قال ترافلر :
- اتضح الموضوع الكثير من التوقيعات لكنهم بدأوا فى إظهار الأخطاء الخفية.
- قررا الانتهاء من تدخين السجارة إلى جوار النافورة وهما يتحدثان عن اللاشئ وينظران إلى الأنوار التى تضاء وتطفأ. فى هذه اللحظة تحدث ترافلر عن التغيرات ويعد هنيهة صمت، سمع أوراثيو وهو يضحك بصوت مكتوم فى الظلمة. ألح، يريد بعض اليقين، دون أن يعرف كيف يمكن طرح مادة تتزحلق من بين الكلمات والأفكار.

51

- كأننا خفافيش، أو كأن هناك دورة دموية توحدنا، أى تفصل بيننا، أحياناً نكون أنا وأنت، وأحياناً ثلاثتنا وعلينا ألا نخدع أنفسنا. لست أدرى متى بدأ ذلك، لكن ها هو الأمر يجب التنبه. أعتقد أننا لم نأت إلى هنا فقط لأن المدير أتى بنا. كان من السهل البقاء فى السيرك مع السيد سواريث ميليان. فنحن نعرف طبيعة العمل، كما أنهم يقدرونا. لكن لا، لابد من الدخول هنا. ثلاثتنا. وأول المذنبين أنا، لأننى لم أكن أرى أن تقوم تاليتا ... عموماً أن أباعدك عن هذا الموضوع للتخلص منك. إنه نوع من حب النفس، أخذت بالك.

- قال أوليفيرا :

- فى الواقع لست مجبراً على القبول. سوف أعود إلى السيرك أو أباعد تماماً عنكما. فمدينتي بينوس أيرس ضخمة. وقد قلت لك ذلك يوماً ما.
- نعم، لكن سوف تذهب بعد هذا الحوار، أى أنك تفعل ذلك من أجلنى، وهذا بالتحديد ما لا أريده.

- على أى الأحوال عليك أن توضح لى موضوع التغيرات هذا.
- لست أدرى. فإذا ما أردت شرحه تزداد الأمور ضبابية. انظر إنه شئ على هذا المثال: فإذا ما كنت معك فليست هناك مشكلة. لكن عندما أكون وحدي يبدو لى أنك تضغط علىّ وأنت فى حجرتك مثلاً. تذكر ذلك اليوم الذى طلبت منى المسامير. تشعر تاليتا بذلك وتنظر إلىّ، ويتولد لدى انطباع بأن النظرة موجهة اليك، لكن عندما نجتمع ثلاثتنا تقضى هى الساعات والساعات دون أن تدري أنك هنا. من المفترض أنك أدركت ذلك.

- نعم، وأصل.

- هذا كل شئ، ولهذا لأريد أن تبتعد بنفسك. لابد أن يكون شيئاً تقرره أنت ولما كنت قد ارتكبت سخافة فتح الموضوع، لن تتوفر لديك الحرية فى اتخاذ القرار ذلك أنك سوف تطرح الأمر من منظور المسؤولية وما سيقوله الناس والأخلاق. وفى مثل هذه الحالة يكون الأمر بمثابة الإبقاء على حياة صديق وأنا لا أسمح بهذا.

- قال أوليفيرا :

- أه، أى أنك لن تتركنى أغادر، وأنا لا يمكن لى الذهاب إنه موقف فيه نوع من البيجامة الوردية. أليس كذلك؟
- أعتقد.

51

- ياله من أمر غريب.
- ما هو؟
- لقد أطفئت الأنوار كلها دفعة واحدة.
- لابد وأنهم حصلوا على آخر التوقيعات. أصبحت المصححة من حق المدير، عاش فيراجاتو.
- أتصور أنه يجب أن نسعدهم ونقتل الكلب. إنها نقمة لا تصدق.
- قال ترافلر :
- ليست نقمة فالمشاعر ليست عنيفة أيضا حتى لو كانت بشكل مؤقت.
- إنك في حاجة إلى حلول جذرية يا عجوز.
- لقد حدث نفس الشيء مدة طويلة، وبعد ذلك ...
- أخذنا يسيران عاندين لكنهما توخيا الحذر فالحديقة مظلمة كما تذكرنا أوضاع أحواض الزرع.
- وعندما وطئت أقدامهما خطوط الحجة القريبة من المدخل، ضحك ترافلر بصوت منخفض ثم رفع أحد قدميه وأخذ يقفز من مربع إلى آخر. كان لون الطباشير يرى في الظلام ولكن بشكل واهن.
- سوف أحكي لك في إحدى الليالي - قال أوليفيرا - أشياء من هناك. هذا لا يروق لى لكن ربما كانت تلك الطريقة الوحيدة لقتل الكلب.
- وقف ترافلر بعيدا عن الحجة، وفي هذه اللحظة أضيئت الأنوار في الدور الثاني فجأة وفي اللحظة التي كان أوليفيرا سيضيف شيئا آخر، رأى وجه ترافلر وهو يخرج من الظلمة، فاجأه نوع من الالتواء في عضلات الوجه قبل أن يطفأ النور من جديد، أو هو نوع من التشنج (ومعناها باللاتينية rictus أى فتح الفم؛ وتقلص الشفاه بشكل يشبه الابتسامة).
- قال ترافلر :
- لنواصل الحديث عن قتل الكلب لست أدري فيما إذا كنت قد لاحظت أن الطبيب الرئيسي اسمه «أوبيخير و». هذه الأشياء.
- ليس هذا ما كنت تريد أن تقوله لى.
- قال ترافلر :
- من ذا الذى يشكو من صمتي، أو من تغيير الموضوعات من الواضح أنه ليس

51

ذلك، لكن لا فرق. لا يمكن الحديث عنه. وإذا ما أردت القيام بتجربة ... لكن هناك شيئاً ما يقول لى لقد تأخر الوقت بعض الشيء. لقد بردت البيتزا، ولا مناص. ومن الأفضل أن نبدأ العمل فوراً. وسوف يكون نوعاً من التلهي.

لم يجب أوليفيرا، وصعد إلى صالة الاجتماعات الكبرى حيث كان المدير الإدارى وفيرا جوتو يشربان كانيا دويل. انضم أوليفيرا فى الحال، بينما ذهب ترافلر ليجلس على الكنية حيث تاليتا تقرأ قصة وتلوح على وجهها علامات النوم. وبعد التوقيع الأخير، رفع ريمورينو الدفتر وأخرج المرضى الذين حضروا مراسم التوقيع. لاحظ أوليفيرا أن المدير الإدارى أطفأ نور السقف وأضاء لمبة مكتب. كان كل شئ طرياً وأخضر وكان الحديث يدور بصوت منخفض فيه نبرة الرضا. سمع عن ترتيبات لتناول الكرشة على طريقة أهل جنيف، فى مطعم وسط المدينة. أغلقت تاليتا الكتاب ونظرت إليه ناعسة. مسح بيده على شعرها وشعر أنه فى وضع أفضل. وعلى أى الأحوال فإن فكرة تناول الكرشة فى مثل هذه الساعة ومع هذه الحرارة غير صائبة.

(69)

52

كان لا يمكنه، في الواقع، أن يحكى شيئاً لترافلر؛ فإذا ما بدأ في جذب شيء من البكرة سوف يسحب نتفة من الصوف ثم أمتار من الصوف . Lanc ثم Lanada نفسه ثم لاناتورنر lanaturner^(١) lanata القشدة ثم lanatomia التشريح ثم lanatalidad المواليث ثم la nacionalidad المواطنه ثم lanatwalidad ثم الطبيعية la lanc الصوف حتى الغثيان لكن لا يمكن سرد اللغة. كان من الممكن أن يجعل ترافلر يشك في أن كل ما يقصه عليه ليس له أى مغزى مباشر، (لكن أى مغزى كان له؟) كما لم يكن نوعاً من المجاز أو الاستعارة. والفارق الذى لا مناص من الإشارة إليه، هو مشكلة المستويات التى لا علاقة لها بالذكاء أو المعلومات، هناك فرق، إما اللعب بالحيلة أو أن يتناقش جون دون Jon Donne مع ترافلر، كان كل شيء يدور في أرض ذات ظواهر مشتركة. لكن فيما يتعلق بالآخر، أى أن يكون نوعاً من القروء بين البشر، والرغبة في أن يكون قرواً لأسباب لا يستطيع القرد أن يفسرها، فلم تكن لديهم أسباب وممكن قوتها في ذلك، وهكذا على التوالي.

مرت الليالي الأولى في المصححة بهدوء، فالأفراد الذين سيخرجون من الوظائف لازالوا يمارسون عملهم أما الجدد فكانوا يراقبون فقط ويسجلون الملاحظات ويجتمعون في الصيدلية حيث ارتدت تاليتا اللباس الأبيض وأخذت تعيد إكتشاف المستحلبات والباربيتورات barbituricos. وكانت المشكلة إزاحة كوكا فيراجوتو التى قبعت كصخرة في قسم المدير الإدارى؛ إذ بدا عليها استعدادها أن تفرض عصا الطاعة على المصححة كما كان المدير نفسه يستمع باحترام للاتفاق الجديد^(٢) new deal والذى يتلخص في كلمات مثل: النظافة، الالتزام، الله الوطن المنزل، والبيجامات الرصاصى والشاى مع التلييو. أخذت تطل بين الفينة والأخرى على الصيدلية، وتصغى - باهتمام للحوارات التى يفترض أنها حوارات مهنية، تدور بين أفراد الفريق الجديد. كانت تثق بعض الشيء في تاليتا فالفتاة حاصلة على شهادة، علققتها على الحائط، لكن الزوج والصدیق كانا مثار شكها. تكمن مشكلة كوكا في أنهما رغم كل شيء فردان ظريفان؛ الأمر الذى يجبرها على أن تتجادل على طريقة أبطال بييركورنيل Pierre Corneille حول الواجب والحب الأفلاطونى الأعمى، وفي الوقت نفسه يقوم فيراجوتو بتنظيم الإدارة، وأخذ يعتاد على وضع من يعانون من انفصام في الشخصية محل المواشى وأمبولات الأنسولين محل بالات الغلف. كان الأطباء يحضرون في الصباح يبلغ عددهم ثلاثة، ولا

52

يسببون أية مشاكل. فالطبيب المقيم هو من عشاق البوكر وأصبح ذا صلة حميمة بـ
 ترافلز وأليفيرا. وفي عيادته الكائنة في الدور الثالث يقومون بلعب البوكر ويتم تكوين
 أفضل سلّم ملكي، والورق من نفس اللون، كما أن كومة الأوراق المتراكمة تتراوح
 قيمتها بين عشرة ومائه بيزو. تنتقل هذه الأموال من يد إلى يد ويكفينى قول هذا.
 أما المرضى فهم أفضل، شكرا.

(-89)

53

فى يوم الخميس، هُبّ، احتل الجميع أماكنهم حوالى التاسعة مساءً. قبل ذلك كان قد خرج الأفراد الذين أُقِلُّوا وهم يغلقون الأبواب بقوة (ابتسامات ساخرة لكل من فيرا جوتو وكوكا اللذين أُصرّا على عدم دفع التعويضات) كما كانت هناك مجموعة من المرضى تؤدّعهم قائلة «لقد مات الكلب، لقد مات الكلب!» وهذا لم يمنع من قيامهم بتقديم رسالة إلى فيراجوتو وعليها خمس توقيعات تطالب بالشيكيلات والصحيفة اليومية المسائية وقتل الكلب. ظلّ الجُدُدُ الذين كانوا يشعرون بشئ من عدم الثقة وبقي كذلك ريمورينو الذى ظهر فى وضع الخبير ببعض الأمور. وكان يقول بأن كل شئ سوف يسير على أفضل حال. ومن خلال إذاعة «الموندو» يتم تغذية الروح الرياضية لأهالى المدينة بنشرات عن موجة الحر. لقد تجاوزت كل الدرجات القياسية وكان الجميع يتصبّبون عرقاً. قام ريمورينو بجمع أربعة أو خمسة بيجامات ملقاة فى الأركان. حاول هو وأوليفيرا إقناع الملاك الجدد أن يرتدوا البيجامات، أو البنطلون على الأقل. وقبل أن ينخرط الدكتور أوبيخيرو فى لعب اليوكر مع فيرا جوتو وترافلر صرّح لتاليتا بأن تقوم بتوزيع عصير الليمون دون خوف، باستثناء المريض رقم 6، ورقم 18، والمريضة رقم 31. فهذه المريضة قد تسبب لها ذلك فى نوبة بكا، فقامت بمضاعفة جرعة عصير الليمون. لقد أن الأوان لتتصرف من منطلقاتها، وليمت الكلب.

كيف كان من الممكن البدء فى ممارسة تلك الحياة بشكل هادئ دون استغراب كبير؟ بدأت ممارسة الحياة دون سابق إعداد فالكتيب الخاص بالصحة النفسية، والذي تم شراؤه من مكتبة توماس بارو، لم يكن التحضير المناسب لتاليتا وترافلر. بدأ العمل دون خبرة أو رغبة حقيقية، أو أى شئ آخر: كان الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يتعود حتى على عدم توعده. فعلى سبيل المثال هناك المشرحة. كان ترافلر وأوليفيرا يجهلانها هى والـ heteaki حيث قام ريمورينو بالبحث عنه ليلة الثلاثاء بناء على أوامر من الدكتور. أوبيخيرو. كما أن المريض رقم 56 توفى منذ وقت قصير فى الدور الثانى وكان من الواجب مساعدة رجل النقالة وإلهاء المريضة رقم 31 التى كانت تعاني «عرشة معطف» Telepalpitos de abrigo. شرح ريمورينو لهما بأن الناس الذين تركوا وظائفهم كانوا كثيرى المطالب وأنهم كانوا يعملون طبقاً للوائح منذ أن عرفوا بموضوع التعويضات، وبالتالي لا مناص إلا البدء فى العمل بهمة ونشاط وسوف يكون هذا بمثابة تمرين جيد لهما.

ياله من أمر غريب، وهو عدم ذكر أى مشرحة فى الجرد الذى تم يوم العملية

53

الكبرى. لكن لابد وأن يكون هناك مكان لحفظ مشتقات لحم الخنزير حتى تأتى الأسرة أو أن ترسل البلدية السيارة. وربما ذكر فى قائمة الجرد شئ عن غرفة الحفظ (الشلجة) أو صالة مؤقتة أو أى شئ فيه نوع من التبريد إلى غير ذلك من هذه الإشارات اللغوية أو يذكر ببساطة الشلجات الثمانية. وعموما فإن كلمة "Morgue" غير جميلة وخاصة كتابتها فى مستند.

يعتقد ذلك ريمورنيو. ولماذا الشلجات الثمانية؟ أه، هو ذاك ... ربما كان مرجعه ما يطالب به جهاز النظافة القومى، أو ربما كان ذلك نوعا من الراحة عند المدير الإدارى السابق وقت المزايدات. لكن لم يكن الوضع بهذا السوء ولو أنها تموجات مثل العام الذى كسب فيه نائى سان لورنثو (أى سنه؟ لم يتذكر ريمورنيو، لكنه كان العام الذى استطاع فيه سان لورنثو أن يجمع أوراق اللعب فى يده) وفجأة يموت أربعة من المرضى فكانت عملية مقيتة. لكنها كانت قليلة الحوادث. إن المريض رقم 56 كانت حالته صعبة ولم يكن هناك مخرج لها. عليكما أن تتحدثا بصوت منخفض وأنتما هنا حتى لا توقظا النوم. وأنت ما الذى تريده فى هذه الساعة؟ الزم السرير، الزم السرير. إنه، ييب، جيد انظروا إليه كيف ينقرهن. يروى له أن يخرج فى الطرقات ليلا، لكن لا تظنا أنه من أجل النساء، فهذا الموضوع نظمناه بشكل جيد. إنه يخرج لأنه مجنون ليس إلا، مثل أى واحد منا إذا ما اقتضت الضرورة.

فكر أوليفيرا وترافلز أن ريمورنيو كان ماهرا ونموذجا متطورا وهذا ما يلاحظ عليه فورا. ساعدا الشيال، الذى كان المريض رقم 7، عندما لا يقوم بوظيفة النقل. إنه حالة قابلة للشفاء وبذلك يمكن الحصول على تعاونه فى الأعمال الخفيفة. أنزلوا النقالة بواسطة المصعد وقد تكدسوا بعض الشئ وشعروا بأنهم شديدا القرب من جثة المريض رقم 56 التى توارىها الملاءة. كانت أسرته سوف تأتى لتسلمه يوم الخميس. كانوا من تريلي Trelew. مساكين. أما المريض رقم 22 فلم يأت أحد لتسلمه حتى الآن هم صقور ولا مشاعر لهم. هل البلدية تسمح بأن يكون المريض رقم 22 ... الملف فى أحد تلك الأدرج إلى غير ذلك من الأمور. وعلى أى الأحوال فقد مضت الأيام على هذه الوتيرة، وانقضى أسبوعان واتضح لهما ميزة وجود الكثير من الشلجات. فقد أصبح عدد المتوفين ثلاثة، فقد توفيت المريضة رقم 2 وهى واحدة من مؤسسى العيادة. كان ذلك أمرا عظيما، فرقم 2 ليس لها أسرة، لكن إدارة الوفيات أبلغت بأنها سوف ترسل السيارة فى غضون ثمان وأربعين ساعة. أخرج ريمورنيو قائمة الحساب ليضحك فقد

53

مضى عليهم ثلاثمائة وستة ساعات، ويكادون يصلون إلى ثلاثمائة وسبعة، وإطلاق تعبير المؤسسة هذا على المريضة رقم 2 كان لأنها عجوز طاعنة فى السن وأكبر من الدكتور الذى باعها للسيد/ فيراجوتو. ياله من رجل، السى فيراجوتو. إليس كذلك؟ ياله من شئ عظيم التفكير فى أنه يملك سيراكا.

فتح المريض رقم 7 المصعد وسحب النقالة، وسار فى الطريقة وهو يتمايل حتى قام ريمورنيو بإيقافه فجأة، وتقدمه وهو يحمل سلسلة مفاتيح وأقفال، ليقوم بفتح الباب المعدنى وفى الوقت نفسه قام ترافلر وأوليفيرا بإخراج بعض السجائر ... إلى غير ذلك مما يدل على سرعة البديهة ... وفى حقيقة الأمر فإن ما كان عليهما أن يقوما به أن يرتديا المعاطف الخفيفة فلا تعرف الثلاجة الخاصة بالجثث أى شئ عن موجة الحر التى بدت وكأنها مكتب للمشروبات، فيه ترابيزة مستطيلة موضوعة على جانب، وهناك ثلاجة تصل إلى السقف إلى جوار الحائط المقابل.

- قال ريمورنيو :

- هات زجاجة بيرة .. أنتما لا تعرفان شيئا. أحيانا ما تكون القواعد هنا ... من الأفضل ألا أقول شيئا للسيد فيراجوتو. وما علينا إلا أن نتناول بيرة من حين لآخر. ذهب المريض رقم 7 إلى إحدى بوابات الثلاجة وأخرج زجاجة. وبينما يقوم ريمورنيو بفتح الزجاجة بمفتاح خاص مرفق بسكينة برى الأقلام، نظر ترافلر إلى أوليفيرا. أن رقم 7 بدأ الحديث أولا.

- من الأفضل أن تحفظ الجثة أولا. أليس كذلك.

- حضرتك ... - بدأ ريمورنيو لكنه بقى ومعه السكين مفتوحا - الحق معك يا بيبى. هيا، هذه الثلاجة التى هناك خالية.

- قال رقم 7 :

- لا .

- أتقول ذلك لى؟

- قال رقم 7 :

- معذرة يا سيدى - الثلاجة الخالية هى تلك.

ظل ريمورنيو ينظر إليه فابتسم له رقم 7 كنوع من التحية وأقترب من الباب الذى يدور النقاش بشأنه وفتحه. ظهر نور يشع لمعانا وكأنه الفجر، أو أى نوع آخر من الظواهر الخاصة بالطقس وفى وسط هذا النور توجد أقدام كبيرة جدا.

53

- قال رقم 7 :

- إنه رقم 22 ألم أقل لك؟ إننى أعرفهم جميعا حسب أقدميتهم ها هو رقم 2 ما الذى تريد أن تراهننى عليه؟ إذا لم تصدقنى. هل اقتنعت؟ حسن علينا أن نضعه فى تلك الثلاثة الخالية - عليكما مساعدتى وحذار فلا بد أن ندخله برأسه أولا.

- قال ريمورينو لترافلر بصوت منخفض :

- إنه بطل أنا لست أعرف لماذا يصير الدكتور أوبيخيرو على إبقائه هناك فى الداخل. لا توجد أكواب وعلى ذلك لنشرب نخب التى ابتاعتها. ابتلع ترافلر كمية كبيرة من الدخان قبل أن يأخذ الزجاجة، أخذوا يتناقلوها من يد إلى يد. وأول نكتة خارجة قصها ريمورينو.

(66)

كان أوليفيرا يرى الحوش والنافورة من نافذة حجرته الكائنة فى الدور الثانى، يرى المياة وهى تخرج من النافورة، والحجلة التى خطّطها رقم 8، والأشجار الثلاثة التى تظلّل أصيص نبات المبالون، والحشائش والحائط الترابى العالى الذى يحجب عنه المنازل فى الشارع المجاور كان رقم 8 يلعب الحجلة معظم أوقات المساء بلا كلل، وقد حاول كل من رقم 4 ورقم 19 التغلّب عليه والاستيلاء منه على السماء لكن لم يكن مجديا. إذ كانت أرجل رقم 8 كأنها سلاح تصويب فكل مربع له طلقة وكان الحجر الصغير يأخذ دائما الوضع المناسب. كان شيئا غير عادى. أما أثناء الليل فخطوط الحجلة المرسومة بالطباشير تشع لونا فوسفوريا باهتا. كان طيب لأوليفيرا تأمله من النافذة. وعندما يحل الظلام يلجأ رقم 8 إلى سريره تحت تأثير سنتم مكعب من إينوسول، وينام مثل البجع، وقد وقف عقليا على قدم واحدة، وأخذ يدفع الحجر بضربات قوية وصبيانية بحثا عن غزو السماء، وعندما يصل إليها يبدو عليه عدم الرضا «إن رومانسيستك لا تقاوم» كان أوليفيرا يفكر وهو يتناول الشاي، «حتى يرتدى البيجامة الوردية» كان يضع على مكتبه رسالة صغيرة من جيكربتين التى تتحدث عن ضجرها، وأنهم لا يتركوك تخرج إلا أيام السبت. وهذه ليست حياة يا عزيزى أنا لا أتحمل البقاء وحدى وقتا طويلا. أه لو ترى حجرتنا. وضع أوليفيرا كوب الشاي على حافة النافذة وأخرج قلما جافا من جيبه وأجاب على الرسالة. بادئ ذى بدء هناك تليفون (يتبع ذلك رقم التليفون) وثانيا فهم مشغولون جدا، لكن إعادة التنظيم قد لا تستغرق أكثر من أسبوعين وعندئذ يمكن لهما أن يلتقيا الأربعاء على الأقل وكذا السبت والأحد. وثالثا لقد أوشكت الأعشاب على الانتهاء «أكتب وكأنهم حبسونى» فكر وهو يوقع على الرسالة. كانت الساعة توشك على الحادية عشرة وخلال قليل سوف يحل محل ترافلز الذى يقوم بالخدمة فى الدور الثالث. تناول كوبا آخر، وأعاد قراءة الخطاب ثم أغلق الظرف. كم كان يود أن تكتب له، فالتليفون هو عبارة عن جهاز مثير للبلبله فى يد جيكربتين، إذ لم تكن تفهم شيئا مما يُقال لها.

أطلقت أنوار الصيدلية فى السراى الكائن على اليسار. ظهرت تاليتا فى الحوش، وأغلقت الباب بالمفتاح (كانت ترى جيدا فى ضوء السماء الحارة المرصعة بالنجوم) اقتربت من النافورة وهى مترددة. صفر لها أوليفيرا بصوت منخفض لكن تاليتا واصلت تأملها للمياة التى تخرج من النافورة لدرجة أنها قربت أحد أصابعها وتركته

54

هنيئة في الماء. وبعد ذلك عبرت الحوش ووطئت الحجة دون اتباع نظام معين ثم اخفت تحت نافذة أوليفيرا.

كان كل شيء يشبه تحليلا ما يوجد في لوحات ليونورا كاريجتو-*Leonora Carington* ^(١) فهناك الليلة مع تاليتا، والحجة وتقاطع الخطوط، التي تتجاهل بعضها الماء الذي يخرج من النافورة. وعندما خرج الهيكل الوردى من مكان ما واقترب من الحجة ببطء، دون أن يجزئ على الوقوف فوقها، أدرك أوليفيرا أن كل شيء يأخذ النظام المعهود وأن الفرد الذي يرتدى اللون الوردى سوف يختار قطعة حجر مسطحة من تلك الحجرة الكثيرة التي جمعها رقم 8 ووضعها على حافة حوض الزهور. وأن لاماجا، لماذا كانت لاماجا؟ سوف تنثني رجلها اليسرى وتقوم بدفع الحجر إلى أول مربع بواسطة سن حداثها. كان يرى شعر لاماجا وهو في النافذة، فهناك زوايا الاكتاف، وكيف كانت ترفع ذراعيها قليلا لتحافظ على توازنها، وفي الوقت نفسه تدخل المربع الأول من خلال قفزات قصيرة. ثم تدفع الحجر نحو المربع الثاني (ارتعد أوليفيرا قليلا لأن الحجر كان على وشك أن يخرج من الحجة، ولعدم استواء البلاط توقف الحجر عند أقصى حدود المربع الثاني) دخلت بخفة وبقيت ساكنة لثانيه وكأنها طائر الفلامنك الوردى اللون وهو يقف بين الظلمة والنور، وهذا قبل أن تتقدم برجلها ببطء نحو الحجر وتحدد المسافة اللازمة لتجعله يدخل في المربع الثالث.

رفعت تاليتا رأسها ورأت أوليفيرا في النافذة، تأخرت بعض الشيء في التعرف عليه، بينما كانت تتأرجح وهي تقف على رجل واحدة وكأنها تمسك نفسها في الهواء بتوازن ذراعيها. كان ينظر إليها بعدم سعادة وبشكل ساخر وعندئذ عرف خطأ ورأى أن اللون الوردى ليس ورديا وأن تاليتا كانت ترتدى بلوزة لونها رصاصي غامق وجونلة ربما بيضاء اللون.

ويمكن القول بأن كل شيء اتضح: لقد دخلت تاليتا ثم عادت من جديد وقد جذبت الحجة انتباهها كما أن هذا الفاصل الذي لم يستغرق ثانية بين الدخول والخروج كان كافيا لخداعه مثل تلك الليلة عندما كان على مقدمة السفينة وربما حدث ذلك مرات عديدة. لم يكن يجب على إشاره تاليتا التي نظرت إلى الأرض وهي تركز وتحسب المسافة فخرج الحجر بقوة من المربع الثاني ليدخل المربع الثالث ثم تستقيم قامتها وتستدير لتصبح في منظور بروفيل وتخرج من الحجة مسافة بلاطة أو اثنتين.

54

- قال أوليفيرا :

- لابد وأن تتدربى أكثر إذا ما أردت أن تكسبى رقم 8.

- ماذا تفعل عندك؟

- الجو حار. وعلى أن أتولى الخدمة الليلية فى الحادية عشرة والنصف مساءً. إنه التواصل.

- قالت تاليتا :

- آه - يالها من ليلة.

- قال أوليفيرا :

- ساحرة، ضحكت تاليتا ضحكة قصيرة قبل أن تختفى تحت الباب. سمعها أوليفيرا وهى تصعد السلم وتمر أمام بابه (لكن ربما كانت تستخدم المصعد) وتصل إلى الدور الثالث «أقر بأنها تشبهها كثيراً» فكر. «ومن خلال هذا وكذلك البلاءة التى عليها يتضح كل شئ تماماً» لكنه ظل هنيهة يتأمل الحوش. وكانت الحجة خالية وكأن تلك وسيلة إقناع. وفى الحادية عشرة وعشر دقائق جاء ترافلر للبحث عنه وسلمه التقرير. كان رقم 5 غير هادئ للغاية. ويجب إبلاغ أوبيخيرو إذا ما تدهورت حالته. أما الباقون فهم نائمون.

كان الدور الثالث يشبه القفاز، كما هدا رقم ٥ وقيل سيجارة، وقام بتدخينها وبين لأوليفيرا أن تأخر الناشرين اليهود أدى إلى تأخر نشر عمله العظيم حول الطائرات الورقية. ووعده بنسخة من الكتاب وإهداءه. ترك أوليفيرا له باب الحجرة موارباً؛ فهو يعرف عاداته السيئة وأخذ يروح ويغدو فى الطريقة، وأخذ ينظر بين الحين والآخر من العيون السحرية التى تم تركيبها بفضل دهاء أوبيخيرو والمدير الإدارى وشركة Liber and Finkel: فلكل حجرة هناك Van Eyck ما عدا حجرة المريضة رقم 14؛ إذ قامت بلصق ورقة على فتحة العين. وفى الثانية عشرة وصل ريمورينو وقد شرب ثلاثة من كؤوس الجن. دون أن تذهب بعقله كلية. تحدث عن الخيل وكرة القدم. كان رقم 5 قد هدا تماماً وأخذ الحر يضغط بقوة فى المشى الذى يلفه الصمت وشبه الظلمة. لم يخطر على بال أوليفيرا أبداً حتى هذه اللحظة أن أحداً قد يحاول قتله. لكن كان كافياً وجود رسم فورى، وتصوّر إجمالى مثير الرعب، حتى يدرك أنها ليست فكرة جديدة وأنها لم تكن ناجمة عن الجو العام فى الطرقة وأبواب الحجرات المغلقة وظل كابينة الأسانسير فى آخر الدهليز. كان يمكن أن تخطر له هذه الفكرة فى منتصف النهار

54

وهو فى محل روك Roque أو فى Subte فى الخامسة بعد الظهر.. أو قبل ذلك بوقت طويل، أى فى أوربا وأثناء التجوال فى المناطق المفتوحة والأراضى البور، خارج المدن، حيث كان من الممكن استخدام حافة إحدى العلب التى تكفى لقطع الرقبة، إذا ما توفرت النية لدى الطرفين. توقف عند الفتحة التى بها المصعد، ونظر إلى الفتحة المظلمة وفكر فى حقول فيليجريوس^(٢) مرة أخرى عند المدخل. كان الموقف فى السيرك مختلفاً، فهناك الفتحة إلى أعلى وعلى اتصال بالفضاء الذى يلفها ها هو الآن على حافة البئر، وحفرة إيبوليسس Eleusis فالعبادة التى لهما الضباب والحرّ تشير إلى الجانب السلبي وإلى الأبخرة الكبريتية أى إلى الهبوط. وعندما استدار رأى الخط المستقيم الذى عليه الطريقة حتى النهاية يلفها الضوء الخافت الصادر عن اللمبات ذات اللون البنفسجى الموضوعة فوق أطر الأبواب. قام أوليفيرا بتصرف أبله: فقد دفع رجله اليسرى وأخذ يمشى قفزاً برجل واحدة فى الطريقة حتى وصل إلى أول باب، وعندما عاد ووضع رجله اليسرى على الخط الأخضر كان يتصبب عرقاً. وفى كل قفزة يقوم بها ينطق باسم مانو من بين أسنانه.

«التفكير فى أننى كنت فى إ انتظار العبور» قال لنفسه وهو يستند على الحائط. من المستحيل أن تتسم بداية خيوط التفكير بالموضوعية، دون أن يرى ذلك على أنه فظاظة. العبور، على سبيل المثال، التفكير فى أنه كان ينتظر. ينتظر العبور، ترك نفسه ينزلق حتى جلس على الأرض وأمعن النظر فى مُشْمع الأرضية. العبور إلى ماذا؟ ولماذا يجب أن تكون المصحة نقطة عبور؟ أى نوع من المعابد كان فى حاجة إليها وأى نوع من الشفعاء وأى هرمونات نفسية أو أخلاقية تذهب به إلى داخل نفسه أو خارجها؟

عندما وصلت تاليتا وهى تحمل كوباً من عصير الليمون (أفكارها تلك، ذلك الجانب الأستاذى للعمال ونقطة اللبن Gota de leche) تحدث معها فى الموضوع مباشرة. لم تكن تاليتا تتشعر بالمفاجأة لأى شئ. جلست أمامه وأخذت تنظر إليه وهو يشرب الليموناده دفعة واحدة.

- سوف تصاب كوكا بهستيريا لورأتنا هكذا جالسين. يالها من طريقة للقيام بالحراسة هل هم نائمون؟

- نعم . أعتقد. المريضة رقم 14 أغلقت العين السحرية، ولا أحد يعرف ما الذى

54

تفعله. أشعر بشئ ما لا أعرف ماهيته لو فتحت عليها الباب.

- قالت تاليتا :

- إنك الحساسية نفسها لكن عندما أفعل ذلك فسوف يكون من امرأة لامرأة ...
عادت بعد هنيهة قصيرة وجلست هذه المرة إلى جوار أوليفيرا لتسند ظهرها للحائط.
- إنها مستغرقة في النوم. مرّ مانو المسكين بكابوس مزعج، ويحدث نفس الشئ دائماً إذ يعود للنوم لكنني أصاب بتوتر وأنهض من السرير، خطر لي أنك تعاني من الحرّ أنت وريمورينو، وعندئذ أعدد لكما الليمونادة. ياله من صيف، أضف إلى ذلك تلك الحوايط التي تحول دون مرور الهواء، الأمر هو أنني أشبه تلك المرأة الأخرى.

- قال أوليفيرا :

- نعم بعض الشئ لكن ليس لهذا أى أهمية وما يروق لي أن أعرفه هو أنه لماذا رأيك ترتدين اللون الوردى.
- إنه تأثير الجو المحيط بنا الذي أضفيته على الآخرين.
- نعم، هذا هو الطريق الأسهل وكل شئ في مكانه. وأنت لماذا لعبت الحجلة؟ هل أضفيت ذلك على نفسك؟

- قالت تاليتا :

- الحق معك لماذا لعبت الحجلة؟ بالنسبة لي، أنا لم أعجب مطلقاً بالحجلة، لكن لا تضع واحدة من نظرياتك الخاصة بالملكية فأنا لست Zambia لأحد.
- لست هناك حاجة لقول ذلك بصوت مرتفع.
- كررت تاليتا بصوت منخفض :

- لأحد - رأيت الحجلة عند الدخول، وكان هناك حجر صغير ... لعبت ثم غادرت.
- لقد خسرت عند المربع الثالث. كان من الممكن أن يحدث نفس الشئ لماجا فهي غير قادرة على الصمود، وليس لديها حسّ بالمسافات، فالزمن يمزق تلك المسافات بين يديها، إنها تتعثر مع الدنيا. ويفضل ذلك - أقولها لك على الهامش - فهي في غاية الكمال فيما يتعلق بإدانتها للكمال الزائف عند الآخرين. لكنني كنت أتحدث معك عن الأسانسير، على ما أعتقد.

- نعم وصفت شيئاً ثم شربت الليمونادة. لا. انتظر لقد شربت الليمونادة قبل ذلك.
- ربما وصفت نفسي بأنني غير سعيد، فعندما وصلت كنت مستغرقة في مرحلة

54

الشامانية Shamanico وكنت على وشك الإلقاء بنفسى فى الفتحة للخلاص من التخمينات، إنها كلمة ملساء.

— قالت تاليتا :

— الفتحة تنتهى فى البديوم وهناك الصراصير إذا ما كنت مهتما بمعرفة ذلك، وهناك خرق بالية من ألوان مختلفة ملقاة على الأرض. وكل شئ تملؤه الرطوبة ويكسوه اللون الأسود. لقد حكى لى مانو ذلك.

— هل هو نائم؟

— نعم، مرّ بكابوس. قال شيئا عن رابطة عنق مفقودة. لقد قصصتُ عليك هذا.

— قال أوليفيرا وهو ينظر إليها ببطء :

— إنها ليلة الاعترافات الكبرى .

— قالت تاليتا :

— كبيرة جدا لاماجا لم تكن إلا أسما فقط. والآن لديك وجه، لكنك لازلت تخطئ فى لون الملابس على ما يبدو.

— الملابس لا أهمية كبرى لها. وعندما أراها من جديد فستكون قد غيرت الملابس. سوف تكون عريانة أو أنها تشير وهى تحمل ابنها على ذراعيها وتغنى له «عشاق هافر Amantes de Havre، إنها أغنية لا تعرفينها.

— قالت تاليتا :

— لا تتصور ذلك لقد أذيعت مرات عديدة فى راديو بلجرانو Belgrano لا، لا، لا، لا، لا...

وجه أوليفيرا لكمة ضعيفة تحولت إلى مداعبة باليد. مالت تاليتا برأسها إلى الخلف فاصطدمت رأسها بحائط الطريقة. قطبت جبينها وأخذت تدعك مكان الارتطام ومع ذلك ظلت تنترنم. سَمع صوت كليك، وبعد ذلك سمع أزيز بدا أنه أزرق فى الجو شبه المظلم للطريقة. سمعا صوت المصعد وهو يتجه إلى أعلى. لم يكادا يتبادلا النظرات قبل نهوضهما فجأة. من يمكن أن يكون فى مثل هذه الساعة ... كليك، المرور بالدور الأول ثم الأزيز الأزرق. تراجعت تاليتا ووقفت خلف أوليفيرا. كليك. كان المريض الذى يرتدى البيجامة الوردية واضح الملامح فى الكابينة ذات الزجاج المحمى بشبكة معدنية. هُرُول أوليفيرا نحو المصعد وفتح الباب خرجت دفعة هواء باردة بعض الشئ. نظر العجوز وكأنه لا يعرفه، وظل يداعب الحمامة. كان من السهل إدراك أن الحمامة كانت بيضاء

54

ذات مرة وأن المداعبة المستمرة التي يقوم بها العجوز جعلت ظهرها يكتسى باللون الرمادي الغامق، كانت ساكنة وعينيها مغمضتين وترتاح في راحة اليد التي كانت تقبض عليها عند الصدر. بينما تطوف الأصابع من الرقبة حتى الذيل.

- قال أوليفيرا وهو يتنفس بقوة :

- عليك أن تذهب إلى سريرك يا سيد لويث .

- قال السيد لويث :

- الجو حار في السرير انظر إلى الحمامة كم هي سعيدة عندما أخذها في جولته.

- الوقت متأخر جدا، اذهب إلى حجرتك.

- سوف آتيك بكوب من عصير الليمون البارد - وعدت تاليتا Nightingale^(٣) داعب

السيد لويث الحمامة وخرج من المصعد سماعه وهو يهبط على السلم.

- همهم أوليفيرا وهو يغلق باب المصعد :

- كل واحد هنا يفعل ما يريد.. سوف تحدث هنا مجزرة عامة. إنني أشم رائحتها،

ماذا تريدون أن أقول. هذه الحمامة بدت كأنها مسدس

- يجب إبلاغ ريمورينو. لقد جاء العجوز من البديوم، وهذا أمر غريب.

- انتظري - امكثي هنا بعض الوقت للمراقبة أما أنا فسوف أنزل لأرى، فقد يكون

هناك من يقوم بتدبير شيء.

- أنزل معك.

- حسن، هؤلاء ينامون في هدوء.

كان الضوء أزرق داخل المصعد وكان يهبط وكأنه آلة من مبتكرات الخيال العلمي.

لم يكن في البديوم أي من الأحياء، لكن كان أحد أبواب الشلاجة مواربا ويخرج من

فتحة المزلاج خيط من الضوء، توقفت تاليتا عند الباب وقد وضعت كفها على فمها بينما

يقرب أوليفيرا كان المريض رقم 56؛ إنه يتذكر ذلك جيدا وكانت أسرته على وشك

الوصول بين لحظة وأخرى. من بلدة تريلى Trelew. أثناء ذلك الوقت كان رقم 56 قد

تلقى زيارة أحد الأصدقاء، ويمكن تصور طبيعة الحوار الذي دار مع العجوز الذي

يحمل الحمامة. إنه ذلك الحوار المستعار الذي لا يُولى المتحدث إليه أي اهتمام بينما

الآخر هناك في المقدمة، سواء كان يتكلم أم لا، طالما أن هناك شيئا ما أو وجهها

أورجلين تبرزان من الثلج. والأمر هو مثلما كان يتحدث مع تاليتا ويقص عليها ما رآه

وأنه كان خائفا وأخذ يتحدث طوال الوقت عن فتحات وانتقالات، سواء لتاليتا أو إلى

54

أى شئ آخر، سواء كان قدمين قد برزا من الثلج أو أى شئ أخر لديه القدرة الظاهرية على الاستماع والمواقفة. وبينما يغلق باب الثلاجة وهو يستند على حافة الترابيزة، دون أن يدرى لماذا، أخذت تطفر على ذهنه ذكرى. فقال لنفسه إنه لم يكد يمضى يوم أو يومين ولم يجرؤ أن يقصّ أى شئ من ذلك على ترافلر. فلا يمكن للقرد أن يقص شيئا على الإنسان، وفجأة، دون معرفة السبب، سمع نفسه وهو يقول لتاليتا، وكأنها لاما، رغم أنه يعلم أنها ليست هى، شيئا عن الحجلة وعن الخوف فى الطرقة وعن الفتحة التى تشير الفضول (وكانت تاليتا خلفه هناك على بعد أربعة أمتار تنتظر). كان ذلك بمثابة نقطة النهاية واللجوء إلى شفقة الغير والعودة إلى الأسرة البشرية وسقوط الأسفنجة وارتطامها المنقر، بمركز الحلية، شعر أنه يذهب بعيدا عن نفسه ويترك نفسه ملقيا بها - ابن القحية العاق - بين نراعى المصالحة السهلة ومن هنا يكمن سر العودة السهلة إلى العالم وإلى الحياة الممكنة وإلى زمن أعوامه هو، وإلى العقل الذى هو منار تصرفات الأرجنتينيين الطيبين والإنسانية بصفة عامة. كان فى عالمه الصغير، مرتاحا Hades ومجمدا، لكن لم تكن هناك أية إيوريديس^(٤) Euridice يبحث عنها، اللهم إلا نزوله بالمصعد وبينما يقوم الآن بفتح إحدى الثلاجات ويأخذ زجاجة بيرة فقد أصبح حجرا حراً صالحا لأى شئ طالما كانت الغاية الانتهاء من هذه المهلة.

- تعالى لتتناولى جرعة - دعا - انها أفضل بكثير من كوب الليموناده.

تقدمت تاليتا خطوة ثم توقفت.

- قالت :

- لا تنتهك حرمة القبور لنخرج من هنا.

- إنه المكان الوحيد الرطب، عليك الاعتراف بهذا. أعتقد أننى سوف أت إلى هنا

بسرير نَقال.

- قالت تاليتا وهى تقترب منه :

- إن وجهك شاحب من البرد تعال، لا يطيب لى أن تبقى هكذا.

- ألا يروق لك؟ ان يخرجوا من مكانهم ليأكلونى فالذين هم فى الأداور العليا أسوأ.

- كررت تاليتا :

- تعال يا أوراثير لا أريد أن تبقى هنا.

- أنت قال أوليفيرا وهو ينظر إليها بغضب وتوقف عن الكلام ليفتح البيرة

بضربة يد على حافة الترابيزة. إنه يرى بوضوح الطريق العام تحت المطر. لكن لابد من

54

أن يتأبط ذراعه أحد ويتحدث إليه بأسى، فإنهم يحملونه هو وقد قدموا له أذرعهم على سبيل الشفقة، وتحدثوا معه حتى أدخلوا عليه السعادة. كانوا يشفقون عليه كثيرا لدرجة أنها شئ ممتع للغاية لقد انقلب الماضي، وتغير اتجاهه وسوف يتضح فى النهاية أن الرحمة لا تقضى على المرء. هذه المرأة التى قالت رأيها فى الحجة تشعر بالأسى من أجله. كان من الواضح أنه يَحرقُ.

– قالت تاليتا :

– يمكننا مواصلة الحوار فى الدور الثانى هات الزجاجة لأشرب منها قليلا.

– قال أوليفيرا :

– نعم يا سيدتى، حسن يا مدام.

– وأخيرا تنطق شيئا بالفرنسية. لقد اعتقدت أنا ومانو أنك قطعت على نفسك عهدا

لن نتحدث مطلقا ...

– قال أوليفيرا :

– كفى لقد تملكنت منى أيتها الصغيرة، إن سيلين Céline على حق.

نعتقد أننا نرى المشكلة صغيرة، لكنها ضخمة ومتغلغلة.

نظرت إليه تاليتا نظرة من لا يفهمون، لكن يدها ارتفعت دون أن تشعر بها واستندت لحظة على صدر أوليفيرا. وعندما رفعت يدها عن صدره، أخذ ينظر إليها وكأنه ينظر إلى شئ من أسفل إلى أعلى بعينين آتيتين من مكان آخر.

– قال أوليفيرا لواحدة لم تكن هى تاليتا :

– عليك أن تعرفى عليك أن تعرفى أنك التى بصقت على بشفتك هذه الليلة. هيا لتعرفى أنه لا يجب البكاء بسبب الحب إلا إذا ملئت أربعة أو خمسة أحواض. فإما أن تملئها بكاء أو تبكى هى عليك.

أدارت له تاليتا ظهرها واتجهت نحو الباب. وعندما توقفت لانتظاره كانت تنتابها الحيرة فهي فى حاجة لانتظاره، فالابتعاد عنه هذه اللحظة، بمثابة التخلي عنه وتركه ليسقط فى البئر (الملئ بالصراصير والخرق الملونة) ورأت أنه كان يبتسم، لكن لم تكن الابتسامه لها. لم تره أبدا يبتسم هكذا، تبدو كل علامات التعاسة ومع ذلك فوجهه فيه طلاقة، فى مواجهتها، وبدون ملمح السخرية المعتاد فيه، عندما يقبل شيئا، لابد وأنه أت له من مركز الحياة، أى من ذلك البئر الآخر (هل فيه صراصير وخرق ملونة ووجه يطفو فوق سطح مياه أسنة؟) وأخذ يقترب منها وهو فى وضع قبول ذلك الشئ الذى لا اسم

54

له والذي يثير ضحكة. كما أن قبلته لم تكن لها، فلم يكن ذلك يحدث هكذا بهذه الطريقة اللفظة إلى جوار ثلاثة مليئة بالموتى وعلى مسافة قريبة جدا من مينو المستغرق فى النوم كان الأمر بمثابة أن كل واحد بلغ الآخر من مكان آخر بواسطة جزء منهما. لكن الأمر أنه ليس منهما وكأنهما يدفعان أو يقبضان شيئا عنا، وكأنهما أبطال الأسطورة اليهودية^(٥) *golems* فى لقاء مستحيل بين ملاكهما. وبالنسبة لـ *Campos Flegreos*. وما تحدث عنه أوراثير بشأن الهبوط، وهى فكرة غير عقلانية على الإطلاق لدرجة أن مانو ومن يشاركونه الرأى، لم يكونوا ليجرؤا على المشاركة فى مثل هذا؛ لأن الذى بدأ فى هذا المكان كان نوعا من مداعبة الحمامة. أو كفكرة النهوض لإعداد كوب عصير ليمون لحراسة أو نثى الرجل وضرب مجر صغير بالرجل الأخرى بحيث ينتقل من المربع الأول إلى المربع الثانى ومن الثانى إلى الثالث. لقد دخلا فى شئ آخر بطريقة أو بأخرى، أى فى ذلك الشئ حيث يمكن أن يكون المرء مرتديا اللون الرمادى أو اللون الوردى. حيث يمكن أن يكون قد مات غرقا فى نهر (وهذا ما كانت تفكر فيه). وأن تطل على الليلة فى بوينوس أيرس لتكرر من خلال الحجلة نفس صورة ما انتهيا إليه، أى المربع الأخير أى مركز الماندالا *la mandala*، والجودراسيل (شجرة العالم)^(٦) *Ygdrasil* القوية حيث يؤدي الطريق إلى شاطئ مفتوح لا تحده مسافات، أى إلى العالم الذى يستكن تحت الأهداب وإذا ما نظرت العيون إلى الداخل سوف تتعرف عليه وتسلم به.

(129-)

55

لكن ترافلر يَنمُّ، فيبعد محاولة أو محاولتين أخذ النوم يداعبه، وفي النهاية جلس في سريره وأشعلَ النور. لم تكن تاليتا هناك، إنها من النوع الذى يسير وهو نائم، إنها تلك الفراشة النحيفة كبيرة الأجنحة. تناول ترافلر كوبا من الكانيا وارتدى جاكته البيجامة. بدا ان الكرسي المصنوع من الخيزران أكثر رطوبة من السرير. وكانت الليلة طيبة تبعث على القراءة. ومن حين لآخر يسمع صوت خطوات فى الطرقة. فأطل ترافلر مرتين من خلال الباب المؤدى إلى جناح الإدارة. لم يكن هناك أحد حتى فى ذلك الجناح، فتاليتا لابد أنها ذهبت للعمل فى الصيدلية. شئ غريب تحمسها للانخراط مرة أخرى فى دائرة العلم والموازين الصغيرة والأدوية مضادات الحميات. جلس يقرأ بعض الوقت ويتناول بعض كؤوس الكانيا. وعلى أى الأحوال كان من الغريب ألا تكون تاليتا قد عادت من الصيدلية. وعندما عادت للظهور، وكأنها شبح مفزع، كانت زجاجة الكانيا قد أوشكت على الانتهاء وبالتالي لم يكن مهما فى نظر ترافلر أنه قد رآها أو لم يرها. تحدث بعض الوقت عن كثير من الأشياء، بينما تقوم تاليتا بنشر قميص داخلى حريمى، وبعض النظريات المختلفة - من تلك التى يقبل بها ترافلر وخاصة وهو فى مثل هذه الحالة. ويعد ذلك نامت تاليتا مستلقية على ظهرها لكن نومها كان غير هادئ يقطعه حركة مفاجئة لليدين وأنين. يحدث نفس الشئ دائما، فالنوم لا يداعب جفون ترافلر عندما لا تكون تاليتا هادئة، لكن يغالبه التعب فتستيقظ هى وتعود إلى وعيها تماما. ذلك لأنه كان يحتج أو يتحرك أثناء نومه. وهكذا يقضيان الليل وكأنها عملية صعود وهبوط. وحتى يزيد الطين بلة ظل النور مضاء، وكان الوصول إلى مفتاح النور أمرا معقداً وانتهى الأمر بأن استيقظ كلاهما. وعندئذ أطفأت تاليتا النور واحتضنت ترافلر بعض الشئ فقد كان يتصبب عرقا ويتقلب.

- قالت تاليتا :

- لقد رأى أوراشيو لاماجا هذه الليلة رآها فى الحوش منذ ساعتين، عندما كنت تقوم بالحراسة.

- قال ترافلر وهو يتمطى ويحاول البحث عن السجائر على طريقة برايل :

- أه، ثم عقب بعبارة غامضة استقاهها من آخر ما قرأ.

- قالت تاليتا وهى تزيد احتضانها لترافلر :

- كنت أنا لاماجا لست أدرى فيما إذا كنت قد أخذت بالك.

- نعم، أعتقد ذلك.

55

- كان لابد وأن يحدث ذات يوم، الأمر الذي أستغربه هو أنه شعر بمفاجأة ما بعدها مفاجأة لهذا اللبس.

تعرف أن أوراثيو يخلق المتاعب ثم ينظر إليها مثلما ينظر الكلاب الصغار إلى روثهم ويطيلون النظر إليه باستغراب شديد.

- قالت تاليتا :

- أعتقد أن ذلك حدث في نفس اليوم الذي ذهبنا لاستقباله في الميناء لا يمكن تفسير ذلك، لأنه لم ينظر إليّ، كما قمتم بطردى وكأننى كلب، وأنا أحمل اللقط تحت إبطى.

تفوه ترافلر بشئ غير واضح.

كان ترافلر يسمعها وهي تتحدث، وتشير، مثل باقى النساء، إلى الشؤم وحتمية الأمور التى لا مناص منها. كم كان يؤدّ لو أنها سكنت، لكن تاليتا كانت تصر على الكلام بإلحاح غريب، وتزيد من التصاقها به وتصرّ على مواصلة الكلام، بأن تتحدث عن نفسها وأن تحكى له، فانساق وراءها ترافلر.

- أول شئ هو مجئ العجوز صاحب الحمامة، وبعد ذلك نزلنا إلى البدروم، كان أوراثيو يتحدث طوال الوقت عن الهبوط وعن تلك الفجوات التى تقلقه. كان فاقد الأمل يا مانو، كان ما عليه من هدوء ظاهرى أمراً مخيفاً وأثناء ذلك ... نزلنا بالمصعد وذهب هو ليغلق باب واحدة من الثلاث، كان شبيئاً فظلياً.

- كان مختلفاً - قالت تاليتا - لم يكن الأمر مثل النزول، كنا نتحدث، لكننى شعرت وكأن أوراثيو أصبح فى مكان آخر، ويتحدث مع واحدة أخرى، مع امرأة غريبة على سبيل المثال، يخطر لى الآن ذلك ومع هذا لم يقل حتى ذلك الحين أن لاما جا غرقت فى النهر.

- قال ترافلر :

- لم تغرق فى أى شئ أقول هذا، ورغم ذلك أقبل بآننى ليست لدى أدنى فكرة، يكفى أن أعرف أورايثو،

- إنه يظن أنها ميتة يا مونو، وفى الوقت نفسه يشعر بأنها قريبة منه، وهذه الليلة كنت أنا هى، قال لى وكأنما يتحدث فى المركب وتحت كوبرى طريق/ سان مارتين ... إنه لا يقول ذلك وكأنما يتحدث عن هذيان كما لا يبغي من وراء ذلك أن يجعلك تصدق ما يقول إنه يقول ليس إلا، وهذا حقيقى. هناك شئ، فعندما أغلق باب الثلاثة

55

كنت خائفة - وقلت شيئاً لا أدري، فأخذ ينظر إليّ، وكانت النظرة موجهة إلى الأخرى. فأننا لست Zombie لأي أحد يا مانو، ولا أريد أن أكونه. مسح ترافلر على شعرها لكن تاليتا منعتة وقد فقدت صبرها. جلست في السرير وشعر بها وهي ترتعد. ترتعد وسط هذا الحر. قالت له إن أوراثيرو قبلها وحاولت شرح القبلية ولما لم تجد الكلمات المناسبة أخذت تلمس ترافلر في الظلام. سقطت يديها وكأنهما فرقتان على وجهه وعلى ذراعيه وانزلقتا على صدره واتكأتا على ركبتيه ومن خلال كل ذلك ولد شيء كأنه تفسير لم يكن بوسع ترافلر رفضه. إنه نوع من العدوى يأتي من بعيد، أي من مكان سحيق أو من أعلى مكان، أو من أي مكان آخر ليس هذه الليلة وهذه الحجرة، إنها عدوى من خلال تاليتا وهي عدوى تملك عليها ليها، إنها نوع التلغم وكأنه كلمات لا تترجم، إنه الشك في أن المرء كان أمام شيء يمكن أن يكون بمثابة بيان، لكن الصوت الذي أتى به كان واهنا. وعندما نطق بالبيان أخذ يتحدث بلغة غير مفهومة، ومع كل هذا فهو الشيء الوحيد الضروري الذي في متناول اليد، وهو الذي يطالب بمعرفته وقبوله وهو يصارع ضد حائط إسفنجي أو من الدخان والفلين، لا يمكن القبض عليه باليد مع أنه يقدم نفسه عريانا بين الذراعين لكنه كماء يجري وسط الدموع.

«إنها القشرة العقلية الصلبة» بلغ التفكير بترافلر إلى هذا الحد. كان يسمع، بطريقة غامضة شيئاً عن الخوف، وأوراثيرو، والمصعد، والحمامة، بدأ يصل إلى مسامعه رويدا رويدا نظام اتصال، أي أن المسكين التعس كان يخشى على نفسه من قيام ترافلر بقتله. إنه لأمر مضحك.

- هل قال لك ذلك بالفعل؟ من الصعب تصديق ذلك. أنك تعرفين مدى كبرياءه.

- قالت تاليتا وهي تأخذ منه السيجار وتأخذ نفسها عميقا بشراة كبطلات السينما:

- إنه شيء آخر أعتقد أن الخوف الذي يشعر به هو الملاذ الأخير، هو القضيب الذي تمسك به يده قبل أن يلقى بنفسه. يشعر بسعادة غامرة لشعوره بالخوف هذه الليلة. أعرف أنه سعيد.

- قال ترافلر وهو يتنفس راقداً :

- ذلك الأمر قد لا تفهمه كوكا. تأكدي من ذلك وعلى أن أكون شديد التفهم للمواقف هذه الليلة فالخوف السعيد هو خوف عسر البلع يا عجوزة.

انزلقت تاليتا بعض الشيء على السرير واستندت على ترافلر. كانت تعرف أنه عاد من جديد إلى الجانب الذي هي فيه وأنه لا يغرق وأنه أمسك بها على سطح المياه

55

كان هذا مؤسفاً في جوهر الأمر، لكنه أسف رائع. شعر كلاهما بالأسف في لحظة وانزلقا كل في اتجاه الآخر وكأنهما يسقطان داخل نفسيهما ، على الأرض المشتركة حيث الكلمات واللمسات والأفواه تتولى مهمة لفهما مثل محيط الدائرة. إنه هذا النوع من الاستعارات التي تهدئ الرّوع، إنه ذلك الحزن القديم الذي يشعر بالرضا لأنه عاد إلى ما كان عليه دوماً، واستمر وحافظ على نفسه طافيا يقاوم الرياح والمدّ ويقف ضد الاستتجاد والسقوط.

56

من أين أتت له هذه العادة المتمثلة في حفظه خيوطا في جيبيه وجمع خيوط ملونة ووضعتها بين صفحات الكتب وصنَّع نماذج مختلفة من كل هذه الأشياء ومن صمغ الكثيراء. وبينما كان ضعف تلك الخيوط يجعله يشعر بسعادة بغية، وأقر بأن ذلك ممكن، من يدرى. لكن الشيء الوحيد المؤكد هو أن الفتل والخيوط تدخلان عليه السعادة، وأن لا شيء أكثر إفادة من قيامه على سبيل المثال بصياغة هيكل له اثنا عشر مسطحا dodecaedro ضخما الحجم وشغافا، وهذه مهمة معقدة وتستغرق ساعات طويلة وبعد ذلك يقوم المرء بإشعال عود كبريت ويرى كيف أن لها صغيرا يروح ويغدو بينما تفرك جيكرتين يديها وتقول إنه لأمر مخجل إحراق شيء جميل. كان من الصعب إفهامها أنه كلما كان الهيكل هشاً وقابلاً للتفكك، كان من السهل فكه وتركيبه. كان الخيط في نظر أوليفيرا المادة الوحيدة التي يقبلها ليقوم بصنع مخترعاته، ولم يستعمل السلك إلا قليلا عندما يعثر على قطعة منه في الشارع أو على شيء من هذا القبيل. يروق له أن يتضمن كل عمل له أكبر مساحة من الفراغ الداخلي وأن يدخل الهواء ويخرج، وخاصة خروج الهواء، أشياء شبيهة بذلك كانت تحدث له مع الكتب والنساء والواجبات، لم يكن مقصده أن تدرك جيكرتين أو رئيس الكرادلة هذه الأمور.

بدأت عملية لف الخيط الأسود على مطرقة الباب بعد ذلك بساعتين؛ إذ قام أوليفيرا قبل ذلك بإعداد بضعة أشياء في القطعة التي يقوم بصنعها، وفي أشياء أخرى. كانت فكرة طشت الغسيل فكرة كلاسيكية ولم يشعر بأى فخر في الانسياق وراءها، إلا أن وجود طشت غسيل ملئ بالمياه وموضوع على الأرض يمثل مجموعة من القيم الدفاعية شديدة الرقة: إنها ماركة Fanacal أو Tonsa في الماء وكذلك الشراب الحريمى، ثم تخرج المياه من كل مكان بينما القدم يتأرجح داخل الشراب والشراب داخل الحذاء كأنه فأر يغرق، أو أحد الناس المساكين الذين يلقي بهم السلاطين في البسفور في شنطة تمت خياطتها (بالفتلة طبعاً). ها هي الأمور تتلاقى من جديد وبالتالي كان من المسلى أن التقى الطشت الملئ بالمياه والخيوط من خلال نهاية التسلسل العقلى، وليس من البداية. وهناك تصوّر أوراثيو أن مسار التسلسل العقلى ليس من الضروري أن (أ) يسير في إطار الزمن الفعلى أى قبل وبعد، (ب) وربما تم التسلسل العقلى ونحن غير واعين وانتقلت السلسلة من مفهوم الفتلة إلى الطشت ... وعموما فإنه لا يكاد يقوم بتحليل بسيط للأمر إلا ويساوره شك فى الجبرية. وأفضل شيء هو التحصن دون أن يولى اهتماما للأسباب أو الميول. وعلى أى الأحوال ما هى نقطة البدء أو الطشت؟

56

إذا ما كان الأمر يتعلق بالتنفيذ فهو الطشت، لكن تم اتخاذ قرار بشأن القتل قبل ذلك. لم يكن الأمر يستحق وخاصة عندما تكون الحياة معرضة للخطر. كان الحصول على مجموعة الطشوت أكثر أهمية. استغرق النصف ساعة الأولى في الاكتشاف الحذر للدور الثاني، وجزء من الدور الأرضي، حيث عاد منه وهو يحمل خمسة طشوت من الحجم المتوسط، ثلاثة مخصصة لليصق، وعلية فارغة، من معلبات حلويات البطاطا، وكل ذلك تحت الاسم العام الطشت. كان المريض رقم 18 مستيقظا وأصر على مرافقة أوليفيرا، الذي قبل العرض في النهاية، لكنه عازم على مبادئه عندما تصل الدفاعات إلى درجة معينة وبالنسبة للخيوط كان رقم 18 مفيدا فلم يكذب بل يغفه بشئ عن الضرورات الاستراتيجية، أغمض، بعض الشئ، عينيه الخضراوين اللتين تشعان جمالا خبيثا وقال إن المريضة رقم 6 لديها أدراجا مليئة بالخيوط الملونة. والمشكلة الوحيدة تكمن في أنها تقيم في الدور الأرضي، في جناح ريمورنيو. وإذا ما استيقظ هذا الأخير سوف تكون هناك مشكلة كبيرة. كما أن رقم 18 أصر على أن رقم 6 مجنونة وهذا ما يعقد محاولة الدخول إلى حجرتها. أغمض بعض الشئ عينيه الخضراوين اللتين تشعان جمالا خبيثا واقترح على أوليفيرا أن يظل على قيامه بالحراسة في الطرقة بينما يقوم هو بخلع حذائه، ويقوم بسرقة الخيوط. لكن الفكرة بدت لأوليفيرا مبالغاً فيها وتجاوز للحدود واختار أن يتولى هو مسئولية دخوله حجرة المريضة رقم 6 في هذه الساعة من الليل. كان مسلحاً للغاية التفكير في المسئولية بينما يقوم بغزو حجرة فتاة تغط في نومها وقد استلقت على ظهرها معرضة نفسها لكل المخاطر وقد امتلأت جيوبها ويديها بكرات الخيوط الملونة والقتل. ألقى أوليفيرا نظرة عليها للحظة وبعد ذلك هز كتفيه حتى يبعد عن نفسه قليلا شبح المسئولية. وبالنسبة للمريض رقم 18 الذي كان ينتظر في حجرته وهو يتأمل الطشوت الموضوعة على السرير فقد بدا له أن أوليفيرا لم يستطع أن يحصل على القدر الكافي من القتل، أغمض بعض الشئ عينيه الخضراوين اللتين تشعان جمالا خبيثا، تصور أنه لكي تكتمل فعالية خطوات إعداد الدفاعات هناك حاجة إلى كمية مناسبة من الرومان بلي و Heftpistale بدت فكرة الرومان بلي طيبة في نظر أوليفيرا رغم أنه لم يتوفر لديه فكرة واضحة عن ماهيتها لكنه رفض فكرة Heftpistale من حيث المبدأ. فتح رقم 18 عينيه الخضراوين اللتين تشعان جمالا خبيثا وقال إن الـ Heftpistale ليس هو ما يفكر فيه الدكتور (كان يقول كلمة «دكتور» بالابقاء المناسب حتى يدرك من يسمع ذلك أن القصد هو السخرية) إلا

56

أنه، وقد رفض الفكرة، سيحاول الحصول على الرولمان بلى. تركه أوليفيرا يذهب على أمل أن يعود فهو في حاجة إلى الجلوس مع نفسه - سوف يستيقظ ريمورينو في الثانية صباحا ليحل محلّه، وكان لابد من التفكير في شيء. فإذا لم يجده ريمورينو في الطريقة سوف يذهب للبحث عنه في حجرته وهذا لا يليق، إلا إذا كان الهدف هو إجراء أول تجربة على الدفاعات التي أهداها على شاطئه. رفض الفكرة لأن الدفاعات تم تصميمها على أساس نوعية معينة من الهجوم، كما أن ريمورينو سوف يدخل من منظور مختلف تماما، ها هو الآن يشعر بأن الخوف تزداد وطاقته عليه (وعندما يزداد شعوره بالخوف ينظر إلى ساعة معصمه، ويزداد الخوف بتقدم الوقت) أخذ يدخل ويدرس الامكانيات الدفاعية للحجرة. وفي الثانية إلا عشر دقائق ذهب بنفسه ليوفظ ريمورينو. أعطاه تقريرا يعتبر جوهرة فهناك تعديل خفى في كشوف درجات الحرارة، ومواقيت تناول المهدئات وأعراض التسمم وأتوية الهضم للمرضى في الدور الأول بحيث يقضى ريمورينو معظم وقت عمله معهم بينما المرضى في الدور الثاني مستقرقون في النوم طبقا للتقرير، وما هم في حاجة إليه هو ألا يقض أحد مضجعهم أثناء الليل. أبدى ريمورينو اهتماما بمعرفة (دون رغبة شديدة) ما إذا كان هذا الاهتمام الزائد ببعض وإهمال البعض الآخر هو بناء على تعليمات الدكتور أوبيخيرو، فكان ردّ أوليفيرا عليه بكلمة نعم، بنعمة فيها نفاق يتسق مع الموقف. وبعد ذلك ذهب كل لحاله في جو ودئ، وصعد ريمورينو دورا بينما يتشاب أخذ أوليفيرا يصعد دورين اثنين وهو يرتعد. لكنه لن يقبل أبدا مساعدة Heftipistale، والشكر له أنه وافق على الرولمان بلى.

حظى بلحظة هوء لأن رقم 18 لم يأت بعد وكان لابد من البدء في ملء الطشوت والمبصق وتجهيزها كخط دفاع أول، أى أنها خلف أول ساتر من الخيوط. (فهو خط لازال نظريا رغم أن الخطة محكمة. وأخذ يتمرن على إمكانيات التقدم والسقوط المتوقع للخط الأول واستحكام الخط الثانى. وبين طشتين من المياة ملأ الحوض بالماء البارد ووضع وجهه ويديه وبلل رقبته وشعره. وأخذ يدخل طوال الوقت، لكن لا يكاد يدخل نصف السيجارة حتى يلقى بها من النافذة ثم يشعل أخرى. كانت أعقاب السجائر تسقط فوق الحجلة، وفكر أوليفيرا أنه من المسلى أن تشع كل جنوة بعض الشيء على واحد من المربّات. فى مثل هذه الساعة خطر له أن يشكل نفسه بأفكار بعيدة عن الموضوع مثل ألا يقوم «الفتى الوسيم» بانفاق الأموال سدى، وأن تنوم ثروته إلى غير ذلك، كما كانت تسقط فوقه مرق من مادة عقلية هى شيء وسط بين المفهوم والشعور،

56

فإن أكبر خطأ ارتكبه - على سبيل المثال - هو التحصّن، وربما كان الشئ الوحيد غير الرصين، لكنه تجربة قد تكون ناجحة، تتمثل في الهجوم وليس الدفاع، وفرض الحصار بدلا من الوقوف هناك، يرتعد ويدخن في انتظار عودة رقم 18 ومعه الرومان بلى، لكن استمر ذلك قليلا مثل السجائر، وأخذت يديه ترتعشان وهو يعرف أنه لم يتبق أمامه إلا ذلك، وفجأة تطفّر على ذهنه ذكرى أخرى مثل الأمل، أو أن أحدا يقول بأن ساعات النوم والسهاد لم تنصهرا في الواحدة، وبعد ذلك تأتي الابتسامة التي يستمتع إليها وكأنها ليست ابتسامته، ولعثة يظهر من خلالها - ولكن بطريقة معقدة - أن هذه الوحدة كانت شديدة البعد، وأن النوم لا يعد لها في السهاد والعكس صحيح. إن عملية الهجوم على ترافلر، تعتبر أحسن وسيلة للدفاع. هذه إمكانية لكن ذلك يعنى قيامه بالهجوم على شئ، يشعر به أنه كتلة سوداء. وأرض كان الناس ينامون فوقها، ولا يوجد أحد يتوقع أى هجوم عليه في مثل هذه الساعة من الليل، ولأسباب غير قائمة لمفهوم الكتلة السوداء، وبينما كان يشعر بالأمر على هذا النحو، لم يسعد أوليفيرا برؤية الأمر على أساس الكتلة السوداء، وأن الشعور كان بمثابة كتلة سوداء. والسبب في ذلك ليس الأرض التي ينام عليها ترافلر. لذلك كان من الأفضل البعد عن مصطلحات شديدة القتامة مثل الكتلة السوداء. وأن يطلق عليها الأرض. فالمرء ينتهى به الأمر دائما للاستجابة لمشاعره، ويمكن القول أن الأرضى تبدأ عند باب حجرته، ومن غير المنصوح به الهجوم على الأرضى، حيث أصبحت أسباب الهجوم معروفة، أو أن هناك إمكانية لتخمينها من جانب الأرضى. أما إذا تحصّن في حجرته وجاء ترافلر للهجوم عليه، فلا أحد يمكنه القول بأن ترافلر كان يجهل ما كان يقوم به، كما أن الذى تعرض للهجوم على دراية بالأمر وقد اتخذ تدابير احتياطياته والرومان بلى، أيا كانت طبيعة هذه الأدوات الأخيرة.

يمكن الاستفادة من الوقت بالبقاء في النافذة والتدخين ودراسة مواقع الطشوت المملوءة بالمياه والخيوط ويفكر في الوحدة الجيدة الإعداد لمواجهة الأرضى الخارجة عن نطاق الحجرة. كان ترافلر سيتألم يوما لعدم تمكنه من تكوين مفهوم عن هذه الوحدة التى أطلق عليها في بعض الأحيان المركز. وأنه لعدم وجود إطار محدد تنحصر في شكل صور مثل صورة الصرخة السوداء والكيبوتز الخاص بالرغبة (الذى ابتعد، إنه كيبوتز الفجر والنبيذ الأحمر) بما في ذلك حياة جديرة بهذا الاسم (شعر بذلك وهو يلقى بعقب السجارة على المربع رقم 5 في الحجلة) وإلا لكان غير سعيد بالمدة عندما

56

يتصور إمكانية وجود حياة أفضل بعد القيام بأعمال لا تليق، ونفذها بحذافيرها. لا يمكن التفكير في شيء من ذلك، غير أنه ترك نفسه ينساق وراء الشعور بتقلصات المعدة والأراضي، والتنفس بعمق أو بتشنج، والعرق يسكر راحة اليد، واشعال السيجارة وضغط الأحشاء والعطش والصرخات الصامتة التي تنفجر في الحجرة كأنها كتل سوداء (دائما ما كانت هناك كتلة سوداء في تلك اللعبة)، والرغبة في النوم، والخوف من النوم، والشغف، وصورة حماسة كانت بيضاء، وخرق ملونة في عمق ما كان يمكن أن يكون مرحلة انتقالية، ونجم الشعري في العلا، وخيمة ثم كفى، تشي كفى من فضلك. لكن كان من الجيد الشعور العميق بالوجود هناك لبعض الوقت الغير القابل للقياس، دون التفكير في شيء. اللهم إلا أن يكون ذلك الذي كان هناك وهو يحمل كماشة رشقتها في المعدة. ذلك ضد الأرض، والسهاد ضد النوم. لكن يمكن القول: كان السهاد ضد النوم بمثابة العودة للدخول في الجدلية، والتأكد من جديد أنه لا يوجد أي أمل في الوحدة. وعلى ذلك فإن وصول رقم 18 وهو يحمل الرولمان بلى، كان بمثابة ذريعة رائعة لاستئناف التجهيزات الدفاعية في الساعة الثالثة وعشرين دقيقة بالضبط تقريبا.

أغمض رقم 18 عينيه الخضراوين اللتين تشعان جمالا خبيثا، بعض الشيء؛ وقك فوطه جلب فيها الرولمان بلى، وقال بأنه تلمص على ريمورينو، وأن هذا الحيز كان مشغولا مع كل من رقم 31 ورقم 7 والمريضة رقم 45 وأنه لا يكاد يفكر في الصعود إلى الدور الثاني. وأغلب الظن أن المرضى قاوموا وعبروا عن سخطهم للمستجدات الخاصة بالعيادة، والتي يحاول ريمورينو تطبيقها عليهم، كما أن توزيع الجيوب أو الحقن سوف يستغرق وقتا معقولا. بدا من الجيد عدم تضيق الوقت، وبعد أن قال لرقم 18 أن يجهز الرولمان بلى بالشكل المناسب أخذ يتدرب على فعالية الطشتات المليئة بالماء ولذلك ذهب إلى الطرق وقد تغلب على خوفه وأصبح تحت الضوء البنفسجي ثم عاد للدخول وهو مغمض العينين وقد تصور أنه ترافلر وأخذ يحرك قدميه نحو الخارج كما يفعل ترافلر. وعند الخطوة الثانية (رغم أنه كان يعرف) وضع قدمه اليسرى في أحد الطشتات المخصصة لللبصق والمليئة بالمياة. وعندما أخرج رجله فجأة، طار الطشت في الهواء ثم سقط لحسن الحظ على السرير ولم يحدث أي جلبة. عندئذ نهض فجأة رقم 18 الذي كان يقوم بتوزيع الرولمان بلى تحت المكتب وأغمض بعض الشيء عينيه الخضراوين اللتين تشعان جمالا خبيثا ونصح بالإكثار من الرولمان بلى بين خطي

56

الدفاع المكونين من الطشوت. وذلك بغية إكمال فكره المياه الباردة، والمفاجأة الناجمة عنها بإمكانية ترحل العذراء، ولم يتفوه أوليفيرا بشئ لكنه تركه يفعل ما يقول، وعندما وضع الطشت من جديد فى مكانه، وأخذ يلف فتلة سوداء على مطرقة الباب، وقام بمد هذه الفتلة حتى المكتب وربطها بظهر الكرسي. ثم وضع الكرسي على رجلين وقد أماله على المكتب بحيث عندما يفتح الباب يعود الكرسي إلى مكانه ويسقط على الأرض. خرج رقم 18 إلى الطرقة لاجراء التجربة وأمسك أوليفيرا بالكرسي للحيلولة دون وقوع أى جلبة. أخذ يضيق بالتواجد الودئ لرقم 18 الذى يقوم بين الحين والآخر باغماض عينيه الخضرواين اللتين يشع منهما جمال خبيث - بعض الشئ - والذى كان يريد أن يسرد عليه حكاية دخول العيادة. كان يكفى أن يضع أصبعه على فمه حتى يصمت، ويشعر بالخجل ويبقى مستندا على الحائط لمدة خمس دقائق. لكن أوليفيرا أعطاه عددا من السجائر وطلب منه أن يعود دون أن يراه ريمورينو.

- قال رقم 18 :

- أنا سأبقى مع سيادتك يا دكتور .

- لا بل اذهب. سوف أجيء الدفاع.

- سوف تكون فى حاجة إلى Heftpistole. وقد قلت لك هذا. ضع خطاطيف فى كل مكان وهذا أفضل لربط وشد الخيوط.

- قال أوليفيرا :

- سوف أحسن من هندامى أيها العجوز اذهب لتنام. وأنا شاكر لك كل ما فعلت.

- حسن يا دكتور، ليكن كل شئ على ما يرام.

- شاو، نوما هادئا.

- تأكد من الرولمان بلى حتى تؤدي عملها جيدا. اتركها فى مكانها وسوف ترى.

- موافق

- إذا ما كنت تريد الـ Heftpistale عليك إبلاغى؛ فرقم 16 عنده.

- شكرا، مع السلامة.

انتهى أوليفيرا من وضع الخيوط فى الثالثة والنصف. وقد حمل رقم 18 الكلمات معه أو على الأقل ما يمكن أن يكون متمثلا فى تبادل النظرات بين الاثنين، أو إعطاء الآخر سيجارة، أصبحت الحجرة شبه مظلمة فقد غطى لبة المكتب بالبلوفر الأخضر الذى أخذ يشيط شيئا فشيئا. كان غريبا القيام بدور العنكبوت، بمد الخيوط من مكان

56

إلى آخر، من السرير إلى الباب ومن الحوض إلى الدولاب. وفي كل مرة يمد حوالى خمسة خيوط أو ستة، ويتلوى بحذر وعناية وذلك حتى لا يطرأ الرومان بلى. وفي النهاية سوف يكون محاصرا بين النافذة وجانب من المكتب (الذى يشغل ثمن الحائط من الناحية اليمنى) والسرير (الموضوع إلى جوار الحائط الأيسر). وفي النهاية الفاصلة بين الباب والخط الأخير ثم نشر الخيوط التحذيرية (من مقبض الباب حتى الكرسي الموضوع بشكل مائل. ومن مقبض الباب إلى طفاية تحمل دعاية فاتح الشهية الكحولى «مارتينى» على حافة الحوض. ومن مقبض الباب فى اتجاه أحد أنراج الدولاب الملىء بالكتب والأوراق ممسكا بالحافة). أما الطشوت المليئة بالماء فقد وضعت فى خطين دفاعيين غير منتظمين لكنها تبدأ عامة من الحائط الأيسر إلى الحائط الأيمن، أى ابتداء من الحوض حتى الدولاب. هذا بالنسبة للخط الأول. ومن أرجل السرير حتى أرجل المكتب فيما يتعلق الخط الثانى. ولم يكد يتبقى إلا مترا واحدا خاليا بين الصف الأخير للطشوت الذى مدت فوقه خيوط كثيرة، وبين الحائط الذى توجد فيه النافذة المطلة على الحوض (الواقع أسفل هذا الارتفاع بدورين). جلس أوليفيرا على حافة السرير وأشعل سيجارة أخرى وأخذ يتطلع من النافذة. وفي لحظة معينة نزع قميصه ووضعه تحت المكتب. ها هو الآن لا يستطيع أن يشرب رغم ما قد يشعر به من عطش. ظل على هذا الحال مرْتديا القانلة يُدَحِّن ويتطلع من خلال النافذة لكن اهتمامه مركز فى الأساس على الباب رغم أنه قد يتلهى بين الحين والآخر عندما يلقى بعقب السيجارة على الحجلة. لم يكن الوضع الذى عليه سيئا للغاية رغم أن حافة المكتب صلبة، كما أن رائحة الشياطين تُشعر بالتقزز. انتهى به الأمر إلى إطفاء اللبنة، ورويدا رويدا، رأى خطأ بنفسجيا يرتسم على حافة الباب، أى أنه عندما يصل ترافلر إلى الباب فإن الشبشب الذى ينتعله سوف يقطع الخط البنفسجى إلى قسمين وهذه سوف تكون إشارة غير إرادية إلى بدء الهجوم. وعندما يفتح ترافلر الباب سوف تحدث عدة أشياء، ويمكن أن تحدث أشياء أخرى كثيرة. فقول هذه الأحداث ميكانيكية ومؤثرة تأثيرا سيئا وذلك فى إطار العلاقة البلهاء بين السبب والمسبب، من الكرسي إلى الخيط ومن مقبض الباب إلى اليد ومن اليد إلى الإرادة ومن الإرادة إلى ... ومن هناك يتم الانتقال إلى الأشياء الأخرى التى قد تقع أولا تقع، وذلك طبقا لدرجة ارتطام الكرسي بالأرض وتحطم طفاية السجائر إلى خمس أو ست قطع وسقوط الدرج من

56

الدولاب، وكل ذلك سوف يكون له انعكاسه بدرجة ما على ترافلر، وحتى على أوليفيرا نفسه الذى يقوم الآن باشعال سيجارة جديدة مستخدما عقب السيجارة التى انتهى من تدخينها، ثم يلقى العقب بحيث يسقط فى المربع التاسع لكنه يراه يسقط فى المربع الثامن ثم ينتقل إلى السابع. وقد حانت الآن ساعة مساءته لنفسه ما الذى سيفعله عندما يفتح الباب ويُقضى على نصف ما فى حجرة النوم. كما سيسمع تعجب ترافلر بصوت مكتوم، هذا فيما إذا كان تعجبا وماذا إذا كان مكتوما. لقد كان أحمق عندما رفض الفكرة Heftpistale فآلمبة ليس لها وزن كبير، كما أن الكرسي موجود فى الركن، وبالتالي لا تتوفر لديه أية وسائل دفاعية أخرى، فلن تجدى آلمبة ولن يجدى الكرسي نفعا كبيرا إذا ما استطاع ترافلر تجاوز خطى الدفاع المتمثلين فى الطشوت المائية مركزة على ذلك، فأسلحة الدفاع لن تكون على نفس شاكلة أسلحة الهجوم. فالخيوط - على سبيل المثال - سوف تحدث لدى ترافلر إحساسا بالربع عندما يتقدم فى الظلام ويشعر بها تتزايد وكأنها مقاومة دقيقة لوجهه وزراعيه وساقيه. وسوف يتولد لديه الإحساس بالفتيان الذى يتولد عند الإنسان عندما يجد نفسه ملفوفا فى خيوط العنكبوت. وعلى افتراض أنه سيمزق كل الخيوط فى قفزتين، وعلى افتراض أنه لن يضع حذاءه فى طشت مائى ولن يتزحلق على الرولمان فإنه سوف يصل فى النهاية إلى الجزء الذى توجد فيه النافذة وسوف يتعرف فى الظلام على الهيكل الجامد فى مكانه على حافة المكتب. الاحتمال كبير فى وصوله إلى هذا المكان، وعندما يحدث ذلك فلن يجدى الـ Heftpistale نفعا، وليس ذلك لأن رقم 18 مختلفا تماما، هو نفسه غير قادر على تصوّره لكنه يعرفه تماما وكأنه يراه أو يعيشه، إنه نوع من تزحلق الكتلة السوداء التى تأتى من الخارج لتدخل ضد ذلك الذى يعرفه دون أن يدري، إنه نوع من اللالقاء الذى لا يوصف بين الكتلة السوداء ترافلر وذلك الذى هناك يجلس على حافة المكتب مدخن سيجارة. إنه نوع من السهاد المضاد للنوم (إنها ساعات النوم والسهاد كما قال ذلك يوما ما. واللاتى لم تدخلن فى إطار الوحدة) لكن معنى قول السهاد ضد النوم فهذا هو السماح بأنه لن يكون هناك أمل على الإطلاق، فى وجود وحدة. ويمكن أيضا أن يكون مجئ ترافلر بمثابة الوصول إلى أقصى نقطة حيث يتم من جديد محاولة القفز من الواحد إلى الآخر، ومن الآخر للواحد. إلا أن تلك القفزة ستكون مغايرة للصدمة. كان أوليفيرا متأكدا أن أرض ترافلر لن تصل إليه رغم أنه قد يسقط فوقه ويضربه وينتزع فأنلته ممزقا إياها ويبصق فى عينيه وفى فمه ويلوى زراعيه ويلقى به من

56

النافذة وإذا ما كانت Heftpistole غير قادرة على مواجهة الأرض، نطبق لرقم 18 فهي ليست إلا حزاماً أو شيئاً من هذا القبيل، فما الجدوى إذن من أن يكون هناك سكين ترافلر أو كمنه ترافلر، يالها من أدوات Heftpistole غير ملائمة لانقاذ المسافة الفاصلة بين جسد وجسد حيث يبدأ جسد في رفض الآخر، في رفض الواحد؟ وإذا ما كان ترافلر قادراً على قتله فعلاً (لسبب ما كان فمه جافاً وتتصب راحة يده عرقاً بشكل مقزز) فكل شيء يدفعه لرفض هذه الامكانية حيث أن هذه الخاطرة إن تكون مؤكدة إلا في حالة وجود سفاح. ومن الأفضل الإحساس بأن السفاح لم يكن سفاحاً. وأن الأراضي لم تكن أرضاً. وأن يتم تصور صغر وقلة حجم الأرض وذلك حتى يتمخض هذه الموسيقى والطفاية المكسورة على أرض الحجر ضجيجاً ونتائج عديمة القيمة.

أما في حالة الثبات (بالصراع ضد الخوف) في وضع الاستغراب الكامل فيما يتعلق بالأرض فإن الدفاع هو خير وسائل الهجوم. وأفضل طعنة يمكن أن تتولد عن النصل وليس من السكين. لكن ما الذي نجنيه من وراء الاستعارات في هذه الساعة من الليل. رغم أن الشيء العقلاني الوحيد هو استمرار اللاعقلانية في مراقبة الخط الموجود على حافة الباب، أي هذا الخط الترمومتري للأرض.

وفي الرابعة إلا عشر دقائق اعتدل أوليفيرا وهن كتفيه ليفيق وذهب ليجلس على حافة النافذة كانت تروق له فكرة أن يكون به مس من الجنون هذه الليلة وبذلك يكون القضاء على أرض ترافلر قضاء مبرماً. إنه حل لا يتفق مع غطرسته ونيته في مقاومة أي صيغة من صيغ الاستسلام، وعلى أي الأحوال فإن تصور السيد فيراجوتو وهو يسجل اسمه في دفتر السجلات الخاصة بالمرض، ويعطيه رقماً على الباب، وعينا سحرية للتجسس عليه ليلاً.... ويتصور تاليتا وهي تعد له جرعات في الصيدلية وتمر من الحوش بثؤدة حتى لا تلمأ أقدامها الجلجلة، لكنها لن تعود لتطأها أبداً. ولا يتحدث عن مانو المسكين الذي فقد رباطة جأشه بما ارتكبه من حماقة ومحاولته اللامعقولة. أدار ظهره للحائط وانكأ بظهره على حافة النافذة بشكل يعرضه للخطر فأحس كل مرة يتنفس فيها تدخله سعادة لا يستطيع التعبير عنها بالكلمات، والتي ليس لها علاقة بالأرض. كانت السعادة هي ذلك بالتحديد، الإحساس بكيفية تنازل الأرض. لم يكن يهم مدى الاستمرارية فمع كل شهيق يدخل الهواء الساخن للعالم في مصالحة معه كما حدث له أكثر من مرة في حياته. كما أنه لم يكن في حاجة إلى التدخين. استطاع أن يكون في سلام مع نفسه لعدة دقائق، وهذا يساوي القضاء على الأرض والانتصار

56

بدون معركة والرغبة في النوم مستيقظا، أى فى هذه النقطة الفاصلة التى يختلط فيها السهاد والنوم ويكتشف أن ليس هناك فارق بينهما، لكن ذلك كان سيئا بالطبع، ومن الطبيعى أن يتوقف كل ذلك بسبب التدخل المفاجئ للقاعات السوداء الواقعة على مسافة متوسطة من خط الضوء البنفسجى، ووجود خريشة متصلة على الباب «لقد جلبت ذلك لنفسك» فكر أوليفيرا وأخذ ينزلق حتى التصق بالكتب «الحقيقة أنه لو كنت قد مكثت لحظات أخرى، لكنت قد سقطت على أم رأسى فى الحجلة. هيا ادخل يا مانو. فإما أنك لاتوجد أو لا أوجد أنا أو أن كيلنا يتسم بالبلاهة بإيماننا بذلك وقيامنا بقتل بعضنا البعض يا أختى. إنها هزيمتك هذه المرة ولا شئ غير ذلك»

- ادخل - كرر ذلك بصوت مرتفع لكن الباب لم يفتح. استمرت الخريشة الواهنة على الباب؛ ربما كان نوعا من التوافق المحض فبالى جانب النافورة كان هناك أحد ربما كانت امرأة تدير ظهرها له شعرها طويل وبداها مسترخيتان، كما أنها مستغرقة فى تأمل المياه التى تخرج من النافورة. يستوى الأمر فى مثل هذه الساعة أن تكون المرأة لاماجا أو تاليتا، أو أى واحدة من المريضات فى هذه العيادة بما فى ذلك بولا. لم يحل أى شئ لينظر إلى المرأة التى تدير له ظهرها، فإذا ما قرر ترافلر دخول المكان فإن الدفاعات سوف تقوم بعملها بطريقة أتوماتيكية. وسوف يتوفر لديه الوقت ليباعد نفسه عن تأمل ما يجرى فى الحوش ويواجهه. كان من الغريب أن يواصل ترافلر الخريشة على الباب ليتأكد فيما إذا كان نائما (لا يمكن أن تكون بولا لأن رقبة بولا أكثر قصرا كما أن أفخاذها أكثر امتلاء) أو أنه هو الآخر قد أعد عدته للهجوم (يمكن أن تكون لاماجا أو تاليتا فهما شديدا الشبه، وخاصة فى الظلام، ومن الدور الثانى) الذى يهدف من ورائه إخراجها من - المربعات - الخاصة - به (من المربع الأول حتى الثامن على الأقل) ولن يصل بالتالى إلى السماء ولن يدخل أبدا الكمبيوتر «ما الذى تنتظره يا مانو» فكر أوليفيرا «ما جدوى على هذا بالنسبة لنا» كانت تاليتا فيها هى الآن تنظر إلى أعلى وتظل ساكنة عندما أخرج ذراعه العريان من النافذة وحركه بشكل يتضح منه الارهاق.

- قال أوليفيرا :

- تعالى يا ماجا أنت من هنا شديدة الشبه لدرجة يمكن معها تغيير اسمك.

- طلبت تاليتا :

- أغلق هذه النافذة يا أوراثيريو .

56

- مستحيل فالجو حار كما أن زوجك هناك يحدث خربشة مخيفة على الباب وهذا ما يسمونه بمجموعة من الظروف الساخطة، لكن لا تقلقى عليك أن تأخذى حجرا وتحاولين من جديد ومن يقول لك إنها واحدة

سقط الدرج والكرسى والطفاية دفعة واحدة على الأرض. انحنى أوليفيرا بعض الشيء فرأى أن المستطيل البنفسجى الذى أمام الباب قد أعتَم وأن البقعة السوداء أخذت تتقدم، وسمع ترافلز وهو يصب اللعنات، لابد وأن الجلبة قد أسهمت فى إيقاظ عدد كبير من الناس.

- قال ترافلز وهو ثابت بلا حراك على الباب :

- إنك إنسان تعس هل تريد أن يفصلنا المدير جميعا؟

- قال أوليفيرا لتاليتا :

- إنه يلقى على خطبة وعظلة كان بمثابة الأب بالنسبة لى.

- قالت تاليتا :

- أغلق النافذة من فضلك .

- النافذة المفتوحة هى الأمر الأكثر ضرورة - قال ضرورة - قال أوليفيرا - اسمعى

زوجك من الملاحظ أنه تقدم خطوة فى المياة ومن المؤكد أن وجهه قد امتلأ بالخيوط ولا يدرى ماذا يفعل.

- ملعونة هى أمك - قال ترافلز وهو يحرك يديه فى الظلام وأخذ يأخذ الخيوط من

كل مكان - أشعل النور،

- ابلغ أوليفيرا :

- لم يسقط على الأرض حتى الآن لم يفلح الرولمان.

- لا تطل بهذه الطريقة!

- صاحبت تاليتا وهى ترفع ذراعها، أدار أوليفيرا ظهره للنافذة وأخذ يحرك رأسه ليراها

ويتحدث معها وأخذ يميل رويدا رويدا إلى الخلف. خرجت كوكا فيركاجوتو مهرولة إلى الحوش وعندئذ أدرك أوليفيرا أن الليل قد مضى، فلَوَّن جلباب كوكا يحمل نفس لون حجارة الحوش ولون حوائط الصيدلية، وهما نفسه لإلقاء نظرة على جبهة القتال فى الظلام وأدرك أنه رغم العيوب فى دفاعاته فإن ترافلز اختار إغلاق الباب وأخذ يصب اللعنات وسط الجلبة التى تحدثها المتاريس.

- قال أوليفيرا :

- هذا أفضل، تشى، وحدنا على الحلبة كرجلين.

56

- قال ترافلر بحنق شديد :
- عليك اللعنة لقد ابتل الشبشب وهذا أكبر شيء يثير قرفى فى هذه الدنيا. أشعل النور على الأقل فأنا لا أرى شيئا.
- قال أوليفيرا :
- إنها مفاجأة منطقية كانشارايادا^(١) Canche Rayade أو شيء من هذا القبيل وسوف تدرك أنني لن أضحي بالمزايا التى وصلت إليها. وفُضِّلْ منى هو الرد عليك فليس من واجبى أن أفعل هذا معك. أنا أيضا ذاهب إلى التيروالغيدراالى Tiro Federal يا أختى.
- سمع ترافلر وهو يتنفس بصعوبة، كانت الأبواب تفتح وتغلق بقوة فى الطرقة. كان يسمع صوت فيرجوتا مختلطا بالأسئلة والإجابات القادمة من هنا وهناك. أصبحت بنية ترافلر ترى بوضوح أكثر. فكل شيء له عدد معين وموضوع فى مكانه، هناك خمسة طشوش وثلاث أوانٍ للصباق وعشرات من الزولمان بلى، يمكن أن يريا بعضهما فى هذا الضوء الذى يشبه لون الصمامة التى توجد على كف المجنون.
- قال ترافلر وهو يرفع الكرسي الذى وقع ويجلس دون مزاجية :
- وأخيرا آه لو تستطيع أن تشرح لى شيئا من كل هذا.
- سوف يكون من الصعب الحديث، أنت تعرف ...
- قال ترافلر بغيظ :
- إنك تبحث عن اللحظات العجيبة لتتحدث فيها فعندما ما لانكون فوق الألواح والجو حار جدا لدرجة تصل إلى 45 فى الظل، تجعل رجلى تخوض فى المياه وأصطدم بهذه الخيوط القذرة.
- قال أوليفيرا :
- هذا فى مواقف متوازية تماما وكأننا توأمان يلعبان الأرجوحة على الصعود والهبوط، أو ببساطة أكثر كأن الواحد يقف أمام المرأة، ألم يسترع انتباهك الدوبليير ?doppelganger
- لم يجب ترافلر وأخرج سيجارة من جيب البيجامة وأشعلها. وكذلك فعل أوليفيرا مشعلا سيجارته فى الوقت نفسه تقريبا. نظر كل الآخر واستغرقا فى الضحك.
- قال ترافلر :
- إنك معتوه تماما، وهذه المرة لا مناص من ذلك، ها أنت قد تصوّرت أنني ...

56

- قال أوليفيرا :

- اترك كلمة «تصورت» فى حالها وعليك أن ترى كيف أننى أخذت أعد العدة لكنك أتيت، وليس أحدا آخر. أنت، فى الرابعة فجرا.

- قالت لى تاليتا، ويذا لى ... لكن هل تعتقد بالفعل أن؟

- ربما كان ذلك ضروريا يا مانو، إنك تفكر أنك استيقظت لتهدئتي وإدخال الطمانينة على. وإذا ما كنت أنا نائما، لكنك قد دخلت دون أى عقبات مثل أى إنسان يطل فى المرأة وهو يحمل الفرشاة فى يده، أو بدلا منها ذلك الذى تحمله فى جيب البيجامة.

- قال ترافلر ساخطا :

- إننى أحمله دائما هل تظن أننا فى روضة أطفال هنا؟ فإذا لم تكن مسلحا فهذا لأنك غير واع.

- قال أوليفيرا وهو يجلس مرة أخرى على حافة النافذة ويحيى بيده كلاما من تاليتا وكوكا:

- عموما إن ما أؤمن به من كل ذلك ليست له أهمية كبيرة، بالمقارنة بما يجب أن يكون، سواء طاب لنا هذا أم لا. منذ فترة ونحن بمثابة الكلب الذى يدور ويدور ليعض ذيله، وليس السبب هو أننا نكره بعضنا، بل العكس. هناك أشياء أخرى نستخدمنا لتلعب، العسكرية الأبيض والعسكري الملون أو شئ من هذا القبيل، ولنقل إنهما طريقتان فى حاجة إلى أن تنوب إحداهما فى الأخرى والعكس صحيح.

- قال ترافلر :

- أنا لا أكرهك ما حدث هو أنك حاصرتنى لدرجة لست أدري ماذا أفعل معها.

- مع إجراء التغييرات الضرورية، قمت بانتظارى فى الميناء، معك شئ يشبه إعلان الهدنة، هوراية بيضاء، ودعوة حزينة للنسيان. أنا أيضا لا أكرهك يا أخى لكننى أدينك وهذا ما تسميه أنت محاصرة.

- قال ترافلر وهو ينظر إلى عينيه :

- أنا أعيش فأن تحيا معناه أنك تدفع ثمن شئ، وأنت لا تريد أن تدفع شيئا، لم ترد ذلك على الإطلاق، انك هرطوقى وجودى، محض. إما قيصرو أولا شئ. إنه ذلك النوع من النصال الراديكالية. هل تظن أننى لا أعجب بك على طريقتى؟ الدوبلير الحقيقى هو أنت، فأنت كائنك قد تخلصت من لحمك، أنت إرادة فى شكل بوارة رياح معلقة فى منطقة مرتفعة. أريد هذا، وأريد ذاك أريد الشمال والجنوب وكل شئ فى

56

الوقت ذاته، أحب لاماجا وأحب تاليتا، وبعد ذلك يقوم الأستاذ بزيارة الجثث ويقبّل زوجة أعز أصدقائه وهذا لأنه تداخلت لديه الوقائع والذكريات بطريقة ليست إيو قلبية على الإطلاق.

من أوليفيرا كتفيه لكنه نظر إلى ترافلر ليحمله يشعر بأن فعله ليس تعبيراً عن الاحتقار. كيف يمكن أن ينقل إليه شيئاً من ذلك يسمى فى الأرض المقابلة قبلة. قبلة تاليتا قبلة منه لماجا أو لبولا. إنه ذلك النوع الآخر من لعبة المرايا مثل لعبة الدوران بالأس نحو النافذة والنظر إلى لاماجا وهى واقفة هناك على حافة الحجلة بينما اجتمع كل من كوكا وريمورينو وفيراجوتو بالقرب من الباب وكأنهم ينتظرون أن يطل ترافلر من النافذة ويقول لهم بأن كل شئ على ما يرام وأنه يكفى لذلك جرعة embutal أو المريلة الخاصة لعدة ساعات حتى يفيق الفتى مما عليه من تصرفات. كما أن الطرق المتوالى على الباب لم يسهل فى إحداث التفاهم. ولو كان مانو قادراً على الإحساس بأن لا شئ مما كان يفكر به له دلالاته إلى جوار النافذة غير أنه يكتسب قيمة ومعنى فقط إلى جوار الطشوت والرولمان بلى، وإذا ما هدأ ذلك الذى كان يقرع الباب بكتلتا قبضتيه، ولو لدقيقة واحدة فربما فى هذه اللحظة لكنه لم يتمكن من فعل شئ إلا النظر إلى لاماجا وهى فى أبهى جمالها واقفة على حافة الحجلة وترغب فى أن تضرب الحجر من مربع الآخر ومن الأرض للسماء.

- غير إيو قلدسيى بالمرّة.

- قال أوليفيرا متعباً :

- لقد انتظرتك كل هذا الوقت سوف تدركين أننى لم أكن لأقتل نفسى هكذا. فكل واحد يعرف ماذا عليه أن يفعل يا مانو. إذا ما كنت تريد تفسيراً لما حدث فى البديوم ... الأمر ليس له أى علاقة، وأنت تعرف ذلك. تعرفه الدويلير، تعرفه. فماذا يهمك من أمر القبلة، كما أنها غير مهمة على الإطلاق بذلك.

- افتحاً! افتحاً على الفور!

- قال ترافلر وهو ينهض :

- إنهم أخذوا الأمر بجدية أنفتح لهم؟ لابد أنه أوبخيرو

- بالنسبة لى ...

- ربما يريد أن يعطيك حقنة ومن المؤكد أن تاليتا أثارت كل المصحة.

- قال أوليفيرا :

56

– النساء من الموت؛ إنها هناك حيث تراها إلى جوار الحجلة غاية في الأدب من الأفضل ألا تفتح لهم يا مانو، نحن أفضل هكذا.

اتجه ترافلر إلى الباب واقترب من فتحة المفتاح، أيها البلهاء لماذا لا تكفون عن هذا الصراخ الذي يشبه فيلما من أفلام الرعب؟ فأوليفيرا بخير، وسوف نقوم بفتح الباب عندما تحين اللحظة المناسبة ومن الأفضل إعداد قهوة لكل الناس، ألا يمكن العيش في هذه العيادة؟ كان من الواضح أن فيراجوتا لم يكن مقتنعا لكن صوت أوبيخيرو تجاوزه برئيه المستمر وأخيرا تركوا الباب في سلام. لم تبق إلا بادرة قلق واحدة ناجمة عن وجود الناس في الحوش والنور المضاء في الدور الثالث الذي كان يطفأ ويشعل بشكل مستمر وهذه عادة مرحلة يمارسها المريض رقم 43. وبعد هنيئة عاد كل من أوبيخيرو وفيراجوتا للظهور من جديد ولكن في الحوش فقط. جاء المريض رقم 18 إلى أوبيخيرو وتحدث معه بشئ عن Heftpistole .

بدا الاهتمام على وجه أوبيخيرو، بينما كان ينظر إلى أوليفيرا نظرة اهتمام مهني، وكأنه لم يصبح أفضل من يلعب معه البوكر، الأمر الذي بدا ظريفا في نظر أوليفيرا. فتحت معظم النوافذ في الدور الأول وشارك بعض المرضى بفعالية في كل الأحداث الدائرة رغم أنها لم تكن شيئا كبيرا، كانت لاماجا قد رفعت ذراعها الأيمن لجذب انتباه أوليفيرا وكان ذلك ضروريا، وطلبت منه أن يطلب من أوليفيرا ليطل من النافذة. فقال لها أوليفيرا بوضوح شديد بأن ذلك مستحيل فمنطقة النافذة هي الجزء الخاص بمنطقة دفاعه وربما يمكن عقد هدنة. ثم أضاف بأن عملية رفع الذراع والنداء عليه، جعلاه يفكر في ممثلات من عالم الأمس وخاصة في مغنيات الأوبرا مثل إيمي ديستين Emmy Destynn Melba ومارجوري لورانس Marjorie Lawrence وموزيو بوري Muzlo Bori، ولم لا تضم القائمة كل من تيدا بارا Theda Bara ونيتا نالدي Nita Naldi؟ وأخذ يعدد الأسماء بنغمة تدل على متعة شديدة، بينما تخفض تاليتا ذراعها ثم تعود وترفعه متضرعة. إنها ليونورا دوسي Eleonora Duse بالطبع، فيلما بانكي Vilma Banky¹، إنها جاريو، مثاها تماما، أو صورة لسارة برنارد Sarah Bernhardt فعندما كان صغيرا لصق هذه الصورة في كراسه وكذا صورة كارسافينا Karsavina وبورونفا Borono- va، هن النساء، وهن تلك الاشارات الخالدة، وأبدية المصير لكن تلك المرة للمكين من الممكن تلبية الطلب الرقيق.

كان تعليق كل من كوكا وفيراجوتا متناقضا في الوقت الذي طلب منهما فيه

56

أوبيخو، بوجهه الذى كانت تبدو عليه علامات النوم، أن يصمتا حتى تتمكن تاليتا من التفاهم مع أوليفيرا لكن لم تجد نفعا هذه العملية لأن أوليفيرا لم يفعل شيئا بعد التضرع السابع إلا أن أدار لهم ظهره ورأوه (رغم أنهم لم يتمكنوا من سماعه) وهو يتحدث مع ترافلر غير المرئى.

- تصور أنهم يريدون أن تطل عليهم من النافذة
- انظر، عليك أن تتركنى أطلّ ولو لثانية ويمكن أن أعبّر من تحت الخيوط.
- قال أوليفيرا :
- إنها لعبة فهذا هو آخر خط دفاعى فإذا ما كسرتة فقد أصبحنا فى infighting مفتوح.
- قال ترافلر وهى يجلس على الكرسي :
- حسن وأصل جمع الكلمات التى لا طائل من ورائها.
- قال أوليفيرا :
- ليست غير مجدية إذا ما أردت أن تصل إلى هنا فليس عليك أن تطلب منى الأذن، وأعتقد أن ذلك واضح.
- أقتسم لى أنك لن تلقى بنفسك؟
- أخذ ترافلر ينظر إليه وكأنه ينظر إلى باندو عملاق.
- قال :
- وأخيرا رفعنا غطاء الحلة، ها هى لاماجا تفكر فى نفس الشئ، وأنا الذى كنت أتصور أنكما تعرفانى بعض الشئ رغم كل شئ.
- قال ترافلر :
- إنها ليست لاماجا، أنت تعرف تماما أنها ليست لاماجا.
- قال أوليفيرا :
- ليست لاماجا أعرف تماما أنها ليست لاماجا. وأنت حامل الراية.
- وفارس الاستسلام والعودة إلى المنزل وإلى النظام. أخذت أتاالم ك ياعجوز.
- قال ترافلر بمرارة :
- عليك أن تتسانى ما أريده هو أن تعطينى ميثاقا بأنك لن ترتكب هذه الحماقة.
- قال أوليفيرا :
- تصور لو ألقيت بنفسى فسوف أسقط بالتحديد فى السماء.
- ابتعد عن هذا الجانب يا أوراثيو ودعنى أحدث مع أوبيخو. فانا لا يمكن أن

56

- أصلح الأمور، وغدا لن يتذكر أحد ذلك الذي يحدث الآن.
- قال أوليفيرا بإعجاب :
- لقد تعلمت ذلك من خلال كتيب المصحة النفسية إنك تلميذ نجيب
- قال ترافلر :
- اسمع إذا لم تتركني أطل من النافذة فسوف أقوم بفتح الباب وهذا أسوأ.
- الأمر سيأت، فهناك فرق بين فتح الباب ودخولهم، وبين وصولهم إلى المكان الذي أنا فيه.
- هل تريد القول أنه إذا ما حاولوا الإمساك بك فإنك سوف تلقى بنفسك.
- يمكن أن يكون ذلك هو تفسير الجانب الذي أنت فيه.
- قال ترافلر وهو يخطو خطوة إلى الأمام :
- من فضلك ألا تترك أن ذلك كابوس؟ سوف يعتقدون أنك مجنون بالفعل وسوف يظنون أنني أريد أن أقتلك بالفعل.
- دفع أوليفيرا نفسه إلى الخارج قليلا فتوقف ترافلر عند خط الدفاع الثاني المكون من الطشوش المائتية رغم أنه قد دفع باثنين من الرولمان بلى بضربة واحدة برجله. وتوقف عن مواصلة التقدم. أخذت صرخات تاليتا وكوكا تعلو فما كان من أوليفيرا إلا أن اعتدل بعض الشيء، وبيطء، ووجه إليهما إشارات لأضفاء الطمأنينة عليهما. شعر أوليفيرا بالهزيمة فقرب الكرسي منه وجلس. عادوا يطرقون على الباب من جديد، لكنها طرقات أقل قوة عن السابقة.
- قال أوليفيرا :
- لا توجع رأسك أكثر من هذا لماذا تحاول إيجاد تفسيرات أيها العجوز؟ الفارق الفعلي الوحيد بيني وبينك في هذه اللحظة، هو أنني وحيد. وأفضل حل هو أن تنزل وتنضم إلى نيك ثم نواصل الحديث من خلال النافذة كأصدقاء. وفي حوالى الثامنة سوف أطلب النقل، فجيكربتين اتفقت معى على أن نعد كعكا مقليا مع الشاي.
- لست وحدك يا أوراثيرو. إنك تريد أن تكون وحدك من باب الغرور المحض، حتى تكون المالدورور من أبناء الساحل Maldoror. هل كنت تتحدث عن الدوبليز أليس كذلك؟
- ها أنت ترى أن هناك من يتبعك وأن هناك من هو مثلك رغم أنه على الجانب الآخر من الخيوط التي مددها.
- قال أوليفيرا :

56

- هو أمر محزن أن تصنع صورة ودية للغرور. ها هو لب الموضوع إنك تقوم بتكوين فكرة عن أى شئ مهما كلف الأمر. ألسنت قادرا على التخمين ولو للحظة فى أن كل ذلك لا يمكن أن يكون هكذا؟

- افترض أننى أفكر فيه. فيها أنت هناك متكى على نافذة مفتوحة.
- إذا ما كنت تشك بالفعل فى أن ذلك لا يمكن أن يكون على هذا النحو، وإذا ما استطعت بالفعل الوصول إلى لبابة الخرشوفة البرية ... فلن يطلب منك أحد أن تنفى ما تراه، لكنك إذا ما كنت قادرا فقط على الدفع ولو قليلا بطرف أصبعك...
- قال ترافلر :

- أه لو كان الأمر سهلا أه لو لم يكن هناك إلا مدّ الخيوط البلهاء.
أنا لا أقول بأنك لم تقم باعطاء دفعتك لكن انظر النتائج.
- وما هو السيئ فى هذا؟ فنحن على الأقل لدينا النافذة مفتوحة ونستنشق هواء هذا الصباح الجميل، ونشعر بالبرودة التى تهل فى مثل هذه الساعة. أما باقى الناس فهم يتجولون فى الحوش. إنه أمر غير عادى، هم يقومون بالتمارين دون أن يدروا. تأمل قليلا فى كوكا، وفى المدير، انه ذلك النوع من الخادم الثقيل، وانظر إلى زوجتك، إنه، الكسل بعينه. ولن تنفى أنك لم تك يوما أكثر يقظة من الآن. وعندما أقول يقظة تفهم ماذا أعنى، أليس كذلك؟

- اسأل نفسى فيما إذا كان كل ذلك على العكس أيها العجوز.
- أه، إنها الحلول السهلة، والحكايات الأسطورية التى يتم وضعها فى كتب المختارات.

إذا ما كنت قادرا على أن ترى الشئ من الجانب الآخر فمن المحتمل أنك قد لا ترغب فى التحرك من هناك. إذا ما خرجت من الأرض، ولنقل إذا ما انتقلت من المربع الأول إلى الثانى أو من الثانى إلى الثالث ياله من أمر صعب على الدويلير، لقد قضيت الليل بالكامل وأنا ألقى بأعقاب السجائر دون أن أتجاوز المربع الثامن. كنا نريد مملكة الأبدية إنها نوع من الـ Arcadia أركاديا وربما يكون المرء أكثر تعاسا هناك لكن القضية لا تستغرق منا خمسين أو ستين عاما، حيث نتمكن من مصافحة بعضنا البعض مصافحة حقيقة، بدلا من تكرار حركة الخوف والرغبة فى أن نعرف ما إذا كان الآخر يحمل سكرينا يخبئه، وبمناسبة الحديث عن التبديلات فلا غرابة عندي فى أن أكون أنا وأنت نفسى الشئ. أى واحد من كل جانب. فلما كنت تقول أننى مغرور يبدو

56

أننى اخترت الجانب الأفضل، لكن من يدري يا مانو. إننى أعرف شيئاً واحداً وهو لا يمكننى أن أكون فى المعسكر الذى أنت فيه. فكل شئ يتحطم بين يدي، وأرتكب حماقات تبعث على الجنون، على افتراض أن ذلك أمر سهل. أما أنت فهناك انسجام مع الأرض، ولا تريد أن تفهم ذلك الذهاب وهذا الإياب، فأقوم بإحداث الدفعة ويقع لى شئ، وعندئذ هناك خمسة آلاف عام من الجينات تمسك بى وتعيدنى إلى الأرض لأربط أسبوعين أو عامين أو خمسة عشر عاماً.... وذات يوم أضع الأصبع فى العادات، فيغرق الأصبع فيها ويظل من الجانب الآخر منها، ويبدو أننى سوف أصل فى نهاية الأمر إلى المربع الأخير، وفجأة تغرق امرأة، افترض ذلك، أو أتعرض لازمة، أزمة شفقة بالزّر الإلهى. ذلك أن ما يتعلق بالشفقة.... لقد تحدثت معك عن التبديلات، ليس كذلك؟ يالها من عملية قنرة يا مانو. أرجع إلى ديستوفسكى فى هذا الموضوع عموماً هناك خمسة آلاف عام تعود بى إلى الوراء ويجب أن نبدأ من جديد. ولهذا أشعر أنك الدويلير فائناً أروح وأغدو طوال الوقت من أراضيك إلى أراضى وهذا إذا ما كنت أصل إلى أراضى، وفى هذه التتقلات المحزنة يبدو لى أنك الشكل الخاص بى الذى يبقى هناك ينظر إلى بائسى. أنك أنت الخمسة آلاف عام لحياة الإنسان وقد تجسدت فى متر وسبعين سنتم، وتتأمل ذلك المهرج الذى يريد الخروج من مربعه. قلت.

- صاح ترافلز فى هؤلاء الذين كانوا يطرقون الباب مرة ثانية :

- اتركونا وشأننا ألا يمكن الحديث بهوء فى هذه المصحّة.

- قال أوليفيرا بانفعال :

- إنك عظيم يا أختى.

- قال ترافلز وهو يقوم بتقريب الكرسي بعض الشئ :

- على أى الأحوال لن تنفى أن الأمور قد أقلت زمامها من يدك هذه المرة.

فالتراكيب وغيرها من الأعشاب جيدة جداً، لكن النكتة التى فعلتها سوف تكلفنا فقداناً الوظيفية إلى غير ذلك من الأمور. كما أننى متأسف جداً لما حدث لتاليتا. يمكنك أن تتحدث بما شئت عن لاماجا لكننى أنا الذى أطعم امرأتى.

- قال أوليفيرا :

- الحق معك ينسى المرء أنه موظف إلى غير ذلك من المسائل، هل تريد أن أتحدث

مع فيركاجوتو؟ إنه هناك إلى جوار النافورة، سامحنى يا مانو فائنا لم أكن أرغب أن تكون أنت ولاماجاً ...

56

- إنك تناديهما الآن لاما جا عن قصد؟ لا تكذب يا أوراثيرو.
- أنا أعرف أنها تاليتا لكنها كانت لاما جا منذ قليل. إنها الاثنان مثل كلينا
- قال ترافلر :
- هذا اسمه الجنون .
- إن كل شيء له إسم، فعليك أن تختار وتضع الاسم. لو سمحت لى أن أتحدث قليلا مع الذين هم فى الخارج. فقد فاض ما بهم.
- قال ترافلر وهو ينهض :
- إني ذاهب .
- قال أوليفيرا :
- هذا أفضل من الأفضل أن تذهب وسوف أتحدث من هنا معك مع الآخرين. من الأفضل أن تذهب وألا تتثنى ركبتيك كما تفعل الآن، فسوف أشرح لك ما سيحدث. فأنت الذى تعشق التفسيرات مثل باقى البشر منذ خمسة آلاف عام. فلم تكد تلقى بنفسك على مدقوعا بصدائتك وتصورك للأمر، سوف أزيح نفسى إلى أحد الجوانب، فلست أدرى إذا ما كنت تتذكر عندما كنت أتمرّن على الجود، مع الفتية فى شارع أنشورينا، والمحصلة هو أنك سوف تواصل الرحلة عبر هذه النافذة وسوف تسقط فوق المربع الرابع هذا إذا ما كنت سعيد الحظ فمن المحتمل أنك لن تتجاوز المربع الثانى.
- كان ترافلر ينظر إليه، ورأى أوليفيرا أن الدموع تتفرق فى عينيه. مدّ يده وكأنه يمسح على شعره من بعيد.
- انتظر ترافلر ثانية أخرى، ثم اتجه إلى الباب وفتحه. كان ريمورينو على وشك الدخول (وخلفه اثنان من المرضى) فأمسك بكففيه ودفعه إلى الوراء.
- اتركوه فى حاله - قال أمرا - سوف يتحسن خلال فترة وجيزة. لا بد من تركه وحده، ابتعد أوليفيرا عن الحوار بسرعة وصعد إلى المربع ثم المسدس ثم ذى الاثنى عشر ضلعا، وشعر بأن كل شيء جيد هكذا عندما أغمض عينيه. وأن ترافلر هو أخ شقيق. سمع صوت الباب يغلق والأصوات تبتعد. ثم فتح الباب من جديد توافقا مع أهدايه التى رفعها بشق الأنفس.
- قال ترافلر :
- ضع الترياس فانا غير واثق فيهم تماما.
- قال أوليفيرا :

56

- شكرا إنزل إلى الحوش، لقد وأرهننا عزم تاليتا.
- مر من تحت الخيوط القليلة التي بقيت وأغلق الترابس وقبل أن يعود إلى النافذة التي يصدرها ريمورينو للمرضى وأن عليهم أن يعودوا إلى حجراتهم، وعندما عاد ليطل من النافذة وقد هدأ رأى ترافلر إلى جوار تاليتا وقد خاضرها بذراعها، وبعد كل ما فعله ترافلر أصبح كل شيء يسوده شعور جميل بالمصالحة ولا يمكن خرق هذا الانسجام غير العاقل لكنه انسجام شغوف وحاضر، ولا يمكن تزييفه. فترافلر هو في جوهر الأمر ما كان يجب أن يكون عليه هو، ولكن بشئ أقل من هذا الخيال الملعون. كان رجل الأراضي، الخطأ الذي لا علاج له في الفصيلة الضالة، لكن بالجمال في الخطأ وفي الخمسة آلاف عام من الأراضي الزائفة والهشة، وبالجمال في تلك العينين اللتين تترقب الدموع فيهما وفي هذا الوصت الذي قدم له النصيحة: ضع المزلاج فانا لا أثق فيهم كثيرا» كم من الحب في هذا الزراع الذي يلتف حول خصر امرأة، «على الأفضل» فكر أوليفيرا بينما يرد التحية على الإشارات الودية التي يلوح بها الدكتور أوبيخيرو وفيرجوتو (أقل ودا بعض الشيء) «إنها الوسيلة الوحيدة الممكنة للهروب من الأراضي والتي تكمن في الولوج فيها حتى النهاية» كان يعرف أنه لا يكاد ينوه بذلك (مرة أخرى ذلك) حيث يسقط المطر والثلج «من يدرى»، قال لنفسه، «من يدرى فيما إذا وقفت عند الحافة، وأنه ربما كانت هناك نقلة ربما وجدها مانو، هذا أكيد، لكن الحماقة هي أن مانو لن يبحث عنها أبدا أما أنا فعلى العكس ...»
- يا أوليفيرا، لماذا لا تأت لتناول القهوة؟ - اقترح فيرجوتو بينما لم يرق ذلك لأوبيخيرو. - لقد كسبت الرهان، ألا يبدو لك ذلك؟ انظر إلى كوكا إنها أكثر قلقا...
- قال أوليفيرا :
- لا تقلقى يا سيدتى فأنت لديك خبرة بعالم السيرك، ولم تثيرى فزعى بأمور تافهة.
- قالت كوكا :
- أه يا أوليفيرا إنك أنت وترافلر رهيبان لماذا لا تفعل ما يقول به زوجي؟
- وأنا كذلك كنت أفكر في نفس الشيء، أن تتناول القهوة سويا.
- قال أوبيخيرو وكان ذلك بمحض الصدفة :
- نعم، انزل من فضلك أود أخذ رأيك في أمرين يتعلقان ببعض الكتب المكتوبة بالفرنسية.
- يمكن الاستماع من هنا بشكل جيد.

56

- قال أوبيخيرو :
- حسن أيها العجوز انزل عندما تريد. أما نحن فسوف نذهب لتناول الفطور.
- قالت كوكا :
- ومعه الكراوسون الطازج هيا ياتاليتا لنعدّ القهوة...؟
- قالت تاليتا :
- لا تكوني بلهاء ، وأثناء لحظة الصمت العظيمة التي أعقبت تحذيرها كان التقاء ناظرى أوليفيرا وترافلر بمثابة عصفورين يصطدمان أثناء الطيران ثم يسقطان وهما متشابكان في المربع التاسع، أو هذا ما تصوره أصحاب المصلحة. أخذت أنفاس كل من كوكا وفيراجوتا تتلاحق، وفي نهاية الأمر فتحت كوكا فمها لتصرخ «لكن ما معنى هذه الوقاحة؟» بينما أخذ فيراجوتو يشرب بعنقه وينظر إلى ترافلر من أعلى إلى أسفل، وهذا الأخير أخذ ينظر إلى زوجته نظرة جمعت بين الإعجاب والتأنيب، وظل الأمر على هذا الحال حتى وجد أوبيخيرو مخرجاً علمياً مناسباً، وقال في لهجة فيها جفاء: «إنها هستيريا صباحية تخرج من الأوداج. هيا لندخل فسوف أعطيكم بعض الحبوب» وفي هذه اللحظة الى أخذ فيها رقم 18 يخرق الأوامر الصادرة من ريمورينو ويخرج إلى الحوش معلناً أن رقم 31 قد تحلّت وأن هناك اتصال تليفوني من مار دل بلاتا Mar del pata فقام ريمورينو بطرده بعنف مما أدى إلى قيام المدراء وأوبيخيرو باخلاء الحوش دون أن يفقدوا اهبيتهم أكثر من ذلك.
- قال أوليفيرا وهو يتأرجح في النافذة :
- أه، أه، أه وأنا الذي كنت أعتقد أن النساء الصيدلانيات مهذبات.
- قال ترافلر :
- أخذت بالك؟ لقد كانت رائعة.
- لقد ضحكت بنفسها من أجلى - قال أوليفيرا - أما الأخرى فلن تغفر لها ذلك ولو كانت على فراش الموت.
- قالت تاليتا :
- من أجل ما يهمنى «الكراوسون الطازج» خذ بالك بعض الشئ.
- قال ترافلر :
- وماذا عن أوبيخيرو؟ كتب بالفرنسية! والشئ الوحيد المتبقى هو أن داعبوك بموزة. أنا أستغرب أنك لم تقل لهم اذهبوا إلى الجحيم.

56

كانت هكذا، استمر الانسجام بشكل لا يصدق، لم تكن هناك كلمات من أجل شكر هذين الاثنين وهما ينظران إليه ويتحدثان معه وهما على الحجلة. فتاليتا كانت متوقفة في المربع الثالث دون أن تدري، أما ترافلز فكان أحد قدميه موضوعا في المربع السادس. وبالتالي فالشيء الوحيد الذي يمكنه فعله هو أن يحرك يده اليمنى قليلا كنوع من التحية الخائفة ثم يظل ملقيا نظره على ماجا وعلى مانو، ويقول لنفسه ما قد حدث لقاء بطريقة ما رغم أنه لا يمكن أن يستمر أكثر من لحظة ممتعة جدا وكان أفضل شيء عندها هو الميل بعض الشيء نحو الخارج ويسقط، «هَبْ»، انتهى الأمر.

(-135)

من جوانب أخرى
(فصول يمكن الاستغناء عنها)

57

أقوم بتجهيز بعض المفاهيم من جديد، انتظارا لوصول أذجال - ما رأيك لو أخذتها ذات ليلة إلى النادي؟ هذا سوف يسعد كلا من إيتين ورونالد. إنها جد مجنونة.

- أحضرها معك.

- قد تكون أعجبت سيادتك أيضا.

- لماذا تتحدث معي وكأنني ميت؟

- قال أوسيب :

- لست أدري لا أدري في حقيقة الأمر. لكن هيأتك غريبة.

- كنت هذا الصباح أقصّ على إيتين بعض الأحلام الجميلة. وما هي الآن تختلط مع ذكريات أخرى عندما كنت تتحدث معي حول دفن الطفل بكلمات تخرج من الأعماق. لابد أنه كان مشهدا مثيرا للشجن، تشي. من الغريب أن يتمكن المرء من التواجد في ثلاثة أماكن دفعة واحدة. رغم أن ذلك حدث لي هذا المساء. لابد وأنه من تأثير موريلي Morelli. نعم، نعم سوف أقصّ عليك. بل في أربعة أماكن دفعة واحدة طبقا لما أفكر فيه الآن. إنني أقترّب من كلية الحضور ومن هنا سرّ الشعور بالجنون ... الحق معك ربما أعرف أذجال فسوف أذهب للسّطل قبل ذلك بكثير.

- زن Zen يتولى شرح المرحلة السابقة على كلية الحضور وهو شئ يماثل ما شعرت به إذا ما شعرت بذلك.

- واضح، تشي. أنا أعود من أربعة أماكن دفعة واحدة: حلم ذلك الصباح فلازال حيا يحرك ذنبيه، والألحان مع بولا، لأوفر عليك الكلام، ووصفك المجسد لدفن الطفل كما أدرك الآن أنني كنت أردّ على ترافلر، صديق من بوينوس أيرس، فقد فهم بعض أبيات الشعر التي ألفتها والتي تبدأ قائلة، خذ بالك «أنا بين النوم واليقظة غواص أحواض» وهو شعر سهل إذا ما تمعنّت فيه بعض الشئ، وربما تفهمه. فعندما تستيقظ وقد جلبت معك بقايا فردوس شهادته أثناء نومك، وما هم الآن يعلمونك مثل شعّر الغريق: إنه شعور رهيب بالغثيان ولهفة وشعور بالهشاشة أو أن لا جدوى. ثم تسقط إلى الداخل. وبينما تقوم بتنظيف أسنانك بالفرشاة فما أنت إلا غواص أحواض، والأمر كأن الحوض الأبيض قد امتصك، وأخذت تنزلق من خلال هذه الفتحة التي يدخل فيها فلح الأسنان والمخاط والعماص وقشر الشعر والبصاق وتترك نفسك على أمل الوصول إلى الجانب الآخر، أي إلى ذلك الذي كنته قبل الاستيقاظ والذي لازال يطفو، لازال لديك، فيك أنت، لكنه يبدو في المغارة ... نعم إنك تسقط للحظة داخل نفسك حتى تتولى

57

دفاعات السهاد - ياله من تعبير جميل، ولغة رفيعة - إيقافك.

- قال جريجوروفويوس بغيرسة :

- إنها تجربة وجودية أصيلة.

- هذا أكيد، لكن كل شيء مرتبط بالجرعة. الحوض يمتصني بالفعل، تشي.

(70)

58

- حسنا فعلت عندما أتيت - قالت جيكربتين وهى تغير الأعشاب - فأنت أفضل حالا فى المنزل، لكن ما يروك هناك هو الجو العام، عليك أن ترتاح يومين أو ثلاثة.
- قال أوليفيرا :
- هذا ما أعتقده وأكثر من ذلك أيتها العجوز. فالكعك المقلى لذيذ للغاية.
- إنه من حسن حظى أنه عجيب. لا تأكل منه كثيرا وإلا أصبت بوعكة.
- قال أوبيخيرو وهو يشعل سيجارة :
- لا مشكلة سوف تنام الآن قيلولة ممتعة. وخلال هذه الليلة سوف تكون فى أفضل حال للعب الورق.
- قالت تاليتا :
- لا تتحرك إنه أمر لا يصدق أنك لا تستطيع أن تهدأ.
- قال فيراكجوتو :
- إن زوجتى منزعة جدا.
- قالت جيكربتين :
- خذ كعكة أخرى مقلية .
- قال أوبيخيرو أمرا :
- لا تعطوه أكثر من عصير الفواكه.
- قال أوليفيرا ساخراً :
- الاتحاد الوطنى للمتبحرين فى علوم ما هو مناسب وبيوت العلم عندهم.
- قال أوبيخيرو :
- أنا جاد ، تشى، لا تأكل شيئا حتى الصباح .
- قالت جيكربتين :
- هذه المغطاة بالسكر.
- قال ترافار :
- حاول أن تنام.
- تشى، ريمورينو، لتبق بالقرب من الباب ولا تدع رقم 18 يضايقه - قال أوبيخيرو -
- فلقد شعر بالملل الشديد إليه ،ولا يتحدث إلا عن مسدس وكُمّ واحد آخر.
- قالت جيكربتين :
- إذا ما أردت أن تنام عليك أن تغلق الشيش وهكذا لن تسمع صوت راديو السيد كريسبو.

58

- قال أوليفيرا :
- لا ، اترك الشيش إننى أسمع موسيقى لفالو Falu (٧).
- الساعة الخامسة - قالت تاليتا - ألا تريد أن تنام قليلا؟
- قال ترافلر :
- غيرى له الكمادات، إن ذلك يجعله يشعر بالراحة بعض الشيء.
- قالت جيكربيتين :
- لقد غسلت نصف جسده هل تريد أن أذهب لشراء صحيفة "Noticias graficas"؟
- قال أوليفيرا :
- حسن وبعض السجائر.
- قال ترافلر :
- لم يتم إلا بعد لأى لكنه الآن سوف ينام طوال الليل فقد أعطاه أوبيخيرو جرعة مزدوجة من المهدئات.
- قالت جيكربيتين :
- تصرف جيدا يا كنزى سوف أعود على الفور - سوف نتعشى هذه الليلة مشويات مشكلة هل تريد ذلك؟
- قال أوليفيرا:
- مع سلطة خضروات.
- قالت تاليتا :
- يتنفس بشكل أفضل.
- قالت جيكربيتين :
- وسوف أقوم بإعداد الأرز باللبن، كان وجهك شاحبا عندما وصلت .
- قال أوليفيرا :
- لقد دهسنى ترام أنت تعرفين ما هو حال الزحام فى الترام من الثامنة صباحا حتى وسط فى الحر.
- هل تعتقد يا مانو أنه سوف يواصل النوم؟
- نعم، لكن بالطريقة التى أشجع نفسى فيها على تصديق شئ.
- هيا إذن لنرى المدير فهو ينتظرنا لا التنا.
- قال فيركاجوتو :

58

- إن زوجتي منزعة جدا .
- صاحت كوكا :
- لكن ما معنى هذه الوقاحة؟!
- قال أوبيخيرو :
- كانوا من الأشكال اللعوية.
- قال ريمورينو :
- لا نرى إلا قليلا مثل هؤلاء الناس..
- لم يشأ تصديقي في أنه كان في حاجة إلى Heftpistole - قال رقم 18
- قال أوبيخيرو:
- انزل إلى حجرتك أو أمر باعطائك حقنة .
- قال رقم 18 :
- مات الكلب .

(-131)

59

وعندئذ يمكن صيد أسماك لاتوكل لقضاء الوقت، وللحيلولة دون تعفن تلك الأسماك
علقوا لافتات على الشواطئ تأمر الصيادين بدفن الأسماك في الرمال عندما يتم
صيدها من الماء.

كلود ليفي إشترواس: Tristes tropiques

(-41)

60

فكر موريلي في قائمة acknowledgments لم يتمكن أبدا من ضمها إلى أعماله المنشورة... ترك لنا عدة أسماء: جيلي رول مورتون Jelly Rell Morton وروبرت موسيل^(١) Robert Musil وداستيتارو سوزوكي، ورايموند روسيل^(٢) Raymond Roussei وكورت شويتزن Kurt Schwiters وفيفيرا دا سيلفا Vieira da Silva وأكوتا جاوا Akutagawa وأنطون ويبيرن Anton Webern وجريتا جاربو G.Gatbo وخوسيه ليثاما Lima^(٣) Jase Lezama ولويس بونيول^(٤) L.Bunel ولويس أرمستونج L.Aamstrong وبروخس Borges وميتشو^(٥) Michawx ودينو بوزاتي^(٦) Dino Bujjati وماكس إرنست Max Ernest ويغنسر^(٧) Pevnser وچلجامش^(٨) وشارثيلاسو Garcilaso وأرمبولدو^(٩) Arcimbaldo ورنيه^(١٠) Clair ويبيرو ديموسيمو^(١١) Piero di cosimo وولاس إستيفن^(١٢) Wallace Stevens وإسحق دينسن^(١٣) Izal Dinesen. أما أسماء ريمبو Rimbewd وبيكاسو وشابلن وألبان بيرج Alban Berg وغيرها فقد تم شطبها باستخدام خط رفيع وكان تلك الأسماء أصبحت شديدة البديهية لدرجة يمكن عدم الإشارة إليها، وعلى أي الأحوال فكل الأسماء كان يجب أن تكون كذلك، فموريلي لم يدرج هذه القائمة في أي من مجلدات أعماله.

(-26)

61

ملاحظة لم تتم، أعدها موريللى:-

لن أتمكن أيد من التخلي عن الإحساس بأنه يوجد شيء ما يشبه انفجارا مبهرا نحو النور، ملتصقا بوجهي، وملتغا حول أصابعي. إنه انحراف مني في اتجاه الآخر أو من الآخر إلى داخلي، إنه شيء شديد الشفافية. يمكن أن يتخثر ويتحلل في شكل الضوء الكامل دون وجود عنصرى الزمان والمكان. هو مثل باب من الأوبال والماس، حيث يمكن أن يكون المرء ذلك الذى هو فى الحقيقة، والذى لا يريده ولا يعرفه ولا يمكن أن يكونه.

لا جديد فى ذلك العطش وذلك الشك، إلا أن هناك حيرة تزداد وتكبر أمام عملية التبدل التى تقدم لى بصيرة الليل والنهار، وأرشيف البيانات، والذكريات، وهذه المشاعر التى أقوم من خلالها بشغل جزء من الزمان وترك جزء منى. وتلك الإطلاات التى توجد تحت ذلك النوع الآخر من الإطلاات التى هنا واللصيقة بوجهي، والتى تعتبر خليطا من التوقع والبصيرة، وإدانة لتلك الحرية المصطنعة التى أتحرك من خلالها فى الشوارع والسنين.

ولما كنت هذا الجسد المتحلل فى لحظة ما من الزمن المستقبلى، وهذه العظام التى تكتب بطريقة غير منتظمة فإننى أشعر أن ذلك الجسد يطالب بنفسه ويطلبه ضميره بتلك العملية التى لم يتم تخيلها بعد، والتى يصبح بعدها جسدا لا يتحلل. إن ذلك الجسد الذى هو أنا، ينبئ عن حالة تتمثل فى أنه عندما يرفض نفسه على ما هى عليه، وعندما يرفض فى الوقت ذاته المعادل الموضوعى كما هو فإن وعيه سوف يرتقى إلى درجة تتجاوز حدود الجسد، والعالم الذى قد يكون المدخل الحقيقى إلى الذات سوف يكون جسدى، لست أنا موريللى، ولا أنا الذى فى عام ألف وتسعمائة وخمسين قد تحللت عام ألف وتسعمائة وثمانين، سوف يكون جسدى وراء باب النور (كيف يمكن أن أجد اسما لهذا اليقين الذى يحاصرني)، وسوف تكون الذات كأنها الأجساد، ومثل الأجساد والأرواح وأنا والآخر، والأمس والغد، وكل شيء مرتبط بـ ... (جملة مشطوبة). إنها نهاية محزنة: Satori سريع المفعول، ويذيب كل شيء. وحتى يمكن الوصول إلى ذلك يجب تعرية التاريخ الخارجى والداخلي. لقد فات أوان ذلك، بالنسبة لى. كريفر Grever بالاطيالية، وبالنسبة للغرب هو كل ما بقى لى. إنها القهوة باللبن التى أتناولها فى الصباح وهذا شيء مناسب.

(-33)

62

فى وقت ما فُكر موريللى فى كتاب لم يتوقف فى إعداداه عند تدوين الملاحظات المتفرقة، والملاحظة التى كانت تلخص محتواه هى تلك: «علم النفس» هى عبارة تبدو عليها علامات الشيخوخة، إنه سويدي يعمل فى إعداد نظرية عن كيمياء التفكير. الكيمياء والكهرومغناطيسية والتيارات السرية للمادة الحية، وكل شئ يعود مذكرا إيانا بمفهوم «المن» Mana، وعلى ذلك فعلى هامش السلوكيات الاجتماعية يمكن أن يكون هناك تداخلا من طبيعة أخرى، هو نوع من لعبة البلياردو، التى أثارها بعض الأفراد أو عانوا منها، إنه نوع من الدراما بدون أوديب، أو فيدرا، أو راستيجناس Rastiginas†، إنها دراما غير شخصية بالدرجة التى لا تؤثر فيها ضماير ومشاعر الأبطال إلا فيما بعد. وكأن المستويات الدنيا هى التى تفك وتربط لغة الخيط الخاصة بالمكونات الصالحة فى الدراما. وبمقولة أخرى فكأننا نرد أفراد يقومون بالتأثير على الكيمياء العميقة للآخرين والعكس صحيح لكن دون قصد، أى أن ردود الفعل - الغريبة والمقلقة - تحدث بشكل متوالى من انشطار وتحولات.

هكذا تسيير الأمور، إذ يكفى أن نقوم بإثارة لطيفة لنجد أماننا مجموعة إنشائية نظن أن هناك رد فعل نفسى، بالمفهوم الكلاسيكى لهذه الكلمة القديمة، القديمة، ومع ذلك فهو لا يمثل إلا لحظة من ذلك التيار الخاص بالمادة الحية، ومن ردود الأفعال الوسيطة التى يمكن أن نطلق عليها الرغبات، والاستطاف، والتوجهات والقناعات، وهى التى تظهر هنا وكأنها أمور تستعصى على العقل وعلى الوصف الدقيق: القوى التى تسكن فينا والأجنبية التى تقدم وتطالب بحقوقها فى المدينة. إنه نوع من البحث الذى يتجاوزنا نحن كأفراد ويستخدمنا لأغراضه، المتمثلة فى حاجة غامضة لمباعدة حالة الإنسان القديم homo sapiens نحو ... أى shamo؟ ذلك أن Sapiens ما هى إلا كلمة أخرى قديمة من تلك الكلمات التى يجب غسلها جيدا قبل محاولة استخدامها بمفهوم معين.

لو كان قد أُلِفَ هذا الكتاب، فإن السلوكيات الاعتيادية (بما جاء فى ذلك أقصى حدودها) ليمت إدراك مغزاها من خلال أدوات البحث النفسى المستخدمة حاليا. فالمتمثلون سوف يظهرون غير عقلاء أو فى أعلى درجات البلاهة. وليس الأمر أنهم سوف يبدون غير قادرين Challenge and response على العادية مثل الحب والغيرة والشفقة وهكذا على التوالى. بل فيما يتعلق بالحد الأدنى سوف يفتح طريق بصوئية وكأنه العين الثالثة التى ترمش بالأم شديد تحت عظام الجبهة ويصبح كل شئ مثل

62

حالة قلق وعدم ارتياح ونوع من القطعية المستمرة وأراضى لا تستطيع فيها السببية النفسية أن تفعل شيئاً وتتخلى عن مكانها وتنحدر تلك السخافات أو تعود للتكوين والتسلح أو تتعرف على بعضها دون كثير من الشك في أن الحياة تحاول بها، ومن خلالها، وفيها، تغيير المفتاح، وأن أى محاولة لا تكاد يتم تصورها تولد في الإنسان كما ولد قبل ذلك المفتاح - العقل والمفتاح والمشاعر والمفتاح - البراجماتية. ويعقب كل هزيمة نوع من الاقتراب من التحوّل النهائى. وأن الإنسان ليس إلا البحث عن الذات، من خلال التقلب بين الكلمات والسلوك والسعادة الملتخطة ببعض الدماء إلى غير ذلك من الخطب البلاغية مثل هذه»

(-23)

63

- قالت تاليتا :
- لا تحرك يبدو أنها بدلا من وضع كمادة باردة كانت تضع لك حامض الكبريتيك.
- قال أوليفيرا إن بها نوع من الكهربائية -
- لا تتفوه بالترهات.
- إنني كافة أنواع المواد التي تشع وميضاً، يبدو أنها رسوم متحركة لنورمان ماكلارين Norman McLaren.
- ارفع رأسك بعض الشيء، فالخدة منخفضة جدا وسوف أغير لك.
- قال أوليفيرا :
- من الأفضل أن تتركى المخدة في حالها وتغيرين رأسى. إن الجراحة لازالت فى المهد، علينا أن نعترف بذلك.

(-88)

64

فى إحدى المرات التى التقيا فيها فى الصى اللاتينى كانت بولا تنظر إلى الطريق كما أن نصف المارة ينظرون إلى الطريق. كان لابد من التوقف وتأمل بروفيل لنابليون، إلى جوار نسخة رائعة لشارتر Charters كما كانت هناك، على بعد قليل، فرس مع وليدها وسط حقل أخضر. المؤلفون هم فتيان شقراوان وفتاة من الهند الصينية. كان هناك صندوق الطباشير فيه قطع العملة ذات الخمسة والعشرة فرنكات، ومن حين لآخر يتولى أحد الفنانين إكمال بعض التفاصيل.

كان من السهل ملاحظة أن هذه هى اللحظات التى تزداد فيها العطايا.

- قال أوليفيرا :

- إنهم يطبقون نظام بينلوب، لكن دون القيام مسبقا بغضّ النسيج فهذه السيدة - على سبيل المثال - لم تقم بفتح كيس نقودها حتى قامت الصغيرة تسونج تسونج بالانبطاح على الأرض لاستكمال بعض التفاصيل فى رسم الشقراء ذات العينين الزرقاوين. إن العمل يؤثر فيهم وهذا واقع.

- هل اسمها تسونج تسونج؟ - سألت بولا.

- لست أدري، إن عقبيها جميلان.

- عمل كثير ثم يأتى الكناسون ليلا وانتهى كل شئ.

- وهذا هو الجيد فى الأمر. الطباشير الملون وأشكاله الداعرة، هذا هو موضوع رسالة دكتوراه. وإذا لم يقم الكناسون التابعون للبلدية بإزالة ذلك فجرا، فإن تسونج نفسها سوف تحضر ومعها جردل مياة. إنها بذلك تنتهى بالفعل من عمل سوف تعود للقيام به فى اليوم التالى. والناس يتبرعون بالعملات دون أن يدركوا أنها تخدعهم، فهذه اللوحات لم يتم محوها أبدا. كل ما فى الأمر هو تغيير الطريق أو لون الطباشير لكنها مرسومة فى اليد وفى صندوق طباشير، فى شكل نظام خبيث مكون من عدة حركات. وأقول تحديدا إنه إذا ما قام أحد أولئك الفتية ذات صباح وحرك ذراعيه فى الهواء فإنه يستحق عشر فرنكات ولا مراء فى ذلك كما لو كان يرسم نابليون، لكننا فى حاجة إلى أدلة هاهم هناك أعطيهم عشرون فرنكا، هيا لا تكونى بخيلة.

- لقد أعطيتهم قبل مجيئك.

- شئٌ مثير: إننا فى حقيقة الأمر نقوم بوضع تلك العملات فى أفواه الموتى، إنه التبرع الزهيد المناسب. إنه تكريم لكل ما هو زائل، وأن تكون هذه الكاتدرائية عبارة عن نموذج من الطباشير يذهب به الماء فى ثانية. ها هى العملة هناك وسوف تولد

64

الكاتدرائية من جديد. إننا ندفع ثمن الخلود وثنم الاستمرار، لا نقود، ولا كاتدرائية. هل أنت أيضا من الطباشير؟

لم ترد عليه بولا، إلا أنه وضع ذراعه على كتفها وسارا في بول ميش Boul' Mich ذهابا وجيئة قبل أن يذلفا ويتسكعا في شارع دوفين. إنه عالم من الطباشير الملون يدور حولهما ويضمهما إلى رقصته، وكذلك البطاطس المقلية المصنوعة من الطباشير الأصفر والبنيد من الأحمر والسماء الصافية الباهتة الزرقة من الطباشير ذي اللون السماوي يخالطه شيء من اللون الأخضر بالقرب من النهر. ومرة أخرى يقومان بالقاء العملة المعدنية في علية السجائر للحيلولة دون هروب الكاتدرائية، ويدينانها بالفناء لتكون من جديد، تذهب تحت وطأة خرطوم المياه، لتعود كالطباشير بعد أن كانت مكونة من الطباشير الأسود، والازرق، والأصفر. شارع دوفين من الطباشير الرمادي أما السلم فهو من الطباشير المرقط، والحجرة، بخطيها المحتدين بطريقة ذكية، ما هي إلا طباشير من الأخضر الفاتح، أما الستائر فهي من الطباشير الأبيض والسرير بمفرشة المكون من مختلف ألوان الطباشير. تحيا المكسيك! والحب، وطباشيرة الجائع الذي يعلن حاجته إلى مُثَبِّت له في الزمن الحاضر، وهناك حب من الطباشير المعطر، وفم من الطباشير البرتقالي، والحزن والوفرة من الطباشير عديم الألوان، الذي يدور في تراب ومسحوق غير محدد المعالم ثم يستقر على الوجوه النائمة أو على الطباشير المرقط للأجساد.

- قالت بولا :

- إن كل شيء يتفكك عندما تلمسه وربما عندما تنتظر إليه إنك مثل حمض رهيب،
إنني أخاف منك.

- إنك تولين اهتماما زائدا عن الحد بالعبارات المجازية.

- ليس ما تقوله فقط، بل إنها طريقة ... لست أدري، مثل الفخ. أحيانا ما أفكر أنني سوف أرتدى بين ذراعيك وأسقط في بئر. إنه أسوأ من مجرد الحلم بالسقوط في الهاوية.

- قال أوليفيرا :

- ربما لست تائهة تماما.

- أو، اتركني في هدوء، أنا أعرف كيف أعيش، أتفهمنى. أنا أعيش جيدا على الطريقة التي أحيأ بها. هنا، مع أشيائي وأصدقائي.

- عددي، عددي، فهذا يساعد، امسكي بالأسماء وبذلك لن تسقطي. ها هو هناك

64

الكومودينو، والستارة لم تتحرك من على النافذة، ولا زال كلوديت يعيش فى نفس المكان فى Dan-Ton 34 وماذا وأمك تكتب لك من Aix فى - Provence، يسير كل شئ على ما يرام.

- إنك تخيفنى أيها الشبح الأمريكى - قالت بولا وهى تلتصق به - لقد اتفقنا على أننا لن نتحدث فى منزلى عن ...

- الطباشير الملون .

- عن ذلك كله.

أشعل أوليفيرا سيجارة جلواز ونظر إلى الورقة المطوية على الكومودينو

- هل هى نتيجة التحليلات؟

- نعم. يريد أن أقوم بها فوراً. ضع يدك هنا، إنها أسوأ من الأسبوع الماضى.

أوشك الظلام أن يحل بالكامل. بولا تبدو كأنها إحدى بطلات بونارد Bonnard مستلقية على السرير وتلفها آخر خيوط الضوء فى لون أخضر مشبع بالأصفر. «إنها كنيسة الصباح» فكر أوليفيرا وهو يميل ويقبلها على نهدها، وبالتحديد فى المنطقة التى أشارت إليها بأصبع غير مستقر الاتجاه. «لكنهم لا يصعدون حتى الدور الرابع فلم يُعرف أن صعدت كنيسة أو بستائية إلى الدور الرابع. أضف إلى ذلك أن الرسام سوف يأتى غدا ويكرر نفس الشئ تقريباً... أى تلك الحنية الناعمة جدا التى عليها....» تمكن من الإمساك عن التفكير، وتمكن من تقبيلها قبله للحظة واحدة.

(-155)

65

- نموذج بيانات النادى
- جريجور فيوس - أوسيب
- بلا وطن
- القمر بدر (الجانب المقابل، غير مرئى فى ذلك Presputnik): حُفَرُ أم بحار أم تراب؟
يميل إلى ارتداء اللون الأسود، والرمادى والمرقَط. لم ير على الإطلاق وهو يرتدى
حُلَّةً كاملة. هناك من يؤكد أن لديه منها ثلاثة لكنه يقوم بتوليف چاكت إحداها مع
بنطلون الأخرى. قد لا يكون من الصعب التأكد من هذا.
- السن: يقول إن عمره ثمان وأربعون عاما.
- المهنة: متقف. تقدم أخت جدته بارسال مبلغ شهرى له.
- كارنيه الإقامة: أ- ث 3456923 (لمدة ستة أشهر قابلة للتجديد. وقد تم تحديد ذلك
ست مرات، وفى كل مرة تزداد صعوبة التجديد عن ذى قبل)
- البلد الأصلى: ولد فى بورزك Borzok (ربما كانت شهادة الميلاد مزورة وبذلك
طبقا لما صرَّح به جريجور فيوس للبوليس فى باريس. وأسباب ذلك الافتراض تكمن
فى المفكَّرة)
- البلد الأصلى: كانت بورزك يوم مولده جزءا من الأمبراطورية النمساوية المجرية
وبالتالى فالأصل الـ magyar هو بديهى - يطيب له التنويه بأنه تشيكى البلد الأصلى:
ربما كانت بريطانيا العظمى. فَقَدْ وُلد جريجور فيوس فى جلاسجو. والده يعمل فى
البحرية وأمه من سكان اليايسة، وهو محصلة تدرج إجبارى، «وَتُسْتَيْفَ» شحنة بطريقة
هشة، وبيرة قوية، وليونة xenafilicas مبالغ فيها من قبل الأنسة مارجوى بابنجتون ٢٢
سن إستيوارت.
- يطيب لجريجور فيوس أن يبحث عن جنود صعلكة، وسمعة سيئة للحمل الذى مرت
به أمهاته (كن ثلاثة طبقا لروايته وهو سكران) وقد أسند اليهن سمات فيها شطارة فد
هيرسك ماجدا رازيوييل Hergogin Magda Rasenswill التى تظهر على زجاجات
الويسكى والكونياك كانت من عاشقات المساققة وهى صاحبة مؤلف شبه علمى بشأن
carezza (الذى تترجم إلى أربع لغات). أما السيدة بابنجتون التى أدمنت شراب الچن
فقد انتهى بها الأمر لتمارس البغاء فى مالطا. أما الأم الثالثة فهى بمثابة مشكلة لكل
من إيتين وونالد وأوليفيرا، فهم شهود على ظهورها واختفائها السريع من ماركات
النبذ مثل Beaujolais و Cotes du Rhone أو AllgoteBourgogne. وكان لها اسم طبقا

65

لكل حالة فهي جال Galle وهي أذجال Adgalle أو منتي Minti. تعيش بحرية كاملة تنتقل بين الهرسك ونابولي وتساfer إلى الولايات المتحدة مع شركة متخصصة Vaude Ville وهي أول امرأة تدخن في أسبانيا، وتبيع زهور البنفسج على بوابة مبنى الأوبرا في فيينا وتخترع وسائل لمنع الحمل، وتموت مصابة بالتيفود. إنها تحيا لكنها أصيبت بالعمى وتعيش في أويرتا Huerta تختفى برفقة، سائق القيصr تراسكواي - سيلو Tsarskole- selo تبترز ابنها في السنين الكبيسة، وتمارس العلاج بالماء، ولها علاقة مشبوهة بأحد القساوسة في بونتواز Pontoise، ماتت عند ميلاد جريجورو فيوس الذي يمكن أن يكون ابن رائد الفضاء سانتوس دومونت Santos Dumont. وقد لاحظ الشهود - بشكل غير مفهوم - أن هذه الروايات المتتابة (أو المتزامنة) عن الأم الثالثة تشير كلها إلى جورديف Gurdiaff الذي يكن له جريجورو فيوس إعجابا شديدا وأحيانا يعبر عن احتقاره له.

(-11)

66

المراحل التي مر بها موريلي، والجانب الخاص بـBouvard pecuchet والجانب الخاص به كجامع للتقويم الأدبي (ففي لحظة معينة يطلق على أعماله «التقويم»). يروق له رسم بعض الأفكار لكنه غير قادر على القيام بذلك. والتصميمات التي تظهر على هامش ملاحظاته غير جديرة. إنها تكرار، فيه هوس، لخط حلزوني يرتعد، بإيقاع يشبه تلك الخطوط التي تزين Stupa de sanchi.

يطرح العديد من النهايات لكتابه الذي لم ينته ويترك الماكيت. الصفحة تتضمن جملة واحدة «في حقيقة الأمر كنت أعرف أنه لا يمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك فلا شيء هناك» وتكرر الجملة في الصفحة وتعطى الانطباع بوجود حائط ووجود مانع. لا توجد علامات ترقيم، أو حتى هوامش. إنها بالفعل حائط ووجود مانع. العبارة والاصطدام بحاجة. لا يوجد وراء شيء. وفي أسفل الصفحة من الناحية اليمنى تفتقد الكلمة لا. والعين الفاحصة هي التي تكتشف الفجوة القائمة بين قوالب الطوب والضوء الذي يَنقُذُ.

(-149)

67

أقوم بربط حداثي، وأنا سعيد وأصفر طرباً، وفجأة، اللاسعادة. لكنني اصطدتك هذه المرة أيها الكرب، وشعرت بك سابقاً على أى منهج عقلي، وعلى أول حكم بالنفي. شعرت بك كلون رمادي تحول إلى ألم ومعدة، وفي الوقت ذاته تقريباً (وبعد ذلك خدعتني هذه المرة) أخذ الفهرس الذكي يفتح لنفسه طريقاً من خلال الفكرة الأولى التفسيرية: «والآن يعيش يوماً آخر... إلخ» حيث تتم مواصلة: «أنا أشعر بالكدر وذلك... إلخ» تسير إلى المكانية الفيزيائية) يكفي أن يتغير إتجاه النسمة (لكن ما الذي يغير مقياس الزوايا؟) وبعد ثانية تصل القوارب إلى هنا وهي سعيدة وعليها قلوغها الملونة. «وبعد كل هذا لا يوجد سبب للشكوى» ذلك الأسلوب.

استيقظت ورأيت النور نور الصباح بين فتحات الشيش. كان أتيا من أعماق الليلة التي مررت بها وكأنني أنقياً من أعماق أعماقي، ينتابني الفزع من الإطالة على يوم جديد يحمل نفس مواصفات تقديم نفسه، واللامبالاة الميكانيكية في كل مرة: الوعي، والإحساس بالنور، وتفتح عينيك، والشيش والفجر.

في تلك الثانية وفي الإطار الكامل لحالة شبه النوم قمت بمشاهدة الرعب الذي تعجب وتزهر به الأديان، ألا وهو الكمال الأبدي الكون والثورة الدائمة للكرة حول محورها إنه الغثيان، وشعور بالقهر لا يستطيع المرء تحمله، فأنا مجبر على الموافقة على أن الشمس تشرق كل صباح. إنه لأمر رهيب، وشئ غير إنساني.

قبل أن أخلد للنوم تخيلت (رأيت) كونا مرناً متغيراً ومليناً بالصدف الرائعة وسماء مرنة وشمسا تختفي فجأة أو تطل ثابتة أو تغير من شكلها.

كم وددت في تفرق مجموعة الكواكب والنجوم التي هي دعاية ممقوتة ومضيئة
Trust Divi no Relojero

(-83)

لا يكاد يكدر عليها خط تفكيرها حتى يفاجئها ال Clemiso فكانا يسقطان في hidromurias وفي ambonios وحشية وفي sudtalos ساخطة. وفي كل مرة يحاول فيها relamat las incopelusas ينخرط في حالة كدر شكاءة ولم يكن أمامه إلا envulsionarse فيما يتعلق ب nóvalo ويشعر كيف أن كانت Se espejunaban وكانت تأخذ في apeltronando و reduplamiento حتى يصبح ممداً وكأنه ال trimalcato de ergomanlna حيث ترك ليسقط عدة Filulas من catlacencia. ومع ذلك لم يكن هذا إلا البداية ففي لحظة معينة كانت tordulaba las hurgallos وتجعله يقرب بنعومة orfelunia sus. ولم يكاد se entreplumaban وكان هناك encores- ulucordie las esterfusosa con- clinon و La jadehallanteembocaplvuia del orgumio los esproemi- vulcante de las mátricas os del merpasmo في salirehumitica agopauser! إيفوى! إيفوى Evohé وعندما volporades إلى قمة murello كانا يشعران بأنهما mawios و perlincs balparamar. كان Troc يرتعش وكانت las marioplunas تتراجع وكان كل شيء ينوب في pinice عميق وفي niolemas de argatendidas gasas وفي Carinias تكاد تقسم بالقسوة التي- tordo penaban بها إلى أقصى درجات ال gunfias.

(-9)

Renovigo العدد الخامس

مُنْتَحَرُ آخر

كانت مفاجأة غير سارة أن تقرأ في «أورتوجرافيكو Ortografiko» نبأ وفاة المبدع أدولفو أبيلاسانس في سان لويس بوتوس في أول مارس (الذي رقى إلى عقيد تمهيدا لسحب من الخدمة). كانت مفاجأة، فلم تكن لدينا أنباء عن ملازمته الفراش. وفيما عدا ذلك فقد أدرجنا اسمه بين أصدقائنا من المنتحرين. وذات مرة أشارت مجلة "Renovigo" إلى بعض الظواهر التي لوحظت عليه. والفارق أن أبيلا سانشيت لم يختار المسدس مثل الكاتب جيرمو ديلورا المناهض لسلوكيات رجال الدين كما لم يختار الحب مثل الفرنسي إيوجينيو لاني.

كان أبيلا سانشيت رجلا جديرا بالاهتمام والاحترام. وكان مثالا للجندية وشرف المكان الذي فيه قولا وفعلا، فقد كان مثالا رفيعا للولاء وشارك في ميدان القتال. هو رجل مثقف، وقام بتوصيل العلوم إلى الصغار والكبار. هو أيضا مفكر فقد كتب في كثير من الصحف، وخلف لنا بعض أعمال لم تنشر بعد، ومن بينها «دروس من المعسكر» كان شاعرا يقرض الشعر بسهولة وطلاقة في العديد من الأجناس الأدبية، كان فنانا يستخدم القلم والريشة، وأهدى لنا أعماله في أكثر من مناسبة. هو عالم لغويات إذ كان مولعا بترجمة مؤلفاته إلى اللغة الأنجليزية وإلى لغة الأسبرانتو واللغات الأخرى.

كان أبيلا سانشيت رجلا مفكرا، وعلى ثقافة وخلق. هذه هي أسس ما عنده. وفي الجانب الآخر هناك عدة أمور من الطبيعي أن يتردد المرء في الكشف عنها لأنها تتعلق بحياته الخاصة. لكن لما كانت الشخصية العامة ليس لها حياة خاصة، وكان أبيلا سانس من تلك الشخصيات فإننا نخشى أن نقع في المحذور ولا نفصح عن الوجه الآخر للعملة. من الواجب علينا طبقا لمفاهيمنا ككتاب سير ومؤرخين أن نتجاوز هذه العوائق.

عرفنا شخصا أبيلا سانس حوالى عام ١٩٣٦ في لينارس ن. ل. ويعد ذلك التقينا

69

به فى مونت دى، ويدخلنا منزله حيث بدا فى رغد وسعادة. وبعد ذلك بعدة أعوام زرناه فى سامورا. لكن انطباعنا هذه المرة كان على النقيض فقد لاحظنا أن المنزل تنهوى أركانه، فبعد بضعة أسابيع تركته زوجته الأولى، وبعد ذلك تفرق شمل الأبناء. وفى سان لويس وجد بوتوس فتاة طيبة رأت هى فيه خفة الروح ووافقت على الزواج منه: ولهذا كَوْن أسرة ثانية طال عمرها لحسن الحظ أكثر من الأولى، ولم تفارقه زوجته هذه المرة.

ما هى الأعراض التى بدت أولا على أبيلا سانس: هل هى الخاصة بالخلل العقلى أم إدمان الكحوليات؟ لسنا ندرى لكن اجتمع كلاهما عليه، وقضيا على مشوار حياته وأفضيا به إلى الموت. وكان لابد أن نتوقع لمريض فى سنواته الأخيرة أن يسير فى طريق الانتحار، وهى نهاية لا مفر منها. يفرض الشؤم نفسه عندما يلاحظ المرء أناسا وهم يسرون نحو غروب مأساوى قريب.

كان الرجل يؤمن بالحياة الآخرة. وقد أكد أن السعادة الأبدية فيها، وهى السعادة التى نهفو إليها معشر البشر رغم إنها بمواصفات مختلفة.

(-52)

70

«عندما كنت في قضيتي الأولى لم يكن الله معي ... كنت أحب نفسي ولم أكن أحب شيئاً آخر، كان ذلك ما كنت أريده، وكنت أريد ما كان، وكنت حراً طليقاً ... ولهذا أتضرع إلى الله أن يعتقنا، وأن نصل إلى كُنْه الحقيقة ونحظى بها للأبد، نصل إلى حيث الملائكة في عليين، فلا فرق بين الذبابة والروح، أعود إلى حيث كنت، وحيث كنت أحب ذلك الذي كان وكان ذلك الذي أحبه ...».

Meister Eckhardt.^(١)

Sermon Beati Pauperes spiritu

(-147)

71

موريلات:

ما هي، في حقيقة الأمر، حكاية الوصول إلى مملكة أبدية، وفردوس وعالم آخر؟ إن كل ما يكتب في هذه الآونة، ويستحق القراءة، يسير في اتجاه الحنين والشوق، إنها مجموعة أركاديا، والعودة إلى الرّجَم الأكبر، العودة إلى آدم، المتوحش الطيب (و...) الفربوس المفقود، الذي فُقد بحثاً عنك، وأنا في ظلمة دائمة ... وعليك بالجزر (cfr Musil) أو الرهبان البراهمانيين gurus (إذا ما كان لديك ثمن تذكرة باريس بومباي) أو أن تأخذ فنجان قهوة وتنتظر إليه من كل الجوانب، لا على أنه فنجان بل على أنه دليل على المتاهة الكبيرة التي نحن فيها، والاعتقاد بأن ذلك الشيء ما هو إلا مجرد فنجان قهوة في الوقت الذي يقوم فيه أكثر الصحفيين بلامة ويلخص لنا نظرية الكم في الفيزياء التي أشار إليها كل من بلانك^(١) plank وهيسنبرج^(٢) Heisenberg ويجهد نفسه في ثلاثة أعمدة ليقول لنا إن كل شيء يهتز ويتحرك كأنه قط يستعد للقيام بالقفزة الكبرى للهيديروجين أو الكوبالت وسوف يقلب الأمور رأساً على عقب. إنها طريقة تعميمية للتعبير.

لون فنجان القهوة أبيض، أما البدائي الطيب فهو بُنى اللون، وبلانك كان ألمانياً من الطراز الأول، ووراء كل ذلك (دائماً في المؤخرة، وعلى المرء أن يقتنع أن هذه هي الفكرة الرئيسية في الفكر الحديث) هناك الفردوس، والعالم الآخر والبراءة الحبيسة التي تبحث عن نفسها وهي تبكي، وهي أرض هرقليا Hurqalā. الجميع يبحثون، وكل، على طريقة الجميع، يريد أن يفتح الباب ليذهب للهو. وليس من أجل عدن، من أجل عدن في حد ذاتها، بل ليخلفوا وراء ظهورهم سيل الطائرات، ووجه خروشوف وإيزنهاور أو دييجول أو فرانكو، إنه الاستيقاظ على صوت الجرس الصغير، والارتباط بالترموتر والمحم. إنها الفرحة بالركلات الموجهة إلى العَجَز (وعلى مدى أربعين عاماً يكبر العَجَز حتى يكون الأثم أقل، لكنه لازال يؤلم بنفس الطريقة. إذ يزداد نفاذ سن الحذاء، وفي كل ركلة يرتخي فيها العَجَز المسكين لموظف الخزنة أو صف الضابط أو مدرس الأدب أو الممرضة) ونقول بأن hom الإنسان القديم Sapiens لا يبحث عن الباب، ليدخل إلى المملكة الأبدية (رغم أن ذلك قد لا يكون فيه أي شيء سيئ) بل يحاول أن يغلقها وراءه ويهز عجزه كأنه كلب سعيد يعرف أن حذاء هذه الحياة المتعبة لم يعد يضايقه وقد أخذ يضرب نفسه من وراء الباب المغلق، ويمكن للمرء أن يذهب وقد تنفس الصعداء وأخذ يكفّر العَجَز، ويعتدل، ثم يأخذ في السير وسط أزهار الحديقة ويجلس ليتأمل سحابة،

71

ويستغرق في ذلك ما لا يقل عن خمسة آلاف عام أو عشرين ألف عام إذا ما كان ذلك ممكناً، وإذا لم يغضب أحد وإذا ما كنت هناك فرصة للبقاء في الحقيقة لتأمل الزهور.

ومن حين لآخر يوجد بين المارة الذين يسرون بشكل جماعي والعجز قد اتسع من يود إغلاق الباب ليحمي نفسه من المركبات ذات الأبعاد الثلاثة التقليدية دون أن يأخذ في الاعتبار تلك القادمة من مستوى الفهم ومن المبدأ الخاص بالسبب الكافي، إلى غير ذلك من التفاهات التي لا حد لها؟ وفوق ذلك يعتقد هؤلاء أننا لسنا في الدنيا، وأن أباينا العظام قد وضعونا في عملية قرصنة يجب الخروج منها إذا لم يرد المرء أن ينتهي به الأمر إلى تمثال يركب حصاناً أو يتحول إلى جد مثالي، وأنه لم يضع أي شيء إذا ما كانت لديه الجرأة في نهاية الأمر ليعلم أن كل شيء قد ضاع، ويجب البدء من جديد مثل مشاهير العمال الذين أدركوا ذات صباح، من خلال أغسطس عام 1970 بأن نفق مونت براسكو Monte Brasco غير مستقيم الاتجاه، وأنهم سوف يخرجون بعيدين عن النفق الذي يحفره العمال اليوغوسلاف بحوالي خمسة عشر متراً من ناحية دوبلفينا. ماذا فعل هؤلاء العمال المشاهير؟ لقد تركوا النفق الذي يحفرونه كما هو، وخرجوا إلى السطح ويعد عدة أيام وليالي من النقاش في أكثر من كاتين في بيومونت Piemante أخذوا يحفرون في مكان آخر من «البراسكو» على مسئوليتهم وواصلوا عملهم دون أي اعتبار للعمال اليوغوسلاف ووصلوا إلى جنوب دوبلفينا بعد أربعة أشهر وخمسة أيام. وقد فاجأوا مدرساً على المعاش، إذ رأهم وهم يظهرون على مستوى حجرة الحمام في منزله. وهذا مثال يحتذى، كان على عمال دوبلفينا أن يحذوا حذوه (رغم أنه من المهم الإشارة إلى أن العمال المشاهير لم يبلغوا الآخرين بنواياهم) وبدلاً من الإصرار على الاتصال بنفق آخر لا يوجد مثلما هو حال الكثير من الشعراء الذين يطلون من النافذة وغرفة المعيشة في منتصف الليل وقد ظهرت أجسادهم حتى المنتصف.

وهكذا يمكن للمرء أن يضحك ويظن أنه لا يتحدث بشكل جاد، لكن نعم، إنه يتحدث بشكل جاد، فالابتسامة وحدها قد حفرت الكثير من الأنفاق المفيدة، أكثر من كل دموع الأرض، رغم أن ذلك قد لا يروق غلاظ الرقاب الذين يصرون على أن ربة الفناء والمأساة ملبومييني Melpomene هي أكثر ثراء من الملكة ماد^(٣) Queen Mad. وليكن واضحاً أننا نختلف في هذا الموضوع. ربما كان هناك مخرج إلا أنه يجب أن يكون مدخلاً. ربما هناك مملكة أبدية لكن ليس ذلك الهروب من عبء معادى بقولى الاستيلاء

على القلعة دفعة واحدة. وحتى الآن فهذا القرن قد فرّ من أمور عديدة وهو الآن يبحث عن الأبواب وأحياناً ما يزيلها. ولا يعرف ما الذى سيحدث بعد ذلك. لقد وصل البعض إلى مرحلة الرؤية وقد زالوا بعد أن محاهم النسيان فوراً، كما أن البعض قد اكتفى بمأسورة العالَم الصغيرة الحجم، ولجأوا إلى المنزل فى خارج المدينة، وغاصوا فى التخصص الأدبى أو العلمى، أو السباحة. يتم وضع خطط للهروب ويتم إدخال العناصر التكنولوجية عليها وتركيبها باستخدام الـ Modulor أو قاعدة Nylon. هناك بعض الحمقى الذين لازالوا يعتقدون أن حالة السكر يمكن أن تكون منهاجاً أو الميستالين (نوع من العرقى) أو الشذوذ الجنىسى أو أى شئ صغر أم كبر فى نفسه إلا أنه تم الارتقاء به إلى نظام، إلى مفتاح للمملكة. يمكن أن يكون هناك علماً آخر داخل ذلك⁽⁴⁾، لكننا لن نعثر عليه ونحن نقص شكله، ونعد له مع مرور الأيام والحيوات. لن نعثر عليه من خلال الضمور أو زيادة النمو. ذلك العالم لا يوجد. لا بد وأنا نبدعه وكأنه العنقاء. ذلك العالم يوجد فى ذاك لكن مثل وجود الحياة فى الأوكسجين والهيدروجين أو فى الصفحات رقم 78، 457، 3، 271، 68، 75، 456 فى قاموس الأكاديمية الأسبانية حيث يمكن كتابة قصيدة على نسق البحر الشعرى الجديد الذى أتى به جارتيلاسو. لنقل إن العالم شخصية يجب قراءتها، ونعنى بالقراءة توليدها. من الذى يهيمه القاموس فى حد ذاته؟ فإذا كان التفاعلات الكيماوية الحساسة والتناضح وخليط من المواد البسيطة تأتى بياتريث فى النهاية على شاطئ النهر، فيكف لا تشك ونحن فارغى الأفواه فيما يمكن أن يتولد منها؟ إنها مهمة غير مجدية للإنسان الذى يقوم بدور حلاق لنفسه، ويكرر كل خمسة عشر يوماً قص الشعر، وهكذا حتى الملك بأن يمد نفس الترابيزة، ويقوم بعمل نفس الشئ من جديد ويشترى نفس الصحيفة يطبق نفس المبادئ على نفس المشاكل. يمكن أن تكون هناك مملكة أبدية، لكن إذا ما وصلنا إليها فى إحدى المرات، وإذا ما كنّا نحن تلك المملكة فلن يكون اسمها هكذا. ولما لم نقدر علي أن نتنزع من الزمن سوط التاريخ، وحتى تنتهى من كل عبارات، فإننا سنظل نرى الجمال لهدف، والسلام كأمينة ودائماً ما نكون على ذلك الجانب من الباب حيث لا يكون كل شئ سيئاً. ذلك أن هناك العديد من الناس يجد حياة مرّضية، وبرنامجاً رقيقة، ورواتب مجزية وإنتاج أدبى رفيع المستوى، وأجهزة صوتية بالاستريو، ولماذا يقلقون إذن، إذا ما كان من الممكن أن يكون أبدياً أو أن التاريخ يقترب من النقطة المناسبة، وتتجاوز السلالة البشرية العصور الوسيطة لتدخل عصر الالكترونات. إن كل

شئ يسير سيرا حسنا يا سيدتي الماركيزة، كل شئ يسير على أفضل ما يرام، على أفضل ما يرام^(٥).

وفيما عدا ذلك لا بد وأن يكون المرء أبلها، ولا بد أن يكون شاعرا، وأن يكون في قمر فالنسبة، ليخسر أكثر من خمس دقائق وهو يرى تلك الأشواق وقد زالت على المدى القصير. ففي كل اجتماع يعقده المدراء الدوليين، ورجال العلم، وكل قمر صناعي جديد وكل هرمون أو مفاعل نووي يقضى، بشكل أو بآخر، على هذه الآمال الواهنة. سوف تكون المملكة من مادة جمالية. وهذا واقع. وليس الأمر أن العالم قد يتحول إلى كابوس على طريقة أرويل Orwell أو هاكسلي Huxley. هذا سوف يكون أسوأ وسوف يكون عالما ممتعا على مقاس ساكنيه دون أن يكون هناك ناموس أو أى شخص لا يعرف القراءة والكتابة، وسوف تكون فيه الدجاجات ضخمة الحجم وربما تكون لها ثمانية عشر رجلا، وكلها جميلة، وسوف يكون لها ثورات مياة مجهزة بالاتصالات، ومياهها مختلفة الألوان طبقا لليوم والأسبوع. وسوف تكون هناك رعاية خاصة من إدارة الصحة العامة.

سوف يكون هناك تلفزيون فى كل حجرة، وعلى سبيل المثال مشاهد طبيعية إستوائية لسكان ريجافيك Reyjavik ومنظر خارجى لسكان هافانا، وهى مقابل دقيق يسهم فى إرضاء وتثبيط أى تمرد.

إلخ

أى أن يكون عالما مُرضيا لأناس عقلاء.

وهل سيبقى فيه أحد، فرد واحد، غير عاقل؟

سوف تكون هناك أطلال المملكة المنسية فى أحد الأركان. وسوف تكون بعض الوفیات العنيفة عقابا على تذكر تلك المملكة، وسوف يكون بقاء المملكة متمثلا فى بعض الابتسامات وبعض الدموع. وفى جوهر الأمر يبدو أن الإنسان سوف ينتهى به الأمر لقتل إنسان. سوف يفر منه وسوف تمسك به دواية الماكينة الالكترونية والصاروخ الفضائى، وسوف يتعرض لأحدى الضربات وبعد ذلك يفر لايحق أحد به يمكن قتل كل شئ ما عدا الشوق للمملكة فهذا سوف يظل فى لون عيوننا وفى كل حب، وفى كل ما يقض مضجع الإنسان ويخدعه. أن يفكر المرء مثملا يريد، ربما هذا. لكن ذلك هو تعريف آخر ممكن لذى الرجلين منتوف الريش.

(- 5)

71

- حسنا فعلت عندما جئت إلى المنزل يا حبي، لقد كنت مُتعبا.
- قال أوليفيرا :
- هذا ليس مكانا كالبيت.
- تناول كوبا آخر من الشاي لقد انتهيت من إعدادة للنّو.
- يبدو أنه لازال مرأ وأقولها وأنا مغمض العينين، هذا شيء رائع. آه لو تتركينني لأنام قليلا بينما تقرئين إحدى المجلات.
- نعم يا عزيزي - قالت جيكربيتين وهي تجفف دموعها وتبحث عن عدد من مجلة Idilio على سبيل الطاعة رغم أنها غير قادرة على قراءة أى شيء.
- يا جيكربيتين.
- نعم يا حبي
- لا تقلقى لهذا يا عجزو.
- بالطبع لا، أنتظر لأضع لك كمادة أخرى باردة.
- سوف أستيقظ فى غضون فترة قصيرة ويعدّها نقوم بجولة فى ألمانجرو Almagro
- فربما كانوا يعرضون حفلة موسيقية.
- غدا يا حبي، ومن الأفضل أن ترتاح الآن. لقد كان وجهك حين جئت ...
- إنها طبيعة المهنة، وليس هناك مخرج، لا تقلقى. لقد سمعت كيف يُصدَح ثين
- باسوس Glen Pasos.
- قالت جيكربيتين :
- إنهم يغيرون له الحبوب، ذلك الحيوان العجيب إنه شكور جدا
- كرر أوليفيرا :
- شكور ياله من شكر لمن قام بوضعه فى القفص.
- الحيوانات لا تعى ذلك.
- كرر أوليفيرا :
- الحيوانات .

(~77)

نعم، لكن من سيعالجنا من هذه النار الصماء، هذه النار التي لالون لها والتي تسرى ليلا في شارع هاشيت، وتخرج من الأبواب التي أكلتها القرصنة، ومن الدهاليز الضخمة، من ينقذ من هذه النار التي لا شكل لها والتي تعلق بالحوائط وتتربص بنا عند مداخل الأبواب؟ ما الذى سنفعله لنعالج الحروق اللذيذة الدائمة التي أصابتنا بها، والتي تستقر لتكون خفيفة. للزمان والذكريات؟ من ينفذنا من هذه المواد اللزجة التي تمسك بنا فى هذا الجانب والتي سوف تشتعل فينا بمتعة حتى نتحول إلى رماد. عندئذ يكون الأفضل الدخول فى تحالف مثل حال القطط والطحالب وعقد صداقات فورية مع الحارسات من نوات الأصوات الضخمة، ومع الأطفال ذوى الوجوه الشاحبة والتي تظهر عليها علامات المعاناة، وهي تطل بحذر من النوافذ وتلعب بغصن جاف. النار تضطرم دون توقف، ونحن نتحمل الحرّ الرئيسى الذى يتوغل مثل التعفن البطئ فى شرة الفاكهة. ويكون نبض النار فى خضم حجارة لا تنتهى ونسير فى ليل أيامنا مثلما يجرى الدم فى عروقنا وقد أطاع طاعة عمياء.

سألت نفسى كثيرا عما إذا كان ذلك ليس إلا كتابة فى زمن نركض فيه نحو الخداع بريادة جاش لا يكل، وماكينات الانصياح. لكن أن نسل أنفسنا ما إذا كنا سنعرف الوصول إلى الجانب الآخر للعادة، أو من الأفضل أن نترك أنفسنا للسعادة بالالكترونيات، أليس الأمر أننا نتحدث من جديد عن الأدب؟ إنه التمرد، والانصياح والمرارة والغذاء الأرضى وكل المفاهيم الأخرى: الين Yin واليانج Yang والتأمل أو التاجيكيت Taligkit، والشوفان الذى التف حول بعضه أو طيور الحجلى falsandeeo (perdij) أو كهف لاسكو⁽¹⁾ Lasoux أو الرسام ماثيو⁽²⁾ Mathieu، وبألها من كلمات مريحة وبأله من جدل صغير يدور كأنه عاصفة فى جيب سترة البيجامة، وهزة ضخمة فى حجرة المعيشة. إن مجرد التساؤل عن إمكانية الاختيار تفرغ ما تم اختياره من محتواه وتقضه. الأمر بنعم، وبلا، وأن فى ذلك هناك ... يبدو أن الاختيار لا يمكن أن يكون جدليا. إذا أن طرحه يفقره، أى يزيّفه، أى يحوله إلى شئ آخر. وبين الين واليانج كم هناك من الأدبيات (éones)؟ ومن نعم إلى لا، كم يا ترى؟ كل شئ كتابة، أى أسطورة. لكن ماذا تفيدنا الحقيقة التى تهدى من روع المالك الشريف؟ إن الحقيقة الممكنة بالنسبة لنا لا بد وأن تكون ابتكارا أى كتابة، أى أدبا، أى رسما أى نحتا، وزراعة ومزارع أسماك وكل مشاعل هذا العالم. إن القيم هى مشعل، والصحة كذلك والمجتمع والحب ما هو إلا مشعل محض، وكذلك الجمال. يتحدث موريللى فى أحد كتبه عن ابن نابولى الذى قضى سنين عديدة جالسا على باب منزله وهو يتأمل مسمار بريمة ملقى على الأرض. وأثناء الليل يأخذه ويضعه تحت المرتبة، كان المسمار ابتساما فى البداية

وكأنه نوع من الاستخفاف، وسخف عام واجتماع مجلس الجيران ورمزا لخرق الواجبات المدنية وأخيرا هن الاكتاف والسلام، كان المسمار هو السلام، ولا أحد يمر في الشارع إلا ونظر بطرف عينيه للمسمار، وشعر أنه السلام، ثم مات هذا الرجل إثر حالة إغماء وبعد ذلك اختفى المسمار ولم يظهر الجيران. لابد أن أحدا متهم يخفيه وربما يخرج سرًا ويتأمل ثم يعود لحفظه ثم يذهب إلى المصنع وهو يشعر بشئ لا يفهمه، إنه نوع غامض من تأنيب النفس. ثم يهدأ عندما يخرج المسمار وينظر إليه، ويظل على هذا الحال حتى يسمع وقع خطوات فيقوم بإخفائه فوراً. كان موريلي يرى أن المسمار لابد وأن يكون شيئاً آخر، كأنه رب أو شئ من هذا القبيل. هذا حل سهل جدا وربما يكمن الخطأ في القبول بأن هذا الشئ لم يكن إلا مسماراً، لأن شكله كذلك. نجد أن بيكاسو يأخذ سيارة لعبة ويحولها في نظره إلى أريوح dinocéfalo. ربما كان ابن نابولي أبلها لكنه من الممكن أيضا أن يكون مخترعا لعالم. من المسمار إلى العين، ومن العين إلى النجم فلماذا نستسلم للعادة الكبرى؟ يمكن اختيار المشعل، أي الابتكار، أي المسمار أو السيارة اللعبة. بهذه الطريقة تتولى باريس تدميرنا وريدا رويدا، وبطريقة لذيذة، وتقوم بفُرْمُنًا بين الزهور القديمة، والمفارش الورقية الملطخة ببقايا النبيذ الأحمر، وبنارها التي لا لون لها، والتي تسرى مع حلول الظلام وتخرج من الأبواب التي أكلتها الأرضة. تضطرم فينا نار مبتكرة، ومشعل متوهج، وعدة اللالة، ومدينة هي المسمار الأعظم والإبرة الرهيبة وفتحها الليلية التي يجري من خلالها خيط السنين وماكينة التهذيب كأنها إبرة تطوير واحتضار في قفص ملي بطيور السنونو الغاضبة. إننا نحترق في أعمالنا، ذلك الشرف العظيم الغاني وذلك التحدي القوي للعنقاء. لا أحد يشغفنا من النار الصماء، النار التي لا لون لها والتي تسرى أثناء الليل في شارع هاشيت. لا شفاء، بالكامل ليس هناك شفاء، ونختار المسمار الأعظم من خلال المشعل ونحنى عليه وندخل فيه ونعود لا ابتكاره كل يوم وفي كل بقعة نبيذ تسقط على الفرش الورقي وفي كل قبلة للطالب في الصباح الباكر في كور دي روهان† Cour de Rohan، إننا نبتكر حريقنا، ونحترق من الداخل إلى الخارج، وربما كان ذلك هو الاختيار، وربما كانت الكلمات تتضمن ذلك مثلما تغطي القوطة الخبز ومثلما توجد الراحة في الداخل والدقيق يصبح أسفنجيا، النعم بدون لا أو اللا بدون نعم. النهار بدون مانيس Manes وبدون هرمز(٢) Ormuz أو أريمان Ariman وليحل السلام وكفى.

(-1)

73

المتمرّد الذي رآه موريلي من خلال ملاحظة مدونة ومشبوكة بدبوس ذى رأس إلى ورقة حساب المغسلة: «قبول الحصى ونجم Betade Centauro وقبول ما هو نقي - على أساس - القلّة وتقديمه على ما - هو - نقي - على أساس - الكثرة. إن ذلك الرجل يتحرك فى إطار الترددات الشديدة الانخفاض والشديدة العلوّ، ولا يولى اهتماما بالوسيط منها فهى المنطقة التى تتحرك فيها جماع الأرواح الإنسانية. هو غير قادر على السيطرة على الظروف، ويحاول أن يدير لها ظهره. لكنه لا يقدر على الانضمام إلى هؤلاء الذين يكافحون من أجل السيطرة عليها، فهو يظن أن هذه التصفية لن تكون إلا محض تبديل لها بواحدة أخرى تتسم أيضا بالجزئية والجمود، فيبتعد وهو يهز كتفيه. ويرى أصدقائه أنه عندما يجد سعادته مع كل ما هو بسيط وصبيانى، مثل فتلة أو مجرد Stan Getz فهذا يدل على فقر مؤسف. لكنهم لا يعرفون أن الطرف الآخر موجود، أى الصعود إلى مكان يستعصى عليه، ويقطع الخيوط ويتوارى لكن المطاردة ليست لها حدود، كما أنها لا تنتهى بموت ذلك الرجل، فموته لا يعنى موت المنطقة الوسطى، والذبذبات التى تلتقطها الأذان التى تستمع إلى جنازة سيجفريد»^(١).

وربما أمكن تصحيح النغمة المبالغ فيها لهذه الملاحظة بأخرى مكتوبة بالقلم الرصاص على ورق أصفر: «الحصى والنجم: صور لا معقولة، لكن التجارة الحيمة بالأغاني المسجلة التلاؤ... (كلمة غير مروءة)... بأن ذلك هو نجم Beta del Centauro. الأسماء والسمات تتراجع وتزول وتتحوّل إلى شئ مغاير لما يبتغيه العلم. وهكذا نجدها فى شئ هو (ماذا؟ ماذا؟): يد ترتعش، وهى تخبئ حجرا شفافا يرتعش أيضا» (أسفل، يوجد كتابة بالحبر تقول: «ليس الأمر متعلقا بوحدة الوجود، فهذا أمل لذيذ وسقوط إلى أعلى للدخول فى سماء مشتتة على حافة البحر»).

وفى مكان آخر هناك ذلك الإيضاح: «إن الحديث عن الذبذبات المنخفضة والمرتفعة هو العودة من جديد إلى Idola fori وإلى اللغة العلمية التى هى أمل الغرب. وبالنسبة للمتمرّد الذى أعرفه، فهذا يعنى صناعة برميل صغير وإصلاحه لاسعاد الأولاد الحاضرين لكن ذلك لا يمثل نوعا من الانشغال البسيط (منخفض بالمقارنة بالمرتفع،

وقليل بالمقارنة بالكثير ... إلخ) بل نوعا من التوافق بين العناصر المحضنة، ومن هنا نجد الانسجام المؤقت والرضا الذي يساعده على تولى الباقي. يحدث نفسى الشئ فى لحظات الاستغراب والإغراب اللذيذ التى تحول ذلك بسرعة إلى لمسات وجيزة وخاطفة من شئ يمكن أن يكون فردوسا، لكن ذلك بالنسبة له ليس خبرة أعلى من مجرد ضياع برميل صغير، هو بمثابة غاية، لكن ليست أعلى، أو فيما وراء ذلك. كما أنه ليس غاية بمفهومها المؤقت، إنه دخول فى شئ هو بمثابة تجديد ملئ بالثراء. ويمكن أن يحدث له وهو فى دورة المياه، ويحدث له كثيرا وهو بين فخذى امرأة أو بين سحب الدخان وأثناء قراءات متوسطة - المستوى».

«وفى إطار الأحداث اليومية، فإن موقف المتّمرّد يترجم من خلال رفضه لكل ما يُشتمّ فيه أنه فكرة تمّ تلقيها أو خيانة أو هيكل مبتذل يقوم على الخوف والمزايا المتبادلة بشكل زائف. يمكن أن يكون روبنسن دونما جهد كبير. ليس بغيبضا للبشر، لكنه يقبل من الرجال والنساء ذلك الجزء الذى لم يتم تغليفه بالبنية الاجتماعية: إنه هو نفسه يعيش الخوف وجسده موضوع فى القالب، ويعرف ذلك، لكنها معرفة نشطة وليست انطباعا لمن يقوم برسم اتجاه السير. ويضرب وجهه بيده التى لا تحمل شيئا معظم النهار وفى اللحظات التى لا عمل له فيها يضرب وجوه الآخرين الذين يريدون له الصاع صاعين وأكثر. إنه يشغل وقته بهذه الطريقة، بالدخول فى مشاكل ضخمة تشمل العشاق والأصدقاء والموظفين والدائنين. وفى الوقت القليل الحر المتبقى عنده يستخدم حريته استخداما يجعل الآخرين فاغرى الأفواه، وتكون المحصلة كوارث ليست لها أبعاد درامية كبيرة. بل تكون على مقاسه ومن خلال طموحاته الممكنة التحقيق. هناك حرية أخرى أكثر سرية وهروبا تتولاه، لكنه فقط (فى القليل من الحالات) هو الذى يمكن أن يعى طبيعة ألعابه».

75

فى الأزمنة الخوالى كان جمىلا أن يشعر المرء بأنه يعىش حىاة إمبراطورية تسمح بتألف القصائد «السونىو» والحوار مع النجوم والتأمل فى اللىالى الصافىة واللهور على طرىقة جوته، والدردشة فى مقهى Calon والمحاضرات التى لىقىها الأساتذة الأجانب. ولازال هناك - فى تلك الأونة - عالم يحىط به ويعىش على هذا النمط وىمارس الحب على تلك الطرىقة، إنه عالم جمىل رشىق ومعمارى التصميم. وحتى يشعر بالمسافة التى تباعده الآن عن تلك الأعمدة لم یكن أمام أولیقىرا إلا تذكر تلك الأيام - بابتسامة مرة - من خلال العبارات التى عفا علیها الزمان وإبقاع الأمس الملى بالبدخ وطرىقة القول والصمت. وفى بوینوس آیرس عاصمة الخوف، أخذ يشعر من جدىد أنه محاط بذلك الذى یسمى بالحسّ الجىد، وخاصة بذلك الذى یسمى تأكىد الرضا الذى یضم تحت لوائه الشباب والشىوخ. وقبول الجمیع لما هو أنى وفورى على أنه الحقیقى، وما هو كنسى على أنه، على أنه (أمام المرأة وفى یده أنبوبة معجون الأسنان. انطلقت ابتسامة أولیقىرا لتكسو وجهه وبدلا من وضع الفرشاة فى فمه قربها من صورته فى المرأة وأخذ یدهن فمه الزائف بالمعجون الوردى اللون ویرسم القلب فى وسط الفم ویرسم الأیدى والأقدام والحروف. والبذاءات وأخذ یطوف على سطح المرأة مستخدما الفرشاة والضغط على الأنبوبة وهو یتلوى من القهقهة، حتى دخلت جىکربتین وقد فقدت صبرها حاملة صابونة... إلخ).

(43 -)

76

كانت البدان هما سلاح بولا كالعادة. ها هو الغروب، وها هو التعب من تضييع الوقت فى المقاهى، وقراءة الصحف اليومية التى لا اختلاف فيما بينها. وهناك ما يشبه سداة زجاجة بييرة تضغط برقة عند منطقة المعدة، إنها مهيأة لأى شئ ويمكن أن تكون فريسة فخاخ الكسل والعزلة، وفجأة تفتح امرأة شنطة يدها وتدفع ثمن القهوة - بالكريم، تلعب الأصابع بعض الوقت فى القفل غير الجيد، ويخرج المرء بانطباع مفاده أن القفل يقاوم الدخول إلى بيت الزودياك، فعندما تجد أصابع هذه المرأة الطريقة التى تدير بها القفل الصغير ذا اللون الذهبى، والذى يُفتح من خلال نصف لفة لا تكاد ترى فإنه نوع من الهجوم الذى يدهش رواد الكنيسة الذين هالهم الـ Pernod والجولة حول فرنسا. وربما ابتلعهم هذا الخضم الذى هو عبارة عن فخ مخملى ذى لون بنفسجى وسوف يثير الدنيا كلها، كل لوكسمبورج وشارع Soufflot سوفولو وشارع جى لوساك Gay / Iussac ومقهى كابولاد Capoulad ونافورة دى ميدى Médicis وشارع مسيو لوبرنس M.le.Prince وسوف يبتلع كل ذلك ولا يترك إلا مائدة خالية والشنطة المفتوحة وأصابع المرأة التى تخرج قطعة عملة فئة المائة فرنك وتعطيها لـ Père Ragen بيراجون وفى الوقت ذاته نجد أوراثيرا أوليفيرا الرجل الذى نجا من الكارثة يتهاى ليقول ما يقال عادة بمناسبة حدوث الكوارث الكبرى.

- أجابت بولا :

- أه، سيادتك تعرف الخوف ليس مكن قوتى.

قالت: أو تعرف سيادتك، تحدثت بلهجة مثل تلك التى تحدث ابها أبو الهول قبل أن يطرح اللغز، وكأنها توشك أن تعتذر، ومتغاضية عن شهرة عظيمة، تحدثت مثل كل النساء عن روايات توضح أن القاص فيها لا يريد مضیعة الوقت ويستخدم الحوار فى العملية الوصفية وبذلك يجمع بين ما هو مفيد وما هو مناسب.

عندما أقول الخوف - لاحظ أوليفيرا وهو يجلس على هذه الكنبه التى عليها فرش أحمر وعلى يسار أبى الهول - فإننى أفكر أساسا فى الوجه الآخر للعملة، إن سيادتك تحركين هذه اليد وكأنها وصلت إلى أقصى حد معين ويعدا هناك عالم مضاد للقطرة يمكن أن أكون فيه بمثابة شنطة يدك وتكونين حضرتك Père Ragon. كان يأمل أن

76

تضحك بولا وألا تتعقد مسائل الحوار. لكنها (عرف بعد ذلك أن اسمها بولا) لم تجد المسألة لا عقلانية بالمرّة، وعندما ابتسمت ظهرت أسنانها الصغيرة المنتظمة التي تضغط بعض الشيء على شفتيها المرسومتين بأحمر شفاه يرتقالي اللون ومكثف. لكن أوليفيرا كان يتطلع إلى اليدين. فقد كانت تجذبه أيدي النساء، وكان يشعر بضرورة لمسها وأن يمرر أصابعه على كل جزء فيها ويحاول البحث عن أماكن تواجد العروق وذلك من خلال حركة مثل الـ Kinesiologo الياباني. ويعرف طبيعة الأظافر. ويتطلع للكف ويقرأ خطوط الحظ السيئ وبعض الأجزاء البارزة في بطن اليد ويسمع صوت الحب بأن يضع الكف على أذنه بعد أن رطبّه الحب أو فنجان شاي.

(-101)

- سوف تدرك أنه بعد ذلك ...
- قال أوليفيرا :
- أفعال وليس كلام؛ الإجمالي ثمانية أيا، معدل سبعين بيزو يوميا، وبالتالي فإن حاصل ضرب ثمانية في سبعين يساوي خمسمائة وستين. ولنقل خمسمائة وخمسين أما العشرة الباقية فلتدع المرضى لتناول الكوكا كولا.
- أرجو أن تأخذ متعلقاتك الشخصية فورا.
- نعم، سيكون ذلك خلال اليوم أو الغد ومن الأفضل الغد.
- ها هو المبلغ، وقع على الايصال من فضلك.
- لا تقل من فضلك، سأوقع وانتهى الأمر.
- إن زوجتي تشعر بانزعاج شديد - قال فيرا جوتو وهو يدير له ظهره ويحرك السيارة بين أسنانه.
- إنها الحساسية الأنثوية وكذلك انقطاع الدورة الشهرية إلى غير ذلك.
- إنها الجذارة يا سيدى.
- بالضبط هو ما أفكر فيه، وبمناسبة الحديث عن الجذارة شكرا على عقد الاستخدام فى السيرك. كان مسليا ولم يكن هناك كثير من العمل.
- إن زوجتى لم تدرك ذلك جيدا - قال فيرا جوتو، لكن أوليفيرا كان قد وصل إلى الباب، ففتح واحد منهما عينيه أو أغمضهما؛ فالباب كان فيه ما يشبه العين التى تغمض وتفتح. أشعل فيرا جوتو السيارة من جديد ووضع يديه فى جيوبه. كان يفكر فيما سيقوله لهذا الغير واع بما يفعل عندما يجده أمامه. سمح أوليفيرا بأن توضع الكمادة على جبهته (أى أنه هو الذى أغمض عينيه) وفكر فيما سيقوله لفيرا جوتو عندما يطلب منه الحضور.

(-131)

الحياة الخاصة لترافلر وزوجته، عندما أودعها في الممر أو في المقهى الموجود على الناصية تواتيتني الرغبة في البقاء إلى جوارهما أراهما يعيشان «حالة البصيرة» بدون شهية، وبشكل ودي معهما، وينتابني بعض الحزن. إنها الحياة الخاصة Intimidad يالها من كلمة، أرغب لوأضع في بداية الكلمة حرف الـ H التوثية لكن أى كلمة أخرى يمكن أن تكون الرفيق الحميم لنفس جلد المعرفة، والسبب الظاهري الذي يجعلنا ثلاثتنا أنا تاليتا ومانو، أصدقاء. الناس يعتقدون أنهم أصدقاء لأنهم يلتقون بضع ساعات خلال الأسبوع، ويجلسون على كتبة ويشاهدون فيلما، وأحيانا ما يصل بهم الأمر إلى السرير، أو أنهم يمارسون نفس العمل في المكتب. وعندما كنت صغيرا، كنت في المقهى، وكم من مرة حدث توافق مع الرفاق وهذا ما كان يشعرنا بالسعادة إنه التوافق مع الرجال والنساء من الذين لا نكاد نعرف طبيعتهم، أو نعرف القليل عن بروفيل شخصيتهم. أتذكر، بجلاء، المقاهي التي على الساحل حيث نتمكن من التحرر من ربة الأسرة والواجبات لوضع ساعات وندخل في أرض مليئة بالدخان والثقة في أنفسنا وفي الأصدقاء. ندلف إلى شئ يريحا في الزمن الهش والذي يعدنا ويمينا بنوع من الخلود وفي العشرين من العمر قلنا كلمتنا الواضحة. وعرفنا ميولنا الدفينة وأصبحنا كأننا أرباب من خلال الزجاجة نصف اللتر ومن خلال الكحول الكويبي السيك Seco. إنها رقصة السماء Cielito في المقهى، ويالها من سماء رائعة. كان الشارع بعد ذلك كالمنفى فهاهو الملاك شاهرا سيفه ينظم حركة المرور في شارع كورينس وسان مارتين. لنعد إلى المنزل فقد تأخر الوقت، العودة إلى الملفات وإلى سرير الزوجية وإلى الشئ مع التيليو، للمرأة العجوز، وإلى الاهتمام بالامتحان بعد غد وإلى الخطيبة التافهة التي تقرأ فيكي يوم Vicik Bawrm والتي سنتزوج منها ولا مفر من ذلك.

(تاليتا هي امرأة غريبة. لدى الانطباع بأنها تحمل في يدها شمعة مضيئة وتوضح معالم طريق. وهذا هو عين التواضع وخاصة عندما يصدر عن أرجنتينية حاصلة على الدبلوم، وفي هذه البلاد يكفي الحصول على شهادة مساح الأراضي حتى يقوم أى فرد بالاحتيال عليها. وأن يفكر المرء أنها تدير صيدلية فهذا عمل عملاق يستغرق كل وقتها ومع ذلك تصفف شعرها بطريقة جميلة).

أما الآن فإنني أكتشف أن مانولو أصبح مانو في دائرة الحياة الخاصة، على أن

78

هذا الأمر يبدو طبيعياً بالنسبة لتاليتا، ولا تدري أن هذه التسمية هي بالنسبة لأصدقائه فضيحة سرية، وجرحاً دامياً. لكن بالنسبة لى، بأى حق ... إنها على أية حال مسألة الابن العاق. وتقولها بشكل آخر، إن الابن الكريم عليه البحث عن عمل فلفد أوشك كل ما معنى على الضياع. فإذا ما قبلت مغازلة جيكريتين المسكينة والمستعدة لفعل أى شئ لمضاجعتى فسوف أضمن المبيت فى حجرة، وقمصانا ... إلخ. بلها تلك الفكرة الخاصة بخروجى لببيع مقاطع القماش مثل غيرها من الأفكار، إنها مسألة التمرن، لكن الأمر الأكثر تسليية هو العمل فى السيرك، مع مانولو وتاليتا. الدخول إلى السيرك، يالها من تركيبة جميلة. فى البداية كان السيرك وهناك قصيدة لكامينج^(١) Cummings التى يقول فيها إن عملية الخلق تطلبت من العجوز أن يملأ رثتيه بالهواء وكأنه خيمة سيرك. لا يمكن التعبير عن هذا باللغة الأسبانية، نعم يمكن قوله ولكن على النحو التالى: إلى جوار خيمة سيرك يوجد هوائى. سنقبل عرض جيكريتين، فهى فتاة ممتازة وهذا سوف يهئ لنا الفرصة لتعيش بالقرب من مانولو وتاليتا، فمن الناحية المكانية لن يفصلنا إلا حائطان وطبقة رقيقة من الهواء. كما أن هناك مخبأ فى متناول اليد، والمحل قريب، والسوق على مسافة أبعد بعض الشيء، تشئ. التفكير بأن جيكريتين انتظرتنى. أمر لا يصدق أن تعن أمور مثل هذه للآخرين. إن كل الأعمال البطولية لابد أن تبقى فى إطار الأسرة ومن هنا فإن هذه الفتاة كانت تعرف أخبار هزائى وراء البحار عن طريق الزوجين ترافلر، وتقوم بتقدير حساباتها المرة تلو المرة كأنها تخطط بلوغراً بنفسجياً وتعيد فكّه من جديد على أمل وصول أوديسو والعمل معا فى إحدى المحلات الكائنة بشارع ماييو. ومن المواقف الغير نبيلة، عدم قبول مقترحات جيكريتين، ورفض تعاستها الكاملة. ومن وقاحة لوقاحة أخذت تستعيد نفسك. أوديسو، أوديسو.

لا. لكن عندما نفكر جيداً، وبصرامة، فإن اللامعقول فى هذه الحياة التى نود أن نعيشها هو الاتصال الزائف. إنها مدارات منعزلة. ومن حين لآخر تتصافح الأبدى وتبور دردشة تستمر لخمس دقائق، ويوماً آخر فى السباق وليلة أخرى فى الأوبرا^(٢) وسهرة يشعر الجميع فيها أنهم مترابطون بعض الشيء (هذا حقيقى، لكن ما قد انتهت ساعة اللحام) وفى الوقت ذاته يعيش المرء وهو على اقتناع بأن الأصدقاء إلى جواره وأن الاتصال قائم، وأن الاتفاق أو الاختلاف يتسم بالعمق والاستمرارية. كيف نكره

78

بعضنا البعض دون أن ندري أن التعاطف هو الشكل الحاضر لذلك الكره، وكيف أن المحرك الرئيسى للكرهية هو اللامركزية، والمسافة الفاصلة التى لا مناص منها بين الآن والأنت، بين هذا وذاك.

إن كل نوع من الحنان هو إبحار وجودى، ومحاولة للسيطرة على ما لا يمكن السيطرة عليه، وبالنسبة لى أودّ الدخول فى الحياة الخاصة بالزوجين ترافلر بحجة التعرف عليهما بشكل أفضل، وأن أكون الصديق الحقيقى، رغم أن ما أريده فى الواقع هو أن أستولى من مانو على الأمن وعلى شيطان تاليتا وعلى وسائلهما فى الرؤية، وعلى حاضريهما، وعلى مستقبلهما، وكل ذلك يختلف عما أنا عليه .. ما هو السبب فى هذا الهوس بالسيطرة الروحية يا أوراثيو؟ لماذا هذا الحنين للاستيلاء، وأنت الذى قطعت أسلاك وزرعت الغموض وأفقدت العزيمة (ربما كان من الأفضل البقاء لبعض الوقت فى مونتيديو لمزيد من البحث) فى عاصمة شهيرة هى روح اللاتينية؟ وفى هذا المقام فإنك ابتعدت، عمداً، عن فصل واضح من فصول حياتك، كما أنك لا تعطى لنفسك الحق فى التفكير فى اللغة الجميلة التى كنت تعيشها منذ عدة شهور وفى الوقت نفسه أيتها الأحمق الملى بالتناقضات، تدلف مباشرة إلى الحياة الخاصة للزوجين ترافلر وإلى ذاتهما. وتقيم فى الزوجين بما فى ذلك السيرك (لكن المدير لن يعطينى العمل وبالتالي سيكون من الضروري التنكر جدياً فى صورة بحار، ويبيع مقاطع الجبردين للسيدات)، يالك من ظريف، لئز فيما إذا كنت ستزرع الغموض من جديد فى الصفوف وتظهر لتقضى مضجع الناس الذين يعيشون فى سلام. وفى تلك المرة التى حكوا فيها شيئاً عن شخص يظن نفسه يهوداً (Judas) الأمر الذى جعله يعيش حياة الكلاب فى أفضل الدوائر الاجتماعية فى بوينوس أيرس. علينا ألا نغتر كثيراً، ينظرون إلى على أننى متسلط لكننى أئسم بالرقّة، وقد قالوا ذلك لى فى ليلة من الليالى. أنظرى يا سيدتى لهذا المقطع الجميل، سعر المتر خمسة وستون بيزو وهذا من أجل حضرتك. فزوّ. ان زوجك - معذرة - سوف يسعد كثيراً عندما يعود من العمل. سوف تكون سعادته لا تقدر - صدقيني إذ يقول لك ذلك بحار من ريويلين Río Belén. نعم إن هذا نوع من أعمال التهريب لكسب بعض المال، فالطفل مصاب بالكساح وزوّ.... وزوجتى تقوم بأعمال الخياطة لصالح أحد المحلات، ولا بد من مد يد العون. حضرتك تفهميننى.

(- 40)

ملاحظة فيها الكثير من الخيال من قِبَل موديلي: إن محاولة "Roman Comique" القصة الكوميدية بمعنى أن يصل النص إلى التتويه ببعض القيم الأخرى، ويسهم بذلك في الأفصاح عن ماهية الإنسان، هي مهمة نرى إمكانية تحقيقها. يبدو أن القصة العادية لا تساعد في البحث، لأنها لا تفتح الأفاق أمام القارئ وهذا الأفق مرسوم بشكل أفضل حسب مهارة الروائي. إنها توقف إجباري عند الدرجات المختلفة لما هو درامي ونفسي ومأساوي وساخر أو سياسي. إن محاولة الوصول إلى نص لا يمسك بتلابيب القارئ بل يجعله شريكا من خلال ما ينوه له به من بين السطور عن وجود أفاق أخرى متعلقة بالكون. إنها كتابة ديموطيقية للقارئ، الأنثى (فعادة ما يتوقف عند الصفحات الأولى وقد تاه وأخذ يصب اللعنت والسباب على الكتاب.. والتمن الذي دفعه مقابله) وعلى أن يكون الوجه الآخر هو الكتابة الهيراطيقية.

إنها عملية إستثارة، وتحمل مسئولية نص غير مسبوك وغير مترابط وغير متماسك ومضاد للسرد القصصي عن عمد (رغم أنه ليس مضادا للقصة). وإذا كان علينا ألا ننسى الأركان الرئيسية لذلك النوع الأدبي، عندما يتطلب الموقف ذلك، فلا ننسى أيضا نصيحة أندريه جيد التي تقول إننا لا نفيد أبدا من القفزة المكتسبة والقصة تحمل طابع الإبداع الغربي والخاص بقبولها للنظام المغلق. ونحن على العكس بوضوح إننا نبحت هنا عن الفتح ولذلك نجتأ أي بناء متكامل للمواقف والكاراكتر من جنوره. ومنهاجنا: النقد الذاتي والسخرية، واللاتماسك والخيال في خدمة العدم.

إن محاولة مثل هذه لا بد أن تتبع من التباعد عن الأدب، وهو تباعد جزئي إذ أنه يقوم على الكلمة لكنه شغوف في كل مرة أن يتولى أمره القارئ والمؤلف. وعلى ذلك فإن استخدام الرواية وتغيير اتجاهها هو على طريقة المسدس من أجل الدفاع عن السلام. وأن نأخذ من الأدب ذلك المعبر الحي الذي يربط الإنسان بالإنسان، وأن الدراسة والمقال يقومان بنفس الأمر ولكن بين المتخصصين. يجب ألا تكون القصة ذريعة لنقل رسالة (فليست هناك رسالة، بل هناك سعاة البريد وهذه هي الرسالة، فالحب هو ذلك الذي يحب)، إن القصة يجب أن تكون كعنصر تختلر للمعايشات، وكجامع للمفاهيم

الغامضة والتي أسيئ فهمها، وأن يكون لها أثرها أولاً على من يكتبها، وكذلك يجب كتابتها كمضاد للقصة ذلك أن كل نظام مغلق سوف يباعد مباشرة تلك الإعلانات التي يمكن أن تكون ساعى بريد، والتي يمكن أن تقريباً من أفاقنا التي نحن بعيدون عنها رغم أننا أمامها وجها لوجه.

إنه إبداع ذاتي غريب ذلك الذى يقوم به المؤلف من خلال عمله. وإذا ما كنا نريد أن نستخدم هذه العجينة التي هي اليوم، والغوص في الوجود، وفي تقوية القيم التي تفصح في النهاية عن ماهية الإنسان، فما الذى نفعله مع التفاهم المحض ومع السبب الأكبر الذى يعقل؟

ومنذ البداية وحتى هذا اليوم، فقد توفر لدى الفكر الجدلى الوقت الكافي ليعطينا ثماره. إننا ناكلها وهي لذيذة وتغلى من الإشعاعات، وفي نهاية المأدبة لماذا نشعر بالأسى نحن الأخوة أبناء ألف وتسعمائة وكذا وخمسين؟
ملاحظة أخرى يبدو أنها تكملة للسابقة:

موقف القارئ. إن كل كاتب قصة يأمل من القارئ أن يفهمه وأن يشاركه خبرته أو أن يلتقط رسالة معينة أو يجسدها. وكاتب القصة الرومانسى يريد أن يفهم نفسه من خلال أبطال روايته. والكاتب الكلاسيكى يريد أن يعلمنا ويترك أثراً على مسار التاريخ. الأماكن الثلاثة: أن تجعل القارئ شريكاً، ورفيقاً في الطريق. وتسير معه بشكل متزامن، فالقراءة سوف تقضى على زمن القارئ وتنقله إلى زمن المؤلف وهكذا يمكن للقارئ أن يكون بمثابة مشارك ومشارك في معاناة التجربة التي يمر بها المؤلف في **نفس اللحظة وينفس الشكل**. وكل حيلة جمالية هي غير مجدية للوصول إلى ذلك: ولا ينفع شيء إلا المادة في لحظة التشكيل. والمعايضة الأنية (التي تنقل من خلال الكلمة لكنها كلمة يجب أن تخلو من النواحي الجمالية ما أمكن. ومن هنا سر القصة الكوميديّة، والمضادة للوصول إلى نقطة الذروة anticlimax والسخرية والكثير من الأسهم التي تشير وتتوجه نحو الآخر).

ومن أجل هذا القارئ، أخى الذى يشبهنى^(١) فإن القصة الكوميديّة (ما هي: عُلّيس؟^(٢)) يجب أن تتطور في طريق الأحداث التافهة. لكننا نرى تحتها شحنة خطيرة قد لا نستطيع دوماً تخليصها بشكل حاسم. وفي هذا المقام يجب أن تكون القصة

79

الكوميديّة نموذجاً للحياة. يجب ألاّ تخدع القارئ ولا تجعله يمتطى صهوة جواد الانفعال أو أى مقصد آخر بل عليها أن تهين له شيئاً يشبه الصلصال ذا الدلالة، ويكون بمثابة بداية التشكيل الذى يتضمن أثراً لشيء يمكن أن يكون جمالاً وإنسانياً، لكنه ليس فردياً. ومن الأفضل أن تقدمه كواجهة لها أبواب وشبابيك تجرى من ورائها أمور غامضة يكون على القارئ المشارك البحث عنها (من هنا المشاركة) وربما لن يجدها (ومن هنا المشاركة فى المعاناة) وما يمكن أن يكون كاتب هذه القصة قد وصل إليه سوف يتكرر (بشكل أكبر وهذا سيكون رائعاً) فى القارئ المشارك. أما فيما يتعلق بالقارئ - الأنثى فسوف تظل عند الواجهة. ومن المعروف أن سيقال إنها واجهات جميلة تخدع العين وأمامها يمكن أن نواصل تقديم الكوميديا بشكل مرض، وكذلك التراجيديا الخاصة بالرجل الشريف وبذلك يرضى الجميع أما من يحتجون فليمرضوا بالبرى

(-22)

80

عندما أنتهى من قص أظافرى أو غسل رأسى، أو الاستماع إلى قرقرة فى معدتى
كما يحدث معى الآن، يواتينى الإحساس بأن جسدى تخلف عنى . أنا لا أشير إلى
ازدواجية بل أُميّز بين أنا وبين أظافرى،)

وأن الجسد لا يعمل جيداً فينقصنا شئ أو يزيد شئ . على حسب)
والمقولة أخرى: إننا بحاجة إلى ماكينة أفضل. إذ يُظهر التحليل النفسى كيف أن
تأمل الجسد يسهم فى خلق عقد مبكرة (ولما كانت المرأة بها الكثير من «الفتحات» فإن
سارتر يرى أن هناك تناقضات وجودية تهدد حياتها) من المؤلم التفكير بأننا نسبق هذا
الجسد لكن هذا التقدم هو خطأ وعائق وربما غير مجدى فهذه الأظافر، وهذه الصرة،
أريد قول شئ آخر لا يمكن أن يمسه المرء بيده: إن «الروح» (أنا وليس الأظافر)
هى روح جسد غير موجود. لقد دفعت الروح الإنسان إلى طريق التطور الجسدى لكنها
تعبت من مواصلة سيرها وحدها فى المقدمة. فلا تكاد تخطو خطوتين.

تتكسر الروح لأن جسدها الحقيقى غير موجود فتسقط فجأة.
تعود الروح المسكينة إلى المنزل... إلخ. لكن ذلك ليس أنا، عموماً.
دردشة مطوّلة مع ترافلر عن الجنون، وبمناسبة الحديث عن الأحلام سرعان ما
ندرك أن بعض أنواع الأحلام يمكن أن تكون أنماطاً عادية من الجنون إذا ما استمرت
فى لحظات السهاد. فالحلم هو نوع من الممارسة المجانية لِمِثْلنا للجنون. كما نشك فى
الوقت ذاته أن كل جنون هو حلم ظل على ما هو عليه.
من حكم الشعب: «إنه مجنون مسكين، ذلك الحالم...».

(46)

81

طبقا لأرسطو فانيس^(١) Aristofanes فإن ما يتعلق بالصوفى هو ابتكار أسباب جديدة.

لنحاول ابتكار انفعالات جديدة أو إعادة القديمة لكن بنفس الدرجة في التكثيف. أحل هذه الأستاذة مرة أخرى والذي له أصول في باسكال: إن الاعتقاد الحقيقي يقف بين التشاؤم والفوضى. خوسيه ليثاما ليما: اتفاقيات في هافانا.

(-74)

82

موريليات:

لماذا أكتب ذلك؟ ليست لدى أفكار واضحة. ليست عندي أفكار بالمرة. هناك نتف وميل وكتل وكل شيء يبحث عن التشكيل، وفي هذه اللحظة يدخل الإيقاع في الدائرة. وأنا أكتب في إطار ذلك الإيقاع. أكتب به وأتحرك به وليس بما يطلقون عليه الفكر الذي يشكل النثر والأدب أو أي جنس شبيهه. في البداية نجد الموقف الغامض الذي لا تتضح معالنه إلا بالكلمة. أبدا من هذه المنطقة المظلمة وإذا ما كنت أريد قوله (وما يريد أن يقوله) يتسم بالقوة الكافية يبدأ Swing فوراً، أي تأرجح إيقاعي يصعد بي إلى **الوضوح والجبرية**: هناك الجملة ثم الفقرة ثم الصفحة ثم الفصل ثم الكتاب. هذا التأرجح، وهذا الـ Swing الذي تعلن فيه المادة الغامضة عن نفسها يمثل بالنسبة لي اليقين الوحيد لحاجتها. فلا تكاد تتوقف حتى أدرك أنه لم يعد لدى شيء أقوله. كما أنها العوض الوحيد لعملى: أي شعورى بأن ما كتبت هو بمثابة مداعبة ظهر القط، يرافق ذلك بعض الشرر والتقوس الإيقاعي. فمن خلال الكتابة أنزل إلى البركان وأقترب من الأمهات^(١) وأتصل بالمركز - وليكن ما يكون. إن الكتابة تعنى أننى أرسم وأطوف به وأبتكر التنقية بتنقية النفس. إنها مهمة العراف المسكين الأبيض الذى يلبس سروالا من النيلون.

(99-)

83

إن ابتكار الإنسان لروح يتم التنويه به فى كل مرة يظهر فيها الإحساس كأنه طفلى أو دودة ملتصقة بالأنثى. ويكفى أن يشعر المرء بأنه يحيا (وليس فقط قبول الحياة وكأنها - شئ - من - الجيد - أن - تمر حتى يمكن أن يتحول ما هو أقرب إلى الجسد وأكثر حميمية

- ولتكن اليد اليسرى على سبيل المثال - إلى كائن يشارك بطريقة مقززة فى الجمع بين الاثنين أى بالآكون أنا وأن أكون ملتصقا.

أُبْلِغُ الشورية. وبعد ذلك أفكر وأنا أقرأ: الشورية فى داخلى وهى فى هذه الشنطة التى لن أراها على الإطلاق، إنها معدتى» أستخدم أصبعين وأضع يدي فأشعر بالكيس وحركة الطعام فى الداخل. أنا ذلك، لست إلا جوالاً مليئاً بالطعام.

والآن (علينا أن نكون صادقين) نعم، أنا ذلك. مع وجود مخزج جميل جدا للاستخدامات الحساسة: «أنا أيضا ذلك» أو درجة أخرى. «أنا فى ذلك».

أقرأ «الأمواج»^(١) The waves؛ ذلك الوعاء المطرر لدفن الموتى، وتلك الخرافة المكونة من الرغبة. وتحت عيني بحوالى ثلاثين سنتمترا تتحرك الشورية فى معدتى وتنمو شعرة على فخذي، ويظهر كيس دهنى فى ظهري.

وفى نهاية ما أسماه بلزك بالحفلة الصاخبة قال لى أحد الناس الذين لا علاقة لهم بالميتافيزيقا أن التقوط يسبب له انطبعا باللاواقعية، ظنا منه أنه يحكى نكتة. أتذكر كلماته: «تنهض وتدور إلى الخلف وتنتظر وعندئذ تقول لكن هل فعلت أنا ذلك؟ (مثل بيت الشعر للوركا: «لا علاج يابنى، تقيا ! لا مناص» كما أعتقد أيضا أن سويفت^(٢) المجنون (لكن) ياثيريا، ياثيريا، ياثيريا تغوى».

وفيما يتعلق بالآلم الجسدى وكأنه إبرة ميتافيزيقية تكثر الكتابة، إن كل آلم يهاجمنى يفعل ذلك مستخدما سلاحا مزدوجا: يجعلنى أشعر أكثر من أى وقت مضى بالطلاق بينى وبين جسدى (وزيفه هو ابتكاره العزائى) وفى الوقت نفسه يقرب لى جسدى ويجعلنى أشعر به كآلم وأشعر أنه لى أكثر من اللذة أو مجرد الحس المشترك. إنه رابطة فى واقع الأمر. ولو كنت أعرف الرسم لقمْتُ بتبيان الآلم بشكل رمزى وهو يفرغ الروح من الجسد. وفى الوقت نفسه أعطى الانطباع بزيفه: ليس إلا أنماطاً من تركيبة تكمن وحدتها فى ألا يكون لها وحدة.

(-142)

84

بينما أتسكع فى كواى دى بيلستين Qual des Celestine تطأ قدمائى أوراقا جافة، وعندما أخذ ورقة منها وأتأملها جيدا أجدها مليئة بالتراب الذهبى القديم، وهى مع وتحت أرض عميقة مثل رائحة الطحالب التى تضرب يدى. لهذه الأسباب أخذ الأوراق الجافة وأحملها إلى حجرتى وألصقتها ببرنيطة اللبنة. يأتى أوسيب ويظل ساعتين ولا تسترعى اللبنة «نتباهه. وفى يوم آخر يظهر إيتين، وهو يحمل القبعة فى يده. قل إذن إنه مدهش هو ذلك! فيقوم بدفع اللبنة ويدرس الأوراق وتعلو درجة حماسه، إنها تشبه رسوم دوريرو^(١) Durero بالعروق التى فيها ... إلخ.

الموقف واحد وهناك رؤيتان ... وأظلل أفكر فى الأوراق التى لن أراها، أنا جامع الأوراق الجافة، وفى أشياء كثيرة تحدث فى الهواء ولن تراها عينائى المسكينتان، فهما ليستا إلا خفافيش لقراءة الروايات ومشاهدة الأفلام والزهور المجففة. وسوف تكون هناك لمبات فى كل مكان وسوف تكون هناك أوراق لن أراها. وهكذا، من ورق بالإبر، أفكر فى هذه الصالات الإستثنائية التى يتم فيها تخمين الأوراق واللمبات التى لم تُر، وأشعر بها فى هواء خارج عن نطاق المكان. الأمر سهل، فكل حالة حيوية أو إكتئاب تدفع بى إلى وضع مناسب.

أطلق عليه الرؤى

أى (التعبير عنه وهذا هو الصعب فى الأمر)،

إنها حالة مزاجية ورغبة أنية لأخرج وأستطيع إدراك نفسى وأنا فى الخارج. أو أن أظل فى الداخل ولكن على مستوى آخر، وكأني شخص آخر ينظر إلى،

(وهذا أفضل - فالحقيقة - أنني لا أرى نفسى :- مثل وجود شخص يعيشنى).

لايستغرق التنفس بعمق وقتا طويلا، ربما لمسافة خطوتين فى الشارع (فأحيانا ما يستغرق وقتا أطول عندما أستيقظ من نومي وهذا شئ رائع)

وفى تلك اللحظة أعرف من أنا ذلك أنني أدرك جيدا ماأستُ به (ذلك الذى سوف أجهله بعد ذلك بخبث). لكن لاتوجد كلمات للتعبير عن مادة بين الكلمة والرؤية المحضة، وكأنها مجموعة من البديهيات، ومن المستحيل أن يتم التزام التعبير الموضوعى وتحديد

84

ذلك النقص الذى أدركته فى برهة والذى كان غيابا واضحا أو خطأ واضحا أو عدم كفاية واضحة، لكن دون أن أعرف عن ماذا، ماذا.

هناك طريقة أخرى لمحاولة قول ذلك: عندما يكون ذلك فلن أنظر إلى العالم، أى منى إلى الآخر، بل أتحوّل فى ثانية وأصبح العالم، والشكل الظاهرى **وتتظر إلى باقى الأشياء** أرى نفسى مثلما يمكن للآخرين أن يرونى. هذا لا يمكن إدراكه؛ ولهذا لا يكاد يستمر، أحدد القصور عندى، وأراقب ذلك الذى لن نراه أبدا لوجود عجز أو غيابه. أرى ما لستُه. فعلى سبيل المثال (أقوم بتركيب ذلك عند العودة لكنه يخرج من هناك): هناك مناطق ضخمة لم أصل إليها أبدا، والذى يعرف هو الذى لا يكون. إنها الرغبة فى الجرى ودخول المنزل أو ذلك المحل والقفز فوق قطار، وقراءة كل أعمال جوهانندو^(٢) Jauhandeau وتعلّم الألمانية والتعرّف على أورانجاياد Aurangabad. إنها أمثلة مؤسفة ويمكن تحديدها غير أنها يمكن أن تعطينا فكرة فكرة؟).

هناك طريقة أخرى لما أريد قوله: إن الشئ المفتقد يتم الإحساس به بشكل أكبر على أنه فقر فى الحدس، أو نوع من قلة الخبرة. وفى الحقيقة لست متاثرا كثيرا باننى لم أستطع قراءة كل أعمال جوهانندو، فعلى أى الأحوال هناك كآبة حياة قصيرة جدا أمام العديد من المكتبات... قلة الخبرة أمر لا مناص منه، فإذا ما قرأت جويس فإننى أضحي بكتاب آخر والعكس صحيح والإحساس بالنقص يزداد حدة عندى.

يشبه ذلك إلى حد ما: هناك خطوط هواء إلى جوانب رأسك ونظرك،

مناطق محدّدة لعينك، وحاسة الشم، وحاسة التذوق،

أى أنك تحمل معك أفافك الخارجية المحدودة.

وبعيدا عن هذا الأفق لا يمكن لك الوصول، عندما تظن أنك أدركت شيئا ما إدراكا كاملا، هذا الشئ يشبه جبل الجليد الذى يظهر منه جزء صغير لتراه أما الباقي وهو الجزء الضخم فهماو بعيد عن حدودك، وهكذا كان غرق ثيثنانك بالغرابة أوليقر هذا والأمثلة التى يسوقها.

لنكن جادين. لم ير أوسيب الأوراق الجافة فوق اللبّة ذلك أن أفافه بعيدة عما يمكن أن تعنيه اللبّة. أما إيتين فقد رآها بوضوح شديد إلا أن أفق حدوده حال دون أن يرى حالة الاكتئاب التى أنا عليها بسبب ما عليه بولا. أما أوسيب فقد أدرك فى الحال وأشار إلى ملاحظته. هكذا نحن جميعا.

سأصوّر الإنسان مثل الأميبات التى تطلق الشوى للحصول على طعامها وتحفظه

84

ومنها ما هو طويل ومنها ما هو قصير، وهناك حركات والتفاف. وذات يوم يُثبتُ ذلك (هو ما يطلقون عليه النضج وأن الإنسان أصبح ذا خبرة)، فأحيانا يصل بناظره إلى أبعد مكان وأحيانا أخرى لا يرى اللبّة على بعد خطوتين منه. وليس هناك ما يمكن عمله كما يقول المعنيون، فالمرء هو مفضلٌ عند هذا أو ذاك. وبهذه الطريقة يعيش فترة طويلة وهو على قناعة بأن لم يفته شيء هام حتى يصدر تحرك فوري نحو أحد الأحباب ليظهر له في لحظة، دون أن يمكنه - للأسف - من الوقت الكافي ليعرف ماذا، إنه يبين له كيانه الجزئي وقفزاته غير الاعتيادية، والشك بأن هناك، حيث أرى الهواء نقيا، أو في هذا اللاحس، أو عند لحظة الاختيار، أنا نفسي، في دائرة باقى الواقع الذى أجهله أنتظر نفسي ولكن بلا جدوى.

: Suite (سويت)

هناك أفراد مثل جوته لابد وأنهم لم يعيشوا كثيرا خبرات من هذا النوع، وهم قرروا أو فضلوا (فالعبقريّة هي الاختيار العبقري والنجاح فيه) أن يكونوا مع الشئ الكاذبة التى تمتد إلى أقصى ما بها والمتجهة إلى كل اتجاه. إنهم يسيطرون على حدودهم من خلال محيط منتظم، وحدودهم هي جلدتهم الذى يتجه روحيا إلى مسافات بعيدة. لا يبدو أنهم فى حاجة لما يبدأ (أو يستمر) بعيدا عن دائرتهم الضخمة. ولهذا هم كلاسيكيون، تنشى.

وبالنسبة للزميبي على طريقتهما فإن المجهول يأتى إليها من كل صوب. يمكن أن أرفع الكثير أو أعيش كثيرا بمفهوم معين، وعندئذ يتسلق الآخر من الجانب الذى أضعف فيه ويهرش رأسى مستخدما ظفره البارد. والأمر السيئ هو أنه يهرش عندما لا ينقرنى، وفى لحظة الحكمة - عندما أرغب فى المعرفة - يتجمع أمامى كل ما يحيط بى ويكون حاضرا وكاملا وكتلة ومحددا لدرجة أتصور معها أنني أحلم، وأتنبأ على ما يرام وأتنبأ عن نفسى جيدا، ولا أترك نفسى منساقا وراء الخيال.

84

(السوييت الأخير) :

حَفَلِي الخيال بثناء زائد عن الحد. لكن الخيال المسكين لا يمكن أن يتزحزح قيد أنملة عن حدود الشئ. فحتى هذه الحدود نجده يتمتع بالتنوع والحيوية، لكنه فيما يتعلق بالغضاء الآخر حيث تهب رياح كونية كان ريليك Rilke يشعر بها وهي تعبر من فوق رأسه أعطنى خيالا، لا تتركنى. Ho detto.

(-4)

85

الحياة التي تنتهى هى مثل المقالات الأدبية التي تنشر فى الصحف والمجلات تسرّ الناظرين بعنوانها ثم تنوب ملامحها فى شكل إشارة إلى صفحة رقم 32 وسط إعلانات عن معاجين الأسنان وإعلانات التصفيات الشاملة للبضائع.

(150)

86

كان اتجاه أعضاء النادي، باستثناء اثنين منهم - أنه من السهل فهم موريلي من خلال ما يستشهد به أثناء الكتابة وليس من خلال ما يكتبه. كان وونج يصّر، حتى رحيله من فرنسا (فلبوليس لم يشأ أن يجدد له كارتنيه الإقامة) أنه لا يلزم الأصرار على هذا الربط بعد أن تم العثور على هاتين الفقرتين اللتين ساقهما من كتابات باولز وبيرجير Bergier و Pauwels^(١).

«ربما كان في الإنسان منطقة يتمكن من خلالها كشف الواقع بالكامل. ويبدو أن هذا الافتراض مجنون. فالفيلسوف أوجست كونت Auguste Conte كان يقول بأنه من المستحيل إمكانية معرفة التكوين الكيميائي لأحد النجوم وفي العام التالي اخترع بنسون منظار التحليل الطيفي Espectroscopio.

«تتأى اللغة، مثلها مثل الفكر، من الأداء الرياضى الثنائى binario لعقولنا. نقوم بتصنيف الأشياء إلى نعم ولا، وإلى إيجابى وسلبي (....) والشئ الوحيد الذى يبرهن على لغتى هو ببطء رؤية للعالم قاصرة على ما هو ثنائى. هذا العجز فى اللغة هو أمر بديهى ويألم له المرء كثيراً. لكن ماذا تقول عن عدم كفاية الذكاء الثنائى فى ذاته؟ فالوجود الداخلى وماهية الأشياء تستعصى عليه. يمكن للذكاء أن يكتشف أن النور مستمر وغير مستمر فى الوقت ذاته. وأن جزيئات البنزين تقيم مع نواياها الستة علاقة مزدوجة، ومع ذلك تتناظر فيما بينها. إنه يقر بذلك لكنه لا يمكن أن يفهمه. فلا يمكن أن يضم إلى بنيتة الخاصة الواقع مع بناء التحتية التى يفحصها. ومن أجل الوصول إلى هذا عليه أن يغير من حالته، وسوف يكون ضرورياً أن تعمل ماكينات أخرى فى العقل مختلفة عن تلك المعتادة، لأن التحليل الثنائى قد حل محله وعى قياسى يمكن له تمثّل الأشكال، وقد يتمثل الإيقاعات التى لاتدرك، الخاصة بتلك الأبنية التحتية....»

Le matin des magiciens

(-78)

87

فى عام 32، قام إيلنجتون Ellington بتسجيل Baby wen you ain't there وهو واحد من الموضوعات الأقل شهرة، كما أنه لا يشير إلى الوفى بارى أولانوف Barry ulanov^(١) ويعنى كوتى ويليامز هذه الأبيات بصوت فيه جفاء^(٢) :

تنتابنى حالة حزن أسفل فى الشمال
تنتابنى حالة حزن أسفل فى الشمال
الحزن هناك فى الجنوب
الحزن فى كل مكان
ينتابنى الحزن أسفل فى الشرق
الحزن هناك فى الغرب
الحزن فى كل مكان
الحزن ينتابنى بشكل جيد جدا
آه يا حبيبى عندما لا تكون هناك
عندما لا تكون هناك، عندما لا تكون هناك

لماذا يكون ضروريا أن نقول هذه العبارة فى ساعات محددة: «أُحِببت ذلك؟»
أُحِببت blues وصورة فى الشارع، ونهر جاف لاء فيه فى الشمال. والتأكيد على شئ والكفاح ضد العدم الذى سوف يزينا. ولانالت تلك الأشياء فى الروح حتى الآن. إنها مثل عصفور الدورى الذى كان من ليسبيا^(٣) Lesbia وبعض ال blues التى تحتل مكانا صغيرا فى الذاكرة والمخصص للروائح والصور المطبوعة وثقالة الأوراق.

(105)

88

- قال ترافلر :
- تشسى، لكن إذا ما ظللت تحرك فخذك هكذا فسوف أغرز الإبرة فى ضلوعك .
- قال أوليفيرا :
- عليك أن تواصل حكاية ذلك الذى يتعلق باحمرار اللون الأصفر وأقولها لك وأنا مغمض العينين إنها مثل صندوق الدنيا .
- قال ترافلر، وهو يدعك فخذك بقطعة قطن :
- احمرار الأصفر هو أمر تتولى شأنه الهيئة الوطنية للمتخصصين فى مثل تلك الأنواع .
- إنها حيوانات جلدها أصفر، وكذلك نباتات زهورها صفراء ومعادن شكلها أصفر
- قال أوليفيرا هذه العبارة بنغمة فيها طواعية - ولم لا؟ فيوم الخميس هنا هو يوم التقاليع والناس لا تعمل يوم الأحد وعمليات التحول التى تحدث بين صباح ومساء السبت غير عادته رغم أن الناس تلتزم الهدوء والشديد. إنك تسبب لى ألما مخيفا . هل ذلك هو معدن أصفر اللون أوماذا؟
- قال ترافلر :
- إنها مياه مكررة لكنك تظن أنها مورفين. معك الكثير من الحق. إن عالم ثيفيرينو Ceferine يمكن أن يبدو غريبا فى نظر هؤلاء الذين يؤمنون بقيمه بغض النظر عن قيم الآخرين. إذا ما فكر المرء فى كل ما يتغير فلا تكاد تبتعد عن خط الرصيف ثلاث خطوات وتدخل إلى الأسفلت حتى ...
- قال أوليفيرا :
- مثل الانتقال من اللون الأصفر إلى لون السهول الجرداء هذا الدواء يشعرنى بالحاجة إلى بعض النوم .
- المياه منومة، ولو كان الأمر بيدى لكنت قد حقنتك بنيببيلو nebiolo حتى تكون فى أعلى درجات اليقظة .
- فسّر لى شيئا قبل أن أخلد للنوم .
- أشك فى أنك ستنام لكن هيا قل ما تريد .

(-72)

كانت هناك رسالتان من حامل الليسانس خوان كوبياس، غير أن الطريقة التي يجب أن تتبع في قراءة الرسائل كانت مادة الجدل، وتتضمن الرسالة الأولى عرضا شعريا لما كان يسميه «السيادة العالمية» أما الثانية فقد أملاها على أحد من يكتبون على الآلة الكاتبة عند بوابة سانتو دومينجو وتتضمن الابتعاد عن التحفظ الإجبارى الذى لوحظ فى الأولى.

يمكن لكم أن تستخرجوا من هذه الرسالة كل ما تريده من نسخ، وخاصة إذا ما كانت موجهة إلى أعضاء الأمم المتحدة وحكومات العالم التى لا تعدو مجرد خنازير حقيقية وأبناء آوى لولين، ومن ناحية أخرى فإن بوابة سانتو دومينجو هى مؤسسة الضوضاء إلا أنها تروق لى فأنا أتى إلى هنا لألقى بأضخم الحجارة التاريخية. ومن بين الأحجار ما يلى:

الكهنوت الرومانى ليس صادقا، ويجب هدم كل دور العبادة الرومانية وذلك حتى يسقط نور المسيح ليس فقط فى أعماق القلوب الإنسانية بل يمكن رؤيتها فى النور الكونى لله، وأقول كل هذا أن الرسالة السابقة كتبها أمام أنسه رقيقة حيث لم أتمكن من التفوه بمثل هذه العبارات إذ كانت ترمقنى بنظرة فيها ضعف. إنه الجامعى الفارس! العدو اللدود لكانط، إذ كان يصّر على «إنسانية الفلسفة الحالية فى العالم» وبناء على ذلك قال:

كما أن القصة يجب أن تكون متوجهة إلى التحليل النفسى أى أن العناصر النفسية الفعلية للروح يمكن أن تتكون من عناصر علمية كجزء من علم النفس العام الحقيقى... ثم ابتعد للحظات عن معسكر الجدلية القوى، وأخذ ينوّه بمملكة الدين العالمى: لكن على أساس أن الإنسانية يجب أن تسير على هدى الوصيتين العالميتين، بما فى ذلك الحجارة الصلدة فى العالم التى سوف تتحوّل إلى شمع حريرى يشع نورا هو مشاعر الشعراء الجيّدين.

سوف يسمع صدى كل حجارة الدنيا فى كل الشلالات والوهاد فى العالم، وسوف يكون لصوتها خيوط رفيعة من الفضّة وسوف تكون هذه فرصة مفتوحة لعشق النساء

89

وعشق الرب....

وفجأة نرى النظرة النموذجية تغزو وتنساب:

إن كوكب الأرض، هو كون داخلي مثل الصورة العقلية الشاملة عن الرب، والذي سيتحول فيما بعد إلى مادة مكثفة؛ يشار إليه بشكل رمزي في العهد القديم وذلك من خلال الملوك الذي يستدير برأسه يرى عالما مظلمًا من الأضواء، ومن الواضح أنني لا يمكن أن أتذكر حرفيا فقرات كاملة في العهد القديم، لكن الأمر هو عبارة عن ذلك بشكل أو بآخر: كأن الكون أصبح هو ضوء الأرض وأصبح كمدار للطاقة الكونية حول الشمس.... وعلى نفس الشاكلة نجد أن الإنسانية بكل شعوبها عليها أن تدور بأجسادها وأرواحها ورؤسها ... إنه الكون والأرض يعودان إلى المسيح وقد وضعنا تحت قدميه كل قوانين الأرض...

وحيث:

لا يبقى إلا ضوء كوني مكونا من لمبات متساوية تنير القلب العميق للشعوب ...
والشيء السيء هو أنه يحدث فجأة.

سيداتي وسادتي: هذه الرسالة أكتبها لكم وأنا محاط بجلبة رهيبة. ومع ذلك نواصل الكتابة إنكم أيها السادة لم تأخذوا في اعتباركم حتى الآن أنه لكي تكتب السيادة الدولية بشكل أكثر دقة وأن يكون لها لها أثر أكثر شمولية في التفاهم أننا أستحق أن تساعدوني على أن تكون كل شريطة، وكل حرف في مكانه وليس هذا الكسل لأبناء أبناء ابن الأم التي تتعرض للضجيج التي هي والدة الأمهات جميعهن. عليكم أن تعرضوا أممكم لكل أنواع الجلبة. لكن، ماذا بهم؟ وعلى التوالي نجد حالة الفوران: يالها من أكوان! تلك التي تزهو كأنها ضوء روي من الورود الرائعة، تزهو في قلب كل الشعوب.

وأوشكت الرسالة على الانتهاء نهاية فيها ورود وزهور رغم ما بها من تطعيمات حدثت في آخر لحظة:

.... يبدو أن الكون كله يتضح، كأنه نور المسيح الشامل، في كل زهرة إنسانية وفي

89

كل التويجات التي لا حصر لها والتي تشعّ نورا أبديا في كل مسالك الأرض. وبذلك
تنضج من خلال نور السيادة الدولية. يقولون أنك لا تحبني، فأنت كل شحطات أخرى.
مع التقدير - المكسيك. د.ف في 20 سبتمبر عام 1956 - ش الخامس من مايو رقم
32 داخل 111 - ميني. باريس. الجامعي خوان كوبياس

(-53)

فى تلك الأيام، كان يشعر بالقلق، كما أن عاداته السيئة فى التمتع فى الأمور والإطالة فى ذلك كانت تصيبه بالارهاق، لكن لا مناص. كان يقلّب الموضوع الكبير على وجوهه المختلفة، كما أن الوضع القلق الذى يعيش فيه بسبب لاماجا وروكامادور، يدفعه لتحليل مفترق الطرق، الذى هو فيه، بعنف متزايد: وفى مثل تلك الحالات كان أوليفيرا يأخذ ورقة ويكتب الكلمات الكبرى التى تنزلق من حالة التمعّن هذه، فعلى سبيل المثال كتب «الموضوع الكبير» و«مفترق الطرق»، كان ذلك مدعاة للضحك وتناوله كوب الشاي الثانى بمزاجية معتدلة، «الوحده» كان أوليفيرا يكتب. الانا والآخر» كان يستخدم حرف الـ H مثلما يستخدم آخرون البنسلين. وبعد ذلك يعود إلى الموضوع ببطء ويشعر بأنه فى وضع أفضل. «الشئ الهام هو التزام التواضع» يقول لنفسه. وابتداءً من تلك اللحظات كان يشعر بقدرته على التفكير دون أن تلعب به الكلمات، لكن هذا لا يكاد يصل إلى درجة تقدم منهجية، فالموضوع الكبير لازال كما هو «من كان يدرى أنه سينتهى بك الأمر إلى أن تكون ميتافيزيقياً؟) كان يحلل نفسه. يجب مقاومة الدولاب المكون من ثلاث ضلف، عليك بالاعتناء بالكومودينو الخاص بالأرق اليومى» كان رونالد قد حضر ليقترح عليه أن يشاركه فى أنشطة سياسية غامضة، تناقشا وطول الليل (لم تكن لاماجا قد عادت بروكامادور من الريف) وكانهما عرجونة والحوذى، حول الفعل والسيببية وأسباب المخاطرة بالحاضر من أجل المستقبل والجزء المتعلق بالابتزاز الموجود فى كل فعل من أجل أهداف اجتماعية، وبالدرجة التى تكون فيها المخاطرة المحتملة صالحة لرأب الضمير الفردى السيئ، وكذلك الدناعات الشخصية الشائعة. انتهى الأمر إلى خروج رونالد مطاطى الرأس فلم يستطع إقناع أوليفيرا بأن من الضروري مساندة المتمردين فى الجزائر. ظل هذا المزاج العكر مسيطراً على أوليفيرا طوال اليوم لأنه كان أسهل عليه أن يقول لا لرونالد من قوله نعم لنفسه. كان واثقاً من شئٍ محدّد، وهو أنه لا يمكن أن يتخلى دون أن تكون هناك خيانة للانتظار السلبي الذى كان يعيش عليه منذ أن جاء إلى باريس. أن ينساق وراء كرم سهل بأن يقوم بوضع لافتات سرّية فى الشوارع، فهو تفسير ساذج، ونوع من ترتيب الأمور مع الأصدقاء الذين يرون فيه الجرأة، لكنه ليس إجابة حقيقية على الأسئلة الكبرى. وعندما

90

كان يقيس الأمور بمقياس ما هو مؤقت وما هو مطلق يشعر أنه يخطئ في الحالة الأولى ويصيب في الثانية. إنه يرتكب خطأ عندما لا يكافح من أجل استقلال الجائر أو ضد العداء للسامية أو ضد العنصرية. وهو يصيب عندما يرفض الانسحاق وراء المسكن المتمثل في العمل الجماعي، ويكي وحيدا مرة أخرى، ويتناول الشاي المر، ويفكر في الموضوع الكبير ويقلبه على وجوهه وكأنه لفة خيط حيث لا ترى فيها نقطة البداية أو توجد أربعة أو خمسة بدايات.

حسن، نعم، غير أنه يجب الاعتراف بأن طابعا مثل قدم يطأ كل نوع من أنواع جدلية الحدث على طريقة Bhagavadgita⁽¹⁾ ليس هناك أي نوع من الشك بين قيامه بإعداد الشاي أو قيام لاماجا بإعداده له. لكن كل شيء كان قابلا للفصل وطرحه مرة أخرى بطريقة معاكسة: في مقابل الطبيعة السلبية هناك الحد الأقصى من الحرية والاستعداد، وكذلك الغيبة البطيئة للمبادئ والقناعات، كل هذا يجعله أكثر حساسية للظروف المحورية في الحياة (وهذا ما يسمى بالرجل دوارة الهواء)، ويصبح قادرا على الرفض «ويوعى أو حسّ غريزي أكثر تفتحا وأكثر مسكونية على حد هذا التعبير. «أكثر مسكونية» لاحظ أوليفيرا بطريقة فيها رصانة.

أضف إلى ذلك. ما هي القيمة الحقيقية للفعل؟ فالعمل الاجتماعي، مثل ذلك الذي يقوم به أعضاء النقابات، له ما يبرره وزيادة في المجال التاريخي. وبالسعادة هؤلاء الذين ينامون ويعيشون في التاريخ. وكان مبرر التفاني دائما على أنه موقف نوطابع ديني سعاد هؤلاء الذين يحبون الغير مثل حبهم لأنفسهم. كان أوليفيرا يرفض هذا المخرج للأننا. وهذا الغزو الجبار للحظيرة البعيدة وهذا اليوميران الكوني الموجه أساسا لإفادة من يلقي به ويجعله أكثر إنسانية وأكثر قداسة. يكتسب القداسة دوما على حساب الآخر.... إلخ.

لم يكن أمامه أي شيء يعترض عليه في عمل كهذا لكنه باعده عن نفسه لأنه غير واثق من مسلكه الشخصي. إذ يشك في الخيانة وهو لم يكن يوافق على لصق المنشورات في الشوارع أو على ممارسة الأنشطة ذات الطابع الاجتماعي، إنها خيانة ترتدى العمل الملائم والسعادة اليومية والضمير الراضى عن نفسه وعن الواجب الذي

90

تم أدائه. كان يعرف بعض الشيوعيين فى بونوس آيرس وباريس معرفة جيدة، كان هؤلاء قادرون على ارتكاب أبشع الأمور لكنهم يبررونها فى أرائهم بأن ذلك من أجل «الكفاح»، وأنهم يتركون طعام العشاء للهولة إلى الاجتماعات أو إكمال إحدى المهام. والعمل الاجتماعى بالنسبة لهؤلاء أناس يبدو شديد الشبه بالعدو مثلما يكون الأبناء عذرا للامهات اللاتي لا يفعلن شيئا له قيمة فى هذه الحياة، ومثل إظهار العلم باستخدام نظارة القراءة وذلك حتى لا يدرك أن الشارع المجاور للشارع الذى نُسكن فيه، لازالت تمارس عمليات الإعدام بالمقصلة لأناس لا يمكن إعدامهم. العمل الزائف إتسم دوما بأنه مثير للانتباه وهو الذى يستوجب الاحترام والشهرة وإقامة التماثيل الضخمة. إنه عمل من السهل القيام به وكان المرء ينتعل حذاء، ويمكن أن يصل إلى درجة جديدة «وعموما يمكن أن يكون من الجيد أن يستغل الجزائريون، وأن نساعدهم جميعا بعض الشيء» - كان أوليفيرا يقول لنفسه). أما الخيانة فهي من طراز آخر. كانت كأنها نوع من الرفض المستمر للمركز، والبقاء على الهامش، والسعادة المختلة بأخوة أناس آخرين ضالعين فى نفس العمل. هناك حيث يمكن لبعض أنواع البشر أن يجعلوا من أنفسهم أبطالا. لقد كان أوليفيرا يعرف أنه يدين نفسه بأسوأ أنواع الكوميديا. وعندئذ كان من الأنسب ارتكاب خطأ السهو وليس خطأ العمولة. أن يكون المرء ممثلا فهذا يعنى رفض الصالة، أما هو فكان يبدو أنه ولد ليكون مشاهدا فى الصف الأول. «الامر السيئ» كان أوليفيرا يقول لنفسه «هو أنني أرغب فى القيام بدور المشاهد النشط، وهنا فحوى الأمر».

المشاهد النشط، لابد من مناقشة الموضوع بتؤدة. وفى اللحظة الراهنة، فإن بعض اللوحات وبعض النساء وبعض القصائد تعطيه الأمل فى أن يبلغ ذات مرة منطقة يتمكن من خلالها أن يقبل نفسه، ولكن بدرجة مخففة من القرف وعدم الثقة، عما هو عليه الحال الآن. تتوفر لديه ميزة وهى أن أسوأ ما فيه من نقاط ضعف يساعده فى ذلك الذى لم يكن طريقا بل كان بحثا عن وقفة قبل أن يبدأ السير فى اتجاهه. «تكنم قوتى فى ضعفى» - فكر أوليفيرا - « فقد اتخذت القرارات الكبرى على أنها أقتعة هروب» وأغلب مهامه (مهامه) كانت تنتهى بأنيق وليس بضربة. كما أن درجات القطيعة الكبرى أى bang بلا رجعة لم تكن إلا عضات فأر وقع فى الفخ ولا شئ أكثر. أما

90

الأخر فكان يدور ويطوف بخيلاء في الزمان والمكان، أو يتصرف، بلا عنف، تصرفا نابعا من الإرهاق وكأنه يعيش نهاية مغامراته العاطفية، أو ينسحب ببطء مثلما يحدث في التقليل التدريجي للزيارات لبعض الأصدقاء أو التبعاد تدريجيا عن قراءة الأعمال الشعرية لشاعر معين، أو التقليل من الذهاب إلى مقهى معين وأخذ يتجرع العدم بنعومة وخفة حتى لا يشعر بالأسف.

«لا يمكن أن يحدث لى شيء في الواقع بما في ذلك الخوف» كان أوليفيرا يفكر «لن يسقط فوق رأسي أبدا إصيص زرع» فلماذا إذن القلق إلا إذا كان الباحث المطروق متمثلا في الأضداد، والحنين إلى العمل، وممارسة الهوايات؟ كما أن تحليل القلق في دائرة الممكن كان يؤدي دائما إلى خروج عن المكانية أو اللامركزية بشأن نظام معين لا يستطيع أوليفيرا تحديد ماهيته. كان يدرك أنه مشاهد على هامش العرض وكان المر قد ذهب إلى مسرح وهو معصوب العينين: فأحيانا يستوعب المدلول الثاني لبعض الكلمات وبعض الجمل الموسيقية فيملؤه شغفا، فقد كان قادرا على تخمين أن المدلول الأول هاهو هناك. كان يشعر في تلك اللحظات أنه أقرب إلى المركز، عن كثيرين كانوا يعيشون وهم على قناعة بأنهم مركز العجلة. إلا أن درجة اقترابه كانت غير مفيدة ولحظة توتر^(٢) Tantalico لم تصل إلى أن تكون عذابا. أمن ذات مرة بالحب، كنوع من الأثراء وإعلاء القوى المثبطة. أدرك ذات يوم أن عشقه كان خاصا، إذ كان يعني ذلك الأمل، رغم أن العاشق الحقيقي يجب دون أن يأمل في شيء خارج نطاق الحب، ويقل بلا نقاش أن يصبح النهار أكثر صفاء والليل أكثر عذوبة والترام أقل إرهاقا. «إنني أجعل من الشورية عملية جدلية» فكر أوليفيرا. وتحولت عشيقاته إلى صديقات يشاركن في تأمل خاص للحظة التي تمر. كان الأمر ينتهي بهن كمعجبات (كن معجبات به في الواقع) ثم ولهات (ولها لا حدود له) وبعد ذلك كان هناك شيء ما يجعل الشك يساورهن في وجود الفراغ فيتراجعن، فيقوم بتسهيل مهمة الهروب عليهن، بأن يفتح لهن الباب ويذهبن للعب في مكان آخر. كان على وشك الشعور بالأسف وتركهن يعيشن على أمل أنهن يفهمن ما يحدث. وقع ذلك له مرتين. لكن كان هناك هاجس يقول له بأن أسفه غير حقيقي وربما كان وسيلة رخيصة لانانيته وكسله وعاداته «الشفقة تصفى كل شيء» كان يقول لنفسه ويتركهن لحال سبيلهن بونساهن بسرعة.

(20)

91

الأوراق مبعثرة على الترابيزة. هناك يد (يدوونج). هنا صوت يقرأ ببطء ويخطئ في القراءة فحرف اللام، كأنه خُطَّاف وحرف الـ e لا يمكن وصف نطقه، إنها مذكرات وملاحظات حيث توجد كلمة، أو بيت شعر بأى لغة، ذلك كله هو مطبخ الكاتب. هناك يد أخرى (روبالد) هناك صوت رصين يعرف القراءة. يؤدى التحية لأوسيب وأوليفيرا بصوت منخفض، فقد وصلا، وهما فى حالة ندم (ذهبت بابس لتفتح لهما الباب واستقبلتهما وهى تحمل سكينين، واحد فى كل يد) الكونياك، النور الذهبى وأسطورة الاعتداء على الخبز المقدس^(١) ودى إستايل De Stael بشكل مصغر. يمكن أن تترك المعاطف الواقية من المطر فى حجرة النوم. تمثال، ربما لبرانكوزى^(٢) Breancusi. وفى داخل غرفة النوم ها هى هناك تائهة بين قالب ملابس وصف من علب الكرتون به بعض السلوك. لم تكن الكراسى كافية فما كان من أوليفيرا إلا أن جلب اثنين من الكراسى بدون مساند للظهر. ساد صمت يشبه - طبقا لجينيت^(٣) Genet - ذلك الذى عليه أناس مهذبون عندما يشمون فجأة رائحة فُسْوة. فى هذه الأثناء يقوم إيتين بفتح دوسيه ويخرج بعض الأوراق.

- قال :

- بدا لنا أن من الأفضل إنتظارك لنقوم بتصنيفها وأثناء ذلك قمنا بالاطلاع على بعض الأوراق المتفرقة. لقد أَلقت هذه الفظة بيضة جميلة فى صندوق القمامة.

- قالت بابس :

- لقد كانت فاسدة .

وضع جريجوروفوس يده المرتعشة على أحد الدوسيهات. لابد وأن الجو بارد جدا فى الشارع وعلى ذلك لابد من جرعة مزدوجة من الكونياك. كان لون الضوء يبعث على السخونة وكذلك الموسيقى الأخضر والنادى. ينظر أوليفيرا إلى وسط الترابيزة وإلى رماد سيجارته الذى أخذ ينضم إلى ما هو موجود فى الطفاية.

(-82)

أدرك الآن أنه فى أقصى لحظات الرغبة لم يستطع أن يجعل رأسه فى قمة الموجة والولوج إلى الصخب الرائع للدم، كان حب لاماجا تحديا لا ينتظر منه الإشراق. فقد تتابعت الكلمات والتصرفات وكأنها عملية سرديّة مملّة، أو رقصة عنكيوت على شقة هلالية الشكل، أو تعامل مع الأصداء بطريقة مطوّلة ولزجة. كان ينتظر من هذا السكر السعيد شيئا كأنه الاستيقاظ، أو أن يرى ما يحيط به بشكل أفضل سواء كانت الحروف الملونة للفنادق أو الأسباب والمبررات الخاصة ببعض تصرفاته، لكنه لم يكن يريد أن يفهم أن الاختصار على الانتظار يقضى على أى إمكانية فعلية، وكأنه بذلك يدين نفسه مسبقا بأن يعيش حاضرا ضيق الأفق وصغيرا انتقل من لاماجا إلى بولا فى فصل واحد دون أن يغضب لاماجا أو يغضب نفسه، ودون أن يكلف نفسه مداعبة الأذن الوردية لبولا بأن يهمس لها باسم لاماجا. والفشل مع بولا لم يكن إلا تكرارا لمرات فشل مضت، إنه نوع من اللعب يذهب فى نهاية الأمر، لكنه كان جميلا أن يلعب، بينما بدأ يشعر بالحنق من اللعب مع لاماجا وكأنه تأنيب ضمير يشبه قلع الأسنان ورائحة أعقاب السجائر فجرا فى أحد أركان الفم. ولهذا أخذ بولا إلى نفس الفندق الكائن فى شارع فالتيت. ووجد نفس المرأة العجوز التى بادلتها بتحية متفهّمة، فما الذى كان يمكن فعله غير ذلك فى هذا الوقت الرديئ. لازالت هناك رائحة طرية، مثل رائحة الشورى، لكن قامت بتنظيف البقعة الزرقاء التى كانت على السجادة، وكان هناك مكان لبقع جديدة.

- قالت بولا وهى تشعر بالمفاجأة :

- لماذا هنا؟ كانت تنظر إلى الكوفرتة الصفراء والحجرة الرطبة والمطفأة الأنوار واللمبة ذات البرنيطة من القماش الوردى الملون، معلقة فى السقف.

- هنا أو فى أى مكان....

- إذا ما كان الأمر يتعلق بالما لفقد كان عليك أن تقول ذلك يا عزيزى.

- إذا ما كان الأمر يتعلق بالقرف فليس عليك إلا أن تأمرى بأن نذهب من المكان يا

عزيزتى.

- لا أشعر بالقرف. إنه مكان قبيح. وربما من الأفضل

ابتسمت له وكأنها تحاول أن تفهمه، ربما من الأفضل التقت يدها بيد أوليثيرا

عندما انحنى كلاهما لرفع الكوفرتة. قضى كل تلك الأسمية مرة أخرى من بين مرات عديدة وهو يقوم بنور الشاهد الساخر والمنفعل، على جسده وعلى المفاجآت والنقاط المثيرة للسعادة، والمخيبة للأمال في هذه العملية. كان قد اعتاد دون أن يدرى على إيقاع لامجا، وما هو الآن أمام بحر جديد وموجات مختلفة. كل ذلك يجرفه إلى نوع من اللاإرادية. ويبدو أن ذلك فيه نوع من الإدانة الغامضة لعزلة الملية بالصور الزائفة. الفرح والغضب والانتقال من فم إلى فم آخر والبحث عن رقبة وهو مغمض العينين حيث نامت اليد وهي في وضع منثنى، كما أن الإحساس بالتجاعيد مختلف، والقاعدة أكثر سمكا. وعضلات تزداد توترا هنيهة مع الجهد المبذول للاعتدال وتبادل القبلات. وكل حركة من جسدها تقابلها عدم لقاء لذيق، ويجب أن يشرب بعض الشيء أو النزول بالرأس لتلتقي الأفواه التي كانت قبل ذلك قريبة. ومداعية فخذ ملتصق، والحث على الاستجابة لكن لا يعثر لها على أثر، والإصرار مع شروذ الذهن لدرجة الشعور بأنه يجب إبداع ذلك مرة أخرى، وأن القانون قد ينص عليه وأن الرموز والشفرات سوف تولد من جديد، وسوف تكون مختلفة وسوف تستجيب لشيء آخر. فالوزن والرائحة وإيقاع الابتسامة أو التضرع والزمان، لن تتوافق كل تلك الأشياء مع ما كان عليه سابقا. فكل شيء يولد من جديد ويصبح خالدا. ويلعب الحب في ابتكار نفسه ويهرب من نفسه ليعود وقد لمس ذنبه، وسوف تغني النهود بشكل آخر، وسوف يقبل الفم بطريقة أعمق، وكأنه من بعيد. وفي اللحظة التي كان فيها غضب وكره، تتحول إلى لعب محض وضحك مكتوم، أو أن يحدث العكس، ففي اللحظة التي كان النعاس فيها يداعب المرء وكذلك خواطر لذيذة تتعلق بأشياء تافهة، نجد بدلا منها التوتر وشيئا لا يمكن توصيله لكنه حاضر ويطالب بالدخول، إنه مثل غيظ لا يشعر. لكن المتعة في حلقاتها النهائية لازالت كما هي. فقد تفجرت الدنيا كلها قبل بعد، ومن الضروري وضع أسماء لها من جديد. إصبعها بإصبع وفما بفم وظلا بظل.

أما المرة الثانية فقد كانت في حجرة بولا بشارع دوفين. وإذا ما كانت هناك بعض الجمل التي يمكن أن تقول له ما الذي سيجده، فقد كان الواقع أبعد بكثير عن الخيال. كان كل شيء مرتبا، وكان هناك مكان لكل شيء، فتاريخ الأدب يتم شرحه بطريقة مثالية من خلال كروت البوستال: ها هو كلي Klee وبولياكوف^(١) Poliakoff وبيكاسو (فيه بعض الطواعية الرحيمة) ومانسيير^(٢) Manessier وفوترير^(٣) Fautrier. وقد تم تثبيت كل هذه الكروت بدبابيس مكتب وبينها مساحات محسوبة. وبدرجة صغيرة حتى إن

اللوحة المسماة دافيد دى لاسيجنوريا David de la Signoria لا تخرج عن الإطار المرسوم. هناك زجاجة برموت، وأخرى من الكونياك وعلى السرير معطف مكسيكى. كانت بولا تعزف أحيانا على الجيتار، ذكرى حب فى المناطق الجبلية. كانت تبو فى حجرتها كأنها الممثلة ميشيل مورجان⁽⁴⁾ Michele Morgan † لكنها مليئة بالنضرة. كان عندها اثنان من الرفوف الخاصة بالكتب موضوع عليهما «رباعية الإسكندرية» لدوريل Durrel وقد قرأته أكثر من مرة، وبونت عدة ملاحظات. وترجمات لديلان توماس Dylan Thomas وقد اعتلاها آثار من أحمر الشفاه وأعداد من Twe cities و Christiane Rochefart و⁽⁵⁾ Blondin و Sarraule (دون أن تُعمل فيها المقص) وبعض NRF. أما باقى الأشياء فكانت موزعة حول السرير حيث بكت بولا لبعض الوقت عندما تذكرت صديقة لها انتحرت (الصورة وصفحة من يوميات حميمة ووردة جافة). ومع ذلك لم يستغرب أوليفيرا أن تكون بولا متشائمة، وأنها كانت البادئة بفتح الطريق إلى المتع وأن الليلة قد وجدتهما وكأنهما مستلقيان على شاطئ، حيث أخذت الرمال تتراجع رويدا رويدا أمام المياة المليئة بالطحالب. كانت أول مرة يطلق عليها بولا باريس، على سبيل المزاح. وأن هذا الاسم أعجبها وكرّته. وأنها عضت شفتيه وهى تخمغم بولا باريس وكأنه يروح ويغدو على الستارة ذات اللون الأصفر. بولا باريس، بولا باريس. المدينة عريانة ويتم تذكر الجنس مع حركة الستارة، بولا باريس، بولا باريس، وفى كل مرة تصبح أكثر قربا منه وملكا له، النهدان دون مفاجأة، وتجاويز البطن يمكن مداعبتها بدقة دون أى حيرة حتى يصل إلى أقصى حدود البطن. هناك قم محدّد الملامح ولسان صغير ورفيع ولعاب قليل وأسنان غير حادة وشفاه تفتح حتى تداعب اللثة، حيث تشم رائحة الكونياك والدخان.

93

لكن الحب، تلك الكلمة.... أوراثيرو الواغظ، الذى يخشى العواطف دون أن يكون لديه سبب جوهري. يشعر بالقلق والخشونة فى مدينة للحب فيها أسماء بعدد أسماء الشوارع والمنازل والشقق والحجرات والأسرة والأحلام والنسيان والذكريات. يا حبيبى، أنا لا أمسكك من أجلك ولا من أجلى ولا من أجل كلينا، لا أعشيقك لأن الدم ينادينى بعشيقك، أعشيقك لأنك لست ملكى، لأنك على الجانب الآخر، حيث تدعوننى إلى القفز ولا أستطيع أن أفعل ذلك. وذلك لأننى لا أجدك فى نفسى، وأنا فى أعماق أعماق موقعى، كما أنى لا أبلغك، ولا أتجاوز حدود جسدك وابتسامتك. يمر على وقت أشعر فيه بالانزعاج الشديد لأنك تحبينى (إنك تعشقين الفعل «يحب» بشدة. وأى تصنع لديك وأنت تتركينه يسقط فوق الأطباق والملاءات والأتوبيسات) يقلقنى حبك فهو لا يمثل بالنسبة لى معبرا، فالكوبرى لا يمكن أن يستقيم وهو مستند على جانب واحد، ولن يقوم أعظم المعماريين مثل وورج^(١) Wright أو كوربوسير^(٢) Corbusier بتصميم كوبرى يستند على جانب واحد. ولا تنظرى إلى بعينى العصفور، فالحب بالنسبة لك هو أمر سهل، وسوف تشفين قبلى من ذلك الذى هو حبك لى، نون أن أبادلك الحب. وبالطبع سوف تشفين لأنك تعيشين فى صحة جيدة، فبعدى يمكن أن يحل أى فرد آخر، وهذا يتم تغييره مثل الصديرى. تشعيرين بالحزن وأنت تسمعين الأحقق أوراثيرو الذى يريد حبا مرور الكرام، حبا لتسلق الجبل، الحب المفتاح، والحب المسدس، وحب يعطيه ألف عين كانت لـ أرجوس^(٣) Argos. الحضور فى كل مكان والصمت حيث الموسيقى ممكنة والجنور حيث يمكن البدء فى شبح لغة. وهو أبه لأن كل ذلك نائم بعض الشيء داخله، وما عليك إلا أن تغوصى فى كوب ماء كائنك زهرة يابانية ثم تأخذ البتلات فى النمو والظهور شيئا فشيئا. وتتفتح وينمو الجمال. إنك معطاءة للانتهائى، وأنا لا أعرف تناوله فلتعذربنى. إنك تكدفى إلى بتفاحة وقد تركت أنا طعم الأسنان على الكومودينو. قف. جيدا هكذا.

يمكن أن أكون فظا، تصورى. لكن تصورى جيدا لأن ذلك ليس مجانا. لماذا أقول قف؟ لأنى خائف من البدء فى التلغيفات فهى جد سهلة. فما عليك إلا أن تطرح فكرة وشعورا من تلك اللحظة التى مضت وتربطهما من خلال الكلمات والحرف وبعد ذلك أحبك. إنها جزئية محضة: أحبك، إجمالى عام: أحبك. على هذا الحال يعيش

93

الكثير من أصدقائي دون أن أحدثك عن عم واثنين من أبناء العمومة وهم على قناعة بالحب - الذى - يشعرون - به - نحو - زوجاتهم، الانتقال من القول إلى الفعل، ويدون رأس لا يوجد جسد الحيوان، وما يطلق عليه كثير من الناس حبا ليس إلا اختيار امرأة والزواج بها. إنهم يختارونها، وأقسم لك على ذلك فقد رأيته، فكيف يمكن الاختيار فى الحب وكأنه ليس شعاعا يكسر عظامك ويترك جامدة بلا حراك وسط الحوش، ستقولين إنهم يختارون نساءهن لأنهم يحبونهن، وأنا أعتقد أنه على العكس alvesre. لم يتم اختيار بياتريث ولم يتم اختيار جوليت، وأنت لا تختارين المطر الذى ينزل حتى عظامك عندما تذهبين إلى حفل موسيقى، لكنى وحيد فى غرفتى، وأسقط بين أدوات الكاتب، وتأتى الحروف السوداء كيفما اتفق، وتقرصنى من تحت الترابيزة، هل يقال تحت أو من تحت؟ كما أنها تعضك، لماذا هذه الفتاة من قبل الحروف السوداء، انظرى إليها فى قصيدة ناشى Nashe وقد تحولت إلى نحل. كما أنها هناك عند «أوكتايبويات»^(٤) قد تحولت إلى سيقان الشمس، ومقار صيفية، لكن جسد أى امرأة هو مارب وهو برينفيرييرس^(٥) Brinvilliers والعيون التى يعلوها الضباب من كثرة تأملها للغروب الجميل هى نفس الأعضاء التى يمتنع نفسه بمشاهدة تلوى المشنوق، أخشى تجارة الأعراض مقروءة أو مكتوبة، ذلك البحر من الأسنة تلحق عجز العالم، هناك عسل ولبن وتحت لسانك نعم لكن من المسلمات أن الذباب الميت يفسد عطر المتخصص. تدور الحرب بالكلمة، وفى الحرب يلزم كل شئ ولو كان فى ذلك التخلّى عن الذكاء والوقوف فقط عند مجرد طلب البطاطس المقلية، والأخبار التى ترسل بها وكالة رويتر وخطابات أخى النبيل والحوار عن السينما إنه لأمر غريب وشديد الغرابة أن يشعر بوتنهاام^(٦) puttenham بالكلمات كأنها مُحسّات وحتى كائنات تنبض بالحياة. يحدث هذا أحيانا بالنسبة لى فأبدو وكأننى أزرع أنهارا من النمل الشرس الذى سيأكل العالم، أه لم يحتضن الزوك فى الصمت... السبب الأعظم خطأ فادح! أه لو أمكن خلق سلالة تعبر عن نفسها من خلال الرسم والرقص والمكرمية^(٧) macrame أو أى نوع من المحاكاة المجردة، فهل سيحول ذلك دون وجود إمكانية الخداع؟ شرف الرجال إلخ، نعم لكنه شرف يزيل الشرف عن كل جملة وكأنه مريّة للعذراوات إذا ما أمكن عمل شئ.

93

تنتقل من الحب إلى علم اللغويات. إنك تعيش حالة إستنارة داخلية يا أوراثيو. السبب هو موريلي الذى يستولى عليك حتى الهوس، كما أن محاولته غير العاقلة تجعلك تخمن عودة إلى الفردوس المفقود. أيها المسكين السابق على آدم، من أبناء السناك بار Snk bart من العصر الذهبي والملفوف فى السلوفان - This is aplastic age, man; a plas tic's age انس الحروف، تنازل، اهدأ، علينا أن نفكر، ما يسمى بالتفكير، أى الشعور، واتخاذ الوضع، ومواجهة النفس قبل السماح بمرور أى جملة بسيطة أو مركبة. باريس هى مركز، أتفهم، إنها «ماندالا» وعلى المرء أن يطوف بها دون جدلية، وكهفا حيث الصيغ البراجماتية لاتفيد فى شئ إلا فقدان الاتجاه. وعندئذ على المرء أن يكون أعرج وكأنه يستتشق باريس ويدخل فيها ويتركها لتدخل منه nlume y no lages. هذا الأرجنتينى أبو العماد الذى نزل من السفينة وهو يحمل معه ثقافة مقاس ثلاثة فى خمسة ويفهم كل شئ ويطلع على أحداث الدنيا، ومن أصحاب الذوق الجيد. يعرف جيدا تاريخ السلالة البشرية والعصور الفنية، بما فى ذلك العصر الرومانسى والعصر القوطى والتيارات الفلسفية ومناطق التوتر السياسى. ويعرف شركة شل ماكس (٨) Shell Mex والعمل والتمعن والالتزام والحرية، يعرف بييروديلافرانثيسا Plera Della Anton webern والتكنولوجيا المتقدمة ومنها ماكينة الطباعة Lettera22 وأنطوان ويبرن وفيات طراز 1600 والبابا خوان الثالث والعشرين. ياله من أمر جيد ياله من أمر جيد. كانت مكتبة صغيرة فى شارع شيرس ميدى Cherche Midi وكان هواء ناعما ذا تموجات رتيبة. وكان المساء والساعة وكان الفصل المزهر من العام (٩). كان الكلمة (فى البداية) كان رجلا يعتقد أنه إنسان ... ياله من موقف أه يأمى. خرجت من المكتبة (منذ هنيهة أتذكر الآن أنها كانت كنوع من المجاز إذ تخرجن مكتبة ليس إلا) وتبادلنا كلمتين ثم ذهبنا لتناول كأس فى مقهى يقع فى شارع سيفر بابلون Sevres- Babylone (ونحن نتحدث عن الاستعارة. كنت أنا بمثابة قطعة بورسيلين نزلوا بها من على متن المركب Handle With care أما هى فكانت بابل، أساس الزمن، والشئ السابق Pri- meval beig العرب واللذة فى اللقاءات الأولى ورومانسية أتالا لكن كان هناك فهذه حقيقى يختبئ وراء الشجرة).. وهكذا ذهب سيفرى مع بابل لتناول كأس «قشر البصل» Pe- lure d' oignon كنا ننظر إلى بعضنا البعض وأعتقد أننا بدأنا نشعر بالرغبة كل تجاه

93

الآخر. (لكن كان ذلك فيما بعد فى شارع ريامور Réaumur) ودار حوار هام يسوده سوء المفاهيم، وعدم التوافق الذى يتم حله فى لحظات صمت غامضة. وظل الأمر كذلك حتى أخذت الأيدي فى عملية التشكيل، كانت لنيذة مداعبة الأيدي والنظر إليها والابتسام. أشلعت سجاثر جلواز، السيجارة من عقب الأخرى، كنا نحتك بالعين. كما كنا على اتفاق كامل فيما يتعلق بما كان يسمى الخجل. كانت باريس ترقص فى الخارج تنتظرننا، ونحن حديثى النزول من السفينة، ولم نكد نعيش، وكان كل شئ هناك بدون اسم وبدون تاريخ (وخاصة بالنسبة لبابلونيا أما المسكين سيفرى فقد كان يبذل جهدا جبارا وهو مشدوه بهذه الطريقة التى هى عليها فى تأمل ما هو قوطى دون أن تضع له مسميات صماء، وأن تقوم بجولة على شاطئ النهر دون أن ترى الكحوليات النورماندية (draque). وعندما ذهب كل منا لطريقه كنا نودع بعضنا كأننا فتيان وفتيات ربطت بيننا أواصر الصداقة فى إحدى حفلات عيد الميلاد أخذنا ننظر إلى بعضنا البعض بينما الآباء يجذبوننا، كل فى اتجاه. إنه ألم لذيذ، ومعروف أن أحدهم واسمة طونى أما الفتاة فكان اسمها لولو ويكفى أن يكون القلب بمثابة ثمرة فاكهة صغيرة ...و

أوراثيو، يا أوراثيو.

إنها قذارة إذن ولم لا؟ إننى أتحدث عن ذلك الوقت، عن سيفرى وبابلون، وليس عن هذه المحصلة التى فيها رثاء والتى نعرف من خلالها أن اللعبة انتهت.

(68)

موريليات :

يمكن أن تتعفن مقطوعة نثرية مثلما تتعفن شريحة من ظهر الذبيحة إننى أشعر منذ أعوام بالتحلل الذى يذب فى كتابتى. فهى تصاب بالتهاب اللوزتين والأعور والبرقان لكنها تتعدى طاقتى فى طريقها إلى التحلل النهائى وعلى أى الأحوال فإن التعفن يعنى القضاء على عدم نقاء المركبات واستعادة حقوق الصودا والمغنيسيوم وكذلك الفحم فكلها نقية من الناحية الكيماوية. إن كتابتى النثرية تتعفن نحويا وتتجه - بجهد كبير - نحو التبسيط. وأعتقد أننى لا أعرف كيف يمكن أن أكتب بطريقة «متسقة». لهذا السبب فالكلمات تفر منى وتتركنى بعد خطوات قليلة. Fixer des vertiges

- ياله من أمر جيد لكنى أشعر أننى يجب أن أقوم بتثبيت بعض العناصر. ومهمة القصيدة هى تلك، كما تقوم بهذه المهمة بعض المواقف فى الرواية أو القصة القصيرة أو المسرح. أما باقى الأمور فهى لا تتجاوز مهمة الحشو ومع ذلك لا يسير كل شئ سيرا جيدا.

- نعم، لكن ماذا عن العناصر، أليست هى المحور الجوهري؟ فأنت تقوم بتثبيت الكربون، هو أمر أقل قيمة من تثبيت قصة أسرة جيرمانت Guermantes - لدى اعتقاد غامض بأن العناصر التى أرصدها ما هى إلا مصطلح من التركيب. يتم قلب وجهة النظر للكيمياء المدرسية. وعندما يصل التركيب إلى أقصى درجاته تفتح الأبواب على أرض البساطة. تثبيتها وأن تكون هى إذا ما كان ذلك ممكنا.

95

لوحظ أن موريلي كان واضحاً في بعض ملاحظاته التي دونتها بشأن توجهاته، وهذا شيءٌ مثير للفضول وقد بدرت منه علامات تحمل المفارقة؛ إذ كان يهتم بدراسة أو عدم دراسة بعض الأمور مثل البوذي zen الذي كان بمثابة طفح جلدي للجيل الرديء؛ لم تكن المفارقة في ذلك، بل لأن موريلي بدا أكثر راديكالية وأكثر شباباً، في مطالبه الروحية، عن هؤلاء الشباب أبناء كاليفورنيا الذين أسكرتهم الكلمات السنسكريتية والبيرة المعبأة في اللعب الألونيوم. كانت إحدى تلك الملاحظات تشير بشكل سوروكي^(١) إلى اللغة كنوع من التعجب أو الصراخ الذي ينبع مباشرة من التجربة الداخلية. وطبقاً لبعض النماذج المتعلقة بحوارات تدور بين المدرسين والطلاب التي يستعصى على السمع العقلي فهمها والتي تتعد عن كل منطق صراعي وثنائى. كذلك هناك نماذج إجابات المدرسين على أسئلة تلاميذهم التي هي عبارة عن هراوة يهزون بها على رؤس الطلاب، وإلقاء جردل ماء عليهم، وطردهم ركلاً من المنزل، أو تكرار السؤال مرة أخرى على مسامعهم، وهذا في أفضل الأحوال. كان يبدو أن موريلي يسير في هذا المضمار وهو يشعر بالمتعة، ويؤكد على أن تلك السلوكيات من المدرسين هي الدرس الحقيقي والطريقة الوحيدة ليقوم التلاميذ بفتح عيونهم الروحية ويكشفون الحقيقة أمامهم. هذا العنف اللاعقلاني بدا له أمراً طبيعياً إذ رأى أنه يقضى على الابنية التي تشكل تخصص الغرب والركائز التي يقوم عليها التفاهم التاريخي للإنسان والتي يتوفر لها عنصر الاختيار من خلال فكر الخطاب (وكذلك الفكر الجمالي والشعري).

كانت نغمة الملاحظات (هي عبارة عن ملاحظات مكتوبة بغية تقوية الذاكرة أو لغرض آخر غير واضح) تدل على أن موريلي كان ضالعا في مغامرة شبيهة بالعمل الذي بذل جهداً مؤلماً في كتابته ونشره خلال الأعوام الأخيرة. كان بعض قرائه يرى (وكذلك هو أيضاً) أنه من المثير للضحك أن ينوى في كتابة نوع من الرواية، ولكن على أساس مبادئ الترتيب المنطقي للخطاب. وانتهى الأمر بالتخمين وكأنه نوع من المبادلة وسلوك إتجاه (لكن بقي الأمر اللامعقول والمتمثل في اختيار السرد القصصى لأهداف لا تبدو قصصية) لم لا؟ كان موريلي يطرح هذا السؤال على نفسه على سطور ورقة مربعة يوجد على

95

هامشها قائمة من البقول ومن المحتمل أن يكون *mementa buffandi* الأنبياء والمتصوفة واللييلة المظلمة للروح: هو استخدام شائع للقص في شكل عظة أو رؤى. وبالطبع فإنه إذا ما تعلق برواية ... لكن هذا الاستغراب يتبع أساسا من هوس القرد الغربى بالتصنيف والتبويب ولا ينبع من تناقض فعلى داخلى. دون أن نأخذ فى الاعتبار وجود علاقة طردية بين التناقض الداخلى والفعالية التى يمكن أن تتمخض عنها فى نموذج مثل تقنية زن. فبدلا من الهراوة على الرأس يمكن أن تؤلف رواية مضادة تماما للقصة، مع ما يصحب ذلك من الاستغراب والشعور بالصدمة وربما فتح العيون بين الأكثر ذكاء.

وتأمل فى ذلك الأخير، هناك ورقة أخرى تشير إلى التوجه السوزوكى بمعنى أن فهم اللغة الغربية التى يتحدث بها المدرسون تعنى أن يفهم التلميذ نفسه وليس أن يفهم مدلول اللغة تلك. وخلافا لما يمكن أن يستنتجه الفيلسوف الأوروبى الخبيث فإن لغة المايستروزن تنقل أفكارا وليس مشاعر أو تخمينات. ولهذا لاتجدى كونها لغة فى حد ذاتها، بل إنها مثل عملية الانتقاء للجمال التى يتولاها الأستاذ، ها هو الغموض يحدث فى المنطقة الخاصة به ويفتح التلميذ على نفسه ويدرك ذاته وتصبح الجملة بمثابة مفتاح.

ولهذا فإن إيتين، الذى درس جيل موريللى بشكل تحليلى (وهو أمر قد يبدو لأوليئذ ضمانة للفشل) كان يعتقد أنه يلح فى بعض أجزاء الكتاب، بما فى ذلك فصول كاملة منه نوعا من التضخيم فى استخدام الإنسان القديم لبعض صفعات زن. كان موريللى يطلق على تلك الأجزاء من الكتاب «أبنية فصول» *arquetipales* وفصل نموذج "capetipos" وهى نوع من الهذيان اللغوى يستشف من خلاله خليط ليس على طريقة جويس. وفيما يتعلق بمهمة الأنماط هناك فقد كان ذلك موضوعا لا يدرك كنهه كل من وونج وجريجور وغيوس.

ملاحظة سجلها إيتين: لم يبدأ أن موريللى كان يريد أن يصعد الشجرة البوذية، أو على جبل سيناء أو أى منصة أخرى كما لم يفكر فى اتخاذ مواقف لأستاذ يقوم من خلالها بقيادة القارئ نحو آفاق جيدة خضراء، لم يخنع (فالعجز كان من أصل إيطالى وكان شديد الاعتداء بنفسه) كان يكتب وكأنه يتصور أن الأستاذ سيقوم بتتويره، ويلقى بعبارته زن وينصت لها - وربما استمر فى ذلك خمسين صفحة متوالية

95

كان من اللامعقول ومن سود النية الشك في أن هذه الصفحات موجهة إلى القارئ، فإذا ما قام موريلي بنشرها فقد يكون ذلك (إنه إيطالي الأصل (عودة مظفرة^(٦)) ومن ناحية أخرى كان سعيدا بأنها تستدعي النظر بشدة.

كان إيتين يرى في موريلي الرجل الغبى الكامل أى المستعمر. وبعد أن قام بجمع الزهور البوذية عاد إلى الملجأ اللاتيني وهو يحمل البذور. وإذا ما كانت الخلاصة هى الشئ الذى يجعله أكثر أملا فما علينا الا الاعتراف بأن كتابه هو كتاب أدبى فى المقام الأول والسبب هو أنه يرى تدمير الأشكال (والصيغ) الأدبية.

كان غريبا أيضا حتى فى إطاره، وذلك من خلال الاقتناع المسيحى بأنه لا يوجد خلاص فردى ممكن وأن أخطاء البعض تؤثر على الجميع والعكس صحيح، وربما لهذا السبب (خفقه من أوليفيرا) اختار شكل الرواية لكتابة مغامراته كما كان ينشر ما يجده وما لا يجده.

(-146)

سرى الخبر بسرعة وكأنة خط بارود، فاجتمع كل أعضاء النادي تقريبا فى العاشرة. كان إيتين حامل المفتاح، أما وونج فكان ينحنى حتى الأرض لمجابهة الاستقبال الغاضب للبوابة، لكن ما هذا الذى يحدث؟ حقا، هؤلاء الأجانب. اسمعوا سوف أترككم تصعدون طالما أنكم تقولون بأنكم أصدقاء السيد موريل. إلا أنه لم يكن ليَرْضَى أن تصعد عصابة إلى منزله فى العاشرة مساء. لا. هذا حقيقى. كان من المفروض عليك يا جوستاف أن تتحدث مع النقابة فهذا شئ أحمق... إلخ. كانت بابى مسلحة بما يطلق عليه رونالد The alligator's smile. كان رونالد متحمسا، ويضرب إيتين على ظهره ويدفعه حتى يسرع. أما بيريكو رومير فكان يصب اللغات على الأدب. الدور الأول روى RODEAU وفورور FAURRUES أما الدور الثانى فهو DOCTEUR والدور الثالث هوسينوت HUSSENOT، كان لا يصدق. كان رونالد يضغط بمرقه على أضلاع إيتين ويتحدث بسوء عن أوليفيرا.

باريس ليست إلا ذلك، سلالم سيئة، وسلالم سيئة تعقبها، لقد طف الكيل ولم يعد المرء يحتمل. إذا ما كانت كل بنات الدنيا كان وونج آخرهم، يبتسم لجوستاف ويبتسم للبوابة بالسخرافة وبالسوء الأدب. وفى الدور الرابع فتح باب الشقة التى على اليمين، مسافة ثلاثة سنتيمترات فرأى بيريك فارة ضخمة ترتدى قميص نوم أبيض اللون تلتصص عليهم بعين وأنفها كاملا. وقبل أن تتمكن من إغلاق الباب مرة أخرى وضع سن نعله فى الفتحة، وأنشد لها ذلك، بأنه بين الأفاعى استطاع الأفعوان أن يكون هو الأكثر سُمًا وأكثر قدرة على غزو الحيات إذ يثير استغرابهن بصغيره ويفزعهن بمقدمه ويقتلهن بسحر عينيه. لم تفهم مدام رينيه لافاليت الكثير، لكن كانت إجابتها كانت التأفف، ودفعته. أخرج بيريكو حذاءه فى ١ من الثانية قبل أن يرن باف. أما الدور الخامس فقد توقفوا ليروا كيف يقوم إيتين بوضع المفتاح فى الباب.

- لا يمكن أن يكون - كرر رونالد للمرة الأخيرة - إننا نعلم كما تقول ذلك أميرات Tours et taxis هل جئت بالمشروبات يا بابى؟ إنه تبرع للإله كاروننت^(١) Caronte. سوف نقوم بفتح الباب الآن وستبدأ الأمور المهيبة، أنا أتوقع أى شئ من هذه الليلة. إذ يسود شعور بأننا على أبواب نهاية العالم.

- هذه العجوز المجنونة كانت على وشك أن تكسر قدمى - قال بيريكو وهو ينظر إلى فردة الحذاء - افتح يا رجل لقد تعبت تماما من صعود السلالم ولم أعد أحتملها.

96

لكن الباب لم يدخل فى الفتحة رغم أن وونج قد أشار إلى أنه فى الاحتفالات الأولية تتسم الحركات بالبساطة وترى وهى مترابطة بواسطة قوى يجب التغلب عليها بصبر ومكر. انطفأ نور السلالم،، ولابد أن يخرج أحد منكم الولاة.

بابى : ياله من سخف. «تستطيع مع ذلك أن تتحدث الفرنسية. أليس كذلك؟ أه زميلك الأرجنتيني ليس هنا ليعبر عن إعجابه بهذه اللخطة».

رونالد : أريد أى كبريت يارونالد، ياله من مفتاح لعين، لقد اعتلى الصدا المفتاح، لقد كان العجوز يحفظه فى كوب فيه ماء.

إيتلين : «ياسيد كويان، ياسيد كويان، هو هو السيد كويان»
وونج : لا أعتقد أنه سيأتى. «إنك لا تعرفه هو. أفضل منك، لا شئ من هذا، ياللقذارة .

رونالد : خذ ولاعتك، النهر الأصفر.

بييريكو : لمؤخرتى هذا النحس.

وونج : إنها أيام الين Yin. لابد من التسلح.

بابى : بالصبر. لترين، لكن من النوع الجيد.

إيتلين : بحق الله نرجو ألا يسقط منك على السلم. أتذكر ليلة

رونالد : أنكر ليلة فى ألياماحيث كانت النجوم.

بابى : حى . «بالك من ظريف كان من الأفضل أن تعمل فى الإذاعة».

رونالد : ها هو أخذ المفتاح، إنه

بابى : «قد سقطت النجوم فى ألياما»

رونالد : لقد أصابتنى فى قدمى إصابة بليغة أشعل عود ثقاب آخر،

لايرى أى شئ أين؟ لا يعمل. هناك.

من يضع يده على عجزى.

96

الكورس : يا حبيبى تشى..... تشى..... ليدخل وونج أولا لطرده الشياطين، أو، مستحيل، ادفع به يا بيريكو فهو صيئى.
- قال رونالد :

- الصمت هذه هى أراض أخرى، أقولها جادا؛ فإذا ما كان هناك من جاء للتسليه فليصمت، أعطنى الزجاجات يا كترى فداثما ما ينتهى بها المطاف وتسقط منك عندما تكونين منفعله.

- لا أحب أن يضع أحد يده علىّ فى الظلام - قالت بابى وهى تنظر إلى بيريكو وونج. مدّ إيتين يده ومررها ببطء على الإطار الداخلى للباب. انتظر الجميع وهم صامتون فى انتظار العثور على مفتاح النور. كانت الشقة صغيرة وملئية بالاثربة، كما كانت الإضاءة الضعيفة تلف المكان فى جو مذهب حيث تنفس النادى الأول الصعداء، ثم أخذ يتجول لمعرفة باقى أجزاء المنزل، وتم تبادل الانطباعات بصوت منخفض: هناك نسخة من لوح أور Ur، وأسطورة تدنيس الخبز المقدس (باوولو أوكتيلÉt Paolo Uccello Pinxit) وصورة باوند Pound وموسيل Musil واللوحة الصغيرة - دى ستايل De Stijl وعدد هائل من الكتب مصوص إلى جوار الحائط على الأرض، وإلى جوار الترابيزات وحجرة الحمام، وفى المطبخ الصغير، حيث كانت هناك بيضة مقلية بين التعفن والجفاف. كانت شقة جميلة جدا فى نظر إيتين، بينما ترى بابى أنها درج من الزبالة، وتدور مناقشة فيها نوع من الكهانة بينما وونج يفتح بحذر «مناقشة الأمراض من خلال السحر، والسحر فى مواجهة الأمراض»، لزينجر Zwinger، صعد بيريكو على كرسي بدون مسند ظهر وأخذ يقلب فى ركن خاص بالشعراء الإسبان خلال العصر الذهبى. ويتفحص إسطرلابا صغيرا مصنوعا من القصدير والعاج. أما رونالد فينظر إلى حافظة الأوراق ذات الكسوة المخملية الخضراء، إنه نفس المكان الذى يمكن أن يجلس عليه بلزك ليكتب، وليس موريلى. حقا، إن العجوز كان يعيش على مقربة من النادى، رغم أن الناشر الملعون كان يقول لكل من يطلب عنوانه بالتليفون إنه فى إستراليا أو أحد الشواطئ الشرقية لأسبانيا، كانت حافظات الأوراق على اليمين وعلى اليسار، ويتراوح عددها بين عشرين وأربعين، كما أنها كانت متنوعة الألوان، وبعضها مليئة بالأوراق أما الأخرى فكانت فارغة. وفى وسط الترابيزة طفاية سجاثر، كانت بمثابة أرشيف آخر لموريلى.

إذ تراكمت فيه أعقاب السجائر ورمادها ومعدان الثقباء المحروقة.
 - لقد ألقى بالطبيعة الميتة فى القمامة - قال إيتين بغيط - لو كانت لاماجا معه لما
 تركت شعرة فى رأسه لكنك أنت الزوج ...
 - قال رونالد وهو ينظر إلى الترابيزة ليخفف عنه :
 - انظر كما أن بابى قالت إنه متعفن وماذا عن الأرجنتيني؟
 - لم يأت الأرجنتيني وابن ترانسيلفانيا، أما جوى ذهب للريف، ولاماجا، لسنا نعرف أين
 هى الآن، وعلى أى الأحوال فالنصاب مكتمل، سوف يتولى وونج تسجيل محضر الاجتماع.
 - لننتظر قليلا حتى يأتى أوليفيرا وأوسيب، ستتولى بابى مراجعة الحسابات.
 - كما سيقوم رونالد بدور السكرتير، سيتولى أمر البار، Sweet get some glasses, will you?

- سوف يكون هناك ربع ساعة استراحة - قال إيتين وهو يجلس أمام الترابيزة
 ولكن من أحد الجوانب - يجتمع النادى هذه الليلة تلبية لرغبة موريلى وبينما نحن فى
 انتظار أوليفيرا، إذا ما وصل، أدعوكم لشرب لأن العجوز قد يعود ويجلس هنا ذات يوم
 من الأيام. يا أمى، ياله من مشهد مؤلم، نبدو وكأننا كابوس، فربما كان موريلى يحلم
 وهو فى المستشفى . ياللفظاعة، فليدون فى المحضر.
 - كما يجب أن ننتهز الفرصة ونحدث عنه - قال رونالد الذى امتلأت عيناه بالدموع
 بشكل طبيعى، بينما كان يصارع من أجل استخراج زجاجة الكونياك - فلن تكون هناك
 جلسة مثل هذه، فممنذ سنوات كنت أقوم بدور الراهب المبتدئ دون أن أدري. وأنت يا
 وونج وبابيريكو Damn it. I could cry لابد أن يشعر المرء بهذا الشعور عندما يصل إلى
 قمة جبل، أو يحقق رقما قياسيا أو شيئا من هذا القبيل، معذرة.
 وضع إيتين يده على كتفه. أخذوا يجلسون حول الترابيزة. أطفأ وونج الأنوار ما
 عدا تلك اللمبة التى كان يسقط ضوءها على حافظة الأوراق الخضراء. كان المشهد
 يشبه المشاهد التى نعهدها لدى إيوسابيا بلادينو Eusapia paladino. فكر إيتين أنه
 يحترم الروحانيات، أخذوا يتحدثون عن كتب موريلى ويشربون الكونياك.

بالنسبة لـجورجورفوس، المتخصص في القوى غير القياسية، كانت تهمة ملاحظة كَتَبَها موريلي: «الدخول في واقع ما أو الشكل الممكن من هذا الواقع والشعور بأن ذلك الذي بدأ لأول وهلة لا معقولا، يعنى الانسجام مع أشكال أخرى، سواء لا معقولة أم لا حتى يبرز من التسيج غير المنسجم (بالنسبة للرسم المشوه في كل يوم) رسما متماسكا، إلا أنه يبدو غير معقول أو هذيان بمجرد القيام بمقارنته المتوجسة بذلك. ومع هذا هل أبالغ حين أعبر بهذه الثقة؟

إنه رفض اللجوء إلى علم النفس والجرأة في توصيل القارئ - نوع معين من القراء - بالعالم الشخصى من خلال المعاشية والتأمل الشخصيين ... هذا القارئ سوف يفتقد وجود كوبرى وكل رابطة للتوصيل وإيجاد العلاقة السببية. إنه تقديم الأشياء في حالتها الأولى: السلوكيات، والمحصلة، والقطعية، والكوارث، والهزليات. فى ذلك المكان الذى يجب أن يكون فيه وداع يوجد رسم على الحائط، وبدلا من صرخة هناك صفارة إن الموت يتم حل مفصلته فى ثلاثية صادرة عن آلات المتدولين. وهذا هو دواعى صرخة وموت، لكن من هو على استعداد للانتقال والخروج من المركز واكتشاف ذاته؟ لقد تغير الشكل الخارجيه للقصة، لكن أبطالها لازالو هم حروف تريستان و⁽¹⁾ Tristan وجان إيبير⁽²⁾ Jane Eyre ولافكاديو⁽³⁾ Lafcadio وليويولا بلوم⁽⁴⁾ Leopoldo Bloom وأناس من المارة ومن المنزل ومن حجرات النوم، إنها أنماط بالنسبة لبطل مثل أولترش⁽⁵⁾ Ultrich (more Musil) † أو مولوى Mallay (mare Beckett) هناك خمسائة دارلى (more Durrell), Darley

أما بالنسبة لى فإننى أتساءل فيما إذا كنت سأتمكن فى يوم من الأيام من إبراز أن البطل الحقيقى والوحيد الذى يهمنى هو القارئ. بالدرجة التى يتمكن فيها من خلال إسهام كتابتى فى نقله وإثارة استغرابه وجعله يشعر بالهذيان» وبالرغم من الاعتراف الضمنى بالهزيمة فى الجملة الأخيرة فإن رونالد وجد فى هذه الملاحظة نوعا من التحذلق لم يعجبه.

98

بالغربة إنهم عميان، هؤلاء الذين يضيئون لنا الطريق.
كأننا أمام أحد الناس الذين يستطيعون - دون أن يدروا - مساعدتك على إيجاد معالم الطريق دون أن يكون قادرا على السير فيه. لن تعرف لاماجا أبدا كيف أن أصعبها كان يشير إلى الخط الواهى الذى يفصل المرأة، وإن تعرف إلى أى درجة كيف أن بعض لحظات الصمت وبعض الاهتمامات اللامعقولة، وبعض مسارات أم أربعة وأربعين بمثابة كلمة السر بأننى على ما يرام، وأننى أملك جماع نفسى، وأننى لست فى مكان، آخر وعموما، فإن ذلك الذى يتعلق بالخط الواهى ... إذا ما أردت أن تكون سعيدا مثلما تقول لى: لا تحول الأمور إلى شعر يا أوراثيو، لا تقل شعرا.

النظرة الموضوعية: كانت غير قادرة على أن توضح لى شيئا على أرضى، كما أنها كانت تدور حائرة على أرضها، وتحاول وتداعب بيدها. وكأنها خفاش نشط ورسم ذبابة فى هواء الحجرة. وفجأة أجد نفسى جالسا أتاملها، فيطفر على ذهنى خاطر أو هاجس ويدون أن تدرى هى فإن سبب بكائها أو مشترياتها أو طريقتها فى قلى البطاطس تمثل بالنسبة لى إشارات. كان موريلى يتحدث عن شيء شبيه بهذا عندما كتب «قراءة أعمال هايسنبرج Hesienberg حتى منتصف اليوم، ثم الملاحظات، والبطاقات، يقوم ابن البوابة بتوصيل الرسائل الواردة إليه، ونحدث عن موديل طائر يقوم بتجميعه فى مطبخ منزله، وبينما يتحدث إلى ويقصر، يقفز قفزتين على رجله اليسرى وثلاثا فوق اليمين وليس قفزتين بكل رجل أو ثلاث. ينظر إلى وهو يشعر بالدهشة. ولا يفهم أنه الإحساس بأننى وهايسنبرج نجلس على الجانب الآخر من الأرضى، أما الطفل فلازال يمتطى الحصان برجل واحدة فى كل مرة دون أن يدري. وبعد ذلك لن يكون أكثر من هذا فى الجانب الذى نحن فيه، وسيكون قد انقطع أى اتصال. اتصال بماذا ولماذا؟ وعموما علينا مواصلة القراءة فربما يمكن لها

يسنبرج....»

(38)

99

- قال إيتين :

- ليست هذه أول مرة يشير فيها إلى الفقر اللغوي يمكن أن يذكر بعض اللحظات التي نجد فيها الشخصيات تفقد الثقة في نفسها طالما كانت تشعر بأنها مرسومة على غرار فكرة، وخطابة، وتخشى أن يكون الرسم خدعة، إنه شرف الرجال أيها اللغة المقدسة ... لازلنا بعيدين عن ذلك.

- قال رونالد :

- ليس كثيرًا، إن ما يريده موريلي هو أن يعيد للغة حقوقها، إنه يتحدث عن تطهيرها، وعقابها، فيجعل «ينزل» مكان «يصعد»، وذلك كوسيلة لتنظيف صحي لكن ما يبحث عنه في واقع الأمر هو أن يعيد للفعل «ينزل» كل رونقه، وذلك حتى يمكن استخدامه مثلما أقوم أنا باستخدام عيدان الثقاب وليس كجزء من الديكور أو قطعة من مكان عام.

- نعم، لكن هذه المعركة يتم تطويرها على عدة مستويات - قال أوليفيرا وقد خرج عن صمت طويل - ففي الجزء الذي قرأته علينا نجد جليا أن موريلي يدين في اللغة الانعكاسات والأصداء الزائفة، أو غير المكتملة، التي نجدها في المنظور أو في آلة الأورج، وهذه تضع أقتعة على الواقع وعلى الإنسانية. وهو في حقيقة الأمر لا يبدى كبير اهتمام باللغة باستثناء الجانب الجمالي. لكن تلك الإشارة إلى الـ ethos تتسم بالوضوح. يدرك موريلي أن مجرد الكتابة الجمالية ما هي إلا شعوعة وكذبا الأمر الذي يستثير القارئ المرأة، أي ذلك النمط الذي لا يريد مشاكل، بل يريد حلولاً. أو مشاكل زائفة بعيدة عنه تهيب له المعاناة المريحة وهو جالس على الكرسي، وبون أن يكون ضالعا في الدراما التي يجب أن تكون الدراما الخاصة به أيضا. ففي الأرجنتين، وليعزرنى أعضاء النادي الدخول في الأمور المحلية، فهذا النوع من الخداع جعلنا أكثر الناس هدوءا وسعادة طوال قرن من الزمان.

- سعيد ذلك الذي يجد الثنائي الخاص به، وهم القراء النشطون - أنشد وونج - هو في تلك الورقة الزرقاء بالحافطة رقم 21. عندما قرأت موريلي لأول مرة «كان ذلك في ميون Meudon فقد شاهدت فيلما سرياً، مع الأصدقاء الكوبيين، بدا لي الكتاب أنه عبارة عن سلحفاة ضخمة مقلوبة على ظهرها.. يصعب فهمه، هو فيلسوف غير عادي رغم أنه يتسم بالفضاظة الشديدة من حين لآخر.

- مثلما هو حاله - قال بيريكو وهو ينزل من على الكرسي، وينضم إلى الدائرة

99

التي تتحلل الترابيزة، ويوجد لنفسه مكانا وسط الزحام - إن كل ما يتعلق بعملية تصحيح اللغة ما هو الا أوهام جاءت من رجل أكاديمي صغير، ولا أقول لك من متخصص فى القواعد. الهبوط أو النزول، هذه ليست القضية، فالأمر أن البطل قد غادر المكان وينزل من على السلم، وانتهى الأمر.

- قال ابنتين :

- إن بيريكو ينقذنا من إلزام معين وهو العودة إلى التجديدات التي أحيانا ما تروق كثيرا لموريلي.

- سأقول لك - قال بيريكو بلهجة تهديدية - بالنسبة لى ، فهذا الذى يتعلق بالتجديدات لتسع الكونياك صخرة أوليفيرا الذى أخذ ينزلق شاكرا إلى حلبة النقاش التي قد غاب عنها بعض الوقت حتى تلك اللحظة. وفى بعض الفقرات (لم يكن يدري ما هى تلك الفقرات بالتحديد، وعليه أن يبحث عنها) كان موريلي يترك بعض المفاتيح الخاصة بمنهاج التأليف. لكن مشكلته الأساسية تكمن فى نضوب المعين، وهو عيب رهيب عند مالارميه عندما يجلس أمام الصفحة البيضاء التي تتوافق مع شعوره بضرورة أن يفسح لنفسه الطريق خطوة خطوة، ومهما كلفه الأمر. لم يكن هناك مناص من أن يتحول جزء من مؤلفاته، إلى تأمل حول مشكلة كتابتها، وبذلك أخذ يتباعد تدريجيا عن الاستخدام المهني للأدب، أى من ذلك النوع من القصص القصيرة أو القصائد التي اسحق بها شهرته الأولى. وفى مراحل أخرى يذكر موريلي أنه عاد ليقرأ من جديد نصوصا كتبها هو منذ عدة سنوات، قرأها بحنين واستغراب أحيانا. فكيف أمكن لهذه المبتكرات أن تتأتى، وذلك الانفصال الرائع والمريح والمبسّط بين الرواى وما يرويه؟ فى ذلك الزمان كان ما يكتبه كأنه منشور أمامه. فالكتابة كانت تعنى استخدام ماكينة الطباعة لترا 22 letra فى كتابة كلمات غير مرئية لكنها حاضرة مثل الماس من خلال كل خطوة يقوم بها وكذلك الريف المغلف (يجب العودة لقراءة الفقرات، فكر أوليفيرا، وكان منها واحدة مثيرة للفضول تدخل السرور على إيتين)، أضف إلى ما سبق أن كل فكرة واضحة، إما أن تكون خطأ، أو نصف حقيقة وأصبح لا يثق فى الكلمات التي أخذت تدخل فى عملية تناغم صوتى وإيقاعى وتقوم بعملية تنويم مغناطيسى للقارئ بعد أن كان الكاتب أولى ضحاياه «نعم لكن بيت الشعر...» «نعم لكن ماذا عن هذه الملاحظة المدونة التي يتحدث فيها عن الـ Swing الذى يقوم بتشغيل

99

الخطاب...») أحيانا ما يلجأ موريلي إلى استنتاجات سهلة جدا: لم يكن لديه شئ يقوله. فحضور البديهة المشروط، الخاص بالهنة، فيه خلط بين الحاجة والروتين، وهذه حالة مألوفة بين الكتاب بعد أن يتجاوز عمرهم الخمسين عاما بما في ذلك من حصل منهم على أكبر الجوائز الأدبية، لكن لم يشعر أبدا برغبة شديدة وحاجة ملحة للكتابة. هل هو حضور البديهة؟ أو الروتين؟ أو هذا الإلحاح اللذيذ عندما يبدأ المعركة مع نفسه سطورا سطورا؟ ولماذا نجد فورا ضربة مضادة يعقبها التهاوى السريع للكبسولة، والشك المكروب والجفاف والتنازل؟

- قال أوليفيرا :

- تشي، أين هي الفقرة التي تتضمن كلمة واحدة والتي تعجبك كثيرا؟

- قال إيتين :

- أعرفها جيدا إنها أداة الشرط «إذا» التي تتضمن إشارة في نهايتها وهذه الأخيرة تتضمن في نهايتها إشارة وهذه تتضمن إشارة أخرى في نهايتها. كنت أقول لبيريكو أن نظريات موريلي ليست أصيلة بالضرورة. وما يجعله حميما لدينا هي تطبيقاته والطريقة التي يحاول بها عدم الكتابة حسب تعبيره، وذلك حتى يكون على حق في الدخول إلى منزل الإنسان. إنني أستخدم إما كلماته حرفا حرفا، وإما عبارات شديدة الشبه بها.

- قال بييريكو :

- فيما يتعلق بالسرياليين فقد كان منهم الكثير.

- قال إيتين :

- ليست القضية متعلقة بالتححر للغوى؛ فقد اعتقد السرياليون أن اللغة الحقيقة والواقع الحقيقي قد تعرضا كلاهما للتدهور بسبب الأبنية العقلانية والبراجوزية للغرب، وهم محققون في ذلك، وهذا ما يعرفه أى شاعر، لكن ذلك الموقف لم يكن إلا لحظة واحدة في العملية المعقدة لتقشير الموزة، والمحصلة هو أن أكثر من واحد أكل الموزة بقشرها منطلقا من الكلمة نفسها. هم متطرفون مؤيدون للكلمة في أقوى حالاتها نقاء. هم مشعونون في أن يبدع لغة، وخلقها ما هو إلا انعكاس للبنية الإنسانية سواء كانت لغة الصينى أو لغة الهنود الحمر. اللغة تعنى مقر إقامة فى واقع ومعايشة هذا الواقع. وقد يكون صحيحا أن اللغة التي نستخدمها تخدعنا (لم يكن موريلي هو الوحيد الذي صرح بذلك) فلا تكفى الرغبة في تحريرها من التابو الذي وقعت فيه. لابد من

99

العودة - إلى - إعاشتها من جديد وليس - تنشيطها .

- قال بيريكو :

- هذه بلاغة عظيمة .

- إن ذلك يمكن أن نجده في أى كتاب جيد عن مقدمة عن الفلسفة - قال (جريجورو فيوس) بشئ من التخوف بعد أن قام بتصفح رتيب لحافظات الأوراق وبدأ أنه شبه نائم - لا يمكن إعاشة اللغة من جديد إلا إذا بدأنا النظر من جديد ، وبطريقة أخرى ، إلى كل العناصر المكوّنة لواقعنا من الكينونة إلى الكلمة وليس العكس .

- قال أوليفيرا :

- الحدس هى واحدة من تلك الكلمات التى تجدى نفعا سواء بالنسبة للكس أو المسح . علينا ألا ننسب لموريلي مشاكل ديلتي^(١) Dilthey وهوسرل^(٢) Husserl أو ويتجستين Wittgenstein . إن الشئ الوحيد الذى يتسم بالوضوح فى كل ماكتبه العجوز هو أننا إذا ما ظللنا نستخدم اللغة فى أطرها العادية ، ولنفس الأهداف المعتادة ، فسوف نموت دون أن نعرف الاسم الحقيقى لليوم . نكاد نشعر بالبهامة عندما نرد أنهم يبيعون لنا الحياة ، كما يقول مالكولم لورى^(٣) Malcolm Lowry ، كما أنها تصل إلينا سابقة التجهيز . كما أن موريلي على شئ من الغباء ، حين يلح على ذلك . لكن أيتين أفلح فى تعبيره : أن العجوز يفصح عن نفسه ويوضح لنا معالم الطريق . فما هى الجدوى من الكاتب إذا لم يتمكن من تدمير الأدب؟ وبالنسبة لنا نحن معشر الذين لا نريد أن نكون القارئ - الأنتى - ، ما هى جدوانا إلا إذا كانت المساعدة فى هذا التدمير ما أمكن لنا؟

- قال أوليفيرا :

- أسأل نفسى ذلك فقبل ذلك بعشرين عاما ، كانت هناك إجابة عظيمة : الشعر يا فتاة ، الشعر . إنهم كانوا يغلقون فمك بالكلمة العظيمة ، والرؤية الشعرية للعالم وغزو واقع شعري . وربما أدركت واسترعيانتهاك أن انتهى كل شئ بعد الحرب الأخيرة . هناك شعراء ولا أحد يشك فى ذلك لكن لا أحد - يقرأ لهم .

- قال بيريكو :

- لا تقل ترهات أن أقرأ الكثير من الشعر .

- طبعا أنا أيضا ، لكن الأمر لا يتعلق بالشعر بل يتعلق بذلك الذى كان يتحدث عنه السرياليون ويرغب فيه كل شاعر ويبحث عنه ألا وهو الواقع الشعري الشهير . صدقنى

99

يا عزيزى، فمئذ عام ألف وتسعمائة وخمسين ونحن نعيش فى خضم واقع تكنولوجيا حتى ولو كان ذلك من الناحية الإحصائية، أنه أمر سيئ ومحزن ويجب أن نقلع شعرنا، لكن الأمر هو كما عرضناه.

- قال بيريكو :

- التكنولوجيا لا تهمنى فى شئ هناك فرايلويس على سبيل المثال ...

- إننا فى عام ألف وتسعمائة ونيف خمسين.

- أعرف ذلك.

- لا يبدو هذا.

- هل تظن أننى سوف أتحدث عن التأريخ؟

- لا، لكن عليك أن تقرأ الصحف اليومية، أنا أيضا مثلك لا تروق لى التكنولوجيا. إلا أننى أشعر بمدى التغيير الذى حدث فى العالم خلال العشرين عاما الأخيرة. ويدرك ذلك أى إنسان قد تجاوز الأربعين ربعا. ولهذا فإن سؤال بابى يضعنا وموريلى فى مأزق. إنه لأمر جيد أن نعلن الحرب على اللغة العاهرة وعلى الأب باسم واقع نعتقد أنه حقيقى نريد بلوغه، وأننا نؤمن بشئ من النفس، وعذرا لهذه الكلمة. إلا أن موريلى لا يرى إلا الجانب السلبي للحرب المعلنة ؛ حيث يشعر أنه عليه أن يخوضها مثلك ومثلنا جميعا.

- لا يمكنك أن تتحدث عن مراحل دون افتراض الهدف.

- ولنطلق عليه فرضية عمل أو أى شئ من هذا القبيل. فما يبحث عنه موريلى هو خللة العادات العقلية للقارئ، وهذا شئ متواضع للغاية كما ترى، ولا يصل إلى درجة عبور هاينبال لجبال الأدب. وحتى هذه اللحظة لا نرى شيئا كبيرا من الميتافيزيقا عند موريلى، إلا أنك يا أوراثيو كورياتشو H. Curiaio قادر على العثور على الميتافيزيقا فى علبة صلصة. موريلى فنان لديه فكرة صائبة خاصة عن الفن، هى عبارة عن القيام بهدم الأشكال التقليدية وهذا شئ شائع عند كل فنان جيد. فهو ينفر كثيرا من الرواية على الطريقة الصينية أى أن الكتاب الذى تتم قراءته من البداية للنهاية، ما هو إلا طفل طيب. لقد استرعى انتباهك أن اهتمامه بالأجزاء المختلفة يقل رويدا رويدا، أى أن كل كلمة تأتى بالآخرى معها عندما أقرأ لموريلى يواتينى الأحساس بأنه يبحث عن تواصل أقل ميكانيكية وأقل سببية بين العناصر التى يستخدمها، يشعر المرء أن ماكنته لا يكاد يستلزم ما يكتب، خاصة وأن العجوز، بعد أن كتب مئات الصفحات، لم يعد

99

يتذكر الكثير مما فعله قبل ذلك.

- قال بيريكو :

- وبذلك يطفر على ذهنه، أن يكون طول الأزمة التي تعرض لها قبل ذلك في الصفحة رقم عشرين، قد وصل إلى مترين وخمسة سنتيمترات في الصفحة رقم مائة. وقد لاحظت ذلك أكثر من مرة. هناك مشاهد تبدأ في السادسة مساءً وتنتهي في الخامسة والنصف. إنه لأمر مقرف.

- قال رونالد :

- ألا يطيب لك أن تكون قزماً أو عملاقاً طبقاً لحالتك المعنوية؟

- إننى أتحدث عن الجريش - قال بيريكو.

- قال أوليفيرا :

- هو يؤمن بالجريش الجريشى عبر الزمان يؤمن بالزمان بما هو سابق وما هو لاحق. فالمسكين لم يعبر فى أى تاريخ من الأدراج أى رسالة كتبها منذ عشرين عاماً، كما لم يقرأها من جديد، ولم يدرك أن لا شئ يظل كما هو إلا إذا أمسكنا به من خلال لبابة من الزمن، إننا اخترعنا الزمن حتى لا نصاب بالجنون.

- قال رونالد :

- كل ذلك هو الحرفة لكن ما وراءه ...

- هو شاعر - قال أوليفيرا وقد اعترته رعشة صادقة - كان من المفروض أن تسمى أيها الأمريكي بهند Behind أو بيوند Beyond. أو تسمى يوندر Yonder وهى كلمة جميلة فى الوقت نفسه.

- لن يكون لكل ذلك مغزى إلا إذا كان هناك ما وراثية وراء ... - قال رونالد - فأى كاتب للقصة ذات النهاية الوردية Best-seller يكتب بشكل أفضل من موريلى. فلو قرأناه، حيث أننا هنا هذه الليلة، لوجدنا أن لديه بيرد Bird، وما قد يكون عند كامينج بشكل مفاجئ Cummings أو جاكسون بولوك Jackson Pollock. ولنكتف بهذه الأمثلة. ولماذا نكتفى بهذه الأمثلة؟ - صرخ رونالد وهو غاضب، بينما تنتظر إليه بابى بإعجاب وهى تشرب كلماته فى جرعة واحدة - سوف أقول كل ما يحلو لى، ويمكن لأى إنسان أن يدرك أن موريلى لم يعقد حياته عن طيب خاطر، كما أن كتابه ليس إلا استفزازاً بلا حياة مثل كل الأمور التى تستحق. فى ذلك العالم التكنولوجى الذى تتحدث عنه. تجد أن موريلى يحاول إنقاذ شئ يوشك أن يموت، ومن أجل إنقاذه لابد من قتله قبل ذلك

99

والقيام بنقل دم له وبذلك يمكن أن تكون عملية بحث. كأن خطأ الشعر المستقبلي - قال رونالد بينما بابي قد بلغ بها الإعجاب به أى مبلغ - هو الرغبة فى التعليق على الميكنة، وبذلك يمكن النجاة من اللوكيميا، لكن الأمر ليس بالحديث حرفيا عما يتحدث فى قاعدة كابو كانيال بيرال، وبذلك نفهم الواقع بشكل أفضل فى نظرى.

- قال أوليفيرا :

- يبدو لك ممتازا. لنواصل البحث عن اليوندر Yonder هناك العديد منها والتي تفتح الواحدة تلو الأخرى - ويادى ذى بدء أقول إن هذا الواقع التكنولوجى الذى يقبله رجال العلم اليوم وقراء جريدة «فرانس سوار». هذا الواقع المؤلف من الكورتيزون وأشعة جاما elucian و البلوتونيوم له علاقة ضئيلة بالواقع، مقارنة بعالم القصص الوردية. وإذا ما ذكرت ذلك لبيريكو منذ لحظات فلم يكن إلا أن استرعى انتباهه بأن منظوره الجمالى، وسلم القيم الذى لديه قد عفا عليهم الزمن وأن الإنسان بعد أن ينتظر كل شئ من الذكاء والنفس، شعر الآن بأنه تمت خيانتة، وواتاه إحساس غامض بأن سلاحه المصوب بعيداً قد ارتد إلى صدره. وأن الثقافة والحضارة قد جاءا به إلى هذا المأزق الذى لا مخرج منه حيث أن عنف العلم ليس إلا رد فعل يمكن فهمه جيدا. ولتعدرونى فى استخدام هذه الكلمة.

- قال جريجورى فيوس :

- هذا ما قاله كلاجس klages .

- إننى لا أحاول أن أكون Copyright قال أوليفيرا - الأمر هو أن الواقع، ولتقبل واقع الكنيسة المقدسة، ودينه شار Rene char وواقع أوبن هيمر Oppenheimer هو دائما واقع تقليدى وغير كامل وجزئى. فالإعجاب الذى يكنه بعض الناس للمكروسكوب الإلكتروني، ليس أكثر ثراء من موقف البوابات إزاء معجزات عذراء لوردريس. إنه الإيمان بما يسمونه المادة، والإيمان بما يسمونه الروح والعيش فى إيمان ومواصلة الدروس التى يلقيها زن zen، أو طرح المصير الإنسانى لمشكلة إقتصادية، أو اللامعقول المحض .. القائمة طويلة، والخيارات متعددة. لكن مجرد وجود الاختيار، وأن القائمة مطولة إنما هو دليل على أننا فى عصر ما قبل التاريخ وما قبل الإنسانية. لست متفائلا، أشك كثيرا فى أن نتمكن ذات يوم من الولوج إلى القصة، الحقيقة للإنسانية الحقيقية. وسوف يكون من الصعب الوصول إلي اليوندر الشهير الذى ذكره رونالد. فلا أحد يمكنه رفض الفكرة القائلة بأن مشكلة الواقع لا بد من طرحها من خلال

99

مصطلحات جماعية وليس من خلال إنقاذ بعض المختارين. هم رجال عن حق، وهم رجال قد قاموا بالقفز خارج حدود الزمن وانخرطوا في شيء مكثف... نعم، أظن ذلك فيمن سبقوا ومن هم الآن. لكن ذلك غير كاف، إذ أشعر أن خلاصي، على افتراض إمكان بلوغه، لابد أن يكون خلاصا أيضا حتى آخر رجل. وذلك أيها العجوز... لسنا في ملاعب Asis ولا يمكن أن نأمل في قيام نموذج لقديس قادر على أن يبذر القداسة وأن كل guru يمكن أن يكون خلاص التلاميذ.

- إنها عودة بيناريس⁽⁴⁾ Benares - نصح إيتين - كنا نتحدث عن موريلي على ما يبدو وحتى يمكن إحداث صلة بما كنت أتحدث فيه، يخطر على بالي أن هذا الـ Yonder الشهير لا يمكن أن يكون متخيلا كمستقبل في الزمان والمكان. فإذا ما استعنا بالمفاهيم الكانطية - يبدو أن موريلي يقول هذا - فلن نخرج أبدا من هذا المأزق، فما نسميه واقعا، أي الواقع الحقيقي، الذي نطلق عليه ويندر Yonder (أحيانا ما يكون مفيدا إطلاق أسماء كثيرة على تخمين معين، إذ يحول ذلك نون أن ينغلق المفهوم ويأخذ قناعا كرتونيا) هذا الواقع الحقيقي، أكرر، ليس شيئا مستقبلا، أو هدفا أو الدرجة الأخيرة في السلم أو حالة تطور معين. لا إنه شيء هنا في داخلنا. نشعر به، ويكفي برهانا على ذلك أن يكون المرء قادرا على مد يده في الظلام، إنني أشعر به وأنا أرسم.

- قال أوليفيرا :

- يمكن أن يكون ذلك الشرير، يمكن أن يكون مجرد إبراز جمالي، لكن يمكن أن تكون هي. نعم، يمكن أن تكون هي أيضا.

- قالت بابي وهي تلمس جبهتها :

- إنها هنا إنني أشعر بها عندما أكون ثلثة بعض الشيء أو عندما ... أطلقت قهقهة ووضعت يدها على فمها. دفعها رونالد دفعة رقيقة.

- قال وونج وهو جاد :

- ليست هنا؛ إنها هي.

- قال أوليفيرا:

- لن نذهب بعيدا لو سرننا في هذا الطريق ما الذي يعطينا إياه الشعر إلا إذا كان ذلك التخمين؟ سيادتك وأنا وبابي... إن مملكة الإنسان لم تولد من خلال شرارات قليلة متفرقة. كان لكل من في الدنيا لخطته للرؤى لكن الشيء السيئ هو السقوط من جديد هنا والآن.

- قال إيتين :

- حسن، إنك لا تفهم شيئاً إلا إذا كان فى إطار المطلق، أتركنى أكمل ما أريد قوله. يعتقد موريلى أنه إذا ما قام الشعراء بفتح طريق لهم من خلال الأشكال البالية والمتحجرة سواء كان ذلك ظرف الصيغة، أو مفهوم للزمن أو أى شئ تريده، فإنهم قد فعلوا شيئاً مفيداً لأول مرة فى حياتهم. وعند الخلاص من القارئ- الأنثى أو على الأقل عند تحجيمه بشكل واضح، فإنهم يساعدون هؤلاء الذين يحاولون الوصول إلى الويندر Toyonder، فالتقنية القصصية بالنسبة لأشخاص مثله ليست إلا تحفيزاً للخروج من الأثر.

- نعم، وذلك ليغرق المرء فى الوحل حتى ذقنه - قال بيريكو. فهو بعد الحادية عشرة مساء يقف ضد أى شئ.

- قال جريجوروفىوس :

- هرقل لقد دفن نفسه فى القانورات حتى ذقنه وعالج نفسه من الاستسقاء.

- قال إيتين :

- دع هرقل فى حاله لقد أصابتنى كل هذه الضربات بالنعاس، وعلى أى الأحوال سوف أقول ما يلى فى نقطتين: يبدو أن موريلى على قناعة بأنه إذا ما ظل الكاتب مدعنا للغة التى باعوها له مع الملابس التى يرتديها والاسم الذى أطلق عليه وكذا التعميد والجنسية، فإن عمله لن يكون له إلا قيمة جمالية فقط، وهى قيمة يزداد العجز احتقاراً لها بشكل تدريجى. وهو واضح جداً فى بعض المواقف: فطبقاً له لا يمكن انه أى شئ إذا ما كانت الإدارة من داخل النظام الذى ينسب إليه ما تمت إدانته. أى أن الكتابة ضد الرأسمالية باستخدام المفاهيم العقلية والمفردات المنبثقة عنها فذلك مضیعة للوقت. ويمكن مع ذلك الوصول إلى نتائج تاريخية مثل الماركسية، وما قد يروق لك لكن الويندر Yonder ليس تاريخاً بالتحديد. إنه مثل أطراف أصابع اليد التى تظهر من مياه التاريخ تبحث عن شئ تمسك به.

- ولذلك على الكاتب أن يشعل اللغة، ويقضى على القوالب المتخثرة، ويذهب إلى ما هو أبعد من هذا الشك. ويشكك فى أن هذه اللغة لازالت على اتصال بما يريد أن يسميه. ليست الكلمات فى ذاتها، فهذا قليل الأهمية، بل البنية الكاملة للغة، والخطاب.

- قال بيريكو :

- ومن أجل ذلك يستخدم لغة شديدة الوضوح .

99

- بالطبع، إن موريلي لا يؤمن بالمحاكاة أو الجمل الغنائية. وليس الأمر إحلا
الكتابة الأتوماتيكية محل النحو، أو أى وسيلة أخرى متداولة، إن ما يريده هو الاعتد
على العمل الأدبي ككل، أى الكتاب إذا ما أردت القول. وأحياناً يكون ذلك فى الكلم
وأحياناً فيما تنقله هذه الكلمة. إنه يتصرف كمحارب ويدمر ما يتمكن منه، أما باق
الأشياء الأخرى فتظل تواصل طريقها. لا تظن أنه ليس رجل أداب.

- قالت بابس التى تشعر بالنعاس :

- يجب التفكير فى الذهاب.

- غضب بيريكو :

- لك أن تقول ما تشاء لكن ليست هناك أى ثورة حقيقة تقوم ضد الأشكا
الجوهر هو الذى يهم يافتى، إنه الجوهر.

- قال أوليفيرا :

- ظللنا قروناً عديدة نعيش على أدب الجوهر وما أنت ترى النتيجة، إننى أفهم أ
الأدب يشمل كل ما يتحدث فيه وما يتم التفكير فيه أيضاً.

- قال إيتين :

- دون أن نضع فى الاعتبار أن التفريق بين الشكل والمضمون ليس إلا زيفاً وه
أمر يعرفه كل الناس منذ سنوات إننا نفرق بين العناصر التعبيرية، أى اللغة فى ح
ذاتها، وبين ما يتم التعبير عنه، أى الواقع الذى يتحول إلى وعى.

- قال بيريكو :

- كما تريد إن ما يطيب لى معرفته هو تلك القطعية التى يريدها موريلي أ
القطعية لذلك الذى نطلق عليه العنصر التعبيري وذلك لنيل ما نريد التعبير عنه ب
أفضل. وهو فى هذا المقام له بعض القيمة.

- قال أوليفيرا :

- وربما لن يفيد فى شئ لكنه يجعلنا نشعر أننا أقل عزلة فى هذا المأزق الذى
مخرج منه، ولسنا إلا فى خدمة هذا الزهو العظيم - المثال - الواقعي - الروحي - الماد
للغرب S.R.L.

- سأل رونالد :

- هل تعتقد أن هناك أحداً آخر استطاع أن يفسح لنفسه طريقاً من خلال ال
حتى وصل إلى الجنور؟

99

- ربما، لكن موريللى بابس لديه العبقرية أو الصبر الضروريين. إنه يشير إلى طريق وينقر عدة نقرات ... ويترك لنا كتابا، وهذا ليس كثيرا.

- قالت بابى :

- هيا بنا لقد تأخر الوقت ولم يعد هناك كونياك.

- قال أوليفيرا :

- وهناك شئ آخر؛ إن ما يحاول الوصول إليه هو لا معقول بالدرجة التي لا يعرف فيها أحد إلا ما يعرف، أى ذلك يدخل فى الدائرة الأنثروبولوجية وعلى طريقة ويتجنستين Wittgenstein. فإن المشاكل تمتد إلى الخلف فى حلقات متوالية أى أن ما يعرفه الإنسان هو معرفة إنسان لكننا لا نعرف عن الإنسان نفسه كل ما يجب أن نعرفه دون أن يكون مفهومه للواقع مقبول. ولقد قام الغنوسيون بطرح المشكلة ووصل بهم الأمر إلى الاعتقاد بالعثور على أرض صلبة يمكنهم استئناف السير إلى الأمام انطلاقا منها صوب الميتافيزيقا. لكن التراجع الصحى على طريقة ديكرات يبدو لنا اليوم جزئيا وربما عديم القيمة. لأننا فى هذه الدقيقة التي نحن فيها هناك سيد يدعى ويلوكس Wilcox من كليفلاند يستخدم القطب الكهربائى، وغير ذلك من الأدوات، للبرهنة على وجود تساوى بين الفكر وبين دائرة كهرومغناطيسية (وهى أمور يقول بأنه يعرفها جيدا لأنه يعرف اللغة المحددة لها ... إلخ) وإذا لم يكن ذلك كافيا، هناك سويدي أخذ يطرح نظرية مرئية تتعلق بكيمائيات العقل. التفكير هو محصلة تفاعل أحماض لست أريد تذكر أسمائها، حمض أنا أكون. فما عليك إلا أن تلقى بقطرة فى السحايا وما أنت شوينهور Oppenheimer أو الدكتور بيتيتوت، أو السفاح الذى يوشك على ارتكاب فعلته. وما أنت ترى كيف أن الأعرج وكيف أن العملية الإنسانية قد أصبحت فى منطقة شديدة الغموض، أى بين الكهرومغناطيسية والكيمياء وربما لن يكون هناك كبير اختلاف كما كنا نظن بين أشياء مثل الفجر الشمالى وبين صورة التقطت بالأشعة تحت الحمراء. ها هو الأعرج يسير، إنه حلقة فى التيار الشديد للقوى التي كانت درجاتها تسمى فى عام 1950 بـ Inter alia أى البواعث الكهربائية والجزئيات والزرات والنيوترونات والبروتونات والبوترونات والميكروبيوتون والنظائر المشعة وجزرات من الرنجر والأشعة الكونية: Words, words, words هاملت، الفصل الثانى على ما أعتقد وهذا دون أن نتحدث - أضاف أوليفيرا وهو يتنهد - عن أن كل ذلك هو على العكس ويتضح بذلك أن الفجر الشمالى هو ظاهرة روحية وعندئذ يمكن القول بنعم أى أننا

99

كما نريد

- قال إيتين :

- مع هذا النوع من العدمية ... أراكيري،

- قال أوليفيرا :

- بالطبع يا أخى لكن حتى نعود للعجز فإذا ما كان يبغيه هو اللامعقول الذى يشبه قيامنا بضرب الملاك سوجار ريبى روبنسون Sogan Ray Robinson بموزة ولما كان ذلك يعتبر هجوما لا قيمة له فى أوج الأزمة والإفلاس التام للفكرة القديمة الخاصة بالإنسان القديم بـ homo sapiens فلا يجب أن ننسى أنك أنت هو أنت وأنا أنا، أو هذا ما يبدو لنا على الأقل، ورغم أنه لا يتوفر لدينا الحد الأدنى من اليقين، وخاصة فيما يتعلق بما خلقه لنا أبؤنا العمالقة، وأنه شئ لا يساوره الشك فليس أمامنا إلا الامكانية اللطيفة فى العيش، والعمل وكأنا نختار فرضية عمل ونهاجم مثل موريلي، ما نراه زائفا، وذلك باسم إحساس غامض باليقين والذى قد يكون غير حقيقى مثل باقى الأشياء إلا أنه يجعلنا نرفع رأسنا ونحكى عن Cabritas أو أن نبحث من جديد عن أيام الصبا وعن تلك البراع التى لا يمكن جس نبضها. هات بالكونياك.

- قال بابى :

- لم يتبقى شئ هيا بنا إننى أوشك أن أنام.

- قال إيتين وهو يضحك :

- وفى النهاية، كما هى العادة، لابد من وجود بعض الثقة لازال ذلك أفضل تعريف للإنسان. أما الآن فعلينا العودة إلى البيضة المقلية

(٣٥)

100

وضع القرص فى الفتحة المخصصة له وسجل الرقم المطلوب ببطء. لابد وأن إيتين يرسم فى مثل هذه الساعة، ويزعجه كثيرا أن يتصل به أحد تليفونيا أثناء العمل، لكن لا يهم إذ لابد من الاتصال به. أخذ جرس التليفون يرن على الجانب الآخر، وهو مرسى قريب من ميدان إيطاليا الكائن على بعد أربعة كيلو مترات من مكتب البريد فى شارع دانتون Danton. كانت هناك امرأة عجوز تقف إلى جوار الكابينة الزجاجية وتنتظر، بطريقة مستترة، إلى أوليفيرا الذى كان يجلس على الكرسي ووجهه ملتصق بجهاز التليفون. كان أوليفيرا يشعر بأن العجوز تنتظر إليه، وأخذت تعد الدقائق والثوانى بطريقة لارحم. ومن الغريب أن زجاج الكابينة كان نظيفا: كان الناس يروحون ويغدون من مكتب البريد وكان يُسمع الصوت المكتوم (والمتهجم دون أن يعرف لماذا) للاختام وهى تهوى على الطوايع. قال إيتين شيئا من على الجانب الآخر. فضغط أوليفيرا على الزر المصنوع من النيكل الذى يهبط الاتصال بعد أن يتلعب القرص ذا العشرين فرنكا.

- صاح إيتين الذى يبدو أنه تعرف على صوته فى الحال :

- كان من الممكن أن تكف عن سخافتك هذه فأنت تعرف اننى مستغرق فى العمل فى مثل هذه الساعة.

- قال أوليفيرا :

- وأنا أيضا اتصلت بك لأننى حلمت حلما وأنا أقوم بعملى.

- كيف ذلك وأنت تعمل؟

- نعم، فى حوالى الثالثة صباحا. حلمت بأنى ذاهب إلى المطبخ وأبحث عن الخبز وأقطع شريحة. كان خبزا مختلفا عن الخبز الذى هنا. هو خبز فرنسى من النوع الجيد الذى يوجد منه فى بوينوس أيرس، وهو خبز ليس فيه من الفرنسية شئ، إلا أنه مع هذا يسمى خبزا فرنسيا. ضح فى الاعتبار أنه خبز أكثر سمكا، ولونه فاتح وبه الكثير من اللبابة. إنه خبز مصنوع لتناوله مع الزبدة والحلويات. تفهمنى.

- قال إيتين :

- أعرف لقد أكلت ذلك النوع فى إيطاليا.

- إنك مجنون. ليس له علاقة. سوف أرسمه لك فى يوم من الأيام، حتى تدرك ماهيته إن شكله مثل السمكة، عريض وقصير لا يكاد يبلغ خمسة عشر سنتيمترا لكنه سميك فى منطقة الوسط. إنه الخبر الفرنسى فى بوينوس أيرس.

- كرر إيتين :

100

- الخبز الفرنسي بونوس أيرس .
- نعم . لكن هذا يحدث ويقع فى المطبخ الكائن فى شارع تومت إيسوار-Tomb Is-soire قبل أن أنقل للعيش مع لاما جا . كنت أشعر بالجوع وأخذت الخبز لأقطع شريحة . عندئذ سمعت أن الخبز يبكى . طبعاً كان ذلك فى الحلم ، لكن كان الخبز يبكى عندما أعملت فيه السكين . خبز فرنسى من النوع العادى ويبكى . استيقظت دون أن أرى ما الذى سوف يحدث ، وأعتقد أن السكين لازال مُشرعاً فيه عندما استيقظت .
- قال إيتين :
- أخذ .
- هل أدركت ذلك الآن وهو أن يستيقظ المرء من حلم بهذا الشكل ويخرج إلى الطرقة ليضع رأسه تحت الحنفية ثم يعود لينام من جديد ويدخن طوال الليل ماذا أرى كان من الأفضل الاتصال بك ، كما أنه لا يمكن أن نتواعد لزيارة ذلك العجوز الذى أصيب فى الحادث الذى قصصت عليك أمره .
- قال إيتين :
- حسناً فعلت يبدو أنه حلم من أحلام الأطفال . يمكن أن يمرّ الأطفال بأحلام كهذه أو يتصوروها . لقد قال لى ابن أختى ، ذات مرة ، أنه كان على سطح القمر . وسألته ما الذى رأيته . فأجاب : « كان هناك خبر وقلب » أنت تدرك الآن أنه بعد خبرات المخاض هذه لا يمكن للمرء أن ينظر إلى طفل دون خوف .
- كرر أوليفيرا :
- خبز وقلب . نعم لكننى رأيت خبزاً فقط . على أى حال . هناك خارج الكابينة ، توجد سيدة تنظر إلى نظرة سيئة . كم دقيقة يمكن أن تكون من حقى فى مثل هذه الكباتن ؟
- ست دقائق . وبعد ذلك سوف تطرق الزجاج . هناك عجوز واحدة ؟
- عجوز ، إنها امرأة فى عينيها حَوْلْ ، ومعها طفل وهناك رجل يشبه مندوب مبيعات ، لابد أنه كذلك ، فهو يحمل النوتة التى يتصفحها بسرعة جنونية . تظهر فى الجيب العلوى أسنان ثلاثة أقلام رصاص .
- يمكن أن يكون محصلاً .
- ينضم إلى الموجودين اثنان آخران : فتى يبلغ الرابعة من العمر يحك أنفه وامرأة عجوز تضع قبعة غير عادية وكأنها جزء من لوحة رسمها كراناش⁽¹⁾ Cranach .

100

- قال إيتين :
- هل تشعر بأنك أفضل حالا؟
- نعم. هذه الكابينة ليست سيئة، لكن للأسف هناك عدد كبير ينتظر. أعتقد أننا تحدثنا ست دقائق؟
- قال إيتين :
- إطلاقاً لم تكّد تحدث ثلاث دقائق.
- إذن فالعجز ليس على حق، عندما تنقر على الزجاج. ألا تعتقد ذلك؟
- لتذهب إلى الجيم. ليس لها أى حق. إن من حقك ست دقائق لتقص على كل الأحلام كما يروق لك
- لم يكن إلا ما قصصته عليك - قال أوليفيرا - لكن المشكلة ليست فى اللحم. بل فيما يسمونه بالاستيقاظ ... ألا يبدو لك الآن أننى أحلم؟
- من يدرى؟ لكنه موضوع قتلٌ بحثاً أيها العجز، هي حكاية الفيلسوف والفراشة. وهى أمور معروفة.
- نعم، لتعذرني إذا ما ألمحت بعض الشيء، كنت أودّ لو أنك تتصور عالماً يمكنك فيه أن تقطع شريحة خبز دون أن يجار بالشكوى.
- قال إيتين :
- من الصعب تصور ذلك فى الواقع .
- لا، جادا. ألا يحدث لك أنك أحيانا - عندما تستيقظ - تجد أنك واع بأن هذه اللحظة يبدأ فيها خطأ لا يتصور.
- وفى خضم هذا التصور أقوم برسم لوحات رائعة ولا يعنينى كثيراً أن أكون الفراشة أو فومانشو^(٢) Fu Manchu.
- ليس لهذا علاقة. يبدو أن كولومبس وصل إلى جزيرة جوانداهانى، لست أدري ما اسمها من خلال عدة أخطاء، فلماذا هذا المنظور الإغريقى الخاص بالخطأ والصواب؟
- قال إيتين ناقما :
- لكن لست أنا كنت أنت الذى تحدث عن خطأ لا يتصور.
- قال أوليفيرا :
- كان ذلك تصورا ويمكن أن نسميها حلما، هذا أمر لا يمكن أن نطلق عليه وصفا وخاصة الخطأ؛ إذ لا يمكن أن نطلق عليه مجرد كلمة خطأ.

100

- قال إيتين :
- العجوز سوف تكسر الزجاج أسمعها وأنا هنا.
- قال أوليفيرا :
- لتذهب إلى الشيطان لا يمكن أن تكون قد مرت ست دقائق.
- تقريبا. أضف إلى ذلك، هناك لطف أبناء أمريكا اللاتينية الذي يثنى عليه الجميع.
- ليست ست دقائق. أنا سعيد لأننى قصصت عليك الحلم، وعندما نتقابل....
- قال إيتين :
- تعال وقتما تشاء لن أرسم أكثر من ذلك هذا الصباح لقد أفرغتني.
- قال أوليفيرا :
- هل لاحظت كيف أنها تضرب على الزجاج بعنف؟ ولا تفعل ذلك فقط العجوز ذات وجه الفأرة بل الفتى والمرأة الحواء. وبين لحظة وأخرى سوف يأتى أحد الموظفين.
- سوف تحدث مواجهة بينكم بالطبع.
- لا لماذا؟ إننى ألجأ إلى حيلة أننى لا أفهم أى كلمة بالفرنسية.
- قال إيتين :
- أنت لا تفهم الكثير فى الحقيقة.
- لا، الأمر المحزن أن ذلك بالنسبة لك ليس إلا إحدى الطرائف، لكنه ليس كذلك.
- فالحقيقة هو أننى لا أريد أن أفهم شيئا. إذا كان الفهم يعنى القبول بذلك الذى نطلق عليه الخطأ. لقد فتحوا الباب، هناك رجل يضرب على كتفى، مع السلامة. شكرا لأنك استمعت إلى.
- قال إيتين :
- مع السلامة.
- أصلح أوليفيرا هندامه وخرج من الكابينة. صاح الموظف ببضع كلمات، من المعتاد قولها فى مثل هذا الموقف. «آه لو كان السكين معنى الآن» فكر أوليفيرا وهو يخرج علبة السجائر» لكن هذا الرجل مثل الدجاجة، أو يتحول إلى باقة ورد. لكن الأشياء تتعفن وتذوم أطول من اللازم، وكان لابد من إشعال سيجارة بعناية حتى لا يصاب بحروق، ذلك أن يديه كانتا ترتعشان، وظل يسمع صيحات ذلك الرجل الذى أخذ يذهب بعيدا. وكلما تقدم خطوتين نظر إلى الوراء ليرمقه ويلوح له ببعض الحركات. أما المرأة التى بها حول ومندوب المبيعات فقد كانا ينظران إليه بإحدى العينين. أما بالعين الأخرى

100

فقد أخذاً يرقبان العجوز حتى لا تتجاوز الدقائق الست. كان شكل العجوز داخل الكابينة مثل مومياء «كيتشسو» في متحف الإنسان، أى تلك التى تضاء عندما يضغط المرء على زر صغير. لكن كان الأمر عكسيا لما يحدث فى العديد من الأحلام. فالعجوز تضغط على الزر النيكل وهى فى الداخل وتبدأ حديثها مع عجوز أخرى موجودة فى أى كهف فى هذا الحلم الضخم.

(-76)

101

لا تكاد بولا ترفع رأسها قليلا حتى ترى نتيجة الحائط الخاصة بمصلحة التليفون والتلغراف، وفيها صورة تظهر فيها بقرة وردية اللون وحقول خضراء وخلفية الصورة جبال ذات لون بنفسجي تحت سماء زرقاء: الخميس 1، الجمعة 2، السبت 3، الأحد 4، الإثنين 5، الثلاثاء 6، القديسة سولان، والقديس أشيل، القديس سيفا، والقديس بونيفاس lever الساعة الرابعة واثنى عشرة دقيقة Gaucher. و الساعة السابعة مساء وثلاث وعشرون lever. 4,10 كوشيد 19.

ألصقت وجهها بكتف أوليفيرا فقبّلت جلدا به العرق وطعم الدخان والنوم، وبيد بعيدة طليقة، كانت تداعب البطن، وتصل إلى السيقان وتلعب مع شعر البدن، تلغه فى خصلات حول أصابعها وتجذبه بعض الشيء، وذلك حتى يغتاط أوليفيرا ويعضها عضه مداعبة. كان يسمع وقع شباشب تصعد على السلم: سان فرديناند، سان بترونييل وسان فورتوني وسانتا بلاندين، واحد، اثنين، واحد، اثنين يمين، يسار، يمين يسار، حسن، سيى، حسن سيى، إلى الأمام، إلى الخلف، إلى الأمام إلى الخلف. كانت إحدى يديها تلف فى أنصاء ظهره وتنزل ببطء وتمارس لعبة العنكبوت، إصبع يعقبه الآخر، سان فورتوني وسانتا بلاندين أصبع هنا وآخر بعيد، أصبع فوق وآخر تحت. أخذت المداعبة تنفذ إليه ببطء، وأخذت تبحث عن الاتصال بحساسية ورقة ونوع من التردد المصطنع، وتسند طرف لسانها على الجلد وتغرز ظفرها ببطء وتغمغم قائلة Gaucher 19h24 سان فرديناند. رفعت بولا رأسها قليلا ونظرت إلى أوراثيو الذى كان مغمض العينين، وتساملت فيما إذا كان يفعل هذا أيضا مع صديقه والدة الطفل. لم يكن يروق له التحدث عن الأخرى. ويعتبر أن عدم التحدث عنها، إلا إذا إقتضت الضرورة، هو نوع من الاحترام، وعندما سألته وهى تفتح إحدى عينييه بأصبعيها وتقبله بحرقة فى فمه الذى يرفض الإجابة فإن الملاذ الوحيد فى لحظة مثل هذه هو الصمت. والاستمرار على هذا الحال كل فى جانب، وكل يسمع تنفس الآخر. وبين لحظة وأخرى تقوم يد أو رجل برحلة إلى الجسد الآخر وتطوف فى رحلتها دون نتائج تذكر وما هى إلا بقايا مداعبات تاهت فى السرير وضاعت فى الهواء وأطياف قبلات وبقايا عطر أو عادة، لا، لا يروق له أن يفعل هذا مع صديقه. ولا يفهم ذلك إلا بولا التى تنصاع أيضا لنزواته. لقد كان شيئا رائعا ومناسبا جدا. حتى عندما يئن، فقد حدث وصدرت عنه أهات،

101

وكان يريد التحرر لكن كان قد فات الأوان، فقد أقفل الخاتم وإن يسهم تمرداها إلا في تعميق الإحساس باللذة والكم، وهذا هو سوء الفهم المزدوج الذي كان عليهما تجاوزه لزيغه. فلا يمكن أن يكون إلا عناقا إلا إذا كان نعم، إلا إذا كان من الضروري أن يكون هكذا.

(-144)

102

إنه نملة بكل معانى الكلمة، لقد استطاع وونج أن يكتشف فى مكتبة موريلى نسخة مهداة من قصة «الكوارث التى تعرض لها الطالب تورلس» لموسيل Musil وفيها تم التشديد على الفقرة التالية:

ما هى الأشياء التى تبدو غريبة فى نظرى؟ إنها الأشياء التافهة وخاصة الجمادات. وما الذى يبدو غريباً فيها؟ هو شئ لا أعرف كنهه، لكنه بالتحديد ذلك! من أين أتيت أنا بمفهوم «شئ»؟ أشعر أنه هنا، أنه يوجد. يترك لدى شعوراً وكأنه يحاول الكلام، فاستشيط كمن يحاول أن يقرأ شيئاً من خلال الشفاة الملتوية لمن أصيب بالشلل، لكنه لا يستطيع. يبدو وكأنه له معنى إضافياً، معنى آخر أكثر من المعانى الأخرى لكنه لم يتطور تطوراً كاملاً، إنه معنى كامن هناك، ويحاول الإعلان عن نفسه لكنه لا يفلح. العالم بالنسبة لى ملى بالأصوات الصامتة. فهل يعنى هذا أنى عراف أو أننى أعيش حالات هذيان؟

وجد رونالد هذه الملاحظة فى «رسالة لورد شاندون» للكاتب هوفمنشتال Hofmannsthal.

ولما كنت قد رأيت جلد إصبعى الخنصر ذات يوم من خلال عدسة مكبرة كان يشبه أحد السهول حيث به الوديان والوهاد، أرى الآن وينفس الطريقة الرجال وأفعالهم. لم أكن أستطيع تلقى ذلك من خلال النظرة المبسطة. فكل شئ ينقسم إلى أجزاء تنقسم هى الأخرى. لم أستطع أن أصل إلى شئ من خلال مفهوم محدد.

(45)

103

لم تتمكن هي الأخرى من إدراك السبب في أنه كان يكتم أنفاسه ليسمعها وهي نائمة ويتلصص على مهممات جسدها، تنام على ظهرها، ومستغرقة وتنفس ببطء شديد ولا تكاد تحرك ساكنا، إلا فيما ندر مثل حركة يدها أو الزفير من الفم بحيث تتحرك الشفة السفلى موجهة الهواء إلى الأنف، وكأنها في حلم غير حقيقى. كان أوراثيرو يظل ساكنا، يرفع رأسه قليلا أو يسندها بقبضة يده، والسيجارة في فمه. كان الصمت يسود شارع دوفين في الثالثة صباحا، بينما أنفاس بولا تروح وتغدو، وعندئذ كان هناك ما يشبه نوعا من الانهيار الخفيف وزوبعة صغيرة لحظية، وحركة داخلية وكأنها قادمة من حياة أخرى. كان أوليفيرا يعتدل في جلسته ببطء ويقترب بأذنه من الجلد العريان ويستند على الطبلية المنحنية المشدودة والدافئة كان يستمع. جلبة غير واضحة، سقوط وهبوط توازنات وهممات، صوت الجعارين والجزاق وهي تمشى. عالم أسود ومظلم ينزل على محمل. وهي تنفجر هنا وهناك ثم تتوارى مرة أخرى (كانت بولا تتنفس وتتحرك بعض الشيء). إنه كون من السوائل في حركة ليلية، والبلازما التي تصعد وتهبط، الماكينة البطيئة والمعتمة تتحرك بلا حافز، وفجأة يسمع صوت جلبة إنها هرولة قوية تكاد تصارع الجلد، ثم هروب وقرقرة الإغلاق أو الفلتر. إن بطن بولا ما هي إلا سماء مظلمة مليئة بالنجوم الكبيرة والبطيئة والمذنبات المتألئة ودوران كواكب ضخمة بصوت مسموع والبحر بطنينه وهممة الرنة. بولا هي كون صغير، وهي ملخص لليلة الكونية، في إطار ليلتها الصغيرة حيث اختلط الزبادى والنبيذ الأبيض واللحم مع الخضار، وهذا كله أصبح بمثابة مركز كيماويات ثرى وغامض وبعيد وجاور.

(108)

104

الحياة هي مثل تعليق على شئ آخر لم نبلغه وهو هناك على مسافة قفزة لانقوم بها.
الحياة هي رقصة باليه عن موضوع تاريخي، هي حكاية بشأن حدث معاش وحدث معاش عن حدث واقعي.
الحياة هي صورة الرقم، والملكية في الغياهب (المرأة، المخلوق الغريب) والحياة قوادة الموت، ما هي إلا لعبة ممتازة وتاروت غير معروفة، الغازه تنزل به الأيدي المصابة بالنقرس إلى أعزلٍ حزين.

(10)

105

موريليات:

أفكر في التصرفات المنسية، وفي الهيئات المتعددة والكلمات التي كان ينطق بها الأجداد، كل ذلك أخذ يذهب رويدا رويدا، ولم يعد موروثا وقد سقطت كلها من شجرة الزمان. هذه الليلة وجدت شمعة موضوعة على مائدة، فأشعلتها، على سبيل التسلية، وأخذتها، وتحولت في الطريقة. كان الهواء الناجم عن الحركة يوشك أن يطفئها، عندئذ رأيت يدى اليسرى وهي ترتفع وحدها وتتكور لتحافظ على الشعلة مكونة بذلك واقيا حيا لمباعدة الهواء. وبينما تعود الشعلة إلى الوضع العادى فكرت في أن هذه الحركة كانت صادرة عنا جميعا (فكرت نحن، وفكرت جيدا أو شعرت جيدا) طوال آلاف السنين، وخلال عصر النار حتى غيروها لنا بالمصباح الكهربائي. تصورت تصرفات أخرى مثل النساء وهن يرفعن طرف التنورة، والرجال وهم يبحثون عن مقبض السيف. مثل الكلمات التي ضاعت منذ أيام الطفولة والتي قالها الأجداد قبل أن يموتوا. فلا أحد في منزلي يقول «الكومودينو الكافور» ولا أحد يتحدث عن «غرفة التدفئة بالتين». مثل ذلك موسيقى الموضة والفالس خلال العشرينيات، والـ Polkas التي كانت تثير إعجاب الأجداد.

أفكر في تلك الأشياء وتلك الصناديق وتلك العدد التي تظهر أحيانا في الأجران والمطابخ والمخابيء ولم يعد هناك أحد قادر على شرح كيفية تشغيلها. إنه نوع من الغرور قولنا بأننا نفهم فعل الزمن: إنه يدفن موته ويحفظ المفاتيح. ومن خلال الأحلام والشعر واللعب - بإشعال شمعة والسير بها عبر الطريقة - يمكننا أن نطل على ما كنا قبل أن نكون هذا الذي لسنا نعرف ما هو.

(96)

106

معبد جوني:

خلال السّحر، علينا أن نفترق يا حبيبتي
لكن هناك أمرا آخر يا حبي، تذكرى أننى كنت دوما قلبك
فتصيح الفتاة:

حسن، إنه الحزن فى منزلى يملؤه من الأرض إلى السقف،
إنه الحزن فى كل مكان منذ أن ذهب فتاى الطيب من المعبد،
إنه الحزن فى صندوق البريد حتى لا أتلقي أية خطابات،
أقول إن الحزن فى سلة الحيز، والحيز عندى قد تصلب وجف،
إنه الحزن فى خزانة المون، والحزن هناك يخيم على خزانتي،
الحزن على سريري لأننى أنام وحدي

(-13)

107

كتبه موريلى وهو فى المستشفى:

إن أفضل سمة يتمتع بها أجدادى هو أنهم ماتوا. ويكل تواضع، وكبرياء، أيضا،
 أنتظر اللحظة التى أرث فيها هذه السمة، لى أصدقاء سوف يحتون لى تمثالا وأنا
 مستلقٍ على بطنى، وأقوم بالنظر إلى بركة فيها ضفادع حقيقية. وعندما توضع عملة
 معدنية فى الفتحة الخاصة بها سوف أبصق فى المياه فينتاب الضفادع الصياح وتظل
 تصدر نقيقها لمدة دقيقة ونصف، وهو الزمن الكافى حتى يفقد التمثال أى أهمية له.

(113)

108

- المتسولة، المتسول، المتسولة، المتسول، لقد وصل الأمر لمناقشة رسالة دكتوراه عن الحالة النفسية للمتسولين

- قال أوليفيرا :

- يمكن ذلك لكن ليس منهم من هو على شاكلة خوان فيلوى^(١) J. Filloy الذي كتب لهم «شرذمة» Caterna، ماذا عن فيلوى الآن؟

لا يمكن لماجا أن تعرف شيئا عنه فهي لا تعرف أساسا شيئا عن أنه موجود أم لا. وكان من الضروري أن يشرح لها لماذا فيلوى ولماذا «شرذمة». أعجبت لاماجا كثيرا بمضمون الكتاب، والفكرة التي تقول بأن السكان الأصليين Criollos هم على نفس شاكلة المتسولين. وبذلك أصبحت شديدة الاقتناع بأنه من عدم الاحترام الخلط بين من هو من سلالة وبين الشحاذ، كما أن شعورها بالود نحو المتسولة التي تتواجد في منطقة بونت دي آرت أخذ يتوطد لهذه الأسباب التي بدت أسبابا علمية، وخاصة في تلك الأيام التي اكتشفت فيها، وهما يسيران على ضفة النهر، أن المتسولة عاشقة: كما كان الود والرغبة في أن يسير كل شيء في طريقه المرسوم يمثل لماجا شيئا كأنه تقوس الكباري الذي كان يثيرها دوما. أو تلك القطع من الصفيح أو السلك التي يجمعها أوليفيرا وهو مطاطي الرأس أثناء التجوال.

- فيلوى - كان يردد أوليفيرا وهو ينظر إلى أبراج السجن Conserjeria ويفكر في كارتوش^(٢) Cartouche - إن بلادي جد بعيدة عن هنا، أمر لا يصدق أن توجد مياة مالحة بهذه الكميات الهائلة في عالم المجانين هذا.

- قالت لاماجا :

- وعلى العكس من ذلك هناك القليل من الهواء اثنتان وثلاثون ساعة لا أكثر.

- أه، حقا. وماذا أنت قائلة عن المال.

- والرغبة في الذهب، فأنا ليست عندى هذه الرغبة.

- ولا أنا أيضا، لنفترض هذا، لكن لا مناص.

- قالت لاماجا :

- إنك لا تتحدث أبدا عن العودة.

- لا أحد يتحدث أبدا القمم الضبابية. لا أحد يتكلم. المسألة هي الوعي بأن كل

شيء يسير وكأننا في حالة سكر فقدت عقالها.

- أشارت لاماجا :

108

- باريس مجاناً لقد قلت ذلك فى اليوم الذى تعرفنا فيه على بعضنا. فأن تذهب لترى المتسولة، هذا مجاناً، وأن تمارس الحب، مجاناً، وأقول لك مجاناً إنك سيئ، وألا أحبك لماذا ضاجعت بولا؟

- قال أوليفيرا وهو يجلس على الحاجز الحديدى المجاور للماء :
- مسألة عطور بدا لى أننى أشم رائحة أغانى وقرفة ومر، وتلك الأشياء من هذا القبيل كما أن ذلك كان حقيقياً.
- إن تأتى المتسولة هذه الليلة. لابد وأن تحضر فهى لا تنغيب أبداً.
- قال أوليفيرا :

- أحياناً ما يأخذونهم إلى الحبس وذلك لتنظيفهم من القمل على ما أظن، أو حتى تنام المدينة هائلة البال على شاطئ نهرها اللامبالى. إن المتسول يثير الجلبة أكثر من اللص وهذا أمر معلوم. وفى حقيقة الأمر لا تستطيع الحكومة أن تفعل معهم شيئاً وما عليها إلا أن تتركهم فى سلام.

- احك لى عن بولا. وهذه فرصة يمكن أن نرى فيها المتسولة.
- ها هو الظلام يحل، فيتذكر السّياح الأمريكان فنادقهم وتحلّ الآلام بأقدامهم، بعد أن قاموا بشراء الكثير من التفاهات، فقد أكملوا تعذيب أنفسهم Miller و Sade وقصة "Onze mille verges" لأبولونير والصور الفنية، والطوايع الفاصحة، وبعض مؤلفات ساجان Sagan و Bouffet أنظري كيف أن الجو يصفو فى الناحية التى فيها الكوبرى. عليك أن تتركى بولا فى حالها، فلا يمكن أن أحكى ذلك. حسن ها هو الرسام يطوى عدته فلم يعد أحد يتوقف ليرى ما يرسم. أمر لا يصدق أن تكون الرؤية شديدة الوضوح فى هذه الساعة، فالهواء كأنه مغسول مثل شعر تلك الفتاة التى تجرى هناك. انظري، هى تلك التى ترتدى الفستان الأحمر.

- كررت لاما جا :
- احك لى عن بولا وهى تضرب على كتفه بظهر يدها.
- قال أوليفيرا :
- الجنس المحض وهذا لن يروق لك.
- لا. الخطوط العريضة فقط. ما الذى يمكن أن أقصه عليها؟ بولا لا توجد وأنت تعرفين ذلك. أين هى؟ أرىنى أياها.
- قالت لاما جا التى تعلمت المصطلح من رونالد وإيتين :

108

- مغالطات، لن تكون هنا، لكنها فى شارع نهر دوفين، وهذا أمر مؤكد.
- قال أوليفيرا :

- لكن أين هو نهر دوفين؟ ها هى المتسولة، إنها ماهرة اليوم.
كانت تنزل السلم وهى تترنح تحت وطأه لفة كبيرة، تظهر من أطرافها أكمام معاطف وقد تفسخ نسيجها، وكوفيات ممزقة، وينطلونات حصلت عليها من صناديق الزبالة، وكذلك لفة سلاك كساها اللون الأسود. وصلت المتسولة إلى المستوى الأكثر انخفاضا فى رصيف الميناء، وصدر عنها تعجب، هو بين الصرخة والتنهّد. وفوق جسد لا يمكن معرفة ملامحه تراكت قمصان النوم الملتصقة بجلدها والبلوزات التى أهديت إليها وصديرى يساعد على الإمساك بصدر ضخم، وفوق كل ذلك هناك واحد، اثنين وربما أربعة فساتين إن مكان حفظ الملابس مليء عن آخره. فوق كل هذا هناك جاكيت رجالي يكاد يكون منزوع الكم. وكوفية عليها بروش من الصفيح عليه حجر أخضر وآخر أحمر، وفى شعرها المصبوغ باللون الأصفر، هناك بنسة خضراء اللون من القماش معلقة على أحد جوانب الرأس.

- إنها رائعة - قال أوليفيرا لقد جاءت لتغازل من هم إلى جوار الكوبرى.
- قالت لاماجا :

- من الواضح أنها تعيش حالة عشق انظر كيف وضعت أحمر الشفاه على شففتيها وانظر إلى الرمييل، لقد وضعت على وجهها كل ما عندها.
- تبدو مثل مهرج السيرك جروك Grok لكن بشكل أسوأ. أو مثل بعض شخصيات لوحات جيمس أنسور J. Ensor. إنها رائعة ما الذى يفعله هذان حتى يمارسا الحب؟ لن نقولى إنهما يعيشان بعضهما بالمراسلة.

- أعرف ركناً قريباً من فندق سين Sens حيث يلتقى المتسولون هناك لهذا الغرض والبوليس يتركهم وشأنهم. وقد قالت لى مدام ليونى أن من بينهم هناك دائماً من ينقل الأخبار إلى البوليس. ففى مثل تلك الساعة يرتفع بعض الحجاب عن الأسرار. يبدو أن المتسولين يعرفون أكثر عن المجرمين hampa.
- قال أوليفيرا :

- المجرمين hampa بالهامن كلمة نعم بالطبع يعرفون، إنهم على هامش المجتمع وعلى حافة الفخ. كما أنهم لابد أن يعرفوا الكثير عن حملة السندات والقساوسة إنه التصفح الجسد لصناديق القمامة

108

- ها هو المتسول قادم، لقد أخذ به السكر كل مأخذ، مسكينة كيف تنتظره، انظر كيف تركت اللغة على الأرض لتنادى عليه، إنها فى حالة انفعالية كبيرة.

- مهما حدثتني عن المنطقة المجاورة لفندق سين فأنتى لازلت أتساءل كيف ينظمون أمورهم من أجل ممارسة الحب - مهمهم أوليفيرا - ومع كل هذه الملابس، فهذه لا تنزع من عليها أكثر من قطعة أو قطعتين عندما يكون الجو أقل برودة، وتحت كل هذا هناك ما لا يقل عن خمسة أو ستة قطع، دون أن نأخذ ما يسمى بالملابس الداخلية فى الاعتبار، هل يمكنك أن تتصورى ما يمكن أن يكون عليه ذلك، فى الأرض الخلاء؟ بالنسبة للرجل، هذا أمر سهل فالبنطلون هو لباس سهل.

- إنهم لا يخلعون ملابسهم - تصورت لاما جا - فربما لن يتركهم البوليس، أضف إلى ذلك المطر، فكر قليلا، إنهم يختبئون فى الأركان، ففى هذا الخلاء هناك أماكن كأنها أبار عمقها نصف متر ولها غطاء على الحافة حيث يلقي فوقه العمال القمامة والزجاجات الفارغة وأتصور أنهم يمارسون الحب واقفين.

- مع كل هذه الملابس؟ لكن هذا لا يتصور، هل تريد أن تقول إن الرجل لم يرها عريانة أبدا؟ لابد وأنها عملية قدرة.

- قالت لاما جا :

- انظر كيف يحب بعضهم بعضا كيف ينظران إلى بعضهما.

- السكر يكاد ينطق من عيني الرجل، إنه الحنان بإحدى عشرة درجة.

- إنهما متحابان يا أوراثيو، متحابان، أسمها إيمانويلا، كانت تمارس البغاء فى إحدى مدن الأقاليم، وقد جاءت زورق وظلت فى مناطق الأرصفة، لقد تحدثت معها فى ليلة كنت أشعر فيها بالحزن، رائحتها كريهة جدا، وما كان على إلا أن أغادر المكان بعد هنيهة. أتعرف عن ماذا سألتها؟ سألتها عن الموعد الذى تغير فيها ملابسها، يالها من بلاهة توجيه سؤال مثل هذا، إنها طيبة جدا ومجنونة، ففى تلك الليلة كانت تتصور أنها ترى زهور الحقول فى حجارة الرصف، وأخذت تذكر أسماءها الواحدة تلو الأخرى.

- قال أوراثيو :

- مثل الإوفيليا، الطبيعة تحاكي الفن.

- الأوفيليا؟

- معذرة أنا إنسان متحذلق، وماذا كانت إجابتها عندما سألتها عن موضوع الملابس؟

- أخذت تضحك، وشربت نصف لتر دفعة واحدة، وقالت إن آخر مرة نزعت فيها

108

- بعض الملابس عن نفسها كان من الجزء الأسفل ابتداء من الركبتين. وقد تحول ما خلعتة إلى خرق. أما في الشتاء فالجو بارد وبالتالي يضعون على أجسادهم كل ما يجنون.
- لا أحب أن أكون ممرضا، ويأتون إلى في ليلة من الليالي، إنه حكم مسبق مثل غيره من الأحكام، إنها عمد المجتمع، أنا عطشان يا ماجا.
- عليك أن تفعل ما تفعله بولا - قالت لاماجا وهي تنظر إلى المتسولة التي كنت تتبادل الدعابات مع حبيبها تحت الكوبري - انظر سوف ترقص الآن إنها ترقص يوما في مثل هذه الساعة
- تبدو وكأنها دب
- إنها سعيدة - قالت لاماجا وهي تمسك بحجر أبيض صغير وتتنظر إليه من كل الجوانب، أخذ منها أوراثيو الحجر ولعقه، كان طعمه مالحا وحجريا.
- إنه لي - قالت لاماجا، وهي تحاول استعادته.
- نعم، انظري أي لون يأخذ عندما يكون معي. إنه يشع نورا.
- لكنه معي أكثر سعادة، أعطني إياه، إنه حجرى، نظرا إلى بعضهما، بولا.
- قال أوراثيو :
- وحسن الأمر يستوى سواء كان الآن أو في أي لحظة أخرى، إنك بلهاء يا فتاة، آه لو تعرفي ما ستكونين عليه من راحة إذا ما أمكنك النوم.
- أنا وحدي، ياله من أمر ظريف، إنك ترى، لست أبكى. يمكنك مواصلة الحديث فلن أبكى إنني مثلهما انظر إليها وهي ترقص، انظر، هي مثل القمر، وزنها كالجبل ومع ذلك ترقص. الجرب يلفها ومع ذلك ترقص، وإنها مثل، أعطني الحجر.
- خذني، أتعرفين أنه من الصعب أن أقول لك: أحبك، من الصعب جدا الآن.
- نعم، يبدو أنك تعطيني نسخة بالكربون.
- قال أوراثيو :
- إننا نتحدث كأننا نسران.
- قالت لاماجا :
- إنه لأمر مضحك أقرضه لك بعض اللحظات إذا ما أدرت، ويكون ذلك طوال المدة التي ترقص فيها المتسولة.
- قال أوراثيو وهو يأخذ الحجر ويلعقه من جديد :
- حسن لماذا يجب الحديث عن بولا؟ إنها مريضة ووحيدة، وسوف أذهب إليها،

108

ولازلنا نمارس الحب حتى الآن، لكن كفى، لا أريد أن أحولها إلى كلمات ولا حتى معك.
- قالت لاماجا :

- سوف تسقط إيمانا نويل فى المياة إنها أكثر سكرًا من الرجل.
- لا، سوف ينتهى كل شئ على نفس المنوال المعهود - قال أوليفيرا وهو ينهض من على الحاجز الحديدى - هل ترين الممثل النبيل للسلطة القادم من بعيد؟ هيا بنا، فالأمر جد محزن، فإذا ما كانت المسكينة تريد الرقص...
- لقد قامت امرأة عجوز متمزعة بإثارة المشكلة من فوق، فإذا ما وجدناها، عليك أن تركلها فى مؤخرتها،

- وهو كذلك، كما أنك سوف تغفرين لى ما فعلت وتقولين إن ساقى أحيانا ما تخوننى وذلك بسبب الشظية التى أصبت بها وأنا أدافع عن ستالينجراد.
- وعندئذ تكمل أنت اللعبة وتحنى معتذرا.

- إننى أؤدى هذا بشكل جيد، وقد تعلمته فى باليرمو. هيا تعالى، هيا لنشرب شيئا. لا أريد أن أنظر إلى الوراء، لقد سمعت ما يدللها به الأشيب. تكمن فى ذلك. ألم يكن من الواجب أن تعود وترد عليه بركلة مماثلة؟ آه يا عرجونة Arjuna، انصحينى. كما أنه يشتم عار المدنيين من تحت الملابس. قلت تعالى، لنتنازل مرة أخرى، إننى رث الهيئة أكثر منك يا يمانو. إنها قذارة بدأت منذ قرون عديدة، برسيل يغسل أكثر بياضا. من الضروري أن يكون هناك منظف قوى يا فتاة، «وتصّيبينه» كونية. هل تروق لك الكلمات الجميلة؟ أهلا يا جاستون...

- أطلب التحية أيها السيدات والسادة - قال جاستون - إذن كأسين من النبيذ الأبيض «سك» كما هى العادة أليس كذلك؟
- كالعادة يا عزيزى العادة مع بعض البرسيل.

نظر إليها جاستون وأخذ يهن رأسه. أمسك أوليفيرا بيد لاماجا وأخذ يعد أصابعها باهتمام ثم وضع الحجر فى كفها وأخذ يثنى الأصابع الواحد تلو الآخر وبعد ذلك قبل اليد. رأت لاماجا أنه أغمض عينيه وبدأ كأنه غائب عن المكان «إنه كوميديان» فكرت وهى تشعر بشئ من الحنان.

(64)

109

فى أحد مواضع الكتاب كان موريللى يحاول تبرير تماسك السرد القصص لدية مشبيرا إلى أن حياة الآخرين التى نتلقاها فى دائرة ما يسمى بالواقع ليست فيلما سينمائيا بل هى مجموعة من الصور. أى أننا لا يمكن أن نلتقط الحدث بل أجزاءه، على طريقة أهل بلدة إيليا Elea، والتي تم قصها. فليس أمانا إلا تلك اللحظات التى نحن فيها مع ذلك الآخر، الذى نظن أننا نفهم حياته، أو عندما يحدثونا عنه، أو عندما يقص هو علينا ما وقع له أو يعرض أمانا ما ينوى عمله. يتبقى لدينا فى نهاية الأمر ألبوم من الصور واللحظات الثابتة. ولا يمكن أن نرى الصيرورة وهى تتم أمام أعيننا، ولا الانتقال من الأمس إلى اليوم، أو أول إبرة للنسيان وهى تغرس فى الذكرى. ولهذا لم يكن من المستغرب أن يتحدث عن أبطال سرده القصصى بشكل فيه تشنج، ومحاولته إضفاء نوع من الانسجام على مجموعة الصور، حتى تظهر فى شكل فيلم (كم كان يروق للقارئ الذى يطلق عليه القارئ- الأنثى) كانت تعنى عملية حشو بالأدب، والافتراضات والنظريات، واختراع الفواصل بين صورة وأخرى. فأحيانا تظهر لنا الصور ظهرا أو يدا تتكى على أحد الأبواب، أو نهاية نزهة فى الحقول، أو الفم الذى يفتح ليصرخ، أو بعض الأحذية فى دولاى الملابس أو أشخاصا يسىرون فى حديقة شامب دى مار Champ de Mars أو طابع بريد مستعمل، أو رائحة ماجريف Ma Griffe إلى غير ذلك. كان موريللى يتصور أن حياة تلك الصور، التى يحاول تقديمها بطريقة جادة للغاية، يجب أن تضع القارئ فى موقف المغامرة والمشاركة فى مصير الشخصيات. فما كان يعرفه عنهما من خلال التخيل، يتحول إلى حدث على الفور دون أى تكلف يهدف إلى إدخاله فى عالم ما هو مكتوب، أو ما سيكتب والكبرى التى تربط بين لحظة وأخرى بين هذه الحيوانات المليئة بالغموض وعدم وضوح الملامح. لابد للقارئ من تخمينها أو اختلاقها، وذلك بدءا بمعرفة كيفية تصفيف الشعر - إذا لم يكن موريللى قد ذكرها - وحتى الأسباب التى تكمن وراء سلوك معين أو الإحجام عنه وإذا ما كان ذلك يبدو غريبا أو شاذًا.

كان يجب أن يكون الكتاب مثل تلك الرسومات التى يعرضها علماء النفس فى الجيشتالت Gestalt. وبذلك يمكن أن نقود بعض الخطوط من يراقبها إلى كمال باقى الخطوط التى تحدد ملامح الرسم. وأحيانا ما تتسم الخطوط الغائبة بأنها الأكثر أهمية وأنها الوحيدة التى تؤخذ فى الاعتبار. فممارسة موريللى للمداعبات واتسامه بالغرور

109

هما أمران لا حدود لهما فى هذا المقام.

وعند قراءة الكتاب يداخل المرء أحيانا انطباع بأن موريلى أخذ ينتظر أن تتبلور عملية جمع القصاصات فى واقع كامل، دون أن يبذل أى جهد فى صناعة الكبارى أو خياطة الأجزاء المختلفة للسجادة وضمها إلى بعضها البعض. وفجأة تظهر أمامنا المدينة والسجادة، ورجال ونساء فى المنظور المطلق للصيرورة وأن موريلى المؤلف يمكن أن يكون المشاهد الأول، الذى عبر عن إعجابه بهذا العالم، الذى يدخل فى إطار التماسك.

لكن يجب أن يثق المرء كثيرا، ذلك أن معنى التماسك فى حقيقة الأمر هو تمثل المكان والزمان وتبويب ذلك طبقا لرغبة القارئ الأنتى. وموريلى لم يكن ليسمح بهذا، ومن الأرجح أنه كان يبحث عن تبلور لا يغير الفوضى التى تعيش فيها أجساد نظامه الكوكبى. ويهى الموقف للفهم، الحاضر والتام للأسباب المتعلقة بذات ذلك الكون سواء تمثلت تلك الأسباب فى الفوضى نفسها، أو القزمية أو ما هو مبتذل. إنها بلورة لم يتيق منها أى شئ لصيق لكن يمكن أن تتولى البصيرة النافذة الأمر بأن تنتظر من خلال المنظار وتدرک سرّ الوردة الملونة على أنها شخصية، شكل العالم وأنها تتحول إلى حجرة استقبال من الطراز البروفنسالى، بعيدا عن المجر، أو تتحول مجموعة من السيدات وهن يتناولن الشاي مع بسكويت باقلى Bagly.

(27)

110

كان الحلم، عبارة عن برج مكون من طبقات لانهائية توضع فوق بعضها وتتوه إلى أعلى في اللانهاية، أو تنزل في دوائر وتغوص في باطن الأرض. وعندما جذبني إلى موجاته، أخذت الدوامة تعمل، ولم يكن ذلك إلا دهاليز . لم يكن هناك سقف أو أرضية أو حوائط أو طريق للعودة. لكن كانت هناك موضوعات تتكرر كأنها صورة طبق الأصل.

Analís Nin,(1) Winter of Artifice

(48)

111

هذا السرد القصصى قامت به بطلة إيلتون جوتري وألقته على نيكولاس ديات صديق جيرالد فى بوجوتا.

«أنا من عائلة تنسب إلى طبقة المثقفين فى المجر، فأُمى كانت مديرة سيمنار نسائى، حيث تتم تربية أبناء العائلات الراقية فى مدينة مشهورة لا أود الإفصاح عن اسمها وعندما بدأت فترة القلاقل بعد الحرب، باقتلاع الجذور الأسرية والطبقات الاجتماعية والثروات لم أدر أى طريق أتخذ فى حياتى. أصبحت أَسرتى بلا سند مالى، فهى ضحية حدو تريانون (Sic) مثلها مثل والالاف والالاف، ولم يسمح لى جمالى وشبابى وتربيتى بأن أتحول إلى مجرد موظفة تعمل على الآلة الكاتبة. وعندئذ ظهر فى حياتى الأمير الرائع، وهو أَرستقراطى من الأغنياء الجدد. ومن خيار الطبقات الأوروبية. تزوجت به وأنا أحمل فى داخلى كل أمانى الشباب رغم معارضة أَسرتى لأننى صغيرة السن وهو أجنبى.

قمنا برحلة شهر العسل، إلى باريس ثم نيس ثم كابرى ويعد ذلك خيبة أمل لم أكن أعرف إلى أين أذهب، كما لم أجرؤ أن أحكى لأَسرتى مأساة زواجى. إنه زوج لا يمكن أن يجعل منى أما. أبلغ من العمر ستة عشر عاما وأسافر، فى حالة ترحال دائم، بدون مقصد معين وأحاول التسرية عن نفسى. مصر، جاوة واليابان والأمبراطورية النمساوية وكل الشرق الأقصى، وسط كرنفال من الشامبنا والسعادة الزائفة كسيرة الجناح.

وتمضى السنون. ففى عام 1927 نعيش بشكل نهائى على ساحل الأزور فأنا امرأة من الطبقة العليا والمجتمع المفتوح، مجتمع الكازينوهات وحلبات الرقص ومضمار سباق الخيل كل هذا المجتمع يكن لى شديد التعظيم.

وذاث يوم جميل من أيام الصيف اتخذت قرارى النهائى: الانفصال. كانت الطبيعة تفصح عن مكنون جمالها. البحر والسماء والحقول كلها تترنم بأنشودة الحب وتبتهج بالشباب. كان عيد المَدَللات فى كان وكرنفال نيس الغنى بازدهاره، وإبتسامة الربيع فى باريس، وعلى ذلك تركت المسكن والذخ والثروة وتوجهت وحدى إلى الدنيا ...

كان عمرى آنذاك ثمانية عشر عاما وكنت أعيش وحدى فى باريس دون هدف محدد. كانت باريس عام 1928، باريس المرح وكثرة الشمبانيا، باريس، الفرنكات عديمة القيمة، باريس جنة الأجانب، المليئة بالأمريكان وأبناء أمريكا اللاتينية، وصغار ملوك الذهب. باريس عام 1928 حيث يولد كباريه جديد كل يوم وإحساس جديد يجعل الأجنبى يفك كيس نقوده. ثمانية عشر عاما، شقراء ذات عيون زرقاء ووحيدة فى باريس.

أسلمت نفسى بالكامل للمتعة، وذلك للتخفيف من حدة تعاستى. كنت أَسرتى

111

الانتباه فى الكباريهات لأننى كنت وحيدة أشرب الشمبانيا مع الراقصين، وأعطى العاملين بقشيشا ضخما. لم أكن أدرك قيمة المال.

وذاث مرة استطاع أحد أولئك الذين يرتادون هذه الأماكن أن يكتشف موطن آلامى وينصحنى بعلاج من أجل النسيان ... الكوكايين والمورفين والمخدرات. عندئذ أخذت فى البحث عن الأماكن الغريبة وعن أبناء أمريكا اللاتينية من نوى اللون القمضى وعن الرجال الأغنياء.

فى تلك الفترة كنت أحصد النجاح تلو الآخر ويصفق لى الجميع وكأنتى مغنية كباريه حديثة. ظهرت أمام الجمهور لأول مرة فى فلوريدا وكنت أغنى أغانى غريبة بلغة غريبة.

كان يغنى مرتديا حُلَّة عجيبة غير معروفة فى تلك الأماكن حتى تلك الآونة يغنى التانجو وأغانى المزارع rancheras والسامبا الأرجنتينية. كان فتى يميل إلى النحافة وسمرة الجلد، أسنانه بيضاء. اشتد ولع جميلات باريس به. هو كارلوس جاردل، كانت نغمة الحزن الباكية فى أغانى التانجو التى يرددها تستأثر بقلوب الجمهور دون أن يعرف السبب - لم تكن أغانيه آنذاك - بين الأحلام، شكوى أمريكية، ذلك الغطى بالفروقة، الطريق الصغير، المزارعة - لم تكن من التانجو الحديث، بل أغانى موروثه عن الأرجنتين القديمة، أى الروح الصافية لراعى البقر فى السهول الأرجنتينية. كانت الموضة هى جاردل وذاعت شهرته فى كل مكان من الكباريهات والمسارح ومضامير سباق الخيل و Music-hall كان ضيفا دائما على مضمارى لاوتيل ولونجشامت Auteuil و Lengchamp

لكن أكثر ما يروق لجاردل هو الاستمتاع بالوقت على طريقته، أى بين نويه وفى إطار الدائرة الحميمة.

فى تلك الفترة، فى باريس، كان هناك كباريه يطلق عليه «باليرمو» فى شارع كليش Glychy أغلب زبائنه من أبناء أمريكا اللاتينية... تعرفت عليه هناك. كان جيرالد مولعا بكل النساء، لكن لم يكن يعينى إلا الكوكايين والشمبانيا. الحق يقال أنه كان يرضى غرورى الأنثوى أن يرائى الناس فى باريس مع الرجل المشهور الذى هو محط أنظار النساء، لكن لم يكن يقول شيئا لقلبي.

توطدت تلك الصداقة فى الليالى التالية والنزهات والافضاء بالأسرار كان ذلك تحت الضوء الشاحب لقمر باريس وفى الحقول المزهرة. انقضت أيام طويلة من الاهتمام الرومانسى، ذلك الرجل كان قد بدأ يدخل إلى روحى. كانت كلماته ناعمة كالحريز

111

وعباراته تحفر في صخرة لامبالاتي. أصبحت به مجنونة. فتحوّلت شفتي الصغيرة الحزينة إلى شقة يملؤها النور وعدت إلى الكباريات، وفي حالي الرمادية الجميلة وعلى ضوء اللمبات الكهربائية كانت هناك رأس شقراء صغيرة تنضم إلى وجه قوى فيه سمرة مخففة. أما حجرة نومي الزرقاء التي شهدت كل الحنين والاشتياق لروح بلا غاية أصبحت الآن عشا حقيقا للحب. كان حبي الأول.

مضت الأيام مسرعة كأنها البرق. لا يمكن لي أن أعرف كم مضى من الوقت. اختفت هذه الشقراء الغريبة التي تسحر باريس بتصرفاتها وأناقة مكياجها وحفلاتها الراقية حيث كان الكافيار الروسي والشمبانيا يشكلان الطبق الأساسي.

وبعد ذلك بشهور عرف الذين كانوا من الرواد الدائمين لباليرمو وفلوريدا وجاردين عن طريق الصحف أن هناك راقصة شقراء عيونها زرقاء، كان عمرها آنذاك عشرين عاما، كانت تسائر بلب فتيان بوينوس أيرس من الأسر العريقة بطريقتها في الرقص وبساطتها غير المعهودة. ويكل ريعان شبابها.

كانت إيفون جيتري.

(إلخ)

المدرسة الجارديليانا - دار نشر Cisplatina - مونتيفيديو.

(-49)

موريلات:

أقوم بمراجعة قصة أريد أن يكون بها الحد الأدنى من الأدب. إنها مهمة غاية في الصعوبة من منطلق النحن حيث يظهر أثناء المراجعة الجمل التي لا يمكن تحملها. يصل أحد الأبطال إلى السلم:

«أخذ رامون في نزول السلم...» أشطبها وأكتب: «بدأ رامون ينزل...» أترك المراجعة جانباً لأسأل نفسي عن الأسباب الحقيقية لهذا النفور من اللغة «الأدبية» فعبارة «أخذ في النزول» ليس فيها ما يشين اللهم إلا سهولتها، لكن عبارة «بدأ ينزل» هي نفسها، إلا أنها أكثر مباشرة وفضاظة (أي أنها مجرد أداة للتوصيل) أما الصيغة الأخرى فيبدو أنها تجمع بين ما هو لطيف وما هو مفيد، وعموماً فإن ما يضايقني في عبارة «أخذ في النزول» هو الاستخدام التزييني للفعل واسم لا نستخدمهما في الحياة اليومية إلا قديماً ندر. اللغة الأدبية تثير ضيقي (في أعمالى وهذا مفهوم وجلى) لماذا؟

إن الأصرار على ذلك الموقف الذى يصيب كل ما كتبته فى الأعوام الأخيرة بالفقر اللغوى، كل هذا سوف يجعلنى أشعر بعدم قدرتى على التعبير عن أى فكرة أو القيام بأبسط العمليات الوصفية، وإذا ما كانت أسبابى هى نفس الأسباب التى يسوقها لورد شانندوس دى هوفمانستال L. Chandes de Hofmannothal فلن تكون هناك أى شكوى، لكن إذا ما كان مردّ هذا النفور من البلاغة (هذا هو جوهر الأمر) هو الجفاف اللغوى، المقابل والموازى لمستوى آخر يتسم بالحوية، عندئذ يكون من المفضل الكف مطلقاً عن أى نوع من الكتابة. أشعر بالملل عندما أعود لقراءة نتائج ما أكتبه فى هذه الأيام. إلا أنه يكمن وراء هذا الفقر اللغوى المقصود من وراء تلك العبارة «بدأ النزول» لتكون محل «أخذ فى النزول» شئ يثير عندى الشجاعة. أكتب بشكل رديء جداً لكن هناك شئ يحدث من خلال الكتابة. إن «الأسلوب» السابق كان بمثابة مرآة للقارئ - القبرة. ينظران إلى بعضهما ويتعرفان على بعضهما مثل ذلك الجمهور الذى يأمل، ويتصرف، ويتمتع بعبارات أبطال سالاكرو^(١) Salacrou^(٢) أو أنويل Anouilh^(٣) أنه لأمر غاية فى السهولة الكتابة بهذه الطريقة عن الكتابة (شبه الوصف) التى أريد أن أسير عليها الآن وذلك لأنه لم يعد يوجد حوار مع قارئ وجوده بعيد الاحتمال، ومن المؤكد أن المشكلة تدخل فى إطار المستوى الأخلاقى وربما كان مبعث الأصرار على هذا الموقف هو تصلب الشرايين، وتقدم السن (ربما فيها شئ من بغض البشر). هذا الموقف يتمثل فى الإغلاء من شأن ethos واكتشاف (هو اكتشاف متأخر فى مثل حالتى) أن الأنظمة

112

الجمالية تميل إلى أن تكون مرآة وليست معبرا لهذا الشوق الميتافيزيقي.
لازلت حتى الآن أشعر بالعطش الشديد للمطلق مثلما كان عمري عشرين عاما.
لكن هذا الغضب الرقيق، والمتعة الحمضية التي تلسع، والمتمثلة في عملية الإبداع، أو
مجرد تأمل الجمال، لم تعد بالنسبة لي بمثابة التعويض أو الدخول إلى الواقع المطلق
والمَرْضَى. هناك جمال يمكن أن يهيب لي هذا الولوج: ذلك الذي هو الغاية وليس
الوسيلة وهي كذلك لأن مبدعها يتطابق مفهومه للطبيعة البشرية مع مفهومه للطبيعة
الغنية. وعلى العكس من ذلك، فإن المستوى الجمالي البحت يبدو لي ذلك: يبدو. لا يمكن
أن أعبر بطريقة أفضل.

(154)

113

هى كدمات من أثر رحلة على الأقدام من شارع جلا سبير حتى شارع سوميرار:
 - إلى متى سنظل نتابع التاريخ "d.J.C.؟
 - وثائق أدبية سوف يتم الإطلاع عليها بعد مائتى عام: روث متحجر
 - كان كلاخيس klages على حق.
 - موريلي ودرسه. أحيانا ما يكون به دنس، وفظيعة ومثيرا للشفقة: الكثير من
 الكلمات ليغتسل من كلمات أخرى، والكثير من القذارة حتى تزول رائحة العطور ماركة
 Caron و Piver و d.J.C و Carven وربما كان من الضروري المرور بهذا كله حتى
 يستعيد الحقوق الضائعة. أى الاستخدام الأصيل للكلمة.
 - الاستخدام الأصيل للكلمة (؟) ربما كانت جملة خاوية
 - إنها تابوت صغير وصندوق سجاثر. فلا يكاد ينفخ كارونتي Garonte حتى تعبر
 المستنقع وأنت تتأرجح كائنك فى المهد. القارب مخصص للكبار فقط. أما السيدات
 والأطفال فيعبرون مجانا إذ تكفى دفعة واحدة، وقد أصبحوا فى الجانب الآخر. إنه
 موت على الطريقة المكسيكية، جمجمة من السكر. والأغاني للأطفال الموتى Totenkinder
lieder
 - سوف ينظر موريلي إلى كارونتي، أسطورة أمام الأخرى. يالها من رحلة غير
 متوقعة عبر المياه السوداء.
 - خطوط الحجلة على الرصيف: طباشير أحمر اللون، وطباشير أخضر اللون.
 السماء أما الطريق فهناك فى بورتاكو Burzaco أما الحجر فقد تم اختياره بعناية والدفعة
 القصيرة بسن الحذاء ببطء، ببطء رغم أن السماء قريبة، فالحياة لازالت أمامنا.
 - إنه شطرنج لا نهائى، من السهل ترتيبه، لكن البرد يدخل من فتحة فى النعل،
 وفى نافذة ذلك الفندق. هناك وجه يشبه وجه مهرج السيرك يقوم بتوجيه إشارات من
 وراء الزجاج. كما أن ظل حماقةيلمس براز كلب: باريس
 - بولا باريس. بولا؟ الذهاب إليها وممارسة الحب. المداعبة مثل البرقات البطيئة.
 لكن اليرقة تعنى أيضا القناع. لقد كتب موريلي ذلك فى أحد مواضع الكتاب.

(30)

114

4 مايو عام 1995 (A.P.) بالرغم من جهود المحامين وآخر محاولة للاستئناف قدّمت يوم 2 من الشهر الجارى، تم تنفيذ حكم الإعدام على لوفينسنت Lou Vincent هذا الصباح فى غرفة الغاز بسجن سان كينتین، ولاية كاليفورنيا.

.... كانت يداه ورجلاه مربوطتين إلى الكرسي. أمر رئيس السجنائين مساعديه الأربعة أن يخرجوا من الغرفة وبعد أن ربّت على كتف فينسنت خرج هو الآخر. بقى المحكوم عليه وحيدا فى الحجرة، بينما هناك خمس وخمسون شاهدا يراقبون الموقف من خلال الشبايك الصغيرة رفع رأسه إلى الخلف وأخذ نفسا عميقا.

.... وبعد ذلك بدقيقتين اكتسى وجهه بالعرق بينما أخذت أصابعه تتحرك وكأنها تريد التحرر من الأريطة.....

.... مضت ست دقائق وتكررت التشنجات، ومال فنسننت برأسه إلى الأمام وإلى الخلف. خرجت بعض الرغوى من فمه.

.... ثماني دقائق، سقط رأسه فوق صدره بعد آخر رعشة.

وفى العاشرة واثنتا عشرة دقيقة، أعلن الدكتور رينولدز أن المحكوم عليه قد مات للتو. أما الشهود الذين كان من بينهم ثلاثة صحفيين من

(117)

موريليات :

واستنادا إلى مجموعة من الملاحظات المتفرقة والمتناقضة في الكثير منها، استنتج النادى أن موريلي كان يرى في الرواية المعاصرة تقدما نحو ما يسمى بشكل سىء التجديد. «تفقد الموسيقى إيقاعها، والرسم طرافة والقصة الوصف» أما وونج الذى يعتبر أستاذا في التلصيق Collages الجدلى فقد أضاف هذه الفقرة: «الرواية التى تهمنى ليست تلك التى تضع الشخصيات فى المواقف بل التى تضع الموقف فى الشخصيات. وبذلك يصبح هؤلاء خارج نطاق الشخصيات ويعودون بشرا. هناك نوع من الاستنتاج، يقفزون من خلالها نحونا، أو نقفز نحن نحوهم. فالكاف K لكافكا سوف يكون اسمها مثل قارئها أو العكس». ويضاف إلى ذلك ملاحظة فيها الكثير من الغموض حيث كان موريلي يحاول تأليف حلقة يترك فيها مساحة فارغة للإشارة إلى أسماء الشخصيات وذلك حتى يتم حل هذا التجريد من خلال الافتراض.

(-14)

وفى إحدى الفقرات التى كتبها موريلي هذا التضمين من "L'Abbé C" لجورج باتال^(١) Georges Bataille:

هناك ملاحظة أخرى مكتوبة بالرصاص ولا تكاد تُقرأ: «نعم، يعاني المرء أحيانا لكن ذلك هو المخرج الوحيد الملازم كفى من الروايات اللذيذة والمصنوعة مسبقا والمليئة بالمفاهيم النفسية، لابد من أن يشرب المرء بعنقه إلى أقصى حد، وأن يكون Voyant كما كان يريد رامبو Rimbaud فالقاص الذى يكتب القصص التى تُحدث المتعة، ليس إلا Vayeur. ومن ناحية أخرى، كفانا تقنيات وصفية محضة وكفانا من قصص «السلوكيات» التى هى مجرد سيناريو فيلم سينمائى بدون الصور.»

ويربطه بفكرة أخرى «كيف يمكن القص بدون مطبخ وبدون ماكياج وبدون أن ترمش بعينك للقارئ؟ ربما يكون ذلك عن طريق التخلي عن الافتراض بأن الرد القصصى هو عمل فنى، يجب أن نشعر بالسرد القصصى وكأننا نشعر بالجس الذى نضعه على الوجه لنصنع قناعا. لكن يجب أن يكون وجهنا»

وربما هذه الملاحظة الأخرى: عندما تحدث ليونيللو فينتورى^(٢) Lionello Venturi عن مانيت Manet وقصته Olimpia «أولمبيا» يشير إلى أن مانيت همستغنى عن الطبيعة والجمال والحدث والمغزى الأخلاقى وركز على الصورة الجمالية، وبدون أن يدري، كان يعمل فى طريق عودة الفن الحديث إلى توجهات العصور الوسطى، دون أن يدري، فقد فهم العصر الوسيط الفن على أنه سلسلة من الصور، حل محلها عصرى النهضة والحديث تمثيل الواقع. ويضيف فينتورى (أو هل هو جوليوكارلو أرجان^(٣))؟ كان من سخرية التاريخ أنه فى اللحظة التى أصبح فيها تمثيل الواقع موضوعيا وبالتالى يتحول إلى تصويرية وميكانيكية، كان هناك أحد البارزين من أهل باريس يريد أن يكتب كتابة واقعية، وكان لعبقرته أن دفعت به إلى أن يعيد الفن إلى وظيفة إبداع الصور....»

ويضيف موريلي «لابد من التعود على استخدام الشكل Figura بدلا من الصورة Inagen للحيلولة دون وقوع أى لبس نعم، هناك توافق، لكن ليس الأمر هو العودة إلى العصور الوسطى أو إلى شئ من هذا القبيل. إنه خطر المطالبة بزمن تاريخى مطلق: هناك أزمنة مختلفة رغم أنها متوازية. وفى هذا المقام هناك مراحل زمنية فى العصور الوسطى التى يمكن أن تتفق مع العصر المسمى بالحديث. وذلك الزمن هو الذى عاش فيه وتمثله رسّامون وكتاب يرفضون الإنكاء على الظروف الراهنة، أى أن يكونوا محدثين على الطريقة التى يفهمها معاصروهم، وهذا لا يعنى أنهم اختاروا التوجه

116

المخالف لمسار الزمن. إنهم ببساطة على هامش الزمن السطحي لعصرهم، ومن ذلك الزمن الآخر حيث يدلف كل شئ إلى أخذ «الهيئة» Figura ويصبح كل شئ بمثابة إشارة وليس موضوع وصف. هم يحاولون تقديم عمل يمكن أن يبدو بعيدا أو مناقضا لمعطيات الزمن والتاريخ المحيط بهم لكنه مع ذلك يضم الزمن والتاريخ ويفسرهما ويوجههما في النهاية إلى بصيرة حيث ينتظر الإنسان في نهاية المطاف.

(-3)

117

شهدت كيف تمت مضايقة هيئة محكمة والوصول، في ذلك، إلى درجة التهديد، حتى تصدر حكمها بالموت على اثنين من الأطفال رغم أن ذلك ضد العلم، وضد الفلسفة وضد الإنسانية وضد التجربة والخبرة وضد الأفكار الأكثر إنسانية وكما لا في هذا العصر. ما هو السبب الذي دفع بصديقي مستر مارشال ليقوم بالبحث في ملفات الماضي ليجد سوابق يحمر منها خجلا وجه البدائي، ولماذا لم يقرأ هذه العبارة لبلاكستون Blackstone:

«إذا ما كان هناك طفل عمره أقل من أربعة عشر عاما، ورغم أنه قد يحكم عليه بأنه غير قادر على ارتكاب ذنب فإنه في نظر المحكمة والمحلفين قادر على ارتكاب الذنب، وقادر على التمييز بين الخير والشر، ويمكن أن يكون مذنبا ويحكم عليه بالموت؟ وعلى ذلك هناك طفلة أحرقت طفلة عمرها ثلاثة عشر عاما، لأنها قتلت أستاذتها، وكذلك هناك طفل عمره عشر سنوات وآخر عمره أحد عشر عاما قتلوا ملامهما فما كان إلا إدانتهم بالإعدام. ونفذ حكم الإعدام بالمقصلة في الطفل ذي العشر سنوات. لماذا؟

لأنه كان يعرف الفرق بين ما هو حسن وما هو سيئ، فلقد تعلم ذلك في مدرسة الآحاد.

كلارنس دروي Clarence Darrow
لمحامى الدفاع عن ليويولد ولويب - 1924.

(-15)

118

كيف يتمكن المقتول من إقناع قاتله بأنه لا يجب أن يتشبه به؟

Under the Volcano; Malcalm Lowry مالكوم لورى

تحت البركان

(50)

119

ببغاء أسترالى استحبال عليه أن يفرد جناحيه!

دخل مفتش تابع لـ R.S.P.C.A أحد البيوت فوجد الطائر فى قفص لا يكاد يصل محيطه إلى ثمان بوصات! فما كان عليه إلا أن يوقع على صاحب الطائر غرامة قدرها جنيهان قام بسدادها. ومن أجل الحفاظ على المخلوقات الضعيفة فنحن فى حاجة إلى ما هو أكثر من الدعم المعنوى. إن هيئة R.S.P.C.A تحتم المساعدة الاقتصادية. توجه إلى السكرتارية.... إلخ

الابزيرفار - لندن

The observer - London

(51)

120

كان الجميع ينامون في ساعة القيلولة، وكان من السهل أن ينزل من السرير دون أن تستيقظ أمه، ويسير على يديه وقدميه حتى الباب، ثم يخرج ببطء وهو متعطش لبشم رائحة الأرض الرطبة للشقة، ثم يخرج من الباب ويتجه إلى المراعى الموجودة فى العمق. كانت أشجار الصفصاف مليئة بالحشرات المتشرنقة، كان إيرنيو يختار واحدة كبيرة منها ويجلس إلى جوار جحر النمل ثم يأخذ فى الضغط الخفيف والبطئ على قاع الشرنقة حتى تخرج الدودة رأسها من خلال الفتحة الحريية وعندئذ يمد أصابعه ليأخذها ممسكا بها برقة من جلد رقبتها وكأنه يمسك بقط، ثم يجذبها دونما قوة حتى لا يؤذيها، فتصبح الدودة عريانة تتلوى بطريقة كوميدية فى الهواء ثم يقوم إيرنيو بوضعها إلى جانب جحر النمل ويجلس فى الظل، وقد انبطح منتظرا تلك الساعة التى يقوم فيها النمل الأسود بالعمل بقوة فى اقتطاع بعض الحشائش وجلب الحشرات الميتة أو الحية من كل مكان. وعندئذ تلمح إحدى النملات الباحثات وجود الدودة التى تتلوى، فتقترب منها وتختبرها بقرونها الاستشعارية، وكأنها لا تصدق حسن حظها، ثم تجرى هنا وهناك وهى تلمس قرون النمل الذى يصادفها وبعد ذلك بدقيقة تُرسم دائرة حول الدودة، ويتم حملها وهى تتلوى، بلا جدوى، لتفر من الموقف، ومن النمل الذى ضرب مخالبه فى جلدها وهو يحملها إلى الجحر برأسها. كانت اللعبة تتمثل فى اختيار الدودة الأكثر سمكا من مدخل الجحر. فالنمل كان غبيا ولم يكن يفهم. ولابد أنها كانت تشعر بظاعة الأمر، فأرجل النمل ومخالبه تحيط بكل جسدها بما فى ذلك العيون والجلد، وكانت تقاوم وتحاول الخلاص، وهذا أسوأ ما فى الأمر إذ يتطلب ذلك المزيد من النمل كان البعض منه شديد الغيظ فكان يضرب مخالبه ولا يتركها إلا ووجهها مدفوعا بعض الشيء فى مدخل الجحر، كما يأتى البعض الآخر من داخل الجحر ولا بد أن يقوم بسحب الدودة بكل ما أوتى من قوة ليضعها داخل الجحر. كم كان يود إيرنيو أن يكون داخل الجحر ليرى كيف كان النمل يدفع الدودة، ويضرب مخالبه فى عينيها وفمها، ويجذبها بكل ما أوتى من قوة ليدخلها كلها إلى أعماق الجحر ويقتلها ويلتهمها.

(16)

قام موريلي باستخدام الحبر الأحمر، ويمتعة ظاهرة، لكتابة نهاية قصيدة الشاعر
الأميريكي فيرلنجهتي Ferlinghetti في نوتة صغيرة:

ومع ذلك نمتُ بشكل جيد
ورسمت منظراً أو أكثر
هن متعطشات للجمال على سريري
كتبت قصيدة شعر أو أكثر
وهكذا سكبتُ القمر أو الشعر
في عالم شبيه بعالم بوسكو Bosco

(36)

122

كانت الممرضات فى غدوهن ورواحهن يتحدثن عن أبيقراط Hipocrates .
كان يمكن وجهه ضئيل لئى ملمح من ملامح الواقع الانضواء تحت لواء بيت شعر جميل، لكن لماذا أقوم بطرح الألغاز على إيتين الذى استخرج الكارنيه الخاص به، وأخذ يعمل سعيدا فى رسم سلسلة من الأبواب البيضاء والأسرة الملتصقة بالحوائط ونوافذ تدخل منها مادة حريرية ورصاصية اللون، وهيكى شجرة عليها حمامتان من نوى الحويصلات الضخمة. كم كان يود أن يقص عليه الحلم الآخر، كان أمرا مثيرا للغرابة أن يظل طوال الصباح مشغولا بحلم الخبز، وفجأة يأتى إليه الحلم الآخر على ناصية راسبال ومونبارناس Raspail و Montparnasse. سقط فوقه هذا الحلم كأنه شبكة صياد أو كأنه واقع طوال الصباح تحت جدار حلم الخبز وهو يشكو وفجأة كأننا نرى فيلما ترجع صورته إلى الخلف، يبتعد الحائط عنه واستقام وضعه دفعة واحدة، وتركه يواجه ذكرى الحلم الآخر.

- قال إيتين وهو يحفظ الكارنيه :

- عندما تريد سيادتك عندما تراه مناسبا، فأنا لست فى عجلة. إذ أمل أن أعيش أربعين عاما وبذلك ...

- أنشد أوليفيرا :

- الزمن الحاضر والزمن الماضى ربما كان كلاهما حاضرا فى المستقبل. مكتوب أن كل شئ سوف ينتهى اليوم إلى أشعار ت. س. كنت أفكر فى حلم، معذرة. هيا بنا الآن.

- نعم، وكفى فيما يتعلق بالحلم فالمرء يتحمل ويتحمل وفى النهاية

- قال إيتين :

- فى الحقيقة هو حلم آخر. - تعس !

- لم أقصه عليك أثناء المكالمه لأننى لم أتذكره فى تلك اللحظة.

- قال إيتين :

- كما كان هناك موضوع الدقائق الستة فى حقيقة الأمر تتسم السلطات بالحصافة، فالمرء يلعن السلطات صباحا ومساء لكن يجب القول أنهم يعرفون ما يفعلون. ست دقائق ...

- لو كنت تذكرت فى تلك اللحظة فلم يكن أمامى إلا الخروج من الكابينة ودخول

المجاورة لها.

- قال إيتين :

- حسن سوق تقص علىّ الحلم وبعد ذلك ننزل ذلك السلم، ونذهب إلى مقهى مونبارنو لتناول كأسا من النبيذ. وأبادلك بالعجوز الشهير مقابل الحلم. فكلّا الأمرين زيادة عن الحد.

- قال أوليفيرا وهو ينظر إليه باهتمام :

- أصبت تكمن المشكلة في معرفة ما إذا كان من الممكن مبادلة تلك الأشياء أم لا. وهذا ما كنت تقوله لى اليوم: الفراشة أو شانج كائ شيك؟ وربما عند قيامي بمبادلة العجوز بالحلم فإن ما تقوم أنت به هو الحلم مقابل العجوز.
- أفضى لك بالحقيقة. يصاب باللعنة ما أولى اهتمامي به.

- قال أوليفيرا :

- رسّام .

- قال إيتين :

- ميتافيزيقي أما وقد أصبحنا على هذا الحال، ها هي هناك ممرضة تتسائل فيما إذا كنا حلما أو اثنين من البلهاء. ما الذى سيحدث؟ فإذا ما جاءت لطردنا فهل هي ممرضة تطردنا، أو أن الحلم هو الذى يطرد اثنين من الفلاسفة يحلمان بمستشفى يوجد فيه عجوز وفراشة غاضبة إلى جانب أشياء أخرى؟

- قال أوليفيرا وهو ينزلق بعض الشيء على الكرسي ويغمض عينيه :

- كان أكثر بساطة أنظر، لم يكن إلا المنزل الذى تربيت فيه وحجرة لاماجا، وقد اجتمع كلاهما فى نفس الحلم. لست أتذكر متى حلمت، فقد نسيت ذلك تماما، وأثناء هذا الصباح عندما كنت أفكر فى حلم الخبز

- لقد قصصت علىّ حلم الخبز.

- فجأة يأتى هذا الحلم الآخر أما حلم الخبز فلا أهمية له، إذ ليست هناك مقارنة. كان يمكننى أن أستلهم حلم الخبز ... أستلهم، يالها من كلمة.

- لا تخجل من أن تقصصه إذا كان ما أتصوره

- فكرت فى الطفل، إنها عملية ربط إجبارية. لكننى لا أشعر بئى ذنب. فأنا لم أقتله

- قال إيتين وهو غير مرتاح :

- الأمور ليست سهلة هيا لتعود العجوز، وكفانا أحلاما حمقاء.

122

- قال أوليفيرا متنازلا :
- فى الحقيقة، لا أكاد أتمكن من سرده عليك تصور أنه عند الوصول إلى المريخ يطلب أحد ما أن تصف له الرماد. هو ذاك بشكل أو بآخر.
- هل سنذهب لنعود العجوز أم لا؟
- يستوى الأمر عندي. ها وقد أصبحنا ... إنه السرير رقم عشرة على ما أظن. كان من الممكن أن نأخذ له شيئا، فمن غير اللائق الذهاب هكذا. على أى الأحوال يمكنك أن تهديه لوحة.
- قال إيتين :
- أنا أبيع لوحاتى!
(122)

123

كان الحلم الحقيقي يتخذ موقعه فى منطقة غير محددة قريبة من لحظة اليقظة لكن دون أن يكون مستيقظا فى الحقيقة. وللحديث عن ذلك، كان من الضروري اللجوء إلى معلومات أخرى، وإزالة ذلك الحد الفاصل بين «يحلم» و«يستيقظ» فهما كلمتان لا تعنيان شيئا، والتمركز فى تلك المنطقة التى يتبدى فيها من جديد منزل الطفولة والصالة والحديقة، كل ذلك فى الزمن المضارع الواضح الملامح، وترى السنوات العشر بالألوان، فالإحمر شديد الأحمرار، والألوان الزرقاء للحجب الزجاجية الملونة وخضرة الأوراق وخضرة الرائحة، اللون والرائحة فى كيان واحد تصلان إلى الأنف والعين والفم، لكن الصالة ذات النافذتين اللتين تطلان على الحديقة كانت فى الحلم حجرة لامجا أيضا، أى أن قرية بوينوس أيرس المنسية قامت بتحالف غير عنيف بينها وبين شارع سوميرارد، لم يحدث تجاوز وتلاصق فقط، بل انصهار واندماج، وعندما تم القضاء على التناقض بدون جهد، كان هناك شعور بأن المرء دخل فى إطار ما يخصه، وفى الجوهر مثلما هو الحال عندما يكون طفلا ولا يشك فى أن الصالة سوف تدوم مدى الحياة؛ إنه انتساب لا مناص منه. الأمر إذن هو أن المنزل فى بورتاكو والحجرة الكائنة فى شارع سوميرارد هما المكان. أثناء الحلم كان من الضروري إختيار الجزء الأكثر هدوءا من هذا المكان، ويبدو أن سبب الحلم هو ذلك، أى إختيار مكان هادئ. كان فى المكان شخص آخر، إنها الأخت التى تساعد فى إختيار المكان الأكثر هدوءا، دون أن تنطق بكلمة، وكأنها تتدخل فى مسار الحلم دون رغبة منها وذلك للتسليم بأن الشخص أو الشئ هاهو هناك يتدخل ويفعل ما يريد. إنها قوة دون أن تتبدى بشكل مرئى، إنها شئ أو عامل يتدخل هناك، يتدخل من خلال حضور يمكن أن يبدو ظاهريا. وهكذا اختار هو وأخته الصالة على أنها الجزء الأكثر هدوءا فى المكان، وكان اختيارا موفقا، أى لايمكن العزف على البيانو داخل حجرة لامجا، أو الاستماع إلى الراديو بعد العاشرة مساء. إذ سوف يقوم العجوز الذى يسكن فوق بالدق على السقف، أو يقوم سكان النور الرابع بإرسال قزمة حولاء، لتصعد وتشكو من هذا التصرف، لم يتفوها بكلمة واحدة لدرجة أنه لم يبد أنهما هناك؛ كان هو وأخته يختاران الصالة المطلة على الحديقة، واستبعد حجرة لامجا. وفى تلك اللحظة من الحلم، استيقظ أوليفيرا، وربما لأن لامجا وضعت ساقها بين ساقيه. فى العتمة كان الشئ المؤكد والمحس هو أنه ظل فى الصالة حتى تلك اللحظة، فى صالة الطفولة مع أخته كما كان

123

أوليغيرا، وربما لأن لاماجا وضعت ساقها بين ساقيه. فى العتمة كان الشئ المؤكد والمحس هو أنه ظل فى الصالة حتى تلك اللحظة، فى صالة الطفولة مع أخته كما كان يشعر بالحاجة الشديدة للتبول. دفع ساق لاماجا بعيدا عنه دون مواربة و نهض وخرج إلى بسطة السلم وأشعل المصباح الصغير السيئ الإضاءة، والخاص بالمرحاض. لم يجهد نفسه فى إغلاق الباب. أخذ يتبول وهو يستند على الحائط بإحدى يديه ويحاول مبادعة النوم عن عينيه حتى لا يسقط فى هذا المرحاض القذر. كان لا يزال فى دائرة الحلم، وهو يوجه ناظريه إلى البول الذى يخرج من بين أصابعه، وينزل إلى الفتحة ويتوه فيها أو يضرب حواف الفتحة، التى اسودت. ربما بدا له الحلم الحقيقى فى تلك اللحظة عندما شعر باستيقاظه وتبوله فى الرابعة صباحا فى الدور الخامس شارع سوميرارد. وأدرك أن الصالة المؤدية إلى الحديقة فى بورتاكو كانت الواقع. عرف ذلك دون استغراب أو فزع، عرف أن حياته كرجل مستيقظ ليست إلا ضربا من الوهم إلى جانب وضوح وجود الصالة. ورغم ذلك فعندما عاد للسرير لم تكن هناك أى صالة بل الحجرة الكائنة فى شارع سوميرارد، وعرف أن المكان كان صالة بورتاكو، برائحة الياسمين التى تدخل من النافذة؛ هى الصالة التى بها البيانو القديم طراز Bluthner وسجادتها الوردية وكراسيها المغطاة بملاءات، وأخته أيضا كذلك. بذل جهدا عنيفا ليخرج من هذا الجو، ويتخلى عن المكان الذى كان يخدعه، وبلغت به درجة اليقظة. بحيث دخل إليه مفهوم كل من الخداع والحلم والسهاد، غير أنه، وهو ينفص عن نفسه آخر القطرات، ويطفئ النور ويدعك عينيه، ويدخل إلى الحجرة عبر البسطة كان كل شئ أقل، فالبسطة، أقل، والباب أقل، والضوء أقل، والسرير أصغر، ولاماجا أقل، أخذ يتنفس بصعوبة وغمغم: «ماجا» غمغم: «باريس» ربما غمغم أيضا «البوم» كأن الصوت يأتى من بعيد، ومن فراغ، وكأنه صوت غير معاش. عاد لينام وكأنه يبحث عن مكانه ومنزله بعد أن سار طويلا تحت المطر والبرد.

(145)

124

كان من الضروري تناول حركة أى ظرف طبقاً لموريلّى. وبالنظر فيما قطعه من شوط فى هذه الحركة من السهل ملاحظة تنامي حالة الفقر فى عالمه القصصى، سواء فى الجفاف شبه التام لأبطال أعماله القصصية بل أيضاً على مسار تصرفاتهم وخاصة فيما يتعلق بما لا يقومون به من أعمال. وانتهى به الأمر إلى ألا يحدث لهم أى شىء، إذ كانوا يدورون فى تعليقات ساخرة تتعلق بقزميتهم، ويتصورون أنهم يجدون نماذج مثيرة للسخرية، ويتفخرون بأنهم اكتشفوها. وربما بدا ذلك هاما فى نظر موريلّى، ذلك أن عدد الملاحظات قد تكاثرت بشأن مطلب مفترض، وآخر وسيلة يائسة لينتزع نفسه من آثار الأخلاقيات الهامة، فى محاولة الوصول إلى حالة عرى يطلق هو عليها محورية وأحياناً يطلق عليها أفاقاً. أفاق ماذا وإلى ماذا؟ ويستخلص من ذلك الانطلاق إلى شىء مثل الدوران حول النفس، وكأننا نقلب قفازاً وبذلك يتم تلقى الواقع بكل ما عليه دون تدخل الأساطير والأديان والأنظمة والمعنى الثانية. كان مثيراً للفضول أن يعانق موريلّى، بحماس، النظريات الحديثة فى علوم الطبيعة والبيولوجيا وأن يبدى قناعته بأن الثنائية القديمة قد تشرخت أمام البديهية التى تقول بمرجعية المادة والروح إلى أمور تتعلق بالطاقة وبالتالي فإن القروء العلماء التى لديه، تبدو وكأنها تريد العودة إلى نفسها، بأن تزيل عن نفسها حروق الواقع الذى يصل عبر وسيط، والذى تمت خيانتة عن طريق الأدوات الكونية المفترضة، كما تزيل عن نفسها أيضاً قوتها المتعلقة بالأسطورة والشعر، أى «زوجها» لينتهى بها الأمر لتكون نوعاً من الالتقاء على طريقة da ovo وتنكمش إلى أقصى درجة، أى إلى الدرجة التى تفقد فيها آخر شرارة إنسانية (زائفة). بدا أنه يريد - رغم أنه لم يصل إلى التوضيح بشكل جلى - طريقاً يبدأ من تلك التصفية الخارجية والداخلية. لكنه أصبح وليس فى جيبه إلا ماندر من الكلمات وماندر من الناس، والأشياء، ومن الواضح أيضاً إنه قد يصبح بلا قراء. كان هذا هو الحال أو ما يشبه ذلك.

(128)

125

هناك مفهوم بين الرجال حول التشبه بـكلب: إنها مادة تأمل، بلا رغبة، طوال فترة تناول كأسين والقيام بجولة في الأرباص، وتنأى الشك في أن المقدمات تؤدي إلى النتائج، وأن الوقوف في مرحلة وسط - "L" Lombola^(١) و "e" epsilon - تعني أن يدور المرء بأقدامه في الأرض، يخرج السهم من اليد إلى الهدف: ليس هناك حل وسط، ليس هناك القرن العشرين بين العاشر والثلاثين. إن الرجل يجب أن يكون قادراً على أن يعزل نفسه عن الجنس، وهو في داخل الإطار نفسه. ويختار إما الكلب أو السمكة الأولية على أنهما نقطة البداية في الطريق إلى نفسه. لا يوجد مكان للحصول على الدكتوراه في الأدب، ولا يوجد هناك مدخل لطبيب الحساسية الجهد، ويدخلهم في الجنس سوف يكونون على ما يجب عليه، وإلا لن يكونوا شيئاً. إنهم جديرون، ولا مرء في ذلك. لكنهم دوماً إما "e" epsilon أو "L" Lambda أو "p" pi لكن لن يكونوا أبداً البداية أو النهاية على الإطلاق. والإنسان الذي نتحدث عنه لن يقبل بما يسمى شبه تحقيق الذات التي هي القناع الضخم في العالم الغربي، فالنمط الذي جاء هائماً على وجهه حتى كوبري طريق سان مارتين، والذي يدخن في إحدى النواصي، والذي ينظر إلى امرأة تصلح هندام الشراب، لديه فكرة، غير عاقلة على الإطلاق، عما يطلق عليه التنفيذ، ولا بأسف لذلك فهناك ما قد يقول له أن البذور تكمن في اللاعقل وأن نجاح الكلب هو أقرب إلى البداية من رسالة دكتوراه تتناول موضوع الحال (gerundie) عند تيرسودي مولينا، يالها من استعارات بلهاء. لكنه يظل يلح على ذلك، فما الذي يبحث عنه؟ وهل يبحث عن نفسه؟ قد لا يبحث عن نفسه إلا إذا وجدها، أي أنه الذي مع نفسه (لكن ذلك ليس خارجاً عن نطاق العقلانية، أنا ego لا بد من التوجس. لا تكاد تترك العقل طليقاً حتى يخرج عليك بنشرة خاصة فيقيم أمامك أول قياس منطقي لسلسلة لا تؤدي بك إلى أي مكان إلا إذا اقتصر الأمر على استخراج دبلوم، أو الحصول على شاليه في كاليفورنيا حيث يلعب الأطفال على السجادة والأم تجلس في سعادة هائلة). لنر، ولنسر ببطء: ما الذي يبحث عنه ذلك النمط؟ هل يبحث عن نفسه؟ هل يبحث عن نفسه كغرد؟ أي كغرد خارج نطاق الزمان أو ككائن تاريخي؟ فإذا ما كان المقصد

125

الأخير هو الغرض من البحث، فإنه مضيعة للوقت، أما إذا كان علينا أن نسير ببطء، (يرى له أن يتحدث هكذا كأنه والد يتحدث إلى ابنه، وذلك حتى يأخذ لنفسه بعد ذلك كل المتعة لكل الأبناء ويدوس على عش العجوز) رويدا رويدا، فما هي ماهية ذلك الذي يسمى البحث؟ حسن البحث لا يكون، مقولة لمأحة. ليس بحثا، لأنه وجد نفسه، لكن اللقاء لم تكتمل. هناك لحم ويطاطس وكُرأت، لكن لا يوجد القدر. أي أننا لسنا مع الآخرين فلم نعد مواطنين (إنهم يخرجون وتعلونى الخرابيش فى كل مكان وتشهد على ذلك لوتيثيا) لكننا لم نعرف كيف نخرج من الكلب لندخل فى ذلك الذى لا اسم له، ولنطلق عليه المصالحة أو العودة إلى المصالحة.

يالها من فظاعة القيام بالبربطة فى المياه داخل دائرة نقطة، المركز فيها فى كل مكان، ولا يوجد محيطها فى أى مكان. ما الذى يتم البحث عنه؟ ما الذى يتم البحث عنه؟ يجب تكرار ذلك خمسة عشر ألف مرة وكأنها ضربات قادم على الحائط. ما الذى يتم البحث عنه؟ ما هى تلك المصالحة التى بدونها تصبح الحياة خدعة قاتمة؟ إنها ليست المصالحة التى عليها القديس، ذلك أنه بالنسبة لمفهوم النزول إلى مستوى الكلب والبدء من جديد من هناك، أو من عند السمكة أو القذارة والقبح والبؤس وأى شئ آخر لا قيمة له، فإن هناك شوق ما إلى القداسة. ويبدو أننا نستوحش قداسة غير دينية (ومن هنا يبدأ اللاعقلانى أو التهور). إنها حالة دون اختلاف أو وجود قديس (ذلك أن القديس بشكل أو بآخر، القديس ومن ليسوا بقديسين، وذلك هو ما يشير ذلك النقط المسكين الذى يتأمل ساق الفتاة التى انخرطت فى إصلاح هندام الشراب). والمراد هو أنه إذا ما كانت هناك مصالحة، لابد وأن تكون شيئا آخر يختلف عن حالة القداسة، حالة تستبعد من منظور هيأ بنا. لابد وأن يكون شيئا ملازما للذات، دون أن تكون هناك حاجة للتضحية بالرصاص مقابل الذهب. وبالسيلوفان مقابل الزجاج وبالأقل مقابل الأكثر. إنها على العكس، التهور يطالب بأن يساوى الرصاص الذهب وأن يكون الأكثر فى الأقل، إنها كيمياء وهندسة لا صلة لها بالقديس، إنه نوع من عدم التحديد الآتى للأمور الخاصة بالنفس وثمارها، ليس الأمر هو الصعود، وهو المثال العقلى القديم الذى كذبه التاريخ، وهو الجزيرة التى لم تعد تخدع الحمار ليس الأمر الوصول إلى الكمال والتنقية والإنقاذ والاختيار وحرية التأمل والإنطلاق من البداية فى اتجاه

125

النهاية. ها قد أصبحنا. وأصبح أى إنسان. الطلقة فى المسدس لكن يجب الضغط على الزناد لكن الأصبع يقوم باعطاء إشارات حتى يتوقف الأتوبيس أو أى شئ من هذا القبيل.

إن ذلك المدخن الهائم على وجهه، ابن الأرض، يتحدث كثيرًا وبطريقة معينة، ها هى الفتاة قد أصلحت من موضع الشراب. أترى؟ إنها أشكال من المصالحة. عذابى هو ربما كان كل شئ شديد البساطة. أى عملية جذب للشباك، أو إصبعًا مبتلا من الريق الذى وضع على الجزء الذى تم سحبه، وربما كان يكفى أن نجذب الأنف ونضعه عند مستوى الأذن، وتحويل الظروف إلى أمر تافه. لكن لا، ليس بهذه الطريقة. ليس هناك ما هو أسهل من أن نقذف بالميزان فى وجه ما هو فى الخارج وكأننا على يقين بأن الخارج والداخل هما الدعامتان الرئيسيتان للمنزل. لكن كل شئ فى غاية السوء والتاريخ يقول لك ذلك، أضف إلى ذلك مجرد التفكير فيه بدلا من العيش فيه مما يبرهن لك على أنه سيئ، وأننا وضعنا أنفسنا فى فوضى كاملة وأن كل مواردنا أصبحت ترتدى القناع الاجتماعى والتاريخى والأسلوب الأيوانى وسعادة عصر النهضة والحزن السطحي للرومانسية ونمضى هكذا دون أن ننال شيئا أبداً.

(44)

126

- لماذا، إنك بجمالك الجهنمي انتزعتنى إلى هدوء حياتي الأولى ... كانت الشمس والقمر يصدران ضوءهما إلى دون أى تصنع، وكنت أستيقظ وتطوف بى أفكار رقيقة وعند شروق الشمس أغمض عيني لأؤدى صلواتي لم أكن أرى شيئا سيئا، فلم تكن لى عيون. لم أكن أسمع السوء فلم تكن لى أذان، لكننى سوف أنتقم !
 خطاب تفاح الجن، فى إيزابيل من مصر.
 هاشيم فون أرينم^(١) Achim von Arnim

(21)

127

وهكذا حطم العمالة عش كوكا حتى تبتعد عن الصيدلية وتتركهم وشأنهم، ثم عرجوا مؤقتاً، ولكن بجدية، على مناقشة نظام ثليغيرنو بيريز Ceferino Piriz وأفكار موريلي. ولما كان موريلي غير معروف بشكل جيد في الأرجنتين، فقد أعطاهم أوليغيرا الكتب وحدثهم عن بعض الملاحظات المتفرقة التي عرفها في زمن سابق، فاكشفوا أن ريمورينو، الذي كان يواصل عمله كممرض والذي كان يظهر عند تناول الشاي، وكُنوس الكانيا، كان ممن يفهمون روبرتو أرلوت Roberte Arlot جيداً، وهذا ما استلقت انتباههم بشدة. وعلى ذلك فقد ظلوا طوال أسبوع كامل لا يتحدثون عن أحد إلا عن أرلوت وكيف أن أحداً لم يتعرض له أو يذكره في بلد يفضل العمالة.. إلا أنهم كانوا يتحدثون عن ثليغيرنو بجديّة بالغة. وبعد كل فترة، ينظرون إلى بعضهم البعض بطريقة خاصة، بأن يرفعوا عيونهم في وقت واحد ويدرك ثلاثتهم أنهم يفعلون نفس الشيء، أى ينظرون إلى بعضهم بطريقة خاصة وغير مفهومة وكأنها نظرات فيها خداع مثل حال ذلك الرجل الذي يحب حباً جماً وليس أمامه إلا أن يتحمل تناول الشاي مع حلوى «الماساس» ووجود بعض السيدات، وكذلك عقيد متقاعد يقوم بشرح السبب الخاص بأن كل شيء سيئ في البلاد. ينظر الرجل إلى الجميع وهو جالس على الكرسي، ينظر إلى العقيد والنساء وإلى المرأة التي يعشقها وعمايتها، ينظر إليهم بلطف. ففي الحقيقة إنه لأمر مخجل أن تكون البلاد في يد عصاة من الشيوعيين، حينذاك من عجيبة الكريم، والثالثة التي على يسار الصينية والمعلقة الصغيرة الموضوعة بشكل عادي على المفروش الذي قامت العُمت بتطريزه. ترتفع النظرة الرقيقة إلى أعلى لحظة ومن فوق الشيوعيين تلتقي في الهواء مع النظرة الأخرى التي صعدت من عند السكرية المصنوعة من مادة بلاستيكية خضراء اللون، ولا يوجد شيء. إنها نهاية خارج نطاق الزمان تصبح سرّاً لذيذاً وإذا ما كان رجال اليوم رجلاً عن حق يا فتى وليسوا بهذا الابتذال والانحطاط («لكن ياريكارنو!» «حسن يا كارمن، لكن يثيرني ي - ث - ي - ر - ن - ي ما يحدث في البلاد»). في الزمان والمكان، كانت هذه نظرة العمالة عندما كان يعن لهم بين الحين والآخر أن ينظروا إلى بعضهم نظرة عابرة وكاملة. فيها سرية لكنها أكثر وضوحاً عن النظرة المطوكة، لكن ليس التعلق من أجل شيء كما تقول كوكا لزوجها، كان الثلاثة يحكون ويخجلون كثيراً لأنهم نظروا إلى بعضهم دون أن يلعبوا ودون أن يكون بينهم عشق محرم، إلا إذا.

(56)

128

نحن بعض الأشخاص في هذا الزمان، نريد مهاجمة الأشياء ونجعل في داخلنا
مساحة للحياة، ساحة أخرى لم تكن موجودة ولم تكن واجبة الوجود في هذا الكون.

ARTAUD, Le pese- nerfs

(-24)

129

لكن ترافلر لم ينم، إذ كان الكابوس يطوف حوله بعد محاولة أو محاولتين وفي النهاية جلس في السرير أشعل النور. لم تكن تاليتا هناك، إنها تسير وهي نائمة، إنها فراشة السهاد. شرب ترافلر كوبا من الكانيا ورتدى جاكطة البيجامة. بدا أن الكرسي الخيزران أكثر رطوبة من السرير. كانت الليلة جميلة لمواصلة دراسة ثيفيرينو بيريز. لقد تفرنس ثيفيرينو! لكن لا خطر في ذلك، «فنور سلام العالم» الذي يمسك ترافلر بخلاصته جيدا كان مكتوبا بلغة أسبانية يثير أسلوبيها الإعجاب مثل هذه الفقرة من المقدمة:-

أقدم في هذا البيان بعض الأجزاء التي نقلتها من كتاب ألفتة حديثا يحمل العنوان التالي «نور سلام العالم» ذلك العمل تم تقديمه أو هو مقدم حاليا في مسابقة دولية... لكن لا يمكن لي أن أرسل لكم ذلك العمل كاملا ذلك أن المجلة التي تنشره لا تسمح - لبعض الوقت - أن يتم تقديم ما نشرته في شكله النهائي إلى أشخاص لا علاقة لهم بها... وعلى ذلك فإنني، في هذا البيان، أقتصر على إرسال أجزاء من ذلك العمل، أي تلك التي سوف تقرأونها في السطور التالية والتي لا يجب أن تنشر في الوقت الراهن.

إنه نص أكثر وضوحا بكثير من نص مماثل لخوان مارياس على سبيل المثال. ويتم الاتصال بالعمل بعد تناول كأس الكانيا، وإلى هنا طاب لترافلر الاستيقاظ. كانت تاليتا تروح وتغدو هناك، وقد أسرفت في الرومانسية، وللمرة العاشرة دخل في جو النص الذي كتبه ثيفيرينو.

يتولى هذا الكتاب تقديم ما يمكن أن نطلق عليه «التوليفة الكبرى من أجل السلام العالمي» وبذلك يدخل في تركيبته الكبرى كل من عصبة الأمم أو الأمم المتحدة. وتنحو هذه العصبة إلى انتهاج القيم (العظيمة ... إلخ) وتتجه إلى السلالات البشرية. وأخيرا هناك مثال لامراء فيه على المستوى الدولي، في بلد هو مثل حقيقي، فهو يتكون من خمس وأربعين مجلسا وطنيا أو وزارات مما هو بسيط، ومن سلطات وطنية.

129

العبارة كما هي: وزارة مما هو بسيط. أه يا تيفيرينو، أيها الفيلسوف الطبيعي المتخصص في جمع الأعشاب من الجنان التي في أوروغواي، والذي تطير فوق السحاب...

ومن ناحية أخرى فإن الصيغة الكبرى في مقاساتها الخاصة بها، ليست بعيدة، على التوالي، عن عالم العرافين وعن طبيعة المبادئ الأولية. ولا عن المقاسات الطبيعية التي لا تسمح بأي نوع من التغير في تلك التوليفة التي تقدم نفسها بنفسها ... إلخ

كما هذ العادة. يبدو أن العالم يحن إلى العرافة والحدس، لكن عندما يتم أول تغيير في خط التصنيف على الطريقة الغربية ندخل مباشرة ونقوه في مزرعة ثيفيرينو، وبين كل كوب من الشاي كان ينظم الحضارة على ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى للحضارة

يمكن تصور مرحلة أولية في الحضارة والتي تبدأ من زمن غير معروفة بدايته في الماضي وتستمر حتى عام 1940. وتتألف هذه المرحلة في أن كل شيء يتجه إلى الحرب العالمية خلال عام 1940.

المرحلة الثانية للحضارة

يمكن أيضا تصور مرحلة ثانية من الحضارة والتي تبدأ من عام 1940 وتستمر حتى عام 1953 وهي مرحلة تتسم باتجاه كل شيء نحو السلم العالمي أو إعادة بناء العالم. (إعادة بناء العالم: أي أن يبقى كل من هذا العالم على ما لديه، وإعادة البناء بطريقة فعالة، إعادة بناء ما تم تدميره قبل ذلك: المباني وحقوق الإنسان وتوازن الأسعار عالميا ... إلخ).

المرحلة الثالثة للحضارة

واليوم يمكن تصور مرحلة ثالثة للحضارة والتي تبدأ من عام 1953 وحتى عام 2000، وهي مرحلة تهدف إلى أن يسير كل شيء في خط تنتظم فيه الأمور كلها بفعالية.

129

هذا أمر يدهي بالنسبة لتوينبى^(١) Toynbee ... لكن النقد يقف صامتا أمام الطرح الأنثروبولوجي لتيفيرينو: والآن فإن بنى الإنسان هم أمام تلك المراحل المذكورة: (أ) البشر الذين يعيشون فى المرحلة الثانية فى تلك الأيام، لم يضمن أغلبهم ما عليه المرحلة الأولى. (ب) أما البشر الذين يعيشون، أو نحن الذين نعيش هذه المرحلة الثالثة لم يضمن معظمنا ما عليه المرحلة الثانية. و. (ج) وفى الغد القريب والذى سوف يبدأ اعتبارا من عام 2000 فإن بنى البشر فى تلك الأيام وفى تلك الأيام لن يضمنوا المرحلة الثالثة التى نعيشها اليوم.

كان حقيقيا فى عبارته «أغلبهم لم يفكر» *beatr pauperes spiritu* وما قد عرج ثيفيرينو على بول ريقيت^(٢) أى بالنزول من مرحلة التصنيف التى كانت متعه فى الأسميات التى قضيناها فى حوش السيد كريسيو، لنرى: يمكن أن نعد وجود ست سلالات بشرية فى العالم: البيضاء والصفرء والداكنة والسوداء والحمراء واليمبى.

السلالة البيضاء : ينسب إلى تلك السلالة كل السكان من نوى الجلد الداكن طبيعته مثل الروس فهم داكنون والأتراك كذلك والعرب والفجر ... إلخ
السلالة الصفرء : ينسب إلى تلك السلالة كل السكان من نوى الجلد الأصفر مثل الصينيين واليابانيين والمغول والهندوس فى أغلبهم.
السلالة السوداء : ينسب إلى تلك السلالة كل السكان من نوى الجلد الأسود مثل أغلب سكان أفريقيا الشرقية ... إلخ

السلالة الحمراء : ينسب إلى تلك السلالة كل السكان من نوى الجلد الأحمر وهم أغلب سكان إثيوبيا من نوى الجلد الأحمر القاتم حيث نجد أن النجاشى *Negus* أو ملك إثيوبيا أحمر اللون: وهناك عدد كبير من الهنود من نوى الجلد الأحمر الغامق أو لون القهوة. وأغلب السكان المصريين من أصحاب الجلد الأحمر الغامق إلخ
السلالة اليمبى : ينسب إلى هذه السلالة كل السكان من نوى الألوان المتعددة أو اليمبى مثل الهنود فى القارات الأمريكية الثلاث.

129

- كان لابد أن يكون أوراثيرو هنا - تحدث ترافلر إلى نفسه - إنه قادر على التعليق على هذا الجزء بشكل جيد جدا. ولم لا؟ لقد تعثر المسكين ثيفي في الصعوبات الكلاسيكية للتصنيف المصنَّع ويفعل ما بوسعها مثلما يفعل لينيو، أو يسير على هدى التلخيصات التي توجد في الموسوعات، فيما يتعلق بالسلالة الداكنة فقد كان الحل عبقريا ، وعلى أن أعترف بذلك.

كان يسمع صوت خطوات في الطريقة فأطل ترافلر من الباب المؤدى إلى الجناح الإداري، وطبقا لما قد يقول ثيفيرينو كان الباب الأول والباب الثاني والباب الثالث مغلقين. لقد عادت تاليتا إلى الصيدلية، كان حماسها بالعودة إلى العلم أمر لا يصدق فقد عادت إلى الموازين الصغيرة والعبوات المضادة للحمى. أخذ ثيفيرينو يصف بعد ذلك عصابة الأمم النموذج بالنسبة له:

إنه مجتمع قائم على أى جزء في العالم بما في ذلك أفضل مكان في أوروبا. إنه مجتمع يعمل بصفة مستمرة وبالتالي فكل الأيام، أيام عمل. إنه مجتمع يوجد في ميدانه الكبير ما لا يقل عن سبعة غرف فسيحة أو مقار ضخمة ... إلخ
والآن، وهناك غرفة من الغرف السبعة لهذا المجتمع، يجب أن يجتمع فيها ممثلو الدول التي سكانها من السلالة البيضاء، ويكون رئيسهم من نفس اللون بينما يجتمع ممثلون عن الدول التي سكانها من السلالة الصفراء في الغرفة الثانية ويكون الرئيس من نفس اللون والغرفة الثالثة

وهكذا كافة السلالات، وبذلك يمكن تجاوز هذا التعدد لكن لم يكن الأمر نفس الشيء بعد تناول أربعة كؤوس من الكانيا (من ماركة ملايبوسا وليس أنكاب، وهذا أمر مؤسف لأن التكريم الوطني كان مناسبا في تلك اللحظة) لم يكن الأمر كما هو على الإطلاق، لأن مكبر ثيفيرينو أصبح فكرا في البلوريات ويتخثر بكل ما فيه من نقاط الالتقاء والتقاطعات الهندسية. ويحكمه التوازي و horror vacui أى أن

... الغرفة الثالثة يجب أن يجتمع فيها أعضاء الدول التي سكانها من السلالة الداكنة ورئيسها من نفس اللون، والغرفة الرابعة يجب أن يجتمع فيها أعضاء الدول

129

السوداء ورئيسها من نفس اللون، والخامسة يجتمع فيها أعضاء من الدول ذات السلالة الحمراء ورئيسها من نفس اللون والسادسة يجتمع فيها من أعضاء الدول ذات اللون البمبى ورئيسها من نفس اللون ... و- الغرفة السابعة تجتمع فيها رئاسة الأركان لعصبة الأمم هذه.

أثار إعجاب ترافلر هذا التمييز الذى خصه لأداة التعريف عند الحديث عن الغرفة السابعة التى توقف التبلور الدؤوب للنظام مثل حديقة الياقوت «الأزرق الغامضة»، تلك النقطة الغامضة للجوهره التى قد تحدد اندماج النظام وأن تلك النقطة تشع صليبا سماوى اللون من الياقوتة الزرقاء، وكأنها طاقة تجمدت فى قلب الحجر (ولماذا كانت تسمى بالحديقة إلا إذا كان ذلك لتخيل حدائق الأحجار الكريمة فى المشرق؟)

هناك المزيد من التفاصيل تتعلق بالغرفة السابعة، فى الغرفة السابعة الكائنة فى قصر عصبة الأمم لابد أن يكون متواجداً فيها الأمين العام لهذا المجتمع، والرئيس العام فى الوقت ذاته كما يجب أن يكون هناك السكرتير المباشر للرئيس العام المذكور.

هناك المزيد من التفاصيل: حسن. لابد أن يوجد فى الغرفة الأولى رئيسها هو الذى يتولى رئاسة هذه الغرفة الأولى. فإذا ما تحدثنا عن الغرفة الثانية نفس الشيء، وإذا ما تحدثنا عن الغرفة الثالثة نفس الشيء. وإذا ما تحدثنا عن الغرفة الرابعة نفس الشيء وإذا ما تحدثنا عن الغرفة الخامسة نفس الشيء وإذا تحدثنا عن الغرفة السادسة نفس الشيء كان من المثير للشجن لدى ترافلر أن عبارة «نفس الشيء» لابد وأن كلفت ثيفى كثيراً. ولم تكن إلا نوعاً من التطفل غير العادى بالقارئ، لكن ها هو فى قلب الموضوع وأخذ يعدد ما كان يسميه «أول أوليات أعمال عصبة الأمم النموذج»^{١٥}:

(١) النظر (وذلك تقادياً لقول وضع) فى قيمة أو قيم المال فى تداوله الدولى. (٢) تحديد يوميات العمال وكذا رواتب الموظفين ... إلخ (٣) تحديد القيم لصالح ما هو دولى (إعطاء أو وضع لكل سلعة قابلة للبيع وإعطاء الأشياء الأخرى قيمة وجدارة: كم من الأسلحة يجب أن تتوفر لدى أمة. وكم طفلاً يجب أن تلدهم المرأة من خلال اتفاق دولى ... إلخ) (٤) ما الذى يجب أن يتلقاه المرء من المعاش عند الوصول إلى سن

129

التقاعد (هـ) وكـم عدد الأطفال الذين يجب أن تـلـدهـم كل امـرأة في العالم (٦) وعن التوزيع العادل للأراضى الدولية ... إلخ

- لماذا ذلك التكرار فى موضوع حرية الحمل والنمو السكانى؟ كان ترافلر يتساءل فعند رقم (3) يفهم الموضوع كقيمة وفى البند الخامس يفهم على أنه قضية محددة تتعلق بأهليه المجتمع. إنها مخالفات ماثرة للفضول تخرق قاعدة التوازى ودقة التعديد المتوالى الذى لا يرحم، والتي قد تشير إلى نوع من القلق والشك فى أن النظام الكلاسيكى لم يكن إلا تضحية بالحقيقة والجمال. لكن ثيفى يتعافى من هذه الرومانسية التى يشمها ترافلر فى سطوره ويعود إلى نوع من التصنيف المتزن:

توزيع أسلحة الحرب:

من المعروف أن كل بلد فى العالم له عدد معين من الكيلومترات المربعة من الأراضى.

وها نحن نقدم مثالا على ذلك:

أ) إذا ما افترضنا أن هناك بلدا مساحته ألف كيلو متر مربع لابد أن يتوفر لديه ألف مدفع. وإذا ما افترضنا أن هناك بلدا مساحته خمسة آلاف كيلو مترا مربعا لابد أن يتوفر لديه خمسة آلاف مدفع ... إلخ

(وفى هذا المقام الذى نرى بوجود مدفع لكل كيلو متر مربع)

ب) والبلد الذى يفترض أن مساحته ألف كيلو متر مربع لابد أن يتوفر لديه ألفى بندقية والبلد الذى يفترض أن مساحته تبلغ خمسة آلاف كيلو متر مربع لابد أن يتوافر لديه عشرة آلاف بندقية إلخ..

(أى أن هناك بندقيتين لكل كيلو متر مربع) إلخ.

هذا المثال يجب أن يندرج على كل البلاد الموجودة: ففرنسا لديها 2 بندقية لكل كيلو متر مربع. وأسبانيا نفس الشئ وبليجيكا نفس الشئ، وروسيا نفس الشئ، والولايات المتحدة نفس الشئ، وأوروغواى نفس الشئ، والصين نفس الشئ. كما يجب أن تتوفر لديها كل أنواع الأسلحة الموجودة أ) الدبابات ب) الرشاشات ج) القنابل المرعبة، والبنادق ... إلخ

(139)

130

أخطار السوستة

أشارت الجريدة الطبية البريطانية British Medical Journal إلى تعرض الأطفال لنوع جديد من الحوادث. وهذه الحوادث سببها السوستة. فبدلاً من الأضرار لرغلاق فتحة البنتلون الأمامية تستخدم السوستة (كتب مارسلنا الطبي) وتكمن المشكلة في أن الفلقة تتعرض للخطر من جراء السوستة، وقد سُجِلت اثنتين من الحالات كما تم إجراء عملية الطهارة في كلتا الحالتين، وذلك لتخليص الأطفال من هذه المتاعب وتزاد حالات وقوع مثل هذا الحادث عندما يذهب الطفل وحده إلى المرحاض. وعند محاولة مساعدته يمكن أن يرتكب الوالدان خطأ متمثلاً في جذب السوستة في اتجاه معاكس، والطفل ليس في وضع يسمح له بالقول في كيفية وقوع الحادث هل كان من جراء سحب السوستة إلى أعلى أم إلى أسفل. وإذا ما تمت طهارة الطفل فإن الخطر أعظم.

وينوه الطبيب أنه إذا ما قمنا بقطع الجزء السفلي من السوستة باستخدام بنسة أو كماشة يمكن فصل كلا طرفي السوستة ببساطة. لكن لابد من وضع بنج موضعي لاستخراج الجزء الذي دخل في الجلد.

جريدة الأوبزيرفر - لندن

(151)

131

- ما رأيك فيما لو دخلنا في التجمع الوطني لرهبان صلاة التصليب
 - بين ذلك وبين الدخول في ميزانية الأمة ...
 - ستكون مشاغلنا كثيرة - قال ترافلر وهو يراقب تنفس أوليفيرا - أتذكر الأمر جيدا، إذ ستكون واجباتنا عبارة عن الصلاة أو الإشارة بعلامات الصليب على الأفراد والأشياء وتلك الأقاليم الغامضة التي يسميها ثيفيرينو تلك الأماكن بالنواصي
 - هذا لابد أن يكون مكانا واحدا - قال أوليفيرا وكأنه يتحدث من بعيد - إنه مكان واحد يا أخي.
 - كما سنشير بعلامة الصليب إلى المزارع وإلى الخطأب الذين أثر عليهم أحد المنافسين ولما كنت أفكر فيه الآن فإن تيفي من أوروجواي.
 - لم يجبه ترافلر بشئ، ونظر إلى أوبيخيرو الذي كان قد دخل وانحنى ليجس نبض الهستيريا الصباحية.
 - قال أوليفيرا باهتمام :
 - على الرهبان أن يحاربوا كل سوء روحي.
 - قال أوبيخيرو لتشجيعه :
 - آه .
- (58)

132

وكما هي العادة فإن هناك من يقوم بشرح شيء ما، فأنا لا أعرف لماذا أنا في المقهى، وفي كل المقاهي، في اليفانت أندكاستيل Elephante and Castel، في دويون باربي Dupont Barbes وفي ساشير Sacher وفي بدروتش Pedrocchi وفي خيخون (مدريد) Giljon وفي الجريك (روما) Greco وفي مقهى بيكس Paix وفي مقهى موزار (فيينا) Mozart وفي فورينا (فينسيا) Florina وفي الكابولاد Capoulade وفي لي دوماجوت Led Deux Magots وفي البار الذي يخرج الكراسي إلى ميدان كولون Calleone وفي مقهى دانتي الواقع على بعد خمسين مترا من مقبرة Escalligeres ويبدو الوجه كأنه قد احترق بدموع القديسة مريم المصرية، وقد وضع في تابوت وردى اللون في المقهى المواجه للوجوديكا Gludeca، برفقة العجائز من أصحاب لقب الماركيز وهم يحسبون الشاي بكل التفاصيل الممكنة وطريقة مطوكة، مع سفراء مزيغين علا التراب وجوهم، في مقهى خانديا Jandilla وفي فلوكاوس Flocaos وفي كلوني Cluny وفي ريشموند Richmand وفي أولو Olmo وفي كلوسيد دي ليلاس closerid de lilas في إستيفان Stephane (الكائن في شارع مالارمييه) وفي مقهى طوكيو (الواقع في شارع شيفيلكوي) Chivilcoy وفي مقهى أوشيا Au chien qui Fume وفي أوبرن كافيه Opem café وفي دوم Dome وفي مقهى دي ثيو بورت Café du Vieux part وفي أي مقهى في أي مكان حيث

نقوم بالضبط طوعية

ومغتربين بأكثر من عزاء عارض بينما تدخل

الرياح في جيوب ناعمة

وواسعة للغاية

هارت كران Hart Crane، dixit. لكن المقاهي هي أكثر من ذلك، فهي الأرض المحايدة للذين لا روح لهم، ومركز العجلة حيث يمكن للمرء أن يبلغ ذاته أقصى سرعة، ويرى نفسه وهو يخرج ويدخل، وكأن به مس، إما بمرافقة النساء، أو سندات مصرفية أو رسائل دكتوراه في نظريات المعرفة، وبينما يقوم بتقليب القهوة في الفنجان الذي ينتقل

132

من فم إلى فم عبر الأيام، يمكن له أن يقوم بمراجعة النفس ومعرفة حصاد العمر وقد أصبح بعيدا عن الأنا الذي دخل المقهى للتو، وبعيدا أيضا عن الأنا الذي سوف يخرج منها في غضون ساعة. يصبح شاهدا على نفسه وقاضيا كذلك، وكاتب سيرته الذاتية بطريقة ساخرة في وقت قصير جدا.

أتذكر الأحلام وأنا في المقهى، فالواحد منها يستدعي الآخر. وها أنا الآن أتذكر أحدها، لكن لا، إنني أتذكر فقط بأئني لا بد وأن حلمت حلما جميلا وشعرت أنني طردت من الحلم في النهاية (أو أنني ذهبت ولكن بالقوة) وبقي الحلم وراء ظهري، كما أنني لا أعرف فيما إذا كان هناك باب أغلق من ورائي أم لا. أميل إلى قبول الاحتمال الأول. وبالفعل يتم الفصل بين الحلم (كاملا وكرويا ومنتهيا) وبين ما هو الآن. لكنني واصلت النوم، أي أنني حلمت أيضا بالطرد والباب الذي أغلق. كانت هناك لحظة يقين رهيبية، تسيطر على تلك اللحظة الانتقالية في الحلم: وهي أنني أعرف أن ذلك الطرد يحمل في طياته النسيان الكامل للشئ العجيب السابق. وأتصور أن الإحساس بالباب المغلق كان ذاك، أي النسيان الفوري والرهيب. لكن المثير هو تذكرى بأئني حلمت أنني صهر الحلم السابق، وأن ذلك الحلم لا بد أن ينسى (فأنا قد خرجت من دائرته المنتهية)

أتصور أن كل ذلك له جذور في فردوسية. وربما كان الفردوس - مثلما يريدونه هناك - نوعا من الإسقاط الأسطوري الشعري للحظات الطيبة التي تعود ما قبل المخاض، والتي لازالت عالقة باللاشعور. وفجأة أشعر بالحركة الرهيبية التي يقوم بها آدم في لوحة للفنان ماساكسيو Masaccio. إنه يغطي وجهه ليحمى ناظره، وما كان له. إنه يحتفظ في تلك الليلة بآخر مشهد من الجنة. ويبكى (فالحركة هي نفسها التي ترافق لحظات البكاء) عندما يدرك أن لا جدوى وأن الإدانة الحقيقية هي ذاك الذي يبدها: نسيان الفردوس، أي البعد الحيواني والسعادة الرخيصة والقدرة من العمل وعرق الجباه والإجازات المدفوعة.

(61)

133

فكر ترافلر بسرعة في أن المهم هو النتائج. ومع ذلك فلماذا الكثير من البراجماتية؟ إنه يتخذ موقفا ظالما من ثيفيرينو ذلك أن نظامه الجيوبولتيكي لم يتم التدريب عليه مثل غيره من الأنظمة المتهورة (وعلى ذلك يجب الاعتراف بأنها لا تخرج عن كونها وعدا) بقى ثيغى رابط الجأش على أرض التنظير ثم دخل بشكل شبه فوري في بيان فعلى قوى

عمال اليومية فى العالم:

طبقا لعصبة الأمم سوف يكون أو يجب، فيما إذا كان هناك عامل فرنسى على سبيل المثال يعمل حدادا ويكسب دخلا يوميا قدره ثمانية دولارات أمريكية كحد أدنى وعشرة دولارات كحد أقصى، إذن لابد أن يكسب الحداد الإيطالى بنفس الدرجة أى بين ثمانى وعشرة دولارات فى اليوم الواحد وأكثر من هذا: فإذا ما كان الحداد الإيطالى يكسب ما سبقت الإشارة إليه أى بين ثمانى وعشرة دولارات يوميا. وأكثر: إذا ما كان حداد أسباني يكسب بين ثمانية وعشرة دولارات يوميا فإن الحداد الروسى لابد أن يكسب بين ثمانية وعشرة دولارات يوميا إلخ وأكثر: إذا ما كان الحداد الروسى يكسب بين ثمانية وعشرة دولارات يوميا؛ فإن الحداد الأمريكى يجب أن يكسب بين ثمانية وعشرة دولارات ... إلخ

- ما هو السبب فى هذه الـ «إلى أخره» - تحدث ترافلر مع نفسه - وأن ثيفيرينو يتوقف فى لحظة معينة ويختار «إلى أخره»، وهى عبارة مؤلمة بالنسبة له؟ التعب من التكرار لا يمكن أن يكون التفسير الوحيد، فمن البديهي أنه سعيد بالتكرار (فبالأسلوب ينطق به) الأمر إذن هو أن «إلخ» تدخل بعض الحنين على ثيفيرينو، الرجل الكونى الذى يضطر إلى استخدام عبارته تأثير الغيظ. فالمسكين ينتقم من ذلك بأن يضيف المزيد إلى قائمة الحدادين:

(وفى هذا المقام يمكن أن تتضمن كل البلاد على التوالى أو على الأصح جميع الحدادين فى كل البلاد).

«عموما» فكر ترافلر، وهو يتناول كأسا آخر من الكانيا وقد قلل من تركيزها بإضافة الصودا «من الغريب أن ناليتا لم تعد» لابد من الذهاب للبحث عنها. كان يشعر

133

بالأسف للخروج من عالم ثيفيرينو وقد تكامل وخاصة عندما أخذ ثيفي يعدد الخمس وأربعين مجلسا وطنيا التي يجب أن تكون أساس بلد نموذج.

(١) المجلس الوطني لوزارة الداخلية (يتضمن كل الأفرع والموظفين الذين يعملون لدى وزارة الداخلية) (العمل على إقرار النظام والهدوء .. إلخ) (٢) المجلس الوطني لوزارة المالية (يتضمن الأفرع والموظفين الذين يعملون لدى وزارة المالية) (العمل على الإشراف وعلى الحماية لكل المال (كل الممتلكات) في إطار الأراضي التابعة للوطن... إلخ) (٣)

وهكذا يعدد المجالس الوطنية حتى رقم 45 لكن تبرز من بينها أرقام 5، 10، 11، 12:

هـ) المجلس الوطني لوزارة الخطوة المدنية (يتضمن كل الأفرع والموظفين الذين يعملون لدى وزارة الخطوة المدنية). (التعليمات والبيان، وحب الغير، والرقابة، والسجلات (كتاب...)) والصحة، والتربية الجنسية.. إلخ) (الإدارة أو الرقابة والسجلات (محامي...)) وعليه أن يحل محل «محاكم التحقيقات» والمحاكم المدنية» و«مجلس الطفل» وقاضى الأحداث» و«السجلات»: المواليذ والوفيات .. إلخ) (يجب أن يتضمن الإشراف كل ما يتعلق بالخطوة المدنية: العلاقات الزوجية والآباء والأبناء والجيران ومحل الإقامة والفرد، والفرد صاحب السلوك الحسن أو السلوك غير الحسن والفرد الذي لا يتصرف باحترام للمشاعر العامة والفرد الذي يعاني من الأمراض، والمسكن (الأسرة و) والشخص غير المرغوب فيه ورئيس الأسرة والطفل والحدث والخطيب والعاشق... إلخ.....

(١٠) المجلس الوطني للإقامة (كل المقار الريفية الخاصة بما تلده الحيوانات وكل الموظفين الذين تضمهم المباني المذكورة) (نتاج الحيوانات الكبيرة مثل الثيران والخيل والنعام والغيلة والجمال والزراف والحيتان .. إلخ)

(١١) المجلس الوطني للمزارع (كل المزارع التي تنتج المحاصيل أو البرك الضخمة وكل الموظفين الذين تضمهم المباني). (زراعة كل أنواع المحاصيل ما عدا الخضروات وأشجار الفاكهة).

133

١٢) المجلس الوطنى لمزارع تربية الماشية (كل المقار الخاصة بالمواشى صغيرة السن، وكل الموظفين الذين يعملون فى دائرتها) (المواشى الصغيرة، أو صغار الحيوانات غير كبيرة الحجم الخنازير والخراف والماعز والكلاب والفهود والأسود والقطط والأرانب والدجاج والبط والنحل والأسماك والفراشات والفئران والحشرات والميكروبات .. إلخ)

هذا التلهى أنسى ترافلر الوقت وكيف أن محتوى الزجاجة أخذ يتناقص، بدت المشاكل أمامة كمداعبات: لماذا يستثنى الخضروات وأشجار الفاكهة؟ لماذا كان شكل كلمة «نحلة» فيه نوع من الشيطانية؟ كذلك تلك الرؤية الفردوسية التى تصف بركة يعيش حولها الماعز إلى جوار الفهود والفئران والفراشات، والأسود والميكروبات أخذ يضحك مستغرقا وخرج إلى الطرقة، إن المشهد يكاد يلمس وهو يتمثل فى مقر حيث - نجد - كل - الموظفين - يتناقشون فى محاولة تربية حوت هذه الصورة تتغلب على الصورة الفقيرة للطريقة أثناء الليل، لقد كان هذيانا جديرا بالمكان والزمان، وبدا أنه من البلاهة التساؤل ما الذى تفعله تاليتا فى الصيدلية أو الحوش فى الوقت الذى تتوالى فيه المجالس الوطنية وكأنها صف من اللهب المضاء.

٢٥) المجلس الوطنى للمستشفيات والمباني المشابهة (كل المستشفيات بجميع أنواعها، وورش الإصلاح، وأماكن دبغ الجلود ومراكز علاج الخيل وعيادات الأسنان ومحلات الحلاقة ومحلات تقليم النباتات، ومراكز علاج المطفات المعقدة... إلخ، وكذا كل الموظفين الذين يعملون داخل نفس الدائرة.

- ها هو - قال ترافلر - ها هو البرهان الذى يؤكد صحة ثيفيرينو، كان أوراثيرو على حق فلا يجب أن تقبل الأنظمة كما يلقى بها إلينا بابا، كان ثيفى يرى أن إصلاح أى شئ يستلزم قيام طبيب الأسنان يتولى شئون الملفات المعقدة.. إن الحوادث لها نفس أهمية الجوهر لكنها هى الشعور نفسه يا أخى، يقوم ثيفى بكسر القشرة العقلية الصلبة كما قال أحد لست أدري من هو، ثم يبدأ فى رؤية العالم من منظور مختلف . ومن الواضح أن هذا هو ما يطلق عليه أنه ثمل.

عندما دخلت تاليتا كان يقرأ عن المجلس الوطنى رقم (28):

133

٢٨) المجلس الوطنى للمخبرين العلميين الجوالين، وكذا المراكز العلمية (يشمل كافة أماكن المخبرين و (أو) بوليس التحقيقات، وكافة أماكن من يقومون بالتقصي وكافة الأماكن الخاصة بمن يقومون بالتقصي وكافة الموظفين الذين يعملون فى نفس الدائرة). كل الموظفين المشار إليهم يجب أن ينسبوا إلى طبقة تسمى «الجوال»

هذا الجزء لم يرق كثيرا لتاليتا وترافلر، إذ يبدو أن ثيفيرينو يتخطى سريعا عن قلق يطارده. وربما لم يكن المخبرون العلميون مجرد أناس يقومون بالتحريات، فصفا «الجوال» تضيف عليهم جوا من الكيخوتية، ولم يجد ثيفي أى حرج من التأكيد عليه.

٢٩) المجلس الوطنى للمخبرين العلميين المتخصصين فى كل ما يتعلق بالالتماسات وكل الدوائر العلمية التابعة (تشمل كافة أماكن المخبرين و (أو) بوليس التحريات وكافة أماكن من يقومون بالتحري و كافة الموظفين الذين يعملون فى الدائرة). (يجب أن ينسب كل هؤلاء الموظفين إلى طبقة تسمى «التماس» ويجب أن تعامل الأماكن والموظفين المتخصصين معاملة خاصة تختلف عن باقى الطبقات مثل الطبقة المسماة «الجولة»

٣٠) المجلس الوطنى للمخبرين العلميين فى مجال التقليم لهدف معين وكذا المراكز العلمية (يشمل كل أماكن المخبرين و (أو) بوليس التحريات وكافة أماكن من يقومون بالتقصي وكل الموظفين الذين يعملون فى نفس الدائرة). (وكل هؤلاء الموظفين المذكورين يجب أن ينتسبوا إلى طائفة يطلق عليها «التقليم» ويجب أن يكون هؤلاء والأماكن التابعة لهم على درجة مختلفة أى على نفس شاكلة «الجولة» و«الالتماس»

يبدو وكأنه يتحدث عن قواعد للفروسية - قالت تاليتا بلهجة فيها اقتناع - لكن الغريب فى هذه المجالس الثلاثة الخاصة بالمخبرين هو أنه لا يذكر إلا الأماكن.

- هذا من جانب ومن جانب آخر ما معنى مقولة «تعليم لغرض»؟

- لابد أنها كلمة واحدة «قريب» لكنه لا يحمل المشكلة. لا أهمية لذلك.

- ماذا يهم - كرر ترافلر - أنت على حق. الشئ الجميل هو وجود عالم فيه مخبرين جوالين و«التماس» و«تقليم». ولهذا يبدو لى طبيعيا أن ثيفي ينتقل الآن من الفروسية

133

إلى الطوائف الدينية، مع وقفة تعتبر تنازلاً للروح العلمية (لابد وأن يوضع لها اسماً) لهذه الأزمان. اقرأ عليك.

٣١) المجلس الوطنى للمتخصصين فى العلوم الخاصة بما هو أمثل، وكذلك دور العلم (كل الدور وأماكن طائفة هؤلاء المتخصصين وكل المتخصصين أنفسهم). المتخصصون فيما هو أمثل: الأطباء والأطباء الشعبيين (كل جراح) والمولدات والفنيين والميكانيكيين (كافة أنواع الميكانيكيين) والمهندسين من الدرجة الثانية أو المعمارين فى كافة الأفرع (كل من يقوم بتنفيذ رسم وضع، وصمم مسبقاً مثل المهندسين من الدرجة الثانية) ومن يقومون بعمليات التصنيف، وعلماء الفلك والنجوم والعراقين والأساتذة فى كل فروع القانون أو القوانين (كل من هو فنى) والقائمين بالتصنيف لأنواع عامة، والمحاسبين والمترجمين ومدرسى المدارس الابتدائية (وكل مؤلف) والباحثين - من الرجال - عن السفاحين، والحنكيين أو المرشدين ومن يقومون بتطعيم النباتات والحقاقين. إلخ.

- ماذا أنت قائله ! - قال ترافلر وهو يشرب كأس كانيا دفعة واحدة - إنه عبقرى!
- قد يكون بلداً مناسباً للحلاقين - قالت تاليتا وهى تتمدد فى السرير وتغمض عينيها، يالها من قفزة على السلم. وما لا أفهمه هو أن الباحثين عن السفاحين لابد أن يكونوا رجالاً.

- لم يسمع أحد من قبل عن امرأة تقتفى أثر السفاحين - قال ترافلر - وربما بدا الأمر غير لائق فى نظر ثيغى. وربما أدرك أنه فيما يتعلق بالجنس فإنه شديد الحذقة. وهذا ما لاحظته طوال الوقت.

- قالت تاليتا :

- الجو حار، حار جداً، هل لاحظت متعته وهو يضم القائمين بالتصنيف لدرجة أنه يكرر الاسم؟ حسن، لئلا الفقرة الصوفية التى ستقرأها على

- قال ترافلر :

- عليك أن تجهز .

٣٢) المجلس الوطنى للرهبان المتخصصين فى صلاة التصلب ودور علومهم (كل المنازل الخاصة بطائفة الرهبان وكل الرهبان)، (الرهبان أو الرجال الذين يقومون

133

بالتصليب الذين يجب أن ينسبوا إلى عالم الكلمة والألفاظ العلاجية وإنهاء تلك).
(يضم الرهبان الذين يجب أن يحاربوا كل ما يدنس الروح ويحاربوا كل أذى مكتسب أو موضوع فى المال أو الجسد... إلخ)
(٣٣) المجلس الوطنى للمتعبدين الذين يحفظون المجموعات وكذا دار الحفظ (كل دور الحفظ ومثيلاتها - المستودعات والمخازن والأرشيف والمتاحف والمقابر والسجون والملاجئ ومعاهد العميان ... إلخ. وكذلك كافة الموظفين الذين يعملون فى تلك الأماكن).
(والمجموعات نذكر فيها أمثلة : الأرشيف يحفظ الملفات فى مجموعة، والمقابر تحفظ الجثث فى مجموعة، والسجن يحفظ السجناء فى مجموعة ... إلخ).

لم يخطر موضوع المقابر على بال إسبرونثيلا^(١) Espronceda - قال ترافلر - لن ترفضى أن المقارنة بين تشاكاريتا والأرشيف ... إن ثيفيرينو يخمن العلاقات وهذا هو الذكاء فى حقيقة الأمر. أليس كذلك؟ إن بعد مقارنات واستهلال مثل هذا فإن تصنيفه النهائى ليس فيه ما يثير الغرابة، بل على العكس، يجب أن نتدرب على عالم هكذا لم تقل تاليتا شيئاً، لكنها رفعت شفقتها العليا وتنهدت تنهيدة آتية مما يسمى بالنعاس الأول، تناول ترافلر كأساً آخر ثم أخذ يقرأ عن المجالس الأخيرة والنهائية.

(٤٠) المجلس الوطنى للأعضاء المتخصصين فى الأنواع الملونة للون الأحمر وكذا بيوت العمل النشط الموالى للألوان الحمراء. (كافة منازل الأعضاء المتخصصين فى الأنواع العامة للألوان الحمراء أو المكاتب الكبرى لهؤلاء المتخصصين) (الأنواع العامة للألوان الحمراء: الحيوانات ذات الجلد الملون للون الأحمر، والنباتات ذات الألوان الحمراء والمعادن التى تشبه اللون الأحمر)

(٤١) المجلس الوطنى للأعضاء المتخصصين فى الأنواع الملونة للون الأسود وكذا بيوت العمل النشط الموالى للألوان السوداء (كافة منازل الأعضاء المتخصصين فى الأنواع العامة للألوان السوداء أو المكاتب الكبرى لهؤلاء المتخصصين) (الأنواع العامة للألوان السوداء: الحيوانات ذات الجلد الأسود والنباتات ذات الزهور السوداء والمعادن ذات اللون الأسود).

133

٤٢) المجلس الوطنى للأعضاء المتخصصين فى الأنواع الملونة باللون القاتم وكذا بيوت العمل النشطة الموالية للون القاتم (كافة منزل الأعضاء المتخصصين فى الأنواع العامة للألوان القاتمة أو المكاتب الكبرى لهؤلاء المتخصصين). (الأنواع العامة للألوان القاتمة أو اللون القاتم ببساطة: الحيوانات ذات الجلد القاتم اللون والنباتات ذات الزهور القاتمة والمعادن).

٤٣) المجلس الوطنى للأعضاء المتخصصين فى الأنواع الملونة باللون الأصفر وكذا بيوت العمل النشطة الموالية للون الأصفر (كافة منازل الأعضاء المتخصصين فى الأنواع العامة للألوان الصفراء أو المكاتب الكبرى لهؤلاء المتخصصين). (الأنواع العامة للألوان الصفراء أو ببساطة اللون الأصفر: الحيوانات ذات الجلد الأصفر والنباتات ذات الزهور الصفراء والمعادن ذات اللون الأصفر).

٤٤) المجلس الوطنى للأعضاء المتخصصين فى الأنواع الملونة باللون الأبيض وكذا بيوت العمل النشطة الموالية للون الأبيض (كافة منازل الأعضاء المتخصصين فى الأنواع العامة للألوان البيضاء أو المكاتب الكبرى لهؤلاء المتخصصين). (الأنواع العامة للألوان البيضاء أو ببساطة اللون الأبيض: الحيوانات ذات الجلد الأبيض والنباتات ذات الزهور بيضاء والمعادن ذات اللون الأبيض).

٤٥) المجلس الوطنى للأعضاء المتخصصين فى الأنواع الملونة باللون البامبا كذا بيوت العمل النشطة الموالية للون البمبى (كافة منازل الأعضاء المتخصصين فى الأنواع العامة للون البمبى أو المكاتب الكبرى لهؤلاء المتخصصين). (الأنواع العامة للون البمبى أو اللون البمبى ببساطة الحيوانات ذات الجلد البمبى والنباتات ذات الزهور البامبا المعادن اللون البامبا)

إنه كسر الغلالة العقلية الصلبة كيف يرى ثيفيرينو مآكته؟ ما هو الواقع غير العادى (أم لا) الذى يوضح أمامه مشاهد نجد فيها الدب القطبى يتحرك فى مسرح ضخم مصنوع من الرخام ومحاطا بياسمين الكابو؟ أو يتصور غربانا تعيش فى مناجم الفحم وهى تمسك فى منقارها بزهرة توليبان سوداء اللون ولماذا «ملون باللون

133

الأسود» و«ملون باللون الأبيض»؟ ولماذا ملون باللون الأصفر، أو الأصفر ببساطة؟ ما هي تلك الألوان التي لا يمكن لزاير الماريجوانا والهوكسييلانا أن يفسر معناها؟ إن ملاحظات ثيغرينو تفيد في أن يزداد المرء تيهًا (نعم كان ذلك مجدياً) ولن يذهب بعيداً بذلك، وعلى أى الأحوال:

ففيما يتعلق باللون البمبا: هو كل لون متعدد أو أنه مكون من لونين أو أكثر.

كما أن هناك توضيحاً ضرورياً وشيكاً:

فيما يتعلق بالأعضاء المتخصصين في الأنواع العامة، والذين أشرنا إليهم: لابد وأن يكون الأعضاء حكماً، وبذلك لا يختلف من الدنيا أى نوع من الأنواع العامة. كما أن الأنواع العامة لا تختلط ملامح كل واحدة منها بالأخرى، أو بأى سلالة أخرى، أو أى لون من نوع لون آخر... إلخ

إنه يتوخى النقاء والعنصرية! إنه عالم من الألوان النقية لمونديان على وشك الانفجار! إن ثيغرينو بيريث هو رجل خطير ويمكن أن يرشح لمنصب عضو برلمان أو ربما رئيساً! إنه على أهبة الاستعداد! وليتناول كأساً آخر قبل أن يخلد للنوم بينما يترك ثيفى غارقاً في الألوان، ويهب نفسه آخر قصيدة، وكان هناك كوادى Cuado^(٧) Ensor ينفجر فيه كل ما هو قابل للانفجار، من مادة الأتعة والأقنعة المضادة. وفجأة يدلف ما هو عسكري إلى نظامه، وكان يجب أن نرى المعالجة التي تجمع بين اللاتينية المخلوطة بالعامية والكرزية، التي يخبئها له الفيلسوف ابن أوراجواى أو:-

فيما يتعلق بالعمل المعلن عنه «نوسلام العالم» فهو يتضمن شرحاً وأقياً عن العسكرية أما نحن الآن فسوف نتحدث بإيجاز عن المفهوم أو المفاهيم التالية بشأن العسكرية: الحرس (من النوع المتربوليتان) بالنسبة للعسكريين المولودين في برج الجدى؛ النقابات الخاصة بمناهضة الحكم الرئيسى للعسكريين المولودين في برج الثور؛ فإن إدارة الحفلات والاجتماعات والإشراف عليها (مثل الرقص والاجتماعات في

133

سهرات وحفلات الخطوبة: أى المزاوجة... إلخ) بالنسبة للعسكريين المولودين فى برج الجوزاء؛ والطيران (العسكرى) للعسكريين المولودين فى برج السرطان. والريشة الموالية للحكومة الرئيسية (الصحافة العسكرية والسحر السياسى لصالح الحكومة الرئيسية والوطنية) للعسكريين المولودين فى برج الأسد والمدفعية (الأسلحة الثقيلة والقنابل) للعسكريين المولودين فى برج العذراء. والإشراف والتمثيل العملى فى الاحتفالات العامة أو الخاصة (استخدام العسكريين للأقنعة المناسبة فى لحظات التجسد أى فى العروض العسكرية أو عروض الكرنفال أو الاحتفالات الكرنفالية، أو الاحتفالات بالحصاد... إلخ) للعسكريين المولودين فى برج العقرب. أما سلاح الفرسان (الفرسان العام والفرسان المحمول مع مشاركة حاملى البنادق، أو الرماة أو حاملى السلاح الأبيض: الحالة الشائعة: «الحرس الجمهورى»... إلخ) لواء العسكريين الذين ولدوا فى برج الجدى. وعامة العسكريين من الذين يؤدون الأعمال المختلفة (المراسلة والسعاة والأطفاء وحاملى الرسائل وخدم ما هو عملى ... إلخ) لهؤلاء العسكريين الذين ولدوا فى برج الدلو.

هــ ترافلر تاليتا التى استيقظت مغتاطة، وقرأ عليها الجزء الخاص بالعسكرية، وكان عليهما أن يضعا رأسيهما تحت المخذة حتى لا يوقظا من فى العيادة بأصواتهما. لكنهما إتفقاقيل ذلك، على أن أغلب العسكريين الأرجنتيين هم من الذين ولدوا فى برج الثور. كان الكحول قد أخذ برأس ترافلر، لدرجة أنه أعلن أنه على استعداد ليستأنف ضد وضعه ككنايب ضابط فى الاحتياطى، وذلك حتى يتمكن من استخدام الأقنعة المناسبة من قبل العسكريين.

- سوف ننظم حفلات كبرى فى مواسم الحصاد - يقول ترافلر وهويخرج رأسه من تحت المخذة ويعود إلى الوضع السابق، بعد أن ينتهى من العبارة - وسوف تأتين مع كل بنات جلدتك من السلالة البمبا، فلاشك إذن أنك من السلالة البمبا أى أن ك لونين أو أكثر.

- قالت تاليتا :

- أنا بيضاء ومن المؤسف أنك لم تولد فى برج الجدى، إذ كان يروق لى أن تكون من حاملى السيوف، أو مراسلة أو ساعى.

- المراسلة هم من برج الدلو. وأوراثيو من برج السرطان أليس كذلك.
- الطيران هو، بتواضع، من نصيبه، وليس أمامنا إلا أن نتخيله وهو يقوم بتكوير

133

«بانج - بانج». وعمله بالونات منه وفرقتها في محل الحلوى «أجيلا» Aguilu عند تناول الشاي مع الحلوى. إنه لأمر مزعج.

أطفأت تاليتا النور، واحتضنت بعض الشيء، ترافلز الذي كان يتصب عرقا ويتلوى وقد التف ببعض الأبراج والمجالس الوطنية للأعضاء المتخصصين والمعادن ذات اللون الأصفر.

- لقد رأى أوراثيو لاماجا هذه الليلة - قالت تاليتا - رآها في الحوش منذ ساعتين عندما كنت تقوم بالحراسة.

- قال ترافلز وهو يتمطى ويحاول البحث عن السجائر مستخدما طريقة برايل. ثم عقب بعبارة غامضة استقاهها من آخر ما قرأ.

- قالت تاليتا وهي تزيد احتضانها لترافلز :

- كنت أنا لاماجا لست أدري فيما إذا كنت قد أخذت بالك.

- نعم، أعتقد ذلك.

- كان لابد وأن يحدث ذات يوم. الأمر الذي أستغربه هو أنه شعر بمفاجأة ما بعدها مفاجأة، لهذا اللبس

- تعرف أن أوراثيو يخلق المتاعب ثم ينظر إليها مثلما ينظر الكلاب الصغار إلى روثهم، ويطلقون النظر إليه باستغراب شديد

- أعتقد أن ذلك حدث في نفس اليوم الذي ذهبنا فيه لاستقباله في الميناء - قالت

تاليتا - لا يمكن تفسير ذلك لأنه لم ينظر إلى. كما قمتما بطردى وكأني كلب، وأنا أحمل القط تحت إبطي. تفوه ترافلز بشئ غير واضح.

- لقد خلط بيني وبين لاماجا.

- أصرت تاليتا :

كان ترافلز يسمعها وهي تتحدث وتشير - مثل باقي النساء - إلى الشؤم، وحمية الأمور التي لا مناص منها. كم كان يود لم أنها سككت، لكن تاليتا كانت تصر على الكلام بالحاح غريب وتزيد من التصاقها به، وتصر على مواصلة الكلام بأن تتحدث عن نفسها وأن تحكي له، فانساق ترافلز وراءها.

- أول شئ هو مجيء العجوز صاحب الحمامة. وبعد ذلك نزلنا إلى البديروم. كان أوراثيو يتحدث طوال الوقت عن الهبوط وعن تلك الفجوات التي تقلقه. كان فاقدا الأمل يا مانو. كان أمرا مخيفا ما عليه من هدوء ظاهري وأثناء ذلك... نزلنا بالمصعد وذهب

133

هو ليغلق باب إحدى الثلاثات. كان شيئا فظيعا.

- قال ترافلر :

- أى أنك نزلت، هذا جيد.

- قالت تاليتا :

- كان مختلفا لم يكن الأمر مثل النزول. كنا نتحدث، لكننى شعرت وكأن أوراثيرو

أصبح فى مكان آخر، يتحدث مع واحدة أخرى، مع امرأة غريبة على سبيل المثال:

يخطر لى الآن ذلك. ومع ذلك لم يقل حتى ذلك الحين أن لاما جا غرقت فى النهر

- قال ترافلر :

- لم تغرق فى أى شئ أقول هذا، ورغم ذلك أقبل بأتنى ليست لدى أدنى فكرة.

يكفى أن أعرف أوراثيرو

- إنه يظن أنها ميتة يا مانو. وفى الوقت نفسه يشعر بأنها قريبة منه. وهذه الليلة

كنت أنا هى. قال لى بأنه رآها أيضا فى المركب، وتحت الكوبرى طريق سان مارتين

إنه لا يقول ذلك وكأنه يتحدث عن هذيان، كما لا يبغى من وراء ذلك أن يجعلك تصدق ما

يقول، إنه يقول ليس إلا، وهذا حقيقى، فأخذ ينظر إلى، وكانت النظرة موجهة إلى

الأخرى. فأنا لست zambie لأى أحد يا مانو. ولا أريد أن أكونه.

مسح ترافلر على شعرها لكن تاليتا منعتة وقد فرغ صبرها. جلست فى السرير

شعر بها وهى ترتعد، إنها ترتعد وسط هذا الحر. قالت له إن أوراثيرو قبلها، وحاولت

شرح القبلة. ولم تجد الكلمات المناسبة. أخذت تلمس ترافلر فى الظلام سقطت يداها،

وكأنهما خرقتان، على وجهه وذراعيه ثم انزلتتا على صدره واتكأتا على ركبتيه ومن

خلال ذلك ولد شئ كأنه تفسير لم يكن بوسع ترافلر رفضه. إنه نوع من العدوى يأتى

من بعيد، أى من مكان سحيق، أو من أعلى مكان، أو من أى مكان آخر، ليس هذه

الليلة أو تلك الحجرة. إنها عدوى من خلال تاليتا، وهى عدوى تملك عليها لبها. إنها نوع

من التلثم وكأنه كلمات لا تترجم. إنه الشك فى أن المرء كان أمام شئ يمكن أن يكون

بمثابة بيان. لكن الصوت الذى يأتى به كان واهنا. وعندما نطق بالبيان أخذ يتحدث

بلغة غير مفهومة. ومع ذلك فهو الشئ الوحيد الضرورى الذى فى متناول اليد. وهو

الذى يطالب بمعرفته وقبوله وهو يصارع ضد حائط إسفنجى، أو مصنوع من الدخان

والغلين. لا يمكن القبض عليه باليد مع أنه يقدم نفسه بين الزراعين عريانا، غير أنه

كماء يجرى وسط الدموع «إنها القشرة العقلية الصلبة». بلغ التفكير بترافلر إلى هذا

133

الحدّ. كان يسمع، بطريقة غامضة، شيئاً عن الخوف، وأوراثير، والمصدع والحمامة. رويدا رويدا بدأ يصل إلى مسامعه نظام اتصال. أى أن المسكين التعس كان يخشى على نفسه من قيام ترافلر بقتله. إنه لأمر مضحك.

- هل قال لك ذلك بالفعل؟ من الصعب تصديق ذلك، فأنت تعرفين مدى كبريائه.
- إنه شيء آخر - قالت تاليتا وهى تأخذ منه السيجارة وتأخذ نفسها عميقا ويشراهة كبطلات السينما. أعتقد أن الخوف الذى يشعر به هو الملاذ الأخير وهو القضيبي الذى تمسك به يداه قبل أن يلقي بنفسه. إنه يشعر بسعادة غامرة لشعوره بالخوف هذه الليلة. أعرف أنه سعيد.

- قال ترافلر وهو يتنفس - راقدا :

- ذلك الأمر قد لا تفهمه كوكا. تأكدي من ذلك وعلى أن أكون شديد التفهم للموقف هذه الليلة. فالخوف السعيد هو خوف عسر البلع يا عجوز.

انزلت تاليتا بعض الشيء على السرير واستندت على ترافلر. كانت تعرف أنه عاد من جديد إلى الجانب الذى هى فيه وأنه لم يغرق وأنه أمسك بها على سطح المياه. كان هذا مؤسفا في جوهر الأمر، لكنه أسف رائع. شعر كلاهما بالأسف في لحظة واحدة وإستلقيا كل في اتجاه الآخر وكأنهما يسقطان داخل نفسيهما، على الأرض المشتركة حيث الكلمات واللمسات والأفواه تتولى مهمة لفهما مثل محيط الدائرة. إنه هذا النوع من الاستعارات التى تهدئ الروح. إنه ذلك الحزن القديم الذى يشعر بالرضا لأنه عاد إلى ما كان عليه يوما، واستمر وحافظ على نفسه طافيا يعاند الرياح والمد ويقف ضد الاستغاثة والسقوط.

(-140)

134

حديقة الزهور

يجب أن تعرف أن الحديقة التي يتم تخطيطها بشكل دقيق على طريقة «الحقائق على الطريقة الفرنسية» والمكون من أحواض ومجاري وأحواض زهور مرتبة ترتيباً هندسياً، كل هذا يتطلب الكثير من العناية.

عكس هذا يحدث للحقائق على الطريقة «الإنجليزية» فإن فشل الهاوى يمكن مداراته بسهولة. فالعناصر الرئيسية المكونة للديكورات العملية تتمثل في بعض الشجيرات وساحة من النجيلة ومنصة واحدة للزهور المختلفة والمميزة عن بعضها البعض موضوعة إلى جوار حائط أو سياج.

وإذا ما حدث، لسوء الحظ، أن كانت هناك بعض الوحدات التي لم تؤد إلى النتيجة المرجوة، فسوف يكون من السهل تغييرها من خلال زرع أخرى، ومع هذا لن يلاحظ وجود عيب، أو إهمال في المنظر العام، فالزهور الأخرى تم إعدادها لتكون على شكل بقع تختلف ألوانها وارتفاعاتها وكلها تمثل في مجموعها شكلاً مرضياً للنظر.

هذه الطريقة في الزراعة التي تسود في إنجلترا والولايات المتحدة يطلق عليها «الأحواض المشتركة». وبذلك تختلط الزهور وتتشابك وكأنها نمت بطريقة طبيعية، وبواثر أو مربعات، فطابعها يتسم بأن به تصنع بوتطلب الكمال المطلق.

ولهذه الأسباب العملية والجمالية ننصح باستخدام الجنائني الهاوى الأحواض المشتركة.

Almanaque Hachette

(-25)

135

- إنها لذيذة قالت جيكربيتين - فلقد أكلت منها اثنتين وأنا أقليهما - إنها ناعمة كالرغوة.
- قال أوليفيرا :
- اغدى لى شايا آخر مرًا يا عجوز.
- حالا يا حبيبى. انتظر حتى أضع لك الكمادة الباردة
- شكرا. من الغريب جدا تناول الكعك المقلّى والعينين معصويتين. يجب أن يتم تمرين الرجال الذين سوف يقومون باكتشاف الكون.
- هل هم الذين يطهرون صوب القمر فى تلك الأجهزة؟ إنهم يضعونهم فى كبسولة أو شئ من هذا القبيل. حقا؟
- نعم ويقدمون لهم كعكا مقلّيا مع الشاى.

(63)

136

هوس موريلي بالتوثيق:

«سوف يكلفني جهد القيام بشرح قصائد، ورفض الشعر، كل ذلك في كتاب واحد،

يخص يوميات ميت وملاحظات أسقف صديق..»

جورج باتيل Geroges Bataille

(-12)

137

موريليات

إذا ما كان حجم العمل أو إيقاعه يقودنا إلى الظن بأن المؤلف بذل قصارى جهده
فى الجمع، فيجب التعجيل لتبيان أنه أمام المحاولة المضادة، وهى الخاصة بالطرح الذى
لا يرحم.

(-17)

551

138

أحيانا ما يخطر ببالنا، أنا ولاماجا، أن ننبش الذكريات. ومدعاة هذا بسيطة جدا، مثل تعكر المزاج في إحدى الأمسيات، أو الكدر الذي قد يحدث إذا ما أخذ كل منا يحق في عين الآخر.. وريدا رويدا، وبعد حوار لا أهمية له تواتينا الذكريات. إنهما عالمان مختلفان ومتباعدان وغير متلاقين في معظم الأحوال. هذان العالمان يدخلان في كلماتنا ومن هنا تولد السخرية فهما مشتركان. وعادة ما أبدأ أنا، إذ أتذكر بامتعاض تقديري الأعمى للأصدقاء وللوفاء الذي يساء فهمه، والرد عليه بالنكران، وعن الرايات التي نذهب بها بتواضع إلى أى حفل سياسى، والحوارات الثقافية والحب المتأجج. إننى أضحك على نزاهة مشبوهة كانت سببا في تعاسة لى أو لغيرى، بينما تقوم الخيانة واللانزاهة بنسج خيوطها العنكبوتية تحت السطح دون أن تجد عائقا، وتسمع هكذا وببساطة، أن يتقدمنى آخرون سواء كانوا خونة أو غير شرفاء، دون أن أتمكن أنا من فعل شئ لأمنعه. وبذلك يكون الخطأ أكثر فداحة. أنا أسخر من أعمامى من ذوى النية الصادقة والذين وضُّعوا فى القوانين حتى العنق، ورغم ذلك فالرقبة لازالت قوية وطاره. قد يسقطون على ظهورهم إذا ما عرفوا أنهم يعومون وهم يتشايون، البعض منهم مقتنع بـ توكونمان Tucuman والبعض الآخر بالتاسع من يوليو، وأنهم نموذج للأرجنتينية الطاهرة (إنها الكلمات التي يستخدمونها). ومع هذا أحمل لهم ذكرى طيبة. ومع ذلك أدرس هذه الذكرى عندما يحدث خلاف بينى وبين لاماجا فى باريس ويسوء كل منا أن يلحق الأذى بالآخر.

وعندما تتوقف لاماجا عن الضحك لتسألنى السبب فى قول تلك الأشياء عن أعمامى، أود لو أنهم هناك يسمعون ما أقول وهم وراء الباب، مثل ذلك العجوز الذى يسكن الدور الخامس. أقوم بتجهيز الرد بعناية، فأنا لا أريد أن أكون غير عادل أو مبالغاً، وأريد أيضا أن تفيد لاماجا من الأمر، فهى لم تكن فى يوم من الأيام قادرة على فهم القضايا الأخلاقية (مثل إيتين، لكن بطريقة أقل أنانية، وذلك لأنها تعتقد أن المسؤولية تتعلق بالحاضر، أى فى نفس اللحظة التي يتحتم على المرء أن يكون طيبا أو نبيلاً، أى أنها أسباب تتعلق بالمتعة والأنانية تماثل فى جوهرها الأسباب التي عليها إيتين)

عندئذ أشرح لها قائلا بأن هذين العميين هما أرجنتينيان كاملان ونزيهان طبقا للمفاهيم السائدة عام 1915 وهى القمة الهرمية لحياتهما بين الزرع والضرع والمكاتب

138

الإدارية. وعندما يجرى الحديث عن هذين « Criollos من الزمن الماضى » يجرى الحديث عن مناهضة السامية والانفصام فى الشخصية والبرجوازيين الذين يعيشون حالة الحنين إلى الماضى وإلى الصينيات وهن يقمن بإعداد الشائى مقابل عشرة بيزو شهريا. ويدخلهم الشعور الوطنى، فى أرقى صورة الزرقاء والبيضاء، والاحترام الشديد لكل ما هو عسكري، والحملات الموجهة الى الصحراء، والقمصان الكثيرة المكوية رغم أن الراتب لا يتوفر حتى يدفعوه فى نهاية الشهر لهذا المخلوق الحقيق المسمى بـ «الروسى» أو إلى كل من على شاكلته. ويتم التعامل معهم بالصراخ والتهديدات، وإذا ما كان الأمر معقولا تقال عبارات تعبر عن العفو عن حياتهم وعندما تبدأ ماجا فى الإعراب عن قبولها لوجهة النظر هذه (التي لم يكن لديها أى فكرة عنها على الإطلاق) أسارع بالقول لها أن عمى وأسرتنا فى هذا الإطار العام هم أناس على عدد كبير من الخصال الحميدة. فهم أناس طيبون، من الآباء والأبناء، وهم مواطنون يذهبون إلى صناديق الاقتراع ويقرؤون الصحف الأكثر شهرة. وهم موظفون يتقنون أعمالهم ويحبهم رؤسائهم وزملائهم، وهم أناس قادرين على السهر ليلالى متوصلة إلى جوار مريض، أو القيام بمساندة من يكون. فتتظر إلى ماجا بحيرة وتخشى أننى أمزح معها. وعلى أن ألح وأن أشرح لها السبب فى أننى أحب عمى بشكل كبير، ولماذا أقوم أحيانا - عندما نكّل الشوارع والوقت - بإخراج الصفات غير المحمودة وأطأ الذكريات التى لازلت أحملها لهما. عندئذ ينتاب لاماها شئ من الحماس وتبدأ فى الحديث بسوء عن أمها، التى تحبها وتكرهها طبقا للحظة التى تمر بها. أحيانا ما ينتابنى الغزع من قيامها بالحديث عن أحد فصول الطفولة، والتى كانت قد قصتها على وهى تضحك وكأنها أحداث طريفة، وفجأة تتحول إلى عقدة فظلة، وإلى بحيرة من الحشرات مصاصة الدماء والقراد التى يلاحق بعضها البعض، وتشرب دماء بعضها. وعندئذ يبدو وجه ماجا كأنه الثعلب حيث ينتفخ أنفها وتزداد حيوانية ويعلوه الشحوب ولا تتحدث إلا بشكل متقطع وتتلوى يديها وكأن وجه أمها القبيح أخذ يطل علينا من عالم آخر، ويرى جسدها وهى ترتدى لباسا فى حالة سيئة وأحد شوارع الأرباض، حيث أصبحت الأم بمثابة إناة قديم لليصق ملقى فى العراء. والتعاسة حيث تقوم الأم بمسح درابزين السلم مستخدمة خرقة مليئة بالزيت. والشئ السيئ هو أن «لاماجا» لا يمكن أن تظل

138

على هذا الحال فترة طويلة، إذ سرعان ما تجهش في البكاء وتدفن رأسها في صدرى ويصل بها الأمر إلى وضع لا يصدق، ويجب إعداد الشاي، ونسيان كل شئ، أو القيام بجولة فى أى مكان أو ممارسة الحب بدون الأعمام والأم، ممارسة الحب هذا ما كنا نفعله فى معظم الحالات أو النوم، لكن كان ذلك فى معظم الحالات.

(127)

139

إن نوتة البيانو (لا، رى، مى بيمول، دو، زى، زى بيمول، مى، صول)، و نوتة الكمان (لا، مى، زى بيمول، مى) والبوق Corno (لا، زى بيمول، لا، زى بيمول، مى، صول)، كلها تمثل المعادل الموسيقى للأسماء التالية أرنولد، شوينبرج، أنطون وبيرن، وأليان بيرج (طبقاً للنظام الألماني حيث أن حرف H يقابله زى و B يقابله زى بيمول و S (أس) الـ مى بيمول) لا يوجد أى تجديد فى هذه النوتة الموسيقية.

ومما يذكر أن باخ Bach استخدم اسمه بطريقة مشابهة، وأن نفس هذه الطبقة كانت شائعة بين المؤلفين الموسيقيين خلال القرن السادس عشر (...) هناك شبه آخر هام مع الكونشرتو المقبل المخصص للكمان وهو عبارة عن التوازي الدقيق لكافة الأطراف. والرقم الأساسى فى كونشيرتو مخصص للكمان هو الرقم اثنين اثنين من الحركات المتصلة وكل واحدة منها تنقسم إلى جزئين بالإضافة إلى الفصل - الكمان - أوركسترا فى إجمالى الآلات.

لكن ما يبرز فى «الكامير كونزيرت» Kammerkonzert هو الرقم ثلاثة: فالإهداء يمثل المايسترو واثنين من تلاميذه، أما الآلات فقد تجمعت فى ثلاثة مستويات: البيانو والكمان وتوليفة أخرى من آلات النفخ. وبنائها مكون من ثلاثة حركات متواصلة وكل واحدة منها تعكس بشكل مكبر أو مصغر تركيباً ثلاثياً.

من تعليق غير معروف مؤلفه حول
كونشرتو الصالة، حيث تستخدم الكمان
والبيانو وثلاثة عشر آلة موسيقية من
آلات النفخ لمؤلفه ليا بيرج
(Palhé Vox pl8660)

(133)

تقوم تاليتا بعمليات الفحص الشامل وتسجيل النواقص فى الصيدلية انتظاراً لحدوث شئ أكثر إثارة. تجرى تلك التمرينات بين منتصف الليل والساعة الثانية صباحاً وذلك عندما تذهب كوكا لتنام - نوما - تستعيد - به - عافيتها (أو قبل ذلك حتى تغادر المكان: تثابر كوكا، لكن مقاومتها وعلى وجهها ابتسامة عريضة وتذكرها أنها عندما تعود سوف تواجه الهجوم الكلامى من هذين الفظيعين كل هذا يجعلها تشعر بإرهاق شديد، وكلما تقدم الوقت تبادر بالذهاب إلى السرير مبكرة، ويبتسم الفظيعان بلطف وهما يحيانها: طابت ليلتك، أما تاليتا فكانت أكثر حيدة إذ تقوم بلصق تيكيت

البيانات أو تبحث عن شئ فى الفهرس Pharmacorum Gottinga

إنها إجراءات على نمط: ترجمة سوناتا مشهورة بشكل مقلوب:

الماضى الرهيب الميت المعتدى عليه

فهل علينا أن نصلح من أنفسنا من خلال رفرته البسيطة؟

إنها قراءة ورقة من نوتة لترافلر: «وأنا أنتظر دورى فى صالون الحلاقة، وقع نظرى

على أحد مطبوعات اليونسكو وعرفت الأسماء التالية: Opintotoveri

Tuovaenopista

Tyolaisopiskelija

ويبدو أنها عناوين لمجلات فنلندية متخصصة فى التربية. وهذا هو اللواقع بالنسبة للقارئ، هل يوجد ذلك؟ فكلمة Opintotoveri تعنى بالنسبة لملايين من الشقر جهاز العرض الخاص بالتربية العامة. وبالنسبة لى ... (لوكيرا) لكنهم لا يعرفون ما معنى كلمة Catisho (البلطجى) [الرضا على طريقة أهالى الساحل]. إنها عملية تعداد اللواقع. التفكير فى أن المتخصصين فى التكنولوجيا يتوقعون أنه بفضل الوصول إلى هلسنكى فى غضون ساعات نظرا لإبتكار طائرات بوينج 707 على كل واحد أن يخرج بالنتائج التى يريدها. هذا يجعلنى نصف أمريكية يابدرو.

إنها أشكال لغوية للاستغراب. تقف تاليتا مفكرة أمام Genshitok kokunai Jigo الذى لا يبدو لها على الإطلاق أنه التطور للأنشطة النووية فى اليابان. أخذت تقتنع من خلال البحث فى أوجه الاختلاف والتطابق، وعند ذلك قام زوجها، المشهور بأنه لعين، فى تزويدها بمواد يحصل عليها من صالونات الحلاقة، بتبيان التنويع الخاصة بـ Genshiryoku kaigai Jijo وهى على ما يبدو تطور الأنشطة النووية فى الخارج. تحمىس

140

تاليتا وهى مقتنعة من الناحية التحليلية بأن kokunai = اليابان، وأن kaigai = الخارج. إنها حيدة «ما» رجل المصبغة الكائنة فى شارع لاسكانو أمام هذا الاستعراض المتعدد اللغات، لتاليتا ويعود المسكين مذعورا.

لنبش:- الإنطلاق من افتراضات على نمط بيت الشعر الشهير «الشذوذ الجنسى الواضح ل.....» والقيام بإعداد نظام متماسك ومرضى. والقول بأن بيتهوفن كان يقتات بالروث.. إلخ والدفاع عن قداسة السير: روجر كاسيمنت، وذلك طبقاً لما نستخلصه من «اليوميات السوداء». واستغراب كوكا الواثقة ومتنولة القرايين.

الأمر هو فى جوهره الاصطفاف انطلاقاً من مبدأ الطاعة المهنية. إنهم يضحكون أكثر من اللزوم حتى الآن (لا يمكن أن يكون أتيلاً بجمع الطوابيع) لكن ذلك الـ Arbeit macht Frei سوف يؤدى إلى النتائج المرجوة. ثقى بى يا كوكا. فعلى سبيل المثال نجد أن اغتصاب أسقف دى فانو يمكن أن تكون حالة من

(138)

141

لم يكن الأمر يستحق قراءة صفحات كثيرة حتى ندرك أن موريلي يقصد شيئاً آخر. فإشاراته إلى الطبقات العميقة لروح الزمن Zeigeiat، والفقرات التي ينتشر فيها المنطق مستخدماً أربطة الأحذية، وغير قادر على رفض اللامنتطق، وقد تحول إلى قانون، كل ذلك يبرهن على القصد من أن العمل يريد استكشاف الأمور الغامضة، كان موريلي يتقدم ويتقهق ويقوم بخرق مستمر للتوازن، والمبادئ التي يمكن أن نطلق عليها المبادئ الأخلاقية للمكان، إذ يمكن أن يحدث (رغم أن ذلك لم يحدث بالفعل لكن لا شيء يؤكد) أن الوقائع التي يرويها قد وقعت في خمس دقائق وكان من الممكن أن تربط بين موقعه أكتيوم وموقعة أنشولوس^(١) Anschluss في النمسا (فالحرف A الذي تبدأ به الكلمات الثلاثة قد يكون له دخل في اختيار هذه الوقائع التاريخية) أو إما أن الشخص الذي يضغط على زر الجرس الخاص بمنزل في شارع كوتشبابامبا رقم 1200، سوف يجوب الأفق ليخرج على حوش لمنزل ميناندر في بومباي. كل ذلك كان يميل إلى الأمور المعتادة، لكن لويس بونيول وأعضاء النادي لم يفت عليهم مغزى ذلك، في حفز الذهن أو المجاز المفتوح على معنى آخر أكثر عمقا ودقة، ويفضل هذه التمارين البهلوانية الشديدة الشبه بماتحتويو بعض اللبث والأويانيشاد Upanishads^(٢) وكذلك المواد الأخرى المحملة بثالث نترات الولوين الشاماني، بفضل كل ذلك استطاع موريلي أن يستمتع بتخيله إبداع أدب يتولى تدمير قوانينه الداخلية ويعيد بناءها ويهزأ بها. تدخل الكلمات بشكل مفاجئ، واللغة بآركانها والبنية العليا للأسلوب، وعلم المعاني، وعلم النفس، والمحسنات، كل ذلك يهوى ويذبح بطريقة تقشعر لها الأبدان، يحيا ذلك! وإلى أن ينساب نظام جديد أو حتى بدون أي ضمان له: هناك دوما خيط ممتد إلى ما وراء ذلك، في نهاية المطاف يخرج الخيط من الحجم ويشير إلى من؟ لن ندري، لكن ترك هذا وألقى أي رؤية تجعل العمل أمرا جامدا، وهذا ما كان يفقد بيريكو روميرو صبره، رغم أنه رجل وفي. يرتعد من المتعة في حاجة إلى اليقين، ويجعل أوليفيرا يرتعد من المتعة ويجعل خيال إيتين يزداد جموحا وكذا رونالد وونج. ويجبر لاماجا على الرقص حافية القدمين وهي تحمل خرشوفة في كل يد.

وأثناء المناقشات الحامية وتدخين السجائر تساءل أوليفيرا وإيتين عن السبب الذي يجعل موريلي يكره الأدب، ولماذا يكره انطلاقا من الأدب نفسه بدلا من أن يكره الـ

141

Exeunt لرامبو، أو يمارس من خلال نوبات غيظه فعالية كولت 32. كان أوليفيرا يميل إلى الاعتقاد بأن موريلي أخذ يتشمع الطبيعة الشيطانية في كل عمل إبداعى (رأى أدب ليس على هذه الطبيعة، رغم أنه قد يكون مجرد وسيلة لابتلاع براكسيس أو ethos أو غنوسية من تلك الكثيرة التى توجد فى الساحة أوالتى سيتم اختراعها؟) وبعد التأكيد على الفقرات الأكثر أهمية عاد ليصبح أكثر حساسية لإيقاع خاص يسود أرجاء كتابة موريلي وأول صفة يمكن أن تطلق على ذلك الإيقاع هى عدم الرضا، لكن تحت هذا كان هناك شعور بأن عدم الرضا لا يتعلق بالظروف والأحداث التى يتم سردها فى الكتاب بل إلى طريقة السرد نفسها - وقد حاول موريلي تلافيها ما أمكنه - وأن هذه الطريقة لها انعكاساتها على ما يتم سرده، إذن عادت للظهور من جديد القضية الثنائية الخاصة بإزالة أسباب الأزمة بين الشكل والمضمون، وتمثل ذلك فى إدانة العجوز للمواد الشكلية واستخدامه على طريقته فعندما داخله الشك فى عدته كان ينقص فى الوقت ذاته الأدوات التى يصنعها بها.

فما يقصه الكتاب لا يجدى فى شئ، وليس شيئاً، ذلك أنه سرُد بطريقة سيئة. ذلك أنه أتم قصصه، أى هو الأدب. ومرة أخرى نعود إلى غضب المؤلف وعدم رضاه عن كتابته والتى يتم إعداد منظورها بطرق مختلفة. ويحاول القفز فوقها وفكها مستخدماً كافة الوسائل المتاحة أمام كاتب محترف فى مهنته، لم يبد عليه أنه عرض نظرية جديدة، كما أنه لم يكن من القوة بمكان بحيث يسير فى ميدان التأمل الفكرى. لكن يستفاد من كل ما كتب - وبكل قوة لا يراعيها أى تفسير وأى تحليل - إن هناك تدهوراً عميقاً فى عالم يتسم بالزيف، أى أنه كان يهاجم مستخدماً تكتيك التعداد وليس تكتيك الهدم، والسخرية الشيطانية التى تشكك فى نجاح اللوحات الكبرى من الأقدام، والفصول المحكمة السبك، والسعادة الأدبية الزائفة التى اشتهر بها بين قراء رواياته وقصصه القصيرة. إن العالم الذى أحكم بناءه، أخذ يتفكك إلى عدم، ويعرف هذا كل من كانت حاسة الشم عنده سليمة. لكن هناك يبرز الغموض، ففي الوقت الذى نشعر فيه بعدمية العمل الأدبى يداخلنا الحدس البطى بأن ذلك لم يكن قصد موريلي، وأن التدمير الذاتى المفترض فى كل جزئية من الكتاب لم يكن إلا من أجل البحث عن المعدن النبيل وسط كل هذا الصخب، وهنا كان لابد من التوقف وذلك خوفاً من عدم

141

التوفيق فى اختيار الباب والخروج خفية. وفى هذه الدرجة من الأمل كانت المناقشات تحدد بين أوليقيرا وإيتين، فقد كانا يخشيان الخطأ، وأنهما ليسا إلا اثنين من البلهاء المولعين بفكرة إستحالة إقامة برج بابل، وبعد ذلك لا يجدى الجهد شيئا. كانت أخلاقيات الغرب تبدو لهما، فى تلك الساعة، على أنها قوادّة، تنوّه لهما بكل أما فى ثلاثين قرنا ورثناها وتمكنناها ومضغناها. كان من العسير التخلّى عن الاعتقاد بأن زهرة يمكن أن تكون جميلة بلا هدف. كان من المראה قبول فكرة إمكانية الرقص فى الظلام. إن تنويهات موريلّى إلى قلب وعكس الرموز وإلى عالم يرى بواسطة عيون أخرى ومن أبعاد مختلفة. وبذلك يكون بمثابة الإعداد الذى لا مناص منه لرؤية أكثر نقاء (كل ذلك فى فقرة مليئة بالحيوية، وكذلك مسحة السخرية الجامدة أمام المرأة) كل ذلك كان يثير حنقهم إذ يمد لهم الشماعات الخاصة بما يمكن أن يكون أملا، وتبريرا، لكنه يرفض لهم الأمان الكامل بأن يضعهم فى غموض لا يحتمل. وإذا ما كان أمامهم أى عزاء فهو التفكير بأن موريلّى كان داخل ذلك الغموض، مؤلفا لأحد الأعمال يجب أن يتسم أول عرض لها بالصمت المدقع. وهكذا واصلا قراءة الصفحات وهما يلعبان وقد أخذ ليهما. وكان الأمر ينتهى بماجا إلى أن تقعى مثل القطط وهى جالسة على الكرسي، وقد اضطنتها الحيرة، وهى تنظر من خلال الدخان إلى خيوط الصباح المشرق على الأسقف السوداء هذا الدخان كان يمكن أن يسكن بين العيون والنافذة المغلقة والليلة التى ضاعت بلا جدوى.

(60)

142

(١) لست أدرى كيف كانت - قال رونالد - ولن نعرف ذلك على الإطلاق. فما كنا نعرفه عنها كان تأثيرها على الآخرين؛ كنا بمثابة مراياها أو هي مرآتنا. شئ لا يمكن شرحه - قال إيتين :

(٢) كانت شديدة الغباء حلت البركات بالأغبياء .. إلخ. أقسم لك أنني أتكلم جادا. كان غباؤها يثيرني. أما أوراثيو فكان يرى أن ما عليه، هو قلة توفر المعلومات لكنه كان مخطئا. هناك اختلاف بين الجاهل والغبي، وأى امرئ يعرف الفرق إلا الغبي، وهذا لحسن حظه. كنت أعتقد أن الدراسة، تلك الدراسة الشهيرة، سوف تعطيها قدرا من اللمعية والذكاء. لكنها كانت تخطئ بين المعرفة والفهم. كما كانت المسكينة تفهم أشياء كثيرة كنا نجهلها نحن لأننا نعرفها.

(٣) علينا ألا ننزلق وراء ترديد مَرْضَى للألفاظ - قال رونالد - أى أن نباعد أنفسنا عن كل هذه الألفاظ والألفاظ التى تحمل معانى مضادة، والابتعاد عن المبالغات. وبالنسبة لى كان غباؤها ثمنا كونها كالنبات والكراكول، أى أنها شديدة الالتصاق بالأشياء الغامضة. هذا هو محك القضية، تصور: لم تكن قادرة على الإيمان بالأسماء كان لابد أن تضع أصبعها على شئ محس، وعندئذ تقبل بها، وهى بذلك لن تذهب بعيدا فى مشوارها. تبدو وكأنها تدير ظهرها للغرب والمدارس. وهذا شئ سيئ لمن يريد العيش فى المدينة ومن يريد أن يكون مولعا بالحياة. كان ذلك ما يؤرقها.

(٤) نعم، نعم، إلا أنها كانت قادرة على الشعور بسعادة لا حد لها، وقد كنت أنا أحد الشهود على بعض تلك اللحظات. فهناك، على سبيل المثال الشكل الذى عليه أحد الأكواب وما الذى أبحث عنه فى الرسم غير ذلك، قل لى؟ إننى أقتل نفسى وأطالبها بمسارات مهلكة، وذلك حتى تدلف إلى شوكة، أو إلى ثمرتين من الزيتون. فملح العالم ومركزه لابد أنهما هناك، فى هذه القطعة من المفروش. كانت تأتى هى وتشربه، صعدت إلى مرسمى ذات ليلة فوجدتها أمام لوحة.. انتهيت منها ذلك الصباح. كانت تبكى على طريقتهما بكل ملامح وجهها الرهيبة والجميلة.. كانت تنظر إلى لوحتى وتبكى. لم أكن على قدر من الرجولة لأقول لها أنني بكيت أيضا فى الصباح. كما أن التكفير فى أن ذلك قد يجعلها تشعر بالكثير من الراحة، لكنك تعرف عنها أنها كانت تشك كثيرا وكانت تشعر بضالتها ونحن نحيطها بخبثنا اللامع.

142

٥) أسباب البكاء كثيرة - قال رونالد - وهذا ليس دليلا على شيء.
٦) يبرهن على وجود اتصال على الأقل، فكم من الناس يقفون أمام تلك اللوحة ويشنون عليها بعبارات منمقة ويعددون التأثيرات ويتحدثون عن كل ما يحيط باللوحة. وهنا كان لابد من الوصول إلى مستوى يتم الجمع فيه بين الأمرين. أعتقد أنه هناك لكننى من القلائل.

٧) المملكة ستكون مكونة من القليل - قال رونالد - إن كل الأشياء تفيدك لتقرع الطبول.
٨) أعرف ذلك - قال إيتين - هذا ما أعرفه، لكن الحياة علمتني أن أصم يدى فاليد اليسرى مع القلب أما اليمين فتحمل الريشة ومثلث الرسم. كنت فى البداية من الذين ينظرون إلى رفائيل وأنا أفكر فى بيروجينو^(١) وPerugino وأقفز كئنى من جراد البحر على ليوباتيسا ألبرتى^(٢) Leo Battista Alberti وأتصل وأقوم بلحام بيكو^(٣) Pico من هنا ولورنشو بايا^(٤) Lorenzo valla من هناك. لكن تصور، فهناك بورخارد^(٥) Burckhardt الذى يقول، وهناك بيرينسون^(٦) Berenson الذى ينفى وهنا أرجان Argan الذى يعتقد، وهذه الألوان الزرقاء سينية وهذه القماشات قادمة من ماساكسيو Masaccio. لا أتذكر متى كان ذلك، كان فى روما فى معرض باربيرينى، إذ كنت أقوم بتحليل أعمال أندريا دل سارتو^(٧) Andrea del sarto أى التحليل بمعنى الكلمة، ورأيت فى إحدى هذه المرات. ولا تطلب منى أن أشرح شيئا. رأيت (ليست اللوحة بكاملها بل جزءا صغيرا من خلفيتها وبالتحديد شخصية تسير فى طريق) هنا طفرت الدموع من عيني، وهذا كل ما أستطيع قوله.

٥) هذا لا يبرهن على شيء - قال رونالد - يبكى المرء لأسباب عديدة.
٦) لن أجهد نفسى فى الإجابة عليك. أما هى فمن الممكن أنها قد تفهمت ذلك بشكل أفضل بكثير. وفى حقيقة الأمر فنحن جميعا سائرون فى نفس الطريق إلا أن البعض منا يبدأ من الناحية اليسرى، أما الآخرين فمن الناحية اليمنى. وأحيانا وفى منتصف الطريق هناك من يرى ذلك الجزء من المفروش وعليه الكأس والشوكة وثمرات الزيتون.

٢) إنك تتحدث بشكل مجازى - قال رونالد - وهذه عادتك دوما.
٢) لا توجد وسيلة أخرى للاقتراب من كل ما فقد وما هو غريب. كانت هى الأقرب وكانت تشعر به. وخطؤها الوحيد أنها كانت تطلب البرهان على أن هذا الاقتراب

142

يساوى كل ألوان الخطابة التى نتحدث بها ولم يكن هناك أحد قادر على أن يقدم لها هذا الدليل وهذا لأننا غير قادرين على تصويره أما السبب الآخر فهو أننا - بشكل أو بآخر - راضين عن دائرة علمنا الجماعى. ومن المعروف أن قاموس الـ *Littre* يجعلنا جميعا ننام فى هدوء. وها هو قريب منا وفى متناول أيدينا، يحمل لنا كل الإجابات. وهذا حقيقى غير أن ذلك مرده فقط إلى أننا نستطيع توجيه الأسئلة التى تجهز عليه. فعندما كانت لامأجا تسأل عن السبب فى أن الأشجار تورق فى الصيف ... لكن هذا غير مجدى ومن الأفضل السكوت.

- قال رونالد :

(١) نعم، لا يمكننا أن نفسر كل ذلك.

(34)

143

كاننا فى الصباح - بينما يصّران على البقاء فى حالة اللانوم واللايقظة، فرتين المنبه الذى تقشعر له الأبدان لم يستطع أن يخرج بهما إلى حالة السهاد واليقظة الكاملة - بتعداد أحلام الليلة، الرأس إلى جوار الرأس، وتبادل الدعايات وقد تشابكت الأيدي والأرجل؛ على هذا الحال كانا يقومان بمحاولة ترجمة ما رأياه فى ساعات الظلمة بلغة العالم الخارجى. كان ترافلر - صديق أوليفيرا منذ مرحلة الشباب - شديد الإعجاب بأحلام تاليتا وفمها وهو يتلوى عند الغيظ أو عند الابتسام، طبقا لما تقصّه، وكذلك حركاتها، والتعجب، وهو الطريقة التى تبعها للتركيز على بعض الأمور. وتأمّلاتها البسيطة حول العقل مغزى أحلامها. بعد ذلك يأتى دور السرّ وأحيانا تتبادل الأيدي الدعايات أثناء السرد، وينتقلان من الأحلام إلى الحب ويناومان من جديد، ودائما ما يصلان متأخرين عن مواعيدهما.

عند الاستماع لتاليتا يلاحظ أن صوتها لازال لصيقا بالحلم وعند النظر إلى شعرها المنسدل على المخدة كان ترافلر يشعر بغربة لأن ذلك يمكن أن يكون هكذا. كان يفرد أصبعه ويلمس صدغ تاليتا وجبهتها («وعندئذ كانت أختى هى العمة إيريني لكنى غير واثقة») ويلمس الحاجز الواقع على بعد سنتيمترات قليلة من رأسه هو («وكنّت أنا عريانا فى منطقة مليئة بالطفاء، أرى النهر الصاعد، وموجه عالية...») لقد ناما ورأسيهما متلامسان وهناك فى ظل هذا التجاور الجسدى وفى ذلك التلاقى شبه الكامل فى المواقف والميول والحجة نفسها والمخدة والظلمة التى تلفهما ونفس صوت المنبه ونفس المثيرات فى الشارع والمدينة ونفس الترددات المغناطيسية ونفس ماركة القهوة ونفس البرج ونفس الليلة لكليهما. وهما متعانقان بقوة، ومع ذلك كانت الأحلام مختلفة فقد عاش كل منهما مغامرات مغايرة للأخر فأحدهما ق ربتسم بينما الأخرى قد شعرت بالعرب. حُلْم هو بالتوصل إلى حل فى امتحان الجبر أما هى وجدت نفسها تصل إلى مدينتها حجارتهما بيضاء.

فى هذا التعداد الذى يجرى فى الصباح كانت تاليتا تشعر بالسرور أو الخوف أما ترافلر فكان يلح على نفسه داخليا فى البحث عن معادل تلك الأحلام. كيف يمكن أن تسفر الرفقة النهارية عن هذا الطلاق وهذه العزلة غير المقبولة التى عليها من عاش تلك الأحلام؛ أحيانا ما يصبح هو جزءا من أحلام تاليتا أو أن تاليتا تشارك ترافلر فى أحد الكوابيس التى يحلم بها. لكنهما لا يعرفان فى ذلك، إذ كان من الضرورى أن يقصه

143

أحدهما على الآخر عند الاستيقاظ من النوم: «وعندئذ كنت تأخذنى من يدي وكنت تقول لى...» ويكتشف ترافلر أنه بينما يمسك بيد تاليتا فى الحلم إلى عاشقته هى، فإنه فى حلمه كان يضاجع أفضل صديقات تاليتا أو كان يتحدث مع مدير سيرك «النجوم» أو أنه يسبح فى بحر بلاتا، وكان مجرد وجوده فى حلم آخر يجعله مجرد مادة للعمل ولا يزيد فى شئ عن الدمية maniqui والمدن المجهولة ومحطات القطار والسلالم وكل العدد المتعلقة بالتخيالات الليلية. يضم تاليتا إليه ويغضى شعرها ووجهها بيديه وشفتيه، ويشعر عندئذ بأن هناك حاجزا لا يمكن تجاوزه، وبوجود مسافة كبيرة لا يستطيع أى شئ تقليدها بما فى ذلك الحب. لقد انتظر المعجزة طوال ليالى عديدة. انتظر أن نقص عليه تاليتا ذات صباح نفس الحلم الذى سوف يقصصه هو عليها، انتظر، وحث عليه، واستفرد بالرجوع إلى كل وجوه الشبه الممكنة. ويأخذ فى البحث عن وجوه شبه قد تحيلة إلى نوع من التعرف عليه. وذات مرة، ودون أن تعطى تاليتا للأمر أهمية كبيرة، عاشا حلمين متشابهين. تحدثت تاليتا عن فندق ذهبت إليه هى وأمها وأن على كل واحدة أن تدخل وهى تحمل مقعدها معها. عندئذ تذكر ترافلر حلمه، إنه فندق بدون حمامات، وكان المرء يضطر لعبور محطة السكك الحديدية وهو يحمل فوطة للاستحمام فى منطقة غير واضحة الملامح. قال لها: «كدنا نحلم نفس الحلم لقد كنا فى فندق بدون كراسى وبدون حمامات» ضحكت تاليتا وهى تشعر بطرافة الأمر. لقد حانت ساعة النهوض من السرير. إنه لأمر مخجل أن يكون على هذه الدرجة من الكسل.

ظل ترافلر على حاله فى تساؤل ثقته وأمله كلما تقدم الزمن، وأصبحت الأحلام جد مختلفة، ينامان ورأساهما متلامسان، لكن الستار يرفع فى كل رأس على مشهد مسرحي مختلف. فكر ترافلر ساخرا إنهما يشبهان دارا عرض سينمائى متجاورتين فى شارع لابابى Lavalley وباعد عن نفسه أى أمل. لم يكن يؤمن فى أن يحدث ما كان يرغب فيه وكان يدرك أنه لن يحدث طالما ليس هناك إيمان. وأنه بلا إيمان لن يحدث شئ مما يجب أن يحدث وبالإيمان تقريبا نفس الشئ.

(100)

العطور والأناشيد الموسيقية والغالية^(١) في درجتيها الأولى والثانية...رائحتك هنا مثل رائحة العقيق الأصفر، وهناك رائحة العقيق ذى اللون الأخضر الناصع، انتظري قليلا وهنا تشبه الرائحة البقدونس، أو تكاد، وكأنها قطعة تاهت في جلد شمواء، هناك رائحتك أنت، ياله من أمر غريب، وهو أن المرأة قد لا تستطيع أن تشم رائحة نفسها مثلما يشمها الرجل، هنا بالتحديد، لا تتحركى اتركينى، إن رائحتك تفوح منها غذاء ملكات النحل، والعسل الموضوع فى علبه بخان وطحالب رغم أن ذلك من المكرر المعاد، هناك الكثير من الطحالب، كانت رائحة ماجا مثل رائحة الطحالب الطازجة التى تم استخراجها فى آخر غدو ورواح للبحر، مثل رائحة الموجه نفسها، وفى بعض الأيام تختلط رائحة الطحالب بإيقاع أكثر كثافة وعندئذ لم يكن أمامى مفرٌ إلا الفساد - لكنه كاف فسادا قهرمانيا، أفهمت؟ ونوعا من البذخ البلغارى، ورئيس خدم تحيط به طاعة ليلية - وذلك بأن أقرب شفتائى من شفتيك وأمس بلسانى هذا اللهب الوردى الخفيف الذى يتلألأ وقد حفته الظلال، وبعد ذلك أقوم ببطء شديد، بإبعاد فخذيها، وأجعلها تعتمد بعض الشيء ثم أقوم بتشميمها مدة طويلة، وأشعر بيدها وهى تنتزعنى من نفسى مثلما يفعل اللهب مع بقايا ورقة الجرنال المحترقة. وعندئذ تبتعد العطور بشكل رائع ويتحول كل شئ إلى طعم وعض وألعاب هامة من خلال الفم والسقوط فى ذلك الظل والذهاب إلى مقر عجلة البدايات الأولى، نعم، فى لحظة الحيوانية الدنيا، والقريبة من التغوط وأجهزته التى لا توصف، ترسم الهيئات الأولية والنهائية، وفى ذلك الكهف الملىء بالرطوبة، من جراء الراحة اليومية تجد نجم الدبران؟ يرتعش، وتقفز الجينات والنجوم وينحصر كل شئ فى الآلاف والأوميجا، كوكيل كونت كون (مع) فرج، من الاف السنين أرمابخيدون والتيراميسين، أه اصمتى لا تبدئى فيها هى هناك أشكالك الظاهرية المفقوة ومراياك السهلة، يالصمت جلدك، ويالها من هوة حيث تدور حب النرد المصنوع من الزمرد والبعوض والحفر، وحمض الفينيك وحفر ...

موريليات : استشهاد :

تلك إذن هى الأسباب الأساسية والرئيسية والفلسفية التى قادتنى إلى بناء العمل على قاعدة ذات أجزاء متفرقة - متخيلا العمل على أنه جزئية من العمل - وقد عالجت الرجل على أنه دمج لأجزاء من الجسم وأجزاء من الروح - وفى الوقت نفسه تعاملت الإنسانية كلها على أنها خليط من الأجزاء. لكن إذا ما جاء أحد واعترض على قائلنا بأن هذا المفهوم الجزئى ليس فى جوهره أى مفهوم، بل هو خليط واستهزاء وسخرية وخداع وأننى بدلا من الالتزام بقواعد الفن أحاول التحايل عليها من خلال هذا الهزل واعوجاج قسمات الوجه والطين.. وعندئذ أقول نعم، هذا حق، وبالتحديد تلك هى أهدافى وكل ما أريده بحق الله - لا أتردد أبدا فى الاعتراف به - هو أن أخطئ فى حق فنكم أيها السادة كما فى حقكم أنتم. فأنا غير قادر على تحملكم مع ذلك الفن ومع مفاهيمكم وموافقكم الفنية وكل وسائلكم الفنية!

جومبرو ويسك فيرديدورك: (1) Gombrowicz,

الفصل الرابع: تقديم لـ فيليدور المغضى بالطفل.

(-122)

146

خطاب إلي جريدة الأوبزفر سيدى العزيز:

هل أشار أحد قرائكم إلى ندرة الفراشات خلال هذا العام؟ فلم أكد أراها هذا العام فى ذلك الإقليم الذى كان يعجّ بها باستثناء بعض جموع من papilos. ومنذ شهر مارس وحتى الآن لم أر إلا Cigeno واحدة ولم أر eterea ورأيت القليل من Teclas Quelonla واحدة ولم أر Ojo de pavorreal (عين الطاووس) ولا Catocala أو البحار الأحمر Almirante Rojo فى حديقتي. فخلال الصيف الماضى كانت مليئة بالفراشات. وأتساءل فيما إذا كانت هذه الندرة عامة. وعند الإجابة بنعم ما هى أسبابها؟

Pichcombem Glos

M. Washbourn

(-29)

147

لماذا هذا البعد الكبير عن الآلهة، ربما للتساؤل عن ذلك، وماذا الإنسان هو حيوان يسأل وفى اليوم الذى نعرف توجيه الأسئلة عن حق فسوف يكون هناك حوار. أما الأسئلة فى الوقت الحاضر فهى تبعدنا بشكل كبير عن الإجابات. فأى نوع من الظهور يمكننا أن نتوقع إذا ما كنا نغرق أنفسنا فى أكثر الحريات والجدلية المسيحية اليهودية زيفاً؟ إننا فى حاجة إلى جهاز جديد يجب أن نفتح النوافذ كل واحدة على مصراعها ونلقى بكل شئ فى الشارع وفوق هذا يجب أن نلقى بالنافذة نفسها ونلقى بأنفسنا معها، فإما الموت وإما الخروج طيراناً. لابد من فعل ذلك، ويأتى شكل كان يجب أن تتوفر لدينا الجرأة والشجاعة بأن ندخل الحفلة وهى على أشدها ونضع على رأس صاحبة الحفل ضفدعة خضراء جميلة هدية من الليلة وأن نشهد بون فزع انتقام الأتباع.

(31)

148

فيما يتعلق بالجوانب الصرفية التي يوليها جابينو باسو Gabino Basso لكلمة شخص Persona.

إنه شرح واف وعبقرى فى نظرى، وحيث قام جابينو باسو بمعالجة كلمة شخص Persona قناع فى كتابه «أصل الكلمات». يرى أن أصل هذه الكلمة هو الفعل Perso-nare حضر - أحتجز. ها هو عرض لوجهة نظره: «ليس الذى عنده القناع يغطى الوجه بالكامل ما عدا فتحة صغيرة فى مكان الفم، وبذلك يتمكن الصوت من ترفيع نفسه حتى يخرج من الفتحة بدلا من أن ينسكب فى كل اتجاه، ويخروجه من الفتحة الصغيرة يصبح ذا قوة وفاعلية. ولما كان القناع يجعل من صوت الإنسان أكثر رنيناً وقوى الذبذبات فقد أطلق عليه شخص Persona وبالتالي فمن شكل هذه الكلمة نجد أن حرف ضخم فيها.

Noches aticas(1)

أوليو خيليو: ليالى أتيكية

(42)

149

خطواتى فى هذا الشارع

ترن

فى شارع آخر

حيث

أسمع خطواتى

وهى تسير فى هذا الشارع

حيث

الضباب وحده هو الواقع الفعلى

أوكتايوساٹ

(54)

150

معاقون:

تعلن مستشفى مقاطعة نيويورك أن الدوقة الأرمل جرافتون التي كسر ساقها يوم
الجمعة الماضي قضت يوما في حالة جيدة جدا.
جريدة الصنداي تايمز - لندن

(95)

572

موريليات :

يكفى أن ينظر المرء لحظات، بعينه اللتين يستخدمهما كل يوم، إلى سلوك قط أو ذبابة حتى يشعر بأن هذه الرؤية الجديدة التي يتجه إليها العلم، أى إلى ذلك اللاتشابه *desantropomorfizacen* الذى ينادى به البيولوجيون وعلماء الطبيعة على أنه الإمكانية الوحيدة للاتصال بوقائع مثل الغريزة أو الحياة النباتية ليس شيئاً آخر إلا ذلك الصوت البعيد والمنعزل والملح حيث تطالب بعض الاتجاهات فى البوذية و *Vedanta* الصوفية والزهد الغربى بأن نتخلى نهائياً عن الفناء.

(152)

152

هذا المنزل الذى أعيش فيه يشبه منزلى تماما: تجهيزات الحبرات، ورائحة الطريقة والأثاث والضوء المائل، فى الصباح القوى، عند الظهيرة والواهن فى المساء. يستوى كل شئ بما فى ذلك الطرق الصغيرة والأشجار والحديقة وهذا الباب القديم شبه المتهاك وكذلك أرضية الحوش. متشابهة أيضا الساعات وبقائق الزمن الذى يمر وهى تشبه ساعات وبقائق حياتى، وفى اللحظة - التى تدور حولى أقول لنفسى: «تبدو حقيقية ياله من شبه بالساعات الحقيقية التى أحيها فى هذه اللحظات!»

وإذ ما قمت من جانبى بإلغاء أى مساحة للتأمل فى منزلى رغم أن زجاج النافذة يلح على أن يرى ويرد على خيالى، حيث أرى أحدا يشبهنى. نعم شديد الشبه بى، وأعترف بذلك! بيتى وحياتى، عندئذ سوف أعرّ على وجهى الحقيقى.

Jean Tardieu

جاء تارديو^(١)

(143-)

153

- من سكان المناطق الساحلية، وعليهم أن يضعوا له وردا إذا ما سها.
- سوف أحاول ألا أسهو.
- حسنا فعلت.

كامبا ثيريس: موسيقى عاطفية.

(19)

154

كانت الأحذية تغطى مادة مشمعة، وكانت الأنوف تشتم رائحة بودرة مطهرة تشبه الحلو الحامض. كان العجوز ممدداً في السرير، تحيط به مخدتان، وأنفه يشبه خطأً مرفوعاً في الهواء وكأنه يمسك به ويجعله في وضع الجلوس. كان لونه يميل إلى الزرقة الرصاصية ومحاجر عينيه ذات شكل جنازى. هبوط وصعود غير عادي مسجل في كشف بيان درجة حرارة جسمه. ولماذا هم مهتمون لهذا الحد؟

لقد قيل إنه لم يحدث شيء كما أن الصديق الأرجنتيني كان شاهداً على الحادث بالصدفة والصديق الفرنسي كان يُطْلَخُ الأسير manchusta وكل المستشفيات سيئة للغاية، موريلى، نعم، إنه الكاتب.

- قال إيتين :

- هذا غير ممكن .

لم لا دار - نشر - حجر - فى - الماء : يلوب، لم يعرف عنه شيء، تفضل موريلى بأن قال لهما أنه قد تم بيع (واهداء) حوالى أربعمائة نسخة. ومن هذه النسخ تم بيع نسختين فى نيوزيلندا وهذا شيء مثير.

أخرج أوليفيرا سيجارة بيده التى كانت ترتعش، ونظر إلى الممرضة التى أشارت عليه بالأجاب، ثم ذهبت وقد تركتهما بين البرقانين نوى اللون الأخضر. جلسا فى نهاية السرير بعد أن أخذوا ورفعا بعض الصحف والكراسات ولفائف من الورق.

- لو كنا قد عرفنا الخبر من الصحف اليومية..... قال إيتين.

- قال موريلى :

- لقد نشر الخبر فى جريدة «الفيجارو» تحت خبر يتحدث عن رجل الثلج البغيض.

- مهمهم أوليفيرا :

- لقد أدركت سيادتك الأمر لكن ذلك هو أفضل على ما أظن. وإلا فإن عددا كبيرا من المسنات كطيرات الأرداف قد يأتين، وهن يحملن ألبوم التوقيعات التذكارية وعلبة عسل مصنوعة محليا.

- قال موريلى :

- من نبات الراوند وهذا أفضل شيء، لكن من المستحسن ألا يأتين.

154

- قال أوليفير امتدخلاً ويظهر عليه القلق :
 - وفيما يتعلق بنا إذا ما كانت هناك مضايقة قل لنا وسوف نخرج في الحال.
 وسوف تكون هناك مناسبات أخرى... إلخ. نفهم بعضنا أليس كذلك.
 - لقد جئتما دون أن تعرفا من أنا. وبالنسبة لى أرى أنه من الأفضل أن تظلا هنا
 بعض الوقت، الصالة هادئة وقد صمت بالأمس، أكثر المرضى صباحاً فى الثانية
 صباحاً كما أن البرفانات غير منقوصة. ولقيت عناية من الطبيب عندما وجدنى أكتب.
 فقد منعى من مواصلة نشاطى لكن الممرضات قمن بوضع العطور ولم يعد أحد
 يضايقنى.

- متى ستعود إلى المنزل؟
 - قال موريلى :
 - لن أعود أبداً فسوف تبقى العظام هنا أيها الفتية.
 - قال إيتين باحترام :
 - أكاذيب .

- سوف تكون مسألة وقت. لكننى أشعر أننى فى وضع أفضل، فقد انتهت مشاكلى
 مع البوابة. ولم يعد أحد يجلب لى المراسلات ولا حتى تلك التى تصل من نيوزلندا
 بطوابعها الجميلة، وعندما نشر الكتاب، ولد ميتا، فإن المحصلة الوحيدة هو الرسائل
 البريدية القليلة والوفية. فهناك السيدة النيوزلندية والفتى الذى يعيش فى شيفلد، إنها
 الماسونية اللطيفة وشهرانية أن يكون هناك عدد قليل من الذين يشاركون فى المغامرة.
 لكن الآن، فى واقع الأمر
 - قال أوليفيرا :

- لم يخطر ببالى أبداً أن اكتب لك، أنا وبعض الأصدقاء نعرف كتابتك تبو لنا ...
 عليك أن توفر على ذلك النوع من الكلمات، وأعتقد أن الرسالة قد وصلت الحقيقة هى
 أننا نتناقشنا لىالى كاملة بومع ذلك لم نفكر أن سيادتكم فى باريس.
 - كنت أعيش فى فيبرزون Vierzon حتى قبل ذلك بعام. ثم جئت إلى باريس لأننى
 كنت أريد أن أغوص فى بعض المكتبات. بالطبع فيبرزون ... لقد أعطيت للناس
 تعليمات بالاعطى عنوانى لأحد. لكن لست أدري كيف عرفت هذه القلة من المعجبين إن

154

ظهري يؤلنى كثيرا أيها الفتية.

- قال إيتين :

- إنك تفضل أن نذهب سوف نعود غدا على أى حال.

- قال موريلى :

- سوف يظل ظهري يؤلنى حتى عندما تذهبا ، لندخل وأنتهز فرصة منعهم لى من التدخين.

كان الأمر يتمثل فى محاولة الوصول إلى لغة لا تكون أدبية.

وعندما كانت الممرضة تدخل يقوم موريلى بوضع عقب بالسيجارة فى الفم بطريقة شيطانية وينظر إلى أوليفيرا وكأنه طفل صغير يرتدى قناع رجل عجوز. وكان هذا ممتعا. إن نقطة الإنطلاق تشبه بعض الشئ الأفكار الرئيسية لعيزرا باوند E.pound

لكن بدون الحذقة والخلط بين الرموز الهامشية والدلالات الجوهرية.

ثمانية وثلاثون، اثنان، سبعة وثلاثون خمسة، ثمانية وثلاثون. الأشعة (رمز غير مفهوم) أتعرف أن هناك القليلين الذين يستطيعون الاقتراب من تلك المحاولات دون أن يتصوروا أنها لعبة أدبية جديدة. وجيدة جدا. والأمر السيئ هو أنه لازال هناك الكثير وسوف يموت المرء دون أن ينتهى من اللعبة.

- اللعبة رقم 25، تكثير السوداوات - قال موريلى وهو يميل برأسه إلى الخلف. وفجأة بدت عليه علامات الشيوخوخة متراكمة بعضها فوق بعض - إنه لأمر مؤسف، لقد بدا الوطن مهما. هل صحيح أن هناك شطرنج هندى به ستون قطعة فى كل جانب؟

- قال أوليفيرا :

- هذا حلم إنها المباراة اللانهائية.

- يكسب من يستطيع غزو المركز. ومن هناك يمكن السيطرة على كافة الاحتمالات، كما أن إصرار الخصم على مواصلة اللعب يفقد قيمته. إلا أن المركز يمكن أن يكون فى مربع جانبي أو خارج رقعة الشطرنج.

- أو فى أحد جيوب الصديري.

- قال موريلى :

- إنها صور من الصعوبة بمكان الهروب منها، مع أنها جميلة. إنها بمثابة نساء عقليات. هذا حق. كم كنت أود أن أفهم مالارميه Mallarmé بشكل أفضل، ومفهوم

154

الغياب والصمت هو أكبر بكثير من الحلّ المبالغ فيه أى impasse ميتافيزيقى. وذات يوم سمعت وأنا فى «خيريت دى لا فرونتيرا Jerez de la Frontera». طلقة مدفع على بعد عشرين مترا. واكتشفت معنى آخر للصمت. وتلك الكلاب التى تسمع الصغير الذى لا نسمعه نحن إنك رسم على ما أعتقد.

كانت يدها تسيران إلى جانبه وتبحث عن الكراسيات الواحدة تلو الأخرى وتفرد بعض الأوراق المطوية، بين الفينة والأخرى، دون أن يتوقف عن الكلام، كان يلقي نظرة على إحدى الصفحات ويضعها داخل الكراسيات وقد ثبتها بدبوس كليبس. كما أخرج قلم رصاص من جيب اليبجامة مرة أومرتين، ووضع رقما على ورقة.

- أظن أن سيادتك تكتب.

- قال أوليفيرا :

- لا ماذا ساكتب، ومن أجل ذلك لا بد أن يتوفر اليقين بأن المرء قد عاش.

- الوجود يسبق الماهية - قال موريللى مبتسما.

- إذا ما شئت، ليس هو ذلك بالتحديد فى حالتى.

- قال إيتين :

- لقد حل بك الإرهاق هيا بنايا أوراثيو. لو بدأت فى الكلام... إننى أعرفه يا سيدى، إنه رهيب.

كان موريللى يبتسم وهو يقوم بجمع الصفحات وينظر إليها، ويبدو أنه يحدد طبيعتها ويقارنها ببعضها البعض. انزلق فى السرير بعض الشئ بحث عن أفضل وضع يسند فيه رأسه. نهض أوليفيرا.

- إنه مفتاح الشقة - قال موريللى - هذا طيب لى فى الواقع.

- قال أوليفيرا :

- سوف تكون هناك مشكلة عويصة.

- لا، إنها أقل صعوبة مما يبدو، فالدوسيهات سوف تساعد كثيرا. هناك نظام الألوان والأرقام والحروف. ومن السهل فهمه على الفور؛ فعلى سبيل المثال هذه الكراسية سوف توضع فى الدوسيه الأزرق، وفى جزء أطلق عليه البحر. أضف إلى ما سبق فكل هذا بالنسبة لى عبارة عن لعبة لى أفهم نفسى بشكل أفضل. رقم 52

154

لنضعه فى مكانه بين رقم 51، 53. إنه الترقيم العربى ،أفضل وأسهل شئ فى العالم.

- قال إيتين :

- لكن يمكن لسبادتك أن تفعل هذا بنفسك خلال بضعة أيام.

- إننى لا أنام جيدا . كما أننى أيضا أصبحت خارج الكراسى. ساعدانى، فذلك أن هناك من جاء لزيارتى. ضع كل هذا فى المكان المخصص له وسوف أكون مرتاحا هنا إنها مستشفى رائعة.

كان إيتين ينظر إلى أوليفيرا، وأوليفيرا ... إلخ إنها المفاجئة المتوقعة. إنه لشرف عظيم لا نستحقه.

- وبعد ذلك تقومان بحزم كل ذلك فى لفة واحدة وترسلان بها إلى باكو Paku.

دار نشر الكتب الطليعية شارع لاربر L. Arbre. أتعرفان أن باكو هو الاسم الأكادى لهرمز؟ لقد بدا لى دوما... لكننا سوف نتحدث سويا يوما آخر.

- قال أوليفيرا :

- عليك أن تتصور أننا تدخلنا فى الأمر وتسببنا فى لبس كبير. ففى الجزء الأول كان هناك تعقيد رهيب، فهذا وأنا تناقشنا طوال ساعات حول ما إذا كان هناك خطأ عند طبع النص أم لا.

- قال موريللى :

- لا شئ يمكن قراءة كتابى كل حسب رغبته. Iiber fulgularis إنها أوراق كَهانة وهكذا دواليك. وإذا ما أخطأوا، على أسوأ افتراض، فربما كان هذا هو الأصح. إنها مزحة من هرمز باكو، صانع الحيل والغوايات، أتعجبكما هاتين الكلمتين؟

- قال أوليفيرا :

- لا لا هذه ولا تلك. إنى أرى أنهما أصيبتا بالتعفن.

- قال موريللى وهو يغمض عينيه :

- لابد من الحذر كلنا يبحث عن النقاء، ويُمّر الحويصلات القديمة القميئة الدهان. وذات يوم كان خوسيه بيرجامين J.Bergamin يوشك أن يسقط على الأرض لأننى حقّرت من شأن صفحتين وبرهنت له على أن .. لكن حذار يا صديقى وربما كان مانسميه النقاء ...

154

- قال إيتين :
 - إنه مربع مالييفتش Malevich.
 - هو ذاك. كنا نقول بأن علينا أن نفكر فى هرمز، وأن نتركه يلعب. خذا وربنا كل ذلك طالما أنكما أتيتما لترينى. وربما تمكنت من الذهاب إلى هناك وألقيت نظرة.
 - سوف نعود غدا إذا ما شئت.
 - حسن، وسأكون قد كتبت أشياء أخرى، سوف أضييكنما بالجنون، فكرا جيدا فى الأمر. وأحضرا لى سجاير جلواز.
 أعطاه إيتين علبة سجائر. لم يكن أوليغيرا يدرى ماذا يقول وهو يضع المفتاح فى يده. كل شئ قد أخطأ، فذلك لم يكن من الواجب أن يحدث ذلك اليوم، لقد كانت لعبة تافهة على رقعة الشطرنج المكون من ستين قطعة، إنها السعادة التى لا تجدى وسط أسوأ حالة حزن، ومن الواجب ذبها وكأن المرء يهش الذبابة وتفضيل الحزن فى الوقت الذى يصل إلى يد الإنسان ذلك المفتاح الذى يؤدى إلى السعادة، إنها خطوة نحو شئ كان يعجب به وفى حاجة إليه. إنه مفتاح لباب موريلى وعالم موريلى. لكن وسط كل هذه السعادة يشعر المرء بالحزن والقذارة وجلده متعب وعيناه بها «عُماص». ورائحة الليل بلا نوم وغياب أثم، وعدم وجود مسافة ليفهم فيما إذا ما كانا قد تصرفا جيدا فى كل ما يفعلانه وما لا يفعلانه فى تلك الأيام، وهو يسمع الرغطة التى تصدر عن ماجى والضربات على السقف ويتحمل المطر الذى ينزل فى صورة نفث تلج على الوجه، والإصباح على كوبرى Marie والتجشؤ الحمضى، بطعم التبيذ المختلط بالكاينا والفودكا والمزيد من التبيذ، والشعور بأنه يحمل فى جيبه يدا ليست يده، إنها يد روكاما دور - قطعة من الليل يتساقط منها اللعاب وينزل على فخذه - والسعادة التى تأخرت كثيرا وربما جاءت قبل موعدها المحدد (عزاء ربما جاءت مبكرة، ولا يستحقها. وعندئذ، ربما، من الممكن، ربما، قذارة، قذارة إلى اللقاء يا أستاذ، قذارة، قذارة قذارة لا نهاية لها. نعم، ساعة الزيارة، هناك إصرار لا ينتهى على القذارة فى الوجه وفى العالم، إنه عالم من القذارة، سوف نأتى لك ببعض الفاكهة والقذارة المكثفة لمضاد القذارة، قذارة سوبر لما هو تحت القذارة، قذارة من جديد لمضاد جديد للقذارة. فى مستشفى لينيك ذا تم اكتشاف السماعة الطبية ربما حتى الآن ... المفتاح،

154

هورمز يفوق الوصف. المفتاح، حتى الآن، ربما يمكن الخروج إلى الشارع ومواصلة السير، إنه مفتاح في الجيب. ربما كان هناك مفتاح اسمه موريلي تديره وتدخل في شيء آخر، ربما ...

- قال إيتين في المقهى :

- إنه لقاء يتسم في حقيقة الأمر، وهي عدة أيام .

- قال أوليفيرا :

- هيا إنه لأمر سيئ أن يتركك تقع هكذا لكن هيا. وأبلغ كلا من رونالد وبيريكو، وسوف نلتقي في العاشرة مساء في منزل العجوز.

- قال إيتين :

- إنها ساعة غير مناسبة لأن البوابة لن تتركنا ندخل.

أخرج أوليفيرا المفتاح ولفه لفة تحت حزمة من أشعة الشمس، ثم سلمه المفتاح وكأنها عملية استسلام مدني.

(85)

155

إنه أمر لا يصدق، إذ يمكن أن يخرج من البنطلون أى شئ مثل الزنابير والساعات والقصاصات والأسبرين الملون، وتضع يدك فى أحد الجيوب فتخرج المنديل، ومن طرفه تخرج فأراميتا، كلها أشياء قابلة للحدوث. كان أوليفيرا يبحث عن إيتين الذى لازال متأثرا بحلم الخبز وذكرى أخرى من حلم خطر على الذاكرة وكأنها حادثة تقع فى إحدى الحارات. ها هى فجأة، ولا يستطيع أن يفعل معها شيئا. وضع أوليفيرا يده فى جيب البنطلون القطيفة البنى اللون. حدث ذلك عند ناحية البوليفار راسبال ومون بارناس، فعل ذلك ويلقى نصف نظرة على تلك الضفدعة التى ترتدى الربوب. إنه بلزك رودين أو رودين بلزك، ذلك الخليط المعقد والمكون من اثنين من الرعود، فى شكل حلزوني غير مستقيم، فى هذه اللحظة أخرجت اليد من الجيب قصاصة ورقة عليها أسماء صيدليات الطوارئ فى بوينوس أيرس وقصاصة أخرى اتضح أنها إعلانات عن متخصصين فى العرّافة وقراءة ورق اللعب. كان من المسلى معرفة أن السيدة كولومير، العرافة المجرية (ربما كانت واحدة من أمهات جويجورو فيوس) تعيش فى شارع أبيسس Abbesses وتملك أسراراً بوهيمية وتستطيع أن تعيد الحب المفقود. ومن هنا يمكن الانتقال إلى الوعد الأعظم:

وبعده تتم الإشارة إلى قراءة الطالع من خلال الصورة حيث تبدو متأكدة بعض الشيء. وبالنسبة لإيتين، المستشرق، كان يمكن أن يثير اهتمامه معرفة أن البروفسور Mihn سيقدم الحقيقة. إنه طلسم الشجرة المقدسة فى الهند Boch. C.I NF Timb 23. B.P.27. كما لانسفرب وجود مدام شمشون، ميديوم - تاروت 23 شارع هرمل (خاصة وأن هرمل ربما كان متخصصا فى الحيوانات، إلا أن اسمه فيه إشارات إلى كيمابوى) وأن يكتشف المرء، بكل الفخار الأمريكى الجنوبي، التنبؤات القائلة لأنيتا Anti-ta، بقراءة أوراق اللعب وتحديد التواريخ بدقة، وكذلك ما تفعله خوانا - خويث (Sio) التاورت الأسباني والأسرار الهندية، وكذلك مدام خوانيتا العرافة عن طريق فيش الدومينو والقواقع والزهور. لابد من الذهاب مع لاماچا لزيارة مدام خوانيتا. القواقع والزهور لكن ليس مع لاماچا، لا. كان يطيب لها أن تعرف المستقبل من خلال الزهور. «مرزق» هى فقط التى يمكنها إعادة الحنان، لكن أى ضرورة فى تجربة اللاشئ؟ هذا ماسيعرف فى الحال. إلا أن الصبغة العلمية لجان دى نبي. أفضل فهو يعيد نظراته

155

الدقيقة على الصور الفوتوغرافية والشعر والكتابة، إنه الدائرة المغناطيسية المتكاملة، وعندما وصل أوليفيرا مقابر مونت بارناس وبعد أن قام بتحويل الورقة إلى كرة صغيرة أرسل بالعرفات لينضمَّمن إلى بودلير على الجانب الآخر من السور ويكنَّ في رفقة ديفيرا Déveria والوسيسوس برتراندر «A.Bertrand. ومع أناس آخرين يستحقون أن تقوم العرافات بقراءة الطالع لهم، وأن مدام فريديكا العرافة المتخصصة في قراءة الطالع لعلية القوم في باريس، وذات السمعة العالمية والمشهورة بتنبؤاتها التي تنشر في الصحف والإذاعات العالمية، وفي مهرجان كان. تشي، ومع باربي أورفيل B.d'Aurevilly التي لو تمكنت منهن لأحرقتهن؛ كذلك حوباسان أيضا. وليت الكرة الورقية تكون قد سقطت فوق قبرموباسان أوقبر الوسيسوس برتراندر لكن هذه التفاصيل لا يمكن للمرء أن يعرفها وهو خارج المكان.

كان إيتين يتصور أنه من الغباء أن يذهب أوليفيرا لمضايقته في مثل هذه الساعة من الصباح رغم أنه قد ينتظره وقد جهز ثلاث لوحات كان يرغب أن يريها لأوليفيرا لكن هذا الأخير قال على الفور أن من الأفضل وأن يذهب بعد ذلك إلى مستشفى نيكور Necker لزيارة العجوز صب إيتين اللعنات بصوت خفيض وأغلق المرسم، قالت لهما البوابة التي تكنَّ لهما الكثير من الود إنهما شاحبي الوجوه وكانهما خارجين من قبر، أو كانهما من رجال الفضاء ولهذا فقد كتشفا أن مدام بويت Bobet كانت تقرأ كتب الخيال العلمي فثَّار ذلك استغرابها وعندما وصلا إلى بار Chien qui fume تناولا كأسين من النبيذ الأبيض وهما يتناقشان عن الأفلام والرسم كوسائل ممكنة مضادة لحلف شمال الأطلسي وغير ذلك من الأمور المزعجة في العالم. لم يكن إيتين يستغرب كثيرا قيام أوليفيرا بزيارة إنسان لا يعرفه، واتفقا في القول على أن هذه الطريقة هي الأكثر راحة ... إلخ وعلى طاولة البار كانت هناك سيدة تقوم، متحمسة، بتقديم وصف للغروب في نانت Nantes حيث تعيش ابنتها طبقا لقولها. كان إيتين وأوليفيرا يستمعان باهتمام لكلمات مثل الشمس والنسمة والحشائش والقمر والعقرو والسلام Larenga، و6500 فرنك والضباب ونباتات من فصيلة الدلفي، وتقدم العمر، وعمتها، واللون السماوي، وليتها لا تنس، وأصص الزرع وبعد ذلك أثار إعجابها اللوحة المكتوب عليها في هذه المستشفى اكتشف^(١) لينك السماعية الطبية» وفكر كلاهما (وقال ذلك) أن ال Auscultacion لابد وأن يكون نوعا من الشاعبين أو سلامندرا تختبئ جيدا نيكور

155

ومطاردة فى الطرقات والأبوار التى تحت الأرض حتى تستلم لامتة إلى الشاب العالم.
قام أوليفيرا بالتقصى عن الموضوع ثم توجهها إلى صالة Chauffard الدور الثانى
يمين.

- قال أوليفيرا :

- ربما لم يأت أحد ليعوده أنظر هل من باب الصدفة أن اسمه موريللى
- قال إيتين وهو ينظر إلى النافورة وما بها من أسماك، حيث ترى فى الحوش
المفتوح :

- ربما مات.

- لو كان ذلك لقالوا لى. لقد نظر إلى ذلك النمط لا أكثر. لم أشأ أن أسأله فيما إذا
كان هناك أحد قد جاء قبلنا.

- يمكن زيارته دون الذهاب إلى مكتب الأمن.

إلى آخره. هناك لحظات يكون فيها الحوار مطوّلاً، وربما كان ذلك للإحساس
بالقرف أو الخوف أو الإضطراب إلى صعود دورين مع رائحة الفينول النفاذة، يطول
الحوار وكأن المرء يتولى تعزية أحد مات له أحد أبنائه ويتم اختراع الحوار الأكثر
بلاهة. أو هو جالس إلى جوار الأم حيث يقوم بتزوير الروب ويقول «هكذا، حتى لا
تصابى بالبرد» تنتهد الأم: «شكرا» فيقول المرء «لا، على ما يبدو، لكن الحوار يصبح
بارداً بعض الشيء فى هذه الفترة من العام» فتقول الأم «نعم، هذا صحيح» فيقول المرء
«ألا تريد منديلا؟» لا. انتهى فصل الباطو الخارجى. وبعد ذلك يبدأ الهجوم على
الباطو الداخلى:

سوف أعد لك الشاى، لكن لا، ليس لى رغبة. «نعم، لابد أن تتناولى شيئاً، فليس
ممكناً ألا تتناولى شيئاً طوال عدة ساعات» لا تدرى هى شيئاً عن الساعة «لقد تجاوزت
الثامنة. ولم تتناولى شيئاً من الرابعة والنصف. كما أنك هذا الصباح لم تأكلى إلا
القليل. لابد أن تأكلى شيئاً ولو قطعة خبز محمص، وعليها بعض الحلو». ليست لها
شهية «افعل ذلك من أجلى وسوف ترين أن كل شئ صعب وخاصة فى البداية» تنتهد،
لاسلباً ولا إيجاباً «من الواضح أن لك رغبة فى الطعام وسوف أعد لك الشاى حالا». إذ
لم يجد ذلك فهناك الكراسى. «إنك فى وضع غير مريح سوف تصابين بتقلصات». هذا

155

ليس جيدا «لكن لا، لابد أن يكون ظهرك قد أصيب «بالتتميل» فقد جلست طوال المساء على هذا الكرسي الصلب، من الأفضل أن ترقدى بعض الوقت» أه لا، ذلك لا. السيرير يعتبر كأنه خيانة «هذا ما أنت فى حاجة إليه وسوف ترين أنك ستكونين فى وضع أفضل. كما أنى سوف أظل إلى جانبك» لا، كل شئ جيد هكذا حسن، لكن سوف أتيك بمخده لتضييعها خلف ظهرك» حسن «سوف تتورم سيقانك سوف أتيك بكرسى حتى يكون قدميك فى وضع أعلى» شكرا «وبعد ذلك بقليل إلى السيرير وسوف تعطينى بذلك» تنهيدة «نعم، نعم، بدون دلع، وإذا قال لك الطبيب ذلك فعليك بالطالعة» عموما «لابد أن تنامى يا عزيزتى» Valanter ad libitum

- «إنها فرصة للحلم» - مهمم إيتين الذى كان يلوك las vaneintes بمعدل مرة واحدة فى كل درجة سلّم.

- «إننا لا نعرفه. وربما قد مات بالفعل. انظر إلى هذه الشقراء»، أود أن تقوم هذه بعمل تدليك لى. أحيانا ما تدور بخاطرى خيالات عن المرض والمرضات. ألا يحدث لك ذلك؟

- عندما كان عمرى خمسة عشر عاما، إنه أمر رهيب كان إيروس مسلحا بحقنة فى العضل وكانتهم سهم مشرّع وكانت هناك فتيات رائعات يتولين غسلى من أعلى إلى أسفل، وكنت أموت فى أيديهن.

- تمارس العادة السرية

- وماذا؟ ولماذا الخجل من ممارسة العادة السرية؟ إنها نوع من الفنون الصغرى إلى جانب الفن الأكبر. لها قوانينها ووحدات الزمن والحدث والمكان إلى غير ذلك من المكونات. لقد مارست العادة السرية وأنا فى سن التاسعة وفعلت ذلك تحت شجرة لكية ombi. كان شيئا رائعا.

- لكية؟

- قال أوليفيرا :

- مثل نوع من أنواع الحجاب لكنى أعترف لك بسر. إذا ما أقمست ألا تقضى به لأى فرنسى. اللكية ليست شجرة هى: يوبو أى جرجير - حسن، لم يكن الأمر خطيرا إلى تلك الدرجة. - كيف يمارس الصبية فى فرنسا هذه العادة!

155

- لا أتذكر. - إنك تتذكر جيدا. لنا هناك أنظمة غير عادية، الدقة، واللحظة. هل قهمت؟

لا أستطيع أن أسمع تانجو إلا وتذكرت كيف كانت خالتي تعزف البيانو.
- قال إيتين :

- لست أرى وجود علاقة بين هذا وذاك...

- لانك لا ترى البيانو فقد كانت هناك مساحة خالية بين البيانو والحائط وكنت أختبئ هناك لا لأمارس العادة السرية. كانت خالتي تعزف مقطوعة «ميلونجيتا» أو الزهور السوداء. كانت مقطوعات حزينة تساعدني في أحلامي عن الموت والتضحية. وأول مرة اتسخ فيها الباركيه بسببي كانت رهيبه إذ تصورت أن البقعة لن تزول، ولم يكن معي منديل وعلى الفور أمسكت بفردة شراب وأخذت أمسح كالمجنون كانت خالتي تعزف «بيانكا» ويمكنني أن أعزفها لك صغيرا إذا ما أردت. إنها جد محزنة...
- لا يمكن الصفيير في المستشفى. لكنك تشعر بالحزن على نفس الدرجة. لقد أصبحت في حالة يرثى لها يا أوراثيرو ..

- إنني أبحث عن ذلك. مات الملك يحيا الملك. فإذا ما ظننت أنه من أجل امرأة ...
لكيه أو امرأة، فالكل جرجير في حقيقة الأمر..

- قال إيتين :

- ذلك رخيص، رخيص جدا. سينما سيئة، وحوارات لا قيمة لها ومن المعروف ما هو ذلك. الدور الثاني. إستوب، مدام ...

- من هنا - قالت الممرضة

- قال لها أوليفيرا :

- لم نعر حتى الآن على الـ auscultacion

- قالت الممرضة :

- لا تكن أبليها.

- قال إيتين :

- تعلم تحدث كثيرا عن حلم الخبز الذي يشكو. وتزعج الآخرين كثيرا
وبعد ذلك لا تقدر على حكاية النكات لماذا لا تذهب إلى الريف لبعض الوقت؟ إن

155

وجهك يصلح لأن يكون هدفا للرسام سوتين Sautine يا أخى.

- قال أوليفيرا :

- إن ما يزعجك فى حقيقة الأمر هو أنني قد أخذتك من بين نزواتك الملونة وعاداتك اليومية وأجبرتكَ على أن تأتي معى لتطوف فى باريس بعد يوم الدفن. فالصديق الحزين، له علينا أن نسرى عنه. وعندما يتصل الصديق بالتليفون لأبد من السير على هواه. يتحدث الصديق عن المستشفى، وحسن. هيا بنا.

- قال إيتين :

- أقول لك بصراحة تزداد لامبالاى بك. وما كان يجب على أن أفعله هو التجوال مع لوشيا المسكينة. فهى التى فى حاجة لذلك.

- قال أوليفيرا وهو يجلس على كرسي :

- هذا خطأ إن ماجا مع أوسيب وعندها ما يسليها، هو جو وولف، وتلك الأمور. فى حقيقة الأمر نجد أن ماجا حياتها الشخصية رغم أنني تأخرت زمنا فى معرفة ذلك. أما أنا ففي خواء، وعندى حرية كبيرة لأحلم وأسير هنا وهناك، وأكسر كل اللعب ولا مشكلة فى ذلك. أعطنى كبريتا.

- لا يمكن التدخين فى المستشفى.

- نحن الذين نصنع هذا مناسب جدا للتسمع

- قال إيتين :

- توجد صالة Chauffard هناك فلن نمكث اليوم بطوله على هذا المقعد.

- انتظر حتى أنهى من تدخين السيجارة.

(-92)

الهوامش

هوامش المقدمة:

- (١) Jakfa;vi- susana, (las armas secretas) Catedra Madrid- 1986- pag12.
- (٢) انظر رواية (الحجلة) وخصوصا الاشارات الواردة بهذا الخصوص في الجزء الأول منها (من هذا الجانب)
- (٣) J. Susana ibid pag12
- (٤) G.Bermejo Ernesto
- «حوار مع كورتاثار» دار نشر - المكسيك Hermes ١٩٧٨ ص ٢٧.
- (٥) J.Susana ibid pag 13
- (٦) G.B. Ernesto ibid pag28
- (٧) «حوار مع خوليف كورتاثار» O. Prego دار نشر Muchnik - برشلونة ١٩٨٥ - ص ٤
- (٨) نفس المصدر ص ٥٥
- (٩) نفس المصدر ص ١٦ J. Susana
- (١٠) Rayuela- Catedra- Madrid 1996 pag18
- (١١) نفس المصدر O. Prego
- (١٢) نفس المصدر O. Prego
- (١٣) Verdevoye Paul "Antologia de la narrativa Hispanoamericana. Gredos. Ma- drid 1979 paf29
- (١٤) المقدمة نفس المصدر Amoros Andres
- (١٥) نفس المصدر ٤٢ G. Bermejo E.
- (١٦) نظرية القصة عند كل من أوتاموئو وأورتيجا وكورتاثار
- (١٧) نفس المصدر ص ١٠٧
- (١٨) نفس المصدر ص ١١١
- (١٩) نفس المصدر ص ١٩٢
- (٢٠) نفس المصدر ص ٦٣ G.B. Ernesto
- (٢١) نفس المصدر ص ٥٨

- (٢٢) نفس المصدر ص ٦٠ Prego Omar
(٢٣) الرواة في أمريكا اللاتينية ص ٣٢ L. Harss
(٢٤) نفس المصدر ص ٢٥ Jakalvi susana

هوامش الرواية

تنويه : لقد اعتمدنا في هذه الهوامش على تلك التي أعدها البروفسور: أندريس أموروس - طبعة كاتندرا - لعام ١٩٩٦.

الفصل (-1-)

- (١) يقع هذا الشارع في الحيّ اللاتيني في باريس
(٢) يمتد على الشاطئ الأيسر لنهر السين
(٣) يصب شارع Maga على السين من الشاطئ المقابل
(٤) هو أحد الأحياء القديمة والهادئة التي تتسم بطبيعتها التقليدية
(٥) يمتد من شارع Chatelet متجها نحو الشمال
(٦) (١٨٨٢-١٩٦٣) هو واحد من عمالقة التيار التكعيبي التركيبي.
(٧) (١٤٤٩-١٤٨٤) رسام ينسب للعصر الثاني للفلورنس القرن الخامس عشر
(٨) واحدة من كبار الأدباء الطليعيين وخاصة المدرستين الدادية والسيرالية
(٩) حديقة هادئة فيها هضاب وبحيرة في دائرة المدينة الجامعية
(١٠) أكبر ميادين باريس.
(١١) (١٢٢٥-١٣٣٧) هو مؤلف كتابي «الكلمات المقدسة» و«الأعمال الطيبة لقديسنا الملك لويس»

- (١٢) هوشارح يقع على الجانب الأيمن في منطقة Halles
(١٣) يقع في الحي اللاتيني وفيه بعض المطاعم الشعبية الشهيرة
(١٤) هو عنوان إحدى القصص القصيرة المشهورة للأخوين جاكوب (١٧٧٥-١٨٦٣) و يلهلم (١٧٨٦-١٨٥٩) وهما من الكتاب الرومانسيين والباحثين في ألمانيا
(١٥) ظهرت لامجا إحدى شخصيات هذه الرواية لأول مرة في الشارع
(١٦) أحد عمالقة جيل الأورجواي أي المسمى جيل ال ٩٠٠ (١٨٦١-١٩٣٨) مارس العديد من المهن: محامى وسياسى وكاتب ورسام...

- (١٧) (١٨٧٩-١٩٤٠) أحد أكبر عمالقة الفن التجريدي في الحقبة المعاصرة - سويسري
- (١٨) (١٨٩٣-١٩٨٣) أحد كبار الفنانين السرياليين الأسبان
- (١٩) (١٨٩٣-١٩٧١) ممثل ومخرج سينمائي له أكثر من مائتي فيلم
- (٢٠) (١٨٩٥-١٩٦٧) مخرج سينمائي نمساوي، هو أحد عمالقة الإخراج السينمائي في ألمانيا
- (٢١) (١٨٩٠) مخرج سينمائي نمساوي وأحد عمالقة السينما
- (٢٢) كانت المحبة للفنانين والكتاب خلال الفترة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية مثل جويس.
- (٢٣) يقع في جنوب باريس
- (٢٤) الحب الكبير للراوي
- (٢٥) إيسيدورو نوكاس (مونتفيدو ١٩٤٦ - باريس ١٩٧٠) كونت، مؤلف «أغاني مالدورود
- (١٨٦٩)
- (٢٦) ولد في دبلن ١٧٨٢ هو أحد مبدعي دعائم الاتجاه الرومانسي الإنجليزي.
- (٢٧) عنوان أحد أشهر مؤلفات هذا العالم الكبير.

الفصل (٢-)

- (١) هو اسم مدينة فرنسية وبالتالي فقد أطلقت لاماها اسم المدينة عليها
- (٢) موسيقى شهير (١٧٩٧-١٨٢٨)
- (٣) الأوبرا الشهيرة «السوداء» لـ George Gershwin (١٨٩٨-١٩٣٧)
- (٤) موسيقى (١٨٦٠-١٩٠٣)
- (٥) هناك إشارات في أكثر من مكان الديكارت ويعتبر في هذه الرواية كرمز للعقلانية التي يحاول بطل الرواية تجاوزها.
- (٦) هو أسلوب متطور «بتداء بما يسمى be-bop.
- (٧) هذه أول إشارة إلى زمن أحداث الرواية كما أنه سيبدو لذكر الإشارات الأخرى نبرز منها الحديث عن بناء السد العالي في مصر.
- (٨) فيلسوف دانمركي يعتبر من رواد الفلسفة الوجودية.
- (٩) (١٨١٠-١٨٥٦) وأبرز أعماله «حب وحياة امرأة»
- (١٠) Bebop ليس هناك اتفاق حول أصول هذه الكلمة التي علمت بـ «ب ب» جديد في موسيقى الجاز خلال الأربعينات من القرن العشرين وربما «ب ب» : «ب ب» عندما تهوى على الرأس.

- (١١) مفكر وفيلسوف أسباني شهير (١٨٨٣-١٩٥٥)
(١٢) (١٨٧٤-١٩٢٨) فيلسوف ألماني قام بوضع أخلاقيات القيم.

الفصل (-3-)

- (١) يلاحظ هنا أنه يبدأ لأول مرة عملية السرد القصصى باستخدام ضمير الغائب بعد أن كان ضمير المتكلم فى البداية
(٢) (١٧٠-١٨٠٣) له سلسلة عديدة من المؤلفات الموسيقية تبلغ ٨٣ رباعية ألّفها على مدى نصف قرن
(٣) (١٨٢١-١٩٠٦) كان من معارضى Rosas وأصبح بعد ذلك رئيساً لجمهورية الأرجنتين خلال الفترة من (١٨٦١-١٨٦٩) نشر عدة قصائد وبعض الروايات وله دراسات أخرى.
(٤) (١٧٤٠-١٧٨٢) هو واحد من الثوار فى بيرو. أطلق عليه هذا الاسم ظناً أنه من سلالة أبناء حضارة الانكاس. Incas أعدم فى ميدان عام.
(٥) هما أكبر ناديين متنافسين فى الدورى الأرجنتينى لكرة القدم.
(٦) هو رسم أطلق على أسلوب فنى لنجار إنجليزى عاش خلال القرن الثامن عشر.
(٧) أحد أبطال الأساطير الهندية.
(٨) هو عنوان رواية للروائى والقر باتر (١٨٣٩-١٨٩٤)
(٩) هو أول من صعد إلى أعلى قمة فى الهيمالايا إلى جانب أحد زملائه.

الفصل (-4-)

- (١) تظهر لأول مرة الإشارة إلى الرمز الأساسى للرواية وهى الحجة
(٢) بنادى لويس الخامس عشر ليكون كنيسة ثم أصبح صرحاً للمشاهير
(٣) هذه أول إشارة إلى ما أطلق عليها أليفيرا اللغة الجليجية
(٤) (١٧٢٤-١٨٠٦) كاتب فرنسى عاش خلال القرن الثامن عشر يتسم بأنة غريب الأطوار وإباحى.
(٥) (١٩٠٣-١٩٢٣) روائى فرنسى عاش خلال الفترة بين الحربين
(٦) (١٨١١-١٨٧٢) شاعر فرنسى
(٧) سوف يرد الحديث فيما بعد عن هذا المذهب الشرقى.

(٨) قصاص وكاتب مقال فرنسى عاش فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

الفصل (-5-)

(١) روائى روسى مؤلف «حكايات صياد» وه أب وأبناء... (١٨١٨-١٨٨٣)

(٢) ابنة هيلويسويبرسيداً ، تزوجت من مينوى وأصبحت الملكة الأسطورية لجزيرة كريت

الفصل (-6-)

(١) روائى وكاتب مسرحى فرنسى حاصل على جائز نوبل عام ١٩٥٢

(٢) يذكر السوق الذى يوجد فى هذا الشارع فى الفصل ٢٣

(٣) يمكن أن يكون فى هذا السياق بمثابة زوجين من الشخصيات الشعبية لا ينفصلان عن بعضهما .

(٤) يعود المؤلف لذكر هذه العبارة مرة أخرى فى بداية الفصل رقم ٩٢. وقد خصص هذا الفصل

(السادس) للقائدات الصدفة التى تعتبر ملمحا من ملامح سيرة خوليو كورتاثار.

الفصل (-7-)

(١) اسم عملاق من الأساطير اليونانية وله عين واحدة

الفصل (-9-)

(١) فيلسوف ألماني اخترع نظام تعليم اللغات الذى يحمل اسمه. وقد استخدم هذا المنهج لأول مرة فى أمريكا عام ١٨٧٨.

(٢) (١٨٦٤-١٩٠١) أحد الدعامات الرئيسية لاتجاه مابعد الانطباعية.

(٣) أحد الأسماء اللامعة فى عالم الرسم التجريدى (يعود المؤلف للإشارة إليه عند الفصل ٢١، ٢٨، ١٢٣...)

(٤) هو الذى أسس مدينة بوينوس آيرس عام ١٥٣٦م.

الفصل (-10-)

(١) موسيقى من شيكاغو تعلم وحده العزف على البيانو ويعض الآلات الموسيقية الأخرى ولدعام

(١٩٠٣) وهو واحد من مشاهير موسيقى الجاز

(٢) (١٩٠٤-١٩٣٣) عازف جيتار أمريكى

- (٣) عازف ساكسفون، وتينور (١٩٢٧-٩٠) هو أحد رواد التيار الموسيقي Cool.
(٤) مفكر أسباني معاصر.

الفصل (-11-)

- (١) إشارة إلى المدرسة اليونانية التي توجه الفكر في اتجاه الميتافيزيقا ومن أبرز عمدتها ميليسو وذيونون و...
(٢) أحد مشاهير موسيقى الجاز وأسلوبه طبقا للكورثاثر هو المناقض لـ hot.
(٣) عازف بيانو وضابط إيقاع وقائد أوركسترا.

الفصل (-12-)

- (١) روائية أمريكية ولدت عام ١٩١٨
(٢) كاتب فرنسي ألف عددا من الروايات والقصائد والمقالات، وينسب إلى المدرسة السيريالية.
(٣) قامت الجيوش الرومانية التابعة لجيوليوس قيصر (٢٠٥ ق.م) بغزو جزيرة Cité وهي التي أطلق عليها بعد ذلك Lutecia.
(٤) هو أحد مشاهير العزف على آلة من آلات النفخ Trompeta.
(٥) كان يقود فرقة موسيقية كبيرة - ولد عام ١٨٩٠ -
(٦) (١٨٩٤ - ١٩٣٧) هي إمبراطورة الـ blues.

الفصل (-13-)

- x نوع من الأطباق الألمانية وهو يقوم أساسا على نبات الكرنب

الفصل (-14-)

- (١) عازف الساكس (١٩٢٦ - ١٩٦٧)
(٢) عازف الساكس والكلارينيت (نيو أورليانز ١٨٩٧ - ١٩٥٩)
(٣) ربما كان ذلك نوعا من المزاج وهو في ذلك يشير إلى الكاتب الفرنسي octave Mirabeau.
(٤) (١٨٩٣ - ١٩٥٨) أحد أبرز من غنوا الـ blues وواحد من أشهر العازفين على الجيتار.

الفصل (-15-)

- (١) ولدت في جورجيا ١٨٨٦ وهي أقدم مغنية blues معروفة حتى الآن.

(٢) (١٩٠٤-١٩٤٣) عازف بيانو وأورج - من مواليد نيويورك.

(٣) (١٩١٠-١٩٤١) عازف سالكس، ومغنى

(٤) ولد عام ١٩١٢ عازف بيانو ومؤلف موسيقى

الفصل (16-)

(١) هي تسجيلات تاريخية لـ Duke Ellington مع الأوركسترا الخاصة به (١٨٩٩-١٩٧٤) وهو عازف بيانو واحد ومؤسس أشهر أوركسترا جاز. ألف أكثر من ٤٥٠ موضوعا وسجل أكثر من ٢٠٠٠.

(٢) عازف بيانو شهير.

(٣) شاعر فرنسى حصل على جائزة نوبل عام ١٩٦٠.

(٤) (١٤١٦-١٤٩٢) رسام Quattrocento الفلورنسى. وأبرز أعماله توجد فى رسومات الفريسك فى كنيسة سان فرانشيسكو فى أريزو.

الفصل (17-)

(١) (١٨٨٥-١٩٤١) عازف بيانو ومن السكان الأصليين Criollo وقائد أوركسترا وهو أحد من أسسوا الأسلوب الموسيقى الجديد الذى يطلق عليه نيو أورليانز.

(٢) (١٣٧٧-١٤٥٥) أحد رسامى مدرسة Verana وهو واحد من أشهر رسامى الميديايات.

(٣) (١٨٧٤-١٩٥١) أحد أبرز موسيقى مدرسة فينا.

(٤) ولد عام ١٩٢٩ - عازف ساكس ومغنى. يتسم مستواه بالصعود والهبوط والتناقض.

(٥) (١٩١٢-١٩٥٦) أحد مبدعى التعبيرية التجريدية فى الولايات المتحدة.

(٦) ولد عام ١٨٩٠ ينسب لنفس مدرسة Pollock.

(٧) واحدة من أشهر الأغانى الشعبية خلال العشرينات من القرن العشرين.

(٨) (١٨٨٩-١٩٣٣) يعزف على آلة الفلنج وهو من نيو أورليانز لكنه كان يقدم معزوفاته فى شيكاغو.

(٩) (١٨٧٩-١٩٤٩) يعرف على الـ Trompeta والكورنيت.

(١٠) (١٩٢٠-١٩٨٠) عازف بيانو - ولد فى نيويورك.

- (١١) ولد عام ١٩٢٨ - مغنى وعازف بيانو وساكس
- (١٢) (١٩١٠ - ١٩٥٦) أحد عمالقة العزف على البيانو.
- (١٣) «تراب النجوم» هو معناها وهى أغنية كتبها ميشيل باريس.
- (١٤) ولدت عام ١٩١٨ وهى من أفضل مغنيات الجاز فى الولايات المتحدة.
- (١٥) ولد عام ١٩٢٥ فى تورونتو - عازف بيانو - كندى الجنسية.

الفصل (-18-)

- (١) لفنتكتور هوجو (١٨٠٢ - ١٨٨٥)
- (٢) لالكساندر روماس.
- (٣) من المحتمل أنه يشير إلى ذلك الفنان J.P.Brinet الذى كان له تأثير كبير على السيرباليين.
- (٤) ١٨٩٢ - ١٩٤٠ عازف كلارينيت
- (٥) نوع من السفزنية الصوتية من اسم Aldaur Huxley الروائى الإنجليزى.
- (٦) من المداعبات الصوتية لأسم الروائى الإنجليزى Aldous Huxxley.
- (٧) ضابط إيقاع ولد عام ١٨٩٨.

الفصل (-19-)

- (١) مدينة إيطالية تقع على بحر الأدرياتيكى
- (٢) طبيب قرئسى شهير عاش خلال القرن السادس عشر وهو أحد رواد الجراحة الحديثة.
- (٣) يقع هذا المكان بالقرب من بوينوس أيرس دارت فيه المعركة التى كانت إيذاناً بانتهاء طغيان Rosas عام ١٨٥١م.

الفصل (-20-)

- (١) هو ممثل كوميدى أمريكى ولد عام ١٩٠٤

الفصل (-21-)

- (١) لورانس دوريل، من مؤلفاته «رباعية الإسكندرية».
- (٢) سيمون دى بوفوار رفيقة سارتر ومؤلفة أعمال كثيرة.

- (٣) ولدت مارجريت بوراس عام ١٩١٤ هي واحدة من كتاب "nouveau roman".
- (٤) ربما كانت الإشارة هنا لمؤلف قصة Jean la parruque
- (٥) ولدت في روسيا عام (١٩٠٢). روائية.
- (٦) شاعر سيريفالى - فرنسى ولد عام ١٩٠٠
- (٧) (١٨٩٦-١٩٤٨) شاعر ومجدد في المسرح الحديث.
- (٨) ولد في باريس عام ١٨٨٥ وتوفي في نيويورك ١٩٦٥ - أحد رواد الموسيقى المعاصرة.
- (٩) أحد من أسهموا في خلق «المعجزة الألمانية» بعد الحرب
- (١٠) أخت بيرجيت باربو
- (١١) ولد عام ١٩٢٦ أحد رواد الإتجاه الجديد في الرواية "Nouveau Roman".
- (١٢) ولد في بكن عام ١٩٢٠ هو أحد رسامى مدرسة باريس.
- (١٣) ملاكم أرجنتيني
- (١٤) أشهر جوكى أرجنتيني
- (١٥) مغنى ومؤلف موسيقى ولد في مونت كارلو عام ١٩١٦.
- (١٦) هو اسم الشهرة لفرنسوا سيلي - مغنى ومؤلف موسيقى.
- (١٧) مؤلف أغاني وموسيقى فرنسى - ولد في القاهرة عام ١٩٣٠.
- (١٨) (١٦٣٢-١٦٧٧) هولندى من أسرة من المهاجرين اليهود من نوى الأصل الأسباني.

الفصل (-22-)

- (١) إشارة إلى بيت الشعر الشهير «الناس ليسوا جزيرة واحدة» [١٥٧١-١٦٣١]

الفصل (-23-)

- (١) (١٨٣٦-١٨٩١) مؤلف موسيقى فرنسى.
- (٢) (٨٨٢-١٩٤٥) مؤلف موسيقى - مدرسة فينا.
- (٣) (١٨٨٦-١٨١١) من أشهر عازفى الكمان في الفترة الرومانسية.
- (٤) (١٨٧٣-١٩٤٣) من أشهر عازفى الكمان في خلال ما بعد الرومانسية.
- (٥) (١٨٧٣-١٩٢٩) عازف بيانو فرنسى.

- (٦) (١٨٩٤-١٩٦١) مؤلف قصة (رحلة إلى آخر الليلة)
- (٧) مؤلف موسيقى وقائد أوركسترا فرنسى ولد عام ١٩٢٥.
- (٨) أحد الأبطال وعنوان للمسرحية التى ألفها جبرى (١٨٧٣-١٩٠٧)
- (٩) (١٨٦٦-١٩٢٥) مؤلف موسيقى فرنسى
- (١٠) (١٨٨٠-١٩٥٣) عازف فيولين - فرنسى الأصل
- (١١) (١٨٩٩-١٩٦٣) أحد مجموعة الموسيقيين الستة الفرنسية.
- (١٢) (١٨٧٤-١٩٣٦) ناقد ومؤرخ أدبى
- (١٣) هو الاسم المستعار لكاتب شهير يخفى اسمه، وأحد مؤلفاته «الغموض فى الكاتدرائيات»
- (١٤) (١٨٩٢-١٩٨٣) هى واحدة من مجموعة الموسيقيين الستة.
- (١٥) (١٨٧٤-١٩٦٦) عازفة بيانو ومدرسة.
- (١٦) (١٨٥٧-١٩٢٤) روائى إنجليزى.

الفصل (24-)

- (١) رواية من روايات المغامرات لانطونى هوب

الفصل (25-)

- (١) (١٨٦٦-١٩٣٨) فيلسوف وجوذى من أصل روسى.
- (٢) (١٦٦٣-١٦٦٢) من مؤلفاته «أفكار»

الفصل (26-)

- (١) فى هذه الفقرات يبدأ المؤلف الإشارة إلى عدد من الرسامين من المدرسة الفرنسية خلال القرن العشرين
- (٢) رسام تجريدى ولد عام ١٩٠٤
- (٣) رسام سيريالى ولد عام ١٩٠٢
- (٤) ولد عام ١٩٠٠
- (٥) ولد عام ١٩١١ - بدأ نشاطه فى التكعيبية ثم خرج بعد ذلك على التجريدية الهندسية.

(٦) ولد عام ١٨٧٥ - رسام تكعيبي

(٧) فنان سويسري

(٨) عالم إنثربولوجيا وباحث معاصر

(٩) أحد أبطال قصة لريلك عنوانها "el de Duino"

(١٠) هي الأراضى الأسطورية التي كانت تسافر إليها مراكب الملك سليمان بحثاً عن الذهب والفضة.

الفصل (-28-)

(١) مغنى أوبرالى إيطالى ولد فى فلورنسا ١٩١٥

(٢) (١٨٣٣-١٨٩٧) موسيقى كتب ثلاث سوناتات

(٣) هاملت - الفصل الخامس - المشهد الثانى.

(٤) (١٦٠٦-١٦٦٩) رسام

(٥) فيلسوف ألمانى ولد فى بدايات القرن العشرين.

(٦) (١٣٩٠-١٤٤٤) يعتبر واحداً من مبدعى الرسم الفلامنكى

(٧) أحد شخصيات القصة القصيرة التي تحمل عنوان «الحقيقة حول قضية السيد فالديمر» لآلان بوبه

(٨) هو الاسم المستعار لجان فرانسوا جرافيليت (١٨٢٤-١٨٩٧) الذى عبر فوق شلالات نياجرا عام ١٨٥٩ وهو يسير على سلك يرتفع عن الأرض بحوالى ٤٨ متراً وكان طول السلك ٣٣٠ متراً.

الفصل (-29-)

(١) رواية رومانسية للإنجليزى تشارلز مورجان

(٢) هنا إشارة إلى الحملة التى نظمها اليونسكو لإنقاذ آثار النوبة من الغرق من جراء إنشاء السد العالى فى أسوان.

الفصل (-31-)

- (١) (١٥٦٧-١٥٨٩) فرنسي من طائفة الدومنيكان قام باغتيال إنريكي الثالث
- (٢) أديب حاصل على جائزة نوبل للأدب عام ١٩٦٥.
- (٣) روائي أسباني - يعتبر من آباء الواقعية في أسبانيا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.
- (٤) مؤلفة لعدد من القصص الشهيرة «جراند أوتيل» ...
- (٥) (١٨٨١-١٩٥٨)

الفصل (-34-)

- (١) عند قراءة هذا الفصل سوف يلاحظ القارئ وجود فواصل عبارة عن شُرط مائلة ذلك أن المؤلف أراد أن يجمع في هذا الفصل بين ما يفكر فيه أحد أبطال القصة وبين ما يقرأه وهو بداية إحدى قصص الروائي الأسباني بيريت جالدوس، فالعبارة التي تلي على الشرطة الأولى والتي يبدأ بها الفصل يمكن لنا أن نضع لها ترقيمًا فرديًا، ثم ترقيمًا زوجيًا للعبارة التي تليها وبالتالي يكون الترقيم الفردي قاصر على ما يورده من رواية جالدوس والترقيم الزوجي قاصر على الخواطر التي يعيشها أثناء القراءة وهكذا حتى تختفي هذه الشُرط في الفقرة الأخيرة من الفصل حيث تدخل كلها في دائرة الخواطر.
- (٢) هو لويس جوتشا برابو (١٨١١-١٨٧١) سياسي إسباني من العصر الأيزابيلي. كان أحد أصدقاء الشاعر الأسباني بيكر ...
- (٣) خوان برابو موريو (١٨٠٣-١٨٧٣) سياسي أسباني من نفس العصر الأيزابيلي. كان من اليمين المعتدل ومن السياسيين القلائل من نوى الأصل غير العسكري بين الأسبان خلال القرن التاسع عشر.

الفصل (-35-)

- (١) (١٩١٤-١٩٥٥) فنان تجريدي، سوف يرد ذكر اسمه في فصول لاحقة (٩١، ٩٦)

الفصل (-36-)

- (١) هو اسم الشيطان حيث ورد ذكره في التلمود

(٢) (١٨٥٩-١٩٠٦) عالم فيزياء فرنسي - اكتشف الراديو. مات في باريس عندما دهمته سيارة نقل.

(٣) واحدة من القصائد الفلسفية لألفريد دي فيني (١٧٩٧-١٨٦٣) والتي عنوانها Les destinees

(٤) هي القصيدة الوطنية الأرجنتينية من تأليف خوسيه إيرنانديث (١٨٢٤-١٨٨٦)
(٥) أغنية فرنسية شعبية.

الفصل (-37-)

(١) يظهر هذا الاسم مرتبطاً بعالم السيرك. (١٨١٠-١٨٩١) - أمريكي حاز شهرة واسعة
(٢) هو اسم أحد قائدي السيارات المشهورين آنذاك (أرجنتيني)

الفصل (-40-)

(١) - هوليوود وتورس نلسون مخرج سينمائي أرجنتيني شهير ولد عام ١٩٢٤ ومن أفلامه الحائط، منزل الملك، السقوط ...

(٢) ولد عام ١٩١٤ - روائي أرجنتيني ينسب إلى تيار القصص السحري.

(٣) ولد عام ١٩٢٩ روائي أرجنتيني وكاتب مقال.

(٤) (١٨٩٥-١٩٧٩) هو فسيح أرجنتيني لجأ إلى المقال والشعر والسرد القصصي للتعبير عن أفكاره الكاثوليكية.

(٥)

(٦) ولد عام ١٩٠٩ وهو مؤلف لقصص قصيرة ذات الطابع السيريالي وأخرى رومانسية.. كما أنه شاعر ومترجم.

(٧) هنا إشارة إلى «القاموس الأيدولوجي للغة الأسبانية» للمؤلف المذكور (١٨٧٧-١٩٦٤) والذي شغل منصب أمين الأكاديمية الملكية للغة الأسبانية.

الفصل (-41-)

(١) (١٨٤٣-١٨٨٨) روائي ينسب إلى المدرسة الطبيعية.

- (٢) شاعر إيسلندي.
- (٣) (١٨٦٥-١٩٣٣) مؤلف «التاريخ الأدبي للشعور الدينى فى فرنسا» كان له تأثير كبير من خلال دراساته حول الكلمة الشعرية «والشعر المحض».
- (٤) (١٧٨٠-١٨٤٥) سياسى أرجنتينى. تم انتخابه رئيسا للجمهورية عام ١٩٢٦.
- (٥) ممثلات أرجنتينيات.

الفصل (-42-)

- (١) (١٨٨٨ - ١٩٧٠) شاعر إيطالى - من أعماله الميناء المدفون، الألم، شعور الزمن.
- (٢) هو أحد الكتب الشهيرة فى الديانة المصرية القديمة والذى يتحدث عن العالم الآخر.
- (٣) (١٩١٧ - ١٩٥٠) عازف بيانو رومانى. كان ينظر إليه على أنه الطفل المعجزة.

الفصل (-45-)

- (١) (١٧٢٠-١٧٧٨) تتسم لوحاته بأنها تتسق مع الحساسية الفنية المعاصرة.

الفصل (-46-)

- (١) (١٨٨٩ - ١٩٦٠) عالم، ومترجم أسبانى. وهو أول من ترجم الأعمال الكاملة لشكسبير فى أسبانيا.
- (٢) اسم شخصية أسطورية ترمز إلى العلوم القديمة.

الفصل (-49-)

- (١) إحدى المعارك الشهيرة خلال الحرب العالمية الثانية (أبريل ١٩٤٥) حيث أنزل الحلفاء جنودهم فى أوكيناوا فى اليابان.

الفصل (-50-)

- (١) ممثلة إيطالية ولدت عام ١٩٢٣. مثلت بعض الأفلام مثل «المغامرة» والليلى، الخسوف ...

الفصل (-٥١-)

- (١) Birome هو اسم المخترع الأرجنتيني للقلم الجاف. وقد ذكرناه في البداية بهذا الاسم ثم أشرنا إليه بـ القلم الجاف» في كل موضع كان الكاتب يذكر فيها اسم المخترع باطلقه على اختراعه.
- (٢) هو مصطلح إنجليزى أطلق على سياسة الرئيس الأمريكى الأسبق روز فلت.

الفصل (-54-)

- (١) رسامة معاصرة من أمريكا اللاتينية.
- (٢) هو المكان الذى هاجم فيه المألقة الآلهة لكنهم هزموا فى مقدونيا (الأساطير اليونانية).
- (٣) إشارة ساخرة إلى فلورنشا نايتجال ١٨٢٠ - ١٩١٠ المعطاءة الإنجليزية فى قطاع المستشفيات.
- (٤) إشارة إلى أسطورة أورفيو الذى ينزل إلى الجحيم لينقذ زوجته إيوريديس.
- (٥) أسطورة يهودية وردت فى التلمود وتتحدث عن إنسان صنع من الطين لهذه القصة علاقة قوية بقصه خلق آدم.
- (٦) شجرة العالم فى نظر النورماندين، ولها جذور ثلاثة تحصل على مياهها من نبع المعرفة ومن سر المصير ومن أعماق الأرض. وتعتمد عليها قصة الفيلم الأمريكى «شجرة الحياة»

الفصل (-56-)

- (١) هى منطقة سهلية تقع بالقرب من مدينة Talca فى شيلي. وقد وقعت فيها معركة أثناء حرب الإستقلال إذ كان وصول القوات الأسبانية إلى هناك عام ١٨١٨ سببا فى أن ساد الذعر بين السكان الذين تعرضوا لهزيمة أخرى فى نفس المكان وخلال نفس الشهر.

الفصل (-57-)

- (١) موسيقى من أبناء أمريكا اللاتينية

الفصل (-60-)

- (١) (١٨٨٠ - ١٩٤٢) نمساوى من أبرز من أدخلوا تجديدات على الرواية المعاصرة.
- (٢) (١٨٧٧ - ١٩٢٣) أحد رواد السريالية.

- (٣) (١٩١٠-١٩٧٦) شاعر وروائي وكاتب مقال - كوبا.
- (٤) (١٩٠٠-١٩٨٣) أبرز مخرجي السينما الأسبانية فى الحقبة المعاصرة - السريالية أبرز توجهاته.
- (٥) (١٨٩٩-١٩٨٤) شاعر ورسام.
- (٦) كاتب إيطالى ولد عام ١٩٠٦
- (٧) (١٨٦٦-١٩٦٢) واحد من أبرز مبدعى البنية الروسية.
- (٨) (١٥٢٧-١٥٩٣) رسام إيطالى فى خدمة سلالة هابسبورج
- (٩) مخرج سينمائى فرنسى وأول المخرجين الذين تم إختيارهم ليكون عضوا فى الأكاديمية
- (١٠) رسام إيطالى
- (١١) شاعر أمريكى معاصر
- (١٢) هى بارونة ولدت فى الدانمارك عام ١٨٨٥ وبدأت مشوارها الأدبى عام ١٩٣٥ والاسم السابق هو الاسم المستعار

الفصل (٦٨-)

× هو أبرز مظاهر استخدام كور تآثر اللغة جديدة أطلق عليها فى سطور الرواية الجليجية وهى لغة يقتصر فهمها على اثنين، وهما فى هذه الحالة بهذة اللغة لاماجا وأوراثيو (لمزيد من التفاصيل نرجو من القارئ العزيز مراجعة التعليق الخاص بهذا البند فى المقدمة.

الفصل (٧٠-)

(١) (١٣٦٠-١٣٢٧) فيلسوف ومتصوف ألماني

الفصل (٧١-)

- (١) (١٨٥٨-١٩٤٧) فيزيائى أغانى - جائزة نوبل عام ١٩١٨.
- (٢) فيزيائى ألماني حاصل على جائزة نوبل عام ١٩٢٣
- (٣) هو عنوان قصيدة لسبلى (١٨١٣). هذه الشخصية هى ملكة الحوريات فى الأدب الإنجليزى
- (٤) سوف يتمخض عن هذه العبارة قصة الالتفاف حول اليوم من خلال ثمانين عالما

(٥) هو مقطع من أغنية ساخرة حازت شهرة شعبية منذ بداية القرن العشرين ودائماً ما تغنى عندما تسير كل الأمور فى طريق غير قويم فى بلد من البلدان.

الفصل (-73-)

(١) كهف يفترض أنه يعود إلى العصر المجدلى أى إلى عام ١٤٠٠ ق.م. ثم اكتشفوه عام ١٩٤٠.

(٢) رسام فرنسى ولد عام ١٩١٢ - حاز شهرة واسعة فى حياته.

(٣) كانا رمز الخير والشر فى الديانة التى كان عليها الفرس. وهذا يعنى أن المؤلف يرفض هذه الثنائية.

الفصل (-74-)

(١) لقد أشار كوتاتار قبل ذلك إلى هذه الموسيقى عندما توفى الطفل روكاما نور (الفصل ٢٨)

الفصل (-78-)

(١) (١٨٩٤-١٩٦٢) شاعر أمريكى معاصر

(٢) يدخل هنا عنوان فيلمين شهيرين للأخوين ماركس.

الفصل (-79-)

(١) إشارة إلى بودرليز «زهوور الشر»

(٢) سوف يشير أيضاً إلى جيمس جويس فى الفصلين ٩٥، ٩٧.

الفصل (-81-)

(١) (٤٤٥-٢٨٦ ق.م) أشهر كاتب مسرحى يونانى. مدافع قوى عن التراث والتقاليد.

الفصل (-82-)

(١) ربما كان ذلك نوعاً من التنويه بغاوست لجوته.

الفصل (-٨٣-)

- (١) لفيرجينيا وولف. وربما كانت أفضل القصص التي تأخذ توجه المدرسة الانطباعية.
(٢) (١٦٦٧-١٧٤٥) كاتب ساخر، أصيب بالجنون خلال الأعوام الثلاثة السابقة محل وفاته.

الفصل (-84-)

- (١) إشارة إلى رسوم ألبرتو دويرو (١٤٧١-١٥٢٨)
(٢) مارسيل جوهاندر - ولد عام ١٨٨٨ - روائي فرنسي وكاتب مقال من نوى الاتجاهات الأخلاقية، تدور أحداث رواياته في قرية متخيلة.

الفصل (-86-)

- (١) اشتهرا في العالم أجمع لعملهما «عودة السحرة» الذي أسهم في خلق اتجاه جديد هو عالم الباطنية

الفصل (-87-)

- (١) أحد مؤلفي واحدة من الدراسات الكلاسيكية عن روكي إيلنجتون
(٢) عازف Trampera ومدير فرقة ولد عام ١٩٠٨. ويدع فترة انضم إلى أوركستر روكي إيلنجتون
(٣) هناك جزء هام من قصائد كانولو مخصصة لمحبيته ليسيبيا

الفصل (-90-)

- (١) هو حلقة من الـ Mahabharata مؤلفة من ٧٠٠ بيت، وفيه يتحول الإله كريشنا إلى حوذي تابع لأجورا ويلقن هذا الأخير دروسا في الفلسفة وفن اليوجا هذه الدروس هي خلاصة لما سبق من تعليمات.
(٢) طبقا للأساطير اليونانية فإن Tantalos، ملك ليديا عاقبته الآلهة عقابا أليما إذ جعله تأثير العطش والجوع يرى الماء وهو يهرب من بين شفتيه ويرى فروع الشجر وهي تبتعد عنه محملة بأطيب الثمار.

الفصل (-91-)

- (١) هي مجموعة من المشاهد رسمها باولو أوسيلو (١٢٩٧-١٤٧٥)

- (٢) هو نحات روماني قريب في أسلوبه النحتي من المدرستين التكعبية والسيرالية.
(٣) ولد عام ١٩١٠ وهو مؤلف روايات وأعمال مسرحية.

الفصل (-92-)

- (١) ولد في موسكو ١٩٠٦ - رسام تجريدي - يقوم برسم مساحات ضخمة مستخدماً الألوان البسيطة.
(٢) تمت الإشارة إليه في فصل سابق ضمن رسامي مدرسة باريس.
(٣) (١٨٩٧ - ١٩٦٤) رسام فرنسي.
(٤) ممثلة سينمائية فرنسية.
(٥) ولد عام ١٩٢٢ روائي، وكوميديان.

الفصل (-93-)

- (١) (١٨٦٩ - ١٩٥٩) هو أحد مؤسسي الهندسة المعمارية العضوية في الولايات المتحدة. من خلال فكرته، «الطابق الحر»
(٢) (١٨٨٧ - ١٩٦٥) أحد عمالقة هندسة المعمار خلال القرن العشرين.
(٣) هو اسم أمير أسطوري كانت له مائة عين (الأساطير اليونانية)
(٤) شاعر وناقد مكسيكي معاصر توفي منذ أعوام قليلة - ولد عام ١٩١٤
(٥) هي ماركيزة (١٦٣٠ - ١٦٧٦) كانت تدس السم لمن شاعت فقد دست السم لأبيها وإخوتها
ولآخرين. تم إعدامها عام ١٦٧٦.
(٦) (١٥٢٩ - ١٥٩٠) كاتب إنجليزي
(٧) نوع من المنسوجات ذات الأصل العربي بها أشكال هندسية ومساحات من الألوان أو
الحريز.
(٨) (١٤٩٦ - ١٤٩٢) رسام إيطالي - فلورنسا.

الفصل (-95-)

- (١) لابد وأنه إشارة عن كتب عن اليوناني «زن» ليس إشارة للرسام الذي يحمل نفس الاسم.
(٢) هي واحدة من الصيحات متافاً لراداميس في الفصل الأول - المشهد الأول لأوبرا عايدة.

الفصل (-96-)

(١) طبقاً للأساطير اليونانية كان يملأ قاربه بأرواح الموتى ويطلبها مسبقاً بدفع الثمن حتى يعبر بها أنهار الجحيم.

الفصل (-97-)

- (١) أحد الموضوعات الرئيسية في الآداب العالمية حيث يجتمع الحب والموت.
- (٢) (١٨٤٧) هي بطة وعنوان رواية شارلوت برونتي (١٨٥٥)
- (٣) أحد أبطال واحدة من روايات أندريه جيد (١٨٦٩ - ١٩٥١)
- (٤) بطل رواية «عليس» لجيمس جويس

الفصل (-99-)

- (١) (١٨٣٣ - ١٩١١) فيلسوف ألماني - مؤلف «مدخل إلى علوم الروح»
- (٢) (١٨٥٩ - ١٩٣٧) مبدع phenomenologia
- (٣) روائي إنجليزي
- (٤) يظهر هنا كرمز للحكمة الشعبية وكعبة يقصدها الكثير من شباب العالم

الفصل (-100-)

- (١) (١٤٧٢ - ١٥٥٣) رسام ألماني ذو وشائج وثيقة بالمذهب البروتستانتي في الديانة المسيحية.
- (٢) هو عالم وبكتور ملعون، وهو تجسيد لما يسمى «بالخطر الأصفر»

الفصل (-108-)

- (١) روائي أرجنتيني ولد عام ١٨٩٤.
- (٢) هو لويس بوميبيك كرتوش مجرم فرنسي شهير ولد عام ١٦٩٣ - وأعدم عام ١٧٢١ م.

الفصل (-110-)

- (١) هي ابنة المؤلف الموسيقي القطلاني (أسبانيا) چواكين نين - ولدت في باريس عام ١٩٠٢
- كانت صديقة لهنري ميلر.

الفصل (-112-)

(١) مؤلف مسرحى شهير.

(٢) مؤلف مسرحى معاصر ولد عام ١٩١٠.

الفصل (-116-)

- (١) (١٨٩٧-١٩٦٢) هو واحد من الذين انقلبوا على الأدب التقليدى وذلك من خلال سلسلة مقالات له تناولت: الجمال والفلسفة والسرد القصصى.
- (٢) أحد مشاهير النقد الفنى من المعاصرين. مؤلف «تاريخ نقد الفن»
- (٣) أحد مشاهير النقد الفنى من المعاصرين. من مؤلفاته «الماضى فى الحاضر» شغل أيضا منصب عمدة روما.

الفصل (-125-)

(١) هى أسماء لحروف فى الأبجدية اليونانية.

الفصل (-126-)

(١) (١٧٨١-١٨٣١) كاتب مسرح رومانسى ألمانى

الفصل (-129-)

- (١) هو المؤرخ الإنجليزى الشهير.
- (٢) (١٨٧٦-١٩٥٨) إنثريولوجى فرنسى مؤلف «أصول الإنسان الأمريكى».

الفصل (-133-)

- (١) شاعر إسباني (القرن التاسع عشر) رومانسى.
- (٢) شعب من أصل جرمانى غزا إسبانيا قديما.

الفصل (-141-)

- (١) فى ١٢ مارس ١٩٢٨ يطلق هتلر دباباته على النمسا التى تستسلم بدون مقاومة وفى اليوم التالى يتم إعلان انضمامها إلى الرايخ الألماني
- (٢) نصوص هندوسية مقدسة مكتوبة باللغة السنسكريتية.
- الفصل (-142-)

- (١) هو أستاذ رفائيل (١٤٤٦-١٥٢٤)
- (٢) توفي عام ١٤٧٢، هو أحد الرسامين الإيطاليين المشهورين.
- (٣) (١٤٦٣-١٤٩٤) مؤلف ينسب إلى الأفلاطونية الجديدة.
- (٤) (١٤٠٧-١٤٥٧) مؤلف إيطالي أسهم في نشر النصوص اليونانية واللاتينية.
- (٥) (١٨١٨-١٨٩٧) هو المؤرخ الألماني الشهير مؤلف كتاب تاريخ الثقافة اليونانية
- (٦) هو من قام بتحليل توجهات الرسم في عصر النهضة الإيطالية.
- (٧) (١٤٨٦-١٥٣١) رسام فلورنسي من عصر النهضة.

الفصل (-144-)

- (١) Algallia هو عطر خليط من المسك والعنبر.

الفصل (-145-)

- (١) كاتب بولندي معاصر.

الفصل (-148-)

- (١) هو كاتب لاتيني جاء بعد عصر الإمبراطور أغسطس ألف عشرين كتابا
- الفصل (-١٥٢-)
- (١) هو شاعر غنائي فرنسي ولد عام ١٩٠٣ ومؤلف مسرحي أيضا.

الفصل (-155-)

- (١) اسم طبيب فرنسي.

المشروع القومى للترجمة

- ١- اللغة العليا (طبعة ثانية)
 - ٢- الوثنية والإسلام
 - ٣- التراث المسروق
 - ٤- كيف تتم كتابة السيناريو
 - ٥- ثريا فى غيبوبة
 - ٦- اتجاهات البحث اللساني
 - ٧- العلوم الإنسانية والفلسفة
 - ٨- مشعل الحرائق
 - ٩- التغيرات البيئية
 - ١٠- خطاب الحكاية
 - ١١- مختارات
 - ١٢- طريق الحرير
 - ١٣- ديانة الساميين
 - ١٤- التحليل النفسى والأدب
 - ١٥- الحركات الفنية
 - ١٦- إثنية السوداء
 - ١٧- مختارات
 - ١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية
 - ١٩- الأعمال الشعرية الكاملة
 - ٢٠- قصة العلم
 - ٢١- خيخة وألف خوخة
 - ٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين
 - ٢٣- تجلى الجميل
 - ٢٤- ظلال المستقبل
 - ٢٥- مثنوى
 - ٢٦- دين مصر العام
 - ٢٧- التنوع البشرى الخلاق
 - ٢٨- رسالة فى التسامح
 - ٢٩- الموت والوجود
 - ٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)
 - ٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى
 - ٣٢- الانتقاض
 - ٣٣- التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية
 - ٣٤- الرواية العربية
 - ٣٥- الأسطورة والحدائق
- ٣٦- جون كوين
 - ٣٧- ك. مانهو بانيكار
 - ٣٨- جورج جيسس
 - ٣٩- انجا كاريتنكوفا
 - ٤٠- إسماعيل فصيح
 - ٤١- ميلكا إلفيتش
 - ٤٢- لوسيان غولدمان
 - ٤٣- ماكس فريش
 - ٤٤- أندرو س. جودى
 - ٤٥- جيزار جينوت
 - ٤٦- فيسوافا شيمبوريسكا
 - ٤٧- ديفيد براونستون وايرين فرانك
 - ٤٨- روبرتسن سميث
 - ٤٩- جان بيلمان نويل
 - ٥٠- إدوارد لويس سميث
 - ٥١- مارتن برنال
 - ٥٢- فيليب لاركين
 - ٥٣- مختارات
 - ٥٤- جورج سفيريس
 - ٥٥- ج. ج. كراوثر
 - ٥٦- صمد بهرنجى
 - ٥٧- جون أنتيس
 - ٥٨- هانز جيورج جادامر
 - ٥٩- باتريك بارنر
 - ٦٠- مولانا جلال الدين الرومى
 - ٦١- محمد حسين فيكل
 - ٦٢- مقالات
 - ٦٣- جون لوك
 - ٦٤- جيمس ب. كارس
 - ٦٥- ك. مانهو بانيكار
 - ٦٦- جان سوفاجيه - كلود كاين
 - ٦٧- ديفيد روس
 - ٦٨- أ. ج. هويكنز
 - ٦٩- روجر ألن
 - ٧٠- پول ب. ديكسون
- ٧١- ت : أحمد درويش
 - ٧٢- ت : أحمد فؤاد بليغ
 - ٧٣- ت : شوقى جلال
 - ٧٤- ت : أحمد الحضرى
 - ٧٥- ت : محمد علاء الدين منصور
 - ٧٦- ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
 - ٧٧- ت : يوسف الأنطكى
 - ٧٨- ت : مصطفى ماهر
 - ٧٩- ت : محمود محمد عاشور
 - ٨٠- ت : محمد مفتاح عبد الجليل الأزهى ربحر على
 - ٨١- ت : هناء عبد الفتاح
 - ٨٢- ت : أحمد محمود
 - ٨٣- ت : عبد الوهاب طوب
 - ٨٤- ت : حسن المودن
 - ٨٥- ت : أشرف رفيق عطيفى
 - ٨٦- ت : بلشرف أحمد عثمان
 - ٨٧- ت : محمد مصطفى بدوى
 - ٨٨- ت : طلعت شاهين
 - ٨٩- ت : نعيم عطية
 - ٩٠- ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
 - ٩١- ت : ماجدة العنانى
 - ٩٢- ت : سيد أحمد على الناصرى
 - ٩٣- ت : سعيد توفيق
 - ٩٤- ت : بكر عباس
 - ٩٥- ت : إبراهيم الدسوقي شتا
 - ٩٦- ت : أحمد محمد حسين فيكل
 - ٩٧- ت : نخبة
 - ٩٨- ت : منى أبو سنه
 - ٩٩- ت : بدر النيب
 - ١٠٠- ت : أحمد فؤاد بليغ
 - ١٠١- ت : عبد الستار الطنجى / عبد الوهاب طوب
 - ١٠٢- ت : مصطفى إبراهيم فهمى
 - ١٠٣- ت : أحمد فؤاد بليغ
 - ١٠٤- ت : حصه إبراهيم المنيف
 - ١٠٥- ت : خليل كلفت

- ٣٦- نظريات السرد الحديثة
٣٧- وأحة سيوة وموسيقاها
٣٨- نقد الحداثة
٣٩- الإغريق والحسد
٤٠- قصائد حب
٤١- ما بعد المركزية الأدبية
٤٢- عالم ماله
٤٣- الذهب المزدوج
٤٤- بعد عدة أصياف
٤٥- التراث المخدور
٤٦- عشرون قصيدة حب
٤٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)
٤٨- حضارة مصر الفرعونية
٤٩- الإسلام في البلدان
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير
٥١- مسار الرواية الإسبانية أمريكية
٥٢- العلاج النفسي التدميمي
٥٣- الدراما والتعليم
٥٤- المفهوم الإغريقي للمسرح
٥٥- ما وراء العلم
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (١)
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (٢)
٥٨- مسرحيات
٥٩- المجبرة
٦٠- التصميم والشكل
٦١- موسوعة علم الإنسان
٦٢- لذة النص
٦٣- تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)
٦٥- في مدح الكسل ومقاتل أخرى
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية
٦٧- مختارات
٦٨- ننشأ العجز وقصص أخرى
٦٩- العالم الإسلامي في قرون القرن العشرين
٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية
٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمي
ت : حياة جاسم محمد
ت : جمال عبد الرحيم
ت : أنور مليش
ت : منيرة كروان
ت : محمد عبد إبراهيم
ت : عطف أحمد / إبراهيم تحي / مصون ماجد
ت : أحمد محمود
ت : المهدي أخريف
ت : مارلين تادرس
ت : أحمد محمود
ت : محمود السيد علي
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : ماهر جويجاتي
ت : عبد الوهاب عريب
ت : محمد برادة وعطاني الليلو ويوسف الأنكلي
ت : محمد أبو العطا
ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
ت : مرسى سعد الدين
ت : محسن مصيلحي
ت : علي يوسف علي
ت : محمود علي مكي
ت : محمود السيد ، ماهر البطوطي
ت : محمد أبو العطا
ت : السيد السيد سهيم
ت : صبرى محمد عبد الفتى
مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
ت : محمد خير البقاعي
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : رمسيس عوض
ت : رمسيس عوض
ت : عبد الطيف عبد الحليم
ت : المهدي أخريف
ت : أشرف الصباغ
ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمي
ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
ت : حسين محمود
والاس مارتن
بريجيت شيفر
ألن تورين
بيتر والكوت
آن سكستون
بيتر جران
بنجامين باربر
أوكتايفر بات
ألدوس هكسلى
روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين
بابلو نيرودا
رينيه ووليك
فرانسوا دوما
ه . ت . نوريس
جمال الدين بن الشيخ
داريو بيانوييا وخ . م بيناليستي
بيتر . ن . نولفليس وستيفن . ج .
روجرسيفيتز ودجر بيل
أ . ف . اللجوتون
ج . مايكل والتون
جون بولكنجهوم
فديريكو غرسية لوركا
فديريكو غرسية لوركا
فديريكو غرسية لوركا
كارلوس مونييث
جوهانز آيتين
شارلوت سيور - سميت
رولان بارت
رينيه ووليك
آلان وود
برتراند راسل
أنطونيو جالا
فرناندو بيسوا
فالتين راسبوتين
عبد الرشيد إبراهيم
أوخيتيو تشانج رودريجت
داريو فو

- ٧٢- السياسى العجوز
٧٣- نقد استجابة القارئ
٧٤- صلاح الدين والمالِك فى مصر
٧٥- فن التراجم والسير الذاتية
٧٦- چاك لاكان ولغواء التحليل النفسى
٧٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣
٧٨- العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية
٧٩- شعرية التأليف
٨٠- بوتشكين عند «نافورة الدموع»
٨١- الجماعات المتخيلة
٨٢- مسرح ميغيل
٨٣- مختارات
٨٤- موسوعة الأدب والنقد
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية)
٨٦- طول الليل
٨٧- نون والقلم
٨٨- الابتلاء بالترقب
٨٩- الطريق الثالث
٩٠- وسم السيف
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق
٩٢- أساليب ومفاهيم المسرح
- ٩٣- الإشباني أمريكي المعاصر
٩٤- محدثات العولمة
٩٥- الحب الأول والصحة
٩٦- مختارات من المسرح الإشباني
٩٧- ثلاث زئبقات ووردة
٩٨- هوية فرنسا مع ١
٩٩- الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى
١٠٠- تاريخ السينما العالمية
١٠١- مسألة العولمة
١٠٢- النص الروائى (تقنيات ومناهج)
١٠٣- السياسة والتسامح
١٠٤- قهر ابن عربى يليه آيا
١٠٥- أوربا ماهوجنى
١٠٦- مدخل إلى النص الجامع
١٠٧- الأدب الاندلسى
١٠٨- صورة الفنان فى الشعر الأمريكى المعاصر
- ت . س . إليوت
چين . ب . تومكينز
ل . ا . سيمينوف
أندريه مورو
مجموعة من الكتاب
رينيه ويليك
روئال دويوتسون
بوريس أوسبينسكى
ألكسندر بوشكين
بندكت أندرسن
ميغيل دى أونامونى
غوتفريد بن
مجموعة من الكتاب
صلاح زكى أقطاى
جمال مير صادقى
جلال آل أحمد
جلال آل أحمد
أنتونى چيدنز
ميجل دى ترياتس
باربر الاسوستكا
كارلوس ميچل
مايك فيذرستون وسكوت لاش
صمويل بيكيت
أنطونيو بويد بايخو
قصص مختارة
فرنان برودل
نماذج ومقالات
ديفيد روينسون
بول هيرست وجراهام تومبسون
بيزنار فالبط
عبد الكريم الخطيبى
عبد الوهاب المؤيد
برتوت بريشت
چيرارچينيت
د. ماريا خيسوس روبييرامتى
نخبة
- ت : فؤاد مجلى
ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ت : حسن بيومى
ت : أحمد درويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونور أمين
ت : سعيد الغامى وناصر حلاوى
ت : مكارم الفمري
ت : محمد طارق الشرقاوى
ت : محمود السيد على
ت : خالد المغالى
ت : عبد الحميد شحبة
ت : عبد الرزاق بركات
ت : أحمد فتحي يوسف شتا
ت : ماجدة العنانى
ت : إبراهيم السوقي شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
ت : مجيد إبراهيم ميرك
ت : محمد هناء عبد الفتاح
ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب طوب
ت : فوزية العشماوى
ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
ت : إدوار الخراط
ت : بشير السباعى
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم فتيل
ت : إبراهيم فتحي
ت : رشيد بنخند
ت : عز الدين الكنانى الإنديسى
ت : محمد بنيس
ت : عبد الغفار مكاوى
ت : عبد العزيز شميل
ت : د. أشرف على دعبور
ت : محمد عبد الله الجعيدى

- ١٠٨- بحث دراسات عن الشعر الأندلسي
١٠٩- هروب المياه
١١٠- النساء في العالم الثامن
١١١- المرأة والجزيرة
١١٢- الاحتجاج الهادئ
١١٣- راية التمرد
١١٤- مسرحيات حصاد كوني وسان المستنق
١١٥- غرفة تخص المرء وحده
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)
١١٧- المرأة والجنوسة في الإسلام
١١٨- النهضة النسائية في مصر
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق
١٢٠- الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط
١٢١- الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية
١٢٢- نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الولاية
١٢٤- الفجر الكادب
١٢٥- التحليل الموسيقي
١٢٦- فعل القراءة
١٢٧- إرهاب
١٢٨- الأدب المقارن
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة
١٣٠- الشرق يصعد ثانية
١٣١- مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)
١٣٢- ثقافة العولة
١٣٣- الخوف من المرايا
١٣٤- تشريح حضارة
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت
١٣٦- فلاحو الباشا
١٣٧- مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف
١٣٩- باريسيات
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية
١٤٢- الإسمكودية : تاريخ ودليل
١٤٣- فضايا التنظير في البحث الاجتماعي
١٤٤- صاحبة اللوكاندة
- مجموعة من النقاد
جون بولوك وعادل درويش
حسنه بيجم
فرانسيس هيندسون
أراين علوي ماركليود
سادي بلانت
ويل شويكتا
فرجينيا وولف
سينثيا نلسون
ليلى أحمد
بث بارون
أميرة الأزهرى سنبل
ليلى أبو لغد
فاطمة موسى
جوزيف فوجت
نيل الكسندر وفنانيوينا
جون جراي
سيدريك ثورب ديفي
فولفانج إيسر
صفاء فتحي
سوزان باسنييت
ماريا دواوس أسيس جاريه
أنثويه چوندر فوانك
مجموعة من المؤلفين
مايك فيلرستون
طارق علي
باري ج. كيب
ت. س. إليوت
كينيث كرو
جوزيف ماري مواريه
إيلينا تاروني
ريشارد فاجنر
هربرت ميسن
مجموعة من المؤلفين
أ. م. فورستر
ديريك لايدار
كارل جولدوني
- ت : محمود علي مكي
ت : هاشم أحمد محمد
ت : منى قطان
ت : ريهام حسين إبراهيم
ت : إكرام يوسف
ت : أحمد حسان
ت : نسيم مجلى
ت : سميرة رمشان
ت : نهاد أحمد سالم
ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
ت : لميس النقاش
ت : بإشراق/ رؤوف عباس
ت : نخبة من المترجمين
ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
ت : منيرة كروان
ت : أنور محمد إبراهيم
ت : أحمد فؤاد بليغ
ت : سمحة الخولى
ت : عبد الوهاب علوب
ت : بشير السباعي
ت : أميرة حسن نورية
ت : محمد أبو العطا وآخرون
ت : شوقي جلال
ت : لويس بقطر
ت : عبد الوهاب علوب
ت : طلعت الشايب
ت : أحمد محمود
ت : ماهر شفيق فريد
ت : سحر توفيق
ت : كاميليا صبحي
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : مصطفى ماهر
ت : أمل الجبوري
ت : نعيم عطية
ت : حسن بيومي
ت : عدلى السمرى
ت : سلامة محمد سليمان

- ١٤٥- موت أرتيميو كروث
١٤٦- الورقة الحمراء
١٤٧- خطبة الإدارة الطويلة
١٤٨- القصة القصيرة (النظرية والتقنية)
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وألونس
١٥٠- التجربة الإفريقية
١٥١- هوية فرنسا مع ٢ ، ١ ج
١٥٢- عدالة الهند وقصص أخرى
١٥٣- غرام الفراغة
١٥٤- مدرسة فرانكفورت
١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى
١٥٧- خسرو وشيرين
١٥٨- هوية فرنسا مع ٢ ، ٢ ج
١٥٩- الإيديولوجية
١٦٠- آلة الطبيعة
١٦١- من المسرح الإسباني
١٦٢- تاريخ الكنيسة
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)
١٦٥- حكايات الثلج
١٦٦- العلاقات بين اللتينين والتمالين في إسرائيل
١٦٧- في عالم طاغور
١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة
١٦٩- إبداعات أدبية
١٧٠- الطريق
١٧١- وضع حد
١٧٢- حجر الشمس
١٧٣- معنى الجمال
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء
١٧٥- التلفزيون في الحياة اليومية
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية
١٧٧- أنطون تشيخوف
١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث
١٧٩- حكايات أيسوب
١٨٠- قصة جاويد
١٨١- النقد الأدبي الأمريكي
١٨٢- العنف والنزوة
١٨٣- جان كوكتو على شاشة السينما
- كارلوس فوينتس
ميجيل دي ليس
تاتكرين دويرت
إرنيكو أندرسون إمبرت
عاطف فضل
روبرت ج. ليتمان
فرنان بريدل
نخبة من الكتاب
فيولين فاتونيك
فيل سليتر
نخبة من الشعراء
جى أنبال وآلان وأوليد فيرمو
النظامي الكتونجي
فرنان بريدل
ديفيد هوكس
بول إيرليش
اليفاندرو كاسونا وأنطونيو جالا
يوجنا الأسوي
جورن مارشال
جان لاکوتير
أ. ن أفانا سيفا
يشعياهو ليفمان
رابندرانات طاغور
مجموعة من المؤلفين
مجموعة من المبدعين
ميفيل دليبيس
فرائك بينجو
مختارات
ولتر ت. ستيس
أليس كاشمور
لورينز فيلشس
توم تيتنبرج
هنري ترويا
نخبة من الشعراء
أيسوب
إسماعيل فصيح
فغنست ب. ليتش
وب. بيتش
رينيه چيلسون
- ت : أحمد حسان
ت : على عبدالووف البمبي
ت : عبدالغفار مكاي
ت : على إبراهيم على منوفي
ت : أسامة إسبر
ت : منيرة كروان
ت : بشير السباعي
ت : محمد محمد الخطابي
ت : فاطمة عبدالله محمود
ت : خليل كلفت
ت : أحمد مرسى
ت : مى التمساني
ت : عبدالعزيز بقرش
ت : بشير السباعي
ت : إبراهيم فتحي
ت : حسين بيومي
ت : زيدان عبدالحليم زيدان
ت : صلاح عبدالعزيز محبوب
ت : بإشراف: محمد الجيهري
ت : نبيل سعد
ت : سمير المصاغة
ت : محمد محمود أبو غدير
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت : بسام ياسين رشيد
ت : هدى حسين
ت : محمد محمد الخطابي
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : أحمد محمود
ت : وحيه سمعان عبد المسيح
ت : جلال البنا
ت : حصه إبراهيم المنيف
ت : محمد حمدى إبراهيم
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : سليم عبد الأمير حمدان
ت : محمد يحيى
ت : ياسين طه حافظ
ت : فتحى العشري

- ١٨٤- القاهرة... حالة لا تنام
١٨٥- أسفار العهد القديم
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل
١٨٧- الأرضة
١٨٨- موت الأدب
١٨٩- العمى والبصيرة
١٩٠- محاورات كونفوشيوس
١٩١- الكلام وأسمال
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك ج١
١٩٣- عامل المنجم
١٩٤- مختارات من النقد الأتجلو-أمريكي
١٩٥- شتاء ٨٤
١٩٦- المهلة الأخيرة
١٩٧- الفاروق
١٩٨- الاتصال الجماهيري
١٩٩- تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية
٢٠٠- ضحايا التنمية
٢٠١- الجانب الديني للفلسفة
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبي الحديث ج٤
٢٠٣- الشعر والشاعرية
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات
٢٠٦- الهيبولية تصنع علماً جديداً
٢٠٧- ليل إفريقي
٢٠٨- شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي
٢٠٩- السرد والمسرح
٢١٠- مثولوجيات حكم سنائي
٢١١- فرديناند ديسوميسير
٢١٢- قصص الأمير مرزيان
٢١٣- مصر منذ قدم نابليون حتى رحيل عبدالناصر
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك ج٢
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم
٢١٧- عولة السياسة العالمية
٢١٨- لعبة الهجلة (رابولا)
- هانز إيتشورفر
توماس تومسن
ميخائيل إينوود
بُزْرَج علوى
الفين كرتان
بول دى مان
كونفوشيوس
الحاج أبو بكر إمام
زين العابدين المزاغى
بيتر أبراهامز
مجموعة من النقد
إسماعيل فصيح
فالتين راسبوتين
شمس العلماء شبلى التعماني
ادوين إمري وآخرون
يعقوب لاندواى
جيرمى سبيروك
جوزايا رويس
رينيه ويليك
ألفاف حسين حالى
زلمان شازار
لويجى لوقا كافالى- سفورزا
جيمس جلايك
رامون خوتاسندير
دان أوريان
مجموعة من المؤلفين
سنائى الغزنوى
جوناثان كلر
مرزيان بن رستم بن شروين
ريمون فلاور
أنتونى جينز
زين العابدين المزاغى
مجموعة من المؤلفين
جون بايلس وستيت سميت
خوليو كورتازان
- ت: دسوقى سعيد
ت: عبد الوهاب علوب
ت: إمام عبد الفتاح إمام
ت: محمد علاء الدين منصور
ت: تندر الديب
ت: سعيد الغامسى
ت: محسن سيد فرجاني
ت: مصطفى حجازى السيد
ت: محمود سلامة علوى
ت: محمد عبد الواحد محمد
ت: ماهر شفيق فريد
ت: محمد علاء الدين منصور
ت: أشرف الصباغ
ت: جلال السعيد الحفناوى
ت: إبراهيم سلامة إبراهيم
ت: جمال أحمد الرافعى وأحمد عبد الطيف حماد
ت: فخرى لبيب
ت: أحمد الأنصارى
ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت: جلال السعيد الحفناوى
ت: أحمد محمود هويدى
ت: أحمد مستجير
ت: على يوسف على
ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
ت: محمد أحمد صالح
ت: أشرف الصباغ
ت: يوسف عبد الفتاح فرج
ت: محمود حمدى عبد الفتى
ت: يوسف عبد الفتاح فرج
ت: سيد أحمد على الناصرى
ت: محمد محمود محى الدين
ت: محمود سلامة علوى
ت: أشرف الصباغ
ت: وجيه سمعان عبد المسيح
ت: على إبراهيم على منوفى

رقم الإيداع ١٤٧٢٢ / ٢٠٠٠
I.S.B.N 977 - 3 05 - 254 - 0
طبع بالمركز المصرى العربى ت : ٧٧٩٥٦٠٧



Rayuela

Julio Cortàzar

■ إن خوليو كورتازار يرى في الحجلة تعبيراً مجازياً ضخماً عما يبحث. إنه البحث عن المطلق وعن المركز. هناك في الحجلة عنصران : الحلقة الأولى هي الأرض، أما الهدف فهو السماء؛ لعبة يملك الأطفال قوانينها التي لاتعتمد على القياس المنطقي المطلق، بل إنها أيضاً حالة التهيؤ التي عليها الطفل دون أن يدري، وعلى البالغين ألا ينسوا تلك الحالة إذا منا أرادوا إدراك الواقع المحيط؛ ليس اعتماداً فقط على القياس المنطقي، بل بالإبقاء على ذلك الموروث.

وتتألف هذه الرواية من ثلاثة أجزاء : يحمل الجزء الأول أو القسم الأول منها عنوان «من هذا الجانب»؛ حيث يتضمن عدة فصول تبدأ من الأول المسبوق «بالقائمة الإرشادية» التي تنوه إلى واحدة من أنماط قراءة الرواية، وينتهي بالفصل السادس والثلاثين. أما القسم الثاني فيحمل عنوان «من ذلك الجانب»، ويتضمن عدة فصول تنتهي بالفصل السادس والخمسين، وهو فصل تنتهي عنده واحدة من القراءات العديدة التي يشير إليها كورتازار. أما الجزء الأخير منها فيحمل عنوان «من الجوانب الأخرى»، ويتبع المؤلف هنا العنوان بعنوان جانبي «فصول يمكن الاستغناء عنها»؛ الأمر الذي حدا ببعض النقاد إلى اعتبار هذا الجزء وكأنه بمثابة درج الخياط؛ أي أن به الكثير من الأدوات والأشياء المتشابهة، أو بمثابة «الفَيْش البحثية» التي كان يجب أن تلزم الدوسيهات بعد أن يفرغ الباحث من تحرير بحثه.

تصميم الغلاف

Bibliothèque Alexandrina



0271512